

مخزن الأدب
وفاة الأديب

لأبي بكر بن علي بن عبد الله
المؤلف بابن حجة الحموي
(١٢١٧-١٢٣١/١٨٢٧-١٨٤٤م)

دراسة وتحقيق
الدكتورة كوكب ديات

دار طائر
بيروت

حزبنا الأديب
وقائمتنا الأرحم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

1431 هـ - 2010 م

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغنطة، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.



تأسست سنة 1863

ص. ب. ١٠ بيروت، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270 Tel: 910340

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

Khizānat al-Adab wa Ġāyat
al-Arab 1/5

(Ibn Hījjat al-Hamawiy)

p. 2448 - s. 17.5 x 25 cm

ISBN 978-9953-13-009-5



9789953130095

المقدّمة

لا شك أن للبلاغة العربيّة أهمّيّتها وضرورتها لكلّ من الناقد والأديب والمتخصّص في ميدان اللغة العربيّة وآدابها. ولا يخفى ما للبديع، وهو العلم الذي لا غنى عنه لتتألف البلاغة العربيّة، من أهميّة لا تقلّ عمّا لعلم البيان وعلم المعاني من أهميّة، وهو الفنّ الذي تناوله ابن حجّة الحمويّ في خزّانة الأدب هذه، وذلك من خلال فنّ «البديعيات».

ولمّا كان ابن حجّة الحمويّ يجمع في بديعيّته بين تضمين ألفاظ البيت، ما يشير إلى نوع المحسّن اللفظيّ أو المعنويّ الذي بناه عليه، وبين رقة الشعر وجمال النظم وسلاسته، مقتدياً بعزّ الدّين الموصليّ وصفيّ الدّين الحلّيّ اللذين سبقاه إلى نظم «البديعيات»، فقد زاد بذلك عليهما، إذ جمع في بديعيّته مئة وسبعة وأربعين نوعاً من المحسّنات البلاغية اللفظيّة والمعنويّة، وله الفضل في تسمية أنواع عديدة، منها: التصدير، والالتزام وغيرهما. وربّما كان «شرحه»⁽¹⁾ لبديعيّته أهمّ من البديعيّة نفسها، إذ إنّه جعله شرحاً مطوّلاً، حوّله فعلاً إلى «خزّانة أدب» أودعها كثيراً من علمه ومعرفته ونوادره وطرائفه، والمساجلات الأدبية التي نشأت في عصره (القرن التاسع الهجريّ)، فغدت خزّانته موسوعةً تجمع بين اللغة والأدب والبلاغة والنقد والشعر والنثر والتاريخ والتراجم. حتى ليتمكن اعتبارها أيضاً مرجعاً خاصّاً مهمّاً لشعراء العصرين الأيوبيّ والمملوكيّ فضلاً عن كونها مرجعاً عامّاً له قيمته العلمية والأدبية، وأثره البالغ في الكتب الأدبية والبلاغية والنقدية التي تلتّه.

إلا أنّ هذا كلّه كان مخطوطاً أو مطبوعاً دون تحقيق، تنازعت أقلام النساخ، والآن تتنازعه دور الطباعة ودور المخطوطات، دون أن يعمد أحد حتّى الآن إلى تحقيقه

(1) سأيّن قيمة هذا الكتاب العلمية، وأثره في قسم الدراسة.

تحقيقاً علمياً أو إلى تقديمه بشكله الصحيح كما وضعه المؤلف للإفادة منه، مع العلم أنّ لهذا الشرح أهمية كبيرة لدارسي الأدب والبلاغة والنقد واللغة، وللمتخصصين باللغة العربية وآدابها بشكل عام.

ثم إنّ الطبعات المختلفة لهذا الكتاب، لم تعتمد إجمالاً التحقيق السليم بمعناه العلمي، وأبسط دليل على ذلك أنّ أيّاً من تلك الطبعات لم تُشير إلى أية نسخة أصلية مخطوطة اعتمدت عليها، كما أنّ هذه الطبعات لم تعتمد مبدأ التحقيق من حيث المقارنة بين نسختين مخطوطتين على الأقل، للتحقق من ورود المعلومات في النسخ جميعها بصيغة واحدة أو متطابقة، ولو وجدت بين هذه الطبعات أية طبعة محققة^(١) لهذا الكتاب الضخم، لما أقدمت على تحقيقه، ولما كان هناك أيّ داعٍ لتكبد مشقات التحقيق ومخاطره.

وهذا ما دفعني إلى تحقيق هذه «الخزانة» لعلها تُنقل من مستوى المخطوطات المغمورة إلى مستوى المطبوعات «المحققة» المنشورة، فتعم الفائدة ويتحقق بذلك الهدف من تأليفها، ولا سيّما إذا علمنا أنّ الدراسات البلاغية باتت اليوم نادرة إذا ما قورنت بالدراسات الصرفية والنحوية، ولا سيّما الدراسات التي تناول العصرين المملوكي والأيوبي بناحية من نواحيهما.

ولهذا كان من أهم أهداف التحقيق تحقيق الأهداف التالية:

- تحقيق هذا الكتاب الضخم تحقيقاً، وكشف اللثام عن وجهه، وإعداده ليكون بين أيدي طلبة العلم، مرجعاً للدراسة البلاغية ومصدرًا تاريخياً وأدبياً، وهذا من حقّ العلم على كلّ منّا، ما دمنا نهدف إلى استقصاء المصادر والمراجع المفيدة، وإقامة الدراسة على أسس قويّة ودعائم متينة.

- الإسهام في بيان الشخصية المملوكية في تاريخ العلوم الأدبية والبلاغية، فإن هذه الخزانة تتناول البديع عاقمة من خلال البديعيات وشرحها، ومن خلال بحر غزير من شواهد القرآن والحديث والشعر والأمثال والأقوال. وبتحقيق هذه الخزانة قد

(١) ومن ينظر في طبعة دار ومكتبة الهلال بشرح عصام شعيتو، وهي غير محققة، يجد الكثير من الأخطاء في الشرح وفكّ الكلمات والتصحيح والتحرّيف وغيرها، وقد نبّهت إلى تلك الأخطاء في حواشي هذا الكتاب.

- تفتح نافذة كبيرة على عصر ابن حجة على صعيد الناحيتين البلاغية والأدبية .
- الإسهام في بعث جانب من جوانب ذلك العصر المديد الذي يعتبر أسوأ العصور حظاً وأقلها عناية من حيث اهتمام الباحثين به .
- المشاركة في إحياء المصنّف بإحياء هذا المصنّف، لما يمثله مع بعض ناظمي البديعيات وشرّاحها من اتجاه بلاغي أدبيّ يميل إلى الدراسة الفنيّة التطبيقية، وإن كان يعتمد أحياناً إلى إصدار أحكام نقدية انفعالية، إلا أنه بعيد عن الدراسة الفلسفية التجريدية .
- وضع ابن حجة موضعه بين علماء البلاغة عامة، وعلماء البديع خاصّة، ممّن سبقه و ممّن لحقه، وبيان ما له من أصالة وتقليد وأثر وتجديد، وإظهار ما لكتابه هذا من قيمة وأثر على صعيد الأدب واللغة والنقد والبلاغة .
- خدمة اللغة العربية وأدبها بإثارة أحد الكنوز الدفينة للتراث الأدبيّ-البلاغيّ المكتوب والمغمور، محقّقاً تحقيقاً علمياً مستنداً إلى قواعد تحقيق المخطوطات .
- إظهار أهميّة الخزانة في البلاغة العربية والأدب العربيّ، إذ هي «مجموع أدب قلّ أن يوجد في غيره، ولعلّ مقتنيه يستغني عن غيره من الكتب الأدبيّة، ولو لم يكن له فيه إلا جودة الشواهد لكلّ نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادر»^(١) العصرين الأيوبيّ والمملوكيّ، لكفاه .
- إبراز الأثر الكبير الذي تركته هذه الخزانة عند من جاء بعد ابن حجة الحمويّ من ناظمي البديعيات وشارحيها، كعائشة الباعونية، وجلال الدين السيوطيّ، وصدر الدين بن معصوم المدنيّ، وعبد الغني النابلسيّ، الذين لم يبلغوا ما بلغه ابن حجة في شرحه لبديعيّته من توسيع وتفصيل وشرح، حتى غدا شرحه «خزانة» بكلّ ما لهذه الكلمة من دلالة على السّعة والشرح المسهب، بالإضافة إلى إمام ابن حجة بكلّ ما سبقه إليه صفيّ الدين الحلّيّ وعزّ الدين الموصليّ وغيرهما من ناظمي البديعيات، كتضمين ألفاظ البيت ما يشير إلى نوع المحسن اللفظيّ والمعنويّ، ورقة الشعر وجمال النظم .

- تبيان ما أضافه ابن حجة على من سبقوه إلى علم البديع من شواهد وتسميات

(١) من تقرّظ أحمد بن حجر العسقلاني على النسخة «ك» .

للأنواع اللفظية والمعنوية، وبهذا يكون قد فاق أبرز ناظمين سبقاه إلى نظم البيديعات هما: عز الدين الموصلّي، وصفّي الدين الحلّي، بالإضافة إلى شرحه المسهب لبيديته حتى غدت فعلاً «خزانة أدب» اسماً على مسمى، فيها الكثير من علم ابن حجة ومعرفته ونوادره وطرائفه البلاغية والأدبية وغيرها، كما تعكس خزائنه المساجلات الأدبية التي دارت في عصره، وكان لها أكبر الأثر في تحريك عجلة النقد الأدبي-الفني، كما تضمنت الكثير من اللغة والنقد والشعر والثر والتاريخ والتراجم والمناظرات على أنواعها.

- إحياء علم البديع من جديد عن طريق إحياء أثر كبير هام من آثاره، ولا سيما إذا علمنا أنّ علم البلاغة عامة والبديع خاصة قد أهملت دراسته لأسباب كثيرة منها:
1- تكلف بعض الكتاب والأدباء «البديع» وزخرفتهم المصطنعة حتى بدا هذا العلم على غير حقيقته البديعة.

2- لجوء الكتبة ورجال الصحافة والمنشئين عموماً إلى الكتابة العلمية الجافة، والتي توصل المعلومة إلى المتلقّي من أقرب طريق، فابتعد القارئ عن التذوق الجمالي الفني للكلمة والعبارة، ومن ثمّ ابتعد عن التذوق الأدبي، نظراً إلى ما لعلم البديع من علاقة بالجمال والفنّ والأدب.

وهذا الإهمال لدراسة علم البديع في بعض جوانبه يدفعني إلى القول: إن علم الصرف قد وُضع على نار التأليف حتى نضج واحترق، وعلم النحو قد نضج ولما يحترق، أمّا علم البلاغة فلما ينضج ولم يحترق.

ولا ننسى ما لعلم البديع من أثر بالغ في الأدب شعراً ونثراً، أو ما له من علاقة كبيرة بالفنّ والجمال اللفظي والمعنوي، حتى أطلق «البديع» في بداية الأمر على كلّ أقسام البلاغة.

ولعلّ أهمّ «جديد» في هذا البحث هو التحقيق ذاته، لتحقيق الإفادة المرادة منه والأهداف الأنفة الذكر. ويتمثل هذا الجديد أيضاً بنقطتين:

أ- تزويد المكتبة العربية للمرّة الأولى بـ«خزانة الأدب» محققة تحقياً علمياً رصيناً، لعلها تكون بهذا إنجازاً أدبياً لغوياً بلاغياً كبيراً، ومصدراً مهماً لشعراء العصرين الأيوبي والمملوكي الذين لم يرد أدبهم في غير هذه الخزانة، وذلك بعد أن

نزعت عنها ثوب الظلام الماضي البالي، وألبستها من ثياب هذا العصر ما يجعلها، إلى حدٍّ مقبول، قريبة من متناول طلاب العلم، مقبولةً، دانيةً قطوفها لتؤتي أكلها من يشاء.

ب- إظهار آراء ابن حجّة الحموي واجتهاداته وإضافاته وجديده ودوره في علم البديع، وذلك بالمقارنة مع من سبقه إلى هذا المضمار، مشيرةً إلى من أتى بعده كصدر الدين بن معصوم الحسيني المدني، وعبد الغني التابلسي، وغيرهما ممن تأثر به تأثرًا كبيرًا، كل ذلك بمنهج وصفي تحليلي نقدي مقارن.

خطة هذا البحث ومنهجه:

وقد قسّمت هذا البحث إلى قسمين:

أ- القسم الأوّل: يدور في دائرة «البديع والبديعيات»، وذلك لبيان منزلة المؤلف بين علماء البلاغة ولا سيّما أصحاب هذا الفنّ، وإظهار مرتبة «بديعته وشرحها» بين تلك البديعيات والكتب التي تناولت هذا الموضوع، بالإضافة إلى ذكر آراء ابن حجّة واجتهاداته وإضافاته ودوره في علم البديع، وذلك بمقارنة كتابه هذا بغيره من كتب البديعيات، من خلال منهج يعتمد على الوصف والاستقراء والتقد والتحليل لاستخلاص ما تميّز به عن غيره في موضوع البديع والبديعيات.

وتتلخّص خطة هذا القسم بعرض فصل في علم البديع من حيث فائدته وموقف النقاد منه، وعلاقته بغيره، ونشأته وتطوّره حتى عصر ابن حجّة، وإفراد فصول أخرى في البديعيات، ونشأتها، وتطوّرها، وأهدافها، وشروطها، وموضوعها، وأثرها، وأسماء ناظميها، وعرض لأهمّها وأبرزها مع التركيز على دراسة بديعية ابن حجّة دراسة مقارنة تحليلية، لإبراز أهمّيّتها وأهميّة «شرحها» والجديد الذي أتت به على صعيد البديع وغيره، وأثرها في الأدب والبلاغة والنقد واللغة، وما قاله العلماء والنقاد فيها وفي «شرحها» وما أخذ عليها وعلى شرحها من مأخذ، منهيةً هذا القسم بخاتمة أبين فيها ما تميّز به هذا الكتاب عن غيره ممّا تناول موضوع البديع والبديعيات، وعارضةً فيها ملخصًا لأهمّ النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

ب- القسم الثاني: يتناول كتاب «خزانة الأدب وغاية الأرب» بالتحقيق، اعتمادًا على النسخ المخطوطة والمراجع اللازمة على اختلافها.

أما منهج التحقيق وخطواته فتتلخّص بما يلي:

بعد جمع النسخ، رتبتها تبعًا لأهميّة كلّ منها وقيمتها^(١)، فاعتمدت منها أوفرها قيمة، وأفضلها مرتبة، وأصحّها نصًّا، وأكثرها دقّة، وهي - كما سيأتي - النسخة ذات الرقم (٥٩٧١)، التي رمزت إليها بـ«ك»، لتكون الأساس الأوّل والأصل الأمّ، لتحقيق كتاب «خزانة الأدب وغاية الأرب» ولإثبات نصّه، مؤثرة هذه النسخة المخطوطة على النسخ الأربعة التي تليها، لما تميّزت به عنها من تمام وجودة في الخطّ، وصحّة ودقّة في الضّبط، ولما تعرّضت له من معارضات ومقارنات ومقابلات بالأصل المنقولة منه، وينسخ أخرى، ولما عليها من قراءات ومطالعات وتقاريط، ولقدّم عهدها وقربه من تاريخ التّأليف، ثم تليها النسخة «د»، فالنسخة «و»، فالنسخة «ب»، ثم المطبوعة «ط» كنسخة متأخرة.

ثمّ عمدت إلى معارضة هذه النسخ الخمس، بعد أن رمزت إلى كلّ منها بحرف، وشدّدت على مقابلتها ومقارنتها بعضها ببعض، بكلّ تأنٍّ ورويّة ودقّة وأمانة، فلم أترك شاردة أو واردةً إلّا وأخذت بناصيتها، وذلك لإيماني بأنّ التحقيق أمانة جليّة وأمر خطير، يحتاج من الجهد والطاقة، والعناية والدقّة، إلى أكثر ممّا يحتاج التّأليف.

ولقد كان اجتماع هذه النسخ لديّ (المخطوطة والمطبوعة) عنصرًا مساعدًا على ترجيح الرواية الصحيحة للكتاب، وقد جهدت لإثبات ما هو منه وحذف ما ليس منه، مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية، حرصًا على أمانة النصّ العلميّة، ولا سيّما أن الإشارة إلى موضع الإثبات والحذف قد تكون مفيدة فتعين القارئ على تفهّم النصّ من جهة أخرى، كما حاولت تخليص النصّ ممّا لحق به من التصحيف والتحرّيف، وتصحيحه من الأخطاء، وتقويم ما اعوجّج منه، وتهذيب ما اختلّ، وإثبات الرواية الصحيحة، أو ما اعتقدتها صحيحة، في المتن وغيرها في الحاشية.

ولمّا كان الهدف من التحقيق هو إحياء التراث الفكريّ وإظهاره على الملأ صحيحًا سليمًا تامًّا أو أقرب ما يكون إلى ما خطّه قلم المؤلّف في نسخته البكر، وفاءً

(١) تكمن قيمة النسخ وأهميتها في اعتبارات كثيرة منها: القِدَم، والصحّة، و... وسيأتي الكلام على أوصاف هذه النسخ وأهميتها.

للتراث، واعترافًا بما قدّم السلف، كان لزامًا عليّ أن أحترم النصّ فأخرجه كما وضعه المؤلف دون المساس بجوهره، إلا بما تقتضيه أصول القواعد الإملائية المعروفة وقواعد النصوص، ولهذا جاء تقويمى للاعوجاج وتهذيبي للمختلّ فيه مترافقًا مع كثير من الدقّة والحذر، ولو كانت هذه النسخ مكتوبة بخطّ المؤلف لما تجرأت على تقويم أو تهذيب، لأنّها تدلّ على ثقافة المؤلف ومعرفته ودرايته؛ بيد أنّ كلّ ما امتدّت إليه يدي بالتصحيح هو الأخطاء اللغوية والإملائية، وما عثرت عليه من جمل غير مستقيمة، فقوّمتها بما يلائمها من النسخ الأخرى، أو بما يلائم السياق من زيادة كلمة أو حرف واضعة الزيادة بين حاصرتين «[]»، ومشيرة إلى كلّ ذلك في الحاشية. وقد التزمت في هذا التحقيق منهجًا واضحًا تتلخّص خطواته بما يلي:

- توثيق اسم الكتاب واسم مؤلّفه.

- قمت بمعارضة نصوص الكتاب في نسخه المختلفة، مثبتة ما ورد في الأصل في المتن، وما خالف هذا الأصل أثبتته في الحاشية، منبهة على ذلك، إلا إذا كان ما ورد في الأصل يفسد المعنى أو أصابه تحريف أو تصحيف من الناسخ، فأثبت مكانه ما ورد صحيحًا في النسخ الأخرى، مع الإشارة إلى كلّ تلك الفروق في الحاشية حتى تكون لها فائدة.

- اعتنيت بضبط النصّ بالشكل، وخاصّة في أبيات البديعيّات، ومواضع الاستشهاد من القرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر، والأمثال، والأقوال، ومواضع اللبس والغموض.

- كتبتُ النصّ بدقّة وأناة، وفق القواعد الإملائية المتداولة.

- نظمت النصّ على شكل فقراتٍ، وراعى ما يتطلّب من وضع علامات الوقف والترقيم، كالنقاط والفوارز وعلامات الحذف والاستفهام والتأثّر، والتابعيّة، والشرطة، والقوسين والمزدوجين والحاصرتين، والمزهرين والنجمة، كلّ في مكانه الخاصّ به.

- رقّمتُ أبيات بديعية ابن حجّة الحموي، في أوّل باب كلّ نوع بديعيّ.

- كما أهملت ذكر أسماء بحور البديعيّات كلّها، إذ إنّ كونها من البحر البسيط شرطٌ من شروط البديعيّات، كما سيأتي في قسم الدراسة.

- وضعت الأنواع البديعية، في أول كل باب، كعناوين في رأس الصفحة، وقد أبرزتها بحرف كبير.

- استعملت القوسين «()» لحصر بعض الشروحات الواردة في الكتاب، وأرقام الحواشي وما يقابلها في المتن، وأسماء بعض المراجع والمصادر الواردة بعد قول أو تفسير في الحاشية؛ وخصّصت المزدوجين «(())» بالأحاديث والأمثال والأقوال المنقولة بنصّها، والفروق بين النسخ، وبعض أسماء الكتب والمصطلحات الواردة في المتن، وبعض الرموز الواردة في الحاشية.

وقصرت استعمال الحاصرتين «[]» على الزيادات في المتن وفي الحاشية المنقولة بنصّها من هوامش النسخ، أو لحصر كلمة «كذا» أحياناً في الحاشية؛ وفي حصر أسماء بحور الشعر، وخصّصت استعمال المزهرين «﴿﴾» بالآيات القرآنية لتميزها عن غيرها من الأقوال، وأشرت بالنجمة «*» في الحواشي إلى حاشية العناوين، وما قد يختلط ترقيمه بأرقام الحواشي.

- وضعتُ «/» شرطة مائلة في نهاية كل صفحة من صفحات المخطوطة الأمّ في المتن، مشيرة إلى رقمها في الهامش المقابل لها، وقد أضفت إلى الرقم حرف «أ» وهو يعني الوجه الأوّل منها، أو حرف «ب» وهو يعني الوجه الثاني منها.

- فصلت بين المتن والحاشية بخطّ صغير، مقسّمة الحاشية إلى قسمين عموديين، بعد كتابتها بحرف أصغر من حرف المتن.

- أشرتُ إلى ما في حواشي النسخ، ورمزت أحياناً كثيرة إلى كلمة هامش بـ «ه» مثل: «هك»، وأعني بها هامش النسخة «ك»؛ واعتبرت ما جاء في حواشي هذه النسخ على أنّه من نسخٍ أخرى، وأشرت إلى ذلك في الحاشية.

- عيّنت بالشواهد الواردة في الكتاب، سواءً أكانت قرآنية أم حديثاً شريفاً أم شعراً أم نصف بيت أم مثلاً سائراً، فضبطتها بالشكل، وبحثت عنها في أماكنها ومظانها، وأشرت في الحاشية إلى تلك الأماكن، واجتهدت في تبين مواطن الخلل العروضي في الشعر إن وجد، ونسبة كل بيت غير منسوب إلى قائله، فأشرت إلى صفحة وروده في ديوانه إن وُجد، وفي غيره من المصادر التي استشهدت به، وصحّحت نسبة الأبيات المنسوبة إلى غير أصحابها، وأكملتُ أنصاف الأبيات من

مصادرها، مع الإشارة إلى اختلاف رواية الشعر، معتمدة على النسخ والدواوين، كل ذلك بهدف توثيق الشاهد بمصادره التي قد تعين طلبة العلم على الرجوع إليها لاستكمال البحث أو معرفة مكان الشاهد.

- اضطررت إلى استعمال أكثر من نسخة لبعض المصادر، مع ذكر دار النشر أو المحقق إن وجد، أو الطبعة في الحاشية، وما لم أذكر معهما ذلك تكن النسخة الأخرى المذكورة في فهرس المصادر.

- اختصرت في التخريج والشرح وتبيين خلافات النسخ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، كي لا أثقل الحاشية بزيادات لا فائدة منها.

- شرحتُ في الحاشية بعض الألفاظ والمصطلحات والعبارات وبعض الأعلام الواردة في نصوص الشواهد للحاجة إليها في فهمها، معتمدة على المعاجم المختصة.

- كتبتُ في الحاشية بعض الاستدراكات في الشرح والتصويب.

- أبقيت على معظم الرموز التي استخدمها النساخ، وكتبتها في الحاشية مع الكلمات المشار بها إليها، وقد ذكرت معاني هذه الرموز بعد وصف المخطوطات، وأدخلت بعضها مع الكلمة المشار إليها ضمن مزدوجين إذا كان مكتوباً فوقها في النسخ، ووضعت الحرف الموضح الموجود فوق الكلمة أو تحتها بعد (*) نجمة ضمن قوسين، مثل: «التغاير» (*غ)، وأعني أنّ الحرف «غ» تحت «الغين» من الكلمة.

- ثم قمت بوضع الفهارس الفنية المختلفة التي تسهل على طالب العلم البحث والمقارنة^(١).

وقد قدّمت لهذين القسمين بمدخل تناولت فيه ابن حجة وآثاره الأدبية بالترجمة والتعريف، ومهدت لخزائنه بدراسة بسيطة اقتصرت فيها على توثيق اسم الكتاب وذكر موضوعه ومصادره، ودوافع ابن حجة لوضعه وأهدافه، ومنهجه في تأليفه وشرحه، وإظهار قيمته العلمية وتاريخ تأليفه. كما تكلمت على مخطوطات هذه الخزانة من حيث وصفها وطريقة نسخها، مُلحقة بها صوراً ونماذج من صفحاتها لتكون شاهداً عليها.

(١) انظر الفهارس الفنية.

- مصادر التحقيق والدراسة:

أثناء مقابلة النسخ وبعدها، عمدت إلى الانتفاع بكتب كثيرة، كنت أجد فيها تصحيحات عجيبة لتحريفات أعجب، وقعت في خزانة الأدب. ولكثرة الكتب التي رجعت إليها، واختلافها، سواءً كان ذلك في التحقيق أو في الدراسة، حاولت تقسيمها إلى مجموعات ليظهر في كل مجموعة نوع المادة التي أفدتها منها:

أ- المجموعة الأولى: كتب التحقيق ومناهجه، وإعداد البحوث الجامعية:

ولقد أفدت من هذه المجموعة فائدة كبيرة في قواعد التحقيق ومناهجه، ومعالجة مشاكله، فأطلعني بعد جمع النسخ على كيفية تنظيمها وترتيبها، وطرق تحقيقها والغاية من هذا التحقيق والوسيلة التي تحقق تلك الغاية، ومنهجية الحواشي والتقديم والفهرسة، وأذكر من هذه المجموعة على سبيل المثال، لا الحصر: «كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث» للدكتور إميل يعقوب، و«قواعد تحقيق المخطوطات» للدكتور صلاح الدين المنجد، و«تحقيق النصوص ونشرها» لعبد السلام محمد هارون، وأصول كتابة البحث وقواعد التحقيق» للدكتور مهدي فضل الله، و«L'art de la thèse: Comment préparer et rédiger une thèse de doctorat»

لميشال بود، و«المنهجية في الأطروحة الجامعية» للدكتور محمد زيعور، و«إعداد الأطروحة الجامعية» للدكتور كمال اليازجي.

ب- المجموعة الثانية: الكتب البلاغية والأدبية:

ولقد وجدت في هذه الكتب مادة غزيرة لتصحيحات كثيرة في النصوص والشعر وتخريج الشواهد المعتمدة في قسم التحقيق، ومادة أغزر في موضوع البديع والبدعيّات في قسم الدراسة. ومن كتب هذه المجموعة على سبيل المثال: «نظم الدّرّ والعقيان في محاسن الكلام» لمحمد بن عبد الله التنسي، و«تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن» لابن أبي الأصعب المصبيّ، و«شرح الكافية البديعية» لصفّي الدين الحلّي، و«نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار في مدح النبي المختار» لعبد الغني النابلسي، و«الحلّة السيّرا في مدح خير الوري» لمحمد بن جابر الأندلسي، و«الإيضاح في علوم البلاغة» لجلال الدين القزويني، و«العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق القيرواني، و«كتاب البديع» لابن المعتز،

و«الحجة على من زاد على ابن حجة» لعثمان الجليلي، و«البديعيات في الأدب العربي» لعلي أبو زيد، و«ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» للدكتور محمود الربدأوي؛ وغيرها من الكتب التي عثرت عليها مما ذكره ابن حجة في شرحه، بالإضافة إلى كتاب ابن حجة نفسه بنسخه الخمس.

ج- المجموعة الثالثة: القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف:

لقد أكثر ابن حجة من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، باعتباره ذروة البلاغة وعروتها الوثقى، وأتبع تلك الشواهد بأخرى من الحديث الشريف، لذا كان لزامًا عليّ أن أعود إلى المصحف الشريف لتخريج الآيات، موضع الاستشهاد، وتنقيتها من شوائب التحريف والتصحيف، كما رجعت إلى كتب الحديث المعروفة لتخريج الأحاديث النبوية والتحقق من صحتها، وقد اعتمدت في كثير منها على «موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف» لمحمد السعيد زغلول.

د- المجموعة الرابعة: الدواوين الشعرية وشروحا والمختارات الشعرية:

إن أهم ميزة تميّز بها كتاب ابن حجة الحموي هي كثرة الشواهد ولا سيما الشعرية، حتى يمكن اعتباره كتابًا في شواهد البلاغة الشعرية، وهذا ما دفع معاصره أحمد بن حجر العسقلاني إلى تقرير كتابه بقوله: «... ولو لم يكن له فيه إلا جودة الشواهد لكل نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار... فإن مالكة مرتفع عنه كلفة العارية»^(١)، كما أن ابن حجة لم يدع عصرًا إلا وأخذ من شواهد شعره بقدر، وكان لشعراء العصر المملوكي عنده حصّة الأسد، فقد أفرد زاوية في كتابه لكل شاعر عرفه أو تتلمذ على شعره، وما ساعده في ذلك أن شواهد البلاغة ليست مقيدة بعصر دون آخر، وهذا ما دفعني أثناء التخريج والتحقيق إلى أن أعود لمعظم دواوين الشعراء (من العصور: الجاهلي، والإسلامي، والأموي، والعباسي، والأيوبي، والمملوكي)^(٢)، حتى بلغت الدواوين والمجموعات الشعرية التي عدت إليها مئتين وثيًّا؛ أهمها، على سبيل المثال: ديوان صفّي الدين الحلّي، وديوان المتنبي،

(١) الصفحة الأولى من النسخة «ك» قبل صفحة العنوان.

(٢) بعض الشعراء من العصرين المتأخرين لم أعر على دواوين أو كتب أخرى تحوي شعرهم؛ فكان كتاب ابن حجة المصدر الوحيد لشعرهم.

وديوان الصادح والباغم لابن الهبّارية، وديوان الصبابة لابن أبي حجلة، وديوان ابن نباتة المصريّ، وديوان الشابّ الظريف، وديوان عبد العزيز الأنصاريّ، وديوان ابن حجر العسقلانيّ، ولزوميات أبي العلاء وديوانه، وديوان ابن حجّة نفسه المعروف بـ «جنى الجنتين»^(١). وقد اعتمدت في أماكن غير قليلة في تخريج هذه الشواهد على «المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية» للدكتور إميل يعقوب، ولا سيّما في أشعار عصور الاحتجاج؛ وعلى موسوعة الشعر العربيّ الموجودة على (C.D) وهي تحوي أكثر من خمسمئة ألف بيت من الشعر العربيّ، منذ العصر الجاهليّ حتى العصر الحديث.

هـ- المجموعة الخامسة: كتب الأمثال والحكم النثرية:

لقد أرجعت الأمثال الواردة من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف والشعر إلى مصادرها. أمّا الأمثال التي وردت من غير هذه المصادر فقد خرّجتها من كتب الأمثال والحكم، وقد اعتمدت في كثير منها على «موسوعة أمثال العرب» للدكتور إميل يعقوب، وكتب الأمثال التي اعتمد عليها في إعداد هذه الموسوعة، ومنها: «الألفاظ الكتابية» للهمداني، و«أمثال العرب» للمفصّل الضبيّ، و«الأمثال النبوية» لمحمد الغرويّ، وتمثال الأمثال لأبي المحاسن الشيبّي، و«جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري، و«الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» لحمزة بن الحسن الأصفهانيّ، و«مجمع الأمثال» للميدانيّ، و«المستقصى في أمثال العرب» للزّمخشريّ.

و- المجموعة السادسة: المعاجم:

لقد اعتمدت في كثير من بحثي على معاجم مختلفة، منها ما يتعلّق بما سبق، كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ، والمعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية، وموسوعة أمثال العرب.

ومنها المعاجم اللغويّة التي استفدت منها كثيرًا في شرح بعض الألفاظ الغامضة

(١) وقد حصلت على هذا الديوان، وهو مخطوط (٨١ ورقة) في دار الكتب المصرية بالقاهرة، بواسطة الدكتور محمد ربيع، أستاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة جرش بالأردن. وسيأتي الكلام على هذا الديوان أثناء الكلام على آثار ابن حجّة ومصنّفاته الأدبية.

والعامية والدخيلة التي كانت سائدة حتى العصر المملوكي، وأبرزها: «لسان العرب» لابن منظور، و«تاج العروس» لمرتضى الزبيدي، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي، و«المعجم الوسيط» لمجمع اللغة العربية، ومعجم المعربات الفارسية في اللغة العربية» للدكتور محمد التونجي.

ومنها المعاجم البلاغية التي شرحت المصطلحات البلاغية، وأهمها: «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» للدكتور أحمد مطلوب، و«معجم البلاغة العربية» للدكتور بدوي طبانة، و«المعجم المفصل في علوم البلاغة» للدكتورة إنعام فوال عكاري.

ومنها المعاجم التي تناولت أسماء الكتاب والأدباء والشعراء وكتبهم بالترجمة والتعريف، وأبرزها: «الأعلام» للزركلي، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة، و«إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» و«هدية العارفين» لإسماعيل باشا، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي، و«معجم المطبوعات العربية والمعربة» ليوسف إيلان سركيس.

ومنها معاجم البلدان والأماكن، مثل: «معجم البلدان» لياقوت الحموي، و«معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع» لعبدالله بن عبد العزيز البكري، ومنها المعاجم المتخصصة الأخرى التي استأنست بالرجوع إليها، مثل: معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، و«معجم المصطلحات العلمية العربية للكندقي وغيره»، للدكتور فايز الداية، و«معجم الحيوان» الذي أعدته سابقاً ونلت عليه شهادة دبلوم الدراسات العليا.

ولست أعظم سائر المجموعات حقها، ولا سيّما الكتب العامة التي اشتركت مع كتب المجموعات السابقة في إقالة حجر العثرة من طريق هذه الخزانة لتتقدم إلى الظهور، وقد مُسِّحت عنها غبار الزمن، وأفلتت من برائن الضياع والنسيان.

وإذا جاز لي أن أتحدّث عمّا اعترضني من صعوبات في تحقيق هذه الخزانة ودراستها فإني أقولها صريحة بيّنة: إنّ «التحقيق» بعد التجربة والمعاناة لم يكن بالعمل السهل، كما كنتُ أظنّ قبل، بل ما أصدق الجاحظ بقوله فيه: «ولربّما أراد مؤلّف الكتاب أن يصلح تصحيحاً أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرّ

اللفظ وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص، حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام»^(١).

فقد كان «التحقيق» لديّ، بما للكلمة من معنى، بذل عناية وجهد كبيرين للوصول إلى الحقيقة، سواءً كان ذلك في تحقيق عنوان الكتاب واسم مؤلفه أو في تحقيق متنه حتى يظهر بقدر الإمكان مقارباً لنصّ مؤلفه. ولعلّ أبرز تلك الصعوبات بدأت أثناء قراءتي للمخطوطات نظراً إلى ما في الخطّ القديم من إهمال لبعض النقط والإعجام، ومن إشارات كتابيّة لم أستطع فهمها إلّا بعد الممارسة والاطلاع، وهذا ما حدا بي إلى تعلّم قواعد الخطّ القديم بأنواعه والاطلاع عليها، بالإضافة إلى تصحيف النسخ وتحريفهم وأخطائهم الخطيّة والإملائية والنحويّة.

ثمّ بدأت الصعوبات والعوائق تكبر، ولعلّ أبرزها: ضبط النصّ ونحريره، وعزّو الأشعار إلى قائلها وتخريجها، ولا سيّما أشعار العصر المملوكيّ، وقد بلغت من الكثرة ما يوازي نصف الكتاب، فقد ذكر ابن حجة زوايا كاملة من شعر شعراء عصره ما لم أجد لها ديواناً أو مصدرًا إلّا كتابه هذا، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى كثرة ما تعرّضت له الكتب آنذاك من نكبات وإحراق وضياع على أيدي أهل الجهل من المغول والتتار وغيرهم ممّن ساهموا في فقدان قسم كبير من مصادر التراث المملوكيّ؛ إلّا أنّي لم أُلْ جهداً في التفتيش والبحث والتنقيب عنها في بطون أمّهات الكتب، ولم أضنّ بجهدٍ أو بوقتٍ في سبيل تحقيق الغاية المتمثّلة بتحقيق «حزّانة الأدب وغاية الأرب».

وبعد هذا، أقول: أن ليس من أحدٍ يستطيع أن يُخرج هذا الكتاب من الظلمات إلى النور مبرراً كلّ البراءة من العيب، سليماً كلّ السلامة من التحريف، فهذا عصر قد انقطعت - كما يرى عبد السلام محمد هارون^(٢) - دونه الرواية، وأوصد أمامه بعض أبواب العلم، واختفى عن الناس فيه كثير من أعلام الثقافة العربيّة في ذاك العصر؛ إلّا أنّني لستُ ممّن يدعي العصمة أو يخال فيه السلامة، ولكن حسبي أنّي بذلت فيه غاية الجهد، والتزمت جانب الأمانة، فلم أتصرّف بأيّ حرف إسقاطاً أو زيادة إلّا استأذنت

(١) الحيوان ١/٧٩؛ وتحقيق النصوص ونشرها (عبد السلام هارون) ص ٥٢-٥٣.

(٢) الحيوان ١/٣٨.

القارئ ونبّهته إلى ما فعلت، وجعلت من دأبي في الدراسة والتحقيق أن أشير إلى المصادر، دالةً على مواضع الاستشهاد فيها بذكر أرقامها، ليضمن القارئ ويكون شريكاً في النظر والتأمل.

هذا بالإضافة إلى ندرة الأبحاث التي تناولت «البدعيّات» بالدراسة، وعساني أكون بهذا الجهد سددتُ ثغرةً في الدراسات العربية، ولا سيّما البلاغيّة، وما آمله أن يقدم فائدة علميّة متواضعة إلى الباحث العربيّ ويحقّق ولو ذرّة من النفع لطلبة العلم في ميدانه. وبهذا لا أدعي أنني اخترعت شيئاً جديداً كلّ الجدّة، بل حقّقتُ كتاباً لعلّ فيه كثيراً من الجدّة والطرافة والتسهيل والفائدة. وعسى أن أكون قد أصبتُ في عملي هذا بعض الإصاّبة، أو وُفّقتُ بعض التوفيق في تحقيق هذا الأثر البلاغيّ والأدبيّ.

وأخيراً لا يسعني هنا إلا أن أردّد مع شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني:

يَا سَيِّدًا طَالَعَهُ إِنَّ رَاقَ مَعْنَاهُ فَعُودُ
وَافْتَحَ لَهُ بَابَ الرِّضَا وَإِنْ تَجَدُّ عَيْبًا فَسُدُّ^(١)

وحسبي بهذا أنني سعت، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٢٦) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى

﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَ ﴿٤١﴾ (٢). والله الموفق إلى ما فيه الخير والسداد.

(١) الرجز في ديوانه ص ٧٥؛ وأنس الحجر ص ٤٧.

(٢) النجم: ٣٩-٤١.

مدخل: ابن حجة الحمويّ وخزائنه

يعتبر ابن حجة الحمويّ من أعيان الممتين الثامنة والتاسعة، إذ وُلِدَ في بداية الثلث الأخير من القرن الثامن الهجري، وتوفّي بعد بداية الثلث الثاني من القرن التاسع الهجري، وقد أدرك من العمر ما يقارب السبعين سنة، عاش سبع عشرة سنة منها في ظلّ الدولة المملوكيّة الأولى الممتدّة بين العامين ٦٤٨هـ. و٧٨٤هـ.، وثلاث وخمسين منها في ظلّ الدولة المملوكيّة الثانية الممتدّة بين العامين ٧٨٤هـ. و٩٢٣هـ.؛ وقد واكبت هذه الفترة اعتلاء المماليك الشراكسة العرشَ وبسط مملكتهم على البلاد الشامية والديار المصريّة، فامتدّوا بها جنوبًا حتّى غطّت بظّلها جزءًا لا يستهان به من شبه الجزيرة العربيّة، كما امتدّت نحو الشمال فشملت قسماً غير يسير من شبه جزيرة الأناضول. وكان هذا متزامناً مع ضعف الخلافة العباسيّة التي انتقلت إلى القاهرة منذ أكثر من قرن، وقد توارت خلف ظلال السلطنة، وبذلك أضحت الخلافة تمثّل التقليد القديم للسلطة الروحيّة دون أن تمتدّ قوّتها إلى السلطة الدنيويّة، بعد أن كانت مدبّرة لشؤون الرعيّة، في العصور السابقة. وقد أتيت آنذاك لابن حجة أن يعاصر مجموعة من الخلفاء العباسيين والسلطين المماليك الذين لعبوا دوراً خطيراً في حياة الأُمَّة العربيّة على مختلف الأصعدة: السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، فانعكست في شعره ونتاجه الذي حمل في طيّاته صدًى كبيراً لها.

وكتابه هذا «خزانة الأدب وغاية الأرب»، أو «شرح البديعية المسماة بـ»تقديم أبي بكر«، هو الأثر الأوّل والأضخم والأهمّ بين آثاره البلاغيّة الثلاثة^(١)، وتكمن أهميّة هذا الأثر في كونه كتاباً في البلاغة العربيّة يقدّم صورة للفكر البلاغيّ العربيّ

(١) وهي: «خزانة الأدب وغاية الأرب»، و«ثبوت الحجّة على الموصليّ والحليّ لابن حجة»، و«كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام».

في عصره، وفي كونه خزانةً للأدب العربيّ إذ «هو مجموع أدب قَلَّ أن يوجد في غيره، ولعلّ مقتنيه يستغني عن غيره من الكتب الأدبيّة...»^(١).

لهذا، ولغيره من الأسباب التي بيّنتها في مقدّمة هذا البحث، عكفت على هذا الكتاب، تحقيقاً ودراسةً، أملاً في أن أخرجته قريباً من الأصل الذي وضعه مؤلّفه، أو أن أحقّق بذلك غاية الأرب التي سعى إليها ابن حجّة في «خزانة الأدب»، فتثبت «حجّته» وتكتمل لتصبح مشكورة مبرورة عند أهل العلم والأدب.

وتحقيقاً لاستكمال العمل العلميّ، عرضت في هذا المدخل نبذة عن حياة ابن حجّة وترجمته وأثاره، وأتبعها بنبذة أخرى عن خزانته ونسخها ثم أفردت قسمًا في دراسة موضوع هذا الكتاب المتمثّل بـ «البدعيّة وشرحها» والأنواع البدعية والبلاغيّة التي ضمّنتها، وقد صدرت هذا القسم بفصل عن المبديع، وقيّمته، ونشأته وتطوّره، وأتبعته بفصول أخرى تتناول البدعيّات نشأةً وتطوّراً ومضموناً وأثراً...، واضعة «بدعيّة» ابن حجّة الحمويّ في ميزان المقارنة والتحليل لإبراز أهميّتها وأهمية «شرحها» وأثرهما في الأدب والنقد والبلاغة.

١- ترجمة ابن حجّة الحمويّ (٧٦٧هـ - ٨٣٧هـ):

أ- اسمه ونسبه:

هو أبو بكر بُن عليّ بن عبدالله ابن حجّة (بالكسر) الحمويّ الحنفيّ القادريّ الأزراقيّ، أبو المحاسن، تقيّ الدين، ملك المتأدّبين، منشى دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الإسلاميّة، أحد كبار أعلام الشعر والأدب في القرن الثامن والقرن التاسع هـ.، رئيس الأدباء وإمام أهل الأدب في عصره^(٢).

عُرف أبو بكر بـ «ابن حجّة» لكونه حجّ مرّة إلى الديار المقدّسة، وبـ «الحمويّ» نسبة إلى المدينة المسماة «حماة» حيث وُلد، وهي من المدن المشهورة في سورياً،

(١) من تقيّظ معاصره أحمد بن حجر العسقلاني على كتابه هذا.

(٢) الأعلام ٦٧/٢؛ وحسن المحاضرة ١/٢٧٤؛ والضوء اللامع ١١/٥٣-٥٦؛ وشذرات الذهب ٢١٩/٧؛ وهديّة العارفين ٥/٧٣١؛ وتاريخ الأدب (فروخ) ٣/٨٣٩؛ والبدر الطالع ١/١٦٤-١٦٥؛ وتاريخ حماة ص ١٥٣؛ ومعجم المطبوعات ١/٧٦؛ وصفحات العناوين، وما قبل المتن في النسخ المخطوطة لخزانة الأدب وغاية الأرب.

حتى غدا اسم «ابن حجة الحموي» علمًا عليه فاشتهر به؛ كما عرف بـ «الحنفي» نسبة إلى المذهب الفقهي المعروف، وهو أحد المذاهب الأربعة.

أما كونه عرف بـ «القادري» فنسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية، وهو أحد كبار مفكري الصوفية في زمانه (٤٧١-٥٦١هـ).^(١)

وأما كونه يعرف بـ «الأزراري»، فذلك لاتخاذها عمل الحرير وعقد الأزرار صناعة له في صباه^(٢). وكان من عادة أهل العصر أن يتلقبوا باسم يضيفونه إلى كلمة «الدين» فيقرونه بأسمائهم، فاختار لنفسه لقب «تقي الدين» ليكون له من لقبه نصيب، وكأنهم لم يكتفوا بالعلم المطلق على الشخص، حتى راحوا يلحقون به المذهب الذي ينتمي إليه، والحرفة التي يحترفها واللقب الذي ينم عن صفة أو مزية، والكنية التي تدل على تفاؤل بالنبوة، أو صفة لعله يتصف بها.

أما بالنسبة لنسبه فلم تذكر كتب التراجم أكثر من اسم أبيه وجدّه، حتى أن معاصريه وأصدقاءه من المؤرخين، كابن حجر العسقلاني، لم يذكروا له فوق ذلك نسبًا، وما كانوا ليخلوا بذلك على من يحب الاستزادة من أسماء أجداده لو كانت لديهم معرفة به أكثر، ويبدو أن ابن حجة كان شمسًا بالنسبة لبقية أفراد أسرته، فما إن أشرق اسمه في سماء التاريخ والأدب حتى عرف التاريخ أسماءهم بفضلهم، كما لم يُعرف أنه ترك ذرية بعده حتى يتصل بهم حبل الأدب^(٣).

- الاضطرابات في اسمه ونسبه:

لقد أجمع معظم كتب التراجم والتاريخ والأدب على أن اسم هذا المؤلف هو «أبو بكر» وكنيته «أبو المحاسن»، وأن أباه هو «علي بن عبد الله»؛ وأن «ابن حجة» هو الاسم الذي اشتهر به^(٤)؛ إلا أن بعض الكتب أورد في اسمه ونسبه شيئًا من الاضطراب.

(١) الأعلام ٤/٤٧؛ وديوان ابن حجة ورقة (٣) انظر «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٤٠، ١٧، ١٧٤.

(٢) الأعلام ٢/٦٧؛ والضوء اللامع ١١/ (٤) النسخة ب ص ٢ قبل المتن، ج ٢ من ٥٣؛ ومعجم المطبوعات ١/٧٦.

قال إسماعيل باشا في «هدية العارفين»^(١): ابن حجة الحمويّ هو «عليّ بن عبدالله تقيّ الدين أبو بكر الحمويّ الأديب الحنفيّ الشهير بابن حجة»... متوهماً أن «أبا بكر» هو الكنية، وأن «عليّاً» اسم له؛ ثمّ انتقل هذا اللبس إلى كتب أخرى منها: «المنتخب من المخطوطات العربية في حلب»^(٢)، و«خزانة الأدب وغاية الأرب» بشرح عصام شعيتو^(٣)؛ ولعلّ هذا الخطأ مرده إلى أنّ المترجم لم يكن على علم بأنّ لابن حجة كنية هي «أبو المحاسن»، وقد وردت في صفحة العنوان من «شرح تقديم أبي بكر»، وذلك في النسختين «ك»، و«و»؛ ثمّ إنّ كتب التراجم الأخرى قد بيّنت أنّ اسمه «أبو بكر» وليس له اسم سواه.

وقد عرّض أبو بكر نفسه باسمه في ديوانه، إذ قال (من البسيط):

قد سُمِّيْتُ «أبا بكر» وتسميتي عند الرسول لها والله تنويل^(٤)

وقال في مكان آخر من ديوانه (من الطويل):

ولكنّ «أبو بكر» ليرجو محمّداً عَسَاهُ بهذا الإسم يوم الظّما يُسقى^(٥)

وهناك لبس آخر في اسم جدّه، فقد انتهى نسبه في معظم الترجمات بـ «عبد الله»؛ إلّا أنّ يوسف إليان سرّكيس قد أنهى نسبه بـ «حجة»، فقال: ابن حجة الحمويّ هو «تقيّ الدين أبو بكر بن عليّ بن محمّد بن حجة القادريّ الحنفيّ المعروف بابن حجة الحمويّ»^(٦)، مستبدلاً «محمّداً» بـ «عبد الله»، وحاذفاً همزة «ابن» بين «محمد» و«حجة» معتبراً «حجة» اسم علم ينتهي به نَسَبُ أبي بكر، ولعلّ الاسم «محمّداً» قد انفرد معجم المطبوعات باستبدال الاسم «عبد الله» به^(٧)؛ أمّا بالنسبة لحذف همزة «ابن» بين اسمين علمين، فقد وردت كذلك في النسخ المخطوطة لخزانة الأدب وغاية الأرب، في الصفحة الأخيرة من النسخة ب(١)، وصفحات العناوين من النسخ: ب(٢)، ك، و.

أمّا بالنسبة لاسمه «ابن حجة»، فقد أجمعت معظم الترجمات على أنها بكسر

(١) هدية العارفين ٧٣١/٥. شعيتو ١٥/١.

(٢) المنتخب من المخطوطات العربية في حلب ص ٢٤٤.

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب، بشرح عصام (٦)(٧) معجم المطبوعات ٧٦/١.

(٤) ديوانه ورقة ١٧٤.

(٥) ديوانه ورقة ١٧٥.

الحاء، نسبة إلى الشهر القمريّ المعروف بـ «ذِي الْحِجَّةِ»؛ إِلَّا أَنْ بَكْرِي شَيْخِ أَمِينٍ أوردَهَا يَفْتَحُ الْحَاءَ «ابْنَ حَجَّةَ»^(١)، وَلَعَلَّهُ يَقْصِدُ أَنَّهُ سَمَّى بِاسْمِ الْمَرْءِ مِنْ «حَجَّ»، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ عَلَى صَوَابٍ فِي ذَلِكَ لَمَا وَرَدَ مِنْ أَقْوَالِ ابْنِ حَجَّةٍ نَفْسَهُ مَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ، إِذْ قَالَ فِي دِيْوَانِهِ «جَنَى الْجَتِّينِ» (مِنَ الْبَسِيطِ):

وَبَابِنِ حَجَّةَ لَمَّا حَجَّ وَاحِدَةً لَبَيْتِهِ صَارَ يُدْعَى وَهُوَ مُشْكُورٌ^(٢)
 كَمَا قَالَ (مِنَ الْبَسِيطِ):

يَرْجُو «ابْنَ حَجَّةَ» أَنْ لَوْ حَجَّ ثَانِيَةً بِحَيْثُ يَتَشَدُّهَا وَالْدَمْعُ مَسْبُورٌ^(٣)
 وَلَعَلَّ «ابْنَ حَجَّةَ» بِالْكَسْرِ خَطَأً مَشْهُورٌ تَغَلَّبَ عَلَى الصَّحِيحِ.

وَقَالَ السَّخَاوِيُّ فِيهِ: «وَيَعْرِفُ بِـ «ابْنِ حَجَّةَ» - بِالْكَسْرِ - بِاسْمِ الشَّهْرِ»^(٤)، إِلَّا أَنْ النُّوْاجِيَّ قَالَ: «فَهُوَ إِتْمَا يَعْرِفُ قَدِيمًا بَيْنَ الرَّجَالَةِ وَالْمَوَالَةِ بِـ «ابْنِ حَجَّةَ» نَسْبَةً إِلَى أُمَّهِ، وَلَكِنَّهُ نَكَرَ الْآنَ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ زَيْنُ الدِّينِ بَنُ الْخِرَاطِ بِقَوْلِهِ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]:

إِنَّ «ابْنَ حَجَّةَ» مَالُهُ أَبَدًا أَبٌ يُعْزَى بِعِلْمِهِ
 لَوْلَمْ يَكُنْ وَلَدَ الزَّوَا مَا كَانَ مَعْرُوفًا بِأُمَّهُ»^(٥)
 إِلَّا أَنْ ابْنَ حَجَّةَ نَفْسَهُ نَفَى هَذَا الْمَعْنَى بِمَا أوردَهُ مِنْ تَفْسِيرِ لَاسْمِهِ فِي بَعْضِ قِصَائِهِ إِذْ يَقُولُ (مِنَ السَّرِيعِ):

لَوْلَمْ أَرْزُبَيْتَكُمُ لَمْ أَكُنْ بِـ «حَجَّةَ» أُعْرِفُ بَيْنَ الْأَنْأَمِ^(٦)
 ب- مولده ونشأته:

وُلِدَ ابْنُ حَجَّةَ الْحَمُويُّ فِي مَدِينَةِ «حَمَاةَ» السُّورِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ الْمَدَنِ عِرَاقَةً فِي بِلَادِ الشَّامِ، تِلْكَ الْمَدِينَةُ الَّتِي مَنَحَتْهُ النِّسْبَةَ إِلَيْهَا، فَعَرَفَ بِـ «الْحَمُويِّ» حَتَّى أَصْبَحَ هَذَا

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد - البديع (٤) للضوء اللامع ٥٣/١١.
 - ص ٢٣.
 (٢) ديوانه ورقة ١٩.
 (٣) ديوانه ورقة ١٧٤.
 (٤) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقذا» ص ٤٠.
 (٦) ديوانه ورقة ١٧ ب.

علمًا عليه، وذلك في سنة ٧٦٧هـ.؛ ثم نشأ وترعرع ومات فيها^(١).

إلا أن اضطرابًا في تاريخ مولده قد سجّله عبد الحيّ بن العماد الحنبليّ في «شذرات الذهب» بقوله: إنه ولد بحماة سنة ٧٧٧هـ، إلا أن هذا التاريخ لم يبدو صحيحًا لأمر عدّة:

أ- نظم قصيدةً كافيةً يعارض بها كافيّة ابن نباتة، وكافيّة القيراطيّ وكافيّة صفيّ الدين الحلّيّ، يمدح بها القاضي برهان الدّين بن جماعة، وقد أرسلها إليه قبل وفاته سنة ٧٩٠هـ، وأسلوبها في المعارضة يدلّ على إمكانات أدبية رفيعة لا تصدر عن شخص لم يبلغ من العمر سوى ثلاث عشرة سنة، وهذا يرجح أن عمره عام ٧٩٠هـ، كان ثلاثًا وعشرين سنة.

ومطلع تلك القصيدة (من البسيط):

طربتُ عند سماعِ وُصفِ مغناكِ فكيف لو كان هذا عند مغناك^(٢)

ب- كتب رسالة سنة ٧٩١هـ. في دمشق، إثر الكارثة التي أنزلها بها الملك الظاهر برفوق، وكان في طريقه من القاهرة إلى حماة، تحت اسم «ياقوت الكلام فيما ناب أهل الشام»، وقد أرسل بهذه الرسالة لابن مكّان في مصر، وأسلوبها يدلّ على تمرّسه باللغة العربية وإتقانه لها، وهذا أيضًا يرجح أن عمره عام ٧٩١هـ. لم يكن أربع عشرة سنة.

ج- أشار بشكل صريح إلى عمره في قصيدة نظمها سنة ٨١٨هـ، يقول فيها (من الكامل):

إن جاء نظمي قاصرًا عن وُصفِهِ عُذْرًا فهذهي نَشْطَةُ الخمسين
وَنَعَمَ كَبُرَتْ وَبَانَ عَجْزِي إِنَّمَا كَانَتْ مَسْرَاتُ اللَّقَا تُصْبِيَتِي^(٣)

وهذا يعني أن مولده كان في هذا العام قد تجاوز الخمسين^(٤)، وأن تاريخ مولده هو عام ٧٦٧هـ.

(١) الأعلام ٦٧/٢؛ ومعجم المطبوعات ١/ (٣) ديوانه ورقة ١٣٩.

٧٦؛ وهديّة العارفين ٧٣١/٥؛ وشذرات (٤) يرجح عصام شعيتو في شرحه لخزانة الذهب ٢١٩/٧.

الأدب ص ١٥. أن تكون ولادته سنة

٧٦٨هـ.

(٢) ديوانه ورقة ٣٦ب.

د- لقد ذكر معاصرو ابن حجة في تواريخهم أنه وُلد سنة ٧٦٧هـ. ، وهذا يُطمأن إليه أكثر من التاريخ الذي ذكره ابن العماد الحنبلي لأنه متأخر عن ابن حجة .

أما عن نشأته فهو ككل طفل ينحدر من أسرة مسلمة، أخذت أسرته تُنشئه على حفظ القرآن الكريم، وتعلّم اللّغة العربية ومعارفها وآدابها، فتزوّد في تلك الفترة بكنز كبير من الصور البلاغية المتمثلة في إعجاز القرآن الكريم، ثمّ إنّ حياة الفقر والفاقة التي عاشها لم تُثنيه عن العلم والتحصيل؛ فما إن صار يافعاً حتى راح يشتغل بالحرير وعقد الأزرار؛ وقد اكتسب من عمله وعلمه خبرةً وثقافةً واسعتين، وكأنه قد مزج خبرته التي اكتسبها من تنسيق الأزرار وانسجام الخيوط الحريرية وعقدّها، بما ثقفه من صور بلاغية اكتسبها من القرآن الكريم، فخرج له نتيجة ذلك أدبٌ مزخرف منمّق، وذوقٌ يميل إلى جناس الأدب وطباقة ومقابلته، متأثراً بما كان يروقه في مهنته من تجانس الخيوط وتطابق الألوان وتضادّها، إذ زرعت في ذوقه وحسّه بذور فنّ البديع الذي أነع وأثمر أشهى الثمار عندما بلغت شاعريته أوجّها، فكان له من الشعر فيما بعد «جنى الجنتين، والثمرات الشهية من الفواكه الحموية والزوائد المصرية»؛ ومن الأدب كتابه الذي قعد به قواعد الفنّ البديعيّ المزخرف والذي سمّاه «شرح تقديم أبي بكر»، والمعروف الآن باسم «خزانة الأدب وغاية الأرب».

ج- شيوخه:

لم تذكر كتب التراجم والأدب شيئاً عن أسماء شيوخه وأساتذته في فترة نشأته الأولى؛ إلاّ أنّه عندما شبّ ومال للاشتغال بالعلم والأدب، أخذ ينهل العلم والأدب من مصادرهما في عصره، فتردّد على الشيخين شمس الدين الهيتي^(١) وعزّ الدين الموصلي^(٢)، وهما من شيوخ البديع والبلاغة والفقه، فقرأ عليهما في الأدب وفنونه، وسمع كثيراً من علمهما وأدبهما، ثمّ أكثر من ملازمة شيخه قاضي القضاة علاء الدين

(١) شمس الدين الهيتي: لعلّه علي بن محمد ابن عبد الحميد الهيتي البغداديّ ثمّ الدمشقيّ الصّالحيّ، فقيه عراقيّ الأصل، سكن دمشق، وتوفّي في الصّالحيّة عام ٩٠٠هـ. عن عمر يناهز التسعين. (الأعلام ١٠/٥). وقد ورد في شرح عصام شعيتو لخزانة الأدب ص ١٥: شمس الدين الهيتي الحسنيّ النجويّ.

(٢) عز الدين الموصلي (٧٨٩-١٠٠٠هـ.): هو عليّ بن الحسين بن عليّ، شاعر وأديب، من أهل الموصل؛ أقام مدّة في حلب وسكن دمشق، وتوفّي فيها. (الأعلام ٤/٢٨٠).

القضاميّ الحنفيّ^(١) ملازمة طويلةً في حماة، حافظاً وده، بيد أنه لم يحفظ ودّ شيخه عزّ الدين الموصليّ، فلما سافر ابن حجّة من حماة إلى طرابلس، وقضى فيها وقتاً قليلاً، تآقت نفسه إلى شيخه القضاميّ وإلى موطنه، فكتب إليه (من الطويل):

بوادي حماة الشام عن أيمن الشطّ وحقك نطوي شقة الهّم بالبسط^(٢)

وقد كان الشيخ القضاميّ غاية في معرفة الشعر وإدراك معانيه الدقيقة، إلا أنه إذا نظمه قصر فيه^(٣)؛ ولهذا طالما كان ابن حجّة يعرض شعره عليه لينقحه له ويهذبه.

وكان ابن حجّة يكنّ الودّ نفسه لشيخه الآخر القاضي أبي بكر بن الخيثميّ الحنفيّ^(٤)، وأرسل له من طرابلس أيضاً قصيدة يعبر فيها عن حنينه إليه وإلى مسقط رأسه، رغم علوّ القدر الذي حازه في طرابلس، يقول في تلك القصيدة (من الطويل):

وإن كان قدرني في طرابلسيّ علا وقد لقيتني وهي باسمه الثغر
فإنّ فراق الإلف والخلّ والهوى وفقد الحمى والأهل صعب على الحرّ
بلاد بها نيطت عليّ تمائمي وحزت بها ما حزت من رفعة القدر
وإن كنت فيها قد أصبت بغبطة من الدهر إني قد صفحت عن الدهر

(١) ورد في ديوانه «جنى الجنتين» ورقة ١٣٤-٣٤ب أن اسم شيخه هذا هو: «قاضي القضاة علاء الدين بن القاضي الحنفيّ»، وهو علاء الدين أبو الحسن عليّ الحنفيّ الشهير بـ «ابن القضاميّ»؛ من مواليد عام ٧٤٠هـ.، كان بارعاً في النحو والفقه والأدب والإنشاء، وكتب لابن البارزيّ. (الضوء اللامع ٥/٥٣٩).

(٢) ديوانه ورقة ٣٤ب.

(٣) الضوء اللامع ٥/١٥٥.

(٤) ورد في ديوانه «جنى الجنتين» ورقة ١٣٣أ، أن اسم شيخه هذا هو «تقيّ الدين بن الجهينيّ... وهو من أجدى مشايخه»، وهو أبو بكر تقيّ الدين الخيثميّ الحنفيّ الحمويّ، كان غاية في الفضل وعلوم الأدب، وكان ابن حجّة يرأسه من مصر وطرابلس ويمدحه بقصائده. (تاريخ حماة ص ١٥٥؛ وجنى الجنتين ورقة ١٣٣أ). وقد ورد اسمه في شرح عصام شعيتو لخزانة الأدب ص ١٥: «تقيّ الدين بن الحسنّيّ الحنفيّ».

لأنَّ «أبا بكرٍ» أماميَّ وحبُّهُ غدا سنَّتِي وهو المقدمُّ في الدُّكْرِ (١)
وكان في بداية تردِّده على مشايخه ينظم الأرزجال والمواليا والموشح، ولم يكن
قد تمكَّن بعدُ من اللُّغة والتعبير، لذا فإنه عندما صلب عوده وبلغ أشدَّه، راجع ما
كتب ونظم في مبادئ عمره، فوجده دون الكمال فأعاد نظره فيها، وبهذا يكون ابن
حجَّة بدأ يرشد نفسه بنفسه.

لقد كان هؤلاء الشيوخ بعض من تلقى عنهم ابن حجَّة ثقافته الدينية والعلمية
والأدبية، أمَّا إذا كان لا بدَّ من ذكر علاقاته مع أصدقائه الذين كان لهم بعض التأثير
في ثقافته لمراسلتهم ومكاتبتهم، فلا بدَّ من الرجوع إلى ابن حجَّة نفسه يحدثنا عنهم،
وبيِّن لنا علاقته الأدبية بهم، إذ يقول: «وممَّن أدركتهم وحاضرتهم وكتبوا إليَّ وكتبْتُ
إليهم من أهل مصر والشام: الشيخ زين الدين بن العجميَّ، عين كتاب الإنشاء
الشريف بالشام المحروس...، والشيخ علاء الدين بن أبيك، والشيخ جلال الدين
ابن خطيب داريًا، والشيخ شمس الدين المزين، والشيخ شرف الدين عيسى العالية،
والشيخ جمال الدين عبد الله السوسيَّ، أدركته بمصر ولكن ما حضرته، والشيخ
شمس الدين العطار، أدركته أيضًا بمصر وما حضرته، والصاحب فخر الدين بن
مكانس، حضرته وأنشدته وأنشدني، وكتب إليَّ وكتبْتُ إليه، والشيخ شمس الدين
المتينيَّ، رحمه الله تعالى، بالغ في الخدمة بالديار المصرية، وأمَّا سيدي أبو الفضل
ابن أبي الوفاء، قدس الله روحه، فإنِّي أدركته بالديار المصرية، وسمعت نظمه،
ولكن ما تمثَّلت بحضرته. والفرقة التي أطال الله بقاءها، وأمست قواعد بيوت الأدب
بها قائمة، وختمت بها هذه الطريقة، وأخلصوا بالعمل ففازوا بالحالين بحسن
الخاتمة، أبقاهم الله للمسلمين، منهم: مولانا قاضي القضاة إمام الحفاظ وشيخ
الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجر العسقلانيَّ الشافعيَّ، متَّع الله
الإسلام والمسلمين في هذا العصر بحياته، والشيخ بدر الدين الدمامينيَّ، والشيخ
بدر الدين البشتكيَّ، والقاضي مجد الدين بن مكانس (ابن فخر الدين)، درجوا
بالوفاة إلى رحمة الله» (٢).

ويجب ألا ننسى أن ابن حجَّة كان قد تتلمذ على شعراء عصره، بل على

(١) ديوانه ورقة ٣٣ب-١٣٤.

(٢) «ابن حجَّة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٤٢. وانظر خزنة الأدب ٣/٣٦٦ - ٣٦٨.

دواوينهم، أمثال صفّي الدين الحلّي، وجمال الدين ابن نباتة^(١) وذلك قبل أن يطلع على شعر المتنبي وغيره.

د- تلاميذه:

لقد كان النواجي من أهمّ تلامذته إلا أنّه تنكّر له بعد إعجابه به لما عُرف عن ابن حجّة من إعجاب بنفسه وبشعره، وليس غريباً منه تنكّره لأستاذه، فقد كان ابن حجّة نفسه متنكّراً لأستاذه الشيخ عزّ الدين الموصليّ في كثير من مواقفه. وقد بلغ من شدّة تحامل النواجي على أستاذه ابن حجّة أن ألف في مثالبه وسرقاته كتاباً سمّاه «الحجّة في سركات ابن حجّة»، كما أنّ هناك كتاباً لمجهول ولعله للنواجي نفسه، تناول كُتب ابن حجّة بالنقد، وهو: «إقامة الحجّة على ابن حجّة»^(٢).

ه- رحلاته وأعماله:

ولد ابن حجّة الحمويّ وترعرع في حماة ومدح أعيان أهل بلده من شيوخ علم وقضاة ونوّاب وكتّاب، ولما صلب عوده وبلغ أشدّه في نظم القصيد، دخل الشام ومدح قاضيهما القاضي برهان الدين بن جماعة بقصيدته الكافية، وأرسلها إليه قبل وفاته عام ٧٩٠هـ.، ولما أعجبه جاء تقرّيب حسن ممّن سمعوا بها، فارتاح قلبه لأوّل امتحان يجتازه شعره؛ ثمّ دخل بها القاهرة سنة ٧٩١هـ. وعليها تقرّيب عدد كبير من الأدباء والشعراء، فوقف عليها فخر الدين بن مكّان ابنه مجد الدين فقرّظها أيضاً، ثمّ مدحهما؛ وفي هذه الفترة تعرّف على مجموعة من كبار أهل العلم في القاهرة، على رأسهم العلامة ابن خلدون الذي قدم من المغرب ومدحه بقصيدة كافية ثانية مطلعها (من الطويل):

رَضِيْعُ الهوى يشكو فطام وصالِكِ فداوي قتيْلَ الحبِّ يا ابنة مالِكِ^(٣)
كما التقى بشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانيّ أكثر من مرّة، حيث سمع من نظمه كثيراً، كما سمع منه معظم شرحه على البديعية التي نظمها على طريقة شيخه عزّ الدين الموصليّ، وسمع جملةً من إنشائه.

لم تطل إقامة ابن حجّة في القاهرة حتى عاد إلى بلاده قاصداً حماة، وعرج في

(١) خزّانة الأدب وغاية الأرب ٢٣٦/٤.

(٢) «ابن حجّة شاعراً وناقداً» ص ٥٢؛ والبديعيات في الأدب العربي ص ٢٢٥.

(٣) «ابن حجّة الحموي شاعراً وناقداً» ص ٤٣.

طريقه على دمشق ليراها محاصرةً من قبل الملك الظاهر برقوق بعد أن فرّ من سجنه في قلعة «الكرك»، وقد أحرقتها وانتقم من أهلها، فدخلها ابن حجّة في شوال سنة ٧٩١هـ.، ورثى لها وكتب رسالة إلى ابن مكنس في مصر تحت عنوان: «ياقوت الكلام في ما ناب أهل الشام»، ثم تابع طريقه إلى حماة وقضى فيها فترة طويلة يشتغل بالعلم والمطالعة والبحث والتأليف.

ثم عاد إلى دمشق وألقى عصا الترحال فيها، ومدح قاضي القضاة علاء الدين بن أبي البقاء الشافعيّ بقصيدة رائيّة، وذلك في الخامس والعشرين من رمضان عام ٧٩٩هـ.، ومطلعها (من البسيط):

إغراء لحظك مالي منه تحذيرٌ ولا لتعريف وجدي فيك تنكير^(١)

ثم إن دمشق لم تكن البلد الوحيد الذي أكثر ابن حجّة من التردد إليه، بل كان يمرّ إلى حمص، بين دمشق وحماة، حيث كان يعرف فيها المقرّ المخدوميّ أمين الدين الحمصيّ الذي انتقل فيما بعد من ديوان توقيع حمص إلى صحابة ديوان الإنشاء في دمشق، فطلب ابن حجّة إلى أبوابه العالية في دمشق صانعًا معه يدًا بيضاء، ولما أبى، وجد عليه المقرّ الأمينيّ الحمصيّ إثر كلام نقل إليه عن ابن حجّة ثبت فيما بعد عدم صحّته.

ثمّ يعاود ابن حجّة الشوق إلى مصر فيرحل إليها سنة ٨٠١هـ.، حيث التقى بالشيخ زين الدين بن العجميّ فيتبادلان سماع القصائد والموالي^(٢)؛ إلّا أن إقامته في مصر لم تطل حتى عاد إلى بلاد الشام، عام ٨٠٢هـ.، حيث يمم ناحية طرابلس الشام، وكان له فيها بعض أصدقائه من القضاة، أمثال القاضي شرف الدين مسعود قاضي القضاة الشافعيّة في طرابلس، وفي ذلك العام خرج نائب دمشق «تم الحسنّي» على طاعة السلطان الناصر فرج بن برقوق بمؤازرة نواب البلاد الشامية: حلب وطرابلس وصفد، وقاموا بمحاولة انفصالية، انهزم بعدها «ابن المؤمني» وهو من أنصار السلطان في طرابلس^(٣)، فركب البحر برفقة القاضي شرف الدين مسعود وابن حجّة الحمويّ متجهين نحو القاهرة، معتبرين أنفسهم لاجئين سياسيين لدولة السلطان

(٣) النجوم الزاهرة ١٢/١٩.

(١) ديوانه ورقة ٨ب.

(٢) خزنة الأدب ١/٤٣٥ - ٤٣٦.

في الديار المصرية، بعد أن طاردتهم القوى الانفصالية في طرابلس. وبعد أن استقرّ ابن حجة في القاهرة كتب لبدر الدين الدماميني رسالة يصف فيها معاناته تحت عنوان «الرسالة البحرية»؛ ثمّ حال الانفصاليون بينه وبين بلده حماة وأصدقائه فيها، أمثال القاضي ناصر الدين بن البارزي، صاحب ديوان الإنشاء الشريف في حماة، ولم يطل تشوّقه إلى حماة ومَن فيها، حتى عاد إليها، وكُتِبَ له أن يرى الشام سنة ٨٠٣هـ. ، بعد حريقها للمرّة الثانية على يد تيمورلنك، إلّا أنّ جزعه لم يكن كما كان المرّة السابقة، إذ أنّ مسقط رأسه حماة كانت هي أيضًا قد تعرّضت لاجتياح تيمورلنك فخرس كتبًا كثيرة عبث بها أيدي التتار، فانصرف إلى وصفها ووصف دمشق وما ألمّ بهما من دمار وخراب في القصيدة التي مدح بها عمر بن الهدباني، نائب حماة سنة ٨٠٣هـ.

ثمّ توجه بعد ذلك إلى حلب، وتعرّف على نائبيها «علّان» الذي أصبح إمامه في حلب، ولكن السلطان عندما غضب على علّان أرسل له شيخًا محمودي نائب دمشق، فهرب «علّان» واختفى ابن حجة في حلب^(١)، وكان في ركاب المحمودي كاتب سرّه صدر الدين بن الأدمي صديق ابن حجة، وكان قد علم بمكان اختفائه، فكتب إليه صدر الدين يطلب لقاءه (من المتقارب):

قصدنا حماة فلم نلق مَنْ أردنا فلم نرَعْ عَهْدًا وإلّا
وجئنا إلى حلبٍ خلفه فإن كان فيها اجتمعنا وإلّا^(٢)

فكتب إليه ابن حجة الجواب (من المتقارب):

أمولاي والله حال الجريضٍ دون القريض الذي قد تولى
وأرجو، وقد عفتُ هذي البلاد، خلاصي بالصّدر منها وإلّا^(٣)

ثمّ توجه متنكرًا في خدمته إلى دمشق.

وفي سنة ٨٠٩هـ، يرسل قصيدة من حماة إلى دمرداش الحاكمي يمدحه فيها بمناسبة انتصاره على الفرنجة الذين هاجروا ثغر طرابلس، ثمّ يتوجه إلى دمشق حيث شرع في ممارسة الكتابة الديوانية، فيكتب سنة ٨١٠ صداق السلطان الملك الناصر

(١) خزانة الأدب ٢/ ٣٢٤ - ٣٢٥. (٣) خزانة الأدب ٢/ ٣٢٥.

(٢) خزانة الأدب ٢/ ٣٢٥.

على بنت «كَمْشُبُغَا» الظاهريّ الحمويّ، كما كتب بتعيين صديقه قاضي القضاة صدر الدين بن الأدميّ الحنفيّ بقضاء قضاة الحنفيّة بدمشق فيتخذها مقرّاً له. وفي سنة ٨١٢هـ. يلتقي ابن حجة في دمشق بالمؤرّخ الأديب أبي العباس المقرزيّ؛ وفي عام ٨١٣هـ.، ينزل به الدهر وبأصدقائه نكبة في دمشق نفسها؛ فيختفي على أثرها هو وصديقه صدر الدين عن الأنظار، إلّا أنّ ابن حجة لاخفائه عن الأنظار ولانصرافه عن مسرح السياسة انقطع للأدب، واعتكف في دمشق فترةً حقّق خلالها رغبة صديقه صدر الدين بن الأدميّ فألّف أرجوزةً سماها «تغريد الصادح»^(١). ومن ثمّ يذهب ابن حجة إلى حلب سنة ٨١٤هـ.، حيث يطلعه الشيخ بدر الدين بن الضعيف على رسالة عاطلة فقرّظها بتقريظ عاطل^(٢).

وفي عام ٨١٥هـ، اعتلى شيخ المحموديّ في القاهرة سدة السلطنة^(٣)، وقرب منه جماعة ممّن حضروا معه من البلاد الشاميّة، فرقاهم إلى وظائف رفيعة، منهم: المقرّ الزيني عبد الباسط بن خليل، والمقرّ الناصريّ محمد بن البارزيّ الذي نوّه عند الملك المؤيد شيخ المحموديّ بآبن بلده تقيّ الدين ابن حجة^(٤)، فاستدعاه الملك المؤيد عام ٨١٥هـ.، وشرفه بأن يكون كاتباً في ديوان الإنشاء في مصر^(٥)، وهكذا استقرّ ابن حجة في ديوان الإنشاء في القاهرة، جانيّاً ثمرات صداقاته القديمة، مفتتحاً بذلك صفحة جديدة من حياة الاستقرار. وفي القاهرة باشر عدة أنظار، وأثرى حتى صار يعدّ من الأعيان، ورافق الملك المؤيد في حلّه وترحاله. وعندما رافقه في رحلته إلى بلاد الروم، وصف تلك الرحلة برسالة أرسلها إلى الديار المصريّة طالباً من الملك المؤيد ألاّ يقرأها إلّا قاضي القضاة ابن حجر العسقلانيّ، فقرئت سنة ٨١٦هـ. في الجامع المؤيدي والأزهر^(٦). وفي عودته من بلاد الروم إلى القاهرة مرّ ببلاد الشام دون أن يعرّج على حماة، فبقي في نفسه شوق إليها، وما إن عزم ابن البارزيّ على السفر إلى بلده حماة سنة ٨١٨هـ. حتّى أرسل معه أشواقه في قصيدته النونيّة التي مطلعها (من الكامل):

- (١) خزانة الأدب ٢/ ١٨٠ - ١٨٩.
(٢) خزانة الأدب ٤/ ٣٤٨ - ٣٥١.
(٣) بدائع الزهور ص ٣١٣.
(٤) الصفحة الثانية من «ب» قبل المتن، الجزء الأوّل.
(٥) ثمرات الأوراق ص ١٤٣.
(٦) بدائع الزهور ص ٣١٣.

خَلَّ السَّعَلَلُ فِي حَمَى يَبْرِينِ فَهَوَى حَمَاءَهُ هُوَ الَّذِي يَبْرِينِي (١)
ثمَّ يرحل مرّةً أخرى مع الملك المؤيّد إلى بلاد الروم، وذلك سنة ٨٢٠هـ. ، ثم يعودان إلى حلب حيث يكتب عدّة ردود وأجوبة عن الملك المؤيّد إلى الأمصار الإسلاميّة، ثم يعود إلى القاهرة ويسكن في الجيزة، ومما يؤثر عنه أنه جعل بيته ملتقى للأدباء والأصدقاء، وكتب على مدخله (من الوافر):

مددتُ على الطريق مديد ظلّي ليجتمع الصديق مع الصديق (٢)
وفي سنة ٨٢٣هـ. يفجعه الدهر بموت صديقه ووليّ نعمته الأوّل ناصر الدين بن البارزيّ فيرثيه... ، ثم يختار الملك المؤيّد مكانه كاتبًا لسره ابنه كمال الدين، وفاءً لحقّ أبيه، إلا أنّ علاقة ابن حجّة به لم تستمرّ طويلًا، إذ إنّ كمال الدين ابن البارزيّ كان يصغي لكلام الوشاة والخصوم، فيقلّل من منزلته التي حظي بها عند والده، وما إن تآزمت تلك العلاقة بينهما حتى أعرض ابن حجّة عنه وانصرف إلى مدح ابن مزهر معرّضًا بكمال الدين بن البارزيّ.

ثمّ لما تقلّد علم الدين بن الكويز صحابة دواوين الإنشاء تنكّر لابن حجّة، الذي سجّل بيده مرسوم تقليده، وكتب صداقه عندما أصهر لابنة البارزي، وذلك لأنه سخر منه بيّتين من الشعر (من المنسرح):

العَلَمُ ابن الكويز قال: معي لطفٌ وظرفٌ حواهما الكرمُ
وقامتي بانةً مهفهفةً فقلتُ: لا بانةٌ ولا عَلمٌ (٣)

ثم تتوالى النكبات على ابن حجّة الحمويّ، ففي سنة ٨٢٤هـ. انتقل الملك المؤيّد إلى الرفيق الأعلى، فأخذ نجم ابن حجّة بالتراجع، ولا سيّما بعد أن أزرى به ابن الكويز، وطمع به الشعراء المعاصرون، وراح معظمهم يهجوّه أمثال ابن الخراط وابن العطار والبدر البشتكيّ (٤)، إلا أنّ ابن حجّة استمرّ في ديوان الإنشاء رغم وفاة ابن الكويز سنة ٨٢٦هـ. ، ورغم استمرار نجمه في الهبوط، فقد استمرّ في الديوان ينشئ للملك المظفّر ابن الملك المؤيّد، ومن بعده أنشأ للملك الظاهر، ثم لابنه

(١) ديوانه ورقة ٣٨.

(٢)(٣) «ابن حجّة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٤٩.

(٤) الضوء اللامع ١١/٥٣.

الملك الصالح وأخيرًا للملك الأشرف برسباي، الذي كتب ابن حجة في زمانه سنة ٨٢٧هـ. تقليد ابن حجر بقضاء قضاة الشافعية.

ومكث ابن حجة بالديار المصرية إلى أن رحل عنها إلى بلده حماة سنة ٨٣٠هـ.؛ حيث ضجر من المقام في مصر بعد أن فجعه الدهر بأعلى من لديه فيها: ابن البارزي والملك المؤيد، ثم أتبعهما بثالث وهو فلذة كبده ابنه «محمد» الذي لم يبلغ من العمر أربع سنوات^(١). ومهما يكن من أمر فإن ابن حجة عاد إلى بلده ولازم الاشتغال بالعلم^(٢)، حيث أتم تأليف كتابه «تأهيل الغريب» سنة ٨٣٥هـ؛ وفي هذا الوقت عاد كمال الدين بن البارزي إلى ديوان الإنشاء، فطمح ابن حجة الحموي للعودة إلى مصر لولا أن كان له القدر بالمرصاد. وفي هذا العام لقيه ابن حجر العسقلاني في حماة إذ توطدت علاقتهما واشتدت أواصر المودة بينهما، وسمع كثيرًا من نظمه ومن شرحه.

و- وفاته:

في الخامس والعشرين من شعبان عام ٨٣٧هـ. بدأ المرض يدب في جسمه، فاجتمع عليه البردية والحمى، وأوديا بحياته بعد عمر ناهز السبعين. وقال إنه أوصى أن يكتب على قبره بجانب المسجد الذي ساعد الله فيه على إنشاء خطبته (من الرجز):
يا غافرَ الزَّلَّاتِ يا من عَفُوهُ ينهلُ بالرحمةِ من فوقِ السُّحُبِ
بيتك قد جاورته بحفرةٍ وأنت قد أوصيتَ بالجارِ الجُنُبِ^(٣)
وقيل: إنه دفن في تربة باب الجسر، وبني على قبره قبة، بقيت جدرانها إلى نهاية القرن الثالث عشر، فعمل له بعض الناس حجارة على لحده حفر عليها أن هذا القبر قبر الغزالي، والعامّة الآن يزورونه باسم الغزالي، ويجهلون أنه ابن حجة، على أنّ الغزالي دفن في مدينة «طوس» ولا يعرف حماة^(٤).

(١) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٥٠.

(٢) الضوء اللامع ٥٣/١١.

(٣) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٥١.

(٤) تاريخ حماة ص ١٥٣؛ و«ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٥١؛ والأعلام ٦٧/٢؛ والصفحة التي قبل المتن في النسخة المخطوطة ب(٢) من خزانة الأدب.

ز- ثقافته:

أخذ ابن حجّة الحمويّ من كلّ علمٍ بطرفٍ، وذاع صيته واشتهر علمه فأصبح ملك المتأدّبين، وإمام الأدباء، شاعر الإسلام، ورئيس دواوين الإنشاء، وأشهر كتّاب عصره المتفتّنين.

- ابن حجّة الشاعر والأديب:

لقد عانى ابن حجّة النظم في فترة مبكّرة من حياته، وكان أوّل نظمه في الزجل والمواليا، إذ لم يكن قد ملك ناصية اللغة أو زمام حذاقة التعبير، كما لم يكن لديه، في تلك الفترة، الزاد الأدبي الذي يسعفه على نظم القريض وتعاطي فنّ القصيد؛ إلّا أنّه بالرغم من ذلك، فقد توقّرت لديه الحوافز والمشاعر الوجدانية التي دفعته إلى أن يعبر عن أحساسه ووجدانه، قبل أن تنضج قريحته أو تستكمل أداة التعبير، وذلك من خلال فنّ الزجل والمواليا، وهو ظاهرة فنيّة شعبية تقوم على اللغة العامية، وسيلة التعبير السائدة آنذاك بين عامّة الشعب. وما إن تقدّم في عمل الأزجال والمواليا، حتّى أقبل على نظم القصيد، كما يقول السخاوي^(١): وقال ابن العماد الحنبليّ: «وعانى عمل الحرير يعقد الأزرار، وينظم الأزجال، ثم مال إلى الأدب، ونثر ونظم»^(٢). ولقد حاول ابن حجّة أن يرفع من قدر فنّ الزجل، فقال في شرح البديعية: إن الشيخ شمس الدين بن الصائغ قد أورد في شرحه لـ «البردة» شيئاً من محاسن الزجل، واستشهد فيه^(٣)؛ وما إن اشتدّ ساعد ابن حجّة في هذا الفنّ وطال باعه حتى أصبح إماماً فيه، وقد ألف فيه كتاباً سماه «بلوغ الأمل في فنّ الزّجل».

وبعد أن اشتدّ ساعده في نظم الزجل، وتمكّن من اللغة والأدب، انتقل إلى نظم الشعر وحذق القصيد، فانصرف إلى تحبير القصائد، وكانت أوّل محاولة شعريّة له تلك القصيدة الكافية التي مدح بها قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، ومطلعها (من البسيط):

طربتُ عند سماعِ وَصْفِ مغناكِ فكيفَ لو كان هذا عندَ مغناكِ^(٤)
والجدير بالذّكر أنّ هذه القصيدة عارض بها ابن حجّة قصائد كبار شعراء العصر

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣١٦.

(٤) ديوانه ورقة ٣٦ب.

(١) الضوء اللامع ١١/٥٣.

(٢) شذرات الذهب ٧/٢١٩.

المملوكي كجمال الدين بن نباتة، والقيراطي، وصفي الدين الحلبي؛ وقد لاقت استحساناً لافتاً من كبار شعراء عصره وأدبائه، فراحوا يقرّظونها نثرًا وشعرًا في كل من مصر والشام؛ فمن الذين قرّظوها له علاء الدين بن أيك، والشيخ محمود الشافعي خطيب الدهشة بحماة، والقاضي فتح الدين الشهيد ابن الشهيد، وأبو بكر بن العجمي، وفخر الدين بن مكانس، ومحمد بن الأنصاري الحنفي، وجمال الدين يوسف، ومحمود الأنطاكي، وبدر الدين بن قاضي أذرعات، وعبد الرحمن بن خلدون.

ثم إن تلك التقاريز على هذه القصيدة أعطت ابن حجة الشهادة على تجربته العلية الأولى في الشعر، ما دفعه لحملها، لا إلى ابن جماعة في دمشق وحسب، بل لحملها إلى مصر حيث قرّظها له آخرون، ثم إن القصائد التي ردّ بها على تلك التقاريز، رسّخت قدمه في فنّ القريض وشهدت لشاعريته بالقوة، وفتحت له آفاقاً جديدة من الصداقات هناك بين صفوف الأدباء والفقهاء والقضاة وأرباب الأقاليم.

ومما يجدر ذكره أيضاً أن ابن حجة، حتى تلك الفترة لم يكن قد اطلع على شعر المتنبّي، بل كان شعر ابن نباتة وشعر صفي الدين الحلبي هما أوّل شعر اطلع عليه وثقّفه وتبصّر فيه^(١)؛ ويبدو أن صحبته الطويلة لديوانيهما غرست فيه مجموعة من ميزات شعرهما في الصورة والتركيب والطريقة، حتى تمكّنت منه فلم يعد قادراً على التفلّت من سلطانها، حتّى بعد أن اطلع على ديوان المتنبّي؛ ويبدو أنّ صداقته القديمة لديوان ابن نباتة ظلّت تشدّه نحو الطريقة النباتية، حتى اتخذها المثل الأعلى له في نظمه ونثره، فجعلت منه تلميذاً مخلصاً بحق لابن نباتة^(٢). وهذا يعني أنّ شاعرية ابن حجة قد ساهم في نضجها عاملان: أوّلهما الزجل، وثانيهما تتلمذه على ابن نباتة قبل تتلمذه على المتنبّي، إلا أنّ شاعريته قد نضجت على الطريقة النباتية واستقرّت عليها. ولا ننسى أنّ أولى قصائده التي نظمها في مطلع حياته بعد قصيدته الكافية، القصيدة الرائية التي نظمها في المقرّ الأشرف «تمرغيا» الأفضلي، كافل المملكة الحموية، ومطلعها (من البسيط):

الله أكبر جيشُ الظلم قد كسرا والحمد لله جيش العدل قد نصرًا^(٣)

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ٢٣٦/٤ (٣) ديوانه ورقة ١٢٦؛ وخزانة الأدب وغاية

الأرب ٢٣٦/٤.

(٢) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٩٢.

أما أنواع نظمه فقد تراوحت بين الزجل المواليا والموشح والدوبيت والمخمس والمشطر والمضمن.

أما الزجل، فقد سبق الكلام عليه، ويدور موضوعه غالبًا حول الغزل، ولعل من أهم آثاره في الزجل هو كتابه «بلوغ الأمل في فن الزجل»^(١). وأما الموشح، فقد نظمه ابن حجة مبكرًا، وهو يتراوح بين منزلة الشعر الرصين والنظم المتصف بوحدة القافية والوزن، وبين الزجل القريب إلى العامية منه إلى الفصحى.

ويؤكد لنا ذلك ابن حجة بقوله في موشح يمدح به قاضي القضاة علي بن القضاة: «وهذا الموشح نظمته بحماسة المحروسة في مبادئ العمر، ورياحين الشبية غضة، ولما طلبت إلى الأبواب الشريفة المؤيدية، سنة ٨١٥هـ. ووصلت إلى الديار المصرية... وجدته ملحنًا وأهل مصر يلهجون به، وبتلحينه كثيرًا»^(٢).

وأما الدوبيت، فأبسط تعريف له أنه بيتان من الشعر، الأول مصرع، والثاني ينتهي بقافية الأول نفسها، وفي ديوانه عشرات المقاطع من ذلك^(٣).

ولما كان ابن حجة يمثل الأديب في عصره أفضل تمثيل، فلا بد أن نراه يتفنن في النثر كما يتفنن في الشعر، إذ إن ذوق العصر واتجاهه النقدي كان لا يعتبر الأديب أديبًا إلا إذا أكثر في التأليف نثرًا ونظمًا، فقد جاب ابن حجة في تأليفه آفاق الدنيا، وألم بكل لون من ألوان الثقافة، سواء كان في الأدب أو التاريخ أو السيرة أو النقد، أو الشعر، أو البلدان أو الحيوان أو النبات أو الجماد، وإذا أنشأ النثر صب في قوالبه كل ما أسعفته به ثقافته من اطلاع على أنواع البديع من تورية وسجع وغيرهما؛ وإذا نظم كان بالإضافة إلى القصيدة ينظم في كل أنواع النظم السائدة في عصره، فكان ينظم الشعر المرجز والمخمس والمشطر والمضمن.

أما التخميس فهو أن يأخذ الشاعر بمعارضة قصيدة مشهورة أعجب بها، فيأخذ كل بيت من القصيدة الخمسة ويمهد لها بثلاثة أشطر من شعره، وقد فعل ذلك ابن حجة في تخميسه لبردة البوصيري، وعينية السهيلي، وقصيدة الكيلاني التي سماها

(١) الضوء اللامع ١١/٥٣.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ٢/٤٦١. وانظر الموشح في ديوانه ورقة ٤٥-٤٥ب.

(٣) انظر ديوانه ص ٨٠-٨٠ب.

بعد تخميسها بـ «رشف المنهلين»؛ وميمية الفيومي^(١).

وأما التشطير والتضمين فهو أن يأخذ الشاعر بشطر من أشطر شاعر آخر ويضمّنه في قصيدته، كما فعل ابن حجّة في تشطير بعض قصائد المتنبي وتضمينها في شعره^(٢).

إلا أنّ هذه الأنواع من النظم وإن كانت تدلّ على ضعف في الشاعر وكسل فكريّ لديه وهروب من الابتكار، فهي تدلّ على عنصر قوّة عند الشاعر، وهو شدّة الحبك بين الأبيات المضمّنة في المشطّرات أو المخمّسات والأبيات الأصيلية، فيتلاحم المعنى في البيت الواحد بشطريه وكأنّه لشاعر واحد، ولا يخلو هذا الحبك من حذق وبراعة ودقّة في استخدام الألفاظ وتتابع المعاني ليجيء بعضها آخذًا برباق بعض.

ولقد عرف ابن حجّة الحمويّ جميع الفنون الشعرية التي كانت سائدة عند الشعراء الذين سبقوه والذين عاصروه، فأخذ يمثّلها في شعره أفضل تمثيل، بل أخذ من كل فنّ من فنون عصره بطرف، فكان في شعره المديح والنسيب والوصف والهجاء والرثاء والاعتذار...

وأول هذه الأغراض التي برع فيها ابن حجّة هو المدح، الذي استأثر بالقسط الأكبر من شعره حتى ليكاد يشمل ثلاثة أرباع شعره؛ حتى ظن صاحب «هدية العارفين» أن ديوانه «جنى الجنّتين» هو شعره الذي قاله في المدح^(٣). إلا أنّ للمدح النبويّ عنده قصائد رائعة ومطوّلات بديعة، ولقد جهد ابن حجّة في معارضة قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول، (ﷺ)، بقصيدة لامية مطلعها (من البسيط):

بانّت سعادُ فقلبي اليوم متبولٌ متيمُّ إثرها لم يُفدَ مكبولٌ^(٤)

إلا أنّ الفرق بين القصيدتين واضح جليّ، فقصيدة كعب رصينة، محكمة النسيج، متينة التراكيب، دقيقة العبارة، أمّا قصيدة ابن حجّة فمفعمة بالتورية، حافلة بالجناس والطباق، محشّوة بالتضامين التي أخذها من قصيدة كعب ذاتها، ومطلعها (من البسيط):

(٣) هدية العارفين ٧٣١/٥.

(١) انظر ديوانه ورقة ٤٥ب-١٥٧.

(٤) ديوانه ص ٢٦.

(٢) انظر ديوانه ورقة ٤٥-٤٥ب.

في قَتَلْتِي لَعْيُونِ الشَّهْلِ تَشْهِيلُ وما لموتي عند الخدِّ تَقْبِيلُ^(١)
ويقول فيها (من البسيط):

من ذا الذي يرتضي نيل الورى وله «من الرسول بإذن الله تنويل»^(٢)
ولابن حجة قصائد أخرى في مدح الرسول (ﷺ)، فبالإضافة إلى القصيدة
اللامية التي عارض بها كعب بن زهير، نظم ثلاث قصائد أخرى، إحداها الميمية
المضمومة التي سماها «أمان الخائف» أو «أمان الخائفين من أمة سيّد المرسلين»،
ومطلعها (من الطويل):

شدت بكم العشاق لَمَّا ترتموا فغنّوا وقد طابَ المقامُ وزمزم^(٣)
وثانيها الميمية المكسورة وهي «البديعية»، ومطلعها (من البسيط):

لي في ابتدا مدحكُم يا عرب ذي سلمِ براعةٌ تستهلّ الدمعَ في العلمِ^(٤)
وثالثها القافية، ومطلعها (من الطويل):

أغرّدُ في أفنانٍ وجدي بكم عشقًا فلا تذكروا من بعد تغريدي الوُزقا^(٥)

وهذه القصائد كما تبدو من مطالعها قد حافظت على الأسلوب التقليدي في
قصائد المديح، من حيث استهلالها بالنسيب؛ إلا أنّ ابن حجة يريد أن يكون ذلك
النسيب محتشمًا وقورًا متناسبًا مع جلال قدر الممدوح، فرسم للشعراء منهج الغزل
الذي تستهلّ به القصائد النبوية، إذ يقول: «إنّ الغزل الذي يصدر به المديح النبويّ
يتعيّن على الناظم أن يحتشم فيه، ويتأدّب، ويتضاءل ويتشبه مطربًا بذكر سلع ورامّة
وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع وأكناف حاجر، وي طرح ذكر محاسن المرد،
والتغزل في ثقل الأرداف، ورقّة الخصر، وبياض الساق، وحمرة الخدّ، وخضرة
العدار، وما أشبه ذلك، وقلّ من يسلك هذا الطريق من أهل الأدب»^(٦)؛ إلا أنّ معظم
معانيه في المديح النبويّ كانت مكرّرة في كلّ قصيدة من قصائده تلك.

ولم يكن المديح النبويّ كلّ شعر ابن حجة المدحّيّ، فقد كان له مدائح أخرى

(١) ديوانه ورقة ١٧٣.

(٤) ديوانه ورقة ٣٣.

(٢) ديوانه ورقة ٧٣.

(٥) ديوانه ورقة ٧٤.

(٣) ديوانه ورقة ١٧.

(٦) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٤٢-٣٤٤.

قد نظمها لأغراض أخرى، ولا سيّما أنّ المديح كان لديه، كغيره من شعراء عصره، وسيلة من وسائل الارتزاق أو وسيلة من وسائل الشهرة والانطلاق؛ إلا أنّ عناصر هذا المدح ظلّت قديمة تتناول الكرم والعطاء وتشبيه الممدوح بالبحر، بالإضافة إلى القيم الدينيّة، كما كان أغلب الذين مدحهم ابن حجّة من أرباب الأقلام، فمدح فيهم إتقان صناعة القلم، وحقق اليراع يستأثر بالكثير من شعره.

وقد تناول ابن حجة فنّاً آخر في أدبه، نشره وشعره، هو فنّ التهاني، وهو نوع من شعر المدح الذي يُلقى في المناسبات السعيدة والمفرحة. ومن هذه التهاني ما قاله بمناسبة شفاء الملك المؤيّد من مرضه في قصيدة مطلعها (من البسيط):

الحمْدُ لله زال البؤس والألمُ وعوفي العدلُ والمعروفُ والكرمُ
حتّى نسيم الصّبا المعتلّ صحَّ بكمُ وصار من بعد ضعفٍ عنده شممٌ^(١)

أما الفخر فقد كان مختلفاً عند ابن حجّة عنه عند غيره، فقد كان ابن حجّة كثير الاعتداد بنفسه وبشعره، حتى انسلخ فخره عن كلّ القيم القديمة، فلا أصل عريق يعتدّ به، ولا شجاعة لديه يفتخر بها كأبي فراس والمتنبي، ولا غنى وفير يسمو به إلى مرتبة حاتم الطائي وغيره، فأخذ يفتخر باسمه وبما يمتلكه من حذق للشعر وتفوق في النثر وحبّك للقصائد وإحكام للترسل، وغير ذلك من قيم مشابهة، ومن ذلك قوله (من الطويل):

فإن كنت سيف الدولة اليوم إنني أنا المتنبي الآن في معجز الشعر^(٢)
ومن فخره باسمه قوله (من البسيط):

فقلّ لخصمي: أبو بكرٍ له ثبّت التُّ تقدّم دَع شيعه في الغبنِ قد ماتوا^(٣)
وهذا الفخر أدى إلى أن ينبري كثيرون لهجائه.

وكان لفنّ الوصف نصيب في شعر ابن حجّة ونشره، كبعض الفنون الأخرى، فلم تخل منه قصائده ورسائله، إلا أنّ أوصافه تلك تتصف بالسّطحية، كما أنّها لم تكن موضوعاً قائماً بذاته، بل كانت تمرّ مروراً سريعاً في معرض مدحه أو نسيبه، وأكثر

(٣) ديوانه ورقة ٧١ب.

(١) ديوانه ورقة ١٣٩.

(٢) ديوانه ورقة ٢٥ب.

أوصافه مادّي ملموس، كأن يشبه ممدوحه بالبحر أو الأسد أو الحسام، إلا أن معظم أوصافه المرئية التي نالت عناية كبيرة من شعره في معرض المدح وصف القلم وما يتصل به من الكتابة وأدواتها، وذلك بحكم عمله ككاتب في دواوين الإنشاء، أو بحكم عمل ممدوحيه، إذ إن معظمهم كان من رجال القلم والكتابة.

كما نالت طبيعة بلاد الشام التي عاش فيها، وبلاد الكنانة (مصر) التي زارها وأقام فيها، حظاً وافراً من أوصافه، فوصف من حماة طبيعتها ونواعيرها وعاصيها ورياضها وثمارها وأزهارها وأنهارها وأطيّارها، كما وصف من مصر رباهها وهرمها ونيلها وأرضها وأهلها وجمال طبيعتها.

كما أن أوصافه في نسيبه لم تخرج عن الوصف السطحيّ الظاهريّ متناولاً بذلك الخال والعارض والخذّ والوجه والعين والشعر. ومن الجدير بالذكر أنّ رسالته النثرية التي أرسلها لابن مكنس في وصف حريق الشام على يد الظاهر برقوق، تعتبر نموذجاً جيّداً في الأوصاف الدقيقة والصّور الغنيّة. إلا أنّ هذا النسيب ذاته لم يكن عند ابن حجة سوى مطيّة لكثير من فنونه الشعرية، يسوقه دائماً في مطالع القصائد، ومذهبه في ذلك مذهب غيره من الشعراء، وقليلة هي المعاني الغزلية الجديدة عنده، ثم إن معظم نسيبه كان حلواً للألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كزّ ولا غامض، رطب المكسر شفاف الجوهر، يطرب الحزين ويستخفّ الرصين.

أما الرثاء فلم نجد منه عند ابن حجة إلا النزر القليل، ومن المستغرب جدّاً أن صديقه الحميم ناصر الدين بن البارزي الذي مدحه بأكثر من ثلاث قصائد، لم يظفر منه بقصيدة رثاء واحدة، والأغرب من ذلك أنّه كان له ابن اسمه «محمد» اختطفته يد المنون ولم يكتمل عمره أربع سنوات، ومع ذلك لم يقل فيه قصيدة رثاء واحدة؛ أو لعلّ ابن حجة أودع رثاءه مصتقاً مستقلاً وضاع مع غيره من الكتب الضائعة^(١). إلا أنّ هناك نوعاً آخر من الرثاء عند ابن حجة، وإن كان قليلاً، هو رثاء المدن التي أغار عليها الطامعون فنهبوها وسلبوها وقوّضوا ما بها من حضارة، فمما قاله في رثاء دار السعادة في حماة (من الكامل):

دار السعادة كان قد حلّ الشقّا فيها وجاورها زمان أسود

(١) «ابن حجة الحمويّ شاعرًا وناقداً» ص ١٥١.

واليوم ينشد مذحلتُ بربعها «أهلاً بعيشٍ أخضرٍ يتجددُ»^(١)
كما رثا ابن حجة دمشق بقوله (من الكامل):

هذي دمشق الشام عين بلادنا وعلى محاسنها الخناصر تُعقدُ
قد صيرتها المغلُ قاعاً صفصفاً وهذا ومنها نارهم لا تخمدُ^(٢)
كما أنّ شعر ابن حجة لم يخلُ من الشوق والحنين بحكم تنقله بين حماة
وطرابلس ودمشق ومصر، فقال معاتباً الدهر (من الكامل):

قررت لي طول الشتاتِ وظيفَةً وجعلت دمعِي في الخدودِ مرتباً
وأذقتني فُقدَ الأحبّةِ والهوى والأهل والأوطان في زمي الصبأ^(٣)

كما نجد في شعر ابن حجة نوعاً آخر من الحنين والشوق، وهو الحنين إلى
أماكن تقع في أرض الحجاز كالجزع والعقيق وبارق وطيبة وحاجر...، ولعلّ هذا
الحنين هو حنين تقليديّ درج عليه أكثر الشعراء في قصائدهم المدحية، أو لعلّ صورة
تلك الأماكن ظلّت في ذاكرته منذ أن زارها في حجّته.

وقد عرف شعر ابن حجة نوع الاعتذار والعتاب والاستعطاف، فيقول ابن حجة:
«إنّ المقرّ المخدوميّ الأمينيّ الحمصيّ لما انتقل من توقيع حمص إلى صحابة ديوان
الإنشاء بدمشق، فقصّد نقلتي من حماة إلى أبوابه العالية بعد أن كانت كؤوس الإنشاء
دائرة بيننا، وقد نقل إليه كلام عتيّ تحقّق بعد ذلك عدم صحّته، فكتب إليه هذه
القصيدة منها (من الخفيف):

حُبِّكم فَرَضْنَا وسيُفُ جفاكم قد غدا في بعادنا مسنوناً^(٤)
أمّا عتابه فكان في ثلاث: عتاب الأصدقاء والخلان، وعتاب الحبيب، وعتاب
الدهر. فمن عتاب الأصدقاء قوله (من الخفيف):

من بأسيافٍ هجرهم كَلّمونا ما عليهم لو أنّهم كَلّمونا^(٥)

(١) ديوانه ورقة ٢٧ ب.

(٢) ديوانه ورقة ٣٦ أ.

(٣) ديوانه ورقة ١٣ أ.

(٤) ديوانه ورقة ١٢ ب.

ومن عتاب الحبيب قوله (من البسيط):

عَاتِبْتُهُ ودموعي غير جارية
لأنّ دمعِي من طول البكا نَشَفَا
فَقَالَ: لم أزوِ وَكُفَّ الدَّمْعُ قَلْتُ لَهُ: حسيبك الله يا بدرَ الدُّجى وَكَفَى (١)

ومن عتاب الدهر قوله (من الكامل):

قَرَّرت لي طول الشتاتِ وظيفَةً
وجعلتَ دمعِي في الخدودِ مرتبًا (٢)

أما الاستعطاف فكان لابن حجة منه نصيب في شعره، ومنه ما استعطف به الأمير علاء الدين الطشلاقي الذي كان نائباً لقطية، يسأله حسن التخلّص من ذلك المكان الذي حجز فيه دون المرور بين مصر والشام، فيقول (من الكامل):

مولايَ عَبْدُكَ مَلٌّ من طول السرى
فَعَسَى برأيك أن يكونَ مدبّراً
لكن سمعتُ بأنّ مضراً جنةً
أضحى لها النيلُ المعظمُ كوثراً
فاسمُحْ برؤيتها ويا ربّ الندى
بالله لا تجعل جوابي: «لن ترى» (٣)

كما عرف شعر ابن حجة أغراضاً أخرى منها: الألغاز والأحاجي، الذي كان للفراغ الذي عاشه الشعراء في تلك الفترة دورٌ كبير في نظمه، إلا أنّ ابن حجة لم يكن لديه الفراغ الكافي للإكثار منه، وما كان كتبه لولا حبّ المطارحة وحبّ التفكّه، وهو نوع يقوم على التصحيف والتحريف والعكس والتجنيس، وقد دخل إلى علم البديع حتّى أفسده بعد أن صار ضريراً من ضرابه. ويبدو أنّ ابن حجة كان من الذين تعاطوا الخمرة وعاقروها إذ وردت في شعره فقال (من الرجز):

حيّا بها عناصرها في كأسها
مشرقة باسمه كالشُّعْرِ
وقال: هذي تحفةٌ في عصرنا
قلت: اسقنيها يا إمامَ العَصْرِ (٤)

أما الهجاء، فلم يصلنا من شعر ابن حجة فيه إلا بضعة أبيات، رغم ما كان من خصومة بينه وبين شعراء عصره أمثال يحيى بن العطار، وزين الدين بن الخراط. ومن هجاء ابن حجة في صفّي الدين الحلّي (من السريع):

(٣) ديوانه ورقة ٢٣ب-٢٤أ.

(٤) ديوانه ورقة ٤١أ.

(١) ديوانه ورقة ٤٢أ-٤٢ب.

(٢) البيت سبق تخريجه.

قالوا: صفِّي الدين أشعاره ما للورى في ظرفها ممشى
أهكذا إنشاؤه مُسَكَّرٌ قلتُ لهم: والله ما أنشأ^(١)

ثم إن أدب ابن حجة قد خلا تمامًا من «الحكمة»، وهذا لا يعني أنه عدو لها، بل كان ولو عا بها وقد ذكرها في خزائنه تحت عنوان «إرسال المثل»، وقال في تعريفه: «إرسال المثل نوع لطيف في البديع»^(٢)، ولعل أدبه، شعرًا ونثرًا، لم يستوعب هذا الفن لانصرافه إلى إعمال العقل في اقتناص التورية والجناس والطباق وغيرها من ألوان البديع، حتى خلا معظم أدبه، ليس من الحكمة وحسب، بل من الصورة الشعرية الرائعة، والتأليف الشعري الجميل الذي يقرب الكلام المنطوق من الشعور وجمال التعبير، وروعة التصوير وجلال الفن ورونق الإبداع.

ومن ينظر في خصائص أدبه الأسلوبية يجد للتورية فيه عنايةً كبيرة، إذ راح يفرط في اقتناصها حتى غدت مذهبه ومذهب من سار على نهجهم أمثال القاضي الفاضل وجمال الدين بن نباتة، واتسع باب التورية عنده حتى شمل جوانب مختلفة من القرآن الكريم والحديث الشريف والنحو والبلاغة واللغة والعروض والفقهاء والمنطق، والشعر، والقصص التاريخي وغيرها^(٣).

ومن سمات شعره حسن المطلع وحسن التخلّص وحسن الختام في القصيدة الواحدة^(٤). وأبرز مثال علو ذلك قصيدته الكافية التي قالها في مدح برهان الدين بن جماعة^(٥).

بالإضافة إلى ذلك نجد لاختيار ابن حجة لقافيته أسبابًا منها:

اسم الممدوح، والمعارضة، وتضمينه بيتًا من شعر شاعر معين، ورغبته في استمداد كلمات تصلح لأن تكون قوافي من قصيدة مشابهة.

ومن السمات الأسلوبية الشائعة في شعر ابن حجة إكثاره من استعمال القسم وأنجاءً والمجرور والظرف وغيرها من الزوائد التي يهدف منها إلى إقامة الوزن،

(١) ديوانه ورقة ٧٩ ب.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ١٢٥/٢.

(٣) انظر باب «التورية» في خزانة الأدب

وغاية الأرب . (٥) ديوانه ورقة ٣٦ ب-٣٧ ب.

فيجانب بها أحياناً شروط البلاغة .

كما أنّ للتكرار مجالاً واسعاً في شعر ابن حجّة، سواءً كان تكراراً لما قاله شعراء عصره، أو تكراراً لما جاء في شعره في أماكن متعدّدة؛ وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على كسل فكريّ ظاهر عنده، وعجز عن الابتكار والإبداع. بالإضافة إلى ذلك فقد حفل أدبه بلوازم مهنته كمنشئ في ديوان الإنشاء، فيأتي على ذكر السطر، والصفحة، والنقط والإشكال والإعجام والكتابة والضبط والنسخ والتصحيح... ومن خصائص شعره كثرة المقطعات الصغيرة، حتى لتكاد تبلغ ثلث ديوانه^(١).

ومن أهم المميزات السائدة في شعره إكثاره من الضرورات الشعرية حتى لقد بلغت في ديوانه «جنى الجنتين» ثلاثمئة وخمسة وعشرين ضرورة، قد أحصاها تلميذه النواجي في ما عاد إليه من شعره؛ منها صرف ما لا ينصرف، ومدّ المقصور، وقصر الممدود، وعدم فكّ الإدغام في آخر الفعل المسند إلى ضمير رفع متحرك، بل يسير على ما سارت عليه العامة من إضافة ياء بين الإدغام والضمير^(٢).

ولإبراز منزلة ابن حجّة الأدبية والشعرية بين أدباء عصره وشعرائه لا بدّ من النظر في مجمل الظواهر التي اشترك بها شعراء العصر، وأهمّها: ظاهرة التصنّع بل الإغراق والتطرّف فيه، وظاهرة المعارضات، ولا سيّما لقصائد الشعراء الكبار كالمتنبي^(٣)؛ وظاهرة السرقات الشعرية، وظاهرة تبادل التقاريف؛ فمن خلال تلك الظواهر تبدو منزلة ابن حجّة الكلّية ألا وهي أنه شاعر أديب من أحسن أدباء قرنه، ومن أوسط شعراء عصره.

- ابن حجّة الناقد:

لقد عرف الأدب العربيّ النقد منذ العصر الجاهليّ، وإن كانت أحكامه أحكاماً عابرة، إلّا أنه أخذ يتّسع في العصر العباسيّ، حتى تسرّبت إليه عناصر أخرى كالبلاغة فامتزجت به، وقد ظنّ النقاد الأوائل أنها من صميم النقد ولوازمه، وهي في الحقيقة من مشوبات النقد ومشوّهاته؛ ومن هنا راح ابن حجّة الناقد يمزج النقد بالبلاغة في كثير من مؤلفاته؛ وهذا لا يعني أنّه لم يترك لنا آراء نقدية خالصة، بل يكاد يعتبر ناقد

(١) انظر ديوانه ورقة ٧٢، ١٧٨-٨١أ.

(٢) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ١٨٣.

(٣) وانظر خزنة الأدب وغاية الأرب ١٧٨/٢.

القرن التاسع الوحيد، ويمثل اتجاه النقد في قرنين سابقين وعدة قرون لاحقة، وإن كانت آراؤه في النقد البلاغي أكثر منها في النقد الأدبي الخالص، بل إن النقد الأدبي الخالص لم يردّ عنده إلا في ثنايا حديثه عن النقد البلاغي الذي اتسع بفعل علم البلاغة. وقد اطلع ابن حجة على كثير من المؤلفات البلاغية ولا سيما البديعية التي ألفت منذ القرن الثاني حتى عصره، ولما أتيت له أن يصتف «شرحه» على بديعته المسماة بـ «تقديم أبي بكر» كان قد اطلع على أنواع البديع وأجناسه وألوانه في تلك المؤلفات، وقد أعجب ببعضها فاستقى مادة شرحه وشواهد منها، ولم يعجب ببعضها الآخر فأعرض عنها، وكان في إقباله على بعضها وإعراضه عن بعضها الآخر متمتعاً بذوق الناقد البلاغي الذي يأخذ من هذا المؤلف لسبب، ويدع رأي ذلك لسبب، ويصوّب رأي فلان ويخطئ رأي آخر، ويستحسن رأي زيد ويستهجّن رأي عمرو، كلّ ذلك بأسلوب الناقد البديعي، وقد ناقش في مصتفه هذا الأنواع البديعية نوعاً نوعاً وعلّق عليها، وخرّج الآراء البلاغية وأحكام سابقه من ناظمي البديعات، ونقد ما قدّمه من شعر وآراء بلاغية. وإذا كان يستفيض في الشرح رغبةً منه في التفريع والتقسيم والتنوع، فإنه كان يلغي بعض الأنواع الفرعية التي لا يستلطفها ذوقه، ومما يدلّ على ذلك قوله: «وذكر صاحب الإيضاح للتفريع قسماً ثانياً لم يذكره غيره، ولا نسج على منواله أصحاب البديعات فألغيته أيضاً، والشيخ زكيّ الدين بن أبي الإصبع اخترع قسماً ثالثاً، ولكن وجدت هذا النوع الذي نحن بصدده أحلى في الأذواق وأوقع في القلوب، وعلى سننه مشى أصحاب البديعات، فألغيت أيضاً ما اخترعه ابن أبي الإصبع»^(١). ولم يكن ابن حجة مجرد مقتفٍ لآراء البلاغيين في تسميتهم للأنواع، بل كان ينتقد كبار البلاغيين لوقوعهم في سقطات ليس من ورائها شديد فائدة، ففي باب «المراجعة» يبيّن لنا أنه لولا المعارضة لما ذكر هذا النوع في بديعته لأنّه نوع تافه^(٢).

ومن هذه الأنواع البديعية التي أنف من الاستفاضة في شرحها في بديعته: التفصيل، وعتاب المرء نفسه، وتشابه الأطراف، والمماثلة، والتصدير^(٣)... وبعد

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ٤/٢٤٤. (٣) انظر كلاً في بابه من خزانة الأدب وغاية

(٢) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ٢/١٩٧. الأرب.

هذا فكتابه «خزانة الأدب وغاية الأرب» يعتبر كتاب بلاغة لتضمّنه البديعية وشرحها وكان ابن حجّة إذا أراد نظم النوع البديعيّ وشرحه، رجع فيه إلى العديد من كتب البلاغة، مقارنةً بين تعريفات البلاغيين له، وما ذكره أصحاب البديعيات، ثمّ يستخلص لنفسه رأياً في تعريف هذا النوع وذاك، مشيراً إلى مخترعه أو السابق إلى معرفته، كلّ ذلك بأسلوب الناقد البلاغيّ البديعيّ؛ فمن ينظر في باب «الاشتقاق» مثلاً يستدلّ على منهجه في النقد والشرح^(١)، وعلى مدى سعة ثقافته البلاغيّة التي جعلت منه ناقدًا بلاغيًّا مميّزًا، بل ناقدًا بديعيًّا، يعتمد في نقده على ذوق بديعيّ اكتسبه من خلال اطلاعه الكبير على كتب البلاغة، وفنون البديع، ومن خلال ممارسته الطويلة للقراءة والكتابة، نظماً ونثرًا، بأسلوب البديع. ومن الكتب التي كانت تنمّ عن ذوق ابن حجّة النقديّ والبلاغيّ، كتابه «ثبوت الحجّة على الموصليّ والحليّ لابن حجّة» الذي وضعه لرفع التهمة المفضضة عن كتابه «شرح تقديم أبي بكر»، بل جاء مختصرًا له، جمع فيه أبيات البديعيات الثلاث وعرف كل نوع من الأنواع البديعية، معتمدًا على المقارنة التي اتخذها وسيلة للوصول إلى إثبات حسن صنعه وتفوّقه على عميدي فنّ البديعيات الحليّ والموصليّ.

ومن كتبه التي حاولت أن تكشف عن جانب كبير من معركة النقد بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، كتابه «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام»، ولا سيّما بعد أن عمد البلاغيون إلى تقسيم الأنواع البديعية في النقد إلى قسمين: قسم سامٍ راقٍ تنضوي تحته التورية والاستخدام والتشبيه والاستعارة وغيرها ممّا يتصل بالمعنى، وقسمٍ سافلٍ منحطٍ تنضوي تحته أنواع الجناس والطباق وما شابههما، وقد ظهرت من خلال هذا الكتاب شخصية ابن حجّة النقديّة إذ راح يقارن بين أبيات في الجناس وأخرى في التورية، فيرجح التورية على الجناس منتصرًا لأنصار مذهب التورية والمعنى على أنصار مذهب الجناس واللفظ.

أمّا إذا أردنا الاطلاع على آراء النقد الأدبيّ عند ابن حجّة، فإننا نجدها مبثوثة في مؤلفاته الأدبية عامّة وآثاره البلاغيّة خاصّة، ولا سيّما في شرحه لبديعيّته الذي حوى أحكامًا نقديّة كثيرة تدلّ على ذوق صاحبها، وعلى مدى تدوّقه للأدب وتعبيره عنه،

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب/٤ - ٦٣ - ٦٥.

وكان بوسع ابن حجة أن يكثر من هذه الآراء لولا أن عنايته بالاستكثار من الشواهد صرفته عن التعمق في النقد.

ومن آراء ابن حجة النقدية النظرية رأيه في أن الدربة والمراس ودوام قراءة الأدب وحفظ الشعر لتكوين الملكة الأدبية، يخلق ملكة مكسوبة ترفد الملكة الأدبية الموهوبة في صناعة الأدب شعراً ونثراً، فالشاعرية عنده لا بد من أن يرفدها الذوق السليم والذهن الصافي والتمييز الصحيح، وقد أورد قصة قصيرة في خزانته تؤيد رأيه النقدي هذا، إذ قال: «وهنا نكتة لطيفة تؤيد هذا النقد، اتفق أن الشيخ نور الدين علي ابن سعيد الأندلسي الأديب المشهور الذي من نظمه قوله [من مخلع البسيط]:

واطول شوقي إلى ثغورٍ ملأى من الشهدِ والرحيقِ
عنها أخذتُ الذي تراه يعذبُ من شعري الرقيقِ^(١)

لما ورد إلى هذه البلاد، اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير، وتطلق على مواده طريقته الغرامية، وسأله الإرشاد إلى سلوكها فقال له: «طالع ديوان الحاجرّي والتلعفريّ، وأكثر المطالعة فيهما وراجعني بعد ذلك»؛ فغاب عنه مدة وأكثر من مطالعة الديوانين... ثم اجتمع به بعد ذلك، وتذاكرا في الغراميات، فأنشده الصاحب بهاء الدين زهير في غضون المحاضرة: «يا بان وادي الأجرع»؛ وقال: أشتهي أن يكمل لي هذا المطلع، ففكر قليلاً وقال: «سقيت غيث الأدمع». فقال: والله حسن، ولكن الأقرب إلى الطريق الغرامي أن تقول: «هل ملت من طربٍ معي»^(٢).

وقد اتخذ ابن حجة من هذه النكتة درساً جعله يطبق آراءه النقدية على نفسه، فعمد إلى ديوان صفّي الدين الحلبي وديوان جمال الدين بن نباتة وأكثر من مطالعتهما ثم عمد إلى ديوان المتنبي فطالعه، حتى اكتسب من الحلبي رقة سحره، ومن النباتي أحكام طريقته، كما كان لشعر المتنبي عنده أثر كبير.

ولم يكتف ابن حجة بالموهبة والمراس والدربة لصقل الشاعرية، بل يطلب من الشاعر أن يرجع إلى شعره بعد نظمه فينقحه ويهذبه مستعيناً بأهل النقد والذوق، وقد طبق هذا المبدأ على نفسه أولاً، فقد كان ينظم البيت ثم يهدمه ثم يعيد بناءه حتى يعبر

(١) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٢٧.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٢٧ - ٣٢٨.

تمام التعبير عمّا يريد، وإذا عجز عن ذلك هرع إلى ناصر الدين البارزيّ ليشير عليه بأرائه النقدية وإرشاداته التهذيبيّة؛ كما كان يأخذ برأي تلميذه النواجيّ في كثير من نظمه، ولم يكتفِ ابن حجة بتطبيق ذلك على الشعر، بل تجاوزه إلى النثر، ولهذا فقد فتح بابًا في خزانته تحدّث فيه عن «التهذيب والتأديب» وخصّه بالشعر والنثر^(١).

ومن آرائه النقدية الجيدة محاولة تفسيره للشعر بأنّه ابن بيته وصدى لعصره، محاولاً التماس العذر للشاعر القديم عند استمداده صورته الشعرية من معطيات بيئته، سواءً أكانت هذه المعطيات منسجمة مع الذوق المعاصر أم غير منسجمة. ومن آرائه النقدية أنه أباح الاستشهاد بكلام المحدثين في علوم البلاغة من معانٍ وبيانٍ وبديع، بل لا يرى مانعاً من الاستشهاد في ذلك بشعر المعاصرين وزجلهم ونثرهم^(٢). كما يرى ابن حجة الحمويّ أنّ ظاهرة السرقات الشعرية أصبحت من المسلّمات في عصره، فلا بدّ إذًا من قبولها وإقرارها لشيوعها، ولا سيّما أن الشاعر السارق لم يعد يخجل لسرقته، بل كان أجراً على الاعتراف بالسرقة عمّا كان عليه الشعراء الأوائل، فهذا ابن الورديّ يقول (من الوافر):

وأسرقُ ما استطعتُ من المعاني فإنْ فُتُّ القديمَ حمدتُ سيري
وإن ساويتُ مَنْ قبلي فحسبي مساواة القديمِ وذا لخيري
وإن كان القديمُ أتمَّ معنَى فذلك مبلغني ومطارُ طيري
وإنَّ الدرهمَ المضروبَ باسمي أحبُّ إليّ من دينارٍ غيري^(٣)

وقد أكثر ابن حجة من الحديث عن السرقة، مجيزاً السرقة بالمعنى دون اللفظ، كما تتبّع سرقات معاصريه وبينها، كسرقات ابن نباتة من الوداعيّ، وسرقات الصفديّ من ابن نباتة^(٤).

ومن آرائه المصيبة في النقد أخذه بعين الاعتبار الحالة النفسية للمخاطب، ولا سيّما في مطلع القصيدة، إذ يقول فيه: «أول شيء يقرع الأسماع، ويتعّين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين، . . . وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو

شاعرًا وناقداً» ص ٢٢٢.

(١) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ٣/ ١٧٢.

(٤) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ١/ ٣٥٣.

(٢) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ١/ ٣١٤.

(٣) ديوانه ص ٢٦٤؛ و«ابن حجة الحموي

العمدة في حسن الأدب»^(١). إلا أنه يؤخذ عليه في نقده أنه كان أحياناً إذا أحبَّ شاعراً أثنى عليه وإن غضب على آخر تحامل عليه في نقده، كما فعل في ثنائه على أغلب أصحاب التورية أمثال جمال الدين بن نباتة والمنتبي والوداعي والقاضي الفاضل، وفي تحامله على أصحاب الجناس وعلى رأسهم صلاح الدين الصفدي، وابن العطار وابن الخراط. كما أن هناك ظاهرة أخرى تعكس لنا ذوقه الأدبي والنقدي، ألا وهي ظاهرة الاختيار في الأدب والبلاغة، لما فيه من روح نقدية إذ تجمع المتشابه من الأدب في باب، والمتشابه من شواهد البلاغة في باب آخر.

إلا أن ما يميّز ابن حجة عن غيره من النقاد أنه راح يطبقها على نثر الآخرين وشعرهم كما طبّقه على شعره ونثره، فمن ينظر في شرحه لبديعته يجد فيه نزوعه إلى هذا التطبيق الذي يدلّ على فكره النقديّ الجانح إلى التعليل وحسن الاختيار، والتماس الأسباب للمسببات والمعرفة في فقه الألفاظ وتدبر معانيها؛ وأمثلة ذلك كثيرة في شرحه، منها ما ورد في باب «براعة الاستهلال»، وباب «التخيير»، وباب «الانسجام»^(٢). . . . ومن أمثله النقدية التطبيقية اشتراطه أن يكون الغزل في مطالع المدائح النبوية محتشماً ينسجم مع جلال الممدوح وقدره، وهذا ما كان قد طبّقه على مدائحه وراح يطبقه على شعر الآخرين الذين أخذوا بهذه الشروط^(٣). ومن آرائه في النقد التطبيقي التي تدلّ على دقّة في النظر وحصافة في الرأي قوله في باب «مراعاة النظر»: «فإنهم عابوا على أبي نواس قوله (من المجتث):

وقد حلفُ يميناً مبرورة لا تكذب
يربّ زمزمَ والحو ضِ والصفا والمحصب^(٤)

فالحوض هنا أجنبيّ من المناسبة لأنه ما يلائم «المحصب» و«الصفا» و«زمزم»، وإنما يناسب «الصراف» و«الميزان»، وما هو منوط بيوم القيامة^(٥).

ومهما يكن من أمر تلك الآراء النقدية، فإن لابن حجة فضلاً في امتداد علم النقد

(١) خزنة الأدب وغاية الأرب ١/٣١١ - ٣٤٧.

(٢) انظر كلاً في بابه من خزنة الأدب وغاية الأرب ١/٣١١؛ ديوانه ص ٨٠؛ وخزنة الأدب وغاية الأرب ٢/٣٣٩.

(٣) انظر خزنة الأدب وغاية الأرب ١/٣٤٢ (٥) خزنة الأدب وغاية الأرب ٢/٣٣٩.

في هذه العصور رغم اندماجه وتلاشيه في ثنايا البلاغة عامّة، وكتب البديع خاصّة، كما أنّ له الفضل في تقييم نتاج شعراء عصره بقيم نقدية هي أقرب ما تكون إلى النقد الصحيح في عصر يكاد يخلو من النقاد ذوي الذوق السليم، فكان ابن حجة ناقدًا يتلاءم مع عصره ومع قيمة الأدب الذي ساد فيه. ويرى محمود الربداري أنّ لا غرابة في أن يصل النقد في ذاك العصر إلى الدرجة التي وصل إليها، ذلك أنّ الشاعر هو نفسه الناقد، والناقد هو الشاعر، ولا يسعنا إلا أن نقول للشاعر: «فيك الخصام وأنت الخصم والحكم»^(١).

ح- شخصيته وأقوال الناس فيه:

لعلّ أوّل صفة تميّز بها شخصية ابن حجة هي العصاميّة، إذ لم يكن ينحدر من أسرة عريقة، أو ذات منزلة في العلم والأدب، بل كان كلّ ما فعله أبواه له أن علّماه القرآن الكريم، ثمّ دفعا به إلى العمل في مهنة الحرير وعقد الأزرار، إلا أن نفسه أبت عليه ذلك، وسمت إلى الاشتغال بالعلم والأدب، فراح يثقف نفسه بنفسه ويتردّد إلى أهل العلم وشيوخ الأدب، ويرحل من قطر إلى قطر، ويتعرّف على أرباب الأقاليم والمثقفين كالقضاة والكتّاب والأدباء حتى حذق الأدب وثقفه، كل ذلك بفضل عصاميّته التي أصبح بها جديرًا بالاحترام والتقدير. وقد أكسبه تنقله بين الأمصار صفة أخرى وهي أنه بات جوّاب الآفاق، يحبّ الرحلة من بلدٍ إلى آخر، ويملّ الإقامة في مكان واحد مدّة طويلة، وقد دفعت به هذه الصفة إلى حبّ المغامرة، فعانى الاختفاء أكثر من مرّة في دمشق وحلب، وهرب مرّة من طرابلس إلى مصر، وتشدّد في التنكّر لخصومه حتى سدّدوا له نبالهم وأفحشوا فيه القول، إلا أنه لم يعبأ بهم.

ومن أهمّ صفاته التي تؤخذ عليه أنّه كان معجبًا بنفسه معتدًا بها فخورًا بتفكيره، مزهوًا بشعره، وقد جرّه ذلك الإعجاب وهذا الفخر إلى الحظّ من قدر الآخرين والازدراء بهم، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، فصنّف الدين الحليّ وشعره وإنشائه ليس بشيء في نظره، وابن الكويز ليس من الأعلام برأيه، ولعلّ ازدراءه بالآخرين يبلغ مداه عندما يقرظ قصيدة لشاعر أو رسالة لأديب، أو حتّى بيتًا واحدًا من الشعر، أو صورة بديعة، أو نوعًا من أنواع البديع ورد عند أحد الشعراء. وعندما يصل إلى

(١) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٢٢٩.

تقريظ شعره أو نثره يبلغ الذروة في الزهو والإعجاب بنفسه، فهو متنبّي عصره،
وشاعر الدنيا، وهو عسكريّ الصناعتين^(١)، ... فتراه يقول (من الطويل):

فإن كنت سيف الدولة اليوم فإنني أنا المتنبّي الآن في معجز الشعر^(٢)
ويقول في مكان آخر (من الكامل):

أنا شاعر الدنيا ومدحك شاهدي وسمعت في الإنشأ بديع رسائلي
والغير إن قاسوه بي من جهلهم حاشاك قسن ما يقاس بباقل^(٣)
ومما قاله مزرّيًا بصفيّ الدين الحلّي (من الرجز):

قالوا: صفيّ الدين أشعاره ما للورى في ظرفها ممشى
أهكذا إنشاؤه مُسكّر قلت لهم: والله ما أنشأ^(٤)
ومما قاله في هجاء العلم بن الكويز (من المنسرح):

العلم بن الكويز قال معي لطف وظرف حواهما التكرم
وقامتي بانه مهفهفة فقلت: لا بانه ولا علم^(٥)

إلى غير ذلك مما جلب له في أواخر حياته الكثير من الخصومات والمتاعب،
حتى انبرى الكثيرون لهجائه، كيحيى بن العطار الذي جمع هجاءه له في مصنف سماه
«حوائج العطار في عقر الحمار»، وزين الدين بن الخراط الذي أودع هجاءه في
مصنّفه «سوط العذاب على شرّ الدواب»، وغيرهما ممن راحوا يمعنون في الحطّ من
قدره وقدر شعره ونثره، فمما قاله أحدهم (من البسيط):

زاد ابن حجة بالإسهال من فمه وصار يسلح مشورًا ومنظومًا
وظنّ أن قد تنبّا في ترسله لو صحّ ذلك قطعًا كان معصومًا^(٦)

(١) انظر ديوانه «جنى الجنتين» ورقة ٣ ب.

(٢) ديوانه ورقة ٢٥ ب.

(٣) ديوانه ورقة ١٥٨ أ.

(٤) ديوانه ورقة ٧٩ ب؛ وخزانة الأدب ٣/

٥٢١.

(٥) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص
١٦٦؛ وخزانة الأدب ٣/٥٢١.

(٦) خزانة الأدب وغاية الأرب بشرح عصام

شعيتو ١/١٦؛ و«ابن حجة الحموي
شاعرًا وناقداً» ص ١٦٥-١٦٦.

ولم يكتفِ خصومه بذلك، بل لقد تنكروا له ولا سيّما تلاميذه، بعد أن كانوا معجبين به لفترة طويلة من الزمن، فراحوا يتتبعون مثالبه ويظهرونها، وعلى رأسهم تلميذه النواجي الذي تناوله في كتابه «الحجّة في سرقات ابن حجّة»، وقد أخذ فيه على عاتقه أن يتتبع سرقاته في ديوانه المسمّى بـ «جنى الجنتين»، إذ يقول: «حتّى أنه قال مرارًا في ملأ من أصحابه: «إنّ مملكة مصر لم يصر لها حالة إلّا به»، وقال مرّة: «لو شئت كلّ وظيفة لوليتها، ولكني، والله، لو أعطيت الخلافة ما رضيتها»؛ ونادى بباب الجامع الأزهر على رؤوس الأفاضل والأماثل: كلّ من في المشرق والمغرب تحت خُفي ونازل»^(١). ولم يكن النواجي هو البادئ في تنكّره لأستاذه، بل كان ابن حجّة قد سبقه بدوره إلى تنكّره لأستاذه عز الدين الموصليّ، ومن يطلّع على خزائنه يجد بوضوح كم مرّة صبّ لوازع كلمه على بديعيّة شيخه، مسقّها رأيه مزريًا به، فقيّض له الله من ينقّب عن مثالبه وسرقاته ويؤلّف فيها كتابًا.

إلّا أنّه كان رغم ذلك إمامًا عالمًا في الأدب، طويل النفس في النظم والنثر، وقد قال عنه السخاوي: «كان إمامًا عارفًا بفنون الأدب، متقدّمًا فيها، . . . حسن الأخلاق والمروءة، مع بعض زهو وإعجاب، ومداومة على خضب لحيته بالحمرة إلى أن أسن»^(٢)، كما ذكره ابن خطيب الناصريّة فقال: «الإمام الأريب البليغ الفاضل الناظم النائر إمام أهل الأدب في زمنه»^(٣).

وقد قرّظه ابن حجر العسقلاني في ثنايا تقرّظه لشرح بديعيته قائلاً: «أشهد أنّ أبا بكر مقدّم على أنظاره، ولا أعدل في هذه الشهادة من أحمد، وأجزم برفعة قدره على كلّ من انتصب لهذا الفنّ ولا أبلغ من حاكم يشهد، لقد بلغ أشدّه في البلاغة واستوى، وثبت رشده عند غواة الأدب. . .»^(٤).

وكان لابن حجر في ابن حجّة تقاريط أخرى. كما وصفه أحد المؤرّخين فقال:

(١) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٥٢.

(٢) الضوء اللامع ٥٣/١١؛ والأعلام ٦٧/٢؛ و«ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٥٢.

(٣) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٥٢.

(٤) هذا التقرّيط في آخر النسخة ب (ج٢) من «شرح البديعية»، بعد المتن، وسيأتي أثناء الكلام على «شرح بديعيته» في قسم الدراسة.

«الإمام البارع والعالم الأريب، رئيس أدباء العصر، وأعرفهم بفنون الشعر»^(١)؛ وقال السخاوي أيضاً: «ونظمه ونثره يفوقان الوصف»^(٢). وقال ابن حجر: «نعم الرجل كان»؛ وقال المقرئ: «كان فيه زهو وإعجاب بنفسه، وعلمه الأدب، ونظمه كثير، وهو أحد أدباء العصر المكثرين المجيدين، وله في الأدب مصنفات»^(٣). ويذكر ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» أن الحافظ ابن حجر سئل: من شاعر العصر؟ فقال: «تقي الدين بن حجة»^(٤). وقال محمد بن علي الشوكاني في «البدر الطالع»: «وله يدٌ طويلة في النظم والنثر مع زهو وإعجاب، وقد يأتي في نظمه بما هو حسن، وبما هو في غاية الركة والتكلف»^(٥).

ومع هذا كله فقد كان ابن حجة واسع الثقافة العربية، غزير الاطلاع، شاعراً، على قدر كبير من المعرفة بألوان الشعر التي سادت عصره، وناقداً بلاغياً وكاتباً مجللاً ومؤلفاً مكثراً في مختلف ضروب التأليف.

٢- آثاره ومصنفاته الأدبية:

بلغت تركة ابن حجة الأدبية ما يزيد على ثلاثين أثرًا ومصنفًا، بعضها من إنتاجه الثري والشعري، وبعضها الآخر من مختاراته الشعرية والنثرية، وهي بين مفقود ومخطوط ومطبوع^(٦)، تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الآثار النثرية، والآثار الشعرية، والآثار البلاغية النقدية.

أ- الآثار النثرية:

لقد ترك ابن حجة الحموي العديد من الآثار النثرية، منها الآثار الإنشائية الخاصة التي كتبها في مناسبات مختلفة، وتشمل الرسائل الإخوانية الصغيرة ك«الرسالة البحرية»^(٧) التي بعث بها إلى بدر الدين الدماميني، ورسالة «ياقوت الكلام

(١)(٢)(٣) الضوء اللامع ١١/٥٣.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/٢١٩.

(٥) البدر الطالع في محاسن من بعد القرن

السابع ١/١٦٤.

(٧) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٦٩؛

ثمرات الأوراق ص ١٣٤.

(٦) كتبه المطبوعة أربعة هي: «بلوغ الأمل

فيما ناب أهل الشام^(١) التي بعث بها إلى فخر الدين بن مكانس، ورسالة «السكّين»^(٢)، ورسالة «وفاء النيل»^(٣)؛ كما تشمل الرسائل الديوانيّة الكبيرة ككتاب «قهوة الإنشاء»^(٤) الذي جمعه تلميذه النواجي بإذن منه.

ومنها المؤلّفات والمصنّفات الثريّة التي لم تقتصر على إنشائه الخاص، بل تميّزت بالجمع من الكتب والمصنّفات الأخرى التي سبقته والتي عاصرتة، ولا يزيد نثره فيها عن أكثر من عبارات الجمع والربط بين مواضيع هذه المؤلّفات.

وهذه المؤلّفات هي:

- «ثمرات الأوراق في المحاضرات»^(٥): أو «ثمرات الأوراق فيما طاب من نوادر الأدب وراق»^(٦)؛ وقد أودع فيه ابن حجّة حصيلة ثقافته الغزيرة واطلاعه الواسع، ومن يتصفّح هذا المؤلّف يدرك وفرة الكتب التي اطّلع عليها وعلى رأسها «درة العوّاص» لأبي محمد القاسم بن علي الحريري، وكتاب «الأذكياء» لابن الجوزي، وكتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان، بالإضافة إلى حوالي أربعين كتاباً أتى فيه على ذكرها.

سنة ١٩٧١م؛ وسنة ١٩٨٧م، وفي دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٩٨٣م؛ وفي مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ سنة ١٩٥٢م، وسنة ١٩٥٣م؛ وفي المطبعة العامرة في القاهرة سنة ١٨٧٣م. وقد كلفت وزارة الثقافة من اختار بعض طرائفه وطبع بعنوان «المختار من ثمرات الأوراق». انظر «ابن حجّة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٥٥؛ والأعلام ٢/ ٦٧؛ وهديّة العارفين ٥/ ٧٣١؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١/ ٧٦.

(٦) طبع بهذا العنوان سنة ١٩٩٠م، وهو جزءان في مجلد واحد.

(١) انظر ثمرات الأوراق ص ١٤٨. وهذه الرسالة يسميها البعض «ياقوت الكلام في أيام الشام» أو «ياقوت الكلام في نار الشام»، أو «رسالة لابن مكانس». وانظر «ابن حجّة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٥٤.

(٢) انظر خزنة الأدب وغاية الأرب ١/ ٣٧٤.

(٣) انظر خزنة الأدب وغاية الأرب ٤/ ٣٠٧.

(٤) انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/ ٧٦؛ والأعلام ٢/ ٦٧؛ وهديّة العارفين ٥/ ٧٣١؛ و«ابن حجّة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٥٥.

(٥) طبع هذا الكتاب بالمطبعة الوهّبية في القاهرة سنة ١٣٠٠هـ.، ١٨٨٢م؛ وفي مكنتبات أخرى، منها: في مكتبة الخانجي

- «أزهار الأنوار»^(١): وهو مجموعة من الطرائف والنوادر القديمة والمعاصرة التي استقاها من مطالعته الكثيرة، وبعضها مكرر في «ثمرات الأوراق» ومصنفات أخرى.

- «مجرى السوابق»^(٢): جمع فيه ابن حجة كل ما استطاع من نثر أو شعر في موضوع وصف الخيل المسومة، وقد كرر بعض ما جاء فيه في كتابه «تأهيل الغريب».

- «تأهيل الغريب الثري»^(٣): و«تأهيل الغريب» هو مصنف نفيس، يقسم إلى قسمين: «تأهيل الغريب الشعري» و«تأهيل الغريب الثري»؛ وسيأتي الكلام عليه في الكلام على «تأهيل الغريب الشعري».

- «بلوغ المرام من سيرة ابن هشام والروض الأنف والأعلام»^(٤): وهو كتاب تاريخ وسيرة أكثر منه كتاب أدب، لخص فيه ابن حجة أشهر السير التي كتبت عن الرسول، (ﷺ)، وخاصة «سيرة ابن هشام»، و«الروض الأنف» للسهيلى، و«الأعلام» للقرطبي.

- «بلوغ المراد من الحيوان النبات والجماد»^(٥): وهو مؤلف موسع في الحيوان والنبات والجماد، نحا فيه ابن حجة نحو الذميري في كتابه «حياة الحيوان الكبرى» وزاد عليه في المضمون والمنهج والترتيب.

- «ملقطات ابن حجة»^(٦): وهو كتاب يتحدث عن الخليفة والمخلوقات.

ب- الآثار الشعرية:

أما آثاره الشعرية فهي تتراوح بين أربعة أنواع: إنتاجه الشعري، ومختاراته من

(١) انظر «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» (٤) انظر الأعلام ٦٧/٢؛ و«ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٥٦.

(٢) انظر «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» (٥) انظر الأعلام ٦٧/٢؛ وهدية العارفين ٥/ ص ٥٦؛ و٧٣١؛ و«ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٥٧.

(٣) انظر الأعلام ٦٧/٢؛ و«ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٥٧، ٨٠. والكتاب مطبوع في المطبعة الوهيبية سنة ١٨٨٢م.

(٦) انظر «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٥٨.

الدواوين، وكتب المعارضات، والمختارات العامة.

أ- إنتاجه الشعري:

وهو يشتمل على ديوانه، أو «جنى الجنتين»، و«الثمرات الشهية من الفواكه الحموية والزوائد المصرية»، بالإضافة إلى أربعة آثار أخرى هي: «تخميس السهيلي»، و«رشف المنهلين»، و«أمان الخائف»، و«تفصيل البردة»^(١).

وقد اضطرب مؤرّخو الأدب في تعيين ديوان ابن حجة، فأخطأ بعضهم ونسب إليه أكثر من ديوان، بل وأخطأ في التسمية؛ فقد ذكر له السخاوي «الزوائد المصرية» و«الثمرات الشهية من الفواكه الحموية»، و«جنى الجنتين»، و«ديوان شعر بديع»^(٢)، . . . ومثل ذلك ورد في هدية العارفين إذ ذكر المؤلف أنّ له ديوان شعر بديعاً، وله «جنى الجنتين» في مديح أشعاره^(٣). وفي الواقع أن ديوانه هو «جنى الجنتين» نفسه، والدليل قوله في خطبة الديوان: «. . . وبعد، فهذه أوراق في رياض الأدب زاهرة. . . وقد قرع السنّ قارع الأربعين، . . . وسمّيتها «جنى الجنتين» لأنني راعيت فيها بحدائق ثري زهر المشور، ورخصت بجواهر نظمي قيمة الناظم لدرر البحور»^(٤). . . ثم أتى فيما بعد مجموعة من التّساخ حاولوا جمع كلّ ما قاله من شعر بعد سنّ الأربعين، وأضافوه إلى ما جمعه هو، فأطلقوا عليه تارةً اسم الديوان، وتارةً اسم «جنى الجنتين» وتارةً يسمّونه في المقدمة «جنى الجنتين» وفي الخاتمة «الثمرات الشهية من الفواكه الحموية والزوائد المصرية»، وقد بيّن تلميذه النواجي أن اسم «الزوائد المصرية» كان لزيادة قصائد عدّة على ديوانه كان قد قالها في الملك المؤيد في مصر؛ وأمّا اسم «الثمرات الشهية من الفواكه الحموية» فهي آية قصيدة من ديوانه باعتباره «جنى الجنتين» من باب التورية.

أمّا الآثار الشعرية الأربعة فهي لا تعدو أسماء قصائد له في ديوانه، وهي: «تخميس السهيلي» التي خمّس بها قصيدة السهيليّ العينية، و«رشف المنهلين» التي

(١) هذه الآثار الأربعة هي قصائد طويلة موجودة في ديوانه «جنى الجنتين». وسيأتي الكلام عليها.

(٢) الضوء اللامع ٥٣/١١.

(٣) هدية العارفين ٧٣١/٥.

(٤) جنى الجنتين ورقة ١٣-٣؛ و«ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٦٠.

خَمَسَ بها قصيدة عبد القادر الكيلاني، و«أمان الخائف» أو «أمان الخائفين من أمة سيّد المرسلين»، وهي في مدح الرسول (ﷺ)، و«تفصيل البردة» التي خَمَسَ بها بردة البوصيري^(١).

ب- مختاراته من الدواوين:

اختار ابن حجّة من دواوين الشعراء الذين أعجبه شيئاً من أشعارهم وجعله في مصنّفات، فقد اختار من شعر ابن الهباريّة في كتابه المسمّى «الصادح والباغم» من أرجوزته الطويلة، بعضَ الحكم، ونظمها مع بعضها، وسَمّاها «تغريد الصادح»^(٢)، كما اختار من ديوان برهان الدين القيراطيّ أحسنه وسَمّاها «تحرير القيراطيّ»، وأعجب بتوريات الشيخ عبد العزيز الأنصاري، شيخ شيوخ حماة، فجمعها وأودعها زاوية من كتابه «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام»، كما جعل لها زاوية في «خزّانة الأدب وغاية الأرب» وسَمّاها «زاوية شيخ الشيوخ»^(٣).

ج- كُتِبَ المعارضات:

ويمثّل هذا النوع من آثاره الشعرية كتابان «بيوت العشرة»، و«قبول البيّنات»؛ أمّا «بيوت العشرة» فهو مجموعة من معارضات شعره مع شاعر آخر هو ابن نبّاتة، وقد ذكر ابن حجّة فيه خمس قصائد من غرر قصائد ابن نبّاتة، ثم اختار من شعره هو خمس قصائد في معارضتها، وأطلق على القصائد العشر اسم «بيوت العشرة». وأمّا «قبول البيّنات» فهو يختلف عن «بيوت العشرة»، إذ إنّهُ يحتوي على ثلاث قصائد شعرية، إحداها تائية جمال الدين بن نبّاتة، والثانية تائية برهان الدين القيراطيّ، والثالثة تائية ابن حجّة، وكلّ تائية منها معارضة لسابقتها، وحاول ابن حجّة في هذه المعارضة أن يحرز قصب السبق على سابقه، فكان له ذلك بحكم لصديقه ابن حجر العسقلانيّ وحكم آخر لصديقه ابن الجزريّ؛ كما تكلم هذا المصنّف على بقية من نظم «التائيات»^(٤).

(١) وانظر «ابن حجّة شاعرًا وناقداً» ص ٥٩؛ وهدية العارفين ٧٣١/٥.

(٢) خزّانة الأدب وغاية الأرب ١٨٠/٢ - ١٨٩.

(٣) خزّانة الأدب وغاية الأرب، باب «التورية»؛ وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام ص ٣٣؛ وانظر «ابن حجّة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٦٧.

(٤) انظر هدية العارفين ٧٣١/٥؛ و«ابن حجّة شاعرًا وناقداً» ص ٦٨.

د- المختارات العامّة:

ومن أبرز آثاره الشعرية وأنفسها في هذا الباب هو كتابه «تأهيل الغريب»؛ وقد جمع فيه من كلّ روضة زهرة لشعراء قدامى ومعاصرين، وقسمه إلى قسمين: «تأهيل الغريب الشعري»، و«تأهيل الغريب النثري»^(١)؛ وقد عني ابن حجّة في الأول بجمع المتشابه من غريب كلّ فنّ وتأهيله مع بعضه، حتّى أضحي كتابه مجموعة من المختارات الشعرية والنثرية تربطها أحياناً رابطة التشابه، وتدرج تحت عنوان واحد، صنفت في مجموعة من الأبواب؛ وختم الكتاب بمجموعة كبيرة من الأشعار جرت مجرى الأمثال.

أمّا «تأهيل الغريب النثري» فهو تأهيل للغريب في الإنشاء، إذ جمع فيه مجموعة من المراسيم والتقاليد التي أنشأها في ديوان الإنشاء، بالإضافة إلى مجموعة تقاريط قرّظ بها فقهاء عصره كافيته، وبعض شعره، ثمّ أتبعها بفصل في الإجازات الأدبية^(٢). ثمّ يأتي كتابه «بلوغ الأمل من فنّ الزجل»^(٣)، وهو الأثر الثاني من آثاره الزجلية؛ إذ إنّ الأثر الأوّل هو مجموعة أزجاله المنشورة في كتبه المختلفة^(٤).

ج- الآثار البلاغية النقدية:

هذه الآثار تتمثّل في «شرح بديعيته»، و«ثبوت الحجّة على الموصليّ والحليّ لابن حجّة»، و«كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام».

أمّا «شرح بديعيته المسماة بـ «تقديم أبي بكر»» أو «خزانة الأدب وغاية الأرب» فهو، كما يدلّ عليه اسمه، شرح لبديعيّة نظمها في مدح الرسول، (ﷺ)، معارضاً بها بديعيّة عزّ الدين الموصليّ وبديعيّة صفّيّ الدين الحليّ، وبديعيّة العميان، وقد ضمّنها أنواع البديع؛ وشرحه هذا لبديعيته «مجموع أدب قلّ أن يوجد في غيره، ولعلّ مقتنيه

(١) الأعلام ٦٧/٢؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ٧٦-٧٧.

(٢) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٨٠، ٨٢.

(٣) طبع هذا الكتاب محققاً في دار إحياء التراث العربي، سنة ١٩٧٤. (١٥٩ صفحة).

(٤) هدية العارفين ٧٣١/٥؛ وانظر «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٨٢، ٩٤.

يستغني عن غيره من الكتب الأدبية»^(١)، لما فيه من ثقافة ابن حجة البلاغية والأدبية المتنوعة، حتى يمكن القول: إنه كتاب بلاغة وأدب ونقد وطرائف ونوادر وشعر ونثر. وسيأتي الكلام مفصلاً على «شرح بديعته» هذا في قسم الدراسة، بعد الحديث عن البديع والبديعيات.

أما الأثر الثاني من آثاره البلاغية النقدية، فهو «ثبوت الحجّة على الموصليّ والحلّيّ لابن حجة»^(٢): وهو كتاب مختصر لـ «شرح البديعية»، جمع فيه ابن حجة أبيات البديعيات الثلاث، وعرف كل نوع من الأنواع البديعية؛ وكان رائده المقارنة بين هذه البديعيات للوصول إلى نتيجة تدلّ على حسن صنيعه، وتفوّقه على عميدَي فنّ البديعيات آنذاك الحلّيّ والموصليّ؛ ولا سيّما بعد أن راح معاصروه يرمونه بالسرقة والاتباع والتطفّل على موائد أصحاب البديعيات الذين جاؤوا قبله، فأخذوا ينعتون كتابه بـ «تأخير أبي بكر»^(٣).

أما ثالث هذه الكتب البلاغية النقدية فهو كتابه «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام»^(٤)، الذي يعتبر نسخة مطابقة لما جاء عن «التورية» في «شرح البديعية»، وقد ألفه ابن حجة معارضاً به مصنّف الصفديّ المسمّى بـ «فضّ الختام عن التورية والاستخدام»، فتكلّم فيه على أنواع التورية وأقسامها وشواهداها، وأصحابها، معرضاً بـ «الجناس» وأصحابه معتبراً إياه من أنواع الفراغ، ومرجحاً «التورية» عليه، كما لمّح إلى ظاهرة طريفة، وهي علاقة التورية بمهنة هؤلاء الشعراء الذين استغلّوا مهنتهم في سبيل التورية والاستخدام، أمثال أبي الحسين الجزار، والسراج الورّاق، وشمس

(١) انظر الصفحة الأولى قبل العنوان في النسخة «ك» من مخطوطة «شرح تقديم أبي بكر»؛ وكشف الظنون ١/٢٣٣.

(٢) انظر هدية العارفين ٥/٧٣١.

(٣) كان ابن حجة قد سمّى بديعته «تقديم أبي بكر» وشرحها، فسّمى شرحها «شرح تقديم أبي بكر»، أو «خزانة الأدب وغاية الأرب»، أو «شرح بديعية ابن حجة»... وسيأتي الكلام مفصلاً على ذلك أثناء الكلام على خزانته.

(٤) هدية العارفين ٥/٧٣١؛ والأعلام ٢/٦٧؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٧٧. وقد طبع هذا الكتاب في المطبعة الإنسية في بيروت، سنة ١٨٩٥م، وفي مطبعة الجوائب سنة ١٨٨٠م.

الدين المزيّن، ويحيى الخبّاز الحمويّ، ونصير الدين الحمّامي. ثمّ أنهى كتابه هذا بتعريف الاستخدام تعريفاً سريعاً وقد رفعه فوق مرتبة التورية في البديع.

د- آثاره المفقودة: (١)

ذكر بعض المترجمين لابن حجّة جملة من مصنفاته وآثاره ما زالت مفقودة، لعلّ يد الدهر عبثت بها فغيبتها عن الأنظار، وهي عشرة، بعضها في التاريخ، وأكثرها في الأدب عامة والشعر خاصّة.

فما كان منها في التاريخ فهو «السيرة الشيعيّة»، ولعلّ هذا الكتاب يشتمل على الأحداث السياسيّة والتاريخيّة التي أسهم فيها بل رسم خطوطها الملك المؤيد «شيخ المحموديّ» الذي عاش ابن حجّة في كنفه.

وأما ما كان منها في الأدب فهو الكتب التالية:

- «رفع الالتباس عن بديع الاقتباس»: ولعلّ هذا المؤلّف هو الرابع من آثاره البلاغيّة، وقد ذكره في باب «الاقتباس» من خزائنه.

- «لزقة البيطار في عقر ابن البيطار»: وهو من شعره الهجائيّ، الذي قاله في ابن العطار الذي ألف في هجاء ابن حجّة كتاباً سمّاه «حوائج العطار في عقر الحمار».

- «بروق الغيث على الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم»^(٢): وهو مؤلّف تحدّث به ابن حجّة كتاب الصفديّ «الغيث المسجّم في شرح لامية العجم» لما وجده من نقص وأخطاء.

- «حديقة زهير»^(٣): ولعلّ هذا المؤلّف مجموعة مختارات من شعر بهاء الدين زهير، اختاره ابن حجّة على نسق مختاراته من دواوين معاصريه من الشعراء، ك«تحرير القيراطيّ»، و«زاوية شيخ الشيوخ»، و«تغريد الصادح».

- «بياض النبات» و«قطر النباتين»: وهما مؤلّفان لابن حجّة، لعلّ الأوّل منهما

(١) وانظر «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٨٥-٨٧.

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٧٦؛ وهدية العارفين ٥/٧٣١. والغريب أن عصام شعيتو أشار إلى أن هذا الكتاب مطبوع دون أي معلومات أخرى عنه.

(٣) الأعلام ٢/٦٧.

مجموعة مختارات من أجود شعر ابن نباتة، على نسق «تحرير القيراطي»؛ ولعلّ الثاني منهما مجموعة قصائد مختارة من شعر ابن نباتة وشعر ابن حجة نفسه.

- «ناصح قلاقس»: ولعلّ هذا المؤلف أيضاً مختارات من شعر ابن قلاقس، صنّفه ابن حجة على عادته في الاختيار من دواوين شعراء العصر.

- «لطائف التلطيف»: لعلّ ابن حجة حاكي بهذا المؤلف كتاب الأبشيهي «المستطرف في كل فنّ مستظرف»، فوضع فيه مجموعة من الطرائف والقصص القصيرة والحكايات اللطيفة، والنكت والفكاهات ومختارات شعرية ونثرية... وقد يكون شبيهاً بكتابه «أزهار الأنوار» أو بـ «ثمرات الأوراق في المحاضرات».

- «الفواكه الجنية في نوادر الملوك والأبيات الأدبية»^(١): ولعلّ هذا المؤلف وضع على نسق سابقه، كما يدلّ عليه اسمه.

٣- كتابه المسمّى بـ «خزانة الأدب وغاية الأرب»:

أولاً: الكتاب:

أ- توثيق اسم الكتاب:

اسم الكتاب الكامل هو: «خزانة الأدب وغاية الأرب»، أو «شرح تقديم أبي بكر»، أو «شرح بديعة أبي بكر»، أو «شرح البديعية المسماة»، بـ «تقديم أبي بكر»، وقد اختلفت النسخ المخطوطة والمطبوعة في هذه التسميات، حتى إنّ بعضهم أخطأ في الاستدلال على الاسم الحقيقي لها.

يقول محمود الربدائي في كتابه «ابن حجة الحمويّ شاعرًا وناقدًا»^(٢): «اسم الكتاب الحقيقيّ «تقديم أبي بكر»، وقد نصّ المؤلف^(٣) على هذه التسمية مرتين في أول الكتاب... وفي كلّ مرّة يقول: «وسمّيته تقديم أبي بكر»^(٤)؛ وهذه التسمية هي

(١) هدية العارفين ٧٣١/٥.

(٢) كتابه ص ١٩٣.

(٣) يعني به ابن حجة الحمويّ.

(٤) خزانة الأدب وغاية الأرب ٣٠٥/١،

٣٤٩؛ والعجيب في الأمر هنا أن هذه

التي اعتمدها كلّ الذين ترجموا له وتحدّثوا عن آثاره منذ القرن التاسع الهجريّ حتى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وكلّ مخطوطات هذا المصنّف التي وجدناها أو سمعنا بها. . . تحمل اسم «تقديم أبي بكر»، ولكننا عندما التقينا بأوّل نسخة مطبوعة للكتاب، وجدناها تحمل اسم «خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحمويّ»، وهي النسخة التي طبعت في بولاق سنة ١٢٧٣هـ. ، وقد استغرَبنا هذه التسمية اللصيقة بالكتاب، ثم سارت كلّ النسخ التي طبعت فيما بعد على هذه التسمية فطبعت أيضًا ببولاق سنة ١٢٩١هـ. باسم «خزانة الأدب وغاية الأرب».

ويقول عمر فروخ في كتابه «تاريخ الأدب العربي»^(١): إنّ ابن حجة الحموي قد صنع «لبديعيّته هذه شرحين: شرحًا موجزًا سمّاه «تقديم أبي بكر»، وشرحًا مطوّلًا هو كتاب «خزانة الأدب وغاية الأرب».

ويقول علي أبو زيد في كتابه «البديعيات في الأدب العربي»^(٢): «تقديم أبي بكر»: وهي البديعية وشرحها. . .»، ثم قال في مكان آخر: إنّ كلتا التسميتين «تقديم أبي بكر» و«خزانة الأدب وغاية الأرب» هما لشرح بديعيّته المطوّل.

ومن خلال البحث تبين أنّ هؤلاء لم يميّزوا بين اسم البديعية المسماة بـ «تقديم أبي بكر»، وشرحها المسمّى بـ «شرح تقديم أبي بكر» أو «شرح البديعيّة» أو «خزانة الأدب وغاية الأرب». كما أخطأوا بالاستدلال على اسم الكتاب سواءً كان ذلك من قول ابن حجة، أو من قول الذين ترجموا له، أو من عناوين النسخ المخطوطة. فقد قال ابن حجة الحمويّ في خطبة كتابه «خزانة الأدب وغاية الأرب» في تسمية بديعيّته: «. . . ورسم لي بنظم قصيدة أطرّز حلّتها ببديع هذا الالتزام. . . فجاءت بديعيّة. . . وسمّيتها «تقديم أبي بكر»»^(٣)؛ كما أنّ جميع من ترجم له اتّفقوا على أنّ القصيدة البديعية هي «تقديم أبي بكر»، وأنّ شرحها هو «خزانة الأدب وغاية الأرب» أو «شرح تقديم أبي بكر»^(٤)؛ ثمّ إنّ

(١) تاريخ الأدب العربي (فروخ) ٨٤٠/٣.

(٢) كتابه ص ٩٣، ٩٥.

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٠٥، ٣٤٩؛ وفي ترجمة ابن حجة لمحمد بن طولون، ص ٢ قبل المتن من النسخة ب، الجزء الأول من الخزانة.

(٤) وانظر معجم أعلام شعراء المدح النبوي ص ٤٨؛ والمدائح النبوية ص ٢٠٨، ٢٢٨؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ٧٧/١. وانظر المصادر الواردة عند ترجمته.

صفحات عناوين المخطوطة بنسخها الخمس تبين بوضوح الأسماء والعناوين التي تداولتها الخزانة، وهي تخالف ما ذهب إليه هؤلاء، ففي صفحة العنوان من الجزء الأول من النسخة «ب» ذي الرقم (٣٥٦١)؛ وفي غلافها ورد: «شرح ابن حجة لبديعته»؛ وفي صفحة العنوان من الجزء الثاني من النسخة «ب» ذي الرقم (٣٥٦٢)؛ ورد: «شرح البديعيات»؛ وفي النسخة «د» ذات الرقم (١٠٥٣) ورد: «كتاب شرح البديعية»؛ وفي النسخة «ك» ذات الرقم (٥٩٧١) ورد «كتاب شرح البديعية المسماة بـ «تقديم أبي بكر»؛ وفي النسخة «و» ذات الرقم (٧٧١٣) ورد «كتاب شرح البديعية»؛ أما في نسخة بولاق المطبوعة سنة ١٢٧٣هـ. والنسخة المعادة سنة ١٢٩١هـ. فقد ورد «خزانة الأدب وغاية الأرب» ثم تبعتها النسخة المطبوعة بشرح عصام شعيتو وغيرها بهذا العنوان.

أما الشرح المختصر للبديعية أو الموجز، الذي أشار إليه عمر فروخ فهو بعنوان «ثبوت الحجّة على الحلّي والموصلّي لابن حجّة» وليس بعنوان «تقديم أبي بكر»؛ وهو بمثابة كتاب مختصر لـ «شرح تقديم أبي بكر».

أما لماذا طغى اسم «خزانة الأدب وغاية الأرب» على غيره من الأسماء، فجاءت به النسخ المطبوعة وأغفلته النسخ المخطوطة، فلعلّ ذلك يعود إلى فقدان هذا الاسم بفقدان إحدى النسخ التابعة لهذا الكتاب التي من المحتمل أن تكون النسخ المطبوعة قد أخذت العنوان عنها.

أما محمود الريدادي فيرى في معرض توثيقه لاسم الكتاب أنّ هذا الاسم اللصيق «خزانة الأدب وغاية الأرب» لم يكن من تسميات ابن حجّة، إذ يقول في كتابه «ابن حجة الحمويّ شاعرًا وناقداً»: «ومن خلال البحث تبين لنا أنّ الذي حوّر اسم الكتاب هو الشيخ نصر الهوريني، فالذي أرجّحه أنه استقل اسم الحقيقيّ «تقديم أبي بكر» وسماه «خزانة الأدب وغاية الأرب»، ودليلنا على ذلك أنّ النسخة الأولى المطبوعة عاصرت الهوريني، إذ طبعت سنة ١٢٧٣هـ. . . قد حملت تعليقات وحواشي بخطّ الشيخ نصر الهوريني نفسه، ففي الصفحة ٥٧٠^(١) منها كتب الحاشية التالية: «يقول الفقير نصر أبو الوفا الهوريني: قابلت هذه الخزانة المطبوعة على نسخة مكتوبة. . . ولدى التحقيق منها وجدت [أنّها] تحمل اسم «تقديم أبي بكر»؛ وعلى هذا يكون

(١) يقصد بهذه الصفحة الأخيرة من طبعة بولاق.

مبتدع التسمية هو الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني، وربّما شاركه في الابتداع المشرفون على مطبعة بولاق آنذاك، وأخصّ منهم بالذكر «إبراهيم عبد الغفّار» الذي وصف نفسه في الصفحة ٥٧٠ من هذه النسخة المطبوعة بأنّه «محرّر مبانيها، ومهدّب مجانيها»، وقال بعد قليل: «وقد بذلت الجهد في تنميقها، والتحرّي في ميدان تحقيقها»؛ ثم أزم نفسه بنظم قصيدة ختم بها هذا التقديم، وأرّخ لسنة طبعه، وذكر اسم «خزانة الأدب» في هذه القصيدة مرّتين، فقال [من الرجز]:

أَبْدَرَ تَمَّ زان حَسَنًا أَوْجَهُ فسرَّ لکن ما أراه أَوْجَهُ...
 أم جَنَّة تَبَسَّمت أزهارها أم هذه «خزانة ابن حجّة»...
 قال لسان حالها مؤرِّخًا: «هي المنى «خزانة ابن حجّة»»^(١)...

.. سنة ١٢٧٣

ولو افترضنا أنّ «إبراهيم عبد الغفّار» هو الذي ابتدع هذا الاسم «خزانة الأدب» للتسهيل، أو كان من جملة «تنسيقاته» كما قال فيها، فمن حقّ الشيخ الهوريني أن يشير إلى هذه التسمية اللصيقة من جملة حواشيه على المطبوعة، وخاصة أنّ الإشارة تتعلّق بعنوان المصنّف، وهو أبرز شيء فيه، وله من الإشارات ما هو تافه، وسكوته عن تصحيح العنوان المبتدع، رغم مقابلته لها على نسخة لا تحمل اسم «خزانة الأدب»، يجعل تهمة ابتداع هذه التسمية تلاحقه وتقترب منه لتلتصق به أكثر من التصاقها بإبراهيم عبد الغفّار - غفر الله له وللشيخ نصر على هذا الصنيع^(٢).

ولعلّ سكوت الشيخ نصر الهوريني عن تصحيح العنوان، وتصريح إبراهيم عبد الغفّار باسم «خزانة الأدب» مرّتين في أرجوزته يرجحان أن يكون هذا العنوان من العناوين المفقودة بفقدان النسخ التابعة لهذا الكتاب والتي من الممكن أن يكون قد اطلع عليها كلّ منهما، كما أنّ هذا الاسم «خزانة الأدب وغاية الأرب» ليس ببعيد عن تسميات ابن حجّة لكتبه، إذ عُرفت عنه أمثال هذه السجعات في تسمية كتبه، مثل: «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام»، و«بلوغ المرام من سيرة ابن هشام والروض الأنف والأعلام»، و«بلوغ المرام من الحيوان والنبات والجماد»، و«بلوغ الأمل في فنّ

(١) انظر الأرجوزة كاملة في حاشية الصفحة الأخيرة من «خزانة الأدب وغاية الأرب».

(٢) «ابن حجّة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ١٩٣-١٩٤.

الزجل»، و«الثمرات الشهية من الفواكه الحموية والزوائد المصرية»^(١).

وبناءً على ذلك يكون «تقديم أبي بكر» اسمًا للبديعية، و«شرح تقديم أبي بكر» أو «شرح البديعية» أو «خزانة الأدب وغاية الأرب» اسمًا لشرحها، وقد أثرت الإبقاء على العنوان الأخير، باعتباره أكثر انتشارًا وشيوعًا، ولا سيما بعد أن صدرت طبعتان بهذا العنوان.

وما لا شك فيه أن هذا الكتاب من تأليف ابن حجة نفسه، ويبدو ذلك في صفحات عناوين النسخ المخطوطة والمطبوعة، ومقدمة كتابه ومضمونه، وخاتمته، وتراجم المعاصرين والمحدثين له... وقد سمى ابن حجة بديعيته «تقديم أبي بكر» ليبين فكرة تقدمه على عميد نظام البديعيات، في ذلك العصر، صفي الدين الحلبي وعز الدين الموصلبي، وقد أشار إلى ذلك في آخر الخطبة من هذا الكتاب بقوله: «فاستخار الله مولانا المقرّر الناصري... ورسوم لي بنظم قصيدة أطرز حلتها ببديع هذا الالتزام، وأجاري الحلبي برقة السحر الحلال... فيحكم لي بالسبق... فجاءت بديعية هدمت بها ما نحتة الموصلبي في بيوته من الجبال... وسميتها «تقديم أبي بكر» علمًا أنه لا يسمع من الحلبي والموصلبي في هذا «التقديم» مقال»^(٢).

وبناءً على هذا يكون اسم البديعية «تقديم أبي بكر» نسبة إلى اسمه، ويكون اسم هذا الكتاب الضخم الذي شرحها فيه «شرح تقديم أبي بكر» الذي يعتبر بالفعل خزانة للأدب وغاية للأرب. إلا أن ابن حجة ما إن أنجز هذا «التقديم» و«شرحه» حتى انبرى له الحساد من أدباء عصره وسلقوه بألسنة حداد، واتهموه بالسرقه والاتباع والتطفل على موائد أصحاب البديعيات الذين جاؤوا قبله، فأخذوا ينعنون «تقديمه» ب «تأخير أبي بكر»، فعمد إلى رفع التهمة عنه بتأليف كتاب آخر يثبت فيه فكرة تقدمه ب «تقديمه» على الحلبي والموصلبي، فكان هذا المصنف هو «ثبوت الحجّة على الموصلبي والحلي لابن حجة» الذي يعتبر شرحًا مختصرًا لبديعيته المسماة ب «تقديم أبي بكر»؛ وقد سماه بعض المتأخرين «الشرح الصغير»^(٣).

(١) وانظر معجم شعراء المدح النبوي ص ٤٨؛ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص ٢٢٥؛

وعلم البديع (عبد العزيز عتيق) ص ٦٥.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٠٥، ٣٥٠.

(٣) وانظر «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقداً» ص ٢٠٤، ٢٠٦.

ب- موضوع الكتاب ومصادره:

إنَّ «خزانة الأدب وغاية الأرب» أو «شرح تقديم أبي بكر» هو كتاب بلاغة بشكل عام وكتاب بديع بشكل خاص، لتضمّنه «البديعية» لابن حجة و«شرحها»، وما اقتضاه هذا الشرح من تعريفات بلاغية وحدود، رجع ابن حجة فيها إلى ما يزيد على مئة مصنّف في البلاغة وغيرها، ذكرها في ثنايا شرحه^(١)، فيسمّيها ويسمّي مؤلّفها تارةً، ويكتفي باسمها أو باسم مصنّفها تارةً أخرى، وكان ينقل منها بعض المناقشات البلاغية التي كانت تدور بين البلاغيين حول نقطة ما، وبعض الحدود البلاغية، ثم يعمد إلى مقارنة هذه الحدود للنوع البديعيّ ببعضها، ويرجع إلى ما ذكره أصحاب البديعيات قبله، ثم يستخلص لنفسه رأياً في تعريف الأنواع البديعية.

ولم تكن «الخزانة» مقتصرة على البلاغة وتعريفات الأنواع البلاغية وتسميتها، بل كانت خزانة أدب تزخر بكلّ ما ألمّت به ثقافة ابن حجة من ضروب وألوان، فالمطلع على هذا «الشرح» يجد نفسه منتقلاً بين الأدب والبلاغة والنقد والطفرة والتراجم، . . . حتى صدقت فيه شهادة ابن حجر العسقلانيّ بقوله: «هو مجموع أدب قلّ أن يوجد في غيره، ولعلّ مقتنيه يستغني عن غيره من الكتب الأدبية، ولو لم يكن له فيه إلا جودة الشواهد لكلّ نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادر العصرين للضرب بها على غير أهلها، فإنّ مالكة مرتفع عنه كلفة العارية . . .»^(٢).

وقد بُنيت هذه «الخزانة» في موضوعها على أسس تتمثّل في ذكرها للنوع البديعيّ، وبيت البديعية، وشواهد من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، وشواهد شعرية من مختلف العصور الأدبية، وأخرى نثرية، ولمحات نقدية، وفنون مختلفة، بالإضافة إلى ذكر أبيات البديعيات المعارضة.

ج- الدوافع والأهداف لوضع هذا الكتاب:

لا مجال هنا لذكر الدوافع والأهداف التي حدّت بابن حجة لنظم بديعيّته «تقديم

(١) سيأتي الكلام على هذه البديعية وشرحها (٣) هذه الشهادة مأخوذة من الصفحة الأولى في مكانها من قسم الدراسة.

قبل العنوان في النسخة «ك» ذات الرقم

(٥٩٧١).

(٢) وانظر فهرس الكتب الواردة في المتن.

أبي بكر»، إذ ستأتي في مكانها من قسم الدراسة، إلا أنه لا بدّ من ذكر بعض الدوافع والأهداف التي حدّت به إلى وضع هذا الشرح الضخم لبديعيته، فقد سعى كغيره من شُراح البديعيّات إلى شرح بديعيته مدفوعاً بعدة دوافع منها:

أحدها: أن يجري على عادة الأغلبية وستة الشعراء لتوضيح الأنواع البلاغيّة المقصودة في بديعيته.

وثانيها: مجاراة المشهورين في عرض ما يحملونه من ضروب الأدب وفنونه، لما يَزخر به صدره من ثقافة واسعة ومعارف متنوّعة ومخزون ثقافيّ وأدبيّ، وهذا ما دفعه إلى الإكثار من الشواهد والاستفاضة في الشرح رغبةً في التفريع والتقسيم والتنويع.

وثالثها: الرغبة في التآليف البلاغيّ والبديعيّ في عصر غلبت على كتاباته ظاهرة التصنيف والتأليف؛ والتسابق في وضع الشروح، لتكون مجالاً لاستيعاب ما عجزت عن استيعابه البديعية الملتزمة بالقافية والبحر، ولا سيّما إذا توقّرت الشاعرية إلى جانب التأليف.

ورابعها: السعي إلى الشهرة، والرغبة في المعارضة، وإظهار البراعة في استبعاد بعض الآراء وتقريب بعضها الآخر، وحبّ الظهور والتكثّر والتقدّم والتفوق، وهذه من صفات شخصية ابن حجّة. وقد يعود ذلك لمهنته ككاتب في ديوان الإنشاء، وما تتطلبه هذه المهنة من براعة في تملّك ناصية الإنشاء والتعبير بالاطلاع على البديع، ليتمكن الكاتب من حسن التصرف بالألفاظ، إذ إنّ سمة العصر هي العناية بالألفاظ أكثر من العناية بالمعاني، فهدف إلى أن يكون في شرحه هذا فائدة تفيد الكاتب والمنشئ في صنعته. ولعلّ رغبة المقرّ الأشرف محمد بن البارزيّ في معارضة ابن حجّة ببديعيته لعزّ الدين الموصلّي وصفي الدين الحلّي هي نفسها التي دفعته إلى شرح هذه البديعيّة لتكون فائدتها أكبر ونفعها أعمّ^(١).

د- منهج ابن حجّة في تأليف هذا الكتاب وشرحه:

لقد جمع ابن حجّة في بديعيته التي شرحها محاسن بديعيّة الحلّي بما فيها من رقة السحر الحلال، ومحاسن فكرة الموصلّي بالتزام ذكر اسم النوع، محاولاً استبعاد كل

(١) انظر خطبة خزانة الأدب وغاية الأرب ١/ ٣٠٤ - ٣٠٦.

المآخذ التي أخذت عليهما متبعا في شرحه المنهج العلمي الذي يعتمد على أداء الحقائق والدقة في البحث والاستقصاء والإفادة، والمنهج الأدبي الذي جلّ غايته التأثير والتذوق، فكان يعمد إلى نظم البيت البديعيّ أولاً ثم إلى ذكر النوع البديعيّ الذي ضمّنه، فيعرّفه، ويناقش تعاريف السابقين له، ويغيّر اسمه إن لم يرق له أو يلغيه، أو يفرّع نوعاً منه، أو يضمّه إلى فرع آخر، أو يضع لذلك الفرع اسماً يحدّده، أو يفرّق بين أنواع تشابهت، ويعمل على إثبات ذلك بأسلوب أدبيّ يثير الانفعالات وينشط الأذهان، وذلك بعرض الحقائق كما أدركها، فكان أسلوبه جامعاً بين الإفادة والتأثير بالعبارة العلميّة الأدبيّة التي توقفتنا على مواطن الجمال في النصّ أو حقائق علميّة فيه .

وقد اتّجه ابن حجّة في منهجه اتجاهين: اتّجأها علمياً منطقياً كلامياً، وآخر أدبياً وجدانياً؛ فأخذ من الاتجاه العلميّ تحديد الأنواع البلاغيّة والبديعية وتعريفاتها من غير مبالغة، وفرض الأسئلة العقلية واستنتاج النتائج المنطقية، كما أخذ من الاتجاه الأدبيّ والوجدانيّ الإكثار من الشواهد القرآنيّة وشواهد الحديث الشريف، والشواهد الشعريّة والنثرية، ونقدها وتحليلها تحليلاً تطبيقياً يهدّب الذوق وينمي العاطفة، ويرهف الحسّ؛ وكانت هذه الشواهد تتبع في «شرح» التعريف بالنوع البديعيّ مباشرةً.

ولعلّ أهم ما يميّز منهجه في شرح بديعيّته هو الإكثار من الشواهد من مختلف العصور الأدبية، فهو بعد أن يشرح النوع البديعيّ ويتناول شواهد عليه من القرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر القديم وشعر المولّدين، يقف وقفة طويلة عند شعر المتأخّرين من معاصريه، ويحشد لهم ولنفسه نماذج كثيرة من الشعر والنثر، بل يتجاوز ذلك ليستشهد بالزجل والدوبيت والمواليا؛ إلّا أنه كان في استشهاده ببعض أدب معاصريه يميل إلى التزلّف والتملق لبعض الشخصيات البارزة في زمانه، كما فعل في استشهاده ببعض المواليا التي نظمها زين الدين بن العجمي^(١). وقد أدّت كثرة الشواهد في «شرح» إلى أن يظهر ضخماً، فقد كان ابن حجّة، على سبيل المثال، يستشهد بالبيت أو البيتين على ظاهرة أو نوع بديعيّ، ثم يُتبع ذلك بقوله: «وأعجبني من هذه القصيدة قوله كذا...»، فيورد عدة أبيات، وتذكّره هذه الأبيات

(١) خزنة الأدب وغاية الأرب ٤٣٦/١.

بقصيدة أخرى فيذكرها أو يذكر بعضها، ولعلّ كثرة شواهد البلاغة في هذا العصر سمة غالبية لكثرة المشتغلين بالبلاغة الذين فتحوا باب الاستشهاد البلاغيّ على مصراعيه، كما أنّ المتأخّرين في عصر ابن حجّة وقبله بقرون قد أسرفوا إسرافاً كبيراً في البديع، ما جعل شعرهم مرتعاً خصباً للشواهد البديعية عند النقاد والبلاغيين، ولا نسنّ أنّ حبّ الإكثار والتدليل على سعة الثقافة لدى ابن حجّة وعامل الذوق عنده ساهم إلى حدّ كبير في الإكثار من الشواهد في شرحه، هذا عدا رغبته في التفرّيع والتقسيم والتنويع.

ثمّ إنّ المعارضة هي السمة الأبرز في منهجه، إذ كثيراً ما كان يبقي على أنواع بديعية من أجل المعارضة، كان يأنف من الاستفاضة في شرحها.

وقد اتبع ابن حجّة في ترتيب أنواع البديع المنهج نفسه الذي اتّبعه الحلّي، فبدأ بذكر «براعة الاستهلال»، ثمّ أتبعها بذكر «الجناس» وأنواعه إلى أن وصل في آخر بديعيّته وشرحها إلى ذكر «حسن الختام»؛ وكان إذا أراد نظم النوع البديعيّ وشرّحه رجع في الشرح إلى العديد من كتب البلاغة، وإلى ما ذكره أصحاب البديعيات، ثمّ يستخلص لنفسه رأياً في تعريف كل نوع، مشيراً إلى مخترعه أو السابق إلى معرفته أحياناً، وذلك بأسلوب الناقد البلاغيّ الذي يذكر الأنواع ويعرّفها ويعرّج عليها بالنقد؛ فكثيراً ما تتخلّل شرحه هذا لمحات نقدية وفنون مختلفة، قبل أن ينهي الشرح لكلّ نوع بالكلام على أبيات البديعيات المعارضة.

هـ- قيمته العلميّة:

تكمن قيمة هذا الكتاب في مضمونه وموضوعه، إذ حوى البديعية وشرحها، وثلاث بديعيات أخرى قام ابن حجّة بمعارضتها ودراستها وشرحها، وما اقتضاه هذا الشرح من تعريفات وحدود لأنواع البديع، التي بلغت عنده مئة وسبعة وأربعين نوعاً بديعياً، رجع ابن حجّة فيها إلى ما يزيد على مئة كتاب كان قد ذكرها في ثنايا خزانته، وقد نقل منها بعض الحدود البلاغية والمناقشات الطريفة والمفيدة التي كانت تدور بين البلاغيين آنذاك، بالإضافة إلى ما أودعه من ثقافته الواسعة التي جمعت إلى البلاغة والأدب وفنون الإنشاء، النقد والطرقة والخبر، وما حفظه من آراء بعض النقاد والبلاغيين الذين ضاعت كتبهم مع الزمن، وما نقله من آثار بعض الأدباء الذين فقدت كتاباتهم مع ما فقد من التراث العربيّ آنذاك، فكان هذا الكتاب مصدراً مهماً

لهؤلاء وهؤلاء. وفي «شرح بديعته» من الفوائد اللغوية والأدبية والبلاغية والنحوية والتاريخية وغيرها، فنون أكثرها من المستملح المستطرف المستطاب.

وقال محمود رزق سليم في هذا «الشرح»: «وما عليك إلا أن تجمع تعريفاته البلاغية ومعها المثل أو المثالن، ثم تنحيهما جانباً عن بقية «الخزانة» لتبدو لك بقيتها مسرحاً وضيئاً متألقاً مليئاً بجولات الأديب الذي فاضت صورته بالأدب اللباب، وسنح خاطره بالنقدات العذاب، وفيها ما فيها من حسن اختيار وسهولة عرض ودقة تتابع وجمع للمتفرق المتقارب»^(١). ولهذا يفيد أن ابن حجة في خزائنه لم يتخذ من البديع والبلاغة إلا مطية يتوسل بها التحليق على أجنحتها فيسير في رياض حوت من كل فن لونهاً ومن كل لون زهرة ومن كل زهرة شذاً.

وقد تمثلت قيمة هذه «الخزانة» بما حوته من أنواع البديع والبلاغة، وبكثرة الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وبغزارة الشواهد من الشعر من مختلف العصور الأدبية، وشواهد النثر، وشروحها، واللمحات والمناقشات النقدية، والكثير من الأمثال العربية، والتراجم والأخبار، وفنون مختلفة أخرى، بالإضافة إلى البديعيات الثلاث التي عارضها وشرحها. ولعل هذه الخزانة من أوائل الكتب التي فتحت مجالاً أمام شراح البديعيات بأن يضمّنوا شروحهم بديعيات أخرى كادت تكون مفقودة لولا ذكرها في هذه الشروح. ولعل أوجز قول في قيمة هذا الكتاب ما كتبه معاصر ابن حجة، أحمد بن حجر العسقلاني، في الصفحة الأولى قبل العنوان في النسخة «ك» ذات الرقم (٥٩٧١): «هو مجموع أدب قل أن يوجد في غيره، ولعل مقتنيه يستغني عن غيره من الكتب الأدبية، ولو لم يكن له فيه إلا جودة الشواهد لكل نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادير العصريين، للضرب بها على غير أهلها، فإن مالكة مرتفع عنه كلفة العارية، وهذا وحده مقصود لكل حاذق منصف».

كما أن قيمة هذا «الشرح» مرتبطة بقيمة البديعية التي شرحها، وبما حوته من أنواع البديع والبلاغة، وأسلوب النظم والتورية باسم النوع، وبأثرها الذي تركته في الأدب والنقد والبلاغة والمؤلفات المنبثقة عنها^(٢)؛ وفي ذلك «قال البدر البشتكي في

(١) عصر سلاطين المماليك ١٦٥/٦.

(٢) سيأتي الكلام على أثر هذه البديعية وقيمتها في مكانه من قسم الدراسة.

ابن حجة: نظم ابن حجة في البديع قصيدة غنيّة عن «التلخيص» و«الإيضاح»، و...»^(١). إلا أن شرح ابن حجة لبديعته كان أهم من البديعية نفسها، إذ إنّه جعله شرحاً مطوّلاً، حوّله فعلاً إلى «خزانة أدب» أودعها كثيراً من علمه ومعرفته ونوادره وطرائفه، والمساجلات الأدبية التي نشأت في عصره، والتي كان لها أكبر الأثر في تحريك عجلة النقد الأدبي الفتي،... فغدت خزائنه موسوعة تجمع بين اللغة والأدب والبلاغة والنقد والشعر والنثر والتاريخ والتراجم... حتى ليتمكن اعتبارها أيضاً مرجعاً خاصاً لشعراء العصرين الأيوبي والمملوكي زيادةً على كونها مرجعاً عاماً لا غنى عنه لطلبة العلم في مختلف الدراسات الأدبية والبلاغية والنقدية.

و- تاريخ تأليف «خزانة الأدب وغاية الأرب»:

جاء في آخر النسخ المخطوطة «د، ك، و» أنّ المصنّف قال: كان الفراغ من هذا المصنّف المبارك في شهر ذي القعدة الحرام سنة ستّ وعشرين وثمانمئة. وجاء في النسخة المطبوعة «ط» أنّ المصنّف قال: فرغت من تأليف هذا الكتاب في شهر ذي الحجة الحرام سنة ستّ وعشرين وثمانمئة. وفي كل الأحوال لقد أجمعت هذه النسخ المخطوطة للخزانة وغيرها من كتب التراجم على أنّ الانتهاء من تأليف هذا الكتاب كان في سنة ستّ وعشرين وثمانمئة للهجرة، أي قبل وفاة ابن حجة بإحدى عشرة سنة تقريباً، إلا أنّه لم يُعلم بالضبط متى بدأ ابن حجة بتأليف هذا الكتاب بل صرّح في كتاب «تأهيل الغريب النثري»^(٢) في إجازة لصدر الدين محمد بن هبة الله البارزي أن يروي تصانيفه الأدبية، ومن ضمنها «البديعية»، و«شرحها»، رغم الفارق الزمني بين الانتهاء من تأليفه الكتاب ووفاته.

ثانياً: المخطوطة:

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على أربع نسخ خطية، حصلت عليها مصوّرةً، ثلاث منها في مكتبة الظاهرية بدمشق^(٣)، والرابعة في مكتبة الأوقاف الشرفية

(١) هذا القول ورد في صفحة العنوان من النسخة «د».

(٢) «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ٨٠-٨١.

(٣) وهي ذوات الأرقام: (٣٥٦٢-٣٥٦١)، و(٥٩٧١)، و(٧٧١٣).

الإسلامية في حلب، وهي وقف مدرسة الأحمدية بمدينة حلب^(١)، وقد نُقلت جميعها إلى مكتبة الأسد بدمشق^(٢)؛ كما استعُنتُ بالنسخة المطبوعة ببولاق سنة ١٢٧٣هـ.، والنسخة المعادة سنة ١٢٩١هـ.^(٣)

والمخطوطة تقسم إلى جزءين: الجزء الأول يشمل الخطبة وأنواع البديع ابتداءً من باب «حسن الابتداء وبراعة الاستهلال» إلى باب «التوجيه» ضمناً، حيث جاءت هذه العبارة: «هذا آخر الجزء الأوّل من نسخة المصنّف أعذب الله موارد آدابه»؛ والجزء الثاني يشمل الأنواع الباقية ابتداءً من باب «عتاب المرء نفسه» إلى باب «حسن الختام» ضمناً، وقد جُمع الجزءان في بعضها في مجلّد واحدٍ، دون الإشارة إلى نهاية الجزء الأوّل.

أ- أوصاف النسخ:

١- النسخة الأولى ذات الرقم (٥٩٧١)، وقد رمزت إليها بالحرف «ك»:

لقد اعتبرت هذه النسخة الأمّ لكونها الأقدم، وقد قوبلت بالأصل^(٤)، وهي الأقرب في النسخ من زمن التّأليف، إذ صنّف ابن حجّة كتابه سنة ٨٢٦هـ.؛ وكان الانتهاء من نسخ هذه النسخة سنة ٨٤٨هـ.؛ والانتهاء من مقابلتها بالأصل سنة ٨٥٤هـ.^(٥) ثمّ مرّت هذه النسخة بمقابلات عدّة وقد أشير إلى ذلك في هوامشها؛ فجاء في الورقة ٤ب: «بلغ مقابلةً بحمد الله في روضة قابونيّة في جمادى الآخرة سنة ١٣٢٠هـ.»؛ وفي الورقة ٦ب: «بلغ مقابلةً، والله الحمد والمثّة، وبلغ مقابلةً أيضاً بحمده تعالى وعونه في قصر بني البكريّ، وفقهم الله ورضي عن جدّهم وسلالته المباركة، وقد أديرت علينا قهوتهم البكريّة وسلافتهم السكّريّة، وذلك في قرية القابونيّة المحروسة، يوم الجمعة في جمادى الآخرة سنة ١٣٣٠هـ.»؛ وفي الورقة

(١) وهي ذات الرقم (١٠٥٣).

(٢) وقد حصلت على الجزء الثاني من النسخة «ب» مصوّراً عن ميكروفيلم من مكتبة الأسد.

(٣) وقد استأنستُ بالنسخة المطبوعة في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٤هـ.؛ وبالنسخة المطبوعة بشرح عصام شعيتو، في دار ومكتبة الهلال ببيروت سنة ١٩٨٧م.

(٤) ولعل العبارة التي وردت فيها بعد انتهاء باب «التوجيه»: «هذا آخر الجزء الأوّل من نسخة المصنّف...» دليلٌ كافٍ على أنها نقلت وقوبلت بالنسخة التي وضعها المؤلّف.

(٥) انظر الصفحة الأخيرة المرفقة من النسخة «ك».

٦٨ب: «بلغ مقابلة من جزء مكتتب بخط شمس الدين محمد النواجي»^(١).

وفي الورقة الأخيرة: «بلغ مقابله بالأصل المنقول منه، والله الحمد والمّنة، والحمد لله وحده، وما رأيت على حاشيته وليس عليه «صح» فاعلم أنه من غير هذا الكتاب، وما رأيت عليه «صح» فاعلم أنّه منه، وكان ذلك في العشرين [من] شهر ذي قعدة الحرام سنة أربع وخمسين وثمانمئة، على يد كاتبه، غفر الله له ولوالده ولجميع المسلمين، آمين». كما أنّ في هذه النسخة أكثر من خمسين ورقة قد أشير في هوامشها إلى أنّ هذه النسخة قد قوبلت بالأصل.

وفي متن الورقة ١٧٥: «هذا آخر الجزء الأوّل من نسخة المصتف، أعذب الله موارد آدابه»، وهذا يدلّ على أنّها منسوخة أو منقولة عن النسخة التي وضعها المؤلّف، وقد عاد ناسخها إليها فقابلها بالأصل المنقولة منه. أمّا الناسخ فهو كاتبها كما ورد في آخرها: «علي بن الجناب المرحوم السيّديّ سودون بن عبد الله الإبراهيمي الحنفيّ».

وأما مَنْ طالع هذه النسخة فهو محمد بن محمد بن أحمد المصريّ الشافعيّ، فقد جاء في صفحة العنوان منها: «طالعه واستفاد منه داعيًا لمالكة بأن يقلّده باب السعادة في المراتب، وبلغه ما يؤمّله ويرجّيه من المآرب، بمحمّد وآله وصحبه، ورحم الله تعالى مؤلّفه آمين. قاله محمد بن محمد بن أحمد المصريّ الشافعيّ، عفا الله عنه، وغفر له وللمسلمين جميعًا». وقد ورد تعليق يؤيد ذلك في هامش الورقة ١٤ب، مختومًا بالعبارة التالية: «... قاله محمد بن محمد المصريّ الشافعيّ». وفي صفحة العنوان نفسها مطالعات أخرى^(٢) غير واضحة. وما يدلّ على جدارة هذه النسخة بتقدّمها على ما يليها من النسخ أنّها منقولة عن النسخة التي قرّظها معاصر ابن حجة، شيخ الإسلام، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانيّ، ففي الورقة الأولى منها، قبل صفحة العنوان، كتب الناسخ:

(١) محمد النواجيّ هو تلميذ ابن حجة، وكان من أخلص تلاميذه قبل أن يتحامل عليه. ولعل هذا الجزء المكتتب بخطه هو الأصل الذي نقلت عنه هذه النسخة، أو أن هذه النسخة قد قوبلت بنسخة المصتف قبل أن تقابل بنسخة تلميذه.

(٢) انظر صفحة العنوان من هذه النسخة.

«الحمد لله... ورأيت على ظهر النسخة التي كتبتُ منها هذه النسخة خطَّ شيخنا وسيّدنا الإمام العالم العلامة حافظ العصر وحيد الدهر أبي الفضل شهاب الدين بن حجر الشافعيّ ناظر الأحكام الشرعية بالديار المصريّة والممالك الإسلاميّة، فسح الله في أجله، ما نصّه: «الحمد لله... وقفتُ على هذه النسخة من هذا «الشرح» فوجدتها في غاية الحسن من غاية الصحّة وجودة الكتابة ولطافة الحجم، وقد كنتُ سمعتُ غالب الكتاب من منشئه وكتبْتُ عليه، حسب اقتراحه عليّ، تقرّظاً مناسباً له لا يحضرني الآن، وفي الجملة: هو مجموع أدب قلّ أن يوجد في غيره، ولعلّ مقتنيه يستغني عن غيره من الكتب الأدبيّة، ولو لم يكن له فيه إلاّ جودة الشواهد لكلّ نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادر العصريين للضرب بها على غير أهلها فإنّ مالكة مرتفع عنه كلفة العارية، وهذا وحده مقصود لكلّ حاذق منصف، والله يهدي من يشاء». وكتبه أحمد بن علي بن حجر الشافعيّ عابداً مصلّياً مسلماً مجللاً».

ثمّ إنّ معظم التعليقات المكتوبة في هوامش هذه النسخة نقلها الناسخ من خطّ ابن حجر العسقلانيّ نفسه، ومثال على ذلك ما ورد في هوامش الأوراق التالية: ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٦، ١٧، ٢١، ٢٣، ٣٨، ١٥٨... وغيرها؛ وقد أشرتُ إليها في أماكنها من الحاشية. وتقع هذه النسخة في جزئين يضمّهما مجلد واحد يحوي ٢٢٧ صفحة مزدوجة، من القطع الكبير، وينتهي الجزء الأوّل منها في أواخر الصفحة ١٧٥؛ أمّا أبعاد الورقة فيها بصفحتيها فهي ٣٦ سم × ٢٧ سم، ومتوسّط مسطرتها ٣١ سطرًا (٢ ×)، وكلّ سطرٍ يتضمّن ١٧ كلمة تقرّيباً، وهي مرّقة ترقّيمًا حديثًا. أمّا الهوامش فتتراوح أبعادها المحيطة بالمتن بين ٣,٥ سم و ٤ سم. وقد كتبتُ هذه النسخة بخطّ التعليق (الفارسيّ)، وهي واضحة الخطّ بنسبة ٩٥٪، مع بعض التحريك في الأبيات الشعريّة، إلاّ أنّ أبيات البديعيات فيها قد كتبتُ بخطّ عريض كبير مع بعض الشكل، ثمّ إنّ متن هذه النسخة قد تعرّض في أماكن من أوراقها لبعض المحو والتآكل والتصحيف والتحرّيف والأخطاء الخطيّة والإملائيّة والنحويّة، كما تعرّض لبعض الخلط بين النثر والشعر؛ أمّا الهوامش فقد حوت العناوين مكتوبةً بخطّ عريض جميل، والتعقيبات التي ثبتت في آخر كلّ صفحة لتدلّ على أوّل الكلمة في الصفحة التالية، ومن ثمّ على تتابع النصّ، بالإضافة إلى

التعليقات والتصحيحات والإشارات والشروحات والاستطرادات واختلافات النسخ التي قوبلت بها ورموز التصحيح والاختلاف، والاستدراكات والمتممات من نسخٍ أخرى، وقد كتبت الهوامش ما عدا العناوين بخطِّ صغير.

أما عنوان هذه النسخة فهو: «كتاب شرح البديعية المسماة بـ «تقديم أبي بكر»»، تأليف الإمام العالم العلامة، فريد دهره ووحيد عصره، أبي المحاسن تقيِّ الدين، ملك المتأدِّبين، أبي بكر بن حجَّة الحنفيِّ القادريِّ الحمويِّ، منشيِّ دواوين الإنشاء الشريف، تغمده الله برحمته»، وقد كتب هذا العنوان بترتيب هرميِّ جميل مقلوب. وبذلك تعتبر هذه النسخة أتمَّ النسخ التي عثرتُ عليها، وأوثقها وأجودها.

٢- النسخة الثانية ذات الرقم (١٠٥٣)، وقد رمزت إليها بالحرف «د»:

وتأتي هذه النسخة بعد الأولى من حيث الأهميَّة والقَدَم، فتاريخ نسخها قريب من عهد التأليف، وقد جاء في الصفحة الأخيرة منها: «وافق الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة في يوم الثلاثاء المبارك، وهو السادس والعشرين [كذا] من شهر رجب الفرد الحرام، سنة أربع وثمانين وثمانمئة، وحسبنا الله ونعم الوكيل». أما الناسخ فغير معروف. وأما من نظر في هذه النسخة فهو الحسين بن عبد ابن محمد النصيبيني، فقد جاء في صفحة العنوان منها: «نظر فيه داعياً لمالكة بطول [العمر] وعلوِّ المجد والارتقاء الحسين بن عبد... ابن محمد النصيبيني القرشيِّ العثمانيِّ الحلبي... نزيل مكة المشرفة عام ٩٦٨هـ. أحسن الله خاتمته». وفي صفحة العنوان نفسها مطالعة أخرى، وتملكات مختلفة، منها: «مما ساقه سائق القدر إلى نوبة العصر الفقير إليه شيخنا ابن الدرويش، أحمد الكشني الحلبي سنة ١٠٤١هـ». ويليها تملك آخر، وهو: «الحمد لله،... المنة لله تعالى... أحسن الله عزَّ وجلَّ وله الحمد والمنة، تملك هذا الكتاب المبارك على أقلَّ عبيده قدرًا، وأحوجهم إلى فيض رحمته سرًّا وجهرًا، إبراهيم بن أبي الحرس عبد الرحمن المعروف بابن النزول الحلبي العلوانيِّ الحنفيِّ، عامله الله بلطفه الخفيِّ، وأجرى عليه عوائد برّه الوفيِّ، وذلك في شهر ربيع الثاني في نهاية سنة إحدى وخمسين وألف (١٠٥١هـ). أحسن الله ختامها وتمَّ نظامها، ابتعته من الدرويش أحمد الكشنيِّ هو وكتاب آخر منه بعشرة غروش أميرية، وله الحمد والمنة ولسوله (ﷺ) أكمل صلاة وسلام، وعلى

آله وصحبه وسلّم وشرف وعظم وكرم». وفي الصفحة الأولى قبل المتن منها مطالعة غير واضحة مؤرّخة «بمكة المشرفة عام ٩٨٥هـ».

وتقع هذه النسخة في مجلّد ضخم يحوي ٢٣٢ صفحة مزدوجة من القطع الكبير، أما أبعاد الصفحة الواحدة فيها فهي ٢٩ سم × ٢٠ سم، ومتوسط مسطرتها ٣٥ سطرًا، وكلّ سطرٍ يتضمّن ١٧ كلمة تقريبًا، وهي مرقّمة ترقيمًا قديمًا. أمّا الهوامش فتبلغ أبعادها المحيطة بالمتن ٣ سم. وقد كتبت هذه النسخة بخطّ التعليق (الفارسيّ)، وهي واضحة الخطّ بنسبة ٩٥٪، مع بعض التحريك في أبيات البديعيات والأبيات الشعرية الأخرى، غير أنّ أبيات البديعيات فيها كتبت بخطّ عريض كبير، ثمّ إن متن هذه النسخة قد تعرّض في أماكن من أوراقها لبعض المحو والتآكل والتصحيف والتحريف والأخطاء، كما تعرّض لبعض الخلط بين النثر والشعر؛ أما الهوامش فقد تضمّنت العناوين مكتوبةً بخطّ عريض، والتعقيبات التي ثبتت في آخر كل صفحة لتدلّ على أوّل الكلمة في الصفحة التالية، إلّا أنّها تكاد تخلو من التعليقات والاستدراكات والتمّمات والتصحيحات والإشارات التي عرفتها النسخة الأولى.

أما عنوان هذه النسخة فهو: «كتاب «شرح البديعية» تأليف إمام الأدباء، رئيس دواوين الإنشاء، تقيّ الدين أبي بكر بن حجّة الحمويّ، تغمّده الله تعالى برضوانه، أمين»؛ وكتب هذا العنوان بترتيب هرميّ مقلوب.

٣- النسخة الثالثة ذات الرقم (٧٧١٣)، وقد رمزت إليها بالحرف «و»:

وتأتي هذه النسخة بعد الأولى من حيث الأهمية، دون القيد، إذ لم يذكر تاريخ نسخها، إلّا أنّها كتبت في زمن بعد وفاة المصنّف لما ذكر في عنوانها: «... تغمّده الله بالرحمة والرضوان»، وهذا يعني أنّ ابن حجّة كان متوقّفًا عند نسخ هذه النسخة؛ بالإضافة إلى حداثة الخطّ؛ وقد أشير في بعض هوامشها إلى أنّها قوبلت بنسخة أخرى، فجاء في الورقة ٩٦ب، والورقة ١١٣٥أ: «بلغ مقابلةً على نسخة قرئت على المصنّف»؛ وفي الورقة ١٤٣أ، والورقة ١٥٦أ، والورقة ١٨٠أ: «بلغ مقابلةً على نسخة قوبلت على المصنّف»؛ وفي الورقة ١٧٠أ: «بلغ مقابلةً على نسخة قرئت على

المؤلف، وقوبلت وهو ماسك لنسخته». أما الناسخ وتاريخ النسخ فغير معروفين، ولم يرد فيها ما يدل على مطالعة أو نظر؛ إلا أنه ذكر فيها تملك نصّه: «لمالكة حمزة ظافر، ١٢٠٦ هـ.»؛ وتملك آخر نصّه: «ملكه أقر الورى وأحقرهم يحيى الحسيني الجالقي، عُفر له». بالإضافة إلى تملك آخر غير واضح.

وتقع هذه النسخة في مجلّد ضخم يحوي ٢٧٧ صفحة مزدوجة، من القطع الكبير، أما أبعاد الصفحة الواحدة فيها فهي ٢٥ سم × ١٧,٥ سم، ومتوسّط مسطرتها ٣٧ سطرًا، وكلّ سطرٍ يتضمّن ١٤ كلمة تقريبًا، وهي مرّقة ترقيمًا حديثًا. أمّا الهوامش فتتراوح أبعادها المحيطة بالمتن بين ٣ سم و٤ سم. وقد كتبت هذه النسخة بخط نسخي، وهي واضحة الخطّ بنسبة ٩٥٪ تقريبًا، مع بعض الشكل، في أبيات البديعيات والأبيات الشعرية الأخرى، إلا أنّ أبيات البديعيات فيها كتبت بخطّ عريض كبير، ثم إن متن هذه النسخة قد تعرّض في أماكن من أوراقها لبعض المحو والتآكل والتصحيف والتحريف والأخطاء، كما تعرّض لبعض الخلط بين النثر والشعر؛ أما الهوامش فقد تضمّنت بعض العناوين التي ذكر معظمها في المتن مكتوبةً بخطّ عريض، والتعقيبات التي ثبتت في آخر كلّ صفحة لتدلّ على أوّل الكلمة في الصفحة التالية، وبعض الاستدراكات والمتمّمات والتصحيحات والإشارات الأخرى. أمّا عنوان هذه النسخة فهو: كتاب «شرح البديعية» تأليف الشيخ الإمام العلامة، فريد دهره ووحيد عصره، أبو المحاسن، تقيّ الدين، أبو بكر بن حجة الحنفيّ القادريّ الحمويّ، تغمّده الله بالرحمة والرضوان»، وقد كُتِبَ بخطّ هرميّ جميل مقلوب.

٤- النسخة الرابعة ذات الرقمين (٣٥٦١-٣٥٦٢)، وقد رمزت إليها بجزءيها

بالحرف «ب»:

الجزء الأوّل منها رقمه (٣٥٦١)، والجزء الثاني رقمه (٣٥٦٢). وهذه النسخة بجزءيها حديثة النسخ، فقد جاء في الصفحة الأخيرة من الجزء الأوّل: «... في غرة شهر ربيع الأوّل من شهور سنة اثنتين وعشرين وألف هجرية...»؛ وفي الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني: «... كان الفراغ من هذا الكتاب وهو «شرح البديعيات» لابن حجة الحمويّ الحنفيّ، نهار الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية...». أمّا الناسخ فهو محمّد بن محمّد

الهريريّ الحلبيّ^(١). وقد نظر فيها وأخذ على مؤلفها مأخذاً^(٢)، حافظ محمد علي العظمي كما جاء في الصفحة الأولى قبل المتن من الجزء الأول: «نظر فيه الفقير حافظ محمد العظمي، غفر له»، وذلك سنة ١٢٣٠هـ.؛ وقد طالع هذه النسخة أيضاً خليل بن محمد إمام الجامع الشريف الأمويّ، وجاء ذلك في الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني بقوله: «محمد يولي محمد... نعم لما تشرفت بتملك هذا السفر والذي قبله من تركة الفاضل العالم الشيخ رمضان بن الشيخ موسى العطيفي، طالعه مطالعة من استفاد من درر بحره درراً، ومن جواهر فوائده غرراً، وأنا الفقير الحقير خليل بن محمد إمام الجامع الشريف الأموي، غفر لهما». وممن نظر فيها أيضاً الشيخ مصطفى بن محمد البرهانيّ الداغستانيّ في ربيع الثاني سنة ١٢٣٢هـ.؛ والشيخ شمس الدين محمد بن طولون، كما جاء في الورقة الثانية قبل المتن من الجزء الأوّل؛ وفي هذه الورقة ترجمة لابن حجّة الحمويّ، ومأخذ عليه^(٣) لمصطفى البرهانيّ بخطّ محمد بن طولون؛ وفي آخر الجزء الثاني من هذه النسخة جاء تقرّظ العلامة أحمد بن حجر العسقلانيّ، في «شرح البديعية»؛ وتقرّظ العلامة بدر الدين الدماميني في «البديعية» قبل أن يشرحها ابن حجّة^(٤).

ومما جاء من تملّكات في الصفحة الثانية قبل المتن من الجزء الأوّل، وفي صفحة العنوان من الجزء الثاني:

«من كتب الفقير خليل بن محمد إمام الجامع الشريف الأمويّ، غفر لهما». و«وقف هذا الكتاب جناب الوزير المعظم والمشير المعجّم صاحب الخبرات والميراث جناب الحاج أسعد باشا والي الشام وأمين الحاج علي موسى، والده المرحوم الحاج إسماعيل باشا، وشرط الواقف المرقوم أن لا يخرج من مكانه». «وهذا الكتاب من كتب مَنْ كتب، وهو العبد الفقير الدروس محمد بن محمد الهريريّ الحلبيّ».

و«الحمد لله تعالى... ملكه من فضل الله تعالى ولطفه الخفي عبده الفقير الحقير

(١) انظر الصفحة الأخيرة من هذه النسخة.

(٢) سيأتي نص هذا المأخذ في مكانه من قسم الدراسة.

(٣) سيأتي نصّ هذا المأخذ في مكانه من قسم الدراسة.

(٤) سيأتي نصّ هذين التقرّظين في مكانهما من قسم الدراسة.

رمضان بن موسى العطيبي الحنفي، غفر الله تعالى له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين . . . آمين».

و«في نوبة العبد الحقير السيد محمد عاصم الفلاقسي في غرة سنة ١١٢٦هـ.، عفي عنه».

وتقع هذه النسخة في جزءين كبيرين، يتضمّن الجزء الأول منها ٢٤٠ صفحة مزدوجة، والجزء الثاني ٢٢٨ صفحة مزدوجة، من القطع الكبير، وينتهي الجزء الأول منها بيت بديعة صفي الدين الحلّي الذي قاله في «المبالغة»، ثمّ بدأ به الجزء الثاني؛ أمّا أبعاد الورقة في هذه النسخة بصفحتها فهي ٣٢ سم × ٢٤ سم، ويتراوح متوسط مسطرتها بين ٢١ سطرًا و٢٤ سطرًا (٢×)، في كلّ سطر ١٢ كلمة تقريبًا؛ وهي مرقمة ترقيمًا حديثًا. أمّا الهوامش فتتراوح أبعادها المحيطة بالمتن بين ٣ سم و٣,٥ سم. وقد كتبت هذه النسخة بالخطّ الفارسيّ السريع الخالي من الشكل، وهي نسخة معجمة مصحّحة تامة، واضحة الخطّ بنسبة ٩٥٪، دون أن يميّز الخطّ الذي كتبت فيه أبيات البديعات عن غيرها؛ ثم إن في متن هذه النسخة بعض المحو والتصحيح والتحريف والأخطاء، كما تعرّض لبعض الخلط بين النثر والشعر؛ أمّا الهوامش فقد حوت العناوين والتعقيبات الدالة على تتابع النصّ، وتكاد تخلو من التعليقات والشروحات والإشارات والاستدراكات التي عرفتها النسخة الأولى.

أمّا العنوان في هذه النسخة فهو: «شرح البديعات»^(١)؛ ويظهر ذلك في آخر الجزء الأول منها في قول الناسخ: «آخر الجزء الأول من شرح البديعات للعلامة الشيخ تقيّ الدين أبي بكر ابن حجة الحمويّ . . .»؛ وفي أوّل هذا الجزء، في الصفحة الأولى قبل المتن ورد: «شرح ابن حجة لبديعته»؛ وعنوان الجزء الثاني من هذه النسخة: «الجزء الثاني من شرح البديعات، للشيخ تقيّ الدين أبي بكر بن حجة الحمويّ»، وفي آخر هذا الجزء ورد: «كان الفراغ من هذا الكتاب، وهو «شرح البديعات» لابن حجة الحمويّ الحنفيّ . . .». وقد كتب عنوان الجزء الثاني بترتيب هرميّ مقلوب.

(١) قد انفردت هذه النسخة عن غيرها بهذا العنوان، وهو صحيح إذ إن ابن حجة شرح فيه بديعته والبديعات التي عارضها.

٥- النسخة الخامسة، وهي المطبوعة، وقد رمزت إليها بالحرف «ط»:

وهي النسخة المطبوعة ببولاق سنة ١٢٧٣هـ؛ وقد أعيدت طباعة هذه النسخة، كما هي، ببولاق أيضاً سنة ١٢٩١هـ.، وطبعت في هامشها رسائل بديع الزمان الهمذاني، ثم طبعت في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٤هـ.، وفي هامشها الرسائل المذكورة آنفاً، وشرح البديعية المسماة بـ «الفتح المبين في مدح الأمين» للسيدة عائشة الباعونية؛ كما طبعت هذه الخزانة في دار القدموس الحديث سنة ١٨٨٥م. وقد أشرف على إخراج الطبعة الأولى وتصحيحها إبراهيم عبد الغفار، كما ورد في الصفحة ٥٧٠ منها، فوصف نفسه بأنه «محرّر مبانيها ومهذب مجانيها» ثم قال: «وقد بذلت الجهد في تنميقها والتحرّري في ميدان تحقيقها...»، فأتمّ تصحيحها، وذلك تحت إدارة محمّد سعيد باشا، في مطبعة بولاق^(١).

وهذا ما يؤهل هذه النسخة لأن تكون أصلاً من أصول التحقيق^(٢). وتقع طبعة بولاق في مجلّد ضخم مؤلّف من ٥٧١ صفحة من القطع الكبير، أمّا أبعاد الصفحة فيها فهي ٢٦ سم × ١٩ سم، ومتوسّط مسطرتها ٣٣ سطرًا، وكلّ سطر يحوي ١٤ كلمة تقريبًا. أمّا الهوامش فتتراوح أبعادها بين ٢ سم في الهامش الأعلى والأسفل و٥ سم في الهامش الأيمن والأيسر. وقد طبعت هذه النسخة طباعة قديمة، وهي تشبه المخطوطة إلى حدّ كبير، إذ إنّها غير محقّقة، إلّا أنّها أوضح خطأً، وإن يكن فيها بعض الغموض والمحو في بعض الكلمات، وهي خالية تمامًا من الشكل، وقد حصرت أبيات البديعيات والعناوين فيها بين قوسين، دون أن يميّز في الخطّ بينها وبين غيرها.

وفي أوّل هذه الطبعة فهرس بأسماء الأنواع البديعية حسب ورودها في الكتاب، وتبلغ مئة واثنين وأربعين عنوانًا. أمّا الهوامش فقد حوت بعض العناوين بعد ذكرها

(١) يقول محمود الربدائي في كتابه «ابن حجة الحموي شاعرًا وناقدًا» ص ١٩٣-١٩٤: إنه رأى هذه النسخة المطبوعة قد حملت تعليقات وحواشي بخطّ الشيخ نصر الهوريني، أبي الوفاء؛ وهذا يعني أن هذه النسخة قد قوبلت بنسخة مكتوبة وصحّحت قبل وبعد طباعتها للمرّة الأولى.

(٢) اعتمدت طبعة بولاق أصلاً من أصول التحقيق، واستأنست بطبعة المطبعة الخيرية، وطبعة دار ومكتبة الهلال، اللتين نقلتا عن طبعة بولاق، دون أن أعتمدهما من أصول التحقيق.

في المتن، وبعض الإشارات والتعليقات والشروحات والاستدراكات والتصحيحات، وإن كانت قليلة جدًا^(١).

أما عنوان هذه الطبعة فهو: «خزانة الأدب وغاية الأرب» للعالم الأديب، واللوزعيّ الأريب، الشيخ تقيّ الدين، أبي بكر ابن حجّة الحمويّ^(٢).

ولم تكن طبعة المطبعة الخيرية في القاهرة، أو طبعة دار القدموس الحديث المطابقة لها وهما تتضمّنان ٤٦٧ صفحة، بأفضل من طبعة بولاق، فهما غير محقّقتين كسابقتهما، ولهذا عمدت إلى الاستئناس بهما دون أن أعتدّهما أصلاً من أصول التحقيق.

كما اخترت طبعة أخرى للاستئناس، وهي الطبعة الأولى الصادرة عن دار ومكتبة الهلال في بيروت، بشرح عصام شعيتو سنة ١٩٨٧م، وهي أكثر وضوحاً من سابقتها، إلا أنها أكثر أخطاءً وأقلّ عناية، ولم يكن هدف الشارح فيها أن يحقّقها، بل أن ينشرها، وقد مهّد للكتاب وقدم له بكلمة موجزة حول تطوّر علم البديع حتى عصر ابن حجّة، معرّفًا بـ «خزانة الأدب» وعمله فيه، وقدم بعض الملاحظات حول الكتاب، كما عرّف بالكاتب وحياته وعمله ومؤلفاته، منهياً الجزءين فيها بفهرس للمحتويات حسب ورودها في مكانها من الكتاب. بيد أن هذه الطبعة لم تحقّق، كما أسلفت، إذ لم يشر الناشر فيها إلى مقارنتها بنسخة ما، كما أنّه لم يتحقّق من صحّة ما ورد فيها، ما دفعه في أماكن كثيرة^(٣) إلى أن يبقي على الخطأ، أو أن يقع في خطأ آخر أثناء ترجيحه لمعلومة ما، ثمّ إنّ هذه الطبعة تفتقر إلى الفهارس الفنيّة التي يتوجّب أن يتضمّننها كلّ كتاب محقّق منشور لتيسير الاستفادة منه.

وتقع هذه الطبعة في مجلّدين كبيرين، يتضمّن الجزء الأوّل منهما ٤٨٠ صفحة، والجزء الثاني ٥٠٩ صفحة، من القطع الكبير، أما أبعاد الصفحة فيها فهي ٢٧سم × ١٩سم؛ ومتوسّط مسطرتها ٢٩ سطرًا، وكلّ سطر يحوي ١٤ كلمة تقريبًا. أما

(١) أما الطبعة المعادة طباعتها سنة ١٢٩١هـ، فقد حوت في هامشها رسائل بديع الزمان الهمذانيّ.

(٢) انظر «توثيق اسم الكتاب» الذي مرّ قبل قليل.

(٣) سيأتي الكلام على هذه الطبعة أثناء الكلام على الباعث لاختيار هذا الموضوع.

الهوامش فتتراوح أبعادها بين ٢ و ٣ اسم . وقد طبعت هذه النسخة طباعة حديثة بخط النسخ العادي؛ وهي خالية تمامًا من الشكل، وقد كتبت أبيات البديعيات بخط المتن، بعد أن كتب عنوان كل نوع بدعي في أعلى الصفحة منفصلاً عما قبله .

وإذا نظرنا في علاقة كل من هذه النسخ المخطوطة والمطبوعة فيما بينها نجدها تختلف حول نقاط كثيرة اختلافاً واضحاً، وإن التقى بعضها أحياناً حول بعض النقاط؛ ومن ينظر في حواشي الكتاب بعد التحقيق يجد بوضوح أماكن الالتقاء والاختلاف بين هذه النسخ .

وقد اعتمدت مبدأ القدم في ترتيب هذه النسخ، ومن ثمّ المقابلات والمعارضات والسماعات والضبط الدقيق والتصحيحات والمطالعات والتقاريط، وكان من حسن حظّ النسخة الأولى أنّها جمعت كلّ هذه الاعتبارات، في حين أنّ النسخ التي تليها كانت تتفاوت فيما بينها وتقلّ عن هذه في مطابقتها لبعض هذه الاعتبارات .

ب- الطريقة التي اتّبعتها نسخ هذه الأصول في نسخهم:

أ- لقد لئن النسخ الهمزة في نسخهم، مثل: «ملايمة، جيت، نشو، مليّة...» بدل «ملائمة، جئت، نشء، مليئة...» .

ب- وضعوا فوق بعض الحروف المهملة نقط الإعجام دون ضرورة لها، مثل: «أهذابه، شاذن، المذاعبة، ذوييت، السغدي، لله ذرك...» . كما حرموا بعض الحروف من نقط الإعجام والشكل، مثل: «هاربًا وهارثًا...» .

ج- أبقوا الإدغام على حاله أثناء الإسناد، مثل: «عدّيت» بدل «عددت» .

د- كانوا أحياناً يزيدون ألفاً للفعل المضارع المعتل الآخر، ويحذفونها بعد واو الجماعة، مثل: «يجلوا، أرجوا، لم ينظمو...» .

هـ- فصلوا الأعداد المركّبة، مثل: «ثمانية مئة، ثلاث مئة...» .

و- خلط بعض النسخ بين الألف الممدودة والألف المقصورة، مثل: «رما، دعى، سعا، سمى...» .

ز- استبدل بعضهم المدة بالهمزة في كثير من الكلمات، مثل: «الاستثناء، الماء،

جاء...» بدل: «الاستثناء، الماء، جاء...» .

ح- حذف النسخ الألف من الكلمات المشهورة، مثل: «إبرهيم، الحرث،

معوية، ثلث، ثلثاء، إسحق، هرون، مَرُونَ...».

ط- أخطأ النسخ في كتابة معظم الكلمات المهموزة، والأسماء الستة، والأفعال المسندة إلى جمع، مثل: «قال امرئ القيس، للأديب أبو بكر، لم تنظم العميان أبياتهم...».

ي- فك بعضهم المدّة في الكلمة، مثل: «المأقي...».

ك- كتب بعضهم التاء الطويلة قصيرة، والقصيرة طويلة، مثل: «وفات، الثقة...» بدل «وفاة، الثقات...».

ل- حذف بعضهم واو الجماعة بعد واو أخرى، مثل: «جاؤا».

م- تركوا الياء دون نقطتين في أغلب الكلمات المنتهية بها، ووضعوها في أماكن لا ضرورة لها، مثل: «المتنبى، الهوى...».

ن- خلطوا في كتابة كلمة «ابن»، إذ أثبتوا همزة أحياناً وحذفوها أحياناً أخرى دون مسوغ.

س- خلطوا بين الحروف المتشابهة في اللفظ أو الشكل، مثل: «ضهروا، الظفائر، النكثة، النمروذ، شجع، زخائر...» بدل «ظهروا، الضفائر، النكته، النمروذ، سجع، ذخائر...».

ع- رسم بعضهم تنوين الضمّ أحياناً بشكل ضمّة تليها إشارة فاصلة، مثل: «انجذاب».

ف- ترك بعضهم كتابة همزة القطع فوق كرسيتها، مثل: «يسأل». كما خلطوا بين الهمزة المكسورة وغيرها، مثل: «إتباع، أتباع».

ص- أخطأ بعضهم في رسم بعض الحروف فاضطروا إلى توضيحها في المتن أحياناً والهامش أحياناً أخرى بكتابة الحرف الصحيح تحتها أو فوقها، مثل: «التغاير» بكتابة «غ» تحت الغين أو فوقها.

ق- أهمل بعضهم عمل حروف الجزم، مثل: «لم يسعى».

ر- خلط بعضهم في أماكن قليلة بين الشعر والنثر، فأشاروا قبل الأسطر المسجوعة بـ «شعر» أو «بيت»، وأهملوا وضع هاتين الكلمتين قبل أو بعد بعض أبيات

الشعر، فأعطوا الشعر شكل النثر، والنثر شكل بيت من الشعر.

ش- عمد النساخ إلى وضع رموز في المتن والهامش^(١)، بعضها يتعلّق بالنصّ والخطّ، وبعضها الآخر يتعلّق بالتصحّيات والتوضيحات والإشارات والتعليقات والأدعية المعهودة، والوقف، والفراغ والحواشي وغيرها من الأمور الأخرى.

وفي ما يلي جدولٌ بهذه الرموز ومعانيها:

- «إخ...»: لاختصار الكلام ودلالة على حذفه.

- «اه»، «انتهى»: نهاية الفقرة أو الموضوع.

- «ح»، «حش»، «حع»، «حاشية»: للدلالة على الحاشية المكتوبة.

- «خ»، «خ»: الكلمة من نسخة أخرى، أو دليل خلاف بين النسخ.

- «رح»: رحمه الله.

- «س»: للدلالة على أنّ الكلمة من طائفة ما سبقها.

- «ض»: الضبّة في الكلمة تمريض، أيّ أن الكلمة صحيحة نقلاً وخطاً في ذاتها،

كما في النسخة «و».

- «ص»، «صوابه»: تصحيح وتصويب من الناسخ في الهامش. أما إن وردت

«ص» في المتن، ولا سيّما في المطبوعة فهي تعني «صَحَّحَ اللهُ».

- «صح»: الكلمة من المتن في الأصل، وليست من نسخة مختلفة.

- «ض»، «ظ»: الكلمة غير واضحة، أو هناك فراغ مكان الكلمة.

- «ل»: الكلمة في الهامش توضيح لما في المتن وبيان لها.

- «م»: الكلمة مشكوك في مكانها.

- «م...م»: إحدى الكلمتين مقدّمة على الأخرى ويجب تأخيرها.

- «ن»: الكلمة في الهامش توضيح لما في المتن وبيان لها.

- «بيان»: الكلمة في الهامش توضيح لما في المتن.

(١) بعض هذه الرموز كانت تكتب إلى جانب الكلمة، وما كان يكتب فوقها، فقد أدخلته معها

بين مزدوجين.

- «بيت»: قبل بيت البديعية أو بعدها، كما في النسخة «ب».
- «شعر»: قبل الشعر، كما في النسخة «ب».
- «قاموس»: شرح لكلمة غامضة، كما في النسخة «د».
- «لعلّه»: ترجيح برأي الناسخ أو المقابل، أو المصحح.
- «من... إلى»: زيادة جملة سهواً أو خطأً، وجب حذفها.
- «لا... إلى»: زيادة جملة سهواً أو خطأً، وجب حذفها، كما في النسخة «و».
- «√»: إشارة «√»، علامة الإلحاق إلى سقط موجود في الهامش.
- «.....» فوق الكلمة: يعني شطبها.
- «_» تحت الكلمة: يعني شطبها أثناء النسخ.
- حرف تحت حرف أو فوقه ضمن الكلمة: توضيح للحرف المركب في الكلمة، مثل «المعاني» وقد أشير تحت العين منها ب «ع».
- «٠٠» فوق الحرف وتحت: إشارة إلى روايته بلفظين، أو أن أحد الشكلين تصحيح للآخر، مثل: «ينظم»، فوق الباء نقطتان.
- «٠» فوق الحرف وتحت: إشارة إلى روايته بلفظين، أو أنّ أحد الشكلين تصحيح للآخر، مثل: «بقيّ»، فوق الباء نقطة.
- «. .» تحت السين: إشارة إلى أنها ليست شيئاً.
- كتابة كلمة فوق أخرى أو تحتها: دلالة على أنها سقطت من النسخ أثناء النسخ فأعاد كتابتها فوق الكلمة أو تحت الكلمة المجاورة لها.
- «()»: لحصر بيت البديعية، والعناوين، وما يراد إبرازه، كما في النسخة «ط».
- «*»: مكان النقطة أو الفاصلة بين الأسجاع، وبين شطري البيت لتمييزه عن الشر، كما في النسخة «ط».
- «،»: بين شطري البيت، أو في أوله وآخره، كما في النسخة «ب»، والنسخة «د».

- «.» : نقطة كبيرة: وتعني ما تعني «،» .

- «.» : «،»، «،» : وتعنيان ما تعني «،» .

- «و» : بين شطري البيت، ولا سيّما في البديعيات. وحصر بعض العناوين، ولا سيّما في النسخة «ب» .

- «_» : فوق بداية السطر: للدلالة على بدايته.

- «⊙» : قبل بداية الشعر، كما في النسخة «د» .

- مدّ قاعدة اللام في «قال»، و«قلت»، و«قوله» وما اشتقّ منها: للدلالة على ابتداء القول، ولا سيّما قبل الشعر، كما في النسخة «ب» .

ج- زيادات في أوائل النسخ وأواخرها ليست من الأصل^(١) :

- ما ورد في ك :

- ورد في الصفحة الأولى قبل صفحة العنوان: تقرّظ لهذه النسخة، وقد مرّ نصّه أثناء وصفها. وبعده:

«للمزيّن الدمشقيّ الرئيس شمس الدين [من الوافر]:

بني سلطاننا برقوق جسرًا به أضحت رعيّته مُطيّعه
مجاز في الحقيقة للبرايا وأمرٌ بالسُّلوك على الشريعة»

كما ورد في هذه الصفحة زيادات أخرى غير واضحة.

وفي صفحة العنوان:

«الحمد لله مستحقّ الحمد:

ولد الولد المبارك أحمد ولد كاتب هذه النسخة علي بن سودون يوم السبت قرب الظهر من ذلك اليوم الموافق الثامن عشر من شعبان المكرم عام ثمانى وخمسين وثمانمئة (٨٥٨هـ). أنشأه الله نشئًا صالحًا، وتوفّي في ثاني عشر شوال سنة ستين

(١) أما الزيادات التي في هوامش النسخ، فقد ذكرتها في مكانها من حواشي الكتاب، لعلاقتها المباشرة، أو غير المباشرة، بالنصّ. وأعني بـ «الزيادات» هنا ما ليس من المتن وما ليس بتملّك أو «تقرّظ» أو «مدّمة» .

وثمانمئة (٨٦٠هـ.)، تغمّده الله برحمته».

وفي ورقة العنوان أيضاً، الصفحة «أ» منها، مقطع صغير يتضمّن ثلاثة عشر بيتاً من الشعر، فيها بعض الغموض، وهو:
«الحمد لله ربّ العالمين... نبيّه وأوليائه... هذه الأبيات ذكرها المصتف في أواخر الكتاب:

قال البهاء زهير [من المنسرح]:

كَلَّمَنِي وَالْمُدَامُ فِي فَمِهِ
وَرَا حَ كَالْغَصَنِ فِي تَمَائِلِهِ
بِاللّهِ يَا بَرْقُ هَلْ تَحَدِّثُهُ
وَهَلْ نَسِيمَ الصَّبَا يَبْلُغُهُ
عَجِبْتُ مَنْ بَخَلَهُ عَلَيَّ وَمَا
هَمَّ عَلَّمُوهُ فَصَارَ يَهْجُرُنِي
[ديوانه ص ٣٠٨-٣٠٩].

وغيره [من السريع]:

يَا أَيُّهَا الرّاضِي بِأَحْكَامِنَا
فَوَضُّ لَنَا وَإِنِّقَ مُسْتَسْلِمًا
وَإِنْ تَعَلَّقْتَ بِأَسْبَابِنَا
فِيْنَا فِينَا حُلْمًا بَاقِيًا
لَا يَنْعَمُ الْمَرْءُ بِمُحِبُّوبِهِ
وَمَنْ قَصِيدَةُ [من مخلّع البسيط]:

وَحَقِّكُمْ بَعْدَ إِذْ حَصَلْتُمْ
فَمَا عَلَا عَادِمٌ أَجَاجًا

وفي الصفحة الأخيرة قال الناسخ «وما أَلطف قول سيّدنا شهاب الدين بن حجر

[من الرجز]:

يَا سَيِّدًا طَالَعَهُ إِنَّ رَاقٍ مَعْنَاهُ فَعُدُّ
وافتَحْ له بابَ الرِّضَا وَإِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدُّ

- ما ورد في د:

في صفحة العنوان زيادة غير واضحة، نصّها:

«الحدس: الظنّ والتخمين والتوهيم في معاني الكلام...».

وفيها أيضًا [من المواليا]:

«بشرطه لعب الحشا للهادي وما أرى النبع يشترط...
لكن أرى عقد سهادي عقدًا بشرط وتمو عقد صحيح
وفيه:

قد اشترط الفتيان قبلي شرطه وقال اتغنى قلت فيك واه...
ولم يرض حتى قال كن عند ناظري ليملكني بالطرف والشرط اس...
وفي الصفحة الأولى التي تليها مقدّمة، وقصيدة عينية من أربعين بيتًا، لأبي
الحسن بن زريق الكاتب البغداديّ الشاعر، منها [من البسيط]:

«وَدَعُّهُ وَبُوْدِي أَنْ يَعَاجِلَنِي وَشُكِّ الْجِمَامِ وَأَنْي لَا أُوْدَعُّهُ
وَمَنْ غَدَا لَابِسًا ثَوْبَ النِّعِيمِ بِلَا شَكَرٍ عَلَيْهِ فَعَنَّهُ اللَّهُ يَنْزِعُهُ»
ويليها بيتان من الشعر لبعضهم.

وفي الصفحة الثانية التي تليها قصيدة ابن زيدون المشهورة «أضحى الثنائي»
وفيها تسعة وأربعون بيتًا.

- ولم يرد في «و» شيء من هذه الزيادات.

ما ورد في ب:

ورد في الصفحة الأولى قبل المتن من الجزء الأول مقطع من مأخذ محمد علي
العظمي على ابن حجّة وبديعيتيه وكتابه، وسيرد هذا المقطع في «المأخذ» كاملاً في
مكانه من قسم الدراسة؛ وهذه الصفحة مكرّرة.

وتليها صفحة في ترجمة ابن حجّة الحموي، وهذا نصّها: «ترجمة ابن حجّة:

أبو بكر بن علي بن عبد الله الحمويّ المعروف بابن حجة، بكسر الحاء المهملة وتشديد الجيم، الإمام الأديب الكاتب المفسن، شاعر الإسلام، تقيّ الدين، ولد تقريباً سنة سبع وستين [وسبعمائة] بحماة، كان في ابتداء أمره يعقد الأزرار، فتولّع بالأدب واشتغل فيه على الشيخ علاء الدين القضاميّ، وتعاطى النظم فتولّع أولاً بالأزجال والمواليا ومهر في ذلك وفاق أهل زمانه، ونظم القصائد ومدح أعيان أهل بلده، ودخل الشام، فمدح البرهان بن جماعة قبل التسعين بقصيدة كافية طئانة أعجبت، فطاف بها على فقهاء عصره فقرظوها له، ودخل بسبب ذلك إلى القاهرة، والشمس من فضلائها، تقرظاً، فكتب له عليها [ابن] جماعة، ودلّ على مجد الدين بن مكنس، فمدحه وطارح والده، وكتب له على القصيدة، ثم عاد إلى بلاده، فصادف الحريق الكائن بدمشق لما كان الظاهر يحاصر دمشق، بعد أن خرج من الكرك، وكان أميراً مهولاً، فعمل فيه رسالة طويلة كاتب بها ابن مكنس، وأقام بحماة يمدح أمراءها وقضاتها، وله قصيدة في علاء الدين بن أبي البقاء قاضي دمشق، ومدح أمين الدين الحمصيّ كاتب السرّ حينئذٍ وغيرهما، ثم قدم إلى القاهرة في الأيام المؤيديّة، فراج أمره، وعظم قدره، وشاع ذكره. ونوّه به كاتب السرّ ناصر الدين البارزيّ، فرسم بأن يتولّى إنشاء ما يحتاج إليه في الديوان، فاشتهر وبُعِد صيته وباشر عدّة أنظار، فأثرى وصار يعدّ من الأعيان، وعمل في طول الدولة المؤيديّة من إنشائه مجلدين في الوقائع، ودخل مع المؤيد بلاد الروم، فلما مات المؤيد وابن البارزي باشر في أيام علاء الدين داود بن الكوفي الإنشاء، ولم تمش أحواله كما كانت فتقلق في إقامته بالقاهرة وتفقد ما لّفه، فتوجّد إلى بلاده حماة في سنة ثلاثين وثمانمئة، فأقام بها ملازماً للاشتغال في العلوم إلى أن مات وكان عزم على المجيء إلى القاهرة لما ولي الكمال البارزيّ كتابة السرّ، فلم يتهيأ له ذلك، وصنّف مُصنّفات عديدة، وله رسائل ومقاطع بديعة، وديوان شعر بديع، وعمل بديعية مناقصاً للصفّي الحليّ على طريقة شيخه العزّ الموصليّ من التورية باسم النوع البديعيّ في البيت، وهي بديعة في زمانها وبابها، وسماها «تقديم أبي بكر»، وهي تسمية بديعة في معناها للاتفاق في اسمه واسم الصديق، رضي الله تعالى عنه، وشرحها في ثلاث مجلّدات أبدع فيه ما شاء فترض [فقرظ] له عليه جماعة من العلماء، منهم شيخ الإسلام ابن حجر وأظنّب في ذلك، ومن ذلك قوله: «أشهد أنّ أبا بكر تقدّم على أنظاره، ولا أعدل في هذه

الشهادة من أحمد، وأجزم برفعة قدره على من انتصب لهذا الفن، ولا أبلغ من حاكم يشهد، انتهى»؛ وجمع مجاميع آخر مخترعه، وله كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، وكان أحد أدباء العصر المكثرين المجيدين، طويل التفنن في النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة، ملازمًا للخضاب بالحمرة حتى أسنّ وهو على ذلك، وفيه زهو وإعجاب، وحدث بشيء من نظمه جمع من الفضلاء، ومات في خامس عشرين [الخامس والعشرين من] شعبان سنة سبع وثلاثين وثمانمئة (٨٣٧هـ.)، رحمه الله تعالى. انتهى.

ونقلت من خطّ المرحوم الشيخ شمس الدين محمد بن طولون رحمه الله تعالى:

وبعد هذه الترجمة، في الصفحة نفسها، مأخذ بخطّ الشيخ شمس الدين محمد ابن طولون، وسيرد هذا المأخذ كاملاً في مكانه من قسم الدراسة.

وقبل هذه الترجمة بيتان من الطويل، غير منسويين:

«إلهي أنا العبدُ المسيء وليس لي
سواك إذا ما الحبسُ قد زاد كربُهُ
وحسبي حبّ الهاشميِّ وآله
وأصحابه، فالمرء مع من يحبُّهُ

- وفي صفحة العنوان من الجزء الثاني «ب» (من السريع):

«أقسم بالله على مسلمٍ
أن يدعوَ الرحمٰن لي مخلصًا
أبصر خطي حيث ما أبصره
في العفو والتوبة والمغفرة»

ومن مجزوء الرجز:

«مَنْ مَنَّ مِنْ مَنْ بِهِ
على فقيرِ عفوهِ الشُّ
من النّوالِ الأرحبِ
شَمْسِ الهريري الحلبي»

وفي آخر هذا الجزء الثاني، قبل التملك الأخير، تقرّظ لابن حجر العسقلاني في «شرح» ابن حجة، وتقرّظ آخر لبدر الدين الدماميني في «بديعة» ابن حجة؛ قبل شرحها وسيرد الكلام عليهما في مكانهما من قسم الدراسة.

- ما ورد في ط :

جاء في صفحة العنوان ما كتب بخط حديث:

«يقصد ابن حجّة بقوله «العميان» هنا شمس الدين بن جابر النحويّ الشهير بالأعمى والبصير»^(١).

(١) الصواب أن شمس الدين بن جابر اشتهر بـ«الأعمى»؛ أما «البصير» فهو صديقه الرعيني الذي كان يملئ ابن جابر تأليفه عليه ليكتبها. (الحلّة السّيرا في مدح خير الورى ص ١٨).

كتاب شرح الفقه البعثة

المسماة بتفكيره في ذكر
تأليف الأمام العالم العلامة

فريدته ووحيد عصره

آية الله العظمى

سيد المتأدبين

آية بكره حج الخوف

القباري المصنف

مفتي دواون

الاشارة

تعالى

مكتبة
الاسلام

مكتبة
الاسلام

والله اعلم
بما
الاسلام

الاسلام
الاسلام

طالع
الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي نعتنا الشيخ الإمام العالم العلامة ذبده شعره ووجد بعضه ابن الجاحظ في الكتاب
 من الكتابين المذكورين في نسخة الخفيف القنادلي المحوي مشفى ذواته من الأمانة الشعرية
 بالربار المفضية والمالكة الأشاوسية وروى الله تعالى روضة الأدب بتسابق قلمي ونحو ذلك
 بيد أن من كتب الهدية البديع المرفوع الذي أحسن اقتدائنا بتصفحه وأوفاً به في
 واستمرات السموات بجملة فؤادك وهو الصميم السميع وأذنباً فيما حل عليه وهو القيسر
 تاديبه وحسنه ما جزاه الله عن غير ال سلول الأدب وأوضح لنا من يديه وبديعته
 حمدًا بحسن يوم القيل من غزل المشهور المحسن المحظوم وهو يشكرك من شمر بديع صفاتنا
 النظم ولعود بالله من يوم لا يشغرك من هذا النظم. وثبت من لاله الأله وحده لا شريك له
 شأنه وشا جراته الواحد. وثبت عهدان سيدنا محمد بمكمله ورسوله المعوث من بين عرب بني
 على الأعراب والإعراب اعظم شاهده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم نظام هذا البيت
 ودواً آخرهم. وأنواع بديعهم ودبيحة صدرهم وسلم تسلمها كثيراً ولجستهم في هذه
 طريقتهم البديعية التي تسببها بمدحه مع الله عليه وسلم على بنو آل طراخ الزره. وكان يكون لنا
 المعتمد الأشراف العمالي المولوي العياض في المجد وهي الناصري محمد بن البارزي الجرجاني الشافعي
 الذي نعتنا هذه الصفة. وحكي ضربها الخالف لحصول هذه الزهرة. وما ذاك إلا أنه وقف
 بدمشق المحرقة سنة ما قد بينت يد بعينك عن ابن الجاحظ رحمه الله تعالى التزم فيها تسمية النوع
 فتبينه في قوله بديع وهو من جنس الغزل اليميني يدل على الشيخ صغى الير الحلي لأنه قال التزمه بديعته
 مثل هذا البيت، الثليل. غير أن الشيخ غير الذي ذكره عن سنايتوته غافل عن أن نوعه ولا
 حالت يد له هام العتقان التي من اشارات ابن الجاحظ الإصبع. وزعموا عن القاب بتسمية النوع
 ولم يعرف من المسمى. ونحوه على المناظر والمعاني لشدة ما عهده نطقه. فإنا دارها بالحيث إن
 قريب ولكن. وإن ذلك أهواله. فاستحار الله موكب المعصرا الناصري المشاعر التي عهده نطقه
 ورسمه ونظمه فقصده أظن رحلتها بديع هذا الاثر. وأما في الجاحظ بركة الشعر الحلال الذي نعت
 في عقد الأفلام فطرت العرب من سنايتوته لم يبت له على المناظر طاقه. فيجمل بالمشق وينقل إلى غيره
 صارت أفكاره بارشاه إلى العياض سنايتوته. فجاءت بديعته هدمت بهما منحة الوصاف
 ينوتهم من الجبال. وعجارت الصف مقيداً بتسمية النوع وهو من ذلك بحلول العقاب. ومنها
 تقدم لي على ما أنه لا يستمر الحل والوصاف هذا التقديم مقال. وكان المشاعر التي عهده نطقه
 أعمر الذي سنى أبيهم وأشار إلى هذا السلول وأرشدته فاقده شهادته العال وهو يفتقد أبو بكر بن محمد
 العبد الاستبداد في أبتدأ أمده حبله بغيره في سلمه براعة تسميه بالدمع في المعابر
 أتبعه قلم البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طابع أهله المماثل في أفضحه واستهلاله وأن لا يحا

الجزء الثاني من كتاب
 البديع
 في
 شرح
 قوله
 بديع
 وهو
 من
 جنس
 الغزل
 اليميني
 يدل
 على
 الشيخ
 صغى
 الير
 الحلي
 لأنه
 قال
 التزمه
 بديعته
 مثل
 هذا
 البيت
 الثليل
 غير
 أن
 الشيخ
 غير
 الذي
 ذكره
 عن
 سنايتوته
 غافل
 عن
 أن
 نوعه
 ولا
 حالت
 يد
 له
 هام
 العتقان
 التي
 من
 اشارات
 ابن
 الجاحظ
 الإصبع
 وزعموا
 عن
 القاب
 بتسمية
 النوع
 ولم
 يعرف
 من
 المسمى
 ونحوه
 على
 المناظر
 والمعاني
 لشدة
 ما
 عهده
 نطقه
 فإنا
 دارها
 بالحيث
 إن
 قريب
 ولكن
 وإن
 ذلك
 أهواله
 فاستحار
 الله
 موكب
 المعصرا
 الناصري
 المشاعر
 التي
 عهده
 نطقه
 ورسمه
 ونظمه
 فقصده
 أظن
 رحلتها
 بديع
 هذا
 الاثر
 وأما
 في
 الجاحظ
 بركة
 الشعر
 الحلال
 الذي
 نعت
 في
 عقد
 الأفلام
 فطرت
 العرب
 من
 سنايتوته
 لم
 يبت
 له
 على
 المناظر
 طاقه
 فيجمل
 بالمشق
 وينقل
 إلى
 غيره
 صارت
 أفكاره
 بارشاه
 إلى
 العياض
 سنايتوته
 فجاءت
 بديعته
 هدمت
 بهما
 منحة
 الوصاف
 ينوتهم
 من
 الجبال
 وعجارت
 الصف
 مقيداً
 بتسمية
 النوع
 وهو
 من
 ذلك
 بحلول
 العقاب
 ومنها
 تقدم
 لي
 على
 ما
 أنه
 لا
 يستمر
 الحل
 والوصاف
 هذا
 التقديم
 مقال
 وكان
 المشاعر
 التي
 عهده
 نطقه
 أعمر
 الذي
 سنى
 أبيهم
 وأشار
 إلى
 هذا
 السلول
 وأرشدته
 فاقده
 شهادته
 العال
 وهو
 يفتقد
 أبو
 بكر
 بن
 محمد
 العبد
 الاستبداد
 في
 أبتدأ
 أمده
 حبله
 بغيره
 في
 سلمه
 براعة
 تسميه
 بالدمع
 في
 المعابر
 أتبعه
 قلم
 البديع
 على
 أن
 براعة
 المطلع
 عبارة
 عن
 طابع
 أهله
 المماثل
 في
 أفضحه
 واستهلاله
 وأن
 لا
 يحا

الصفحة الأولى من «ك».

تدريج
والله اعلم
بما يريد
الغياث

النوع البديع ومراعاة التورية والحث مقترن مع كل واحد منهما في اجازته وتفسيره عند الاستهلال وفي الفرق بينهما واوردت في من الخلق ما وقع من غيرهما ووردت وما اقتدر من الحث مع المنتصر في تقسيمه ما يتفق فيه على جميع الادب وينسب تذاكره وقد انتهت الغاية بحمد الله الى حث الختام واوردت فيه ما لا تخفى على من علمه على المتأمل ولا يخفى صدر كتابه وانا اسأل الله حث الخاتمة ببركته المذوح عليه افضل الصلاة والسلام قال المصنف رحمه الله وكان الفراغ من هذا المصنف المبارك في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٠٤٠ هـ وعاشي ما فيه ١٠٠٠ ورافق الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة في السادس والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ١٠٤٠ هـ وعاشي ما فيه ١٠٠٠ هـ

ما في هذا الكتاب من الاموال المشتمل على
وغيرها من الاموال المشتمل على
وما في هذا الكتاب من الاموال المشتمل على
وما في هذا الكتاب من الاموال المشتمل على
وما في هذا الكتاب من الاموال المشتمل على

تقنينها بحمد الله
تعالى عن الكتاب المرجوم السبع سودان
الله الابراهيمي الخفي عامله
الله بلطفه الخفي الخفي
وعذله والوالده
والمليين
امين

وما لطف قوله سيدنا شاه الدين ابراهيم
يا سيدنا طالعنا ان راق معناه فقد وافق له باب الرضى وان تجرد عما يافسد



بسم الله الرحمن الرحيم **هـ** توكلت على الله اعظمت بالله استعنت بالله
 والشم الامام العلامة فزدد هم ووجد عصوره ابو الحسن في الدين ملك
 القاد بن ابوبكر بن حجة الحنفي القادري الخوي مشفق وواو بن الانشا الشريف بالديار المصرية
 والميا لفته الاسلام فيه تعهد الله تعالى برحمته واسكنه فيم جنه بمنه وكرمه **هـ** الحمد لله البديع
 الربيع الذي احسن تدا خلقنا بصنعه واولنا جليل الصنيع واستمالت الاصوات بمراعة
 لوحده وهو البصير السميع **أ** د ب نبينا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديره حتى شهدنا
 حراه الله عنا خيرا الى سلول الادب وادبنا لينا يد بعه وعزبه **ج** حمدنا حمدنا بحسن به
 من اخلص من عزال التهم الى حسن الحتام وبتكمن شكر من شعره سدريم صفاته فاحسن النظم ونحو
 بالله من يوم لا يتغيرون بقصد النظام ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهدنا شاعر
 بانه الواحد ونشهد ان محمدا عبده ورسوله المعوث من بيت عربي فصا خذ على الاعراب والاعراب
 اعظم شاعر صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودوا برحمة وانواع
 بديعه وديبا جة صدره وسلم سلما كثيرا **هـ** **ج** الحمد لله البديع التي فحمتها بديعه
 صلى الله عليه وسلم على منوال طح البرن كان مولانا المقر الاشراف العالي الولوي الفاضل المحمدي
 اناصر محمد بن ابازي الحنفي الشافعي صاحب دواو بن الانشا الشريف بالمالد الاسلاميه المحوسه
 جل الله الوجود بوجوده هو الذي تقف في هذه الصعده وحلب صرعها الخال حصول هذه الزكاه
 وما ذاك الا انه وقت بد مشق المحروسه على تصديده بديعه الفاضل عز الدين الوصلي رحمه الله
 العالي فتم فيها لقبه النوع البديع وورثه من حسن الغزل كيتيمه يد عن المبعض حتى الذي
 الحلي لا ندما التزم في بديعته محل هذا العث القليل غير ان الشيخ عز الدين اعرب عن شلوته
 ما تاذ الله ان ترفع ولا طالت يد له ايام العقاقير التي من اشارات ابن ابي الاصم **هـ** ورميا
 حري في الغالب بتسميه النوع ولم يعرف عن المسيه ونشر مثل الا لفاظ والمعاني لشه ما عنده من خطاه
هـ بنا داسر هانا الخيفه ان مر ارهاه قريه ولكن دون ذلك اهو الك

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي احسن تدا خلقنا بصنعه واولنا جليل الصنيع واستمالت الاصوات بمراعة
 لوحده وهو البصير السميع
 النبينا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديره حتى شهدنا حراه الله عنا خيرا الى سلول الادب وادبنا لينا يد بعه وعزبه
 حمدنا حمدنا بحسن به من اخلص من عزال التهم الى حسن الحتام وبتكمن شكر من شعره سدريم صفاته فاحسن النظم ونحو
 بالله من يوم لا يتغيرون بقصد النظام ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهدنا شاعر بانه الواحد ونشهد ان محمدا عبده ورسوله المعوث من بيت عربي فصا خذ على الاعراب والاعراب اعظم شاعر صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودوا برحمة وانواع بديعه وديبا جة صدره وسلم سلما كثيرا
 الحمد لله البديع التي فحمتها بديعه صلى الله عليه وسلم على منوال طح البرن كان مولانا المقر الاشراف العالي الولوي الفاضل المحمدي اناصر محمد بن ابازي الحنفي الشافعي صاحب دواو بن الانشا الشريف بالمالد الاسلاميه المحوسه جل الله الوجود بوجوده هو الذي تقف في هذه الصعده وحلب صرعها الخال حصول هذه الزكاه وما ذاك الا انه وقت بد مشق المحروسه على تصديده بديعه الفاضل عز الدين الوصلي رحمه الله العالي فتم فيها لقبه النوع البديع وورثه من حسن الغزل كيتيمه يد عن المبعض حتى الذي الحلي لا ندما التزم في بديعته محل هذا العث القليل غير ان الشيخ عز الدين اعرب عن شلوته ما تاذ الله ان ترفع ولا طالت يد له ايام العقاقير التي من اشارات ابن ابي الاصم ورميا حري في الغالب بتسميه النوع ولم يعرف عن المسيه ونشر مثل الا لفاظ والمعاني لشه ما عنده من خطاه بنا داسر هانا الخيفه ان مر ارهاه قريه ولكن دون ذلك اهو الك

استحار الله تعالى مولانا المقر الاشراف الناصري المشافعيه عظم الله تعالى شأنه ورسوله في تنظيم
 قصده اظهر عليها بديع هذا الالتزام واخاري الخالي برتبه السبع الحلال الذي نفت في عقد
 الاقلام فصرت اعرف عن نارك كل بيت له على المناظره خافه فيحكى في باليسق ويتعلق الى غيره وقد
 صارت لي ذكرا برشاه الى لغايات سباقه فاجات بديعته هديت فيما ما تحت الوصلي
 في يومه من الجباله وجازيت ارضي مقدا بضميه النوع وهو من ذلك مخلوق العقاب وميتها
 تقدم في بحر على انه لا يسمع من الحلي والموصلي في هذا التقدم مقال وكان الشاكر اليه عظم الله
 تعالى شأنه هو الذي شى ابائي واشا براني هذا السلوك وارشده فاقدمت برايه العالي ول
 يقندى ابوبكر بن محمد **هـ**

ابن
 لا استنها
 في سنة
 انفق على البديع على ان براعة المطلع عبارة عن طلوع اهله العاني واصبه في استله لها وان
 لا يتجا في جنوب الا لفاظ عن مضاجع الرقه وان يكون التثبيبت بسميه فترضا عند السماع وطرق
 المرسوله تنكته لها بالسلامه من جسم الحزن ومطالعها احتجاب القبول ليس له بعلق با بعه ونظرا
 ان محمدا الناظر في تسابقت تسميه بحيث لا يكون شطره الاول اجيدا من شطره الثاني وتلك
 ابن العترة براعة الاستهلاك حسن الابتداء وفي هذه التسميه تسميه على تحسين المطالع فان اخله

انما

القائلون بحسن الختام على التزيب ولو قال الشيخ عز الدين في حقه بحسن منبداً ساعدته العزيمة
 بقضية النوع الذي هو حسن المنبداً والله اعلم **قلت** المؤلف رحمه الله تعالى هذا الصنف
 المبارك اعني البدعيه وشرحها اذا ملكه استاذك في كبريت نفسه عن التطور في غيره من
 تلك الاكاديب ما تركت نوعاً من انواع القديم الا اطلقت عماناً لقل في ما من
 الطروس مستطرد والى استنجاب ما وقع من حله ورويه ووصت به الخش بين الحصرين
 والمجملين هذا في اقول وبالله المستعان ان العيان اختصر واحداً كثيراً من البدع
 وما اجادوا التي لم يوافق اختياره عليه والشيخ صفي الدين الحلبي اجاد في الغالب
 كحال صده من التوريب او تسمية النوع ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها والشيخ
 عز الدين الموصطري رحمه الله تعالى قصر في غالب بدعيته لا لتمامه فسميته النوع العجيب
 وراعه التوريب والبعث مقرب مع كل ضمير في اجادته ونقصه عن اجادته او يبيد على ذلك
 النوع التوريب وقد يسميهم الاطباء في توير بحسن الاجاد او يراد به الاستعمال
 وفي الفرق بينهما واوردت في حسن الخلق ما استفوت في تحمل جميع الامور وتغني بقاها
 وقد انتهت الغاية بحمد الله الى حسن الختام والتوريب فيه ما لا يفتت حاشته على
 التامل ولا ضد صدره فاب وانما اسال الله احسن الخاتمه بركة المدوح عليه انعتاب السالك
 والسلام **قلت** المستشرق رحمه الله وكان الفساح من هذا الصنف المبارك في شهر
 ذي القعدة الحرام سنة ثمان وعشرين وثمانين وثمانمائة **والحمد لله وحده**

، وافق الفراع من فتح هذه النسخة المباركة في يوم اليلك بالمارك

، وهو المصادق والعشرين من شهر رجب القدر الحرام

، سنة اربع وثمانين وثمانمائة

، وحسنه وجماله

،

باسمه الرحمن الرحيم
 قال شيخنا الشيخ الامام فريد دهره ووجه عصره ابو الحسن
 علي الدين بن علي بن نجدة الحنفي القادري بنسبتي واوين
 الانشا الشريف المدعي صريه والمالك الاسلاميه روي الله تعالى
 روض الادب...
 الرضيع الذي جيبه...
 الاصوات بمرآة...
 فاحسن تأديده...
 وغوبه نمدك هذا...
 من شعر عبيد بن صفاته...
 ونسب دنان لا الاله الا الله...
 ان يحيى عبده ورسوله اما...
 اعظم شاهه صلى الله عليه...
 ودوا برنخرو وارانج بلد...
 البديعية التي نسجها بيد...
 المخرول اشرف النبي لقول...
 الخبي الشافعي صعب و...
 جعل الله الوجود اجود...
 الحافل لحصول...
 بل يعيبة للشيخ زالد بزاده...
 ووزي به من حسن العزلة...
 بل يعيبة قولهم العيب التمسير...
 الله ان يقع مقالتيه لا رام...
 وربما وجيء في اقبال بسمية النوع ولم يعرف عن السمي وشوشن الالفاظ...
 لشدة ما عتد...
 فاستحار الله تعالى...
 ورسول في بطنه...
 الحلال الذي...
 طاقه...
 سبانه...
 بكره على الاله...
 عظمه...
 براميه العالي...
 صلوع...
 مضاجع الرقة وان يكون التشيب...

ضر

مكتلة

الصفحة الأولى من «و».

قول

• وقفوا وقعدوا • بن حجة • علي بابك يسبح لها وهو محرم •
 • فقد جا بشكوا من ذنوب • بغاظت وقد تركت في يوم الشفاعة اعظم •
 • وقد ناله من عنفوان شبابه • ههنا وسفاهم للظلم يقضم •
 • وعارضه تشابك زمن الضيق • عسى بل من العار طرقت •
 • فيا وردنا الصاطير ولوننا • عزيلك اذا ما نالها الضيق •
 • وقلبت بعدك في حسن الختام •
 • عليك سلام نشرة كلما بدا • به يتعالى الطبيب والمسكن •

وبنت الشيخ ضعيف الدين الحلبي في حسن الختام قوله •
 فان سعدت قد حرمك موجهه • وان شقيبت قد نبي موجهه •
 وبنت العيان في حسن الختام قولهم •
 لكن وان طال مذحج لا في انك فاجعل العذر والاقوال •
 بيت العيان في حسن ختامه ابداع من بيت الشيخ ضعيف الدين الحلبي في حسن ختامه وهو •
 ذلك التورية بتسمية النوع وتكلمين التاجية في اخر البيت • وبنت الشيخ عز الدين •
 ابداع من بيت العيان اذ فيه الترشيع بذكر التخلص على الافتتاح وبنت يوسف قول •
 حسن ابتداء به ارجو التخلص من نار الخيم وهذا حسن •
 هذا البيت العار من مدح النبي صلى الله عليه وسلم ختامه سلك كون انه خلافا •
 لما وصلت اليه القدرة من الاوصاف النبوية واجتمع فيه حسن الايراد موزيه مع •
 حسن التخلص وحسن الختام على الترتيب ولو قال الشيخ عز الدين في بيته •
 ساعدته التورية بتسمية النوع الذك هو حسن الابتداء قلت •
 المباركة على البدعية وشرحها اذا ملكه تناديه شرفت عن العطف •
 من تذاكر الادب فاني ما تركت نوعا من انواع البديع الا اطلعت عنان العلم في زياد •
 الطروس فحسنت طردا الى استيعاب ما وقع من جيبك وزد به ونصبت في البحث •
 بين المختصر بن والمجد بن ابتداء في اقول • وبالله المستعان ان العيان اختصر •
 جانبا كبيرا من البديع وما اجاد على النظم فيما وقع اختيارهم عليه والشيخ •
 الدين الحلبي في الغالب لخلاصه من توريته في تسمية النوع ولكنه قصر على •
 نهبت عليه في مظاهرها والشيخ عز الدين لم يوصي رحمه الله تعالى بقصره في غاير •
 لا تزام بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية والبحث متفرع كل منهما اجادته •
 وتقصيره عند ايراد بيته على ذلك النوع الوارد وقد تعلم الاطنا ب من لغز •
 الاستدوار عمة الاستملا في الفرق بينهما واورده في حسن التخلص ما وقع من •
 بدعيه وعريه وما تقدر من البحث مع الفرق نظره ما يتفرق به شمل بجاي •
 ويتيسر بذكره ونما نهبت الغاية محمد الله الى حسن الختام واورده فيه مالا •
 يحاسبه على المامل ولا حمة صدر كتاب وانا اسأل الله حسن الخاتمة ببرك •
 عليه افضل الصلاة والسلام وكان الفراع من هذا التصنيف المبارك من ابداع •
 شيخنا الشيخ الامام العالم العلامة نزيل دهره ووحيد عمره الشيخ آقاي الدين •
 ابي بكر بن محمد الخليلي في دواوين الانشا الشريف بالديار المصرية •
 والما لك الاسلا ميمنة شهر ذي القعدة الحرام عام ست وعشرين وثمان مائة •
 وحسبنا الله ونعم الوكيل • وصلى الله على سيدنا •
 محمد وآله وصحبه وسلم

والله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
 يَا شَيْخَ الْأَمَامِ الْعَلَمِ مِنْ فَرِيدِهِ، وَوَحِيدِ عَمْرِؤِ الْوَحِيدِ
 تَعَالَى الدِّينِ، مَلِكِ الْمَنَادِينَ، أَبُو بَكْرٍ بْنُ حَجَّةِ الْكَنْعِيِّ الْقَادِرِيِّ الْحَمَوِيِّ
 دَوَائِدِ الْإِنْسَانِ، الشَّرِيفِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْمَمْلُوكِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَيْهِ رُؤْيُ
 سَيِّمَاتِهِ رَوْضِ الْأَدَبِ بِسَحَابِ فِكْرِهِ وَنُظْمِ شَمْلِ بِلَلَتِهِ بِبِدَاعِ
 نَشْرِهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ الْبَدِيعُ الرَّبَّاعِي الَّذِي أَحْسَنَ خَلْقَنَا بِصُنْعِهِ وَأَوْلَانَا بِجَمَلِ
 الصَّنِيعِ، وَاسْتَهْلَكَ الْأَصْوَاتَ بِرَاعِيَةِ تَوْحِيدِهِ وَحَمَلَتِ الْبَيْتَ
 أَدَبِ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَسَنَ نَادِيَهُ جَنِّي أُرْسُدُ نَاجِرَاتِهِ
 خَرْتُ إِلَى سُلْكَ الْأَدَبِ وَأَوْضَعْتُ لِنَابِ بَدِيْعِهِ وَغَرِيْبِهِ بِمَجْدِهِ حَمْدًا يُحْسِنُ بِهِ
 التَّخْلِصَ مِنْ غُرْزِ الْبُهْمَةِ إِلَى سَنَنِ الْخِتَامِ وَشُكْرَهُ سَلْمًا مِنْ سَعْرِ بَدِيْعِهِ
 صِفَاتِهِ فَحَسَنَ التَّنْظِيمِ وَخَوَذَ بِنَابِهِ مَنْ قَوْمٌ لَا يَشْرُونَ لَهْزَةَ النَّطَامِ وَتَسْمُدِ
 إِذْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَمْدُهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ شَا عَرَبَانَهُ الْوَاحِدِ وَتَسْمُدِ
 أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ انْبَعَثَ مِنْ بَيْتِ عَرَبِيٍّ فَعَابَ حَمْدَهُ عَلَى الْبَرِّ
 وَالْأَعْرَابِ أَكْثَرَ شَاهِدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ فِي نِظَامِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ وَدَوَائِرِ نَحْوِهِ، وَانْوَاعِ
 بَدِيْعِهِ وَدِيَابِجَةِ صَدْرِهِ وَسَلَّمَ قَلْبَانَا وَعَظْمَ تَعْظِيمَانَا وَبَعْدَ
 فَمَنْزِلَةِ بَدِيْعَتِهِ الَّتِي نَسَجْتُمَا بِعَدْوِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَوَالِ
 طَرِيقِ الْبُرْدَةِ كَمَا كَانَ مَوْلَانَا الْمُتَمَرُّ الْأَشْرَفُ الْعَالِي الْمَوْلِيُّ الْقَاصِدِيُّ
 الْمُخَدَّمِيُّ النَّاصِرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْبَارِزِيِّ الْكَنْعِيُّ النَّاصِرِيُّ صَاحِبُ أَوْجِهِ
 الْإِنْسَانِ الشَّرِيفِ، بِالْمَمْلُوكِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَيْهِ تَوْحِيدِهِ وَحَمَلَتِ الْبَيْتَ
 هُوَ الَّذِي نَقَفَ لِي هَذِهِ الصُّعْدَةَ وَحَلَبَ صُرْعَهَا إِلَى فِئْتِ الْحَمْرِ لِيُحْمَلَ

الصفحة الأولى من «ب».

فاني ما تركت نوعا من انواع البديع الا اطلقت عنان القلم في مباديها
والفروس مستفاد الالستيعاب ما وقع من جيله ووردية
وخصت فيه البحث بين التقصير والتمجيد بيد اني اقوله
وان الله سبحانه استعان ان العيان اختفوا جانبا كبيرا من
البديع وما احاد والنظ فيما وقع اختياره عليه واليتم العمل اجلاء
في الغالب لظلمه من التورية في تسمية النوع ولكنه قفر في مباديها
نبتت عليها في مظانها واليتم العمل قفر في غالب بدعيته
ان ليزايمه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية واليتم
مفروض كل منهم في اجادته وتقصيره عند ايراد بيته على ذلك
النوع الوارد وقد تقدم ان كتاب في توير حسن ان تبدأ
وبراعة ان استعمل في الفرق بينهما واوردت في حسن
التخلص ما وقع من بدعيه وغريبه وما تفر من البحث
مع المعقري في نظره ما يتفرق به كتمل بما مع ان ذلك ينبغي
تذكرة وقد انتهيت الغاية محمد الله سبحانه ال حسن
واوردت فيه ما ان خفيت محاسنه علم المسائل
وان ضم صدر كتاب وانا اسال الله سبحانه ونوعا
حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه افضل الصلاه والحمد
والحمد لله رب العالمين وصل الله عليه وسلم وانشرف كرم
ينكاهن النواحي من هذا الكتاب وهو شرح البديعيات لابن حجر
الحموي احدثي نهار الجمعة سادس عشر جمادى الاولى سنة
الفين وخمس مائة بعد ان لف من الفوه الشيعه عامها حرم سنة
الفين والاربع مائة على يدنا سوا الدرر وس محمد بن محمد المرعي

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الحمد لله البديع الرفيع * الذي أحسن ابتداء خلقنا بصنعه وأولانا جيل الصنيع * فاستهلت
الأسوات ببراءة توحده وهو البصير السميع * أدب نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم فأحسن
نأديه * حتى أرشدنا لجزاه الله عنا خيراً إلى سلك الأدب وأوضح لنا بديعه وغريبه *
نحمده جداً يحسن به التخلص من غزل الشهوة إلى حسن الختام * ونشكره شكر من شعر
بديع صفاته فأحسن النظم، وأعوذ بالله من قوم لا يشعرون بهذا النظام * ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة شاعر بأنه الواحد * وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله
المبعوث من بيت عربي فصاحته على الأعراب والإعراب أعظم شاهد * صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودواجره * وأنواع بديعه ودياج
صدره * وسلم تسليماً كثيراً (وبعد) فهذه البديعية التي نسجتها بعد حمد صلى الله عليه وسلم على
منوال طرز البردة كان مولانا المقرئ الأشرف العالي المولوي القاضوي الخدومي الناصري
سيدي محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالملك
الإسلامية المحررة وسنة بهجت الله الوجود بوجوده، هو الذي ثقف لي هذه الصعدة *
وحلب لي ضميرها الحافل لحصول هذه الزبدة * وماذا كالألأه وقف بدمشق المحررة
على قصيدته بديعية للشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى، التزم فيها بتسمية النوع البديعي
ووري بها من جنس الغزل ليميز بذلك على الشيخ صفي الدين الحلبي، نعمه الله تعالى

القسم الأول

البدیع والبدیعیات

الفصل الأول: علم البديع ونشأته

احتلّ البديع مكانة مرموقة منذ القدم عند العرب أدباء ونقاداً وبلاغيين، لما رأوا فيه من جمال يضيفه على العبارة الثرية أو البيت الشعريّ، كما وجدوا منه ألواناً تزخر بها الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فتسّم ذروة البلاغة حتى اعتبره بعضهم من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لما له من أثر في جلال المعاني وجمال الألفاظ؛ إلا أن الشعراء والكتّاب في عصر التجديد قد فتنوا به وأفرطوا فيه ومنحوه كلّ اهتمامهم، سواء أكان المعنى مفتقراً إليه أم مستغنياً عنه، فوقعوا في عيوب كثيرة من التكلّف والتعسّف، كانوا في غنى عنها، فصار البديع معهم مسلماً وعرّاً يؤدّي إلى الإغراب والتعمية بدلاً من أن يكون وسيلةً لتحلية الألفاظ وتحسينها، أو لكشف المعاني وإبرازها.

ثم شرع العلماء يضيفون إلى ألوان البديع ألواناً تعدّ بالمئات فاختلفت عليهم ولم يعودوا يعرفون الأصل من الفرع فيها، فراحوا يطلقون على كلّ معنى اسماً من أسماء البديع، حتى انحرف عن مساره، وأصبح عبثاً ثقيلاً في نظر النقاد المحدثين، فدعوا إلى التخلص منه والتخلّي عنه، أو التخفيف منه ما استطيع إلى ذلك سبيلاً، متناسين ما كان له من مكانة مرموقة عند النقاد الأقدمين عندما كان يقع للشعراء عفواً دون تكلف، وقد ظنّوا أن العلة في فساد البديع في العصور المتأخّرة، تعود إلى البديع ذاته، ولو أمعنوا النظر النقديّ في ذلك لوجدوا أن العلة تعود إلى سوء استخدام الشعراء لألوانه والإفراط فيها حتى صار البديع عندهم غاية لا وسيلة، إذ عظّمه بعضهم حتّى أسلّك فنونه في قصائد دُعيت بـ «البديعيّات»، وألفوا فيه شروحاً واحتفلوا به أيّ احتفال، ما دفع البعض إلى أن ينعت العصر الذي ساد وشاع فيه بعصر الانحطاط أو الانهيار، وهو عصر كان، وما زال أسوأ العصور حظاً من حيث اهتمام الباحثين به، إذ لا يزال نتاجه أو معظم نتاجه مدفوناً تحت غبار الزمن وخيوط العنكبوت، وكانت من نتاج هذا العصر تلك «البديعيّات» وشروحها، وما تضمّنته من فنون البديع.

إلا أنّ هذه «البديعيّات» بما تضمّنته لم تنل حظّها من الدراسة على غرار غيرها من

المجموعات الشعرية التي نالت حظاً وافراً من جهود الدارسين حتى بلغت الذُرَى وقاربت الكمال عمقاً وعدداً، مثل «المعلقات»، و«المفضليات»، و«الروميات»، و«اللزوميات» وغيرها؛ بل إنَّ البعض قد وقف منها ومن أصحابها موقفاً سلبياً فقال: «منذ القرن السابع الهجري، وقد رمي الشعر العربي بجماعة مهمتها جمع ألوان البديع، وسلكوا في جمعها مسالك التكلف، ووجهوا همّتهم إلى رصّ ألوانه ضارين صفحاً عمّا ينبغي أن يراعى في الشعر من مقتضيات أهمها إبراز المعنى وتجلية الغرض، وجاؤوا بشعر مؤلف من تفعيلات وموازن لا يروق لفظها ولا يفهم معناها، وسمّوا تلك القصائد بالبديعيات»^(١).

فهذه «البديعيات»، على الرغم ممّا حملته من أثر في البلاغة والأدب والنقد واللغة، لم يعكف على دراستها دراسة جادة رصينة إلا نفر قليل جداً من الباحثين، فأعطوها ما تستحقّ من عناية واهتمام^(٢).

١- علم البديع وقيّمته:

يطلق لفظ «البديع»، في اللغة، على الغريب العجيب، أو الجديد المخترع الذي ينشأ على غير مثال سابق، يقال: بدع الشيء يبدعه بدعاً إذا أنشأه وبدأه، وابتدع الشيء إذا اخترعه من غير مثال. و«البديع» يطلق لمعانٍ عدّة فيقال: هذا بديع أي محدث عجيب فيكون من صفة المفعول، ويكون أيضاً من صفة الفاعل بمعنى «المبدع»، ومنه «البديع» في أسماء الله الحسنى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها من غير مثال^(٣)، فجاء في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤). وجاء في الحديث الشريف بمعنى الزقّ الجديد والحلو والطيب لقوله، (ﷺ): «إنَّ تَهَامَةَ كَبْدِيعِ الْعَسَلِ حَلَوٌ أَوَّلُهُ حَلَوٌ آخِرُهُ»^(٥)، وذلك لطيب هوائها الذي لا يتغيّر كما أنّ العسل لا يتغيّر.

(١) البديع في ضوء أساليب القرآن ص ٢٠٢. (٣) لسان العرب ٦/٨-٧ (بدع)؛ ونظم الدرر والعقيان ص ٥١؛ والعمدة ١/٤٢٠.

(٢) من هؤلاء الأستاذ علي أبو زيد، وقد أعدّ دراسة بعنوان: «البديعيات في الأدب

(٤) البقرة: ١١٧.

العربي»، وقد نال بها شهادة الماجستير (٥) لسان العرب ٧/٨ (بدع)؛ والنهاية في من كلية الآداب في جامعة دمشق. غريب الحديث والأثر ١/١٠٦-١٠٧.

وقد ذكر الجاحظ أن مصطلح «البديع» أطلقه الرواة على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فزيدها حسناً وجمالاً، إذ قال معلقاً على بيت الأشهب بن رميلة (من الطويل):

هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَنوُّ بِسَاعِدِ^(١)
«قوله: «هم ساعد الدهر» إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة «البديع»^(٢)؛
ومن هنا كانت بداية المعنى الاصطلاحي لـ «البديع».

أما البديع، في الاصطلاح، فهو علمٌ يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال المعلومة كيفية طُرُقَه في الدلالة وضوحاً وخفاءً^(٣). وقال ابن خلدون: «هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق، إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد، وأمثال ذلك»^(٤).

ويتضح من هذا المعنى أن «العلم بوجوه تحسين الكلام» لا يسمّى بديعاً إلاّ بشرطين: أن يكون ذلك الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، وأن تكون كميّات طرق دلالاته معلومة الوضوح والخفاء، فالشرط الأوّل هم علم المعاني، والشرط الثاني هو علم البيان، فلو عُدِم أحد هذين الشرطين من الكلام لم يكن العلم بوجوه تحسين ذلك الكلام بديعاً، وكان البديع كتعليق الدرّ على أعناق الخنازير^(٥). وبهذا يعني أنّ نسبة علم البديع إلى علمي المعاني والبيان كنسبة المركّب إلى مفرداته، وليس كنسبة التابع إلى المتبوع، والعرض إلى الجوهر، فكما أنّ المركّب لا يستقيم وجوده إلاّ بوجود مفرداته كذلك البديع لا يستقيم إلاّ بوجود المعاني والبيان، ثمّ إنّ أهمّ هذه الفنون الثلاثة هو علم المعاني وأخصّها علم البديع، لأنّه متركّب من الفئتين الآخريّن وزيادة؛ وعلم البيان متوسط بينهما، فهو مشتمل على المعاني مندرج تحت البديع،

-
- (١) البيان والتبيين ٥٥/٤.
(٢) البيان والتبيين ٥٥/٤.
(٣) نظم الدر والعقيان ص ٥١؛ والإيضاح ص ٢٨٧.
(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٣٤٢.
(٥) نظم الدر والعقيان ص ٥٢؛ وكشف الظنون ١/٢٣٢.

فكلّ بديع مستلزم للمعاني والبيان لأتّهما جزآه، وكل بيان مستلزم للمعاني لأنها جزؤه، وليست المعاني مستلزماً للبيان ولا للبديع إذ توجد بدونهما، وذلك في كلام طابق مقتضى الحال، ولم تُعلم كيفية طرق دلالاته ولا وجوه تحسينه، ولا البيان مستلزم للبديع إذ يوجد بدونه في كلام طابق مقتضى الحال وعُلمت كيفية طرق دلالاته ولم تُعلم وجوه تحسينه، وهذا يعني أن المعاني والبيان بالنسبة إلى البديع كالحَيوان والنطق بالنسبة إلى الإنسان، إذ لا بديع بدونهما كما لا إنسان بدون حياة ونطق. والمعاني بالنسبة إلى البيان كالحَيوان بالنسبة إلى النطق، فتوجد المعاني بلا بيان كما يوجد الحيوان بلا نطق؛ ولا يوجد البيان بلا معاني كما لا يوجد النطق بدون الإنسان^(١)، الذي هو البديع. فالبديع إذًا، ليس مجرد حلية، وإنما هو مرتبط بالمعنى، وفصل البيان عن البديع نوع من الافتعال.

يتّضح ممّا سبق أنّ البلاغة لا تحصل إلّا لمن استكمل العلوم الثلاثة: المعاني وهو علم يُحترزُ به من الخطأ في خواصّ التركيب المعنويّ، والبيان وهو علم يبحث في طرق دلالة المعاني ويحترز به عن تعقيدها، والبديع وهو علم يبحث في وجوه تحسينها^(٢). وهذا يعني أنّ علم البديع، كعلمي المعاني والبيان، يعرف به التحسين الذاتي (المعنى)، بالقدر الذي يعرف به التحسين العرضي (اللفظ).

بالإضافة إلى ذلك فإن علم البديع يهدف إلى إظهار رونق الكلام حتى يلج الأذن بغير إذن، ويتعلّق بالقلب من غير كدّ، بل هو علم يهدف إلى اكتشاف عناصر الجمال الأدبيّ في الكلام الأدبي الرفيع، شعراً ونثراً، وسبر أعماق الإبداع وتحديد معالمه وتربية القدرة على الإحساس به، إلّا أنّ الباقلانيّ يرى أن لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادّعوه في الشعر ووصفوه، وإن كانت نظرتّه إلى البديع شاملةً، وذلك لأنّ هذا الفنّ ليس فيه ممّا يخرق العادة ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلّم والتدرّب^(٣). ومهما يكن، فالبديع يبقى وجهاً من وجوه الإعجاز، أو على أقلّ تقدير فهو باب من أبواب البراعة، وجنس من أجناس البلاغة.

(٣) إعجاز القرآن ص ١٥٩، ١٦٢.

(١) نظم الدر والعقيان ص ٥٢-٥٣.

(٢) نظم الدر والعقيان ص ٥٤.

٢- موقف النقاد من البديع:

وقف النقاد من البديع وأهله موقفين متباينين: موقف علماء انداح زمنهم من القرن الخامس الهجريّ إلى القرن الرابع عشر، أحبوا البديع وألوانه، ولا سيما ما احتوى صورة مبتكرة، ونمّ عن رشاقة، وتوشّح بأسلوب عذب رفيع، فإنه كان يخلب ألبابهم ويسلب عقولهم، سواءً جاء بصورة جناس أو تورية أو غير ذلك، فالفنون البديعية جميعها عندهم سواء طالما كانت تملك مسحةً من الجمال، أمّا إذا وجدوا فيها شيئاً من التكلّف فكانوا لا يعبأون بها.

أمّا الموقف الثاني فهو موقف معظم النقاد المعاصرين، فقد وقفوا موقفاً متشجّباً من البديع وأهله وعصره وأدبه شعره ونثره، إذ إنهم رفضوا كلّ ما جاء به العصر المملوكيّ والعثماني وأواخر العصر العباسيّ قبلهما، دون أن يفرّقوا بين الفنون البديعية، وبين الشعراء، وبين الإنتاج الأدبيّ، وبين من نجح في ذلك ومن أخفق، وبين ما جاء عفواً وما جاء متكلّفاً^(١)، ذلك لأنّ كثرة الإفراط في البديع في تلك الفترة خلقت في صفوف هؤلاء ضجّة كبيرة وفي نفوسهم اشمئزازاً عظيماً، حتى غدت كثرة الإفراط في البديع مشكلة مطروحة على طاولة النقد منذ عهد ابن المعتز، إذ كثّر الإفراط فيه على يد بشرّار ومسلم بن الوليد وأبي نواس ومن سلك مسلكهم؛ ولعلّ ابن المعتز هو أوّل من نبّه إلى هذه المشكلة بانتقاده لأبي تمام إذ قال: «ثمّ إن حبيب ابن أوس الطائيّ من بعدهم شُغف به حتى غلب عليه وتفرّع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف»^(٢). ويرى ابن المعتز أن لا مانع من أن يقول الشاعر في قصيدته البيت والبيتين من هذا الفنّ، وكان يُستحسن ذلك منه إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل^(٣). ثمّ صار أبو تمام حديث الناس، ورماه النقاد بإفساد الشعر، فقال الآمدي: «إنّ أوّل من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، وإنّ أبا تمام تبعه فسلك في البديع مذهبه فتحيرّ فيه»، وقيل عن شعره بأنّ ثلثه كان إغراقاً في طول طلب الطباق والتجنيس والاستعارات، وإسرافاً في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها حتى صار كثيراً ممّا أتى به من المعاني لا

(١) انظر البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص ٦.

(٢) كتاب البديع ص ١؛ ونظم الدر والعقيان ص ٥٥-٥٦.

(٣) كتاب البديع ص ١؛ ونظم الدر والعقيان ص ٥٦.

يعرف ولا يعلم غرضه فيها إلا بعد الكدّ والفكر وطول التأمل^(١). ثم وقف القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني^(٢) وعبد القاهر الجرجاني^(٣) موقفاً سلبياً من إفراط أبي تمام في بديعه، وتبعهما ابن رشيق في ذلك^(٤). ويرى التنسي أن الجناس، وإن اعتبره أشرف أنواع البديع، كثيراً ما يصاحبه التكلّف. ولذلك تجنّب الفحول من متقدّمي الشعراء^(٥). ويتفق في هذا الذوق الأدبيّ بعض المغاربة والمشاركة على السواء، فهم يحذّرون من الإفراط في البديع، إلا أن ابن أبي الأصبغ المصري يرى أن كثرة البديع لا تشين الكلام إذا استعمل قلة أو كثرة، فقد أورد في كتابه «بديع القرآن» آية عدد ألفاظها سبع عشرة، واستخرج منها واحداً وعشرين ضرباً من البديع، وهي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ وَنَسْمَأِ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْوَتَ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٦)، ويعقب على ذلك بأنّ في كل لفظة بديعاً وبديعين^(٧)، معتبراً أن البديع يشمل علوم البلاغة كلّها من معانٍ وبديع وبيان.

وليس ابن أبي الأصبغ هو وحده الذي استخرج هذه الكثرة من ضروب البديع دليلاً على أن الكثرة أو القلة ليست سبباً في الحسن أو القبح، وإنما التكلّف هو الذي يهوي بمنزلة البديع العالية، فهذا النويري يرى أنّ الإبداع هو «أن يؤتى في البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من النثر بعدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملة، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة، فليس بإبداع»^(٨).

وهذا الباقلاني في مقارنته بين البحتري وأبي تمام يرى أن الأوّل قد أحسن في إفراطه، والثاني كان إفراطه قبيحاً^(٩).

إذاً، فالتكلّف أو الكثرة المتكلّفة التي يلجأ إليها صاحبها ليظهر مدى قدرته على رصف المحسنات دون فائدة، هي التي تفسد البديع، كما تفسد البيان والمعاني

(١) الموازنة ١/١٣٥؛ ونظم الدرّ والعقيان (٥) نظم الدرّ والعقيان ص ٥٦، ١٩٥. ص ٥٦.

(٦) هود: ٤٤.

(٢) الوساطة ص ١٩. (٧) بديع القرآن ص ٣٤٠-٣٤٢.

(٣) أسرار البلاغة ص ١١. (٨) نهاية الأرب ٧/١٧٥.

(٤) العمدة ١/٢٢٧-٢٢٨. (٩) إعجاز القرآن ص ١٦٢.

والأدب كلّهُ، إذ لا يمكن لألفاظ ميتة أن تحيي معنى أو فكرة. ثم إن كثرة البديع كانت هي المجال الأكبر لمدرسة التجديد، أو مدرسة البديع، فنشأت الخصومات، وكان النقاد ما بين مفتونٍ به وساخطٍ عليه. قال القاضي الجرجاني: «إنّ جلّ الأدباء والنقاد رأوا في الافتنان في الحلية اللفظية المجال الأكبر للتجديد، إيماناً منهم بأنّ الأولين استغرقوا المعاني أو أتوا على معظمها، ولم يتركوا إلا ما استهين به أو صعب الوصول إليه، فلم يبق أمام المحدثين شيء يولعون به إلا البديع والحلية اللفظية، فكان الإبداع والإغراب منحصرأ في هذا الميدان، وتبعهم النقاد ما بين مفتون به وساخط عليه»^(١).

وإذا كان البديع عند النقاد القدامى قد ظفر بحفاوة بالغة فاعتبر دليلاً على كمال البراعة وإتقان الصناعة حتى عدّه قوم من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فقد اختلفت الرؤية عند النقاد والدارسين المعاصرين، لأن الشعر لم يعد يكتب لينشد على الخلفاء في القصور أو الجماهير في الأسواق، وإنما يكتب ليقرأ، فنأخذ منه حصيلة فكرية أو صورة اجتماعية، أو شحنة انفعالية ممّا لا يحتاج إلى تزويق أو تجميل، فقد غدا البديع صورة تُرى، لا نغماً يسمع، لذلك نظر النقاد المعاصرون إلى البديع نظرة استخفاف وازدراء بخلاف نظرهم إلى علمي المعاني والبيان، وغدا البديع برأيهم محسنات لفظية عقيمة، حوّلت مجرى الأدب العربيّ كله إلى زخارف لفظية خاوية من كل معنى عميق، أو إحساس صادق^(٢).

٣- البديع وجمال اللفظ والمعنى:

إن اللغة العربية بقسميها الشعر والنثر، عندما تصاغ بأسلوب أدبيّ، تتميز بالجمال والكمال، وتمثّل قمة الإبداع، لما تملكه من غنى عظيم في مفرداتها، وإتقان محكم في تراكيبها، وزخرف أخذ في أساليبها وأشكالها، وجمال موسيقيّ في لفظها وجرسها. وما يؤكّد جمالها ويشهد بموسيقيتها ذلك السجع في نثرها، وتيك القافية في شعرها، وتلك الفواصل في قرآنها... كلّ ذلك ينبئ عن التماثل بين كلماتها والمشكلة بين ألفاظها والانسجام بين عباراتها. ولعلّ أبرز ما يميّز جمال اللغة العربية وموسيقيتها ما فيها من ألوان بديعية معنوية ولفظية، تظهر من خلال

(٢) انظر فن البديع ص ٢٨-٢٩.

(١) الوساطة ص ٢٠٨.

الكلمة ومثيلتها، أو الكلمة وضدها، إذ تلاحظ الأضداد في الطباق والمقابلة كما تلاحظ المماثلة في الجناس والمشاكلة في سياق سلس لا تنافر فيه ولا اضطراب؛ وهذا ما دفع العرب إلى الزهو والمباهاة بلغتهم في مواجهة الشعوية، فرصدوا ألفاظهم وجمعوا أشعارهم، وقصروا الجمال في اللفظ والمعنى على كلامهم دون غيرهم، فهذا الجاحظ يقول: «والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأزبت على كل لسان»^(١).

وهذا ما يفسر معنى الجمال بـ «البديع»؛ فقد كان العربي يتذوق جمال الألفاظ في لغته وتراكيبها، ويفتن بجمالها وسحرها، فكلمًا حسن الكلام عنده وعذب، التصق بالأسماع واتصل بالقلوب، ولا سيما إذا ترجم المعنى الشريف بلفظ شريف، وعبر عنه بكلام سلس رشيق. ولهذا راح العربي يدقق في اختيار ألفاظه ويتأنق في تركيب عبارته، ويخلع عليها من الحسن ما يرفع من شأنها ويعلي من قدرها، فنراه يردد النظر في الكلام بعد أن يفرغ منه، ويشرع في تهذيبه وتنقيحه، نظماً كان أو نثراً، وذلك في سبيل الوصول إلى أدب جميل لفظاً ومعنى؛ وهذا ما كان يفعله زهير بن أبي سلمى في العصر الجاهلي، والفرزدق في العصر الأموي، ليكون الكلام آخذاً بعبئه بأعناق بعض متلاحماً سليماً مستحسناً متسقاً. فالبديع إذاً، ليس ترفاً في الأسلوب الأدبي أو حلية بمثابة الفضول يستغنى عنها، حتى يكون تابعاً لعلمي البيان والمعاني، بل هو في مقدّمتهما يقوم بدوره في أداء المعنى وتحسينه من خلال اللفظ الحسن، فيقف جنباً إلى جنب مع الصور البيانية والمعاني؛ وهذا ما جعل البعض يطلق عليه وعلى أنواعه اسم المحسنات، مقسماً بعضها إلى محسنات معنوية وبعضها الآخر إلى محسنات لفظية.

وفي القرآن الكريم كثير من أنواع البديع: كالجناس، والطباق، والمقابلة، والطي والنشر، والعكس والتبديل، وغيرها من الأنواع البديعية التي لم تكن فضولاً من القول، ولم تأت لمجرد الزينة، وإنما دعاها المعنى دون غيرها من الألفاظ ليكون له جلاءً وبياناً وفضل وتأثير. ولهذا كان للبديع دور كبير في تجميل المعنى بالقدر الذي يكون به اللفظ جميلاً مستحسناً.

(١) البيان والتبيين ٥٦/٤.

وما يؤكد اتصال جمال المعنى بالبديع قول عبد القاهر الجرجاني، وهو يتّجه ببصره إلى المعنى أثناء تناوله التجنيس: فالقبيح من الجنس هو الذي لم يزدك على أن أسمعتك حروفاً مكررة، تروم لها فائدة فلا تجدها إلاً مجهولة منكورة، والحسن منه هو الذي يعيد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاهها، وبهذا المعيار يعدّ التجنيس من جلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع، ففضل التجنيس مرهون بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لَمَا كان فيه مستحسن ولما وجد فيه إلاً معيب مستهجن^(١).

فالحسن والقبح في البديع ليس مرده إلى اللفظ عند عبد القاهر، إذ إنّ الألفاظ ليس لها نصيب من الحسن، وإثما العبرة بالمعنى الذي لا ينشأ إلاً عن النظم أو الأسلوب، فلذلك يميّز بين تجنيس قبيح وتجنيس حسن. وكما ينكر عبد القاهر التكلّف في البديع والولع به، فإنّه ينكر أن يتطلبه المعنى ثم نغفل عن ذكره، لأن المعنى هو الذي يقود إليه ويستشرف له، فإهماله في هذه الحالة شبيه بتكلّفه حين لا يدعو إليه المعنى، وإذا توافرت المحسّنات البديعية مع حسن النظم، يكون قد وقع الحسن من الجهتين، ووجبت له المزيّة بكلا الأمرين. وتراه يقول: «وعلى الجملة، فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تتغيّ به بدلاً، ولا تجد عنه حولاً^(٢)».

فالبديع عند عبد القاهر إذاً، لا يستقلّ باللفظ دون المعنى، وإثما يذوب داخل النظم أو الأسلوب ليضيف إلى جماله جمالاً، فيعمل عمل السحر في الكلام. فعلم البديع إذاً، هو العلم الذي تعرف به المحسّنات الجمالية المعنويّة واللفظيّة، التي لم تلحق بعلم المعاني ولا بعلم البيان. والمحسّنات الجمالية المعنوية منه: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينة جمالية قد يكون بها أحياناً تحسين وتزيين في اللفظ أيضاً، والمحسّنات الجمالية اللفظية منه: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينة جمالية لفظية، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى.

٤- البديع بين الأدب والفنّ:

لا شكّ أن الصلة متينة بين البلاغة بأقسامها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع،

(١) أسرار البلاغة ص ٤-٥.

(٢) أسرار البلاغة ص ٧.

من جهة، وبين الأدب من جهة أخرى، إذ هي تستمدّ كامل شواهدا منه، وصلتها به كصلة الأدب بالتاريخ الذي يسجّل طرق الحياة الأدبية، إذ إنّ الأدب هو مسرح لعناصر البلاغة، لا يمكنها أن تظهر إلّا من خلاله. ومن الجدير بالذكر أن البديع كأثر فني موجود في الأدب العربي منذ عُرف للعرب أدب، ففي شعر الجاهليين وخطاباتهم وأمثالهم وحكمهم ووصاياهم نماذج من فنون البديع ماثورة في سطور آدابه، إلّا أنّ هذه الألوان من البديع كانت تقع للشاعر أو الخطيب في أثناء نظمه للشعر أو تحبيره للخطبة عفواً دون قصد أو تقعر، ولم يكن للبديع عنده عناية كبيرة أو صغيرة في تدبيح كلامه أو تنقيحه؛ أما في القرآن الكريم فقد كان الهدف مخاطبة عقول الأمة والتأثير في وعيها، فإن جاءت الصورة البديعية في ثناياه زادت خيراً على خير، وإن لم تأت لم تقص من بلاغته شيئاً، ولكن إذا اتّجهنا ببصرنا نحو أدب القرن الثالث الهجري وجدنا العناية بالبديع تصبح مقصودة لذاتها، وغدا الشاعر يقتنصها ويعنى بها أكثر من عنايته بالمعنى نفسه، ولهذا أخذ الأديب يتجه اتجاهاً لفظياً أكثر من أن يتّجه اتجاهاً معنوياً كما هو المقصود من رسالة الأدب، فتحول الأدب بذلك إلى فنّ يجمع فنون البديع بدلاً من أن يكون البديع وسيلة غايته الأدب، وخير مثال على ذلك تلك القصائد المسماة بـ «البديعيات» والتي تدور في موضوعها الأساسي حول مديح الرسول، (ﷺ)، فقد تحوّلت في موضوعها هذا من المديح إلى فنّ استعراضيّ يشمل أنواع البديع ما حسن منه وما قبح، اللفظي والمعنوي، متّخذة من المديح النبويّ مطيّةً ووسيلة إلى غاية لم تكن في الأصل مقصودة بذاتها.

ويتضح مما سبق أن البديع كأثر فنيّ كان موجوداً منذ وجد الأدب، ولكن وجوده كعلم للبديع فيه التعريفات والحدود والتقسيمات والتفريعات تأخر إلى ما بعد صدر الإسلام بقرون. وقد تنبّه الشعراء بصفة خاصّة إلى الأثر الذي يتركه هذا البديع فأولعوا به واستخدموه في أشعارهم باعتباره وسيلة للوصول إلى هذه الغاية، فقد استعمله بشار بن برد، ومسلم ابن الوليد، وابن الروميّ، والبحتريّ، حتى أصبح غايةً في ذاته على يد أبي تمام. ومن هنا راح الشعراء يتفتنون في صيغ أشعارهم بالصبغة البديعية، كما تفتن الكتاب في توشية عباراتهم بالزينة اللفظية، فكانت غايتهم أن يقولوا كلاماً حسناً بديعاً في أسلوب شائق جميل، يأتي عفواً بلا تكلف، فاجتمعت لديهم صور بيانية من تشبيه واستعارة وكناية، إلى جانب محسنات بديعية من جناس

وطباق ومقابلة، بعضها يؤازر بعضاً، فأطلق عليهم النقاد شعراء البديع، كما أطلقوا على أداتهم في التعبير اسم «البديع»، وأصبحت السمة المميّزة لعصر التجديد الذي استهلّه بشار، ومسلم ابن الوليد، وأبو نواس، ثم أبو تمام، هي البديع، فتغيّر بذلك وجه الشعر تغيّراً كاملاً، وغدا البديع من مميزات الشعر وحسناته وليس من سيئاته، ولا سيّما عند أصحاب مدرسة التجديد برئاسة أبي تمام، إذ كانت هذه المدرسة صاحبة مذهب في الشعر، فأفرطت في توشيته بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية، فخرجت عن مدرسة عمود الشعر التي يمثّلها البحتري، وأدّت إلى ظهور علم جديد هو علم البديع، وبهذا غدا الشعر عند العرب فتناً أو صناعة لها قوانينها التي تتحكّم في الشكل والإطار الخارجي، لذلك كان اهتمام العرب بالجمال الشكلي لا يقلّ عن اهتمامهم بالمضمون، فتحوّل مجرى الأدب العربيّ في عهد التجديد إلى زخارف لفظية خالية من كلّ معنى عميق أو إحساس صادق؛ إلا أنّ الشكل لم يكن دائماً قليل الجدوى، فهو من خصائص الشعر، إذ إنّ الذي يميّز الفنّ عن غيره هو الشكل، فلو انهار الشكل، لم يعد الفنّ فتناً، فالمحسنات البديعية إذّاً، لا تكون في يد الأديب الماهر مجرّد ألفاظ خاوية عقيمة من كل معنى، وإنّما تتحوّل على يديه إلى شيء ذي قيمة عظيمة إذا أحسن استخدامها، وأتى بها لتؤدّي دوراً في إفادة المعنى، فيزداد الأدب بها شرفاً وفضيلة. ولعلّ النقاد في عصرنا الحديث قد زهدوا في البديع وهاجموا أصحابه لما انتهى إليه حال الشعر العربي قبل حركة البعث الحديثة على يد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وغيرهما ممن أنقذ الشعر العربي من تلك الهوة السحيقة التي تردّى فيها منذ أواخر العصر العباسيّ إلى حركة البعث الحديثة^(١).

كما أنّ خروج البديع في تلك الفترة عن دائرته المرسوم له، وغلبة التكلّف عليه، أحاله إلى صنعة عقيمة لا يؤدّي دوراً في المجال الأدبيّ بصفة عامة، والفنّ الشعريّ بصفة خاصّة، بل أصاب الأدب العربي بتدهور لعدة قرون، فدمر الذوق الأدبيّ، وغدا، من حيث لا يدري أصحابه، إلى عامل من عوامل القبح بعد أن كان من عوامل الجمال.

ومهما يكن، فإنّ البديع هو «أحد علوم الأدب الستّة، وذلك أنّك إذا نظرت في

(١) فن البديع ص ٣١.

الكلام العربي إِمّا أن تبحث عن المعنى الذي وضع له اللفظ وهو علم اللغة، وإمّا أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه من الحذف والقلب والبدل وغير ذلك وهو علم التصريف، وإمّا أن تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركّب بحسب اختلاف أواخر الكلم وهو علم العربية، وإمّا أن تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغويّ وهو علم المعاني، وإمّا أن تبحث عن طرق دلالة الكلام إيضاحاً وخفاءً بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان، وإمّا أن تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع^(١).

٥- أقسام علم البديع:

قال محمد بن عبدالله بن عبد الجليل التنسيّ: «اعلم أن الطيّب وغيره نصّوا على أن أنواع البديع تتعلّق بباين: باب الفصاحة وباب البلاغة. فما كان منها متعلّقاً بالمعنى أو باللفظ معاً فهو من باب البلاغة. وما كان منها متعلّقاً باللفظ فهو من باب الفصاحة. فهي ثلاثة أقسام: قسم يتعلّق بالمعنى فقط كالتورية وتجاهل العارف وما جرى مجراها مما لا تعلّق له باللفظ. وقسم يتعلّق باللفظ فقط كالتجنيس وردّ العجز على الصدر ونحوهما مما لا تعلّق له بالمعنى. وقسم يتعلّق باللفظ والمعنى كالمطابقة والمقابلة وما أشبههما مما لكلّ واحدٍ من اللفظ والمعنى فيه حظّ. وأسقط صاحب الإيضاح هذا القسم وجعل البديع قسمين: قسم يتعلّق باللفظ وقسم يتعلّق بالمعنى وهو الأبين»^(٢).

وقيل: إنّ أوّل من قسّم المحسنات البديعيّة إلى ثلاثة أنواع هو بدر الدين بن مالك الطائيّ، وهي عنده:

- نوع راجع إلى الفصاحة اللفظية، وهو أربعة وعشرون فتاً منها: التريد والتعطيف وردّ العجز على الصدر والتشطير والترصيع...

- نوع راجع إلى الفصاحة ويختص بإفهام المعنى وتبينه، وهو تسعة عشر فتاً منها: حسن البيان والإيضاح والمذهب الكلاميّ والتبيين والتميم والتقسيم...

(١) نظم الدرّ والعقيان ص ٥٥؛ وخزانة الأدب ص ٣١٤/١.

(٢) نظم الدرّ والعقيان ص ٥٤-٥٥.

- نوع راجع إلى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه ومن فنونه: اللف والنشر، والتفريق والجمع والتورية وحسن الابتداء وحسن الخاتمة^(١)...

إلا أن السكاكي كان أول من قسم هذه المحسنات البديعية إلى قسمين إذ قال: «وإذ تقرّر أنّ البلاغة بمرجعيتها، وأنّ الفصاحة بنوعيتها، ممّا يكسو الكلام حلّة التزيين، ويرقيّه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ»^(٢).

ثم درج البلاغيون بعد السكاكي إلى تقسيم المحسنات البديعية إلى نوعين:

١- المحسنات المعنوية: وهي ما تزيد المعنى حسناً، إمّا بزيادة تنبيه على أمر، أو بزيادة التناسب بين أجزاء الكلام، فبعض هذه المحسنات المعنوية، لا تخلو من تحسين اللفظ، بل هي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، ويتبعه تحسين اللفظ ثانياً وبالعرض. ويعرف هذا النوع من الآخر بأنّه لو غير اللفظ بما يرادفه لبقى المحسن كما كان قبل التغيير، كما في الطباق.

٢- المحسنات اللفظية: وهي ما تزيد الألفاظ حسناً، وإن كانت لا تخلو من تحسين المعنى، بل هي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أولاً وبالذات، ويتبعه تحسين المعنى ثانياً وبالعرض. وما يميّز هذا النوع عن الأول أنّه لو غير أحد اللفظين بما يرادفه لزال ذلك المحسن، كما في الجنس.

وهذا التقسيم لتلك المحسنات البديعية إلى لفظية ومعنوية إنّما هو تقسيم مفتعل لم يحالفه التوفيق، وذلك كمن يفصل الجسم عن الروح، أو الروح عن الجسم، إذ إن جمال الألفاظ لا يكون إلا بتعلقها بالمعاني، وحسن المعاني لا وجود له دون تركيب لفظي، فلا بدّ إذاً من نظرة تكاملية فنية إلى الكلام، إذ إنّ الجمال الحقيقي له لا يكون إلا من قبل اللفظ والمعنى معاً، وهذا ما أكّده عبد القاهر الجرجاني في نظريته إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى؛ فما دام المعنى حسناً تبعه لفظ حسن يؤدّيه، وما دام اللفظ حسناً فلا يعبر به إلا عن معنى حسن، فالحسن المعنوي واللفظي

(١) المصباح ص ٧٥.

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٠٠؛ ونظم الدرّ والعقبان ص ٣١.

مشترك بين المحسنات المعنوية واللفظية، بغض النظر عما إذا كان في أحدهما قدر أكبر من الآخر. ثم إن التكلف في تقسيم المحسنات إلى لفظية ومعنوية يلغيه الاضطراب الذي وقع فيه علماء البلاغة في تقسيم الكلام إلى بيان وبديع، فوضعوا الحدود للفرق بينهما دون أن يلتزموا بها عند التطبيق، وهذا الاضطراب مردّه إلى تداخل البيان الذي يختص بالمعنى بالبديع الذي يختص باللفظ، وهذا يؤكد أن البلاغة لا تحصل إلا لمن استكمل العلوم الثلاثة، كما أنه ليس بمقدور أحد أن يفصل بين المعاني والألفاظ، وهذا ما دفع البعض إلى وضع الاستعارة والمجاز والتدبيح والكناية وتجاهل العارف والتشبيه وما أشبه ذلك في باب البيان حيناً وباب البديع حيناً آخر.

٦- علم البديع والبلاغة:

كائنات الألوان البديعية تأتي في الشعر القديم والنثر عفو الخاطر دون تكلف أو إعمال للفكر، بل كانت ممّا يستدعيه المعنى استدعاءً، تصدر عن الشعراء فطرةً وسليقة، وقد زخرت النصوص القديمة والمخضمة بتلك الصور دون أن يعرف أصحابها أسماءها أو أقسامها.

وجاء العصر العباسي بحضارة جديدة سواءً على صعيد الحياة المادية أو العقلية والفكرية، فأمدت الشعر بالخيال الخصب، والفكر العميق، والمعنى الدقيق، ولوّنته بألوان بديعة من التشبيه والاستعارة، وصبغته بأصباغ زاهية من الثقافة والفلسفة، ومزجته بحكمة الهنود وأدب الفرس.

وقد تنبّه الشعراء العباسيون منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجريّ إلى ما في شعر القدماء من طرائف «الصنعة» البديعية، فتناولوا البديع تارةً مقتصدين كالبحثري وابن المعتز، وتارةً تناولوه مُفرطين كأبي تمام، وهذا ما جعل الجاحظ يضيف إلى معنى الجدة والطرافة للبديع الاستعمال العلمي وذلك في روايته لقول الأشهب بن رُميلة (من الطويل):

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَنْوُءُ بِسَاعِدِ
فقال: «قوله: «هم ساعد الدهر»، إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة

«البديع»^(١). ثم قال: «والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأزبّت على كلّ لسان، والراعي كثير البديع في شعره، وبشّار حسن البديع، والعتّابيّ يذهب في شعره في البديع مذهب بشّار»^(٢).

وهذا يعني أن الجاحظ كان قد أطلق لفظ «البديع» على طريف الاستعارة في «ساعد الدهر»، ويروي ذلك عن الرواة، أي رواية الشعر، فالتسمية ليست له، بل هي لرواة الأدب، وظهرت أوّل ما ظهرت على لسان الشعراء. ويؤكد هذا ابن المعتز في كتابه «البديع»، إذ ذكر أن هذه التسمية من وضع الرواة والشعراء المولّدين، فقال في مقدّمة كتابه «البديع»: «قد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله (ﷺ)، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدّمين من الكلام الذي سمّاه المحدثون «البديع» ليُعلم أنّ بشّاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفنّ ولكنه كثر في أشعارهم فَعرف في زمانهم حتى سُمّي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه»^(٣).

وقد أطلق ابن المعتز هذا المصطلح «البديع» على الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وردّ العجز على الصدر، والمذهب الكلاميّ؛ وكان أوّل من جمعها تحت اسم «البديع» في كتابه المذكور، ولعلّ محاولته هذه هي أول محاولة علميّة جادّة في ميدان «علم البديع».

ومن هنا نرى أن الجاحظ وابن المعتز قد التّقيا في إطلاق مصطلح «البديع» على فنون البلاغة المختلفة بأنواعها. ثم خطأ خطوتهما قدامة بن جعفر الذي يرى أن ألوان البديع هي البلاغة، وفي ذروة الحسن منها^(٤)؛ وأبو هلال العسكري^(٥)، وإن كان هذا الأخير قد أخذ عنده مدلول «البديع» في التخصّص، والابتعاد قليلاً عن علوم البلاغة الأخرى؛ إلا أنّ مصطلح «البديع» ظلّ يتّسع في القرون الستّة الأولى للهجرة لكلّ أنواع علوم البلاغة بحسب وضعها الأخير: «المعاني والبيان والبديع» عند علماء البلاغة كابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهما، إلى أن جاء السكاكي

(٤) نقد الشعر ص ٣٨.

(٥) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

(١) البيان والتبيين ٤/٥٥.

(٢) البيان والتبيين ٤/٥٥-٥٦.

(٣) كتاب البديع ص ١.

فكان أول من فصل بين علم البيان وعلم المعاني، ثم أشار إلى أنّ هناك وجوهاً أو محسنات، كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام...، وهي قسمان:

قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ^(١). وهذا يعني أن «علم البديع» ما زال عنده مشتركاً مع علمي المعاني والبيان.

ثم جاء بدر الدين بن مالك فسَمّى هذه الوجوه التي ترجع إلى المعنى واللفظ «علم البديع» فكان أول من أطلق هذا المصطلح على هذه المحسنات البديعية^(٢)، وقسمها ثلاثة أقسام، كما رأينا سابقاً.

إلا أنّ أبا الفرج الأصبهانيّ ذكر أنّ الشاعر العباسيّ مسلم بن الوليد كان أول من أطلق هذا المصطلح، إذ قال: «وهو، فيما زعموا، أول من قال الشعر المعروف بـ «البديع»، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف، وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائيّ، فإنّه جعل شعره كلّ مذهباً واحداً فيه^(٣).

ثمّ جاء الخطيب القزويني وفصل «البديع» فصلاً تاماً عن البلاغة التي جعلها محصورة في المعاني والبيان، فأخذ معه «البديع» المعنى العلميّ الذي بقي سائداً إلى الآن؛ وهو عنده ضربان:

ضرب يرجع إلى المعنى وضرب يرجع إلى اللفظ، إلا أنّه جعله تابعاً لعلمي المعاني والبيان، لا ينفصل عنهما^(٤).

ومهما يكن من أمر تبعية البديع لغيره من علوم البلاغة أو عدم تبعيته لها، فهو ما يزال متسماً ذروة البلاغة حتى عدّه قوم أنه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ وما انفصال علوم البلاغة عن بعضها إلا افتعال، بل إن ألوان البديع هي في الصميم من البلاغة، وقد سبق أن بيّنت أنّ البلاغة لا يمكن أن تحصل إلا لمن استكمل العلوم البلاغية الثلاثة، ولقد كان الزمخشري على حقّ حين سمّى «البيان» و«البديع» بـ «علم البيان» في كثير من كلامه مقتدياً في ذلك بقول عبد القاهر الجرجاني الذي جعل «البيان» و«البديع» كلمتين مترادفتين^(٥).

(٤) الإيضاح ص ٢٨٧؛ والتلخيص ص ٣٤٧.

(٥) بديع القرآن ص ٢٦-٢٧.

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.

(٢) المصباح ص ٧٥.

(٣) الأغاني ٣٦/١٩.

٧- نشأة علم البديع وتطوره حتى زمن ابن حجة الحموي:

سبق أن أشرت إلى أن البديع كأثر فني كان موجوداً في الأدب العربي منذ وجد الأدب، إلا أنه كان سليقة لدى الأدباء العرب، ولم يكونوا يعرفونه بهذا الاسم، وإنما كانوا يطبقونه في شعرهم وخطاباتهم وأمثالهم وحكمهم ووصاياهم منذ العصر الجاهلي أيام كانوا يجتمعون في الأسواق والأندية الأدبية كالمربد وعكاظ، فنجد في أدبهم نماذج مختلفة من فنون البديع ماثرة في ثناياها بطريقة عفوية، لا تقدر فيها ولا تكلف، وقد ينظم الشاعر منهم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في أشهر دون أن يكون للبديع أية عناية في تديجها وتنقيحها، أو في نقدها وتصحيحها، فكان الشعراء يتناشدون أمام زهير والنابغة ليحكمما على جودة شعرهم أو رداءته، من خلال روايتهما له بمنظار هذا العلم، وإن لم يكونا قد عرفاه بعد كعلم له حدوده ومصطلحاته الخاصة به.

وإذا انتقلنا إلى القرآن الكريم مع مجيء الإسلام نجد نصوصه في ذروة البلاغة من حيث معناها: «إصابة المعنى والقصد إلى الحجة»، و«حسن الإشارة وإيضاح الدلالة»، فخير الكلام «ما ظُرفت معاليه، وشُرُفت مبانيه، والتدّت به آذان سامعيه»^(١)، إذ إنّ الهدف من القرآن الكريم مخاطبة عقول الأمة والتأثير في وعيها، فإن جاءت الصورة البديعية في التعبير زادت خيراً على خير، وإن لم تأت فيه لم تنقص من بلاغته شيئاً.

وإذا ولينا وجوهنا شطر الأدب في بداية القرن الثالث الهجري وجدنا العناية بالبديع تكبر، وتصبح الألوان البديعية مقصودة لذاتها بدلاً من أن تكون وسيلة، وغدا الأديب أو الشاعر يقتنصها أينما وجدها ويعني بها أكثر من عنيته بالمعنى، فأخذ يتّجه اتّجهاً لفظياً أكثر من أن يتّجه اتّجهاً معنوياً، كما هو المقصود من رسالة الأدب عادةً.

إلا أنّ علم البلاغة، كغيره من العلوم التي نشأت بهدف بيان إعجاز القرآن الكريم وتيسير فهمه للعناصر غير العربية خاصة، أخذ يتطور ويتوضّح، حتى صار علماً قائماً بذاته، يعرف بعلم البلاغة التي تشمل اليوم العلوم الثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

(١) أدب المجالسة وحمد اللسان ص ٦٧، ٦٩، ٧٠.

ويبدو أنّ هذا العلم «البلاغة» كان أعسر العلوم، ولكنه كان ألصقها بفهم المعجز من كتاب الله العزيز، والمبدع من أدب العرب، وإذا تتبّعنا تطوّره وجدنا أنه بلغ أوجه، أو كاد، في قرون عدة قبل عصر ابن حجّة، واتّسع كثيراً وتفرّع منه علم بلغ ذروته في عصر ابن حجّة، وهو «علم البديع»، ولا سيّما عندما أسهم فيه نظام البديعيّات وشرّاحها بالإضافة إلى المؤلّفين في البلاغة والعلوم المتّصلة بها.

ولا بدّ من أن نذكر أنّ علوم البلاغة هذه، قد مرّت قبل أن تتوضّح حدودها وتستقرّ مصطلحاتها، بمرحلة كان يطلق فيها على علم البلاغة اسم «علم البديع» الذي هو أحد أنواعها الثلاثة، إذ إنّّه لم يعرف كعلم للبديع له تعريفاته وحدوده وتقسيماته وتفرّعاته إلّا بعد صدر الإسلام بقرون. يقول الجاحظ في نشأة البديع وفي أوّل من افترعه في كتابه البيان والتبيين: «ومن الخطباء الشعراء ممّن كان يجمع الخطابة والشعر الجيّد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمرو العتّابيّ، وكنيته أبو عمرو، وعلى أفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلّف مثل ذلك من شعراء المولّدين، كنعو منصور التّمريّ، ومسلم بن الوليد الأنصاريّ وأشباههما. وكان العتّابيّ يحتذي حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولّدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة»^(١).

وفي قول الجاحظ ما يدلّ على أن «البديع» نشأ في الأدب العربي منذ اختلاط الفكر والجهود بين العرب والفرس، وذلك بدليل اختلاط الأسماء العربية (العتّابيّ والنمري وابن هرمة) مع الأسماء الفارسيّة (بشار وابن الوليد)، وهذا يبيّن أنّ البديع مذهب عباسيّ تضافرت فيه جهود مجموعات مختلفة من الشعراء العرب والفرس، وإن كان العباسيون يرّدونه إلى مصادر عربية خالصة، كما ورد في قول الجاحظ: «والبديع مقصور على العرب...»^(٢).

إلّا أنّه جاء في العمدة: إنّ مسلم بن الوليد هو أوّل من تكلّف البديع من المولّدين وأخذ نفسه بالصنعة وأكثر منها، ولم يكن في الأشعار المحدثّة قبله إلّا النبذ اليسيرة^(٣). وجاء في الأغاني أنّه أوّل من أطلق هذا المصطلح، ووضع مصطلحات

(٣) العمدة ١/٢٢٩.

(١) البيان والتبيين ١/٥١.

(٢) البيان والتبيين ٤/٥٦.

أخرى لبعض الصور البيانية والمحسنات البديعية كالجناس والطباق^(١). ثم جاء في المصدر نفسه: أنّ أول من فتح البديع من المحدثين هو بشار بن برد، وابن هرمة وهو آخر من يستشهد بشعره من العرب. ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي، ومنصور النمري، ومسلم بن الوليد، وأبو نواس، ثم حبيب بن أوس الطائي، وأبو عبادة البحرني، وعبد الله بن المعتز، فانهى علم البديع والصنعة إليه، وختم به، وقيل: إنّ بشاراً أبو المحدثين^(٢).

وشاع هذا اللون «البديع» في الأدب ولجّ المولّدون في اصطناعه وتباهوا بالسبق إليه ممّا حدا بالخليفة العباسي الشاعر ابن المعتز إلى أن يؤلّف «كتاب البديع» ليُعلم أنّ بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكن كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه، وليُعرف أنّ المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع. ثم قال: «إنّ حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغف به حتى غلب عليه وتفرّع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض...»^(٣).

يتّضح ممّا سبق أنّ أوليات «علم البديع» ظهرت في محاولة الشاعر العباسي مسلم ابن الوليد في إطلاقه هذا المصطلح على بعض الصور البيانية والمحسنات البديعية، ثم جاء الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» ليطلق المصطلح نفسه على مختلف فنون البلاغة، وذلك ظاهر في تعليقه على بيت الأشهب بن رُميلة حيث يسمي الاستعارة بديعاً، دون أن يحاول وضع مصطلحات وتعريفات لأنواع البديع، إذ إنّ اهتمامه عند الكلام عنها كان بتقديم الأمثلة والنماذج، لا بوضع القواعد؛ إلا أنّ أول من قام بوضع قواعد مستنبطة من الشعر ليكون منها علماً مستقلاً قائماً بذاته هو أحمد بن يحيى، ثعلب، وقد ألّف كتاباً سماه «قواعد الشعر» جمع فيه أكثر الأنواع البديعية التي وجدها في زمانه، فتكلّم على التشبيه ولطافة المعنى (الكناية) والمطابقة...، كما أطلق لفظ «نوعت الشعر» على ما يسمّى اليوم بالجناس والتسهيّم والإيغال

(١) الأغاني ٣٦/١٩؛ وعلم البديع (عبد العزيز عتيق) ص ١١.

(٢) العمدة ٢٢٩/١.

(٣) كتاب البديع ص ١.

والترصيع والإفراط في الصفة واثتلاف اللفظ مع المعنى .

ولعلّ أوّل محاولة علمية جادة في مجال علم البديع تلك المحاولة التي قام بها ابن المعتزّ سنة ٢٧٤هـ. ، إذ كان السبّاق إلى جعل تلك الفنون تحت اسم «البديع» في كتاب خاصّ يحمل الاسم نفسه، فكان أوّل من فتنّ منهج البلاغة ووسائل تحسين الأسلوب الأدبي، وأوّل من فتح الطريق أمام كثير من علماء البلاغة الذين استهوتهم هذه الصنعة، فاستخرجوا أنواعاً لا تحصى، وبذلك كان ابن المعتزّ واضع علم البديع، في أوّل كتاب يحمل معنى هذا العلم، وقد أشار إلى ذلك في كتابه بقوله: «وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد»^(١). وقد ضمّن ابن المعتزّ كتابه هذا الألوان البديعية التي سادت عصره، وهي ثمانية عشر نوعاً، أطلق على الخمسة الأولى منها مصطلح «البديع»، وهي: الاستعارة، التجنيس، المطابقة، ردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها، والمذهب الكلاميّ؛ وأطلق على الأنواع الأخرى مصطلح «محاسن الكلام والشعر»، وهي: الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذمّ، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد به الجدّ، حسن التضمين، التعريض والكناية، الإفراط في الصفة^(٢)، حسن التشبيه، إعنات الشاعر نفسه^(٣)، وحسن الابتداء، دون أن يبيّن سبب فصل أنواع البديع عن محاسن الكلام رغم أنّهما مصطلحان لموضوع واحد. هذا ولم يذكر ابن المعتزّ في كتابه من سبقه إلى بحث في قضايا البديع سوى الأصمعيّ الذي قال إنّ له بحثاً في الجنس، والجاحظ الذي قال إنّّه أوّل من سمّى «المذهب الكلاميّ». وهذا يعني أنّ معظم هذه الأنواع سبقه إليها من تقدّمه، أمّا الأنواع المبتكرة فهي: ردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها، تأكيد المدح بما يشبه الذمّ، الهزل الذي يراد به الجدّ، تجاهل العارف، وإعنات الشاعر نفسه (لزوم ما لا يلزم).

ومن النقاد الذين تلقّفوا محاولة ابن المعتزّ هذه معاصره الذي خلفه في أوائل القرن الرابع الهجريّ قدامة بن جعفر، إذ جمع من البديع أنواعاً كثيرة بلغت عنده

(١) كتاب البديع ص ٥٨.

(٢) المبالغة.

(٣) لزوم ما لا يلزم.

واحدًا وثلاثين نوعاً^(١)، بعضها ممّا ذكره ابن المعتزّ وبعضها جديد، أوردها في كتابه «نقد الشعر»، إلا أنه لم يُسمِّ هذه الأنواع بديعاً، بل جعلها من محاسن الكلام ونعوته. وإذا كان ابن المعتزّ قد قصر كلامه على علم البديع، فإنّ قدامة قد جعل كتابه في نقد الشعر عامّة، وجاء تعرّضه فيه للمحسنات البديعيّة كعنصر من العناصر التي تساعد الناقد في عملية نقد الشعر وإصدار الحكم عليه، متأثراً إلى حدّ ما بالفكر اليونانيّ في تقسيم الأنواع البديعية وتنوعها وتحديدها وتفنيها.

وممّن ألّف في البديع معاصره إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب إذ وضع كتاباً شاملاً سمّاه «البرهان في وجوه البيان» وقد نسب خطأ إلى قدامة.

واستمرّ نشاط الباحثين في البديع، ولا سيّما ما يتّصل منه في إعجاز القرآن، وأشهر ما تركوه من بحوثهم البيانية والبلاغيّة كتاب «النكت في إعجاز القرآن» للرّمانيّ، و«إعجاز القرآن» للباقلانيّ، و«إعجاز القرآن» للقاضي عبد الجبار الأسدآبادي^(٢).

ثم يطالعنا قبل نهاية القرن الرابع الهجري كتاب «الصناعتين: الكتابة والشعر» لأبي هلال العسكريّ الذي عقد الباب التاسع منه «لشرح البديع والإبانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفنونه»، فضمّ إلى البديع أنواعاً وأخرج منه أنواعاً أخرى، وبهذا يكون مدلول «البديع» قد أخذ عنده في شيء من التخصّص، وإن ظلّ يطلق على أنواع البلاغة بصورة عامّة. وقد جعل صور البديع في كتابه سبعاً وثلاثين، في الباب التاسع خمس وثلاثون، وفي الباب العاشر اثنتان؛ محاولاً بذلك أن يحقّق هدفين: أحدهما أن يتمّ في شيء من التوسّع ما بدأه قدامة من بحث صناعة الشعر ونقده، وثانيهما ألا يقف بالبحث الأدبيّ عند حدّ الشعر بل يتعدّاه إلى بحث صناعة الكتابة أو النثر بصفة عامّة^(٣). وبهذا يعتبر كتابه امتداداً لمدرسة الجاحظ وساداً النقص في «بيانه».

وتلخيصاً لما سبق يظهر لنا أن أنواع البديع إلى عصر أبي هلال العسكري قد بلغت واحداً وأربعين نوعاً، ثمانية عشر نوعاً من اختراع ابن المعتزّ، وتسعة من اختراع قدامة، وأربعة عشر من زيادة أبي هلال العسكريّ.

(١) انظر نقد الشعر ص ٣٨ وما بعدها؛ ونظم (٢) نظم الدر والعقيان ص ٣٠.

الدر والعقيان ص ٣٠. (٣) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

وكانت نظرة الباقلانيّ إلى البديع شاملة، وقد ذكر كثيراً من فنونه في كتابه «إعجاز القرآن» بلغت الثلاثين، إلا أنه رأى أن لا سبيل إلى معرفة الإعجاز من البديع الذي ادّعوه في الشعر ووصفوه، وذلك لأنّ هذا الفنّ ليس فيه ممّا يخرق العادة ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلّم والتدرب^(١).

وإذا ما انتقلنا إلى القرن الخامس الهجري فإننا نلتقي بأديب مغربيّ اهتمّ بالشعر وآدابه اهتماماً كبيراً، فنضح الإحساس الفتيّ في كتابه «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده»، وحظي البديع فيه بنصيب وافر من البحث والشرح. وما يلاحظ في كتابه أنّه أفرد أبواباً منه لمباحث البيان، وأخرى للمحسنات البديعيّة، وهذا يدلّ على أنّه قد بدأ يستقرّ في أذهان النقاد وأهل البلاغة أن «البيان» غير «البديع»، وإن خلطوا بين أنواع البيان والبديع؛ وعند كلامه على البديع يفرّق بينه وبين المخترع، ثم يرى أنّ أوّل من جمع البديع هو ابن المعتز^(٢).

وقد جمع ابن رشيق في كتابه تسعة وعشرين نوعاً من البديع، ورد بعضها عند من سبقه وزاد بعضها وقد بلغت الأنواع الجديدة عنده تسعة. وتتميز دراسة ابن رشيق لما ذكره من فنون البديع بأنها أكثر تفصيلاً وإن كانت امتداداً لما ذكره من قبله، فهو يعرف الفنّ البديعيّ ثم يتبعه بالشواهد من الشعر والنثر، وقلمًا كان يعرض للشاهد بالشرح اعتماداً على فطنة القراء.

ثم أتى ابن سنان الخفاجي، ونظر في هذا الحشد من ألوان البديع، فرأى أن بعضها ينشأ من وضع الألفاظ في مواضعها، وبعضها ينشأ من مناسبة الألفاظ للمعاني، وإذا به في كتابه «سرّ الفصاحة» يعالج فنون البديع في سير حديثه عن حسن اللفظ وحسن المعنى، ويجعلها على نوعين: نوع يتعلّق بالألفاظ، وآخر يتعلّق بالمعاني، فكانت نظريته المتأملّة هذه مدخلاً للعلماء والمتأخرين أن يقسموا البديع إلى محسنات بديعية وأخرى معنوية^(٣).

وتزدهر الدراسات البلاغية في القرن الخامس الهجريّ على يد عبد القاهر

(١) إعجاز القرآن ص ١٥٩، ١٦٢. (٣) سرّ الفصاحة ص ١١٠، ١١٨ وما بعدها.

(٢) العمدة ١/٤١٥، ٤٢٠.

الجرجاني في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، حيث تهذب عنده الإحساس الفتي، فوضع نظرية علم المعاني في «دلائل الإعجاز» ونظرية علم البيان في «أسرار البلاغة». ولهذا يعتبر عبد القاهر الجرجاني بحق مؤسس البلاغة العربية، والمشيّد لأركانها، والموضح لمشكلاتها، والذي سار المؤلفون من بعده على نهجه، وأتموا البنيان الذي وضع أسسه؛ إلا أنّ عبد القاهر لم يحاول وضع نظرية علم البديع كما فعل بالنسبة لعلمي المعاني والبيان، ورغم ذلك فقد تكلم في أسرار البلاغة عن ألوان من البديع، ولكن كلامه عنه لم يكن لأغراض بديعية بمقدار ما هو لأغراض بيانية، وذلك أنه في «أسرار البلاغة» يحاول الكشف عن المعاني الإضافية التي تشمل عليها الأساليب البيانية من تشبيه وتمثيل واستعارة ومجاز، فكانت رؤيته إلى علم البديع رؤية بعيدة في تحسينه الذاتي، إذ تحدّث عن الجناس والسجع، وعيّن موضعهما من الكلام، ومتى يأتي كلّ منهما مناسباً ومتى يكون نائياً، وراح يثبت أنّ الجمال فيهما لا يرجع إلى جمال الألفاظ من حيث هي، وإنّما يرجع إلى ترتيب المعاني في الذهن ترتيباً يؤثر في النفس. إلا أنّ الجرجاني لم يضيف إلى من سبقه جديداً، ولكنّ بحثه لتلك الأنواع البديعية كان بطريقة جديدة، لأن استيعابه للبلاغة والجمال يخالف استيعاب من سبقه.

وما إن نصل إلى القرن السادس الهجري حتّى نلتقي بجار الله محمود بن عمر الزمخشري الذي قدّم في كتابه «الكشاف» صورة رائعة لتفسير القرآن، إذ اتخذ الزمخشري من أيّ الذكر الحكيم أمثلة وشواهد يوضح بها كلّ ما استوعبه من قواعد عبد القاهر الجرجاني البلاغية، سواء ما اتصل منها بعلم المعاني أو علم البيان، وبهذا يكون الزمخشري هو من أكمل قواعد الجرجاني بإضافات الجديدة التي وقّو إليها. ورغم اعتبار الزمخشري رجلاً بيان لا رجلاً بديع، فقد استدعاه تفسيره البياني في «الكشاف» أن يشير إلى ما ورد في بعض أيّ الذكر الحكيم من فنون البديع.

ومن أعلام البديع في القرن السادس الهجري الوطواط رشيد الدين العمري، وأسامة بن منقذ.

أما الوطواط فقد ألّف كتاباً في البلاغة الفارسية سمّاه «حدائق السحر في دقائق

الشعر»، وفي هذا الكتاب محاولة دقيقة لتطبيق فنون البديع العربيّ على الأدب الفارسيّ^(١).

وأما الرجل الثاني أسامة بن منقذ فقد استعان ببحوث البديع السابقة، وتوسّع في بحث بعض الأنواع البديعيّة، وجمع أنواعاً أكثر ممّن سبقه في كتابه «البديع في نقد الشعر» إذ اشتمل على خمسة وتسعين فتاً بلاغيّاً كان له فيها فضل التصنيف والتبويب دون الإبداع والتجديد.

وفي القرن السابع الهجري نلتقي بسبعة من علماء البلاغة أولى كلّ منهم البديع وفنونه عناية خاصّة؛ من هؤلاء فخر الدين الرازيّ، وقد اتجه إلى التأليف في البلاغة باعتبارها مدار الإعجاز في القرآن، فوضع فيها كتابه «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»، يهدف من خلاله إلى تنظيم وتبويب كل ما كتبه عبد القاهر الجرجاني في صورة إجماليّة مختصرة تنضبط فيها القواعد البلاغيّة وتنحصر فيها فروعها وأقسامها حصراً تامّاً؛ كما أضاف إلى ذلك فنوناً بديعيّة استمدّها من كتاب «حدائق السحر في دقائق الشعر» للوطواط ممّا أدّى إلى نوع من الخلط بين مباحث علم البديع ومباحث علمي المعاني والبيان، وبهذا لم يأت الرازي في كتابه بجديد.

ثم يأتي في العصر نفسه سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكيّ واضع كتاب «مفتاح العلوم»، إذ أفرد القسم الثالث منه لعلمي المعاني والبيان وملحقاتهما من البلاغة والفصاحة، والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية. ويعتبر السكاكيّ أوّل من أطلق مصطلح «علم المعاني» على المباحث التي بحثها فيه، وأوّل من أطلق على مباحث التشبيه والمجاز والكناية اسم «علم البيان»، وأوّل من حكم على «علم البيان» بأنه متنزّل من «علم المعاني» منزلة المركّب من المفرد، كما أنّه أوّل من فرق بين هذين العلمين على هذا الوجه من الدقّة والتحديد، إلّا أنّه لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقلّ عن العلمين السابقين، بل جعلها مشاركة في تزيين الكلام بأبهى الحلل، والوصول به إلى أعلى درجات التحسين، وسماها وجوهاً ومحسنات، وكان أوّل من قسّمها إلى محسنات لفظية ومعنوية^(٢)، مهتدياً

(١) ترجمه إلى العربية الدكتور إبراهيم الشواربي.

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.

بالخفاجي؛ ثم جاء بدر الدين بن مالك صاحب كتاب «المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع» وهو تلخيص لمفتاح السكاكي؛ وأطلق على هذه الوجوه والمحسنات مصطلح «علم البديع» فكان أول من هياً لأن تصبح البلاغة متضمنة ثلاثة علوم: المعاني، والبيان، والبديع^(١)؛ إلا أن السكاكي لم يأت في كتابه «مفتاح العلوم» على كل المحسنات البديعية التي كانت سائدة في عصره، بل اقتصر منها على ستة وعشرين نوعاً، لعلها كانت في نظره أهم من غيرها من حيث التأثير في التحسين اللفظي والمعنوي، كما أنه لم يصف إليها جديداً.

ويطالعنا في هذا القرن أيضاً ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، الذي قسمه إلى مقدمة في علم البيان ومقاليتين، إحداهما في الصناعة اللفظية والثانية في الصناعة المعنوية. وأول ما نلاحظه في هذا الكتاب أنه لم ينظر إلى المحسنات البديعية كعلم قائم بذاته كما فعلت مدرسة عبد القاهر والزمخشري والسكاكي ومن تأثر بهم، وبالتالي لم يدرسها دراسة منفصلة عن البيان، بل يتوسّع في مفهوم علم البيان ليشمل مباحث علمي المعاني والبديع مجارياً في ذلك مدرسة الجاحظ التي اعتبرت أن «البيان» مرادف لكلمة «البلاغة».

ومن علماء هذا العصر أحمد بن يوسف التيفاشي المغربي صاحب مؤلف «البديع في علم البديع»، وقد أحصى فيه سبعين محسناً من المحسنات البديعية.

ويليه في هذا العصر زكيّ الدين بن أبي الأصبع المصري، وقد تناول البديع في كتابيه «بديع القرآن» و«تحرير التحبير»، وذكر أنه وقف على أربعين كتاباً في هذا الفن، استقى منها أنواع البديع المعروفة، وزاد عليها أنواعاً أخرى، واستخرج عشرين نوعاً جديداً، فأورد في «تحرير التحبير» مئة وخمسة وعشرين نوعاً، وفي «بديع القرآن» مئة وتسعة من أنواع البديع؛ وما يلاحظ عليه أنه عالج فنون البديع متداخلة مع كثير من مباحث علمي المعاني والبيان، وقد طغى عليها التحليل المنطقي.

وكان علي بن عثمان الإربليّ معاصراً لابن أبي الأصبع المصري، وقد نظم قصيدة مدح وغزل من ستة وثلاثين بيتاً في كل بيت منها نوع من أنواع البديع التي كانت شائعة في عصره، وقد وضع بإزاء كل بيت اسم المحسن البديعي الذي تضمّنه،

(١) المصباح ص ٧٥.

وتعدّ قصيدته هذه المحاولة الأولى في اتجاه النظم البديعيّ الذي أخذ يشيع بين الشعراء بدخولهم في ميدان البديع ينظمون فنونه في قصائد عرفت فيما بعد باسم «البديعيّات».

ومن أدباء المغاربة في هذا العصر حازم القرطاجنيّ صاحب كتاب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» وقد حاول تطعيم الذوق العربي بالفكر اليونانيّ.

ومع نهاية القرن السابع يطالعنا بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك الطائيّ بكتابه «المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع»، وهو تلخيص لكتاب «مفتاح العلوم» للسكاكيّ، وقد جرى فيه على رأيه في أن علمي المعاني والبيان يرجعان إلى البلاغة، وأن المحسنات البديعية ترجع إلى الفصاحة، إلّا أنّه جعل «البديع» وإن كان تابعاً لعلمي المعاني والبيان، علماً مستقلاً بذاته سمّاه «علم البديع»، وبذلك مهّد الطريق أمام البلاغة لتصبح متضمّنة علوماً ثلاثة: المعاني والبيان والبديع. وقد ذكر من المحسنات البديعية أربعة وخمسين نوعاً متأثراً في ذلك برجال البديع في عصره، إلّا أنّه كان أوّل من قسّم هذه المحسنات البديعية إلى قسمين: قسم يرجع إلى الإفهام والتبيين، وقسم يعود إلى التزيين والتحسين.

ثم انتقل علم البديع بهذا التجدّد والتطوّر إلى أحمد بن عبد الوهاب النويريّ، في القرن الثامن الهجري، وذلك في جمعه لهذه الأنواع في كتابه «نهاية الأرب» وقد أعمل فيها تفریعاً وتنوعاً دون أيّ تجديد واختراع.

ثم جاء بعده الخطيب القزويني بكتابه «التلخيص» و«الإيضاح» وهذب ما جاء به السكاكيّ مستنيراً بأراء الجرجاني والزمخشريّ، وفصل «البديع» فصلاً تاماً عن البلاغة التي جعلها محصورة في «المعاني» و«البيان»، جاعلاً «البديع» ضربين: أحدهما يرجع إلى المعنى، والآخر يرجع إلى اللفظ، وأدخل تحته كلّ الوجوه والمحسنات التي ذكرها السكاكيّ، حتى أخذت علوم البلاغة على يديه وضعها الأخير، فتحدّدت موضوعاتها وانفصلت أقسامها «المعاني والبيان والبديع»، وعلى ذلك سارت الدراسة البلاغية إلى اليوم.

وقد ذكر الخطيب من البديع المعنويّ ثلاثين نوعاً، ومن اللفظيّ سبعة أنواع، وذكر أثناءها أموراً ملحقة بها تصلح أن تعدّ أنواعاً أخرى. وقد تناول العلماء كتابه

«التلخيص» و«الإيضاح» بالشرح والتفسير، إلا أنهم لم يخرجوا عمّا رسمه وإن أضاف بعضهم فنوناً أخرى كالسبكيّ.

وإذا كان البديع قد حصر في أنواع محدّدة على يد الخطيب القزويني فقد عاد فيما بعد ليتعش على يد خليل بن أيبك الصفديّ في كتابه «جنان الجناس»، إذ ذكر في المقدمة تسميته واشتقاقه وما يتعلّق به من تصريف حروف اللفظ، وتقديم بعض الأجزاء على بعض، وتوليد أقساماً عديدة، فاستخرج ثلاثة عشر نوعاً من الجناس وأورد الشواهد الشعرية المناسبة لها.

ومن علماء القرن الثامن الهجري الذين جاؤوا قبل الصفديّ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلويّ اليمينيّ، ومن آثاره المهمة في البلاغة كتابه «الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز»، إذ ضمّنه قواعد البلاغة عامّة سواء ما اتصل منها بالمعاني أو البيان أو البديع، وكلّ ما ذكره يحيى بن حمزة في كتابه عن علم البديع قد استوحاه من كتاب «المصباح في المعاني والبيان والبديع» لبدر الدين بن مالك؛ وقد أورد فيه عشرين محسناً لفظياً، وخمسة وثلاثين محسناً معنوياً.

ومن هؤلاء معاصر يحيى بن حمزة، محمد بن عمرو التنوخيّ صاحب كتاب «الأقصى القريب في علم البيان» الذي اعتبر البلاغة فيه وحدة عضوية مترابطة، متبعاً بذلك طريقة ضياء الدين بن الأثير، إلا أنه يختلف عنه في طريقة البحث والمعالجة، إذ اعتمد ابن الأثير في بحثه على الذوق الأدبيّ، أمّا هو فقد اعتمد على النحو والمنطق. ثم إنّ حظّ البديع من كتابه كان ضئيلاً، كما أنه لم يفرّق فيه بين ما هو لفظيّ وما هو معنويّ، كما فعل بعض البلاغيين المتقدّمين عليه.

ثم يطالعنا، قبل انتهاء النصف الأوّل من القرن الثامن الهجريّ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرععيّ الدمشقيّ المعروف بابن قيم الجوزية، في «كتاب الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلوم البيان»، إذ أفرد القسم الأوّل منه للحديث عن الكناية والمحسّنات البديعية المعنوية، فيحصي منها نحو ثمانين نوعاً، وفي القسم الثاني منه يتناول الفصاحة وما يتعلّق بها من محسّنات بديعية لفظية، أحصى منها أربعة وعشرين نوعاً، ولم يكن لابن قيم الجوزية في كتابه هذا سوى فضل الجمع، وإن كان ينقصه بعض الترتيب والتبويب.

وبعد فترة بسيطة جداً انطلق علم البديع من قيوده الثرية إلى منظومات شعرية، عرفت بـ «البديعيات»^(١)؛ كانت قد مهّدت لها علي بن عثمان الإربليّ في القرن السابع الهجري، وقد اشتهر من أصحابها صفى الدين الحلبيّ، وابن جابر الأندلسيّ، وعز الدين الموصليّ في القرن الثامن الهجريّ، ثم ابن حجّة الحمويّ في القرنين الثامن والتاسع.

هذا، وقد ألفت منذ أواسط القرن الثالث الهجريّ حتى القرن التاسع عشرات المؤلفات في البديع، فتحدّثت عن أنواعه وأجناسه وفنونه وألوانه، وتفاوتت إيجازاً وتفصيلاً، وعندما أتيج لابن حجة أن يصنّف «شرح على بديعته» كان قد أطلع على كثير من هذه المؤلفات التي تناولت أنواع البديع.

وقد نشطت حركة التأليف في البلاغة وعلومها في عصر ابن حجّة، فوضعت كتب كثيرة في علوم المعاني والبيان والبديع، وبالرغم من أنّها لم تكن أكثر من شروح وتعليقات أو مختصرات للكتب التي ألفت في القرون السابقة، إلاّ أنّها كانت تعنى بالبديع عناية أكبر من تلك التي أولته إياها الكتب والمصنّفات المتقدّمة، حتى أفردت لفنّ البديع مؤلفات خاصة، مثل «المطلب المنيع في أنواع البديع» لأبي البقاء الأحمديّ الشافعيّ. ثم امتدّت تلك العناية المفرطة بالتأليف في فنّ البديع إلى أبعد من ذلك، فقد شرع علماء البلاغة يؤلّفون الكتب، ليس في فنّ البديع المشتمل على عشرات الأنواع البديعية وحسب، بل ضيّقوا دائرة التأليف، فألّفوا كتباً في جزئيات علم البديع، أو في بعض أنواعه، فقصر بعض العلماء تأليفهم مثلاً على نوع «التضمين» كما فعل عبد الله بن سلامة الادكاويّ في كتابه «الدرّ الثمين في محاسن التضمين»، وألّف النواجيّ تلميذ ابن حجّة كتاباً في بديع الاكتفاء سمّاه «الشفاء في بديع الاكتفاء»، وكان للجناس والتورية حصّة الأسد من مجهود المؤلفين وتأليفهم البديعيّ، إذ تبارى علماء البديع في تأليفهم في هذين النوعين، فألّف أنصار الجنس كتباً فيه منها: «جنان الجنس» للصفديّ، و«فكاهة المجلس في أنواع التجنيس» للقاياتيّ، و«إزالة الالتباس للتفريق بين الاشتقاق والجناس» لبدر الدين الحمدانيّ، كما ألّف أنصار التورية كتباً فيهما منها: «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام»

(١) وسيأتي الكلام على أهم هذه البديعيات بالتفصيل في الفصل الخامس وما يليه من هذه الدراسة.

لابن حجة الحموي، و«فضّ الختام عن التورية والاستخدام» للصفدي، و«رائق التحلية في فائق التورية» لابن خاتمة الأنصاري، كما وضع السيوطي كتاباً في بديع الاقتباس سمّاه «رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس»^(١).

ومن يرّ هذه العناية بعلم البديع وأنواعه في ذلك العصر لا يستغرب نشوء فنّ شعريّ كان الهدف منه تقعيد قواعد البلاغة بصورة عامة وقواعد البديع وفنونه بصورة خاصّة، ذلك الفنّ هو فنّ البديعيّات الذي يأتي الكلام عليه في الفصول التالية. ومن هنا تتّضح العلاقة القائمة بين التأليف البديعيّ والبديعيّات، فصفيّ الدين مثلاً نظم قصيدة نبوية ضمّت ما عزم على تأليفه في علم البديع شرحها في ما بعد ضمن كتاب سمّاه «شرح الكافية البديعية».

(١) انظر «ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص ١٨٧.

الفصل الثاني : البديعيات : نشأتها وتطورها

شهد القرن السابع الهجري لوناً جديداً من التأليف في البلاغة عامةً والبديع خاصةً على يد يحيى بن عبد المعطي الزواوي المتوفي سنة (٦٢٨هـ.)، ومن ثم على يد علي بن عثمان الإربلي (المتوفى سنة ٦٧٠هـ.)^(١)، معاصر ابن أبي الأصبع المصري، إذ نظم قصيدة مدح في شخص مجهول، من سنة وثلاثين بيتاً، في كل بيت منها نوع من أنواع البديع التي كانت شائعة في عصره، وقد وضع بإزاء كل بيت اسم المحسن البديعي الذي تضمّنه، دون أن يسمي قصيدته «بديعية»^(٢).

وتعتبر هذه القصيدة المحاولة الأولى في الاتجاه الذي أخذ بعد ذلك يشيع بين الشعراء بدخولهم في ميدان البديع ينظمون فنونه في قصائد مدحٍ عرفت فيما بعد باسم «البديعيات».

وقبل الكلام على هذه «البديعيات» لا بدّ من إظهار العلاقة بينها وبين المدائح النبوية. لقد كثرت المدائح في شخصيّة الرسول (ﷺ) منذ أن بُعثت هادياً ومبشراً ونذيراً، وبرزت على يد المتصوّفين من الشعراء خاصة، إذ إنّها لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب رفيع من الأدب، لا يصدر إلاّ عن قلوب مفعمة بالإيمان، ملأى بالإعجاب بشخصه الكريم. وقد نشأت هذه المدائح النبوية منذ أواخر العصر الجاهليّ، بدليل أنّ الأعشى مدح الرسول الكريم في السنة الثامنة للهجرة في قصيدة له مطلعها (من الطويل):

ألم تغتمض عيناك ليلةً أزمداً وعادك ما عاد السليم المسهداً^(٣)

وكذلك فعل كلُّ من حسّان بن ثابت وكعب بن زهير، وشعراء كثيرون في صدر الإسلام والعصرين الأمويّ والعباسيّ... إلى أن نشأ في العصر المملوكيّ حول

(١) سيأتي الكلام عليهما في هذا الفصل.

(٢) سيأتي تعريف «البديعيات» في الفصل التالي، بعد الكلام، في هذا الفصل، على «نشأتها وتطورها»؛ إذ لم أجد لها تعريفاً إلاّ بعد ذكر خصائصها منذ نشأتها.

(٣) ديوانه ص ١٠٠.

مديح الرسول فنّ كبير، نما وازدهر ازدهاراً كبيراً، وهو فنّ البديعيات، وقد أكثر منه شعراء هذه الفترة، حتى لا يكاد شاعر يخلو شعره من بديعة يمدح فيها الرسول، إلا أنّ هذه البديعيات لم تعد أثراً شعرياً فنياً وحسب، بل طغت عليها الناحية العلمية لما حوته من فنون وصور بديعية.

إذاً لم يكن مديح رسول الله (ﷺ) وحده كافياً لإنشاء القصيدة البديعية، رغم كونه أساساً في كيانها، إنّما أصبحت البديعية تضيف إلى المديح النبوي ألوان البديع، مع المحافظة على البحر البسيط، والميم المكسورة رويّاً، وطول القصيدة أبياتاً.

ويبدو أنّ الذي فجر ينبوع البديعيات شاعر صوفي مصريّ من قرية «بوصير» من أعمال بني سُويف، مغربيّ الأصل، من قبيلة صنهاجة، اسمه محمد بن سعيد بن حمّاد بن عبد الله الصنهاجيّ الدولابيّ ثمّ البوصيريّ، شرف الدين، المولود سنة ٦٠٨هـ، والمتوفى في الإسكندرية سنة ٦٩٤هـ. (١).

لقد نظم هذا الشاعر قصيدة في مديح الرسول (ﷺ)، من مئة وستين بيتاً (٢)، عُرفت بـ «البردة» أو «البرأة»، مطلعها (من البسيط):

أَمِنْ تَذَكَّرِ جِيرَانِ بَدِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بِدَمٍ (٣)

فكانت قصيدته فتحاً كبيراً في باب المدائح النبوية، ولجه الشعراء بعده، وأصبحت مثلاً يُحتذى ونهجاً يسلكه المادحون. وأمّا عن سبب نظم هذه القصيدة فيقول البوصيري: «كنت قد نظمت قصائد في مدح الرسول (ﷺ) منها ما كان اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه، فعملتها، واستشفعت بها إلى الله تعالى في أن يعافيني، وكترت إنشادها، ودعوت، وتوسّلت، ونمت، فرأيت النبي (ﷺ)، فمسح وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ برودة، فانتبهت ووجدت فيّ نهضة، فقمّت

(١) كشف الظنون ١٣٣١/٢.

(٢) كما وردت في الديوان ص ١٦٥ وما بعدها؛ وفي كشف الظنون ١٣٣١/٢، «من مئة واثنين وستين بيتاً».

(٣) ديوانه ص ١٦٥.

وخرجت من بيتي...»^(١)، ومنذ ذلك الوقت عرفت قصيدته بـ «البردة»، كما عرفت بـ «البرأة» لأنّ البوصيريّ برئ بسببها من علته.

ثم انطلقت هذه القصيدة تجوب الآفاق، فانتشرت بين الناس أيّما انتشار، ونشأت حولها شروح كثيرة وتناولها المقلّدون والمعارضون والمشرّطون والمربّعون، والمخمّسون...، حتى أصبحت مجالس الصوفيّة وحلقاتها لا تفتح وتختتم إلّا بها^(٢). وذلك يعود لموضوع القصيدة أولاً، ولسلاسة نظمها وعذوبته، ورقة ألفاظها وجمال تراكيبها، وروعة موسيقاها وانسياب وزنها وخفة قافيتها وجمال رويها، بالإضافة إلى قصّة الرؤيا التي تحدّث عنها البوصيريّ.

ولمّا كان للبردة ذلك الانتشار وذاك الأثر، كان لا بدّ لها من أن تؤثر في أوّل قصيدة بديعيّة تلتها على يد صفّي الدين الحلّيّ. ومن يقارن بين «البردة» و«بديعيّة» الحلّيّ وبين دوافع كلّ منهما، يجد بسهولة متانة العلاقة بين المدائح النبويّة عامّة والبردة خاصّة من جهة، وبين البديعيّات من جهة أخرى.

فالبوصيريّ الذي يعتبر ممثّل المدائح النبويّة، والحلّيّ الذي يعتبر ممثّل البديعيّات، تعرّض كلّ منهما لمرض عضال ألجأهما قبل أن ينظما قصيدتهما إلى الله تعالى متوسّلين بنبيّه آملين الشفاء؛ كما أنّ كليهما قد برئ من مرضه بعد نظم القصيدة، ثمّ إنّ كليهما قد سلك سبيل الشعر في توسّله لله، وكلاهما نظم قصيدته من البحر البسيط، ورويّ الميم المكسورة، إلّا أنّ صفّي الدين زاد على البوصيريّ بتضمينه قصيدته الفنون البديعيّة، وقد أشار إلى ذلك عبد الغني النابلسيّ في كتابه «نفحات الأزهار على نسَمات الأسحار» إذ قال: «فنظم قصيدة من بحر البسيط على قافية الميم، مدح فيها النبيّ (ﷺ)، مثل قصيدة الأبوصيريّ التي سماها «البردة»، جامعاً فيها مئة وواحد وخمسين نوعاً من البديع، وإن عدّت أصناف التجنيس نوعاً واحداً بلغ ذلك مئة وأربعين نوعاً...»^(٣).

كلّ هذه الاتفاقات بين الناظمين البوصيريّ والحلّيّ، وبين قصيدتهما تدلّ على

(١) فوات الوفيات للكتبي ٣/٣٦٨؛ وكشف (٢) انظر البديعيّات في الأدب العربي ص ٢١. الظنون ١٣٣١/٢-١٣٣٢.

(٣) نفحات الأزهار ص ٣.

وجود روابط متينة بين «المدائح النبوية» و«البديعيات»، ثم بين هذه والتأليف البديعي.

والذي يتبادر إلى الذهن هو السؤال التالي: ما أسباب نشأة البديعيّات؟

مما لا شك فيه أنّ البديعيّات لم تنشأ بين ليلة وضحاها، بل تضافرت حولها عوامل ودوافع عدّة وتفاعلت وتكاملت حتى أخرجتها إلى حيز النور مكتملة الخلق سويّة؛ ثم إن هذه الدوافع لم تتوقف مع ظهور هذا الفنّ، بل استمدت قوتها من أعماق التراث والبيئة وانطلقت تحرّض على نشأته ليكون نتيجة طبيعيّة لها، واستمرت ترافقه في كلّ أطواره تغذّيه وتنمّيه وتساعد على رحلته الطويلة في التراث العربيّ. ومن يطلّع على نصوص البديعيّات وما تضمّنته من إشارات، يجد أنّ هناك دوافع مكنونة وراءها وأسباباً متلازمة دفعت هذا الفنّ إلى الظهور والتقدّم والنضج. ولعلّ أهمّ هذه الدوافع:

أ- الرغبة في التأليف البلاغيّ عامّة والبديعيّ خاصّة:

فبدافع معرفة إعجاز القرآن الكريم وفهم ما ورد في آي الذكر الحكيم، نشطت حركة التأليف في البلاغة عامّة، وفي البديع خاصّة، فهذا صفيّ الدين الحلّي ناظم أوّل بديعيّة يصرّح في مقدّمة شرحه لبديعيّته بأنه اعترّم على تأليف كتاب في البلاغة، وذلك انسجاماً مع تلك الحركة الناشطة في التأليف البلاغيّ في عصره، لولا أنّ علّة لازمته فعدّل عن تأليف كتاب في البلاغة إلى تأليف منظومة يجعلها بمثابة كتاب لقواعد فنّ البديع، فكانت غايته الأولى إذأ تأليف كتاب يضمّ أنواع البديع التي وصل إليها والتي استخرجها من مطالعته وقراءته. ولنستمع إليه في مقدّمة شرحه لبديعيّته يقول: «فإنّ أحقّ العلوم بالتقديم وأجدرها بالاقتباس والتعليم، بعد معرفة الله العظيم، معرفة حقائق كلامه الكريم وفهم ما أنزل في الذكر الحكيم، لتؤمّن غائلة الشكّ والتوهيم...»، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع اللتين بهما يعرف وجه إعجاز القرآن... فجمعت ما وجدت في كتب العلماء، وأضفت إليه أنواعاً استخرجتها من أشعار القدماء، وعزمت أن أوّلّف كتاباً يحيطُ بجلّها إذ لا سبيل إلى الإحاطة بكلّها، فعرضت لي علّة طالّت مدّتها وامتدّت شدّتها، واتفق لي أن رأيت في المنام رسالةً من النبيّ، عليه أفضل الصّلاة والسّلام، يتقاضاني المدح، ويعدّني البرء من السقام، فعدلتُ عن تأليف الكتاب إلى نظم

قصيدة تجمع أشات البديع وتطرز بمدح مجده الرفيع^(١). وإن دلّ قوله على شيء فإنما يدلّ على الرغبة والعزم عنده على التأليف البديعيّ قبل كلّ شيء، ولولا تلك الرؤيا ربّما لم تكن فكرة نظم الأنواع البديعية في قصيدة قد خطرت بباله أو اختلجت في ذهنه وإن كان مسبوقة إلى مثل تلك الفكرة من قبل يحيى بن عبد المعطي الزواوي وأمين الدين الإربليّ^(٢)، ثمّ دأب ذأبه كلّ من سار بعده على نهجه، وما الأنواع الجديدة التي أتت بها البديعيات بعده إلا دليل واضح على وجود تلك الرغبة عند غيره من ناظمي البديعيّات.

ب- الرغبة في مدح النبيّ محمّد، (ﷺ)، واتّحادهما مع رغبة التأليف:

سبق أن أشرت إلى علاقة البديعيّات بالمدائح النبوية، وإذا رجعنا إلى القول السابق لصفّي الدين الحلّي يتّضح لنا أنّ هناك سببين دفعا به إلى نظم بديعيته، وهي البديعية الأولى التي اجتمعت فيها الرغبة في مدح النبيّ، (ﷺ)، والرغبة في التأليف البديعيّ، فكان كلّ منهما رديفاً للآخر. ويلاحظ أنّ النازع الدينيّ قد سيطر على كلّ نظام البديعيات فيما بعد، فجلّهم كان من الصوفيّة، كما سيطر على أصحاب البديعيات من النصارى الذين اعتمدوا هذا الفنّ في مرحلة متأخرة، وبهذا كانت هاتان الرغبةتان متكاتفتين متلازمتين لتساعدوا على ظهور هذا الفنّ واستمراره.

ج- اجتماع الشاعرية والتأليف عند ناظم البديعية:

إذا ما نظرنا نظرة عامة إلى ناظمي البديعيّات بدءاً بصفّي الدين الحلّي وانتهاءً بآخرهم نستنتج أمرين هامّين:

أولاً: أنّ ناظم البديعية شاعر متمرّس، عرك القوافي فانقادت له، واستحسن شعره الناس ورضوا عنه فوضعوه في المرتبة الأولى من القبول والإعجاب، فصفّي الدين الحلّي، وعزّ الدين الموصلي، وشعبان الآثاري، وابن حجة الحمويّ، وعائشة الباعونية، وجلال الدين السيوطيّ، وعبد الغني النابلسيّ وغيرهم كانت لهم أشعار كثيرة إلى جانب بديعيّاتهم التي بلغت الذروة بين أغراضهم الشعرية.

ثانياً: أنّ ناظم البديعية مؤلّف له مؤلّفات معروفة، ولولا اجتماع صفة التأليف عنده مع صفة الشاعرية لما أنتج بديعية مقبولة، ولربّما غدت مقدّرتة تلك كغيرها من

(١) شرح الكافية البديعية ص ٥١، ٥٤. (٢) سيأتي الكلام عليهما.

الكتب المسطرة. وما يشهد بذلك مؤلفات صفيّ الدين الحلبيّ وابن حجة الحمويّ وعبد الغني النابلسيّ وغيرهم، وحسبهم ما ألفوه من شروح حول بديعيّاتهم ليشهد لهم بقدرتهم على التآليف ولا سيّما في هذا الفنّ الطريف؛ فكثيراً ما كان يعكف ناظم البديعية على بديعيته شرحاً ودراسة لما تضمّنته من فنون البديع، ويقدم بين يديها الأمثلة والشواهد الكثيرة، حتّى غدت شروحهم تلك معارض للأدب وخزائن للبلاغة العربية، وهذا يشهد بغزارة معارفهم وما يدخرون من علوم وفنون.

د- المرض ورقة العواطف عند ناظم البديعية المريض واجتماع ذلك مع الأسباب السابقة:

لقد اقتصر هذا السبب على صفيّ الدين الحلبيّ صاحب أوّل بديعيّة، وقد سبق الكلام على مرضه الذي طالت مدّته وامتدّت شدّته. ومما لا ريب فيه أن المريض ذو روح شفافة رقيقة، يبحث عن دواعي شفائه أينما كانت، علّه يجد بصيص أمل بشفائه، فيتعلّق بحبال الهواء، تعلق الغريق بعود قشّ وجده على سطح الماء، ولا سيّما إذا كان المرض عضالاً، والمريض مؤمناً لا يقنط من رحمة ربّه، وهو يعلم حادثة جرت لمريض قبله، لجأ إلى الله متوسلاً بنبيه، فوجد خيراً؛ فالدوافع التي تعتلج في نفسه لا تقلّ عن تلك التي اختلجت في نفس البوصيريّ، وما كان لها من انعكاسات نفسية تجعله أقرب لأن يمثل للشفاء، كما تجعل النفس أرقّ وأخشع على أعتاب خالقها. فهذا النفع الإيمانيّ وتلك الروح الشفافة الرقيقة، وحسّ الشاعر المرهف، بالإضافة إلى الشاعرية القويّة، والرغبة في المدح والتآليف، والمدّخر العلميّ الكبير تفاعلت فيما بينها مجتمعة في نفس الشاعر وساعدت على إبراز أوّل بديعيّة إلى حيّز الوجود.

ه- السعي إلى الشهرة، والرغبة في المعارضة، وحبّ الظهور والتكثّر:

ما إن ضربت بردة البوصيري في الآفاق حتّى اجتمع حولها الشعراء وراحوا يقلّدونها ويعارضونها ويشطّرونها ويرتعونها ويخمسونها ساعين من وراء ذلك إلى مجاراتها شهرةً وقيمةً ودوراناً على الألسنة. وكان من هؤلاء الشعراء الشاعر المؤلّف الأديب صفيّ الدين الحلبيّ، إذ نظم قصيدة على غرار بردة البوصيريّ، مقتنياً خطاها في بحرهما وروبيّها وموضوعها، لِم لا والعلة واحدة، وقد أضاف إلى ذلك تضمين كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع، يكون البيت شاهداً له، فدخل بذلك إلى

الشهرة من بابها الواسع على صعيدي النظم والتأليف. ثمّ دأب معظم أصحاب البديعيات بعده دأبه فافتقروا أثره في السعي وراء الشهرة والمعارضة، وحبّ الظهور والتكثّر. فهذا عزّ الدين الموصلّي، عندما رأى ما بلغته بديعة الصفيّ من الشهرة، عزم على معارضته بقصيدة مثلها، وأضاف إليها التورية في البيت باسم النوع البديعيّ إلى جانب كونه شاهداً له.

وعندما وجد شعبان الآثاري شهرة تلك القصائد، لم يكتفِ بنظم بديعية واحدة، بل عمد إلى نظم ثلاث بديعيات: (الصغرى والوسطى والكبرى) بلغ مجموع أبياتها نحو ثمانمائة وسبعين بيتاً، وإنّما فعل ذلك ليدلّ على مقدّته على الزيادة والتكثّر، رغم ما في بديعيّاته من تكرار للألفاظ والتراكيب والمعاني.

أمّا ابن حجّة الحمويّ فقد صرّح في مقدّمة شرحه بمعارضة صفيّ الدين الحلّيّ وعزّ الدين الموصلّي معاً، والبردة، فقد أراد أن يجمع مزايا القصائد الثلاث ليتفوّق عليها، فما هو يقول: «فهذه البديعية التي نسجتها على منوال طرح البردة، كان... محمد بن البارزي... صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة... هو الذي ثقّف لي هذه الصعدة وحلب لي ضرعها الحافل... وما ذاك إلّا أنه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عزّ الدين الموصلّي... التزم فيها بتسمية النوع البديعيّ، وورّى بها من جنس الغزل، لتمييز بذلك على الشيخ صفيّ الدين الحلّيّ... لأنه ما التزم في بديعيّته بحمل هذا العبء الثقيل، غير أنّ الشيخ عزّ الدين ما أعرب عن بناء بيوت أذن الله أن ترفع... وربّما رضي في الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمّى... فاستخار الله مولانا الناصريّ،... ورسم لي بنظم قصيدة أطرز حلّتها بيديع هذا الالتزام، وأجاري الحلّيّ برقة السحر الحلال... وقد صار لي فكرة إلى الغايات سبّاقة، فجاءت بديعيّة هدمت بها ما نحتّه الموصلّي في بيوته من الجبال، وجاريت الصفيّ مقيداً بتسمية النوع، وهو من ذلك محلول العقال، وسمّيتها «تقديم أبي بكر»^(١).

وهذا عبد الغني النابلسيّ أيضاً، لاحظ شهوة الشهرة عند ابن حجّة وحبّه للظهور والتفوّق، فحاول أن ينال منه معقّباً على ذلك بقوله في مقدّمة «نفحات الأزهار على

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٠٥.

نسمات الأسحار»: «ثم جاء بعده العلامة تقيّ الدين أبو بكر بن حجة الحموي... فعارضه وجاراه وزاحمه فيما اقترحه واجترأه، ولم يزد على ما ذكره من الأنواع شيئاً، بل ربّما نقص عن ذلك معيماً بعض الأنواع بحسب ما اقتضته طبيعته... ثم شرح قصيدته شرحاً أخذ فيه بأذيال الإطالة وألبسه حلل السامة والملافة...»^(١).

ثم تحدّث عن سبب نظمه لبديعيته: «فعندما شاهدت هذه البديعيات الأربع^(٢) وطفقتُ أرتع بخيول الأفكار في مسارحها وأربع، وتأمّلتُ ما نقلوه في شروحها من العبارات والشواهد، وما تّبّهوا عليه من الأغراض والمقاصد، حركتني بواعث الأفكار وتجاذبتني أيدي الخواطر الإلهية إلى اقتحام هذا المضمار... ونظمت هذه القصيدة الميمية المسماة بـ«نسمات الأسحار في مدح النبيّ المختار» على طريقة تلك القصائد...»^(٣).

ثم عمد عبد الغنيّ النابلسيّ إلى نظم بديعية أخرى موزياً في أبياتها باسم النوع البديعي، وذلك ليبرز مقدرته الشعرية وكفاءته العلمية، وليزاحم الفحول في التفاخر والظهور والشهرة.

ودأب معظم أصحاب البديعيات دأب هؤلاء، فكان دافعهم التقليد وحبّ الظهور والتكثّر والسعي وراء الشهرة والرغبة في المعارضة والتفوق؛ وقد حقّقت تلك البديعيات لأصحابها شهرةً واسعةً فحملت أسماءهم إلى كل أنحاء الممالك الإسلامية آنذاك، ثم تهافت الشعراء النصارى عليها فيما بعد، حتّى إن أولي الأمر من أرباب الأقلام وغيرهم، تعلقوا بها، فهذا صاحب ديوان الإنشاء بالممالك الإسلامية محمّد ابن البارزي يرسم لابن حجة بنظم قصيدة بديعية، وذاك السلطان الملك الناصر أحمد ابن إسماعيل بن العباس يطلب من إسماعيل بن المقرئ أن ينظم مدحة نبوية بديعية على طريقة الصفيّ الحلبيّ. وهكذا كان تشجيع أمثال هؤلاء مشجعاً للشعراء ودافعاً لهم يحثّهم على خوض هذا المضمار والتنافس عليه والنهل منه والسير في ركابه.

(١) نفحات الأزهار ص ٣.

(٢) البديعيات الأربع التي شاهدها النابلسي هي: بديعيات الحلبي والموصلي وابن حجة وعائشة الباعونية.

(٣) نفحات الأزهار ص ٣.

و- أثر المجتمع واجتماعه مع الأسباب السابقة:

ما إن انتشر فنّ البديعيات بين الناس حتى تقبلوه واستبشروا به خيراً واحتفوا بأهله، وقد سبق أن أشرت إلى طلب أولي الأمر له والحضّ على نظمه، وهذا ممّا حدّا بالشعراء إلى الإقبال عليه والإدلاء بدلوهم في منهله، علّهم يحظون بأذان الشعب وقلوبهم، ولا سيّما في وقت كان الشعراء فيه يعيشون عيشة الغرباء بين حكام في غالبهم من غير العرب لا يجيدون فهم هذه اللغة وأساليبها، لبعد أذواقهم عن فهم البلاغة العربية، فكانت مرحلة تقرب الأديب أو الشاعر من طبقات المجتمع الأخرى، ممّن يسمع ويفهم ويطبّر لكلّ تعبير من تعابير العربية الفصيحة، وذلك ليستطيع الوصول إلى ذروة الشهرة بينهم، فيضمن لتناجه الأدبيّ الرواج والفلاح، وكانت «البديعيات» عند معظم أصحاب البديعيات وسيلة اتّخذوها ليحققوا غاياتهم، ومجالاً واسعاً ينطلقون منه إلى حيّز الظهور والشهرة^(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: متى نشأت «البديعيات»، وعلى يد من من الشعراء ولدت البديعية الأولى التي أطلقت عقال عشرات الشعراء فيما بعد لكي ينظموا في هذا الفنّ الجديد؟!!

لقد اختلف العلماء ومؤرّخو البلاغة ودارسو الأدب في تحديد أوّل بديعية، وبالتالي اختلفوا في تحديد أوّل بديعيّ سنّ للشعراء هذه السنّة الأديبية، ذلك لأن معرفة البدايات قد تكون من أعضل المشكلات، ولا سيّما في فنّ «البديعيّات» الذي تشعبت بداياته، فتشعبت الطرق إليها^(٢).

ومن خلال استقراء آراء هؤلاء العلماء والدارسين المتباينة يبدو أنّ مكان الأوّلية يتنازعه أربعة من الشعراء، وهم: يحيى بن عبد المعطي الزواوي المتوفّى سنة

(١) انظر «البديعيات في الأدب العربي» ص ٣١-٣٩.

(٢) أضف إلى ذلك أن موضوع البديعيات لم يحظ بدراسة كاملة لمعظم جوانبه ولا سيما «بداياته»، إلا على يد نقر قليل توقّفوا عنده قليلاً في سياق أبحاثهم العامة، باستثناء باحث واحد - كما أعتقد - هو علي أبو زيد الذي قام بدراسة مفصلة لهذا الفنّ تقدم بها لنيل شهادة الماجستير من كلية الآداب في جامعة دمشق، تحت عنوان: «البديعيات في الأدب العربي».

٦٢٨هـ. ؛ وعلي بن عثمان أمين الدين الإربلي المتوفى سنة ٦٧٠هـ. ؛ وصفي الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٠هـ. ؛ ومحمد بن أحمد بن جابر الأندلسي المتوفى سنة ٧٧٩هـ. ، ولكل من هؤلاء الدارسين حججه وبراهينه على رأيه، لذا كان لا بد من الفصل بين هؤلاء الأربعة، وإعطاء واحدٍ منهم فقط حقَّ الأوليّة والريادة، وتحديد مواقع الآخرين منه.

فركبي مبارك يعزو بكثير من الجزم نشوء أول بديعة إلى الشاعر محمد بن جابر الأندلسي، إذ يرى أن «البديعات» ما هي إلا أثر من آثار «بُرْدَة» البوصيري، تمثلت في بدء الأمر عند ابن جابر الأندلسي الذي أحب البردة وشغف بها، وقد شغل نفسه بمعارضتها. «ولكن أيّ معارضة؟! لقد ابتكر فتاً جديداً هو «البديعات»، وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول، ولكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فنّ من فنون البديع»^(١)، ومطلع هذه البديعية (من البسيط):

بطيبة انزلْ ويمم سيّد الأمم وانشرْ له المدح وانثرْ أطيبَ الكلام^(٢)

وقد رأى معاصرو ابن جابر قيمة هذا الفن الجديد، فتقدّم صديقه أبو جعفر الرّعينيّ الإلبيري بشرح بديعته، واعترف له بالسبق إذ قال في مقدمة هذا الشرح^(٣): «نادرة في فنها، فريدة في حسنها، تجني ثمر البلاغة من غصنها، وتنهل سواكب الإجادة من مزنها، لم يُنسج على منوالها، ولا سمحت قريحة بمثالها»^(٤).

ولعلّ هذه المقدّمة هي التي أوهمت بعض الدارسين أن يجزم بأوليّة ابن جابر الأندلسي الأعمى، والذي تُعرف بديعته بـ «بديعة العميان»، رغم أنّ العلماء المعاصرين لابن جابر، والذين كانوا أصدقاءه، لم يذكروا له هذه الأوليّة، وعلى رأسهم صلاح الدين الصفديّ، المتوفى بعد صفّي الدين الحلبيّ بأربع عشرة سنة، وكان أستاذاً لابن جابر، وصديقاً له وراوياً لأخباره وأشعاره، ومع ذلك لم يذكر شيئاً عن بديعة ابن جابر، ولعلّ هذا نظمها بعد وفاة صديقه الصفديّ، وهذا يعني أنّه

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ص ١٦٩.

(٢) الحلة السيرا في مدح خير الورى ص ٢٨.

(٣) المسمى بـ «طراز الحلة وشفاء الغلّة».

(٤) المدائح النبوية في الأدب العربي ص ١٦٨.

نظمها بعد أن نظم صفّي الدين بديعته، فستقط الأولة بذلك عنه .

وبعد أن يعزو زكيّ مبارك ابتكار فنّ البديعيات لابن جابر، يعدّد أسماء الشعراء الذين نسجوا على منواله في صنع البديعيات، فيقول عند مروره على صفّي الدين الحلّي: «وفي عصر ابن جابر وضع صفّي الدين الحلّي المتوفّي سنة ٧٥٠هـ. قصيدة سمّاها «الكافية البديعية في المدائح النبوية»، وأنشأ عز الدين الموصليّ المتوفّي سنة ٧٨٩هـ. بديعته...»^(١).

وربما كان مبارك هو الوحيد في تقديمه ابن جابر على الحلّي في ريادة هذا الفنّ.

أما محمود الربداويّ في كتابه «ابن حجّة الحمويّ شاعراً وناقداً»^(٢) فيميل إلى اعتبار صفّي الدين الحلّي أسبق من ابن جابر في نظم أوائل البديعيات، مستدلاً على ذلك بأنّ الحلّي توفيّ قبل ابن جابر بثلاثين سنة، وهذا السبب في رأيه - ليس بمبرّج كافٍ، بل قدّم إلينا الأدلّة بذكر الأسباب التي حدت بالحليّ إلى تأليف بديعته لعلّها تلقي ضوءاً يساعد على ترجيح أسبقية الحلّي على ابن جابر الأندلسيّ، أمّا قضية الابتكار برأيه، فيرجّح أنها سابقة على كلّ من الشاعرين، كما سيأتي.

يقول محمود الربداويّ: «فالحليّ يذكر في مقدّمة شرحه لبديعته بأنه اعترّم على تأليف كتاب في البلاغة،... لولا أنّ علّة لازمته فعدّل عن تأليف كتاب في البلاغة إلى تأليف منظومة يجعلها بمثابة كتاب لقواعد فنّ البديع...»^(٣)، ثم يأتي بنصّ صفّي الدين الحلّي^(٤)، ويعقب عليه بقوله: «وقبل أن تتسرّع فتحكم على بعض النتائج من خلال هذه المقدّمة البسيطة لا بدّ لنا من استعراض بعض ما كتبه أيضاً في مقدّمته تلك، لتعلم من أين استقى مادّة بديعته...»^(٥) ثم يسرد قول الحلّي في مراجعته للكتب البلاغية السابقة له، ويخلص من ذلك كلّه إلى وضع الصفات العامة التي تتّصف بها البديعيات وهي: أنها نظمت في مدح الرسول (ﷺ)، واختار لها الشاعر البحر البسيط وقافية الميم المكسورة مضمّناً كلّ بيت منها نوعاً من أنواع البديع، وقد

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ص ١٦٩

(٥) «ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص

١٨٩.

(٢)(٣) ص ١٨٨.

(٤) سبق نصّه في بدايات هذا الفصل أثناء

يصرّح باسم هذا النوع أحياناً، وقد لا يصرح به أحياناً أخرى. وينطلق الربدائي من هذا ليقول: «فلو عدنا إلى كلّ من ابن جابر والحلّي، وطرحنا السؤال التالي: لماذا اختار ابن جابر بحر قصيدته من البسيط وقافيتها الميمية، ولماذا كانت مخصوصة بمدح الرسول؟؟ أظن أنه لا جواب عنده لهذا السؤال اللهمّ إلا إذا أجاب بما أجاب به زكيّ مبارك من أن ابن جابر تأثر بالبوصيري وقصيدته، ولكن هذه الأسئلة تحمل الإجابة في ثناياها من خلال مقدّمة الحلّي الآنفه الذكر، فالذي دفعه إلى مدح الرسول هو تلك الرؤيا التي رآها في منامه كما ذكر هو، وهذه الرؤيا التي رآها الحلّي في منامه تذكرنا فوراً بمنام البوصيري وتقاضي الرسول المديح منه، فلا غرابة أن ينشط الحلّي بمعارضة البوصيري في قصيدة كقصيدته ما دامت دواعي النظم متشابهة، فلماذا لا يستريح الحلّي من البحث عن بحر وقافية وموضوع لقصيدته ما دام يعيش التجربة نفسها التي عاشها البوصيري، فكل ظروف الحلّي تشبه ظروف البوصيري، فلذا ما عليه إلا أن يفرغ معانيه وأفكاره في قوالب مشابهة لمعاني كان غيره قد مرّ بها، وإذا كان ثمة فرق بين الحلّي والبوصيري فهو في أنّ الحلّي ضمّن قصيدته أنواع البديع، وهذا أمر طالما فكر فيه الحلّي، وكان يودّ أن يؤلّف فيه كتاباً لولا ما ألمّ به من مرض؛ فمن كل هذا نستخلص نتيجة واحدة وهي أنّ الحلّي لديه من مسوغات السبق في نظم البديعيات أكثر وأرجح مما لدى ابن جابر كما ذهب زكيّ مبارك؛ ومن كل هذا نستطيع أن نحكم بأسبقية الحلّي على ابن جابر في نظم البديعية، ولكن لا نستطيع أن نقول أنّه أوّل من ابتكر فنّ البديعيات»^(١).

ولم يكن هذا موقف الربدائي وحده، بل سبقه وشاركه فيه كثير من الباحثين، منهم ابن حجر العسقلاني، إذ قال: «وَنظُم «الحلّة السّيّرا في مدح خير الوري»، على قافية الميم، بدعية على طريقة الصفيّ الحلّي»^(٢)، كذلك فعل ابن حجة الحمويّ في خزائنه، إذ كان يقدّم بيت الصفيّ في الاستشهاد ثم بيت ابن جابر، ثم بيت الموصليّ. ودأب دأب ابن حجر وابن حجة كثيرون ممّن أرخوا للأدب العربيّ عامّة، فوضعوا صفيّ الدين الحلّي في مقام الريادة والأسبقية، ويكاد يتفق العلماء وجمهور الباحثين في الماضي والحاضر على أنّ صفيّ الدين أوّل من نهض بفنّ البديعيات،

(١) الدرر الكامنة ٣/٤٢٩-٤٣٠.

(٢) «ابن حجة الحمويّ شاعراً وناقداً» ص ١٩٠.

وحمل لواءه وحاز به قصب السبق، ويتمثل ذلك في بديعته التي سماها «الكافية البديعية في المدائح النبوية»، ومطلعها (من البسيط):

إن جئت سلعاً فسَلِّ عن جيرة العَلَمِ وَأقرأ السلامَ على عُرْبٍ بذِي سَلَمٍ^(١)

ويبدو أن شيوع مصطلح «بديعية» و«بديعيات» لهذا النوع من القصائد مرده إلى تسمية الحلبي لقصيدته: «الكافية البديعية...». وبهذا تكون ولادة أول بديعية كاملة الإنشاء والتكوين على يد صفى الدين الحلبي.

ويقف بين الموقف الأول والثاني أحمد إبراهيم موسى صاحب «الصبغ البديعي» موقفاً ثالثاً، فيرى أن التحقيق في مسألة الأسبقية والابتكار معاً على خلاف ما قرره مبارك وجمهور الباحثين جميعاً، فليس ابن جابر، كما ذهب مبارك، وليس صفى الدين الحلبي، كما جزم الجمهور بأول سابق إلى هذا الفن، بل كلاهما مسبوق بشاعر مصري، أشار إليه الكتبي في كتابه «فوات الوفيات»^(٢)، وهو علي بن عثمان بن علي ابن سليمان الإربلي الصوفي الشاعر... إذ نظم قصيدة مؤلفة من ستة وثلاثين بيتاً ضمن كل بيت فيها نوعاً من البديع، ومطلعها (من الخفيف):

بَعْضَ هَذَا الدَّلَالِ وَالإِذْلالِ حَالِي الهَجْرُ والتَّجَنُّبُ حَالِي^(٣)

ويرى أحمد موسى في كتابه «الصبغ البديعي» أن أمين الدين الإربلي السليماني هو صاحب المحاولة الأولى في هذا الفن الجديد، وله الأسبقية فيه، وأن زكي مبارك مسرف في دعواه حينما زعم أن البديعيات متفرعة عن المدائح النبوية، إذ رأى أن موضوع قصيدة السليماني مدح غير نبوي؛ وقد استدلل على أسبقية السليماني بما جاء في كتاب ابن معصوم «أنوار الربيع في أنواع البديع»^(٤) وقد استخلص منه أن «للبيديعيات ثلاثة أطوار: أما الأول: فهو طور التأليف، وقد كان ذلك على يد السليماني المتوفى سنة ٦٧٠هـ.، في قصيدته البديعية التي نظمها على بحر الخفيف في المدح وعلى روي اللام. وأما الثاني: فقد كان على يد صفى الدين الحلبي

(١) البيت في ديوانه ص ٦٨٥؛ وشرح الكافية (٣) انظر فوات الوفيات ١١٨/٢؛ والصبغ البديعية ص ٥٧؛ ونفحات الأزهار ص البديعي ص ٣٧٧؛ و«ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص ١٩٠.

(٢) فوات الوفيات ١١٨/٢. (٤) أنوار الربيع في أنواع البديع ٣١/١.

المتوفى سنة ٧٥٠هـ.، فقد نظم بديعته على بحر البسيط، وعلى روي الميم المكسورة، وفي مدح النبي، (ﷺ)، جاعلاً كل بيت منها مثلاً لنوع من البديع أو أكثر، وفي هذا الطور يظهر أثر بردة البوصيري في الوزن والروي والغرض. وأما الطور الثالث: فقد كان على يد عز الدين الموصلّي المتوفى سنة ٧٨٩هـ.؛ فقد حاكى الصفيّ فيما صنع وأربى عليه بالتزام التورية باسم النوع البديعي، فذهب بهذا الفن إلى أبعد غايات التكلف والثقل، حتى لم يستطع مجاراته إلا القليل من أصحاب البديعيات^(١).

ويرى محمود رزق سليم في كتابه «عصر سلاطين المماليك» أن أول من نظم الشعر بهذا القيد هو أمين الدين السليمانيّ، غير أن الناظر في بديعته التي تقع في ستّة وثلاثين بيتاً في الغزل والمدح، يحكم أن هذا الفن الشعريّ الوليد كان في بدئه لا يزال يحبو، أو كان ذرّة تتلمس لنفسها وجوداً ولما يتفجّر ما في باطنها من حياة^(٢).

وقد أشار شوقي ضيف في معرض حديثه عن نشأة البديعيات إلى بداية هذا الفن على يد أمين الدين السليمانيّ الإربليّ، بقوله: «ولا نكاد نمضي بعد ابن أبي الأصبغ حتى نجد علي بن عثمان الإربليّ... ينظم قصيدة في مديح بعض معاصريه، مضمناً كلّ بيت منها محسناً من محسنات البديع، وبيزاء كلّ بيت المحسن الذي يشير إليه... على كل حال تعدّ هذه القصيدة أول قصيدة عني ناظمها بأن يودع كل بيت من أبياتها محسناً بديعياً»^(٣).

وقد أشار محمود الربدائي إلى أسبقية الإربليّ، بعد أن حكم بأسبقية الصفيّ على ابن جابر، بقوله: «ومن كل هذا نستطيع أن نحكم بأسبقية الحلّيّ على ابن جابر في نظم البديعية، ولكن لا نستطيع أن نقول إنه أول من ابتكر فنّ البديعيات... ذلك لأننا نعلم أن شاعراً اسمه الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليمانيّ الإربليّ الصوفيّ قد نظم قصيدة لامية ضمّنها جملة من أنواع البديع، نوعاً في كل بيت»^(٤).

(٣) البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦٠.

(١) الصيغ البديعي ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) «ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص ١٩٠.

(٢) عصر سلاطين المماليك ٦/١٥٨.

ويشير علي أبو زيد في كتابه «البديعيات في الأدب العربي» إلى أن الإربلي قد سبق أيضاً بمن نظم أنواع البديع في قصيدة، وإن اختلفت الطريقة التي سلكها كل من السابق والمسبوق، فالفكرة تكاد تكون واحدة، وهي حشد أنواع البديع في منظومة شعرية، إذ نظم يحيى بن عبد المعطي الزواوي المتوفى سنة ٦٢٨هـ، قصيدة مؤلفة من أبيات، كل عدد منها مستقل في وزنه وقافيته، وذكر فيها أولاً شواهد هذا البديع نظماً، يذكر الشاهد ضمن بيت أو بيتين له، ثم يذكر بعد ذلك نظماً اسم نوع البديع وحده». يقول المؤلف فيها (من الطويل):

وبعد فإني ذاكر لمن ارتضى
بنظمي العروض المجتلى والقوافيا
أتيت بأبيات البديع شواهداً
أضيم إليها في نظيمي الأساميا^(١)
وسمى قصيدته هذه: «البديع في علم البديع»^(٢).

بعد هذا، لا بد من الوصول إلى تحديد أول ناظم ولدت البديعية الأولى على يده، وتحديد مواقع الآخرين منه.

فأما موقف مبارك فلا دليل يسانده إلا ما أجتزأه من مقدمة شرح الرعيني لبديعية ابن جابر، وذلك لا يكفي ليكون دليلاً كافياً على تقديم ابن جابر على صفي الدين الحلبي، متجاهلاً بذلك ثلاثين عاماً كانت بين وفاة الحلبي ووفاته ابن جابر.

ثم إن الحجج التي قدمها محمود الربداوي وجمهور الباحثين، فيها من الإجماع على تقديم الحلبي على ابن جابر الأندلسي ما يكفي ويدعم الرأي القائل بتأخير هذا عن ذلك؛ وحسب الحلبي من الأوليّة أنه كان أول من سنّ سنة بحر البسيط والقافية الميمية المكسورة ومدح الرسول منهجاً لبديعية، وأول من أطلق على هذا الفن هذا الاسم في تسميته لبديعيته «الكافية البديعية»، كما أن معظم الذين نظموا البديعات في القرن الثامن الهجري وهم طليعة ورؤاد نظام البديعات كانوا يعارضون الحلبي ويصرّحون بذلك، ولا يقولون أنهم عارضوا ابن جابر، منهم: شهاب الدين أحمد العطار المتوفى سنة ٧٩٤هـ، صاحب البديعية المسماة «فتح الإلّهي في مطارحة الحلبي»^(٣)، وشعبان الآثاري المتوفى سنة ٨٢٨هـ، وصاحب البديعات الثلاث: «بديع البديع في مدح الشفيع» وهي الصغرى، و«العقد البديع في مدح الشفيع»،

(١) فهرس المخطوطات المصورة ٤٠٩/١. (٣) كشف الظنون ١٢٣١/٢.

(٢) البديعات في الأدب العربي ص ٦٨.

وهي الكبرى، و«عين البديع في مدح الشفيح»، وهي الوسطى^(١)، كما عارضه وجيه الدين العلوي المتوفى سنة ٨٠٣هـ. في بديعته المسماة «الجوهر الرفيع ووجه المعاني في معرفة أنواع البديع»^(٢).

بالإضافة إلى ذلك فإن صلاح الدين الصفدي المتوفى بعد الحلبي بأربعة عشر عاماً، وهو أستاذ ابن جابر وصديقه الذي طالما سمع أشعاره لم يأت في تأليفه على ذكر بديعية ابن جابر^(٣)، وهذا ما يرجح أن ابن جابر نظمها بعد وفاة الحلبي، وأن للحلبي الأسبقية عليه في نظم هذا الفن.

وأما موقف أحمد إبراهيم موسى صاحب «الصبغ البديعي»، في جعل الأسبقية والابتكار لعلبي بن عثمان الإربلي، فلا بدّ له من تدقيق، إذ لا يمكن اعتبار قصيدة الإربلي بديعية، فصاحبها لم يُبد لنا غاية أو مسوغاً يحمله على قصد تأليف فن جديد.

ثم إن ذكر اسم النوع بجانب كل بيت من أبيات قصيدته - كما أشار إلى ذلك شوقي ضيف - يرجح أن يكون من صنع غيره، كابن شاعر الكتبي وهو أول من أشار إليه في كتابه «فوات الوفيات»، وما يقوي هذا الترجيح أن العلامة أحمد تيمور باشا عندما أشار إلى هذه القصيدة لم يشر إلى وجود اسم النوع بجانب البيت^(٤)؛ ثم إن هذه القصيدة لم تملك من مقومات البديعية وشروطها إلا شيئاً واحداً وهو جعل كل بيت منها شاهداً على نوع من أنواع البديع، وهذا غير كافٍ ليجعل منها بديعية؛ ثم إن أحمد إبراهيم موسى كان في قرارة نفسه أميل إلى اعتبار الاسم والريادة من حق صفدي الدين الحلبي وبديعته، لا من حق الإربلي، وذلك في جعله الإربلي وقصيدته في الطور الأول لنشوء البديعات، وهو طور بدائي لم تخرج فيه هذه القصيدة عن طور الجنين لتكون خلقاً سوياً.

وخير ما يقال في قصيدة الإربلي ما قاله محمود رزق سليم من أن الناظر فيها «يحكم أن هذا الفن الشعري كان في بدئه لا يزال يحبو، أو كان ذرة تتلمس لنفسها وجوداً ولما يتفجر ما في باطنها من حياة»^(٥)؛ وهذا ما أكدّه محمود الربدابي في

(١) هدية العارفين ٤١٦/٥-٤١٧؛ وبديعيات ٢٤٤-٢٤٦.

(٢) الآثاري ص ١٩.

(٣) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص

٦٤-٦٥.

(٤) الضوء اللامع ١٥٣/٤.

(٥) انظر نكت الهميان في نكت العميان ص (٥) عصر سلاطين المماليك ١٥٨/٦.

قوله: «ومن كل هذا نستطيع أن نحكم بأسبقيّة الحلّيّ على ابن جابر في نظم البديعية، ولكن لا نستطيع أن نقول أنه أول من ابتكر فنّ البديعيات... ذلك لأننا نعلم أنّ شاعراً اسمه الشيخ علي بن عثمان... الإربليّ الصوفيّ قد نظم قصيدة لامية ضمّنها جملة من أنواع البديع، نوعاً في كل بيت...»^(١)، فهو يعترف للإربليّ بوضع حجر الأساس في ابتكار هذا الفنّ، إلّا أنه يضع الحلّيّ في مكان الريادة والتشيد والبناء لصرح لهذا الفنّ في أول قصيدة يطلق عليها اسم «بديعية». ثمّ إن كلام ابن معصوم الذي أشار إليه أحمد إبراهيم موسى يوحى بأنّ الإربليّ هو أول من نظم قصيدة وأدخل فيها أنواع البديع، ولم يكن أول بديعيّ، ثمّ ناقش موقف الصفيّ مع ابن جابر كأول من نظم تلك القصائد على هذا النظام المتبع في «البديعيات»، إذ يقول: «وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والرويّ الذي نظم عليه الشيخ صفيّ الدين الحلّيّ فلا أتحقّق أيضاً أنّ الشيخ صفيّ الدين هو أول من نظم إليه، فإنه كان معاصراً للشيخ... ابن جابر الأندلسيّ الأعمى... ولا أعلم من السابق منهما إلى نظم بديعيته على هذا الأسلوب...»^(٢).

وقد استدل علي أبو زيد على ريادة الحلّيّ على الإربليّ بأنّ الإربليّ لم يكن أول من نظم أنواع البديع، بل سبقه إلى ذلك يحيى بن عبد المعطيّ الزواويّ المتوفّي سنة ٦٢٨هـ.، إلّا أنّ تلك المحاولات لم تُجدِ نفعاً، ولم تصبح البديعية معها خلقاً سوياً إلّا على يد صفيّ الدين الحلّيّ^(٣).

وريادة صفيّ الدين أو أسبقيته على ابن جابر لا تعني بالضرورة أن يكون ابن جابر قد اطلع على بديعية الحلّيّ وجاراها، بل ربما كان كلّ منهما قد نظم بديعته دون أن يطلع على صنيع الآخر، وذلك يعود لتشابه بعض الدوافع والعوامل والظروف المهيّئة لظهور مثل هذا الفنّ، وما يؤكد ذلك أنّ حسين بن سليمان الحلبي الطائي مثلاً المتوفّي سنة ٧٧٠هـ.، نظم قصيدة في سبعمئة بيت ضمّت أنواع البديع، سمّاها «زهر الربيع في علم البديع»^(٤)، دون أن يذكر أحد شيئاً من أسبقيته على ابن جابر.

(١) ٣٢-٣١/١

(١) «ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص

(٣) البديعيات في الأدب العربي ص ٦٨.

١٩٠.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم (٤) كشف الظنون ٢/٩٦٠.

ومع هذا، يبقى صفّي الدين الحلّيّ أوّل من نهض بفنّ البديعيّات، وحمل لواءه وحاز به قصب السّبِق، وتبقى قصيدته هي البديعية الأولى التي أطلقت عقال عشرات الشعراء فيما بعد لكي ينظموا في هذا الفنّ الجديد.

وبعد هذا كلّه، أصبح يسيراً تقدير الزمن الذي نشأت فيه البديعية الأولى من خلال حياة ناظمها الأوّل، إذ كانت ولادته سنة ٦٧٧هـ.، ووفاته سنة ٧٥٠هـ. ويشير علي أبو زيد إلى ذلك بقوله: «وبما أنّه أشار إلى أنه نظم بديعيته بعد خوضه بحار العلم والمعرفة، وقراءة الجَمّ الغفير من الكتب، وبما أنّ نظم البديعية يحتاج إلى مهارة في نظم الشعر وخبرة فائقة به، وذلك كلّه لا يتأتّى للمرء إلّا على مرور الأيام، والحياة الطويلة، فإنني أقدر أن تكون أوّل بديعية ظهرت في النصف الأوّل للقرن الثامن الهجري، وفي عقده الخامس»^(١).

وبظهور بديعية الحلّيّ، انطلق ركب البديعيّات يمحّر عباب التراث الأدبيّ في العالم العربي، ويسجّل على صفحاته معالمه وآثاره التي استمرّت إلى عهد قريب (مطلع القرن العشرين) على امتداد نحو سبعة قرون من عمر هذا التراث، وفي مختلف أصقاع الدولة العربية الإسلامية، حتى أضحي بين أيدينا ما يربو على مئة بديعية، كلها تمدح الرسول (ﷺ)، وتنظم في ثناياها فنون البديع، توارث فتها الشعراء جيلاً بعد جيل، فرغب فيها شعراء النصارى، ونظموا بديعيّات في مدح السيد المسيح، عليه الصلاة والسلام، على غرار بديعيّات المسلمين، كما انتقلت إلى لغات العالم الإسلاميّ، فنظم شعراء الأتراك بديعيّات باللغة التركية، ونظم شعراء فارس أخرى باللغة الفارسيّة، ونظم أهل السند والهند بديعيّات باللغة الأوردية^(٢).

ولكن يبقى هناك سؤال يتبادر إلى الذهن، وهو: ما الهدف الأوّل من البديعيّات، وكيف تطوّر ليصبح فنّاً قائماً بذاته؟!

من خلال الاطلاع على بدايات هذا الفنّ، يتبيّن لنا أن الهدف الرئيس من نشوء هذا الفنّ هو المدح، بل هو مديح رسول الله محمّد (ﷺ).

ويؤكد هذا ما جاء في مقدّمة شرح البديعية الأولى لصاحبها صفّي الدين الحلّيّ إذ

(١) البديعيّات في الأدب العربي ص ٧٠.

(البديع) ص ٢٢؛ ومعجم المصطلحات

البلاغية وتطورها ص ٢٢٤.

(٢) انظر البلاغة العربية في ثوبها الجديد

قال: «فجمعت ما وجدت في كتب العلماء وأضفت إليه أنواعاً استخرجتها من أشعار القدماء، وعزمت أن أؤلف كتاباً يحيط بجلّها، إذ لا سبيل إلى الإحاطة بكلّها، فعرضت لي علة . . . واتفق لي أن رأيت في المنام رسالة من النبي عليه أفضل الصلاة والسلام يتقاضاني المدح، ويعدني البرء من السقام فعدلتُ عن تأليف الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع . . .»^(١). فما عدوله عن تأليف كتاب في البديع إلا لوجود هدفٍ أوّل هو المديح الذي جعله يعدل عن الهدف الثاني (التأليف البديعي)، بل جعله يجمع بين الهدفين في وسيلة واحدة هي هذه القصيدة المنظومة، حتى صار التأليف البديعي ضمن قصيدة مدحية سنّة سنّها الصفيّ لمن أراد بعده أن ينظم فنون البديع في قصيدة شعرية؛ وهذا ما يفسّر تسمية قصيدته بـ «البديعية . . .» وإطلاق هذه التسمية على ما يليها من «البديعيات» مع ما تضمّنته من المقومات والشروط والصفات التي جاء بها لتكون قواعد لنظم البديعية.

وهذا ما يدلّ أيضاً على أن قصيدة الزواويّ لم تُسمَّ «بديعية» وإن كانت مؤلفة في علم البديع، ذلك لأنها لم تكن في مدح الرسول (ﷺ) ولم توافق بمواصفاتها مواصفات «البديعية» التي سنّها فيما بعد الصفيّ؛ وهذا نفسه يدلّ على أنّ قصيدة الإربليّ لم تكن بديعية لأنها كانت في مدح بعض معاصريه، وفق مواصفات أخرى؛ وقيل: في موضوع غزليّ^(٢).

وهذا لا يعني أنّ كلّ قصيدة في مدح الرسول (ﷺ)، هي «بديعية»، فقصيدة البوصيري وقصيدة كعب بن زهير قبله وغيرهما، لم يطلق عليهما اسم «بديعية» لعدم تعرضهما لأنواع البديع وفنونه.

وإذا كان الحلّي قد نهج نهج البوصيري في المديح، فإن شعراء البديعيات قد نهجوا نهج الصفيّ في المديح والتأليف البديعيّ المنظوم، حتى غدت بديعته محطّ أنظار جميع من أحبّ هذا الفنّ ونظموه، فراخوا يضعونها نصب أعينهم لمعارضتها والتأليف على نسقها؛ وبهذا تحوّلت البديعية من قصيدة مدحية تتضمن علوم البديع إلى فنّ يجمع بين المدح وعلم البديع كشرط أساسيّ من شروطها، وهذا ما دفع

(١) شرح الكافية البديعية ص ٥٤.

(٢) انظر فوات الوفيات ١١٨/٢؛ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص ٢٢٤.

البعض إلى أن يعرفها بقوله: «فالبديعيات قصائد اشتمل كل بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع، تمثيلاً فقط، أو مضموماً إليه التزام التورية باسمه، فهي منظومات في «البديع» تشبه ألفية ابن مالك في «النحو»، أو الشاطبية في «القراءات»^(١)، دون أن يشير إلى أن المديح شرط من شروط تسميتها.

ومهما يكن من أمر البديعيات فإن بابها قد فتح على مصراعيه أمام الشعراء، وقد كانت القرون الثلاثة من نشأتها الثامن والتاسع والعاشر قرون ازدهار وتطور لفنّ البديعيات، وقد كان ابن حجة الحموي في واسطة عقد هذه القرون، فقبل عصره بقرن أي في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن ظهر فنّ البديعيات يحبو على يد علي بن عثمان الإربليّ، ثمّ نما وترعرع على يد كلّ من صفّي الدين الحلّي وابن جابر الأندلسيّ وشهاب الدين أحمد العطار وعز الدين الموصليّ ووجيه الدين العلويّ وابن حجاج المعروف بـ «عويس»، . . . وفي القرن التاسع ظهرت بديعيات كل من ابن حجة الحمويّ وشعبان الأثاري وابن المقرئ، وفي القرن العاشر نظمت بديعيات كثيرة كانت تتفق في صفاتٍ رئيسة هي: أنها نظمت في مدح الرسول (ﷺ)، على بحر البسيط، وقافية الميم المكسورة، بالإضافة إلى تضمين كل بيت فيها نوعاً من أنواع البديع، وقد يصرح باسم هذا النوع أحياناً، وقد لا يصرح في الأحيان الأخرى.

ولو تمّ تجاوز البديعيتين الأوليين: بديعية الحلّي وبديعية ابن جابر، واتّجهنا مع تطور شكل البديعيات لوجدنا أنّ هناك شيئاً جديداً قد طرأ عليها، وكان السابق إليه هذه المرّة هو عزّ الدين الموصليّ المتوفّي سنة ٧٨٩هـ.، وهو التزام الشاعر بذكر اسم النوع البديعيّ في بيت البديعية ويمنحها الاسم، ثم يثني عليها بالشرح أو يشرحها غيره ويسمّي هذا الشرح اسماً جديداً، لما في الشرح من ضرورة تلازم البديعيات لجلاء ما غمض فيها من أفكار اضطرّ إليها الشاعر أثناء معاناته لنظم البديعية.

فصفّي الدين الحلّي سمّى بديعيته «الكافية البديعية في المدائح النبوية»، وشرحها هو وسمّى شرحه «النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية»، وكذلك ابن جابر سمّى بديعيته «الحلّة السيّرا في مدح خير الوري»، وشرحها أبو جعفر وسمّى شرحه «طراز الحلّة وشفاء الغلّة»، وجاء عزّ الدين الموصليّ فنظم بديعية وشرحها واقرن اسمها

(١) البديع في ضوء أساليب القرآن لعبد الفتاح لاشين ص ٢٠٢.

باسم شرحه: «التوصل بالبدیع إلى التوصل بالشفیع»، ثم تلاه ابن حجة الحموي فنظم بديعته التي سماها «تقديم أبي بكر» وشرحها، وسمى شرحه «شرح تقديم أبي بكر» وربما كانت تسمية «خزانة الأدب وغاية الأرب» لها من تسمياته.

ثم تطورت عملية النظم عند الشاعر، فراح ينظم أكثر من بديعية، كما فعل شعبان الآثاري في نظمه ثلاث بديعيات في غرض واحد ووزن واحد وقافية واحدة، وكما فعل الحميدي أيضاً المتوفى سنة ١٠٠٥هـ.، إذ نظم بديعيتين، إحداهما على سنن البديعيات المعروفة، والأخرى تختلف عن سنن البديعيات بكونها على قافية الكاف، ومطلعها (من البسيط):

بديع حسنيك أبدى من محيائك براعة تستهل البشر للبأكي^(١)
وهذا الخروج على القافية الميمية المكسورة في بديعية الحميدي ظاهرة جديدة يدعوننا إلى الاستغراب، ولكن هذا الاستغراب سرعان ما يزول إذا تذكرنا أن القصيدة الأولى التي نظمت في فنون البديع كانت للإربلي على قافية اللام، ومن البحر الخفيف، وموضوعها مدح أحد معاصري الإربلي والغزل. كما أن هناك بديعية أخرى على رويّ الراء المضمومة للشيخ عبد علي بن ناصر بن رحمة الحوزي، مطلعها (من البسيط):

قلبي وطرفي منصوب ومكسور كلاهما مطلق منا ومأسور^(٢)
ثم إن هناك بديعية أخرى شذت عن قاعدة البديعيات، وهي لابن حجاج المعروف بـ «عويس»، وقد جعلها على غرار بديعية الصفي، إلا أنها على رويّ الراء المكسورة، ومطلعها (من البسيط):

سل ما حوى القلب في سلمى من العبر فكُلما خطرَت أمسى على خطر^(٣)
وكما خرجت بعض البديعيات على القافية الميمية المكسورة فإن بعض البديعيات الأخرى قد خرجت على مدح الرسول، إلى مدح غيره من الأشخاص، وهي مجهولة الناظم، مطلعها (من البسيط):

(١) الصبغ البديعي ص ٤٥٢؛ و«ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص ١٩٢.

(٢) سلافة العصر لابن معصوم ص ٥٤٦-٥٥٣.

(٣) شذرات الذهب ٧/٧٣؛ والضوء اللامع ٦/١٥١ - ١٥٢.

عُجَّ بِالطَّلُولِ وَعُجَّ رَبْعاً بِقُرْبِهِمْ يَا حَادِي الثُّوقِ لِي رَحَّبْ بِحِيَّهِمْ^(١)
ومن السمات التي كانت تتسم بها البديعيات أنها كانت تحمل أسماء مسجوعة،
وغالباً ما تكون السجعة ثنائية مثل: «الكافية البديعية في المدائح النبوية»، و«الحلة
السَّيِّرَا في مدح خير الورى»، و«العقد البديع في مدح الشفيح»، و«بديع البديع في
مدح الشفيح»؛ و«الفتح الإلّٰي في مطارحة الحلّيّ»، فإذا شُرِّحَتْ اختارَ الشارحُ
لشرحها اسماً ينسجم في سجعته مع سجعة البديعية، فشرح الحميديّ على بديعيته
«تلميح البديع في مدح الشفيح» سمّاه «فتح البديع»، وسمّى اختصاره «منح السميع»
فأصبح الاسم الكامل لمختصر شرح البديعية بأربع سجعات، وهو: «منح السميع من
فتح البديع على تلميح البديع في مدح الشفيح».

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ نظام البديعيات وشراحيها، لكونهم كانوا شعراء وأدباء
وبلاغيّ عصرهم، جاءت شروح بديعيّاتهم معرضاً من معارض الثقافة العامّة، إذ
يتّخذ الشاعر منهم شُرْحَ بديعيّته معرضاً لعرض ثقافته الأدبية ومدّخراته من العلوم
والشعر والنثر والقرآن والحديث، كما يتّخذها مسرحاً لإظهار براعته في استبعاد آراء
وتقريب أخرى، مدللاً بين حين وآخر على الجانب الآخر من ثقافته الأدبية
باستعراض نماذج من شعره ومقارنتها مع مثيلاتها من الشعر المشابه، فلذا زخرت
شروح البديعيات بالشواهد من شعر ونثر وتخريج للآراء البلاغية ومناقشة أحكام
السابقين من نظام البديعيات ونقد ما جاؤوا به من شواهد وآراء بلاغيّة وأحكام نقدية.

(١) «ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص ١٩٣.

الفصل الثالث: البديعيات: تعريفها، شروطها، موضوعها، أثرها وقيمتها

١- تعريف البديعيات، شروطها، موضوعها:

على الرغم من انتشار هذا الفنّ الجديد بين الشعراء على مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية، ولفترة طويلة من الزمن، يكاد أحدنا يدهش عندما يجد أنّ هذا الفنّ الذي طرأ على فنون الشعر العربي، لم يوضع له تعريف ولم تحدّد له أسس دقيقة ومواصفات مميّزة يلتزم بها الشاعر الذي يريد أن يمخر عبابه، أو يسير في ركابه، ومن هنا جاءت بعض البديعيات شاذّة عن جماعتها بميزة أو بأخرى، إلا أنّ المستقرئ لجميع نصوص البديعيات والجامع لأخبار ما فقد منها، يلحظ بوضوح أنّ هناك اتفاقاً شبه كامل على أسس ومبادئ محدّدة ومميّزة يتّصف بها هذا الفنّ على الرغم من فقدانه حدّاً أو تعريفاً. ولعلّ أوّل من أطلق مصطلح «بديعية» على هذا الفنّ الجديد هو صفّي الدين الحلّي، الذي يعتبر - كما أشرت سابقاً - أوّل من نهض بهذا الفنّ، وأرسى دعائمه، وحمل لواءه، وحاز به قصب السبق، ويبدو ذلك واضحاً من خلال إطلاقه هذا الاسم على بديعيته، دون أن يظهر مصطلحاً مُلزمًا، إذ سمّاها «الكافية البديعية في المدائح النبويّة»؛ وإن دلّت هذه التسمية على شيء فإنما تدلّ على أنّ هذا المصطلح «البديعية» أطلق في أوّل الأمر ليعبر عن صفة عامة طغت على القصيدة كونها استعرضت فنون البديع ضمن أبياتها، ثم انطلق من حدود تلك الصفة فيما بعد ليدخل في حدود مصطلح واضح المعالم لا يطلق إلا على مثل تلك القصائد «البديعيّات»، فكان لتلك التسمية أثر كبير في شيوع هذا المصطلح.

إلا أنّ هذا المصطلح لم يرسخ في أذهان الناس ونفوسهم كمصطلح حتى جاء ابن حجّة الحمويّ واستخدمه لأوّل مرّة، بعد صفّي الدين الحلّي، قاصداً به ما وضع من أجله، وذلك في خطبة شرّحه على بديعيته، إذ قال: «... فهذه «البديعيّة» التي نسجتها بمدحه، (عليه السلام)، على منوال طرح البردة... وسمّيتها «تقديم أبي بكر...»^(١)

(١) خزّانة الأدب وغاية الأرب ٣٠٥/١.

ويبدو أنّ ابن حجّة هو أوّل من أرسى حدود هذا المصطلح، فانتشر، وعرفه الناس والشعراء والعلماء، وشرعوا يستخدمونه ويطلقونه على كلّ قصيدة تنتظم في سلك هذا الفنّ.

أقول هذا، لأنّ بديعياً آخر قبله، وهو عزّ الدين الموصليّ، نظم بديعياً عارض بها بديعياً صفي الدين الحلّي، فنهج بها نهجه، وزاد عليه بالتورية باسم النوع ضمن البيت، ونظم أخرى خرج بها عن نهجه، فجعلها لامية على وزن «بانت سعاد»^(١)؛ وبذلك كان عزّ الدين الموصليّ، أوّل من أضاف جديداً إلى فنّ البديعيّات بالتورية باسم النوع ضمن البيت، وأوّل من خالف قوانينها فنظمها على غير رويّ، وأوّل من سنّ نظم أكثر من بديعياً من قبل شاعر واحد. ولعلّ خروج عزّ الدين على بعض ما سنّه الصفيّ في بديعيته، يدلّ دلالة واضحة على أنّ هذا المصطلح «البديعيّة» لم يرَ النور كمصطلح بلاغيّ حتّى جاء ابن حجّة الحمويّ وسنّه لمن بعده من شعراء البديعيّات، وقد أحيّا بذلك تسمية الحلّي لبديعيته، بل لقد سقى تلك البذرة الجليّة لتصبح مصطلحاً سوياً له معالمه ومميزاته، وإن لم يتجزأ من يخوض في موضوعه أن يجعل له تعريفاً واضحاً مميّزاً أو حدّاً فاصلاً ملتزماً، على الرغم من انتشاره وسيرورته ومعرفته.

إذاً لقد بقي هذا المصطلح «البديعيّة» متجاذباً بين كلّ من أراد أن يلقي نظرة على هذا الفنّ أو يُدلي برأيّ فيه، حسب ما يراه كلّ من وجهة نظره أو جهة تخمينه، حتى لو أردت البحث عن مفهوم هذا المصطلح وملامحه عند العلماء والباحثين على مرور الزمن لَوَجَدت في ذلك بعضاً من الاختلاط والغموض، على الرغم من الاتّفاق حول المعالم الأساسيّة له.

فصفيّ الدين الحلّي رسم معالم «البديعيّة» من خلال كلامه عن مضمون قصيدته بقوله: «فعدلتُ عن تأليف الكتاب إلى نظم قصيدةٍ تجمع أشتات البديع وتطرّز بمدح مجده الرفيع؛ فنظمتُ مئة وخمسة وأربعين بيتاً في بحر «البيسط» تشتمل على مئة وواحد وخمسين نوعاً من محاسنه... وجعلت كلّ بيت مثلاً شاهداً لذلك النوع»^(٢).

(٢) شرح الكافية البديعية ص ٥٤-٥٥.

(١) انظر الدرر الكامنة ٣/١١٢.

وبهذا يكون الصفيّ قد جعل قوام البديعية على أربعة:

أ- أن يكون موضوعها الأساسي مدح الرسول (ﷺ).

ب- أن تكون قصيدة طويلة (إذ إن قصيدة الإربليّ بلغت ستة وثلاثين بيتاً).

ج- أن تنظم على البحر البسيط.

د- أن يشتمل كلّ بيت منها على نوع بديعيّ أو أكثر، يكون البيت شاهداً عليه.

أما ابن حجّة الحمويّ فقد تجافى قلمه عن تعريف «البديعية»، ولعلّ معارضته لبديعية الحلّيّ وبديعية الموصليّ ونهجه ذاك النهج، قد أجزأ عن توضيح أسس «البديعية»، فاكتمى بعد ذلك بوضع الشروط التي يجب أن تتوفر في مقدمة «البديعية» باعتبارها مديحاً نبويّاً، وذلك بقوله: «... أن الغزل الذي يصدر به المديح النبويّ، يتعيّن على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدّب ويتضاءل ويتشّبب، مطرباً بذكر سلع وراماة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع وأكناف حاجر، ويطرح ذكر محاسن المُرْد، والتغزّل في ثقل الردف ورقّة الخصر، وبياض الساق وحمرة الخدّ وخضرة العذار وما أشبه ذلك، وقلّ من يسلك هذا الطريق من أهل الإذّب»^(١).

وظلّ تعريف «البديعية» قلقاً مضطرباً حتى عند الباحثين المحدثين، فهذا زكي مبارك يتعرّض لوضع تعريف لـ «البديعات» أثناء حديثه عن أثر البردة في بديعية ابن جابر، فيقول: «لقد ابتكر فتناً جديداً هو «البديعات»، وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول، ولكن كلّ بيت من أبياتها يشير إلى فنّ من فنون البديع»^(٢).

وهذا محمود رزق سليم فيرى أنّ «البديعية منظومة يتوخّى فيها الناظم أن يضمّن كل بيت من أبياتها لوناً من ألوان البديع أو أكثر، وهذه هي السمة الأولى الأصيلة في كلّ بديعية»^(٣).

وهذا حاجي خليفة، في معرض حديثه عمّا ألف في البديع، يكتفي بالقول: «ومنها بديعات الأدباء، وهي قصائد مع شروحها»^(٤). غير أنّ معنى «البديعية» عند عمر فروخ قد اتّخذ منحى آخر، فالبديعية عنده هي المدحة النبوية، إذ يقول في

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب، باب براعة ١٦٩.

الاستهلال في النظم ٣٤٢/١ - ٣٤٤. (٣) عصر سلاطين المماليك ١٥٧/٦.

(٢) المدائح النبوية في الأدب العربي ص (٤) كشف الظنون ٢٣٣/١.

معرض حديثه عن الشاب الظريف: «وله شيء من البديعيات في مدح الرسول»^(١)، وكذلك أثناء ترجمته للقاسم بن علي بن هُتَيْمِل المتوفى قبل سنة ٧٠٠هـ. : «وله بديعية في مدح الرسول»^(٢)، ثم حافظ على هذا المعنى أثناء ترجمته للحلبي فيقول: «وإذا نحن استثنينا البوصيري، كان صفّي الدين أول من قصد نظم البديعيات (القصائد في مدح الرسول) أو جعل منها فتاً قائماً بنفسه»^(٣).

أما أحمد إبراهيم موسى وعبد الفتاح لاشين، في معرض حديثهما عن تطوّر البديع إلى حدّ أصبح فيه منظوماً بشعر مؤلّف من تفعيلات وموازن لا يروق لفظها ولا يفهم معناها، فقد وجدا البديعيات قصائد «اشتمل كلّ بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع، تمثيلاً فقط، أو مضموماً إليه التزام التورية باسمه»^(٤)، بل هي منظومات في «البديع» تشبه ألفية ابن مالك في «النحو» أو الشاطبية في «القرءات»^(٥).

وقد وقف محمود الريدادي وقفة مع الصفات العامة التي يتّصف به أكثر البديعيات، فرأى «أنّها تتمتع بصفات أربع رئيسية:

- ١- نظمت في مدح الرسول (ﷺ).
 - ٢- اختار الشاعر لها البحر البسيط.
 - ٣- جعل القافية ميمية.
 - ٤- ضمّن كلّ بيت فيها نوعاً من أنواع البديع، وقد يصرّح باسم هذا النوع أحياناً، وقد لا يصرّح في الأحيان الأخرى»^(٦).
- أما شوقي ضيف^(٧) فقد اقتصر على تكرار ما ذكره صفّي الدين الحلبي عن بديعته في مقدّمة شرحه لها.

ولم يتعد محمد زغلول سلام في تعريفه للبديعيات عن مفهوم زكيّ مبارك، إذ

(١) تاريخ الأدب العربي ٦٥٦/٣. (٥) البلاغة العربية في فنونها ص ١٣.
(٢) تاريخ الأدب العربي ٦٩٢/٣. (٦) «ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص ١٨٩.
(٣) تاريخ الأدب العربي ٧٧٣/٣.
(٤) الصبغ البديعي ص ٣٧٢؛ والبديع في ضوء أساليب القرآن ص ٢٠٢.
(٧) البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦٠.

يقول في معرض حديثه عن البردة: «وسار كثير من شعراء العصر على أثر البردة... ولكن صفّي الدين الحلّي ومن تبعه انتهجوا نهجاً جديداً في مدائحهم إذ طرّزوها بالبديع، وأسماها «البديعيات»، ضَمَّنوا كلَّ بيت فيها نوعاً من البديع، فجعلوها مديحاً ومنتناً في علم البديع معاً»^(١).

كما أجزأ محمّد سلطاني عن تعريف البديعية ما ذكره في كتابه^(٢) عن أزمانها وعددها وغايتها وطرائقها وموضوعاتها وبحورها، متمثلاً بذلك ما جاء في «الصنغ البديعي».

وقد عبّر هلال ناجي أثناء تقديمه لـ «بديعيات الآثار» عن مفهوم «البديعيات» بقوله: «كانت بردة البوصيري في مدح الرسول (ﷺ) منعطفاً ضخماً في تاريخ الشعر العربي، وقد اندفع إلى محاكاتها وزناً وروياً وغرضاً، عددٌ كبير من شعراء العربية عبر العصور، مع احتفالهم بالبديع، فأطلق على قصائدهم هذه اسم «البديعيات»»^(٣).

ثم جاء بكري شيخ أمين بتعريف لهذه البديعيات فقال: «إنها قصائد مطوّلة، تزيد القصيدة الواحدة على خمسين بيتاً، وقد تبلغ المئة، أو المئة والخمسين بيتاً، وقد تصل أحياناً إلى ما يقرب من ثلاثمئة بيت... وحيث إن هذه القصائد جميعاً قد اتّفتت على استعراض فنون البديع ضمن أبياتها، فإنّ ذلك هو السبب الذي دعا العلماء إلى أن يطلقوا على القصيدة من هذا النوع اسم «البديعية»، وعلى المجموع اسم «البديعيات»»^(٤).

ولو عرضت البديعيات على أقوال هؤلاء العلماء والباحثين وتعريفاتهم، لوجدت أنّ هذه التعريفات تضيق عنها تارة وتتسع أخرى، وفي كلا الحالتين يخرج عدد من البديعيات ويشدّ عنها، إذ لا يمكن أن تقتصر «البديعية» على مدح النبي (ﷺ) دون تعرّضها لأنواع البديع، وإلاّ فإنّ جميع المدائح النبوية منذ قصيدة الأعشى تدخل في سلك «البديعيات»، كما فعل عمر فروخ، ثمّ لم يعد هناك ضرورة لإطلاق عبارة «فنّ جديد» على هذا النوع من الشعر.

(١) الأدب في العصر المملوكي ١/٢٣١. (٢) بديعيات الآثار ص ٦-٧. (٣) البلاغة العربية في فنونها ص ١٣، وما (٤) البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم يليها). ص ١١-١٢.

أما أن تعتبر كل قصيدة بديعية لمجرد تضمّنها نوعاً من أنواع البديع في كل بيت من أبياتها، كما فعل أحمد إبراهيم موسى وغيره، عندما جعلوا قصيدة الإربليّ، وقصيدة عبد علي بن ناصر الحوزيّ، وقصيدة يحيى بن عبد المعطي الزواوي، ورائية ابن نباتة المصري^(١)، بديعيات، فذلك يضطرنا إلى إدخال كثير من القصائد والمقطوعات والأبيات التي قيلت في شيء من البديع ضمن عقد هذا الفن، إذ إنّها لا تكاد تخلو من نوع بديعيّ في كلّ من أبياتها.

وأما أن تعتبر البديعية قصيدة على بحر البسيط، ورويّ الميم المكسورة، فهذا تشدّد عنه أكثر من بديعية.

ولهذا كلّه، يصعب إطلاق تعريف واحدٍ يضمّ جميع «البديعيات»، دون أن تشدّد واحدة، ولهذا يرى علي أبو زيد في كتابه «البديعيات في الأدب العربيّ»: «أن يكون لمصطلح «البديعية» تعريفان اثنان لا واحد، أحدهما عامّ، يشمل جميع «البديعيات» على شيء من التعميم الذي يخرجها عن دقّة التحديد، والآخر خاصّ دقيق، يضمّ التعريف الصحيح للبديعية كما أريد لها أن تكون، وكما سار عليه معظمهم، لا كما آلت إليه عند بعضهم»^(٢).

أ- التعريف العام لـ «البديعية»:

«البديعية»: قصيدة طويلة في مدح النبيّ - ونادراً غيره - يتضمّن كلّ بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع، يكون هذا البيت شاهداً عليه، وربّما وُريّ باسم النوع البديعيّ في البيت نفسه في بعض القصائد. وعلى هذا الحدّ يمكننا إدخال جميع «البديعيات» ضمنه، دون أن نشير إلى «بديعيات» مخالفة»^(٣).

ب- التعريف الخاصّ لـ «البديعية»:

«البديعية»: قصيدة طويلة، في مدح النبيّ محمّد (ﷺ)، على بحر البسيط، ورويّ الميم المكسورة، يتضمّن كلّ بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع، يكون هذا شاهداً عليه، وربّما وُريّ باسم النوع البديعيّ في البيت نفسه في بعض القصائد»^(٤).

(١) مطلعها: (ديوانه ص ١٨٠-١٨٣).

(٢) البديعيات في الأدب العربيّ ص ٤٥. صحا القلب لولا نسمة تتخطّر ولمعة برقي بالفضا تتسعر (٣)(٤) البديعيات في الأدب العربيّ ص ٤٦.

ويتّضح من هذين التعريفين الفرق بينهما، فالتعريف الثاني أكثر تقييداً من الأوّل، إذ إنّهُ يُخرج من دائرته تلك القصائد ذات الأبيات القليلة أولاً، ثمّ يخرج تلك القصائد التي قيلت في مدح غير الرسول (ﷺ) والتي جاءت، رغم ندرتها، في مرحلة زمنية متأخّرة، وينحّي القصائد المنظومة على غير بحر البسيط ورويّ الميم المكسورة، ممّا جاء شاذّاً عن الأصول الأولى لـ «البدعيّات»، وإن كانت تلك القصائد تدخل ضمن البدعيّات من باب شذوذ القاعدة في بعض جوانبها؛ إلّا أنّ هذا التعريف، رغم تقييده وضيق دائرته، فإنّه يضمّ أكثر البدعيّات على اختلاف عصور الأدب العربي، ولا سيّما تلك البدعيّات الأصيلة التي اتجهت اتجاهها أساسياً انطلقت منه معظم البدعيّات.

أمّا التعريف الأوّل فقد شمل كافّة البدعيّات، صحيحها وشاذّها، على اختلاف بحرهما ورويّهما، إلّا أنّه أخرج من دائرته القصائد ذات الأبيات القليلة، والقصائد التي قيلت في غير المديح. ومهما يكن من أمر هذا التعريف، فيمكن أن تُستخلص من كلا التعريفين الأسس والشروط والمقوّمات والغاية والموضوع والمضمون والموصفات التي بنيت عليها «البدعية».

أمّا أسسها وشروطها ومقوّماتها فهي:

أ- أن تكون طويلة، يزيد عدد الأبيات فيها على الخمسين^(١)، وقيل: لا تقلّ عن مئة بيت^(٢).

ب- أن يكون موضوعها الأساسي هو المدح، بل مدح الرسول (ﷺ).

ج- أن تكون منظومة على بحر البسيط، ورويّ الميم المكسورة.

د- أن يتضمّن كل بيت من أبياتها لوناً بدعيّاً على الأقلّ، بشكل صريح أو غير صريح، وأن يكون البيت شاهداً عليه.

وكل قصيدة تخلو من أحد هذه الشروط تخرج من سلك «البدعيّات».

وأما غايتها وموضوعها فيمكن استخلاصهما ممّا سبق وتلخيصهما بأنّ البدعية هي مديح النبيّ محمد (ﷺ)، وأصحابه الأبرار، وهي غاية روحية، وغرض شعريّ

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع) ص ١٢.

(٢) البدعيّات في الأدب العربي ص ٤٧.

معروف يتضمّن أنواع البديع التي وصل إليها ناظم البديعة، وهو غرض علمي.

وقد لاحظ محمد سلطاني هذه الغاية وذلك الموضوع في كتابه «البلاغة العربية في فنونها» فرأى البديعات «شبيهة بالمنظومات العلمية ذات الغاية التعليمية، كألفية ابن مالك وغيرها... غير أنّ بينها وبين البديعات فرقاً أساسياً: ذلك أنّ البديعات كانت بالإضافة إلى مضمونها العلمي، تقصد إلى التعبير عن غرض شعري هو المديح، وخاصة حين يكون هذا المديح نبوياً، فإنّ مشاعر التأثر والشوق قد تغلب على الشاعر، فتقرب القصيدة أشدّ ما يكون الاقتراب من ميدان الشعر»^(١). إلا أنّ محمد سلطاني^(٢) جعل غاية البديعية وموضوعها تتوزّعها ثلاثة اتجاهات: المديح النبوي، والمديح غير النبوي وفيه بديعتان^(٣)، ومديح عيسى عليه السلام.

ويرى علي أبو زيد^(٤)، معلقاً على ذلك، أنّ غاية «البديعية» وموضوعها لا يخرجان عن المديح النبوي والهدف العلمي، كما يرى أن قصائد المديح التي مدح بها عيسى، عليه السلام، هي من البديعات المخالفة، وقد تُصمّم تحت «المديح النبوي» إذا لم يقصد التخصيص والدقة أي عند قصد التعميم؛ ثمّ يرى أنّ المديح غير النبوي لا وجود له في «البديعات» أللهمّ إلا تلك «البديعية» اليتيمة التي نظمها محمد ابن محمد بن عبد الرحمن الهاملي في مدح شيخه أستاذ طريقته، فلا يراها تستحقّ أن تشاطر غرض المديح النبوي، ثمّ إنّ محمد سلطاني لم يذكر هذه القصيدة ضمن البديعتين التابعتين للاتجاه الثاني (المديح غير النبوي).

أما القصيدة التي ذكر أنّها في مدح غير النبي، فهي قصيدة الإربلي، ويرى أنّ هذه القصيدة التي ذكرها محمد سلطاني لم تكن بديعية لأنّها سابقة ومساعدة، كما أنّها خالية من جميع أسس البديعية ومقوماتها سوى أنّ كل بيت من أبياتها يتضمّن نوعاً من أنواع البديع. ثمّ يرى علي أبو زيد أنّ القصيدة الثانية التي يقصدها محمد سلطاني^(٥) قد تكون قصيدة عبد علي بن رحمة الحوزي، رغم أنّه لم يذكرها، وهي أيضاً، برأيه، لا مكان لها بين البديعات للسبب ذاته. إذًا، فموضوع البديعات هو

(١) البلاغة العربية في فنونها ص ١٣. (٤) البديعات في الأدب العربي ص ٤٨-٤٩.

(٢) البلاغة العربية في فنونها ص ١٥. (٥) لعلّ سلطاني كان يقصد بالقصيدة الثانية

(٣) لعلهما عنده بديعية الإربلي وبديعية ابن

عبد المعطي.

مديح نبويّ عام، غايته بالإضافة إلى ذلك تعداد أنواع البديع والاستشهاد عليها بأبيات البديعيات ذاتها.

وبناءً على ذلك، فالبديعيات هي ذاك الفنّ الشعريّ الطريف الذي بزغ في أوائل القرن الثامن الهجريّ، وتألّأت شمسه في سماء التراث العربيّ الإسلاميّ في القرون الستة المتتالية، فجمع بين الطرفة والمتعة والفائدة، والذوق والإحساس، كما أنه لا يخلو من الصورة الجميلة والعاطفة الصادقة، والتعبير العفويّ واللمحات الوجدانية المعبرّة، في حين كانت كلّ المنظومات التعليمية السائدة في زمن نموّ البديعيات تخلو تماماً مما يمتّ بصلة إلى الوجدان أو العاطفة، إذ كانت تنحت من صميم الفكر وتُمزج بقوانين العقل وتُصَبّ في قوالب شعرية خالية من أيّة عاطفة أو غرض شعريّ إضافيّ. أمّا البديعيات، فعلى العكس من ذلك، فقد حوت إلى جانب الغاية العلمية غرضاً شعرياً ينمّ عن عاطفة الشاعر وإحساسه ووجدانه، رغم الخيط التأليفيّ الذي يتنظم كل بيت فيها والذي يطغى على قسّمات القصيدة شاء الشاعر أم أبى.

٢- أثر البديعيات وقيمتها:

أ- أثرها في الأدب:

إنّ ناظمي البديعيات لم يكونوا شعراء، فحسب، إنّما كانوا شعراء أدباء، قد امتلكوا زمام الأدب من طرفيه: الموهبة الشعرية، والمقدرة على التأليف، فهذّبت الشعرية أعلامهم، وقعد القلم أشعارهم.

وهؤلاء ما كانوا ليكتفوا بنظم البديعية، في الغالب، بل كانوا يجعلون همّهم في شروحها، والتنبيه على مستغلقاتها، والإشارة إلى مواطن الاستشهاد فيها، بشرح يطول ويتسع تارة، أو يختصر ويضيق تارة أخرى. فإن حدث وأغفل أحدهم شرح بديعيته فإنها ستلقى من يعيد لها ذلك من أصدقائه أو المعجبين به، أو بعض المتطلّعين إلى خوض غمار هذا التّيار الذي ركبه كبار الشعراء والأدباء، ولذلك نجد مجموعة كبيرة من المؤلّفات التي تناولت فنّ «البديعيات» كوّنت خطأً متميّزاً في المكتبة العربية، وجانباً لا يُستهان به في التراث الأدبيّ، لما لهذا الجانب من مدلولات وإيضاحات حول هذا الفنّ وموقف أذواق الناس منه، وحول ذلك العصر الذي حضنه منذ بداياته.

ثم إن مضمون هذه المؤلفات المتمثل بما حوته في ثناياها من فنون الأدب شعراً ونثراً، ومن القصص والأمثال، ولمحات النحو والصرف والعروض والنقد والتاريخ، بالإضافة إلى شواهد الشعر، وآيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله (ﷺ)، وغيرها، يحث الباحث ويغريه ويدفعه إلى دراسة أثر «البديعيات» في الأدب، التي لم يكن فنّ البديع معها سوى مطية لناظمها أو لشارحها ليكشف عن مكونات صدره ومدخرات علمه وأدبه. ومن هنا تبدو دراسة أثر «البديعيات» في الأدب تنطلق باتجاهين: أحدهما من حيث كثرة المؤلفات المنبثقة عن «البديعيات»، ومضمون هذه المؤلفات، وثانيهما: من حيث الفوائد العلمية في هذه المؤلفات وقيمتها.

١- المؤلفات المنبثقة عن البديعيّات، ومضمونها:

لقد اقترن فنّ «البديعيات» بفكرة التأليف منذ نشأته، وقد مرّ أنّ ناظمي «البديعيات» كانوا يعكفون على بديعيّاتهم بالشرح والتوضيح، وربّما كان الشرح يُطلب من الناظم بعد أن ينظم بديعيّته فيستجيب لذلك، كما حصل مع كثير منهم^(١). وربّما كان صنيعهم هذا إشارة إلى سيرهم على طريق رائدهم الأوّل الحلّي، وهذا ما ساهم في وجود شروح لجميع البديعيّات تقريباً.

وكانت هذه الشّروح التي قام بها الناظمون أنفسهم تنمّ عن غاية أخرى مهمّة حملت عدداً من هؤلاء الناظمين على شرح بديعيّاتهم، ألا وهي رغبتهم في عرض بضاعتهم العلميّة إلى جانب أنواع البديع وشواهد، والتفاخر فيما يحملون من مدخّرات فنون الشعر والأدب، وإظهار مقدرتهم على الخوض في غمرة هذا التيار الفنّي الزاخر بالطرافة والعلوم والفنون، وخير مثال على ذلك، ما قام به ابن حجّة الحموي من شرح لبديعيّته حتى كانت «خزانه في الأدب»، وما قام به ابن معصوم في «أنوار الربيع في أنواع البديع»، وعبد الغنيّ النابلسيّ في «نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار»، وغيرهم... وهذا ما يؤكّد أنّ «البديعية» بما حوته من أنواع البديع لم تكن عند بعض الناظمين سوى مطية يتوسّل بها الشاعر لغرض آخر غير الظاهر، ويجعل منها وسيلة للوصول إلى كتابٍ يجمع فنوناً شتّى من الشعر والبلاغة والأدب وغيرها. وهذا يعني أنّ ناظمي البديعيّات كانوا في شرح بديعيّاتهم مدفوعين

(١) انظر البديعيّات في الأدب العربي ص ١٨٧-١٨٨.

بدافعين اثنين أو بواحدٍ منهما على الأقل: أحدهما الجري على عادة الأغلبية وستة الشعراء لتوضيح الأنواع البديعية المقصودة (كالحلّي، وعائشة الباعونية، وابن المقرئ...)، و يترتب على هذا أن يكون الشرح ضامراً ضحلاً، وثانيهما: مجازة المشهورين في عرض ما يحملونه من بضاعة الأدب وفنونه (كابن حجة، وابن معصوم، وعبد الغني النابلسي).

وهذا لا يعني أن الناظمين جميعهم قاموا بشرح بديعاتهم على ذلك النحو، بل إن بعضهم قد اجتزأ بنظم بديعته عن شرحها، أو قد شرحها شرحاً مختصراً، وهذا ما سمح لأصدقاء شعراء تلك البديعيات من الأدباء أن يدخلوا بين الناظم وبديعته للقيام بشرحها، واتخاذها بدورهم مطية لإظهار ما عندهم.

وخير مثال على تلك الشروح ما قام به أبو جعفر الرّعينيّ الإلبيريّ الغرناطيّ من شرح لبديعية صديقه ابن جابر في «طراز الحلة وشفاء الغلة» بعد أن شرح ابن جابر بديعته شرحاً مختصراً في «الحلة السيرا في مدح خير الوري»^(١).

بالإضافة إلى هذه الشروح، لقد انبثقت عن البديعيات وانطلقت منها مؤلفات أخرى تتراوح مضامينها بين النقد والبحث في السرقات والاحتجاج لهذا أو لذلك، إلى جانب المختصرات لتلك الشروح، وشروح الشروح أحياناً، وهذا ما جعل التأليف حول البديعيات يتشعب ويتنوع. وتمثلت هذه المؤلفات في موضوعات مختلفة: أحدها المختصرات، وهي قريبة من موضوع الشروح في كونها مظهراً من مظاهر الاهتمام بالبديعيات، يدلّ بوضوح على حجم الحركة التأليفية المتنوعة التي نشأت حولها.

وخير مثال على هذه الشروح ما قام به محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكيّ من اختصارٍ لشرح أبي جعفر الإلبيريّ الرّعينيّ على بديعية ابن جابر، سمّاه «منتقى شرح بديعية ابن جابر»^(٢).

وثاني هذه الموضوعات هو النقد، إذ لا بدّ لهذه الحركة الشعرية التأليفية من طبقة من العلماء يهتمون بالبديعيات فيتابعون قضاياها ويتذوّقون إنتاجها ويتدارسونها، موجّهين لها حيناً، وكاشفين عن بعض جوانبها حيناً آخر. من كتب هذا الموضوع

(١) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص ١٩٣-١٩٥.

(٢) مقدمة الحلة السيرا في مدح خير الوري ص ١٠.

«إقامة الحجّة على ابن حجّة» لأبي بكر بن عبد الرحمن باعلويّ، وهو في نقد بديعية ابن حجّة الحمويّ وانتقاد عليه بشرح شواهدها^(١).

وثالث هذه الموضوعات هو البلاغة، إذ وجد بعض المؤلّفين في «البديعيات» بناء متكاملًا قويًّا يضمّ مختلف أنواع البديع، فلم يكلفوا أنفسهم عناء تأليف جديد في علم البديع، بل اتّخذوا من بعض البديعيات وسيلة للتأليف والتفصيل في فنون البديع. وهذا ما فعله بولس عواد في كتابه «العقد البديع في فنّ البديع» إذ اتّخذ من بديعية ابن حجّة الحمويّ مادة لكتابه فأغناه بالشرح والتوضيح لأنواع البديع الواردة فيها، متّبعاً في ذلك ترتيب ابن حجّة دون تقديم أو تأخير.

وبهذا يبدو أنّ فنّ البديعيات لم يقتصر على النظم الشعريّ وحده، بل كان فتناً شعريّاً بلاغيّاً أدبيّاً، قامت حوله حركة واسعة من الشروح والمؤلّفات المتنوّعة في فنونها وفوائدها وموضوعاتها.

٢- الفوائد العلميّة في هذه المؤلّفات وقيمتها:

إنّ أحسن ما يقال في الفوائد العلميّة والقيمة العالية لمضمون هذه الشروح والمؤلّفات، ما قاله زكيّ مبارك فيها: «ولأكثر هذه البديعيات شروح فيها الوسيط والوجيز والمبسوط، وأكثر هؤلاء الشّراح من المتفوّقين في العلوم العربيّة، وفي شروحهم من الفوائد النحويّة والصرفيّة والبلاغيّة واللغويّة والأدبيّة والتاريخيّة، فنون أكثرها من المستملح المستطاب»^(٢). وأطلق محمود رزق سليم مثل هذا الحكم على شرح ابن حجّة لبديعيته مبيّناً الهدف من نظم هذه البديعية وشرحها، ولعلّ حكمه هذا ينطبق على معظم شروح البديعيات، إذ قال: «وما عليك إلّا أن تجمع تعريفاته البلاغيّة ومعها المثل أو المثالن، ثمّ تنحيهما جانباً عن بقية «الخزانة» لتبدو لك بقيتها مسرحاً وضيئاً متألّفاً مليئاً بجولات الأديب الذي فاضت صورته بالأدب اللباب، وسنح خاطره بالنقذات العذاب، وفيها ما فيها من حسن اختيار وسهولة عرض ودقّة تتابع وجمع للمتفرّق المتقارب»^(٣). فهذان القولان يؤكّدان أن تلك الشروح والمؤلّفات لم

(١) الأعلام ٦٥/٢؛ ومعجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ١٤٠/١.

(٢) المدائح النبوية في الأدب العربي ص ١٧٠.

(٣) عصر سلاطين المماليك ١٦٥/٦.

تتخذ من البديع وفنونه سوى مطية يتوسل بها الناظم أو الشارح ليحلّق على أجنحتها في فضاء رحب زاخر بالعلوم وفنون الأدب والمعرفة.

وإذا انتقلت إلى مضامين هذه الشروح والمؤلفات تجد مصداق ذلك، من خلال البناء العام الذي بنيت عليه هذه الشروح، والذي يتمثل في العناصر التالية: البديع، شواهد القرآن الكريم والحديث الشريف، الشواهد الشعرية من مختلف عصور الأدب، الشواهد النثرية، لمحات نقدية، فنون مختلفة، وبديعيات.

أ- البديع:

قامت البديعيات منذ نشأتها على فنّ البديع، فمن شروطها الملتزمة أن يتضمّن كل بيت نوعاً من أنواعه، لذا فإنّ أول ما يقوم به الشارح للبديعية هو التعريف بالنوع البديعيّ الوارد في بيت البديعية، وتوضيح شروطه وأقسامه، وذكر أقوال العلماء في هذا النوع، وقد يعمد الشارح أحياناً إلى التسمية فيفصل في معناها لغةً واصطلاحاً، ثم يحدّد أقسام النوع ويفصلها، ذاكراً الفرق بينه وبين ما يمكن أن يشبهه به من أنواع البديع.

ومن هنا نستطيع أن نستخرج من كلّ شرح كتاباً خاصاً بالبديع، يشمل أنواعه كلّها وما يضاف إليها من جديد على مرور الزمن، وذلك باستخراج البيت وما يعقب عليه من شرح وتحديد للنوع. وخذ مثلاً لذلك ما قاله ابن معصوم إثر بيته في «اللفّ والنشر»^(١)؛ وما قاله ابن حجّة الحمويّ إثر بيته في «التورية».

٢- شواهد القرآن الكريم والحديث الشريف:

لا نُنس أنّ الغاية التي قامت من أجلها معظم علوم العربية، ولا سيّما علوم البلاغة، هي القرآن الكريم وتيسير فهمه ومعرفة إعجازه وأحكام تفسيره. وهذا ما أكّده معظم الكتاب والدارسين، وتردّد كثيراً في مقدّمات شروح البديعيات، وخير مثال على ذلك ما جاء في مقدّمة شرح الكافية البديعية لصفّي الدين الحلّي، إذ يقول: «فإنّ أحقّ العلوم بالتقديم وأجدرها بالاقْتباس والتعليم، بعد معرفة الله العظيم، معرفة حقائق كلامه الكريم، وفهم ما أنزل في الذكر الحكيم، لتؤمن غائلة الشكّ والتوهيم...»، ولا سبيل إلى ذلك إلّا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع

(١) انظر أنوار الربيع ١/٣٤١-٣٥٥؛ وخزانة الأدب وغاية الأرب، باب «التورية».

اللتين بهما يعرف وجه إعجاز القرآن وصحة نبوة محمد (ﷺ) بالدليل والبرهان»^(١).
 فليس غريباً بعد ذلك أن تبدأ الشروح بالاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، تتبعها
 أحاديث وإن كانت قليلة من السنة النبوية الشريفة، حتى كادت هذه الطريقة أن تكون
 سنة متبعة، إذ قلما تجد نوعاً بديعياً في أيّ شرح لا يبدأ بشواهد القرآن الكريم
 والحديث الشريف.

٣- شواهد الشعر:

سبق القول إن كثيراً من شعراء «البديعيات» قد اتخذوا منها مطية لإظهار
 مكنوناتهم العلمية والأدبية في ثنايا شروحهم، وأكثر ما يبدو ذلك عندما يعقدون
 الحديث على شواهد النوع البديعي، إذ إنهم لا يكتفون، غالباً، بإيراد البيت أو
 البيتين، بل يتجاوزون ذلك إلى ذكر مقطعات كاملة وقصائد طويلة، وقد لا يشبع
 الشارح نهمه هذا، فيلجأ إلى ذكر ما استحسّن لهذا الشاعر أو ذاك، دون أن يكون
 أحياناً موافقاً لموطن الاستشهاد الذي هو فيه، وقد يعنّ له أن يقارن بعض عثرات
 الشعراء والمستقيح من أشعارهم بما ذكره من المستجاد لهم، على طريقة ابن المعتز،
 فتتوالى الأبيات الشعرية دون أن تقتصر على شاعر أو عصر معيّن، وما يزيد هذه
 الشواهد الشعرية أهمية أنّ الشارح عندما يصل إلى عصره ويستشهد بشعر من يعرفه
 من معاصريه وأصدقائه، فإنّ ما يورده في معظم الأحيان نفتقر إليه لإغفاله من قبل
 كتب الشعر والأدب وقد لا نجد له ذكراً في غير هذه الشروح.

ويكفي أن تطلع على شرح من شروح «البديعيات» المطولة، كشرح ابن حجة
 مثلاً، لتجد خير مثال على ذلك، فلو اطلعت على باب «التورية» منه مثلاً، لوجدت
 فيه من شعر أصدقائه ومعاصريه ما لم تجده في غير هذا الموضع، ومن هنا تبرز
 الأهمية الأدبية لهذه الشروح.

٤- شواهد النثر:

بما أنّ البلاغة بفنونها المختلفة لم تكن مقتصرة على الشعر، وبما أنّ شراح
 البديعيات كانوا من أرباب النظم والنثر، فلا بدّ من أن لا تقتصر شواهدهم على الشعر
 وحده، إذ وجدوا في النثر مادةً أخرى تكشف عن جانب من جوانب ثقافتهم، وتنمّ

(١) شرح الكافية البديعية ص ٥١-٥٢.

عن طول باعهم وسعة اطلاعهم، فكادت أمثلتهم النثرية توازي أمثلتهم الشعرية، فاتخذوا من أقوال الخطباء، وأمثلة الفصحاء والبلغاء، وخطب العلماء، ومناظرات الأدباء مادة هامة في الاستشهاد بها إلى جانب الشعر.

وعلى طريقتهم في الاستشهاد بالأشعار، ساروا في الاستشهاد بالنثر، فالشاهد النثري قد يكون مثلاً سائراً، أو بعض خطبة، وقد يطول الشاهد حتى يتضمّن رسالة كاملة، ولعلّ أوضح مثال على ذلك ما جاء في «خزانة الأدب» لابن حجة، فهو، مثلاً عندما يتحدّث عن «التغاير» يورد قولاً لابن أبي الإصبع في بيت أبي تمام ثم يقول: «وقد عنّ لي هنا أن أرفع للمتأخّرين في التقديم راية ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية، فإنّ الشيخ جمال الدين أظهر في المغايرة بين السيف والقلم ما صدق به قول القائل [من الطويل]:

وإني وإن كنتُ الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائلُ^(١)

من ذلك قوله في رسالة المفاخرة والمغايرة... فبرز القلم بإفصاحه... وقام خطيباً بمحاسنه في حلّة مداده، والتفت السيف فقال...»^(٢)، ويورد على ذلك الرسالة كلّها رغم طولها.

هـ - لمحات نقدية:

إنّ معظم شرّاح البديعيّات استطاعوا أن يميّزوا أثناء شروحهم بين الحسن والقيح، والجيد والرديء، من خلال لمحات وإشارات عديدة، ووقفات فاحصة متفرقة في أثناء شروحهم، تعبّر عن موقفهم، وتوضّح منهجهم في النقد وتشير إلى ملامح النقد في عصرهم بشكل عام، فما هم إلّا من هذا العصر وأبنائه، وما نقدهم إلّا جزء من نقده. وسيأتي الكلام على هذا في «أثر البديعيّات في النقد».

٦ - فنون مختلفة:

من المعروف أن شرّاح البديعيّات كانوا على ثقافة إسلامية عربية واسعة، فجاءت شروحهم صورة عن هذه الثقافة، إذ تجد فيها الفقه والتفسير والنحو واللغة والعروض والبلاغة، بالإضافة إلى ما سبق ذكره، وكلّها فنون بديعة من «المستملح المُستطاب».

(١) البيت لأبي العلاء المعري في سقط الزند ص ١٩٣؛ وخزانة الأدب ٢١٨/٣.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب، باب التغاير ٢١٨/٢ - ٢٣٨.

فهذا ابن معصوم مثلاً ذكر في شرحه لعائشة - رضي الله عنها - من أن إحدى عشرة امرأة من أهل اليمن جلسن فتعاهدن على أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً... ثم شرع يفسر غريب هذا الحديث، ويوضح وجوه المفردات صرفاً، ونحواً، وشرحه طويلاً^(١).

٧- بديعيات:

ومما حوته شروح «البديعيات» وحافظت عليه وأفادتنا به البديعيات ذاتها، إذ إن كثيراً من الشراح كانوا يجمعون إلى جانب البديعية المشروحة بديعيات من سبقهم أو بعضها، من أجل المقارنة أو المعارضة، ورغبة في إظهار تفوقهم وتقدمهم على أقرانهم، فحفظوا لنا هذه البديعيات من حيث لا يدرون ولا يقصدون، حتى كاد بعضها يكون مفقوداً لولا وجودها في هذه الشروح، ولعل ابن حجة الحموي من أوائل العاملين على هذا عندما جمع في شرحه ثلاث بديعيات إلى جانب بديعته، ثم توالى بعده كثير من الشراح على هذا.

وبناءً على هذا المضمون لشروح «البديعيات» وتلك الطريقة التي استخدموها في شروحهم، يمكن تصنيف شراح «البديعيات» ضمن أتباع المدرسة الأدبية البلاغية في تاريخ التأليف البلاغي عند العرب، وبذلك ينطبق عليهم قول أحمد مطلوب: «وأكثر رجال المدرسة الأدبية إكثاراً مسرفاً من الشواهد والأمثلة الأدبية نثراً وشعراً، وكانوا، غالباً، ما يذكرون القاعدة بسطر أو سطرين، ويأتون بأمثلة تتجاوز الصفحات. ولم تكن أمثلتهم مقصورة على الجملة أو بيت الشعر، وإنما تعدتها إلى القطعة الشعرية، وإلى الرسالة الأدبية، ويتضح هذا في جميع كتب [هذه] المدرسة»^(٢).

بيد أنه يلاحظ أن شروح هذه البديعيات، بالإضافة إلى كونها غير متساوية في القيمة والمكانة في المضمون، قد خلت، أو كادت، من السيرة النبوية مع أن قصائدها «البديعيات» قد نظمت في مدح صاحبها (ﷺ)، ولعل ذلك يعود إلى الغاية المرجوة من تلك الشروح التي تمثلت في عرض الشراح لبضاعتهم ونشرها في أسواق الأدب؛ كما خلت تلك الشروح من شرح معنى بيت البديعية، وقل من شد عن هذه القاعدة، مثل أبي جعفر الرعيني الإلبيري، في شرحه لبديعية ابن جابر المسمى بـ

(٢) دراسات بلاغية ونقدية ص ٢١.

(١) انظر أنوار الربيع ٣/ ١٨١-١٩٧.

«طراز الحلة وشفاء الغلة» إذ خَصَّص لكلِّ بيت منها فقرة يبدأها بشرح المعنى الذي ينضوي عليه البيت، وهذا ما حمله على الحديث بين الفينة والأخرى عن السيرة النبوية^(١).

ب- أثرها في النقد:

إذا كانت «البديعيات» قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالأدب، إضافةً إلى كونها فتاً شعرياً متميّزاً، فإن ارتباطها بالنقد كان أوثق، نظراً لتلازم النقد والأدب، إذ لا نقد دون أدب، ولا أدب دون نقد، ونظراً لتناولها أحد أسس النقد الأدبي وهو فنّ البديع. ولعلّ كثرة المواقف التي كانت معها أو ضدّها هي التي جعلتها تعيش نحواً من سبعة قرون من حياة التراث الأدبيّ، ويتوارد كبار الأدباء والشعراء على مواردها ومناهلها. لذا، لا بدّ من تبيان أثر «البديعيات» وما دار حولها من شروح في الحركة النقدية في زمنها، إذ كان في «البديعيات» وشروحها مادّة خصبة متنوّعة تغذي تلك الحركة النقدية القويّة التي انطلقت منها.

١- الحركة النقدية حول البديعيات:

وتتمثل هذه الحركة النقدية في مجموع مواقف الناس، على اختلاف طبقاتهم، من البديعيات، وما أُلّف من كتب في هذه المواقف النقدية.

أ- موقف الخاصّة:

لقد شاعت البديعيات بين الناس وانتشرت بين الشعراء، ولاقت من الإقبال عليها والتقبّل لها ما لم يجده فنّ شعريّ سواها، ولعلّ ذلك كان نتيجةً لما تتضمّنه من نفعات دينية، اكتست بزخارف العصر وألوانه وزركشاته. وما يؤكّد ذلك أمران:

أحدهما: أنّ الشاعر كان إذا بلغ من الشهرة غايتها ومن المقدرّة الشعرية والثريّة أوجها، عمد إلى نظم بديعية، وكأنّه يدلّل بذلك على تمام شاعريّته واكتمال شهرته. وهذا ما يفسّر كون معظم شعراء «البديعيات» أعلاماً بارزين في ميدان الأدب يشهد لهم بذلك عصرهم ونتاجهم، مثل صفّي الدين الحلّي، وابن جابر، وابن حجّة...
وثانيهما: أن كثيراً من أولي الأمر وأرباب المناصب، كانوا يطلبون من الشعراء

(١) انظر البديعيات في الأدب العربي ص ٢١٢-٢١٣.

أن ينظموا «البديعيات»، ولعلّ هذا الطلب كان ابتغاء التقرب من جمهور الناس، والظهور أمامهم بمظهر التقى في عصرٍ كان يستهوي الناس مثل هذا المظهر ويخفف من سخطهم على أفراد الطبقة الحاكمة. وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على أنّ للمقياس الديني أثراً في الفكر السائد آنذاك، وهذا ما يجعله يرتبط بشكل أو بآخر بمفاهيم النقد ومقاييسه في ذلك العصر. وإفاً نظر بعضنا اليوم إلى أن البديعيات «منذ أن ولدت إلى أن قضت، صناعة من العشب، أضعفت من الشعر، وهذت من قوّته، وأزرت من مكانته، وأوردته موارد التكلّف والتعمّل الثقيل»^(١)، فذلك لأنّ مفاهيمنا النقدية اليوم غير مفاهيمهم، وإن كانت امتداداً لموروث ثقافيّ وبيئيّ واحد.

لذلك يرى علي أبو زيد في كتابه أن «البديعيات» قد وافقت بيئتها من جهتين على الأقلّ:

أولاهما: الحسنّ الدينيّ الذي كان يسيطر على جميع طبقات الشعب.

ثانيتها: الذوق العام المائل إلى الزخرفة والتنميق في كلّ شيء، وهذا ما جعل البديعيات وما أتت به من أنواع بديعية تتطابق مع الملامح الفنيّة السائدة في ذلك العصر.

وليس غريباً بعد هذا أن يطلب السلطان أو الحاكم من أحد الشعراء أن ينظم بديعية، وهذا ما جرى مع الشاعر ابن المقرئ عندما طلب منه الملك الناصر نظم بديعية ليتقرب بهذا الطلب من الناس^(٢)، ومع غيره من الشعراء، مثل ابن حجة، إذ نظم بديعيته استجابة لرغبة صاحب ديوان الإنشاء محمد بن البارزيّ الذي أعانه عليها ورافقه في نظمها حتى النهاية^(٣).

ويقابل هذا الموقف موقف الشعراء أنفسهم الذين بلغت «البديعيات» عندهم مكانة مرموقة جعلتهم يعتبرونها مثلاً عالياً ويحملونها هدايا نفيسة يتقربون بها من أولي الأمر في أحوال مختلفة.

فمحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهامليّ مثلاً، رأى في بديعية

(١) الصبغ البديعي ص ٣٧٢.

(٢) البديعيات في الأدب العربي ص ٢١٩-٢٢٠.

(٣) انظر خطبة المؤلف في خزانة الأدب ١/٣٠٣ - ٣٠٦.

ينظمها في مدح شيخه خير سبيل للتقرب إليه وإظهار الإخلاص له والزلفى بين يديه، فنظمها، مغايراً في مضمونها، جاعلاً هذا المضمون خالصاً في مدح شيخه^(١).

إذاً، لم تبق «البديعيات» مجرد فن شعري معهود، بل خرجت إلى دائرة النقد، وما ذاك القبول والإقبال عليها من قبل الخاصة والعامة إلا موقف له دلالة النقدية الواضحة.

٢- موقف العامة:

يتضح من خلال موقف الخاصة من البديعيات، أنه لولا حب العامة لهذا الفن وتعلقهم به لما تقرب أولو الأمر به إليهم، ولولا ذلك أيضاً لما أقدم كبار الشعراء، آنذاك، على نظمها، ولما جعلوها غاية وذروة لا يستطيع بلوغها إلا المقتدر، ولما استطاع هذا الفن الطريف أن يعيش سحابة سبعة قرون من عمر تراث هذه الأمة، وأن ينتشر في معظم أصقاعها.

وربما كان للاتجاه الديني الذي رافق هذا الفن من أثر بالغ في قبول الناس للبديعيات، إذ صادف هذا الفن هذه النزعة الدينية المسيطرة على نفوس الناس في عصرهم بحاجة ماسة فيه إلى بعث جديد للأمة بعد أن سيطر عليها من لا يستحق قيادتها، فعاث فيها فساداً، وقد وجد الناس في البديعيات، كونها مدائح نبوية، ملاذاً يرجون به الخلاص، إلى جانب ما وجدوا فيها من غرض تعليمي جديد، فلاقت منهم آذاناً مُصغية وقلوباً واعية.

يتضح مما سبق أن فن «البديعيات» لم يكن مقتصرًا على خاصة الناس والشعراء، بل كان فنّ الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم، ففهمه خاصتهم، وترنم به عامتهم، وهذا يدلّ دلالة واضحة على الحركة النقدية التي كانت تدور حول هذا الفنّ.

٣- كتب ومؤلفات في نقد البديعيات:

لم تقتصر الحركة النقدية على الموقف التدوقي المتمثل في قبول هذا الفنّ والإقبال عليه، بل تعدّته إلى مرحلة التأليف في نقد هذا الفنّ، فظهرت كتب ومؤلفات هي، على قلتها، ظاهرة وأثر من الآثار النقدية لهذا الفنّ. من هذه الكتب: «الحجة في سرقات ابن حجة» للنواجي؛ و«الحجة على من زاد على ابن حجة في علم البديع» لعثمان بك الجليلي؛ و«إقامة الحجة على التقيّ ابن حجة» لأبي بكر بن

(١) هدية العارفين ٣٩٩/٢؛ والبديعيات في الأدب العربي ص ٢٢٢.

عبد الرحمن العلوي؛ و«سركات ابن حجة» لمجهول^(١)، ولعل هذا الكتاب هو نفسه كتاب النواجي، وذلك لتطابق معنى العنوانين.

ولعل النواجي، تلميذ ابن حجة، قد تطرق في كتابه هذا إلى بديعية ابن حجة لما عُرف عنه من انقلاب عليه وبغض له، فيكون للبديعيات أثر فيه.

أما الكتاب الثاني «الحجة على من زاد على ابن حجة في علم البديع» لعثمان بك الجليلي الموصلي، فإن صاحبه يحدثنا في مقدمته عن غايته فيقول: «وكنْتُ قد طالعتُ فيما تدون فيه [أي في البديع] بديعية الأديب النبيه تقي الدين بن حجة الحموي، رحمه الله تعالى، فإنه وإن أكثر الشواهد فيها والتعريفات إلا أنه، كما قيل، كم ترك الأوّل للآخر، فإنه متقدّم على من جاء بعده من الأدباء، وقد جاءت بعده عصابة كالجلال السيوطي العالم الفاضل ومن تبعه ممن بعده، واخترعوا فيه أنواعاً، ثم جاء الحميدي فخرج عن الجادة المقبولة لقبوله الأنواع البخسة إلى زمان شيخنا... محمد أمين الدين العمري بن خير الله الخطيب والشيخ محمد الغلامي، رحمهما الله تعالى برحمته... فلم تزل تتزايد هذه الأنواع من أول الأمر إلى أن خُبط فيها خُبط عشواء؛ فعن لي أن أستخلص منها ما زاد على بديعية التقي من الصحيح المقبول وترك الضعيف المعلول، وبحسب عقلي القاصر ألحقهم ببديعية ابن حجة علماً بأنه لو رآهم من كان له ذوق من جهة الأدب لاستحسن ذلك مني وأخذه عتي»^(٢).

فقد حدّد الجليلي هنا غايته ودوافعها المتمثلة في البحث عن الجديد من أنواع البديع التي زادت على بديعية ابن حجة، ومحاولة غربلتها لتمييز الجيد من السيء، ومن ثمّ البحث عنها في بديعية ابن حجة أو إلحاقها بها، ثم قال: «فالنوع الذي رأينا له شاهداً من أبياتهم حرّرناه، والذي لم نر له شاهداً نظمنا له بيتاً مستقلاً»^(٣).

ثم يستعرض الجليلي مجموعة من الأنواع التي زادت بعد ابن حجة ولا سيما في بديعيات السيوطي والحميدي والعمري والآثاري، أو من مخترعات عصره، ومخترعاته هو أحياناً؛ كان يعتمد في عمله هذا على نقد الأنواع المزادة أحياناً، وعلى

(١) انظر البديعيات في الأدب العربي ص (٢) الحجة على من زاد على ابن حجة ص ١٤.

(٢) الحجة على من زاد على ابن حجة ص ١٥.

البحث والكشف والتوضيح والتعريف أحياناً أخرى^(١). ولعلّ عثمان الجليلي أراد أن تكون طريقته النقدية هذه دفاعاً عن بديعية ابن حجة الحموي، وتقديماً له حتى على المتأخرين، معتمداً في نقد بديعته على سواها من البديعيات ليعود بنقده إليها.

وهناك كتاب آخر يبدو أنه قد أُلّف ردّاً على كتاب الجليلي، وهو «إقامة الحجّة على التقيّ ابن حجة» لأبي بكر بن عبد الرحمن العلوي، وقد تجاوز به صاحبه العمل النقديّ المتمثّل في قبول العمل أو رده دون تحليل، وبذلك تجاوز مرحلة النقد الذوقيّ.

ولقد عمد أبو بكر بن عبد الرحمن العلويّ إلى بديعية ابن حجة الحموي وبدأ بتحليلها ونقدها معتمداً على نهج علميّ وضعه لنفسه لإظهار ما في هذه البديعية من خلل وضعف وسرقة، وفي الوقت نفسه كان يعترف لابن حجة بكلّ حسن أتى به من خلالها، ولم يبخسه حقّه، وطالما أكبر بديعته وعدّها من مناقبه، ومما لم يستطع أحد مجاراته بها. وقد اتّبع طريقة واضحة في نقده لبديعية ابن حجة، فيذكر بيت البديعية أولاً، ويبدأ بتحليله ونقده، من حيث السرقة أو الركاكة والغوص في مضمون البيت. ولو رجعنا إلى محاكمته بيت ابن حجة في «الجناس الملقّق» ورضاه عن بيته في «الاكتفاء»^(٢) لوجدناه يسلك طريقاً نقدية هي أشبه بطرق النقد الموضوعيّ الحديثة، وما يدلّ على موضوعيته هذه في نقده أنّه كثيراً ما كان يقف أمام بيت من أبيات البديعية عاجزاً عن فهمه فيتركه ويكلّ أمره إلى غيره دونما حكم صريح، فيقول مثلاً في شرح شطر من بيت «الجمع»: «حاولت أن أفهم معنى عجز هذا البيت فلم أوفق له»^(٣).

وبهذا يكون كتاب أبي بكر العلويّ استجابة للحركة النقدية التي دارت حول البديعيات في عصره، وقد أثار بدوره طريقها بومضات نقدية فاحصة من خلال بديعية هي من أهمّ بديعيات هذا الفنّ، وقد يستطرد أحياناً إلى بديعيات أخرى سبقت ابن حجة أو جاءت بعده عندما تدعو الحاجة لذلك.

٢- الحركة النقدية في شروح البديعيات:

لم يقتصر أثر البديعيات في الحركة النقدية على ما دار حولها من آراء ومواقف وقضايا، بل كان لها دور آخر من خلال شروحيها التي نستشّف في ثناياها ملامح

(١) وانظر المصدر السابق ص ٢٤-٢٧، ٦٧. (٣) إقامة الحجّة ص ٤٨.

(٢) انظر إقامة الحجّة ص ٦، ٢٥.

نقدية تمثلت في الأمور التالية:

١- الملامح النقدية في البناء العام للشروح:

من خلال ما سبق من الكلام على مضمون الشروح، يبدو أن هذه الشروح كانت تعتمد على الفنون البديعية بادئ الأمر لتنتقل منها إلى جمع أجمل وأطرف شواهد الشعر والنثر، وأكثرها دوراناً على الألسنة ومناسبة للاستشهاد بها، مع التعرّيج أحياناً على المستقبح المرذول من الشواهد. وكانت عملية جمع هذه الشواهد وانتقائها من رياض الشعر والنثر خاضعة لعملية نقدية هامة، فالشواهد كثيرة والشارح أمامها مختار بارع، يختار منها ما يروق له ويجد فيه بغيته مما يناسب كلامه، سواءً من حيث جودة الشاهد وجماله وإصابة صاحبه، أو من حيث رداءته وسماجته وكبوة صاحبه به، ثم لا يكتفي بعرض ذلك على القارئ بل يقرنه بعبارات متنوعة تدلّ على قيمة هذا الشاهد، إذ كثيراً ما يتردّد على ألسنة هؤلاء الشّراح مثل هذه العبارات: «ومن محاسن هذا الفنّ»، و«وهذا أحسن ما سمعت»، و«ومن براعاته»، و«ومما يستقبح»، و«ومما يؤخذ عليه»... إلى غير ذلك من هذه العبارات الحكمية النقدية. ومثل هذه العبارات كثير في شرح بديعية ابن حجّة الحمويّ وفي غيرها من الشروح^(١)، التي يلاحظ فيها أنّ هؤلاء الشّراح كانوا يخرجون بين الحين والآخر عن طريقة التذوق المحض والحكم بالجمال والحسن أو القبح والردّ دون توضيح سبب ذلك، إلى تعليل هذا الحكم وإظهار دوافعه وتبيان مواطن الجودة والضعف فيه، وفي ذلك ما يدلّ على لمحات نقدية قد ترتقي أحياناً لتصل إلى مرتبة النقد المنهجيّ الموضوعي، وقد تنحطّ أحياناً أخرى لتعود إلى البدايات الأولى للنقد المتمثّلة في عبارات «ما أحسن»... و«ما أقبح»... و«ما أجمل»... دون أيّ تعليل. لذا كانت كلّ هذه اللّمحات النقدية تزين شروح «البديعيات» ولا سيّما المتسع منها، لتغنيها وتلوّنّها، ولتقف من خلالها على فنّ من فنون التأليف الأدبيّ في ذاك العصر حيث امتزجت فيه فنون الأدب: شعراً ونثراً ونقداً.

٢- الملامح النقدية في عمل الشّراح:

ظهرت في شروح البديعيات ظاهرة «التبّع»، وهي ظاهرة ليست غريبة عن الفكر

(١) انظر البديعيات في الأدب العربي ص ٢٣٣-٢٣٤.

التأليفيّ في التراث العربي الإسلاميّ عامة، ولا سيّما في عصر نشوء «البديعيّات» وازدهارها. فكثيراً ما نصادف، في أيّ كتاب من التراث العربي الإسلاميّ وخاصةً في شروح البديعيات، موقفاً للكاتب أو الشارح، يتعرّض من خلاله لمؤلف عاصره، أو سبقه، فيتحقّبه في قضية ما، ويتتبّع أخطائه فيها، فيردّ رأيه، أو يخطئه فيه، أو يحدّد منه، أو يوافقّه ويزيد عليه؛ وكثيراً ما نجد ذلك عند من كان على شيء من الزهو والاعتداد بالنفس والحدّة في الموقف، أمثال ابن حجّة الحمويّ، وابن معصوم المدنيّ، والشيخ عبد الغني النابلسيّ.

فابن حجّة الحمويّ قد صرّح منذ البداية في خطبة شرحه لبديعيته أنه إنّما نظم بديعيته وأمامه بديعية الصفيّ وبديعية الموصليّ وبديعية ابن جابر، وهو ينظر إليها نظرة الناقد المتفحص، الباحث عن خبايا جمالها ومواطن ضعفها، ليستطيع بذلك أن يتدارك نقصاً سبق، وأن يبرز غيره بجمال وفضل إجادة، فينطلق يسابق هؤلاء مخلفاً وراءه كلّ من سبقوه إلى هذا الفنّ، وقد أعانه على ذلك صديقه الأديب المعروف محمد بن البارزّي الذي حتّه على نظم بديعيته. ومن هنا جاء تتبّعه لهؤلاء الشعراء في بديعياتهم ومقارنة عمله بأعمالهم مستعيناً بمشورة صديقه إذ قال: «فاستخار الله مولانا الناصري... ورسم لي بنظم قصيدة أطرز حلتها بديع هذا الالتزام، وأجاري الحليّ برقة السحر الحلال، الذي ينفث في عقد الأفلام، فصرت أشيّد البيت فيرسم لي بهدمه... ويقول: بيت الصفيّ أصفى مورداً، وأنور اقتباساً، فأسنّ كلّ ما حدّه الفكر، وأراجع بيت له على المناظرة طاقة، فيحكم لي بالسبق وينقلني إلى غيره، وقد صار لي فكرة إلى الغايات سبّاقة، فجاءت بديعيّة هدمتُ بها ما نحتّه الموصليّ في بيوته من الجبال، وجاريت الصفيّ مقيداً بتسمية النوع، وهو من ذلك محلّول العقل»^(١).

وما يلاحظ من هذا القول أنّ هناك عمليّن اثنين كانا يرافقان نظم كلّ بيت من أبيات البديعية، أولهما: تتبّع ابن حجّة لمن سبقه وإعمال نفسه في التفوق عليه؛ وثانيهما: الموقف النقديّ المتمثّل في عمل ابن حجّة أولاً، وفي حكم المعروض عليه (ابن البارزّي) ثانياً، إذ كان يشير عليه بالقبول أو بالإعادة بعد مقارنته بأبيات

(١) خزّانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٠٥.

الحلبي والموصلي. ومن ينظر في شرح ابن حجة منذ المطلع يجد ابن حجة لم يترك هنة من هنوات الصفي والموصلي إلا شهّر به وأعلنه وتجاوزته إلى ما هو أحسن، مزهواً بمقدرته وإجاداته وتفوقه في كل كلمة من كلمات بديعته، وحتى في شعره ونثره الذي لا يمت إلى «البديعات» بصلة. وإنك لتجد ذلك في كل باب من أبواب شرح بديعته.

هذا المنهج الذي اعتمده ابن حجة في تتبعه من سبقه مع الزهو الذي تميّز به لم يرق لكثير من المؤلفين والنقاد، فوقفوا له بالمرصاد، وسلّوا سيوف النقد عليه وعلى إنتاجه، يغربلونه وينخلونه باحثين فيه عن كل هنة، ومن هؤلاء الشيخ عبد الغني النابلسي، وهو من أكثر الناس اعتراضاً وأشدّهم غضباً على ابن حجة، إذ لم يقدر أن يخفي ازدراءه وانتقاده في «نفحاته» لابن حجة، إذ قال: «ثمّ شرح قصيدته شرحاً أخذ فيه بأذيال الإطالة، وألبسه حلال السامة والملاحة،... وتشدّق في عباراته، وأفحش في إشاراته، مع ما في أبيات قصيدته من الركة والقلاقة، واختلاس كلمات غيره بحسب ما عنده من الفاقة»^(١). وبدأ النابلسي بعد ذلك يتتبع ابن حجة لا في بديعته وحسب، بل في انتقادات ابن حجة لغيره ولسابقه من ناظمي «البديعات»، ينقّب عن سرقاته، ويتقصّى هنواته وعثراته ومجانبته للصبواب، فوجد عدم تعرّض ابن حجة لمطلع الموصلي، يعود إلى أنه قد سرقه منه، وهذا ما دفعه منذ البداية إلى أن ينال منه، فقال: «وقد دخل هذا البيت فكر ابن حجة... فسرق من مصراع الباب...»^(٢). ولم يكتب النابلسي بتتبع ابن حجة، بل تعدّاه إلى كل من ذكر له بديعية في شرحه، فتتبع بديعاتهم وعلّق عليها وانتقدها، مظهرًا محاسنها أحياناً ومساوئها أحياناً أخرى.

ولم يكن ابن معصوم المدني بأقل من عبد الغني النابلسي تطلّعاً إلى التقدم والسبق والتفوق، فإذا كانت بديعية ابن حجة عند الأغلبية من أجود «البديعات» فإن ابن معصوم نظم بديعته «التي فاقت بديعية ابن حجة فلو أدركها لما قامت له معها على تزكية نفسه حجة»^(٣)، ففي أثناء نظمه وشرحه لبديعته تظهر فكرة المقارنة بين

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع ١/٢٨.

(١) نفحات الأزهار ص ٣.

(٢) نفحات الأزهار ص ١٢.

بديعته وما سبقها من البديعيات كبديعية الصفي، وبديعية ابن جابر، وبديعية الموصلي، وبديعية ابن حجة وغيرهم، ليؤكد للناظر أن لا فضل للسابق على اللاحق إلا بما يستحق. وترى ظاهرة التتبع عنده منذ بداية الشرح حتى نهايته^(١).

وهؤلاء الثلاثة «ابن حجة، والنبلسي، وابن معصوم» كانوا أكثر تعصباً لما عندهم، وأشدّ هجوماً على غيرهم، وبحثاً عن عثرات من سبقهم واقتناصاً لكبواتهم، والشهير بهناتهم إلى درجة التفريط.

ويلي هذه الطبقة من المتتبعين المتعصبين طبقة أخرى أكثر موضوعية ومرونة وأقلّ تحاملاً من الطبقة الأولى، من ممثليها: قاسم البكرجي، وأبو الوفاء العرضي^(٢)، إذ تتبّع الأول منهما في شرحه عبد الغنيّ النبلسي في تعقبه لابن حجة في بديعته وشرحها، كما تتبّع غيره أيضاً من أصحاب البديعيات، في حين اكتفى الثاني بالنقد الرزين ومحاولات الاعتذار عن زلات الآخرين، والتغاضي عنها، مشيراً بهدوء إلى موطن الضعف عند من يتجرأ على تخطيء الناس ونسيان نفسه.

إذاً، إن الملامح النقدية المستقاة من البناء العام لتلك الشروح وغيرها، ومن ظاهرة التتبع في عمل الشراح تشكل صورة عن الحركة النقدية التي تراءى لنا من خلالها، لعلها من أهم صور النقد الأدبي في مرحلة ممتدة على مدى سبعة قرون من مراحل التراث العربي.

٣- ملامح نقدية عامة:

لم تقتصر الحركة النقدية على الملامح المستقاة من خلال بناء الشروح العام، وتتبع الشراح فيها لبعضهم، بل كانت تمرّ لمحات نقدية عامة تلون شروح «البديعيات» بها وتوضح شيئاً من معالم النقد العامة وأسس وطرقه في ذلك العصر. فهناك تتبّع للسرقات الشعرية، خارج نطاق «البديعيات»، إذ كثيراً ما كان الشراح يшиرون إليها ويفضحون أمر مرتكبها، مبرهنين بذلك على سعة اطلاعهم وتنوع معرفتهم، وقدرتهم على النقد والتتبع والتمحيص. وهذا ما نجده مثلاً عند ابن حجة الحموي في خزانته ولا سيما أثناء كلامه على سرقات جمال الدين بن نباتة المصري

(١) انظر أنوار البديع في أنواع البديع ٢٩/١، ٩١، ٩٣-٩٥.

(٢) انظر في تفصيل ذلك البديعيات في الأدب العربي ص ٢٤١-٢٤٤.

من علاء الدين الوداعي، فيورد مجموعة من الأبيات التي أخذها ابن نباتة منه^(١). وهناك لمحات نقدية ومواقف صريحة من أنواع البديع نفسها، إذ كثيراً ما كان الشراخ يصرحون بجودة نوع ما واستحسانهم له وإعجابهم به، أو إلى أنهم ما نظموه إلا سيراً على عادة الغير أو من أجل المعارضة، وحرصاً على جمع أنواع البديع، لسماجة هذا النوع أو بعده عن الذوق، وفي هذا ما يدل على لمحات نقدية واضحة. ولاين حجة مواقف متميزة في هذا الأمر، إذ استحسنت عدداً من الأنواع واستهجن أخرى، مما استهجنه نوع «المراجعة» إذ قال: «ليس تحتها كبير أمر، ولو فوض إليّ حكم في البديع ما نظمتها في أسلاك أنواعه»^(٢). وأمثلة هذا متوفرة في ثنايا الشروح، وقد اجتزأت عنها ببعضها للتمثيل على هذه الظاهرة من اللمحات النقدية المتنوعة، التي إن ضُمت إلى غيرها من الظواهر النقدية فإنها تساعد على توضيح ذلك الجانب النقدي الذي كان أثراً من آثار «البديعيات» ونتيجة طبيعية لها. وهذا كله يدل على أن هذا الفن الشعري لم يقتصر على نظم القصائد وتضمينها الفنون البديعية، كما أنّ شروحه لم تكتف بتعريف تلك الفنون وشرح أبياتها، بل كان لذلك كله أثر في نشأة حركة نقدية واضحة المعالم، تمثلت في شروح «البديعيات» شكلاً ومضموناً وفي ما انبثق حولها من كتب ومؤلفات.

ج- أثرها في البلاغة:

لاشك في أنّ لهذا الفن الطريف أثراً في البلاغة، وهو أحد فنونها، إذ انبثق بادئ الأمر من فكرة بلاغية بحتة، تبلورت مع الزمن، وشاءت عوامل عديدة أن تلبسها ثوب الشعر المطرز بالمدح النبوي وألوان البديع، فتطوّرت واستمرّت على مدى سبعة قرون، كان له خلالها أثر كبير في حياة البلاغة العربية عامّة، وعلم البديع بشكل خاص، حتى باتت العلاقة وثيقة بينهما، لدرجة أنّ كلّاً منهما تأثر بالآخر وتطوّرت بتطوره.

أما ما تركته البديعيات من أثر في البلاغة العربية وما خلفته من معالم في حياة هذا الفن، فيتمثّل في الأمور التالية^(٣):

(١) انظر خزانة الأدب ١/٣٥٣، ٢/٣٥٥ - (٣) انظر البديعيات في الأدب العربي ص ٣٦٣، ٣/٣١١.

(٢) انظر خزانة الأدب، باب المراجعة ٢/١٩٧. (٤) التلخيص ص ٣٤٧.

- تعميم البلاغة ونشرها بين الناس .
 - ترسيخ أسس «البديع» وتأكيد انفصاله عن علمي «البيان» و«المعاني» .
 - العودة بالبديع إلى أحضان المدرسة الأدبية .
 - استنباط أنواع بديعية جديدة .
- ١- تعميم البلاغة ونشرها بين جمهور الناس :

كان إكثار الشعراء، منذ مطلع العصر العباسي، من المحسنات البديعية قد أثار ضجة حول فاعليها، فانقسم الناس إثر ذلك بين رافض مستقبح، ومؤيد مستملح، مما حمل بعض الأدباء، كابن المعتز، على التأليف في البديع، محتجاً له بشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم. ثم استمر التأليف في البلاغة العربية منذ ذلك الوقت إلى زمن صفي الدين الحلبي، إلا أن كل ذلك لم يجعل من البلاغة فتناً يقبل عليه جمهور الناس كل الإقبال، بل بقيت البلاغة في برجها العاجي، يقتربون منها أحياناً وينفرون منها أحياناً أخرى بحسب ما تمليه عليهم أذواقهم وظروفهم. ولكن هذا لا يعني أن البلاغة بفنونها كانت غريبة عن الناس، بل إن قواعدها والإكثار من استخدامها بتكلف جعل العرب يمجونها، حالهم في ذلك حالهم مع النحو وقواعده، فكما ألفوا الفصاحة وسلامة النطق بالفطرة والسليقة ونبذوا قواعدها وقوالها الإلزامية، فكذلك ألفوا البلاغة، ولعلها كانت أبين من النحو وأوضح. ولهذا لم يستطع البلاغيون، حتى زمن البديعيات، أن يجعلوا من البلاغة فتناً شعيباً، إنما هيأوا لذلك من خلال الكتب المؤلفة في البلاغة والبديع، منذ «بيان» الجاحظ إلى «بديعية» الحلبي.

وعندما جاءت البديعيات بهذا القالب الشعري، ذي المضمون الديني، المحمّل بأنواع البديع، طرحت نفسها في سوق الأدب تتطلع إلى مشاعر الناس وعقولهم، وكان امتحانها الأول والعسير، إذ كيف سيواجه الناس قصيدةً طويلةً في كل بيت من أبياتها صورة بديعية على الأقل، وهم الذين استكثروا بضع صورٍ بديعية في قصيدةٍ ما.

ويبدو أن الفتح الجديد للبلاغة العربية عامة وللبديع خاصة قد تحقق منذ ظهور «بردة» البوصيري التي طارت في الآفاق وأحبها الناس وحفظوها وغتوها، ومنذ معارضة الحلبي لهذه «البردة» ببديعته التي نهج فيها نهج البوصيري بالتزامه المديح

النبيّ المسيطر على الأدب آنذاك، إذ إنّ هُذين العاملين فتحا القلوب للبديعيّات كونها مديحاً نبويّاً، ولفنون البديع بشكل خاصّ، وعلوم البلاغة بشكل عامّ.

وبهذه المحبّة البالغة تلقّى الناس «البديعيات» بقبول حسن، واحتضنوها ورحّبوا بها، فتسابق الشعراء إلى نظمها وقد رأوا فيها الغاية المثلى التي يشدّون، والهدية الرائعة التي يتقدّمون بها إلى أولي الأمر، كما أقبل الشّراح على مواردّها، وما ذاك الحشد من «البديعيات» وذلك الجمع من «الشروح» الذي تلقّاه الناس متتاليّاً عبر سبعة قرون من عمر هذا التراث إلّا دليل على تقبّل جمهور الناس لهذا الفنّ، وإقبالهم عليه، ورضاهم عن فاعليه الذين حرصوا كلّ الحرص على امتلاك قلوب الناس وتحريك عواطفهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. كما أنّ حصّاً أولي الأمر على نظم هذا الفنّ وحرصهم عليه، تقرباً وزلفى لدى الناس، للدليل واضح على مكانة هذا الفنّ في نفوس الناس وتأثيره فيهم.

وهكذا غدت «البديعيات» قصائد شعبيّة، وغدت البلاغة معها فناً شعبيّاً، لما حملته في ثناياها من فنون البديع بعد أن كانت علماً متربّعاً في برج عاجي لا يدركه إلّا خواصّ المثقّفين، ثمّ صار للبديعيات أثر متتابع مطّرد لدى الناس على تقبّل كلّ جديد من هذا الفنّ لما تحمله من صلات وروابط بقلوب الجماهير، ولعلّ في ذلك إشارة إلى سيطرة طابع الصنعة البديعية على الحياة الأدبية لما انطبع في الذوق العام من صنعة وزخرفة، جعلته يتقبّل هذه الصنعة المتمثّلة في هذا الفنّ، ومن هنا تبدو علاقة التأثير والتأثر متبادلة بفضل تلك «البديعيات»، فالتقى الناس مع البلاغة، والبديع خاصة، والشعراء مع الناس، في موكب «البديعيات».

٢- ترسيخ أسس البديع وتأكيد انفصاله عن علمي «البيان» و«المعاني»:

سبق في الفصل الأوّل من هذه الدراسة أن تكلمت على نشأة البلاغة العربية واتّحاد أقسامها (البيان والمعاني والبديع) وانقسامها.

فقد كانت «البلاغة» ترادف «الأدب» ثمّ تحوّلت منذ «بيان» الجاحظ إلى جملة من المقاييس الفنيّة يُحكّم من خلالها على جودة النصّ أو رداءته، إلى أن أصبحت تعني العلوم الثلاثة المعروفة في مرحلة من مراحل تطوّر البلاغة العربيّة.

لقد بدأت هذه «البلاغة» بعلومها الثلاثة متّحدة منذ «بديع» ابن المعتزّ حتى جاء

«مفتاح» السكاكي ليفتح باب البلاغة على مصراعين: علم المعاني وعلم البيان، إلا أنه عدّ أنواع البديع وجوهاً يصار إليها لتحسين الكلام وقسمها إلى محسنات لفظية وأخرى معنوية، ثم جاء القزويني بـ «تلخيصه» ليجعل من «البديع» قسماً لعلمي «البيان» و«المعاني»، يزاكما في مجالات الأدب، وعرفه بقوله: «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة»^(١)، وجمع من أنواع هذه الفنون سبعة وثلاثين نوعاً.

إذاً في القرن السابع الهجري تمّ انفصال هذا الفن «البديع» واستقلاله عن علمي «المعاني» و«البيان»، وهذا يعني أن ظهور أول بديعية إلى الوجود على يد الحلبي واكبت هذا الانفصال، أو لنقل: إنّ هذا الانفصال كان حديث العهد أثناء ولادة «البديعيات».

ومن هنا كان ظهور البديعيات، واشتمالها على فنون البديع عامة دليلاً مميّزاً وواضحاً في تأكيد انفصال هذا الفن عن علمي «البيان» و«المعاني»، وإشاعة هذا الانفصال بين الناس عن طريقها، رغم أنهم جعلوا ضمن أنواع البديع بعضاً مما يُعتبر اليوم من البيان، كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز.

وما أكد هذه الظاهرة الانفصالية لهذا الفن ترسيخ قواعده وتوضيح أنواعه وتحديدها من خلال الشروح التي قامت على «البديعيات» واقتصارها على فنون البديع المعروضة في ثنايا البديعية أو التي تلمح منها، كما أنّ الإشارة إلى حياة هذا الفن، منذ نشأته إلى زمن البديعيات، في مقدمات تلك الشروح، ساعدت على استقلال فنّ البديع بنفسه وتوضيح معالمه، وترسيخ أسسه، وتحديد فنونه، ونشر ذلك كلّ بين جمهور الناس؛ فكان ظهور البديعيات إذاً ومؤازرة تلك الشروح لها، وانتشارها السريع بين الناس أكبر مساعد على تأكيد تلك الظاهرة الانفصالية لهذا الفن.

٣- العودة بالبديع إلى المدرسة الأدبية:

عرفت البلاغة العربية في مناهج بحثها الأولى اتجاهين واضحين، رغم أنّ كتب البلاغة قد يأخذ بعضها من بعض وتتفق في المنهج إلى حدّ ما، فمن البلاغيين من سيطرت على كتبهم النزعة الأدبية، ومنهم من سيطرت على كتبهم النزعة الفلسفية

(١) انظر دراسات بلاغية ونقدية ص ١٣-١٤.

والعقلية، وكان نتيجة ذلك أن ظهرت مدرستان بلاغيتان هما: المدرسة الأدبية، والمدرسة الكلامية، أو كما يسميهما السيوطي: طريقة العرب والبلغاء، وطريقة العجم وأهل الفلسفة، وكان لكل من هاتين المدرستين خصائصها ومميزاتها ورجالها الأعلام^(١).

أما المدرسة الأدبية فلم تهتمّ بالتحديد والتقسيم للأنواع البديعية، كما أنها لم تعتمد على المنطق ومسائل الفلسفة، بل كانت تستعمل المقاييس الفنية في الحكم على الأدب مع سهولة العبارة وسلامة التركيب ووضوح الدلالة، والإكثار من الشواهد الشعرية والنثرية.

وعلى العكس منها كانت المدرسة الكلامية، إذ كان للفلسفة والمنطق أثر كبير فيها، وكان اعتمادها واهتمامها على التحديد الجامع والتقسيم المنطقي للأنواع البديعية، والإقلال من الشواهد، والاكتفاء بشواهد دالة. وإن كانت خالية من أية قيمة جمالية. وبين تنازع هذه المدرسة وتلك المدرسة ترعرعت البلاغة العربية وتوضّحت معالمها إلى أن جاء عصر «البديعات».

وكان ابن المعتزّ صاحب أول كتاب في «البديع» يعدّ من أصحاب المدرسة الأدبية وكبار مؤسسيها، وذلك بسلوكه طريقها في كتابه، ونهج بعض المؤلفين في البلاغة نهجه، إلا أنّ هذه المدرسة قد اضمحلّت أمام مزاحمة المدرسة الكلامية لها في بدايات القرن السادس الهجريّ، ولا سيّما بظهور «مفتاح» السكاكيّ الذي اعتمد في تأليفه على الأسلوب المنطقيّ والاستنباط العقليّ والتحديد الفلسفيّ، وبهذا كان السكاكي «أول الجناة المسرفين على علم البلاغة بإخضاعه للعلوم العقلية، فأضاع بهجته، وأخلق ديباجته»^(٢).

وفي غمرة هذا التنازع بين المدرستين وتجاذب البلاغة بينهما، ظهرت «البديعات» بثوبها الشعريّ الطريف، مزينة بشروحها، زاهية بمضمونها، متألّثة بين صفحات تلك الشروح التي قطفت من رياض الأدب أطيب ثمارها وأجمل أزهارها وأكثر منها لدرجة كادت معها تضيع معالم «البديعية» ويُسسى الغرض الذي تهدف إليه تلك الشروح، وهو توضيح الأنواع البديعية وتحديدتها.

(٢) انظر البديعات في الأدب العربي ص ٢٦٠.

(١) الصيغ البديعي ص ٢٥٣.

فالإكثار من الشواهد، منظومها ومثورها، والبحث عن كلّ ما يُستجد ويُستملح منها، والبحث عن مواطن الجمال فيها، إنّما هو من خصائص المدرسة الأدبية، مع تعريف النوع البديعيّ بأقصر عبارة وأوضح أسلوب، وبهذا تكون البديعيّات قد عادت بالبديع إلى رياض الأدب وأحضان المدرسة الأدبية، وخلّصته من قيود الفلسفة والمنطق والأحكام العقلية الجافة التي سيطرت على البلاغة منذ بداية القرن السادس الهجريّ إلى زمن ظهور البديعيّات وشرحها^(١).

٤- استنباط أنواع بديعية جديدة:

لقد فتح ابن المعتزّ في كتابه «البديع» باباً لاستخراج أنواع جديدة من البلاغة عامة واستنباطها على مرّ الأيام عندما قال: «ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها... ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختباراً من غير جهل بمحاسن الكلام... فمن أحبّ أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع، ولم يأت غير رأينا، فله اختياره»^(٢).

وبذلك بدأ العلماء يبحثون عن أنواع جديدة ويرصدونها ويجرون وراء استنباطها وتسجيلها والفوز بقصبات السبق في ذلك^(٣). ودأب أصحاب البديعيّات ذأب هؤلاء، وراحوا يبحثون عن أنواع جديدة يضيفونها إلى البديع، مع العلم أن فاتح باب البديعيّات، صفي الدين الحلبيّ، أحجم عن ذكر أيّ نوع جديد استنبطه في بديعيّته خوفاً من ألسنة الحاسدين، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «ثمّ أخليتها من الأنواع التي اخترعتها، واقتصرت على نظم الجملة التي جمعتها، لأسلم من شقاق جاهلٍ حاسدٍ أو عالمٍ معاندٍ، فمن شاقق راجعته إلى النقل، ومن وافق وكلّته إلى شاهد العقل»^(٤).

إلا أنّ من تابع الحلبيّ في صنيعه ذاك لم يلتزم بما التزم به في قوله هذا، بل لقد

(١) البديع ص ٥٨.

(٢) انظر أواخر الفصل الأوّل من هذه الدراسة: «نشأة علم البديع وتطوره حتى زمن ابن حجة الحموي»؛ وشرح الكافية البديعية ص ٥٢، ٥٣.

(٣) شرح الكافية البديعية ص ٥٥.

(٤) انظر البديعيّات في الأدب العربي ص ٢٦٣.

عدَّ معظمهم استخراج الأنواع أو استنباطها مشاعاً لكل واحدٍ، فتجرأ القويّ والضعيف على دخول غمرة هذا الميدان، وبدأ باستنباط ما يحسبه جديداً، أو اقتناص ما ظنّه طريداً شريداً، إلى درجة أن أصبح البديع يجمع بين الأنواع الغثّة والأنواع السمينة، لما أضافه هؤلاء إليه من أنواع.

ويقول علي أبو زيد في كتابه: «ولو عدنا إلى تلك الأنواع بالمقارنة والبحث، بدءاً بالصفّي الحليّ حتى آخر بديعيّة، لوجدنا هذا الجديد يندرج تحت زمرتين: أ- أنواع جديدة.

ب- أنواع تفرّعت عن أنواع معروفة»^(١).

ثمّ يشير في حاشية بحثه إلى أن البديعيات التي شملها البحث والمقارنة هي التي وقّف على نصّها الكامل مشروحة، أو غير مشروحة، أمّا البديعيات التي ذكرت في أثناء الشروح عرضاً فلم يدخلها في هذا المضمار لاحتمال أن يكون الشارح قد أسقط منها ما لم ينظم على مثاله. من هذه البديعيات التي شملها البحث والمقارنة: بديعية كلّ من: الحليّ، والموصليّ، وابن حجة، وابن المقرئ، والسيوطيّ، والباعونية، والحميدي، والعرضيّ، وابن معصوم، والنابلسيّ، وعماد الدين الخزرجيّ...^(٢). وقد توّصل من خلال البحث والمقارنة إلى تسجيل وتحديد أربعين نوعاً بديعياً جديداً من الأنواع المجزأة المتفرّعة عن أنواع معروفة، واثنين وتسعين نوعاً من الأنواع الجديدة المفردة^(٣)، بالإضافة إلى ما ذكره من تفرّعات ابن جابر، ومن جديد الآثاري في بديعيّاته الثلاث، إذ بلغت تفرّعاته في الجنس وحده حوالي سبعين نوعاً.

ويُتّضح من هذه المقارنة وهذا البحث أن شعراء البديعيات قد استكثروا من أنواع البديع، وراحوا يجمعون منها كل جديد وقديم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وهذا لا يعني أنّ ما جاء من الأنواع البديعية الجديدة في «البديعيات» كونه مخترعاً من قبل أول من أتى به، كما لا يعني العكس، إلّا أنه لا بدّ من الإشارة إلى أن بعض

(١) وقد بلغت سبعا وعشرين بديعية؛ بالإضافة إلى إفراده بالبحث بديعية ابن جابر وبديعيات الآثاري.

(٢) انظر ذلك بالتفصيل في البديعيات في الأدب العربي ص ٢٦٤-٣٠٣.

(٣) انظر البديع في ضوء أساليب القرآن ص ٢٠٥-٢٠٦.

«البديعيات» التي حملت في ثناياها أنواعاً بديعية جديدة، قد أخلت بأنواع بديعية معروفة، وهذا دليل واضح على شدة بحث هؤلاء عن الجديد دون غيره أحياناً. وإذا ما نظرنا إلى هذا الجديد الذي أتت به البديعيات نرى صورة أولية لحياة البديع وأنواعه خلال سبعة قرون من عمر التراث البلاغي والأدبي، كما نلمح صورة للمفهوم الذوقي والجمالي والبلاغي في ذلك العصر، بالإضافة إلى رسم صورة واضحة لمفهوم التقليد والمحافظة على القديم مع النزعة إلى التجديد عند جمهور الناس.

هذه هي «البديعيات» بأثرها وقيمتها، وإن كان البعض يرى أنها قد خلت من أية قيمة أدبية رغم استبدالها بالشعر العربي منذ أواسط القرن السابع الهجري إلى القرن الرابع عشر، فهي عند هؤلاء منذ أن ولدت، إلى أن قضت، صناعة من العبث، أضعفت من الشعر ولغته، وهذت من قوته، وأزرت من مكانته، وأوردته موارد التكلّف والتعمّل الثقيل، وهوت به إلى هاوية الإسفاف، وجرّده من روائعه وروعته. كما يرى البعض أنها ذهبت بالبديع مذاهب التشعيب فعاد عليه بالضعفة والهوان، إذ اعتبرت، وإن جهد العلماء في شرحها، باباً لوصول البديع إلى ما وصل إليه من فقدان جماله، بما نُسب له ممّا لا يصحّ أن يكون منه، فأكثروا منه إلى حدّ الإملال، وقد غرست في كثير من الأذهان أن أنواع البديع لا يقف عند حدّ، ومن هنا كُتِبَ عليها الإخفاق في ناحيتها الأدبية والعلمية، فلم تصل إلى غايتها ولم تُؤدِّ رسالتها^(١).

وفي الحقيقة أنّ البديعيات لم تكن شعر العصر كلّه، ولم يقتصر الشعراء عليها، ولم يسلك سبيلها إلا من ملك ناحية التأليف وزمام القوافي، وهم قليل، فإذا عدّت البديعيات، نجدها لا تبلغ المئة على مدى سبعة قرون كانت غزيرة الإنتاج من الناحية الشعرية، وهل يمكن أن نحكم على شعر سبعة قرون من خلال بضعة وتسعين قصيدة لحوالي ثمانين شاعراً، رغم أن نصوص أكثرها مفقود^{(٢)؟!}

ثم إن البديعيات - كما في رأي علي أبو زيد - جاءت بفنّ جديد في الشعر

(١) انظر البديعيات في الأدب العربي ص ٥٠.

(٢) البديعيات في الأدب العربي ص ٥١.

العربيّ، سما بالمنظومات التعليمية إلى مرتبة الغرض الشعريّ، كما سما بغرض المديح عن المآرب والغايات القريبة، بالإضافة إلى أنّها تملأ فراغ الشاعر وتشغله فيما لو وجد فراغاً، ولهذا لم تكن البديعيات سبباً في ضعف الشعر، بل كانت عاملاً على ارتقائه في الشكل والمضمون إلى حدّ كبير.

أما بالنسبة لعلم البديع فحسبه أنه اصطبغ بهذه القوائد بصفة التكريم والتعظيم، ونال من الاهتمام والتقدير ما لم تتلّه العلوم البلاغية الأخرى في مباحث المعاني والبيان. أضف إلى ذلك إنّ أقلّ ما يمكن أن توصف به البديعيات عند غير محبّيها، أنّها لون من ألوان الشعر التعليميّ، شأنها في ذلك شأن المتون العلمية المنظومة كألفيّة ابن مالك في النحو، والرّحبيّة في الفرائض، والشاطبيّة في القراءات، وغيرها... وحتى في هذا التقييم فإن البديعيات «متون» تعليميّة جمعت فنون البديع، وقدمتها سهلة سائغة إلى الناس جميعاً، فنقلت هذا العلم «البديع» من برجه العاجيّ الذي لا يقربه إلاّ المختصّون، إلى حياة الناس فعاشت معهم سبعة قرون عزيزة مكرّمة.

ورأى عليّ أبو زيد في كتابه «البديعيات في الأدب العربيّ» أن البديعيات، رغم ذلك كلّها، «برزخ بين الشعر الرائع، والنظم التأليفيّ، فلا يستطيع المرء أن يدرجها تحت أيّ منها، والسبب يتمثل باشتراك العاطفة مع التأليف، فالممدوح مثلّ كامل، والقصيدة مدحيّة، وهنا تجود القرائح وتهتّز الأريحيّة، ويمدح الشاعر ولا حرج، وأوضح ما يكون ذلك في بديعية الحلّيّ، ثم بديعية الباعونية والنايلسيّ الصوفيّين...»^(١).

ومهما قيل في أمر هذه البديعيات من «أنّها متكلّفة وأنّها ساقطة النظم، عسرة الأسلوب، ركيكة التراكيب، فهي على كلّ حال، فنّ شعريّ جديد، ولد وشبّ وترعرع في العصر المملوكيّ وشغل أذهان أدباء العربية حقبة من الزمن طويلة، وأثرى العلم والأدب من ورائه ثروة لا يستهان بها، وبخاصّة من شروح البديعيات»^(٢)، ولا سيّما المطوّل منها.

(١) عصر سلاطين المماليك ١٥٩/٦.

الفصل الرابع: ناظمو البديعيات

حاول علي أبو زيد في كتابه «البديعيات في الأدب العربي» أن يجمع من البديعيات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، منذ بداياتها مع مؤسسها الأوّل صفي الدين الحلّي إلى آخر عهدٍ للناس بها. وأشار إلى أنّ مجموع ما وصل إليه من البديعيات نصوصاً وأخباراً بلغ إحدى وتسعين بديعيةً مؤكّدة^(١)، إضافة إلى اثنتين منها تحتاجان إلى إثبات^(٢)، وقد رتّب هذه البديعيات ترتيباً زمنياً، بالنظر إلى وفاة الناظم أو زمن نظمها، مقدّماً لمحة موجزة عن أعلامها ووصفاً لكلّ منها^(٣).

من هنا وجدنا أن لا مفرّ من الاعتماد على هذه الدراسة القيّمة التي أفردتها علي أبو زيد لدراسة البديعيات في الأدب العربي دراسة مفصّلة، إذ تعتبر الدراسة اليتيمة في مثل هذا الموضوع.

وإذا استثنينا الإربليّ من عداد أعلام هذه البديعيات، فإنّ صفي الدين الحلّي يعتبر صاحب أوّل بديعية وصلت إلينا، وقد مرّ الكلام على أوّلية البديعيات في الفصل الثاني.

وهذه أسماء ناظمي البديعيات واسم بديعية كلّ منهم، مرتّبة ترتيباً زمنياً^(٤):

١- صفيّ الدين الحلّي السّنّسيّ: وهو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العزّ بن سرايا الطائيّ. ولد في «الحلّة» بين الكوفة وبغداد، سنة (٦٧٧هـ.)، وتوفّي في بغداد سنة (٧٥٠هـ.). وهو صاحب «الكافية البديعية في المدائح النبوية»، وهي - كما مرّ - أوّل بديعية مكتملة في تاريخ «البديعيات».

(١) هناك ثمانين بديعيات منها مجهولة (٣) انظر كتابه ص ٧١-١٨٠، متناً وحاشية. المؤلف.

(٢) وقد بلغت في هذه الدراسة ٩٩ بديعية لثمانين ناظماً، خمس منها مجهولة الناظم، وأربع بحاجة إلى إثبات.

(٤) انظر «فهرس أسماء أصحاب البديعيات» المرتب على حروف الهجاء، الملحق بآخر هذا الفصل.

عكف الحلّي نفسه على بديعته يشرحها، وسمّى شرحه «التناج الإلهية»، وقد ورد لهذا الشرح أسماء أخرى، منها: «شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع»؛ و«شرح بديعية صفّي الدين الحلّي» لناظمتها. كما حظت هذه البديعية بشروح أخرى، إذ شرحها محمّد بن القاسم بن زاكور، كما شرحها عبد الغني الرافعي، وسمّى شرحه «الجوهر السنّي في شرح بديعية الصنفي»، وفيها أيضاً شرح لمجهول^(١).

٢- ابن جابر الأندلسي: وهو شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي ابن جابر الأندلسي الهواري المالكي الأعمى. ولد في المريّة من بلاد الأندلس سنة (٦٩٨هـ)، وتوفّي في البيرة، من نواحي حلب، سنة (٧٨٠هـ). وهو صاحب «الحلّة السّيّرا في مدح خير الوري»، وهذا اسم للبديعية وشرحها، وهو شرح مختصر، ممّا دفع صديقه الرعينيّ الإلبيري إلى شرحها شرحاً مفصّلاً سمّاه «طراز الحلّة وشفاء الغلّة»، انتقى منه محمد بن إبراهيم البشتكي مختصراً سمّاه «منتقى شرح بديعية ابن جابر»؛ كما شرحها محمود بن خليل داماد بياضي زاده الموستاري^(٢).

٣- عزّ الدين الموصلي: وهو عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي بكر. من شعراء القرن الثامن الهجريّ، توفّي في دمشق سنة (٧٨٩هـ). وهو صاحب «التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع»، وهو اسم شرح البديعية التي لم تعرف اسماً آخر كما يبدو. وله بديعية ثانية لامية على وزن «بانت سعاد»^(٣).

٤- ابن العطار الدُّنيسريّ: وهو شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن عليّ بن العطار الدُّنيسريّ المصري. وهو من دُنيسر، من نواحي الجزيرة الشامية، توفّي سنة (٧٩٤هـ). وهو صاحب «الفتح الإلّي في مطارحة الحلّي»^(٤).

٥- وجيه الدين العلويّ: وهو عبد الرحمن بن محمّد بن يوسف بن عليّ بن عمر

(١) وانظر الدرر الكامنة ٢/٤٧٩-٤٨١؛ ٢٤٤-٢٤٦.

ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١/ (٣) وانظر الدرر الكامنة ٣/١١٢، والأعلام ٧٨٨-٧٨٩ وهدية العارفين ٦/٤١٦. ٢٨٠/٤.

(٢) وانظر الدرر الكامنة ٣/٤٢٩-٤٣٠؛ (٤) وانظر كشف الظنون ٢/١٢٣١؛ وهدية ونكت الهميان في نكت العميان ص العارفين ٥/١١٦.

العلويّ الزبيديّ اليمنيّ الحنفيّ. ولد سنة (٧٤٨هـ.)، وتوفيّ سنة (٨٠٣هـ.). وهو صاحب «الجوهر الرفيع ووجه المعاني في معرفة أنواع البديع». وله عليها شرح وإف، كما شرحها عيسى بن حجاج المعروف بعويس. وقد نسب خطأً في «هدية العارفين» لعبد الرحمن بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن يوسف العلويّ المتوفّي سنة (٩٢٠هـ.)^(١).

وإذا صحَّ أنّ لعبد الرحمن بن إبراهيم هذا بديعاً، فإنّ عدد ناظمي «البديعيات» قد زادوا واحداً، وبه تزداد البديعيات واحدة.

٦- عُويّس: وهو عيسى بن حجاج بن عيسى بن شدّاد السعديّ، المصريّ الحنبليّ، الملقّب بعويس العالية. ولد في القاهرة سنة (٧٣٠هـ.)، وتوفيّ سنة (٨٠٧هـ.). وله بديعاً شرحها المجد إسماعيل الحنفيّ^(٢).

٧- جمال الدين الصنغانّي: وهو السيّد جمال الدين عبد الهادي بن إبراهيم بن عليّ الحسنّي الصنغانّي، المتوفّي سنة (٨٢٢هـ.). وهو صاحب «البديعيات في الكعبة اليمنيّة الثمنيّة»^(٣).

٨- الآثاريّ: وهو زين الدين، شعبان بن محمد بن داود الموصليّ الآثاريّ. ولد في مصر سنة (٧٦٥هـ.)، وتوفيّ سنة (٨٢٨هـ.). وهو صاحب البديعيات الثلاث المعروفة بـ «بديعيات الآثاريّ»، وهي البديعية الوسطى المسماة بـ «عين البديع في مدح الشفيع»، والبديعية الكبرى المسماة بـ «العقد البديع في مدح الشفيع»، والبديعية الصغرى المسماة بـ «بديع البديع في مدح الشفيع»، ولم تحظ بديعيات الآثاريّ بشرح^(٤).

٩- ابن المقرئ: وهو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله اليمنيّ، شرف الدين،

(١) وانظر الضوء اللامع ٤/١٥٣-١٥٤؛ (٣) وانظر إيضاح المكنون ٣/١٧٣؛ وهديّة العارفين ٥/٥٢٩، ٥٤٤، ٨١٠. العارفين ١/٦٤٣.

(٢) وانظر الضوء اللامع ٦/١٥١-١٥٢، (٤) وانظر الضوء اللامع ٣/٣٠١-٣٠٣؛ والأعلام ٥/١٠٢. والأعلام ٣/١٦٤.

ابن المقرئ. ولد في اليمن سنة (٧٥٥هـ.)، وتوفي سنة (٨٣٧هـ.). وهو صاحب «الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة»^(١). وقد شرحها شرحاً لطيفاً باسم «الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة».

١٠- ابن حجّة الحموي^(٢): وهو أبو بكر بن علي بن عبد الله ابن حجّة الحموي الحنفي القادري الأزراي، أبو المحاسن، تقي الدين، ولد في مدينة حماة سنة (٧٦٧هـ.)، وتوفي سنة (٨٣٧هـ.). وهو صاحب البديعية المسماة بـ «تقديم أبي بكر»، وقد شرح بديعته شرحاً حافلاً بمختلف الفنون عُرف باسم «خزانة الأدب وغاية الأرب»، ثم اختصره باسم «ثبوت الحجّة على الموصلي والحلي لابن حجّة»، كما عرف شرح البديعية باسم «شرح البديعية المسماة بـ «تقديم أبي بكر»؛ أو «شرح البديعات»، أو «شرح تقديم أبي بكر»، أو «شرح بديعة أبي بكر»، أو «شرح ابن حجة لبديعته». كما شرح هذه البديعية محمد بن أحمد بن عثمان البسطامي، وعثمان الظاهر، ومحمد بن عيسى بن محمود بن كنان الذي سمى شرحه «المحاسن المرضية في شرح المنظومة البديعية»^(٣).

١١- ابن الخياط: وهو عبد الرحمن بن محمد بن سلمان الحموي. ولد بحماة سنة (٧٧٧هـ.)، وتوفي سنة (٨٤٠هـ.). وهو صاحب «المعاني اليتيمة والمباني الرخيمة». وله شرح في بديعته هذه^(٤).

١٢- ابن القباقيبي: وهو محمد بن خليل بن أبي بكر. ولد في حلب سنة (٧٧٨هـ.)، وتوفي في بيت المقدس سنة (٨٤٩هـ.). وهو صاحب بديعية^(٥).

١٣- أبو شجاع: وهو الإمام أبو العباس، شمس الدين محمد بن نور الدين علي

(١) وانظر الضوء اللامع ٢/٢٩٢-٢٩٥؛ والأعلام ١/٣١٠-٣١١.

(٢) وانظر ترجمته في المدخل لهذه الأطروحة.

(٣) وقد أخطأ محمود الريداوي وعلي أبو زيد في جعل البديعية وشرحها باسم «تقديم أبي بكر»، كما أخطأ عمر فروخ في توهمه أن «تقديم أبي بكر» شرح موجز

(٤) وانظر الضوء اللامع ٤/١٣٠-١٣١؛ وهدية العارفين ٥/٥٣٠.

(٥) وانظر الضوء اللامع ١١/٢١٦؛ والأعلام ٦/١١٧.

الشافعيّ المصريّ الشهير بأبي شجاع. من علماء القرن التاسع الهجريّ. وهو صاحب «الحصون المُعدّة لكف يد الجاني عن البُرْدَة»^(١).

١٤- عماد الدين بن القصّار من علماء القرن التاسع الهجريّ. وله بديعية عارضها فرج بن أحمد بن أبي بكر الطهطائيّ^(٢).

١٥- فرج بن أحمد بن أبي بكر الطهطائيّ. توفي سنة (٨٩٩هـ). وهو صاحب «نخبة البديع وأنواعه في مدح الجناب الرفيع وأتباعه». وله شرح على بديعته^(٣).

١٦- ابن الخلوف: وهو شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحميري، الفاسيّ الأصل. ولد في الجزائر سنة (٨٢٩هـ)، وتوفي سنة (٨٩٩هـ). وهو صاحب «مواهب البديع في علم البديع». وله فيها شرح حسن^(٤).

١٧- تاج الدين، عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن عرشاه. ولد سنة (٨١٣هـ)، وتوفي في القاهرة سنة (٩٠١هـ). وهو صاحب «شفاء الكليم بمدح النبيّ الكريم»^(٥).

١٨- بدر الدين، الحسن بن مخزوم الطحّان. وهو صاحب بديعية^(٦).

١٩- الكفعمي: وهو إبراهيم بن علي بن الحسن الحارثيّ. ولد في قرية كفرعيما، من قرى صفد، سنة (٨٤٠هـ)، وتوفي فيها سنة (٩٠٥هـ). وهو صاحب بديعية، شرحها شرحاً سمّاه «نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع»^(٧).

٢٠- جلال الدين السيوطيّ: وهو العالم الإمام والأديب المكثّر، عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمّد. ولد سنة (٨٤٩هـ)، وتوفي سنة ٩١١هـ. وهو صاحب «نظم البديع في مدح خير شفيع»، وهو البديعية وشرحها. ولشرحها اسم آخر هو «شرح

-
- (١) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص ٩٦. (٥) وانظر الضوء اللامع ٥/٩٧-٩٨؛
(٢) وانظر فهرس المخطوطات المصورة ١/ ٤١٢. والأعلام ٤/١٨٠.
(٣) وانظر الضوء اللامع ٦/١٦٨؛ وفهرس المخطوطات المصورة ١/٤١٢.
(٤) وانظر الضوء اللامع ٢/١٢٢-١٢٣؛
(٦) وانظر أعيان الشيعة ٢٣/٢٩٢-٢٩٣.
(٧) وانظر أنوار الربيع في أنواع البديع ١/ ٩٥-٩٦؛ والأعلام ١/٥٣.

بديعية جلال الدين السيوطي»^(١).

٢١- ابن محرز: وهو تلميذ السيوطي. وهو صاحب البديعية المسماة بـ «النوع»^(٢).

٢٢- عائشة الباعونية: وهي بنت يوسف بن أحمد الباعوني، أم عبد الوهاب. توفيت في دمشق سنة (٩٢٢هـ). وهي صاحبة «بديع البديع في مدح الشفيح»، و«الفتح المبين في مدح الأمين»، وكلُّ منهما اسم لبديعية وشرحها^(٣).

٢٣- أبو عبد الله الكردي الشافعي: وهو محمد بن داود بن محمد البازلي الحموي، شمس الدين، أبو عبد الله الكردي الشافعي. ولد بجزيرة ابن عمر (بلدة فوق (الموصل)) سنة (٨٤٥هـ)، وتوفي فيها سنة (٩٢٥هـ). وهو صاحب «بديع البديع في مدح الشفيح»^(٤).

٢٤- البلاطسي: وهو علي بن محمد بن خالد البلاطسي الدمشقي. المتوفى سنة (٩٣٦هـ). وله بديعية مشروحة، لعل اسمها «نزهة الناظر وبهجة الخاطر»^(٥).

٢٥- علي بن محمد بن دقماق الحسيني، المتوفى سنة (٩٤٠هـ). وهو صاحب «البديعية وشرحها»^(٦).

٢٦- الحميدي: وهو عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي. توفي سنة (١٠٠٥هـ). وهو صاحب «تمليح البديع بمدح الشفيح»، وقد شرحها بشرح أطلق عليه: «منح السميع شرح تمليح البديع بمدح الشفيح»، وله بديعية ثانية كافية^(٧).

٢٧- محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموي، توفي في مصر سنة

(١) وانظر الضوء اللامع ٤/٦٥؛ والأعلام (٥) وانظر الضوء اللامع ٦/٣١؛ وهديّة العارفين ٣/٣٠٢-٣٠١/٣.

(٢) وانظر طالع السعد الرفيع ص ١١٠-١١١. (٦) وانظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/٢٩٨.

(٣) وانظر الأعلام ٣/٣٤١؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١/٥١٩.

(٤) وانظر الكواكب السائرة ١/٤٧؛ وهديّة العارفين ٦/٢٢٨.

(٧) وانظر هدية العارفين ٥/٥٤٧؛ والأعلام ٣/٢٩٦-٢٩٧؛ والصيغ البديعي ص ٤٥٢.

(١٧٠١٧هـ). وله بديعية عارضها عبد البرّ بن عبد القادر الفيومي^(١).

٢٨- عبد القادر بن محمد بن يحيى الحسيني الطبري، المكي الشافعي. ولد في مكة سنة (٩٧٢هـ)، وتوفي فيها سنة (١٠٣٣هـ). وله بديعية شرحها، وأطلق على شرحه عليها اسم «علو الحجة بتأخير أبي بكر بن حجة»^(٢).

٢٩- صلاح الدين بن محيي الدين الكوراني، المتوفى سنة (١٠٤٩هـ). وله بديعية، وشرحها شرحاً غريب الطراز^(٣).

٣٠- عبد الله الزفتاوي، المتوفى سنة (١٠٥٩هـ)، وله بديعية شرحها عبد اللطيف العشماوي بشرح أطلق عليه اسم «حسن الصنيع بشرح نور الربيع»، كما شرحها ابن قرقماس^(٤).

٣١- الجحّاف: وهو إبراهيم بن يحيى بن المهدي بن إبراهيم اليمني الزبيدي. توفي سنة (١٠٦٥هـ). وهو صاحب «تخميس قصيدة الحلبي»^(٥).

٣٢- ابن العُرْضي: وهو أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب بن العُرْضي. ولد في حلب سنة (٩٩٣هـ)، وتوفي سنة (١٠٧١هـ). وهو صاحب «الطراز البديع في امتداح الشفيح»، وله شرح عليها سماه «فتح البديع في حلّ الطراز البديع في امتداح الشفيح»^(٦).

٣٣- عبد البرّ بن عبد القادر بن محمد الفيومي. توفي سنة ١٠٧١هـ. وهو صاحب «إرشاد المطيع في التوشيع»، وله شرح عليها.

٣٤- الحسن بن أحمد بن محمد بن عليّ الحسيني العلوي، الجلال اليمني. ولد في اليمن، وتوفي في الخراف، من أعمال صنعاء، سنة (١٠٧٩هـ). وله بديعية لعلّ اسمها «السحر الحلال». وقد شرحها شرحاً صغيراً^(٧).

-
- (١) وانظر هدية العارفين ٦/٢٦٧. (٥) وانظر هدية العارفين ٥/٣٣.
- (٢) وانظر الأعلام ٤/٤٤؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ٢/١٢٣١.
- (٣) وانظر إعلام النبلاء ٦/٢٥١-٢٦٨. (٧) وانظر الأعلام ٢/١٨٢-١٨٣،
- (٤) وانظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان والبديعيات في الأدب العربي ص ٣/٢٩٩.
- ١٢٠-١٢٢.

٣٥- محمود بن خليل القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بداماد بياضي زاده. ولد في بلدة موستار، وتوفي في حلب سنة (١٠٩٩هـ). وله بديعة^(١).

٣٦- محمد ناظم الملقبي. وله بديعية، شرحها وأطلق على شرحها اسم «تحفة الأدباء وتسلية الغرباء»، وقد أنهاه سنة ١١٠٥هـ.^(٢)

٣٧- ابن معصوم: وهو علي بن أحمد بن محمد بن معصوم المدني. ولد في المدينة المنورة سنة (١٠٥٢هـ)، وتوفي في شيراز سنة (١١١٩هـ). وهو صاحب «تقديم علي»، وقد شرحها شرحاً مطوّلاً سمّاه «أنوار الربيع في أنواع البديع»^(٣).

٣٨- أبو الفتح، محمد بن محمّد بن أحمد الرسّام الحمويّ. كان موجوداً سنة (١١٣٨هـ)، وله بديعية^(٤).

٣٩- عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي. ولد في دمشق سنة (١٠٥٠هـ)، وتوفي فيها سنة (١١٤٣هـ). وهو صاحب «نسمات الأسحار في مدح النبي المختار»، وله شرح عليها أطلق عليه اسم «نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار». وله بديعية ثانية هي «مليح البديع في مدح الشفيح» شرحها تلميذه علي بن محمد القلعي مع سابقتها، كما شرحها علي بن حسن بن بدر الدين الغزي شرحاً مطوّلاً أطلق عليه اسم «حسن الصنيع شرح مليح البديع»^(٥).

٤٠- علي بن عبد الرحيم بن محمد الكندي، من آل باكثر. ولد في حضرموت سنة (١٠٨١هـ)، وتوفي فيها في بلدة «تريس»، سنة (١١٤٥هـ). وله بديعية شرحها حلمي محمد القاعود^(٦).

العربي ص ١٢٦.

(٥) وانظر فهرس الكتب الموجودة بدار

الكتب المصرية ٢/٢٢٢؛ والأعلام ٤/

٣٢-٣٣؛ وهدية العارفين ٥/٧٦٨؛

وفهرس المخطوطات العربية بصوفية

٢/٢٣٧-٢٣٨.

(٦) وانظر الأعلام ٤/٢٩٩.

(١) وانظر الجواهر الأسنى ص ١٢٩؛ وهدية

العارفين ٦/٤١٦؛ وفيه (١٠٦٩هـ).

(٢) وانظر فهرس الكتب الموجودة بدار

الكتب المصرية ٢/١٨٢.

(٣) وانظر أنوار الربيع في أنواع البديع ١/

١٥.

(٤) وانظر إيضاح المكنون ٣/٤٦١؛ وهدية

العارفين ٢/٢١٧؛ والمبديعات في الأدب

٤١- إبراهيم خيكّي الحلبيّ. نظم بديعته سنة (١٧٣٣م.)، وهي أول بديعية ينظمها نصرانيّ في مدح عيسى، عليه السلام^(١).

٤٢- مصطفى بن كمال الدين بن عليّ البكريّ. ولد في دمشق سنة (١٠٩٩هـ.)، وتوفّي في مصر سنة (١١٦٢هـ.). وهو صاحب «رشحات صدح من يسبي العذار، ونفحات مدح في النبيّ المختار». وقد اعتنى بشرحها قاسم البكرجي، وأطلق على شرحه اسم «المطلع البدريّ على بديعية البكريّ»^(٢).

٤٣- قاسم بن محمد البكرجيّ الحلبيّ. ولد في حلب سنة (١٠٩٤هـ.)، وتوفّي سنة (١١٦٩هـ.). وهو صاحب «العقد البديع في مدح الشفيح»، وله شرح عليها أسماه «حلية العقد البديع في مدح الشفيح»^(٣).

٤٤- الصائغ: وهو الخوري نيقولاوس بن نعمة الله الصائغ. ولد في حلب سنة (١١٠٣هـ.)، وتوفّي في لبنان سنة (١١٦٩هـ.). له بديعية في مدح عيسى بن مريم، عليهما السلام^(٤).

٤٥- عليّ بن محمد، تاج الدين بن عبد المحسن سالم القلعيّ الحنفيّ المكيّ. ولد بمكة، ومات طريداً في الإسكندرية سنة (١١٧٢هـ.). وهو صاحب «مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج»، وله شرح عليها سمّاه «تاج البديع والبلج على مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج»، وله بديعية ثانية اسمها «وسع الاطلاع في بديع الأوضاع»، وبديعية ثالثة اسمها «الأنواع العجيبة الاختراع»^(٥).

٤٦- عبد المنعم بن تاج الدين محمد بن عبد المحسن بن سالم القلعيّ المكيّ الحنفيّ، المتوفّي سنة (١١٧٤هـ.)، وله بديعية وشرح عليها^(٦).

٤٧- عبد الله بن يوسف بن عبد الله اليوسفيّ الحلبيّ البتيّ. ولد في حلب،

(١) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص (٤) وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٣٠-١٣١.

(٢) وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة (٥) وانظر فهارس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية ٧/٦٣؛ والأعلام ٥/١-٥٨٢-٥٨٣؛ والأعلام ٧/٢٣٩.

(٣) وانظر إعلام النبلاء ٦/٥٣٥؛ والأعلام ٥/٧٦٨.

(٤) وانظر هدية العارفين ٥/٦٣٠.

وتوفي فيها سنة (١١٩٤هـ.)، وله بديعية، شرحها شرحاً جيداً^(١).

٤٨- غلام علي آزاد بن نوح الحسيني، حسان الهند. ولد في «بلكرام» سنة (١١١٦هـ.)، وتوفي في «أورنك آباد» سنة (١١٩٤هـ.). وهو صاحب «القصيدة البديعية»، وهذه البديعية جمعت أنواع البديع الهندي، ونظمها باللغة العربية، وعدتها مئة بيت وبيت، وقد أودعها كتابه «سبحة المرجان في آثار هندستان»، الذي شرح فيه معظم أبياتها^(٢).

٤٩- محمد بن مصطفى بن كمال الدين البكري. ولد في بيت المقدس سنة (١١٤٣هـ.)، وتوفي في غزة هاشم سنة (١١٩٦هـ.). وهو صاحب «منح الإله في مدح رسول الله»، وله شرح حافل عليها سماه «المنح الإلهية في مدح خير البرية»^(٣).

٥٠- محمد أمين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب العمري. ولد سنة (١١٥١هـ.)، وتوفي سنة (١٢٠٣هـ.). وهو صاحب «البديعية العمريّة». وقد شرحها، وأطلق على الشرح «التحف الأدبية في النكت البديعية»^(٤).

٥١- علي بن أحمد تقي الدين النجاريّ القباني. ولد في مكة سنة (١١٣٤هـ.)، وتوفي سنة (١٢٢١هـ.). وهو صاحب «مراقي الفرج في مدح عالي الدرج». وله شرح على بديعته^(٥).

٥٢- ابن أحمد البربر: وهو أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البربر الحسيني البيروتي. ولد في دمياط سنة (١١٦٠هـ.)، وتوفي في دمشق سنة (١٢٢٦هـ.). وله بديعية شرحها مصطفى بن عبد الوهاب الصلاحيّ شرحاً مطوّلاً، وأطلق على هذا الشرح اسم «نخبة البديع في مدح الشفيح»^(٦).

(١) وانظر سلك الدرر ٣/١٠٨-١١٦؛ (٤) وانظر الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية ٢/١٨٠؛ والأعلام ٦/٤١-٤٢.

(٢) وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة (٥) وانظر الأعلام ٤/٢٦٠.

(٦) والأعلام ١/١٢١؛ وسبحة المرجان في آثار هندستان ص ٢٢٠. (٦) وانظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٤/٢٠٩-٢١٠، والأعلام ١/١٥٥؛

(٣) وانظر سلك الدرر ٤/١٤-١٥؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٥٨٠. (٤) ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٥٤٦-٥٤٥.

٥٣- خليل الوكيل البهنويّ. من رجال القرن الثالث عشر الهجريّ. انتهى من نظم بديعيته نظماً وشرحاً سنة (١٢٣٩هـ.)، وقد سماها «شدو العندليب في مدح الحبيب»، وهي تتألف من مئة بيت وبيت، تشتمل من البديع على مئة نوع ونوع^(١).

٥٤- محمّد بن عبد الوهاب بن إسحاق بن عبد الرحمن الجنديّ، المعريّ. ولد في معرّة النعمان سنة (١٢١١هـ.)، وتوفيّ فيها سنة (١٢٦٤هـ.). وله بديعية^(٢).

٥٥- مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحيّ. ولد في الصالحية بدمشق، وتوفيّ سنة (١٢٦٥هـ.). وله بديعية^(٣).

٥٦- ابن حمزة الحسينيّ: وهو محمد نسيب بن حسين بن يحيى، الشهير بابن حمزة الحسينيّ. ولد سنة (١٢٠١هـ.)، وتوفيّ سنة (١٢٦٥هـ.). وهو صاحب «تحفة الأسماع بمولد حسن الأخلاق والطباع». وشرح ابنه محمود بن نسيب حمزة هذه البديعية^(٤).

٥٧- ناصيف بن عبد الله بن ناصيف اليازجيّ. ولد في كفرشما بלבناں سنة (١٢١٤هـ.)، وتوفيّ سنة (١٢٨٧هـ.)؛ وله بديعية في مدح عيسى بن مريم، عليهما السلام، وقد شرحها شرحاً مطوّلاً سماه «القطوف الدانية»^(٥).

٥٨- محمد رضوان بن محمد بن إسماعيل، المتوفى سنة (١٢٩١هـ.). وهو صاحب «عنوان الرضوان في مدح سيّد ولد عدنان»^(٦).

٥٩- محمود صفوت الزيلع بن مصطفى آغا الزيله لي الساعاتي. ولد في القاهرة سنة (١٢٤١هـ.)، وتوفيّ سنة (١٢٩٨هـ.). له بديعية شرحها عبد الله فكري باشا^(٧).

٦٠- أسعد بن أحمد بن مصطفى العظم، الحمويّ. ولد في معرّة النعمان سنة

(١) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص ١٤٩. (٦) وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٩٤٠/١.

(٢) وانظر أعلام الأدب والفن ١/٣٠.

(٣) وانظر معجم المؤلفين ١٢/٢٦٤.

(٤) وانظر روض البشر ص ٢٥١-٢٥٤.

(٥) وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٩٩٦؛ والأعلام ٧/١٧٤.

(٧) وانظر أعلام الأدب والفن ٢/٤٣١؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٩٩٦؛ والأعلام ٧/١٧٤.

(٥) وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢/١٩٣٣-١٩٣٩؛ وأعلام الأدب والفن

(١٢٣٦هـ.)، وتوفي سنة (١٢٩٩هـ.)، وله بديعية حوت أنواع البديع، وقد شرحها^(١).

٦١- أرسانيوس (فارس) بن يوسف بن إبراهيم الفاخوري. ولد في بعبداء ببلبنان سنة (١٢١٥هـ.)، وتوفي سنة (١٣٠١هـ.)، وله ثلاث بديعيات في مدح عيسى بن مريم، عليهما السلام، سمى إحداها مع شرحها «زهر الربيع في فنّ البديع»^(٢).

٦٢- محمد بن عبد الحميد بن عبد القادر الشهير بالحكيم زاده البغدادي، المتوفى سنة (١٣٠١هـ.). وهو صاحب «اللمعة المحمدية في مدح خير البرية»^(٣).

٦٣- عبد الهادي نجا بن رضوان الأبياري. صاحب «طرفة الربيع في نظم أنواع البديع»^(٤).

٦٤- عبد الله بن مصباح بن إبراهيم النديم. ولد في الإسكندرية سنة (١٢٦١هـ.)، وتوفي في القاهرة سنة (١٣١٤هـ.). وله بديعية وشرحها، ولعله سماها «البديع في مدح الشفيح»^(٥).

٦٥- شاعر بن مغامس بن محفوظ بن صالح شقير. ولد في الشويفات ببلبنان سنة (١٢٦٦هـ.)، وتوفي فيها سنة (١٣١٤هـ.). وله بديعية شرحها شرحاً موجزاً^(٦).

٦٦- عبد القادر بن عبد القادر الحسيني الأدهمي. توفي سنة (١٣٢٥هـ.). وهو صاحب «ترجمان الضمير في مدح الهادي البشير»، وقد شرحها محمد بدر الدين الرافعي، وسمى شرحه عليها «بديع التحبير شرح ترجمان الضمير»^(٧).

٦٧- محمد نوري باشا بن أحمد بن عبد الوهاب الكيلاني. ولد في حماة سنة (١٢٥٢هـ.)؛ وتوفي سنة (١٣٢٦هـ.). وهو صاحب «البديعية النورية في مدح خير

(١) وانظر أعلام الأدب والفن ١/ ١٨٥-١٨٧.

(٢) وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة

٢/ ١٤٢٣؛ وأعلام الأدب والفن ٢/ (٦) وانظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان

٤/ ٢٢٠-٢٢١؛ وأعلام الأدب والفن ٢/ ٣٢٢-٣٢٣؛ والأعلام ١/ ٢٨٧؛

والبديعيات في الأدب العربي ص

١٦٠-١٦٢.

(٣)(٤) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص

(٧) وانظر الأعلام ٤/ ٣٩؛ ومعجم

المطبوعات العربية والمعربة ١/ ٧٧٣،

(٥) وانظر أعلام الأدب والفن ٢/ ٤٣٦-

البرية»، وقد شرحها شرحاً حافلاً حمل الاسم ذاته «البدعية النورية في مدح خير البرية»، وله بدعية ثانية^(١).

٦٨- حسين بن محمد بن مصطفى الجسر. ولد في طرابلس الشام سنة (١٢٦١هـ.)، وتوفي فيها سنة (١٣٢٧هـ.). وله بدعية، لعله شرحها في كتابه «الكواكب الدرّية في الفنون الأدبية»^(٢).

٦٩- عبد الله فريج. له بدعية شرحها معاصره عثمان بن محمد الرازي المتوفى سنة (١٣٣١هـ.)، وسماه «الأنوار المحمدية»^(٣).

٧٠- عثمان بن محمد بن أبي بكر بن محمد الرازي. ولد في مكة سنة (١٢٦٠هـ.)، وتوفي فيها سنة (١٣٣١هـ.)^(٤).

٧١- القصاب حسن: وهو محمد سليم بن أنيس بن محمود بن سعد آغا بن حسين آغا الشهير بالقصاب حسن. ولد في دمشق سنة (١٢٦٩هـ.)، وتوفي سنة (١٣٣٤هـ.). وله بديعتان^(٥).

٧٢- عبد الحميد بن محمد علي قدس. ولد سنة (١٢٨٠هـ.)، وتوفي سنة (١٣٣٥هـ.). وهو صاحب «نور الربيع على نظم البديع»، وقد شرحها شرحاً سماه «طالع السعد الرفيع في شرح نور الربيع على نظم البديع المتضمن لمدح الحبيب الشفيح»^(٦).

٧٣- طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري. ولد في دمشق سنة (١٢٦٨هـ.)، وتوفي سنة (١٣٣٨هـ.). وهو صاحب «بديع التلخيص وتلخيص البديع»، وهو اسم البدعية وشرحها^(٧).

(١) انظر فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية ٩٩/٧، ١٦٦، وأعلام الأدب والفن ٣٩/٢-٤١.

(٢) وانظر الأعلام ٢٥٨/٢؛ وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢٥١/٤.

(٣) «ما رأيت وما سمعت» ص ١٠٢.

(٤) «ما رأيت وما سمعت» ص ١٠٦-١٠٢؛ والأعلام ٢١٤/٤.

(٥) وانظر الأعلام ٢٢١/٣-٢٢٢؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١٢٧٥-١٢٧٦.

(٦) وانظر الأعلام ٢٢١/٣-٢٢٢؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١-٦٨٨.

٦٩١

٧٤- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم المغربي الجزائري الضرير. ولد في قرية «الديس» بالجزائر، وتوفي فيها سنة (١٣٤٠هـ). وله بديعية وشرحها^(١).

٧٥- الشيخ الإمام القاضي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الحسين الخزرجي الشافعي وله بديعية^(٢).

٧٦- ضياء الدين فخري. وله بديعيات ثلاث^(٣).

هذه ما توصلت إليها دراسة علي أبو زيد في إحصاء أسماء ناظمي البديعيات، وأسماء بديعياتهم، وقد تبين أن أربعة منهم قد نظموا ثلاث بديعيات، وستة قد نظموا بديعيتين، وأن هناك خمس بديعيات بقيت مجهولة الناظم.

كما أشار علي أبو زيد إلى أن هناك بديعيات بحاجة إلى توثيق وإثبات، وهي:
- «غيث الربيع في علم البديع» للأديب محمد معروف بن مصطفى النودهي المتوفى سنة (١٢٥٤هـ).

- بديعية للعلامة حسين والي.

- بديعية لمحمد بن مصطفى الغلامي الموصلي، المتوفى سنة (١١٨٦هـ)^(٤).

- بديعية لعبد الرحمن بن إبراهيم المتوفى سنة (٩٢٠هـ)^(٥)، وهناك بديعية بقيت بحاجة إلى إنصاف، وهي لعبد الهادي نجا بن رضوان الأبياري، واسمها «طرفة الربيع في نظم أنواع البديع»^(٦).

وفيما يلي جدول بأسماء أصحاب البديعيات مرتبة على حروف الهجاء:

(١) وانظر معجم المؤلفين ١١/٢٨٠-٢٨١؛ وهدية العارفين ٦/٣٩٩.

(٢)(٣) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص ١٧٦-١٧٧.

(٤) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص ١٧٨-١٨٠.

(٥) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص ٨٢.

(٦) وانظر البديعيات في الأدب العربي ص ١٦٢-١٦٣.

اسم الناظم	وفاته	اسم البديعية
- إبراهيم خيكي الحلبي - إبراهيم بن علي بن الحسن الكفعمي	نظمها ١٧٣٣م ٩٠٥هـ	؟ شرحها: نُور حدقة البديع ونُور حديقة الربيع تخميس قصيدة الحلبيّ
- إبراهيم بن يحيى بن المهدي اليميني الجحاف	١٠٦٥هـ	تقديم أبي بكر شرحها: نخبة البديع في مدح الشفيع
- أبو بكر بن علي بن حجة الحموي - أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البربر	٨٣٧هـ ١٢٢٦هـ	مواهب البديع في علم البديع
- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، ابن الخلوف	٨٩٩هـ	الفتح الإلالي في مطارحة الحلبي
- أحمد بن محمد بن علي بن العطار الدينسري	٧٩٤هـ	؟
- أرسانيوس (فارس) بن يوسف بن إبراهيم الفاخوري	١٣٠١هـ	بديعية ثانية له
=		زهر الربيع في فن البديع
=		؟
- أسعد بن أحمد بن مصطفى العظم	١٢٩٩هـ	الجواهر اللامعة في تجنيس
- إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن المقرئ	٨٣٧هـ	الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة
- إسماعيل بن الحسين الخزرجي الشافعي	؟	؟
- الحسن بن أحمد بن محمد، الجلال اليميني	١٠٧٩هـ	السحر الحلال؟
- الحسن بن مخزوم بدر الدين الطحان	ذكره الكفعمي	؟
- حسين والي	؟	؟
- حسين بن محمد بن مصطفى الجسر	١٣٢٧هـ	الكواكب الدرية في الفنون الأدبية
- خليل الوكيل البهنوي	بعد ١٢٣٩هـ	شدو الغنديل في مدح الحبيب

؟	١٣١٤هـ	- شاکر بن مغامس بن محفوظ شقير
عين البديع في مدح الشفيح (الوسطى)؟	٨٢٨هـ	- شعبان بن محمد بن داود الآثاري
العقد البديع في مدح الشفيح (الكبرى)	=	=
بديع البديع في مدح الشفيح (الصغرى)	=	=
؟	١٠٤٩هـ	- صلاح الدين بن محيي الدين الكوراني
؟؟؟	؟	- ضياء الدين فخري
بديع التلخيص وتلخيص البديع	١٣٣٨هـ	- طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري
بديع البديع في مدح الشفيح	٩٢٢هـ	- عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني
الفتح المبين في مدح الأمين	=	=
إرشاد المطيع في التوشيح	١٠٧١هـ	- عبد البر بن عبد القادر بن محمد الفيومي
نور الربيع على نظم البديع	١٣٣٥هـ	- عبد الحميد بن محمد علي قدس
نظم البديع في مدح خير شفيح	٩١١هـ	- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي
؟	٩٢٠هـ	- عبد الرحمن بن إبراهيم
تمليح البديع بمدح الشفيح	١٠٠٥هـ	- عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي
بديعية ثانية للحميدي	=	=
المعاني اليتيمة والمباني الرخيمة	٨٤٠هـ	- عبد الرحمن بن محمد بن سلمان الحموي، ابن الخياط
الجوهر الرفيع ووجه المعاني	٨٠٣هـ	- عبد الرحمن بن محمد بن يوسف، وجيه الدين العلوي الزبيدي
في معرفة أنواع البديع	٧٥٠هـ	- عبد العزيز بن سرايا، صفى الدين الحلبي
الكافية البديعية في المدائح النبوية	=	=
نسمات الأسحار في مدح النبي المختار	١١٤٣هـ	- عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني الناقلي
مليح البديع في مدح الشفيح	=	=
ترجمان الضمير في مدح الهادي البشير	١٣٢٥هـ	- عبد القادر بن عبد القادر الحسيني الأدهمي

شرحها: علو الحجة بتأخير أبي بكر ابن حجة	١٠٣٣ هـ	- عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبري
شرحها: حسن الصنيع بشرح نور الربيع	١٠٥٩ هـ	- عبد الله الزفتاوي
؟	ربّما قبل ١٣٣١ هـ	- عبدالله فريج
البديع في مدح الشفيح؟	١٣١٤ هـ	- عبد الله بن مصباح بن إبراهيم النديم
؟	١١٩٤ هـ	- عبد الله بن يوسف اليوسفي البني
؟	١١٧٤ هـ	- عبد المنعم بن تاج الدين محمد بن عبد المحسن القلعي
البدعية في الكعبة اليمينية الثمينة؟	٨٢٢ هـ	- عبد الهادي بن إبراهيم بن علي الصنعاني
طرفة الربيع في نظم أنواع البديع	؟	- عبد الهادي نجا بن رضوان الأبياري
شفاء الكليم بمدح النبي الكريم	٩٠١ هـ	- عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن عربشاه
؟	١٣٣١ هـ	- عثمان بن محمد بن أبي بكر، الراضي
مراقي الفرج في مدح عالي الدرج	١٢٢١ هـ	- علي بن أحمد تقي الدين النجاري (القباني)
تقديم علي	١١١٩ هـ	- علي بن أحمد بن محمد بن معصوم المدني
التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع	٧٨٩ هـ	- علي بن الحسين بن علي، عز الدين الموصللي
بديعية ثانية للموصللي		=
؟	١١٤٥ هـ	- علي بن عبد الرحيم بن محمد، باكثير
نزهة الناظر وبهجة الخاطر؟	٩٣٦ هـ	- علي بن محمد بن خالد البلاطنسي
البدعية وشرحها	٩٤٠ هـ	- علي بن محمد بن دقماق الحسيني
مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج	١١٧٢ هـ	- علي بن محمد بن عبد المحسن القلعي
وسع الاطلاع في بديع الأوضاع		=

الأنواع العجيبة الاختراع		=
؟	القرن التاسع	- عماد الدين بن القصار
؟	٨٠٧هـ	- عيسى بن حجاج بن عيسى السعدي، عويس
القصيدة البديعية	١١٩٤هـ	- غلام علي آزاد بن نوح الحسيني
نخبة البديع وأنواعه في مدح الجناب الرفيع وأتباعه	٨٩٩هـ	- فرج بن أحمد بن أبي بكر الطهطائي
العقد البديع في مدح الشفيح النوع؟	١١٦٩هـ	- قاسم بن محمد البكرجي الحلبي
الحلة السيراء في مدح خير الورى	٧٨٠هـ	- ابن محرز
البديعية العمرية	١٢٠٣هـ	- محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي
؟	٨٤٩هـ	- محمد أمين بن خيرالله بن محمود، الخطيب العمري
؟	١١٣٨هـ	- محمد بن خليل بن أبي بكر، ابن القباقيبي
بديع البديع في مدح الشفيح	٩٢٥هـ	- محمد بن محمد الرسام
عنوان الرضوان في مدح سيد وُلد عدنان	١٢٩١هـ	- محمد بن داود بن محمد البازلي الحموي
؟		- محمد رضوان بن محمد بن إسماعيل
بديعية ثانية له	١٣٣٤هـ	- محمد سليم بن أنيس بن محمود، القصاب حسن
اللمعة المحمدية في مدح خير البرية	١٣٠١هـ	=
؟	١٠١٧هـ	- محمد بن عبد الحميد بن عبد القادر، الحكيم زاده
؟	١٢٦٤هـ	- محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموي
؟	١٣٤٠هـ	- محمد بن عبد الوهاب بن إسحاق الجندي المعري
منح الإله في مدح رسول الله	١١٩٦هـ	- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي
		- محمد بن مصطفى بن كمال الدين البكري

؟	١١٨٦هـ	- محمد بن مصطفى الغلامي
غيث الربيع في علم البديع	١٢٥٤هـ	- محمد معروف بن مصطفى التودهي
شرحها: تحفة الأديباء وتسليية الغرباء؟	بعد ١١٠٥هـ	- محمد ناظم الملتقي
تحفة الأسماع بمولد حسن الأخلاق والطباع	١٢٦٥هـ	- محمد نسيب بن حسين، ابن حمزة الحسيني
البديعية النورية في مدح خير البرية	١٣٢٦هـ	- محمد نوري باشا بن أحمد بن عبد الوهاب الكيلاني
بديعية ثانية له	=	=
الحصون المعدة لكف يد الجاني عن البردة	؟	- محمد بن نور الدين علي الشافعي، أبو شجاع
؟	١٠٩٩هـ	- محمود بن خليل، داماد بياضي زاده
؟	١٢٩٨هـ	- محمود صفوت بن مصطفى آغا الزيله لي الساعاتي
شرحها: نخبة البديع في مدح الشفيع	١٢٦٥هـ	- مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحى
رشحات صدح من يسبي العذار ونفحات مدح في النبي المختار	١١٦٢هـ	- مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري
شرحها: القطف الدانية	١٢٨٧هـ	- ناصيف بن عبد الله اليازجي
؟	١١٦٩هـ	- نيقولاوس بن نعمة الله الصائغ
الطراز البديع في امتداح الشفيع	١٠٧١هـ	- أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب بن العرضى

الفصل الخامس: أهمّ البديعيّات وأبرزها

شهد القرن السابع الهجريّ لوناً جديداً من التأليف في البلاغة هو «البديعيّات»، وبظهور أوّل بديعيّة، انطلق رَكْبُ «البديعيّات» يُمخّر عباب التراث العربيّ والإسلاميّ، ويسجّل على صفحاته معالمه وآثاره التي استمرّت واضحة حتى القرن الرابع عشر. وعلى امتداد سبعة قرون من عمر هذا التراث، جابت خلالها «البديعيّات» معظم أصقاع الدولة العربيّة الإسلاميّة، فصالت وجالت في أنحاءها، فتوارثها الشعراء جيلاً بعد جيل، حتى بلغت - كما مرّ في الفصل السابق - نيّفاً وتسعين بديعيّة، لعلّ أهمّها وأبرزها البديعيّات الأولى والتي أدركت أوج ازدهارها ونضجها في ربيع عمرها الممتدّ حتّى نهاية القرن العاشر قبل أن تأخذ بالشيخوخة والدّويّ والذبول. وقد اقتصرنا في هذا الفصل على عرض أربع من بديعيّات القرنين الثامن والتاسع لارتباطها الشديد بهذا البحث، ولتمييز كلّ واحدة من هذه الأربع بميزة تخالف بها الأخرى، رغم أنّ الكلام على بديعيّة واحدة يُجزئ عن الكلام على بديعيّات كثيرة.

هذه البديعيّات هي: البديعيّة الأولى وهي لصفّيّ الدين الحلّيّ، وبديعيّة ابن جابر الأندلسيّ، وبديعيّة عز الدين الموصليّ، وبديعيّة ابن حجّة الحمويّ.

أمّا البديعيّة الأولى فهي «الكافية البديعيّة في المدائح النبويّة»: وهي أوّل بديعيّة مكتملة في تاريخ البديعيّات^(١)، نظمها عبد العزيز بن سرايا بن عليّ السنّسيّ الطائفيّ المعروف بـ «صفّيّ الدين الحلّيّ» المتوفّي سنة (٧٥٠هـ.)، الذي يعتبر أوّل من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بـ «البديعيّات». وقد سبق أن أشرت إلى سبب نظمه لها، من وجود العلة المانعة من تأليف كتاب في البديع كان قد هيأ له بقراءة سبعين كتاباً في هذا الفنّ، فأراد أن يلتجئ إلى الله متوسّلاً بشفاعته رسوله الكريم، فنظم مدحةً نبويّة طرزها بفنون البديع، عاملاً على إيجاد فنّ جديد في الشعر

(١) وقد سبق الحديث عن أوليّة هذه البديعيّة في الفصل الثاني، وفي سياق الكلام على نشأة البديعيّات.

العربي عرف باسم «البديعيات»، وقد بلغت هذه المدحة مئة وخمسة وأربعين بيتاً تشتمل على مئةٍ وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع، أو مئة وأربعين نوعاً إذا عدت أنواع الجناس نوعاً واحداً، وكان الحلّي يذكر فيها اسم النوع الموجود في البيت إلى جانبه، ولعلّه شعر بحاجة السامعين إلى توضيح ذلك، فعكف على بديعته يشرحها، بل يشرح الأنواع البديعية فيها، فكان شرحاً لطيفاً سماه «التناجج الإلهية»، أو «شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع»^(١). وقد تناول في هذا الشرح طريقة جديدة في التأليف البلاغيّ، إذ جعل في مطلع كل باب من أبواب شرحه بيتاً من البديعية شاهداً على النوع الذي يشرحه، إلا أنه لم يفرّق فيه بين «علم البديع» و«علم البيان»، رغم أنّه خصّصه لشرح «علم البديع»، فتجد فيه مثلاً، الاستعارة والتشبيه والمجاز والكناية.

ومن طالع شرحه هذا وجده كتاباً قيماً ذا منهج دقيق، له أهدافه المحدّدة، ومادته العلمية، ومصادره التي استقى منها موادّه. وقد أوضح الحلّي في مقدمة كتابه هذا دواعي تأليفه البلاغيّ وأهدافه وتاريخ نشأته وتطوّره. أمّا أهدافه فتتلخّص بالنقاط التالية:

- معرفة وجه إعجاز القرآن الكريم، ومعرفة كلام الرسول (ﷺ) الذي يدلّ على صحّة نبوته.
- مدح الرسول (ﷺ) بقصيدة مطوّلة (بديعية).
- إتمام جهود العلماء في وضع تصوّر النهائيّ لعلم البديع. ثمّ عرض المراحل التي مرّ بها التأليف البديعيّ كما يلي:
- مرحلة ابن المعتز الذي اخترع سبعة عشر نوعاً.
- مرحلة قدامة بن جعفر الذي أضاف ثلاثة عشر نوعاً فتكامل لهما ثلاثون.
- مرحلة أبي هلال العسكريّ الذي كان غاية ما جمع سبعة وثلاثين نوعاً.
- مرحلة ابن رشيق القيروانيّ الذي أضاف ثلاثة وثلاثين نوعاً مما لا تعلق له بالبديع.

(١) وقد حظيت البديعية بشروح أخرى، انظر ذلك في بدايات الفصل السابق.

- مرحلة السكاكي الذي لم يذكر سوى تسعة وعشرين نوعاً.
- مرحلة التيفاشي الذي بلغ بها سبعين نوعاً.
- مرحلة ابن أبي الأصعب المصري الذي أوصلها إلى تسعين نوعاً، وأضاف إليها ثلاثين.

ثم يذكر الحلبي فضله في هذا الشأن إذ إنه أوصل الأنواع البديعية إلى مئة وأربعين نوعاً.

ومما جاء في مقدّمة شرحه هذا: «فإنّ أحقّ العلوم بالتقديم وأجدرها بالاعتباس والتعليم... معرفة حقائق كلامه الكريم وفهم ما أنزل في الذكر الحكيم... ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع...»^(١).

ثم قال: «فجمعت ما وجدت في كتب العلماء، وأضفت إليه أنواعاً استخرجتها من أشعار القدماء، وعزمت أن أوّلف كتاباً يحيط بجلّها... فعرضت لي علة طالت مدتها... واتفق لي أن رأيت في المنام رسالة من النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام يتقاضاني المدح، ويعدّني البرء من السقام، فعدلت عن تأليف الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع أشات البديع وتتطرّز بمدح مجده الرفيع.

فنظمت مئة وخمسة وأربعين بيتاً في بحر «البيسط» تشتمل على مئة وواحد وخمسين نوعاً من محاسنه، ومن عدّ جملة أصناف التجنيس بنوع واحد كانت عنده العدة مئة وأربعين نوعاً، فإنّ في السبعة الأبيات الأوائل منها اثني عشر صنفاً منه، وجعلت كل بيت مثلاً شاهداً لذلك النوع، وربما اتفق في البيت الواحد منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم، والمعتمد منها على ما أسس البيت عليه.

ثم أخليتها من الأنواع التي اخترعتها واقتصرت على نظم الجملة التي جمعتها لأسلم من شقاق جاهل حاسدٍ أو عالمٍ معاندٍ، فمن شاقق راجعته إلى النقل، ومن وافق وكلته إلى شاهد العقل.

وألزمت نفسي في نظمها عدم التكلّف، وترك التعسّف، والجري على ما أخذت به نفسي من رقة اللفظ وسهولته، وقوة المعنى وصحّته، وبراعة المطلع والمنزع،

(١) شرح الكافية البديعية ص ٥١-٥٢.

وحسن المطلب والمقطع، وتمكن قوافيها، وظهور القوى فيها، وعدم الحشو فيها، بحيث يحسبها السامع عُفلاً من الصنائع. ولم أرسل هذه الدعوى عاريةً عن بيّنة، فقد قالت الحكماء: «الأخير يتعقب النظر»، فانظر أيّها الناقد الأديب والعالم اللبيب إلى غزارة الجمع ضمن الرياقة في السمع، فإنّها نتيجة سبعين كتاباً لم أعد منها باباً، فاستغن بها عن حشو الكتب المطوّلة، ووعر الألفاظ المعظّلة...»^(١).

ويلاحظ أنّ العليّ لم يلتزم في بديعته تسمية النوع البديعيّ في كلّ بيت، اكتفاءً بالتعريف به عن طريق المثال، ولعلّه أراد بذلك أن يسبغ على بديعته صفة الوضوح والجمال الشعريّ، وأن يجتنبها صنعة التعقيد في النظم عند التزام تسمية النوع البديعيّ ضمن البيت.

وكان لشرحه على بديعته قيمة كبيرة وأثر بالغ في علم البديع، فقد كانت شخصية الحلّيّ بارزة واضحة في شرحه، وقد عرض مادّته بأسلوب محكم الصياغة، دقيق المصطلح كثير الشواهد، عديد المراجع، مدعّم بأقوال علماء البلاغة، كما تميّزت عباراته بأمانته العلمية المعهودة في عزوه كلّ قول إلى صاحبه، أمّا اختياره للشواهد فيدلّ على ذوق رفيع وإحساس بجمال اللفظ والمعنى. ولعلّ طريقته الجديدة في التآليف البلاغيّ أغرت المؤلفين بعده باتباعه ومحاكاة طريقته، وربّما بزّوه وتجاوزوه بعد أن أفادوا من تجربته في نظم «البديعيات» وشرحها، من هؤلاء ابن حجّة الحمويّ، وعزّ الدين الموصليّ، وابن جابر الأندلسيّ، وأبو سعيد شعبان الآثاري، وابن المقرئ، وجلال الدين السيوطيّ، وعائشة الباعونية، وعبد الغني النابلسيّ. كما أن لشرح بديعته قيمة أخرى غير تأثيره في حركة التآليف البلاغيّ التي تلتها، وهي أنّه لخصّ فنون البديع وأضاف إليها، وحوّل هذا الفنّ إلى علمٍ يكتشف به القارئ جمال المعنى، ويعين الأديب على تحسين أسلوبه وتزيينه بطرق التعبير التي تخدم المعنى وبهذا يقدم كتابه هذا مفاتيح التفهّم الجماليّ للأدب، ويعين على ممارسة النقد الأدبيّ، بالإضافة إلى كونه كشف عن أبيات من الشعر لم تذكر في المصادر الأدبية إلّا لماماً، وعرف ببعض الشعراء والمؤلفين والمصنّفات البلاغية التي ما زال معظمها مفقوداً أو مخطوطاً.

(١) شرح الكافية البديعية ص ٥٤-٥٥.

أما بديعته ذاتها فحسبها أن تكون البديعية الأولى التي سنت بعدها سنة أدبية بلاغية واضحة لهذا الفن، بما تميّزت به من صفات ومقومات هي: «أنها نظمت في مدح الرسول (ﷺ)، على بحر البسيط، وقافية الميم المكسورة، وتضمن كل بيت فيها نوعاً من أنواع البديع». وقد تمثلت هذه السنة في معارضة أصحاب البديعيات التي تلتها لها، أمثال عزّ الدين الموصليّ، وشهاب الدين أحمد بن العطار، وعبد الرحمن بن محمد وجيه الدين العلويّ اليمينيّ، وشعبان الآثاري.

ومن يقرأ هذه البديعية «يشعر بانقياد الألفاظ مع الوزن للشاعر، على الرغم من أنه كان ينظم مع إشراك المادة العلمية في هذا النظم، كما يشعر الإنسان بعاطفة تفرض نفسها على أحاسيسه، موحية بمشاعر الناظم الصادقة...»^(١). وهذا عرضٌ كامل لأبيات بديعية الحلّي كما وردت في الديوان^(٢)، وقد أشير فوق كل بيت منها إلى الأنواع البديعية التي تناولها.

«الكافية البديعية في المدائح النبوية»

براعة الاستهلال والتجنيس المركب والمشتبه

إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلِّ عَنْ جِيزَةِ الْعَلَمِ وَأَقْرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ
الملقّق

فَقَدْ ضَمِنْتُ وَجُودَ الدَّمْعِ مِنْ عَدَمِ لَهُمْ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ مَعَ ذَاكَ مَنَعَ دَمِي
المذيل واللاحق

أَبَيْتُ، وَالدَّمْعُ هَامٍ هَامِلٌ سَرَبٌ وَالجِسْمُ فِي إِضْمٍ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ
التام والمطرّف

مِنْ شَأْنِهِ حَمْلٌ أَعْبَاءِ الْهَوَى كَمَدًّا إِذَا هَمَى شَأْنُهُ بِالدَّمْعِ لَمْ يُلَمِ
المصحّف والمحرف

مَنْ لِي بِكُلِّ غَرِيرٍ مِنْ ظِبَائِهِمْ غَرِيرٍ حُسْنٍ يُدَاوِي الْكَلْمَ بِالْكَلِمِ

(١) البديعيات في الأدب العربي ص ٧٤.

(٢) ديوانه ص ٣١٥-٣٢٩؛ وانظر شرح الكافية البديعية ٥٧-٣٣٤.

اللفظي والمقلوب

بِكُلِّ قَدْ نَضِيرٍ لَا نَظِيرَ لَهُ

مَا يَنْقُضِي أَمَلِي مِنْهُ وَلَا أَلَمِي

المعنوي

وَكُلِّ لَحْظٍ أَتَى بِاسْمِ ابْنِ ذِي يَزَنٍ

فِي فَتْكِهِ بِالْمُعْتَى، أَوْ أَبِي هَرِمٍ

الطباق

قَدْ طَالَ لَيْلِي وَأَجْفَانِي بِهِ قَصْرَتْ

عَنِ الرَّقَادِ، فَلَمْ أَصْبِحْ وَلَمْ أَنْمِ

الاستطراد

كَأَنَّ أَنَاءَ لَيْلِي فِي تَطَاوُلِهَا

تَسُوْفُ كَاذِبَ آمَالِي بِهَقْرِهِمْ

التوشيح

هُم أَرْضَعُونِي تُدَيِّ الوَصْلِ حَافِلَةً،

فَكَيْفَ يَحْسُنُ مِنْهَا حَالُ مُنْقَطِمٍ

المقابلة

كَانَ الرَّضَى بِدُنُويٍّ مِنْ خَوَاطِرِهِمْ

فَصَارَ سُخْطِي لِبُعْدِي عَنْ جَوَارِهِمْ

اللف والنشر

وَجَدِي حَنِينِي أَنِينِي فِكْرَتِي وَلَهِي

مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ فِيهِمْ، بِهِمْ

التذييل

لِلَّهِ لَذَّةُ عَيْشٍ بِالحَبِيبِ مَضَتْ

فَلَمْ تَدُمْ لِي، وَغَيْرُ اللَّهِ لَمْ يَدُمْ

الالتفات

وَعَاذِلِ رَامَ بِالتَّعْزِيفِ يُرْشِدُنِي

عَدِمْتَ رُشْدَكَ هَلْ أَسْمَعْتَ ذَا صَمَمٍ

التفويف

أَقْصِرْ أَطْلِ إِعْذِرِ اعْذُلْ سَلِّ خَلِّ أَعْنِ

خُنْ هَنْ عَنْ تَرَقَّقْ كُفِّ لُجِّ لَمْ

الهزل الذي يراد به الجد

أَشْبَعْتَ نَفْسَكَ مِنْ دَمِّي فَهَاضَكَ مَا

تَلَقَى، وَأَكْثَرُ مَوْتِ النَّاسِ بِالتَّخَمِ

عتاب المرء نفسه

أَنَا الْمُفْرَطُ أَطْلَعْتُ العَدُوَّ عَلَى

سِرِّي، وَأَوْدَعْتُ نَفْسِي كَفَّ مُخْتَرَمِ

رُدُّ العجز على الصدر

فَمَيِّ تَحَدَّثَ عَنْ سِرِّي فَمَا ظَهَرْتُ

المواربة

سَرَائِرُ الْقَلْبِ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ فَمَيِّ

لَأَنْتَ عِنْدِي أَخْصُ النَّاسِ مَنْزِلَةً

الهجاء في معرض المدح

إِذْ كُنْتُ أَقْدَرُهُمْ عِنْدِي عَلَى السَّلْمِ

مِنْ مَعَشَرَ يُرْخِصُ الْأَعْرَاضَ جَوْهَرُهُمْ

التهمك

وَيَحْمِلُونَ الْأَذَى مِنْ كُلِّ مُهْتَضِمٍ

مَحْضَتْ لِي التُّصْحَ إِحْسَانًا إِلَيَّ، بَلَا

الإيهام

غَشٌّ، وَقَلَّدْتَنِي الْإِنْعَامَ، فَاحْتَكِمِ

لَيْتَ الْمَنِيَّةَ حَالَتْ دُونَ نُصْحِكَ لِي

النزاهة

فَنَسْتَرِيحَ كِلَانَا مِنْ أَدَى التُّهَمِ

حَسْبِي بِذِكْرِكَ لِي ذَمًّا وَمَنْقَصَةً

التسليم

فِيمَا نَطَقْتُ، فَلَا تُنْقِصْ وَلَا تَذْمِ

سَأَلْتُ فِي الْحَبِّ عُدَّالِي، فَمَا نَصَحُوا

التخيير

وَهَبَهُ كَانَ، فَمَا نَفَعِي بِنُصْحِهِمْ

عَدِمْتُ صِحَّةَ جِسْمِي مُذْ وَثِقْتُ بِهِمْ

القول بالموجب

فَمَا حَصَلْتُ عَلَى شَيْءٍ سِوَى النَّدَمِ

قَالُوا: سَلَوْتَ لِبُعْدِ الْعَهْدِ، قُلْتُ لَهُمْ:

الافتتان

سَلَوْتُ عَنْ صِحَّتِي وَالْبُرِّ مِنْ سَقَمِي

مَا كُنْتُ قَبْلَ ظَبْيِ الْأَلْحَاطِ قَطُّ أَرَى

المراجعة

سَيْفًا أَرَأَقَ دَمِي إِلَّا عَلَى قَدَمِي

قَالُوا: اضْطَبِّرْ، قُلْتُ: صَبْرِي غَيْرُ مُتَّعٍ

المناقضة

قَالُوا: اسْلُهُمْ، قُلْتُ: وَدِّي غَيْرُ مُنْصَرِمٍ

وَإِنِّي سَوْفَ أَسْأَلُوهُمْ، إِذَا عَدِمْتُ

رُوحِي، وَأُحْيِيْتُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ

التغاير

فَاللَّهُ يَكْلَأُ عَذَابِي، وَيُلْهِمُهُمْ

الاكتفاء

قَالُوا: أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْحُبَّ غَايَتُهُ

تشابه الأطراف

لَمْ أَدْرِ قَبْلَ هَوَاهُمْ، وَالْهَوَى حَرَمٌ

الاستدراك

رَجَوْتُ أَنْ يَرْجِعُوا يَوْمًا فَقَدْ رَجَعُوا

الاستثناء

فَكُلَّمَا سَرَ قَلْبِي، وَاسْتَرَاحَ بِهِ

التشريع

فَلَوْ رَأَيْتَ مُصَابِي عِنْدَمَا رَحَلُوا

التمثيل

يَا غَائِبِينَ، لَقَدْ أَضْنَى الْهَوَى جَسَدِي

تجاهل العارف

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَسِحْرًا كَانَ حَبُّكُمْ

إرسال المثل

رَجَوْتُكُمْ نَصَحَاءَ فِي الشَّدَائِدِ لِي

التميم

وَكَمْ بَدَلْتُ طَرِيفِي وَالتَّلِيدَ لَكُمْ

الكلام الجامع

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّهْدَ رَاحَتَهُ

التوجيه

خَلْتُ الْفَضَائِلَ بَيْنَ النَّاسِ تَرْفَعُنِي

عَذَلِي فَقَدْ فَرَّجُوا كَرْبِي بِذِكْرِهِمْ

سَلَبُ الْخَوَاطِرِ وَالْأَلْبَابِ؟ قُلْتُ: لِمَ

أَنَّ الظُّبَاءَ تُجَلُّ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ

عِنْدَ الْعِتَابِ، وَلَكِنْ عَنِ وَفَا ذِمِّي

إِلَّا الدُّمُوعَ عَصَانِي بَعْدَ بُعْدِهِمْ

رَأَيْتَ لِي مِنْ عَذَابِي يَوْمَ بَيْنِهِمْ

وَالْغُصْنَ يَذْوِي لِفَقْدِ الْوَابِلِ الرَّزْمِ

أَزَالَ عَقْلِي، أَمْ ضَرَبَ مِنَ اللَّمَمِ

لِضَعْفِ رُشْدِي، وَاسْتَسَمَنْتُ ذَا وَرَمِ

طَوْعًا، وَأَرْضَيْتُ عَنْكُمْ كُلَّ مُخْتَصِمِ

فَلَا يَخَافُ لِلذُّعِ النَّحْلِ مِنْ أَلَمِ

بِالْإِبْتِدَاءِ، فَكَانَتْ أَحْرُفُ الْقَسَمِ

القسم

لَا لَقَبْتَنِي الْمَعَالِي بِابْنِ بَجْدَتِهَا

الاستعارة

إِنْ لَمْ أَحِثَّ مَطَايَا الْعَزْمِ مُثْقَلَةً

مراعاة النظر

تَجَارُ لَفْظِي إِلَى سُوقِ الْقَبُولِ بِهَا

براعة التخلص

مِنْ كُلِّ مُعْرَبَةٍ الْأَلْفَاظِ مُعْجَمَةٍ

الاطراد

مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي النَّبِيُّ أَجْ

التكرار

الطَّاهِرُ الشَّيْمِ ابْنِ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ ابْنِ

التورية

خَيْرُ التَّسْيِينِ، وَالْبُرْهَانُ مُتَّضِحٌ

المذهب الكلامي

كَمْ بَيْنَ مَنْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَلِيِّ بِهِ

التوشيح

أُمِّي خَطُّ أَبَانَ اللَّهُ مُعْجَزُهُ

المناسبة اللفظية

مُؤَيَّدُ الْعَزْمِ، وَالْأَبْطَالُ فِي قَلْقٍ

التكميل

نَفْسٌ مُؤَيَّدَةٌ بِالْحَقِّ تَعْضُدُهَا

العكس

أَبْدَى الْعَجَائِبِ، فَلَا عَمَى بِنَفْتِهِ

يَوْمَ الْفَخَارِ، وَلَا بَرَّ التُّقَى قَسَمِي

مِنْ الْقَوَافِي تَوْمُ الْمَجْدِ عَنْ أَمِّ

مِنْ لُجَّةِ الْفِكْرِ تُهْدِي جَوْهَرَ الْكَلِمِ

يَزِينُهَا مَدْحُ خَيْرِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

لِلْمُرْسَلِينَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ذِي الْكَرَمِ

بِنِ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ ابْنِ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ

فِي الْحَجْرِ عَقْلاً وَنَقْلاً وَاضِحُ اللَّقَمِ

وَبَيْنَ مَنْ جَاءَ بِاسْمِ اللَّهِ فِي الْقَسَمِ

بِطَاعَةِ الْمَاضِيَيْنِ: السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

مُؤَمَّلُ الصَّفْحِ، وَالْهَيْجَاءُ فِي ضَرَمِ

عِنَايَةً صَدَرَتْ عَنْ بَارِيءِ التَّسَمِ

عَدَا بَصِيرًا وَفِي الْحَرْبِ الْبَصِيرُ عَمِي

الترديد

لَهُ السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ، السَّلَامِ وَفِي

المبالغة

كَمْ قَدْ جَلَّتْ جَنَحَ لَيْلٍ النَّفْعِ طَلَعَتْهُ

الإغراق

فِي مَعْرِكٍ لَا تَثِيرُ الْخَيْلُ عَثِيرَهُ

الغلو

عَزِيزُ جَارٍ، لَوْ اللَّيْلُ اسْتَجَارَ بِهِ

الإيغال

كَأَنَّ مَرَأَهُ بَدْرٌ غَيْرُ مُسْتَتِرٍ

نفي الشيء بإيجابه

لَا يَهْدِمُ الْمَنُّ مِنْهُ عُمُرَ مَكْرُمَةٍ

الإشارة

يُولِي الْمُوَالِينَ مِنْ جَدْوَى شَفَاعَتِهِ

النوادر

كَأَنَّ مَا قَلْبُ مَعْنٍ مِلءٌ فِيهِ، فَلَمْ

الترشيح

إِنْ حَلَّ أَرْضَ أَنْاسٍ شَدَّ أَرْزُهُمْ

الجمع

أَرَاؤُهُ، وَعَطَايَاهُ، وَنَقَمَتُهُ

التفريق

فَجُودٌ كَفَيْهِ لَمْ تُقْلِعْ سَحَائِبُهُ

التقسيم

أَفْنَى جُيُوشِ الْعِدَا غَزَوْا فَلَسْتَ تَرَى

دَارِ السَّلَامِ تَرَاهُ شَافِعَ الْأَمِّ

وَالشُّهُبُ أَحْلَكَ أَلْوَاناً مِنَ الدُّهْمِ

مِمَّا تُرَوِّي الْمَوَاضِي تُزْبَهُ بِدَمٍ

مِنَ الصَّبَاحِ، لِعَاشِ النَّاسِ فِي الظُّلَمِ

وَطِيبَ رِيَاءِهِ مِسْكَ غَيْرِ مُكْتَتِمِ

وَلَا يَسُوءُ أَذَاهُ نَفْسَ مُتَّهِمِ

مُلْكاً كَبِيراً غَدَا مَا فِي نَفْسِهِمْ

يَقُولُ لِسَائِلِهِ يَوْمًا سِوَى نَعَمِ

بِمَا أَتَاخَ لَهُمْ مِنْ حَطِّ وَزْرِهِمْ

وَعَفْوُهُ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ

عَنِ الْعِبَادِ وَجُودُ الشُّحْبِ لَمْ يُقِمِ

سِوَى قَتِيلٍ وَمَأْسُورٍ وَمُنْهَزِمِ

الجمع مع التفريق

سَنَاهُ كَالنَّارِ يَجْلُو كُلَّ مُظْلِمَةٍ

الجمع والتقسيم

أَبَادَهُمْ، فَلَبَّيْتَ الْمَالَ مَا مَلَكَوْا

ائتلاف المعنى مع المعنى

مِنْ مُفْرَدٍ بِغَرَارِ السَّيْفِ مُنْتَثِرٍ

الاشترك

شَيْبُ الْمَفَارِقِ يَرُوي الضَّرْبُ مِنْ دِيهِمْ

الإيجاز

وَاسْتَحْدَمَ الدَّهْرَ يَنْهَاهُ وَيَأْمُرُهُ

المشاكلة

يَجْزِي إِسَاءَةً بِأَغْيِهِمْ بِسَيِّئَتِهِ

ائتلاف اللفظ مع المعنى

كَأَمَّا حَلَقُ السَّعْدِيِّ مُنْتَثِرٌ

التشبيه

حُرُوفٌ خَطٌّ عَلَى طِرْسٍ مُقَطَّعَةٍ

الاشتقاق

لَمْ يَلْقَ مَرْحَبٌ مِنْهُ مَرْحَباً وَرَأَى

التصريح

لِاقَامِهِمْ بِكُمَاةٍ عِنْدَ كَرِّهِمْ

التشطير

بِكُلِّ مُنْتَصِرٍ لِفَتْحِ مُنْتَظِرٍ

الترصيع

مِنْ حَاسِرٍ بِغَرَارِ الْعَضْبِ مُلْتَحِفٍ

وَالْبَاسُ كَالنَّارِ يُفْنِي كُلَّ مُجْتَرِمٍ

وَالرُّوحُ لِلسَّيْفِ، وَالْأشْلَاءُ لِلرَّخِمِ

وَمُزَوِّجٍ بِسِنَانِ الرُّمَحِ مُنْتَظِمِ

ذَوَائِبِ الْبَيْضِ بِبَيْضِ الْهِنْدِ لَا اللَّمَمِ

بِعَزْمٍ مُغْتَنِمٍ فِي زَيٍّْ مُغْتَرِمِ

وَلَمْ يَكُنْ عَادِيًّا مِنْهُمْ عَلَى إِرَمِ

عَلَى الشَّرَى بَيْنَ مُنْفَضٍّ وَمُنْفَصِمِ

جَاءَتْ بِهَا يَدُ عَمْرٍِ غَيْرِ مُفْتَهَمِ

ضِدًّا اسْمِهِ عِنْدَ هَذَا الْجِصْنِ وَالْأَطْمِ

عَلَى الْجُسُومِ دُرُوعٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ

وَكُلِّ مُغْتَرِمٍ بِالْحَقِّ مُلْتَزِمِ

أَوْ سَافِرٍ بِغُبَارِ الْحَرْبِ مُلْتَمِّمِ

الموازنة

مُسْتَقْتَلٍ، قَاتِلٍ، مُسْتَرْسِلٍ، عَجَلٍ

التجزئة

بِبَارِقِ خَزِيمٍ فِي مَازِقِ أَمَمٍ

التسجيع

فِعَالٌ مُنْتَظِمٌ الْأَحْوَالِ مُفْتَحِمٌ أَلْ

المماثلة

سَهْلٌ خَلَائِقُهُ، صَعْبٌ عَرَائِكُهُ

التسميط

فَالْحَقُّ فِي أَفْقٍ، وَالشَّرْكَ فِي نَفْقٍ

التطريز

فَالجَيْشُ وَالنَّفْعُ تَحْتَ الْجَوْنِ مُرْتَكِمٌ

الإرداف

بِفَيْتِيَةِ أَسْكَنُوا أَطْرَافَ سُمْرِهِمْ

الكناية

كُلُّ طَوِيلٍ نِجَادِ السَّيْفِ يُطْرِبُهُ

الالتزام

مِنْ كُلِّ مَبْتَدِرٍ لِلْمَوْتِ مُفْتَحِمٌ

المواردة

تَهْوَى الرِّقَابُ مَوَاضِيَهُمْ فَيَحْبِسُهَا

التجريد

شَوْسٌ تَرَى مِنْهُمْ، فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ

المجاز

صَالُوا، فَنَالُوا الْأَمَانِي مِنْ عُدَاتِهِمْ

مُسْتَأْصِلٍ، صَائِلٍ، مُسْتَفْجِمٍ خَصِمٍ

أَوْ سَائِقٍ عَرِمٍ فِي شَاهِقٍ عَالِمٍ

أَهْوَالٍ، مُلْتَزِمٍ، بِاللَّهِ مُعْتَصِمٍ

جَمٌّ عَجَائِبُهُ، فِي الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ

وَالكُفْرُ فِي فِرْقٍ، وَالدِّينُ فِي حَرَمٍ

فِي ظِلِّ مُرْتَكِمٍ فِي ظِلِّ مُرْتَكِمٍ

مِنَ الْكُمَاةِ، مَقَرَّ الضُّغْنِ وَالْأَضْمِ

وَقَعُ الصَّوَارِمِ كَالْأَوْتَارِ وَالنَّعْمِ

فِي مَازِقِ بَغْبَارِ الْحَرْبِ مُلْتَحِمِ

حَدِيدُهَا كَانَ أَغْلَالاً مِنَ الْقَدَمِ

أَسَدَ الْعَرِينِ إِذَا حَرَّ الْوَطِينِ حَمِي

بِبَارِقٍ فِي سِوَى الْهَيْجَاءِ لَمْ يُشَمِّ

الترتيب

لَمَّا رَوَى مَاؤُهُ أَرْضَ الْوَعَى بِدَمٍ

كَالنَّارِ مِنْهُ رِيَّاحُ الْمَوْتِ قَدْ عَصَفَتْ

الإلغاز

حَتَّى إِذَا ضَمَّهُ بَرْدُ الْمَقِيلِ ظَمِي

حَرَّانُ يَنْقَعُ حَرُّ الْكَرِّ غُلَّتْهُ

الإيضاح

أَمْثَالَهَا، ثَبَتَتْ فِي كُلِّ مُضْطَرِمٍ

قَادُوا الشَّوَابِ كَالْأَجْبَالِ حَامِلَةٌ

التوليد

وَلَا جَدِيدٌ مِنَ الْأَرْسَانِ وَاللُّجْمِ

مِنْ سُبْقِي لَا يُرَى سَوَاطِلَهَا سَمَلًا

سلامة الاختراع

حَتَّى تَشَابَهَتْ الْأَحْجَالُ بِالرَّثَمِ

كَادَتْ حَوَافِرُهَا تُدْمِي جَحَافِلَهَا

حسن الاتباع

فَيَرْجِعَانِ إِلَى الْأَثَارِ فِي الْأَكْمِ

يَكَابِرُ السَّمْعُ فِيهَا الطَّرْفَ حِينَ جَرَتْ

اتتلاف اللفظ مع اللفظ

فِي بَحْرِ حَرْبٍ بِمَوْجِ الْمَوْتِ مُلْتَطِمِ

خَاضُوا عُبابَ الْوَعَى وَالْخَيْلُ سَابِحَةٌ

التوهيم

مِنْ بَعْدِ مَا صَلَّتِ الْأَسْيَافُ فِي الْقِمَمِ

حَتَّى إِذَا صَدَرُوا وَالْخَيْلُ صَائِمَةٌ

تشبيه شيئين بشيئين

كَمَا تَلَاعَبَتِ الْأَشْبَالُ فِي الْأَجْمِ

تَلَاعَبُوا تَحْتَ ظِلِّ السُّمْرِ مِنْ مَرِحٍ

اتتلاف اللفظ مع الوزن

عَدْلٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَ الذُّئْبِ وَالْعَنَمِ

فِي ظِلِّ أُبْلَجٍ مَنْصُورِ اللَّوَاءِ، لَهُ

البسط

مُنَزَّةٌ لَفْظُهُ عَنِ «لَا» وَ«لَنْ» وَ«لَمْ»

سَهْلُ الْخَلَائِقِ سَمَحُ الْكَفِّ بَاسِطُهَا

السلب والإيجاب

وَيَمْنَعُ الْجَارَ مِنْ ضَيْمٍ وَمِنْ حَرَمٍ

أَعْرَأَ لَا يَمْنَعُ الرَّاجِينَ مَا سَأَلُوا

حصر الجزئي وإحاطه بالكلّي

شَخَصُ هُوَ الْعَالَمُ الْجُزْئِي فِي سَرَفِ

الفرائد

وَمَنْ لَهُ خَاطَبَ الْجَزْعُ الْيَبِيسُ، وَمَنْ

العنوان

وَالْعَاقِبُ الْحَبْرُ فِي نَجْرَانٍ لَاحَ لَهُ

حسن النسق

وَالذُّبُّ سَلَمٌ، وَالجِنِّيُّ، أَسْلَمَ وَال

التعريض

وَمَنْ أَتَى سَاجِدًا لِلَّهِ سَاعَتَهُ

الاتفاق

وَمَنْ عَدَا اسْمُ أُمَّهُ نَعْتًا لِأَمِينِهِ

اتتلاف المعنى مع الوزن

مَنْ مِثْلُهُ وَذِرَاعُ الشَّاةِ حَدَّثَهُ

المقلوب المستوي

هَلْ مَنْ يَنْتُمُّ بِحُبِّ مَنْ يَنْتُمُّ لَهُ

التهذيب والتأديب

هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي آيَاتُهُ ظَهَرَتْ

التقييد بحرف الميم

مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مَنْ خِيَمَتْ

الانسجام

فَذِكْرُهُ قَدْ أَتَى فِي «هَلْ أَتَى» وَ«سَبَا»

الإيداع

إِذَا رَأَتْهُ الْأَعَادِي قَالَ حَازِمُهُمْ:

وَنَفْسُهُ الْجَوْهَرُ الْكُلِّي فِي عِظَمِ

بِكَفِّهِ أَوْزَقَتْ عَجْرَاءٌ مِنْ سَلَمِ

يَوْمَ التَّبَاهُلِ عُقْبَى زَلَّةِ الْقَدَمِ

تُعْبَانُ كَلَّمٌ، وَالْأَمْوَاتُ فِي الرَّجَمِ

وَعَيْرُهُ سَاجِدٌ فِي الْعُمْرِ لِلصَّنَمِ

فَتِلْكَ آيَةٌ مِنْ سَائِرِ النَّقَمِ

عَنِ اسْمِهِ بِلِسَانِ صَادِقِ الرَّنَمِ

بِمَا رَمَوْهُ كَمَنْ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ رُمِيَ

مِنْ قَبْلِ مَظْهَرِهِ لِلنَّاسِ فِي الْقَدَمِ

بِمَجْدِهِ مُرْسَلُو الرَّحْمَنِ لِلْأَمَمِ

وَفَضْلُهُ ظَاهِرٌ فِي التُّونِ وَالْقَلَمِ

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ

التمكين

بِهِ اسْتَعَاثَ خَلِيلُ اللَّهِ حِينَ دَعَا

التسهيم

كَذَلِكَ يُؤْنَسُ نَاجِي رَبِّهِ، فَنَجَا

الاستعانة

دَعَا مَا يَقُولُ النَّصَارَى فِي مَسِيحِهِمْ

التفصيل

صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا طَلَعَتْ

التنكيث

وَأَلِهَ أَمْنَاءِ اللَّهِ مَنْ شَهِدَتْ

الحذف

آلِ الرَّسُولِ مَحَلَّ الْعِلْمِ، مَا حَكَمُوا

الاتساع

بِئْضِ الْمَفَارِقِ لَا عَابَ يُدَنَّسُهُمْ

التفسير

هُمُ النَّجُومُ بِهِمْ يُهْدَى الْأَنَامُ وَيُنَجَا

التعليل

لَهُمْ أَسَامٍ سَوَامٍ غَيْرُ خَافِيَةٍ

التعطيف

وَصَحْبُهُ مَنْ لَهُمْ فَضْلٌ، إِذَا افْتَخَرُوا

جمع المؤنث والمختلف

هُمُ هُمْ فِي جَمِيعِ الْفَضْلِ مَا عَدِمُوا

الاستبعا

الْبَادِلُ النَّفْسِ بِذَلِكَ الزَّادِ يَوْمَ قَرَى

رَبِّ الْعِبَادِ، فَتَالَ الْبَرْدَ فِي الضَّرَمِ

مِنْ بَطْنِ نُؤُنٍ لَهُ فِي الْيَمِّ مُلْتَقِمِ

مِنَ التَّعَالِي، وَقُلْ مَا شِئْتَ وَاحْتَكِمِ

شَمْسٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي دُجَى الظُّلَمِ

لِقَدْرِهِمْ سُورَةُ الْأَحْزَابِ بِالْعِظَمِ

لِلَّهِ، إِلَّا وَكَانُوا سَادَةَ الْأُمَمِ

شُمُّ الْأَنْوْفِ، طَوَالَ الْبَاعِ وَالْأَمَمِ

بُ الظَّلَامُ، وَيَهْمِي صَيِّبُ الدَّيَمِ

مِنْ أَجْلِهَا صَارَ يُدْعَى الْإِسْمُ بِالْعِلْمِ

مَا إِنْ يُقَصَّرُ عَنْ غَايَاتِ فَضْلِهِمْ

فَضْلَ الْإِخَاءِ وَنَصَّ الذِّكْرِ وَالرَّحِمِ

وَالصَّائِنُو الْعِرْضِ صَوْنِ الْجَارِ وَالْحَرَمِ

التدبيح

خَضُرُ الْمَرَابِيعِ حُمْرُ السُّمْرِ يَوْمَ وَعَى

الإبداع

ذَلَّ النَّصَارُ كَمَا عَزَّ النَّظِيرُ لَهُمْ

الاستخدام

مِنْ كُلِّ أْبْلَجٍ وَاِرِي الزَّنْدِ يَوْمَ نَدَى

الطاعة والعصيان

لَهُمْ تَهَلُّ وَجْهٍ بِالْحَيَاءِ كَمَا

التفريع

مَا رَوْضَةٌ وَشَعَ الْوَسْمِيُّ بُرْدَتَهَا

المدح في معرض الذم

لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بِهِمْ

التعديد

يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ يَا مَنْ عِلْمُهُ عَلَّمَ

المزاوجة

وَمَنْ إِذَا خِفْتُ فِي حَشْرِي وَكَانَ لَهُ

حسن البيان

وَعَدْتَنِي فِي مَنَامِي مَا وَثِقْتُ بِهِ

السهولة

فَقُلْتُ: هَذَا قَبُولُ جَاءَنِي سَلْفًا

الإدماج

لِصِدْقِ قَوْلِكَ لَوْ حَبَّ امْرُؤٌ حَجْرًا

الاحتراس

فَوَقَّفَنِي، غَيْرَ مَأْمُورٍ، وَعُودَكَ لِي

سُودُ الْوَقَائِعِ بِبُضِّ الْفَعْلِ وَالشَّيْمِ

بِالْفَضْلِ وَالْبَذْلِ فِي عِلْمٍ وَفِي كَرَمٍ

مُشَمَّرٍ عَنْهُ يَوْمَ الْحَرْبِ مُصْطَلِمٍ

مَقْصُورُهُ مُسْتَهْلٌ مِنْ أَكْفِهِمْ

يَوْمًا بِأَحْسَنَ مِنْ آثَارِ سَعْيِهِمْ

يَسْلُو عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالْحَشْمِ

وَالْعَدْلُ وَالْفَضْلُ وَالْإِنْفَاءُ لِلذَّمِّ

مَذْحِي، نَجَوْتُ وَكَانَ الْمَذْحُ مُعْتَصِمِي

مَعَ التَّقَاضِي بِمَذْحٍ فِيكَ مُنْتَظِمٍ

مَا نَالَهُ أَحَدٌ قَبْلِي مِنْ الْأَمِّ

لَكَانَ فِي الْحَشْرِ عَنْ مَثْوَاهِ لَمْ يُرِمِ

فَلَيْسَ رُؤْيَاكَ أَضْغَاثًا مِنَ الْحُلْمِ

براعة الطلب

فَقَدْ عَلِمْتَ بِمَا فِي النَّفْسِ مِنْ أَرْبٍ، وَأَنْتَ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِي لَهُ بِقَمِي

الاعتراض

فَإِنَّ مَنْ أَنْفَذَ الرَّحْمَنُ دَعْوَتَهُ وَأَنْتَ ذَاكَ، لَدَيْهِ الْجَارُ لَمْ يُضْم

المساواة

وَقَدْ مَدَحْتَ بِمَا تَمَّ الْبَدِيعُ بِهِ مَعَ حُسْنِ مُفْتَتِحِ مِنْهُ وَمُخْتَمِّمِ

العقد

مَا شَبَّ مِنْ خَصْلَتِي حِرْصِي وَمِنْ أَمْلِي سِوَى مَدِيحِكَ فِي شَيْبِي وَفِي هَرَمِي

الاقْتباس

هُذِي عَصَايَ الَّتِي فِيهَا مَارِبٌ لِي وَقَدْ أَهَشْتُ بِهَا طَوْرًا عَلَى غَنَمِي

التلميح (ويسمى حسن التضمين)

إِنْ أَلْقَاهَا تَتَلَقَّفُ كُلَّ مَا صَنَعُوا إِذَا أُتِيَتْ بِسِحْرِ مِنْ كَلَامِهِمْ

الرجوع

أَطَلْتُهَا ضِمْنَنَ تَقْصِيرِي، فَقَامَ بِهَا عُدْرِي، وَهَيْهَاتَ إِنْ الْعُدْرَ لَمْ يَقْم

براعة الختام

فَإِنَّ سَعِدْتُ فَمَدَحِي فِيكَ مُوجِبُهُ وَإِنْ شَقِيْتُ فَذَنْبِي مُوجِبُ النَّقْمِ

أما البديعية الثانية فهي «الحلة السَّيِّرَا فِي مَدْحِ خَيْرِ الْوَرَى»^(١): وهي البديعية الثانية في تاريخ هذا الفن، نظمها محمد بن أحمد بن عليّ المعروف بـ «ابن جابر الأندلسي الأعمى» المتوفى سنة (٧٨٠هـ). الذي ظنَّ البعض أنه صاحب أول بديعية في تاريخ الشعر العربي، وذلك لارتباط نظمه لها ببردة البوصيري، إذ قد افتتن بها فظهر أثرها في شعره، وقد شغل نفسه بمعارضتها، وهذا يعني أنّ معارضته للبردة ليست شرطاً لأوليئته وأسبقيته على صفي الدين، كما لا يعني ذلك أن يكون قد اطلع

(١) وقد عرفت هذه البديعية في خزانة ابن حجة باسم «بديعية العميان».

على بديعة الصفيّ وعارضها^(١)، إلا أنّ بديعته قد اتّصفت بما اتّصفت بها بديعة الصفيّ من مميّزات، لم لا، ومصدر المعارضة واحد؟ فكلاهما عارض البوصيريّ، فاستراح من البحث عن بحر وقافية وموضوع لقصيدته، وأمّا لماذا جعل مدحته هذه تشتمل على الفنون البديعية، فلعلّه تأثر بقصيدة الإربليّ الذي جمع بعض فنون البديع في منظومة غزليّة، فرأى أنّه من الأفضل أن يلتقي «البديع» و«المديح النبويّ» في قصيدة واحدة، آخذاً بطابع التأليف الطاعني على عصره في الصنعة والبديع.

ولعلّ ابن جابر قد نظم بديعته وفي ذهنه أمران: أولهما مدح «النبي» (ﷺ)، والتقرّب من الله تعالى بمدحه. والثاني: نظم أنواع البديع ضمن هذه القصيدة، لتخرج فريدة في نوعها، بديعة في مضمونها، يقترن فيها الجانب الوجداني بالجانب العلميّ في قالب فتيّ طريف، كما أنّه لا يُنسى أن عصر ابن جابر هو عصر المنظومات التعليمية التي قدّمت قواعد العلوم والفنون في قالب شعريّ، تسهيلاً لحفظها^(٢)، وإن كانت شعراً جامداً خالياً من العاطفة، إلا أنّ ابن جابر قد تخلّص من هذا الجمود بمقدرته الشعرية واستطاع أن يقدّم قصيدة فيها من الإحساس والعاطفة بقدر ما فيها من قضايا علمية.

وقد التقى ابن جابر مع صفيّ الدين في كثير من صفات بديعته، كوضوح المعاني وسلاسة الألفاظ، وعدم التكلّف، وصدق الإحساس الوجدانيّ، وفي عدم الالتزام بتسمية النوع البديعيّ في البيت، ولكنه خالفه من جهة عدم الإكثار من المحسّنات في قصيدته، جاريّاً فيها على طريقة بدر الدين بن مالك من حيث تقديم المحسّنات اللفظيّة على المعنويّة.

وتقع بديعة ابن جابر في مئة وسبعة وسبعين بيتاً، ضمّنها من أنواع البديع كلّ ما ذكره الخطيب القزوينيّ في «إيضاحه» و«تلخيصه»، والتزم بذكر هذه الأنواع ونظمها كما أوردها القزوينيّ، إلاّ أنه خالفه في تقديم القسم المتعلّق بالألفاظ على القسم المتعلّق بالمعاني من الأنواع البديعيّة.

(١) وقد سبق الحديث عن هذه البديعية في (٢) وقد نظم ابن جابر نفسه منظومة تعليمية الفصل الثاني أثناء الكلام على نشأة البديعات، حيث تمّ الفصل بينها وبين بديعية الصفيّ بأسبقية هذه عليها.

(٢) أخرى تتضمن «فصيح» ثعلب. (مقدمة الحلة السيرا ص ١٣).

وَتَمَيَّزَ بَدِيعِيَّةَ ابْنِ جَابِرٍ عَنْ غَيْرِهَا بِكَوْنِهَا تَفَرَّدَتْ بِحَصْرِ الْأَنْوَاعِ الْبَدِيعِيَّةِ الْمُحْضَةِ دُونَ إِشْرَاكِ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ كَمَا جَاءَ فِي غَيْرِهَا، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ ابْنَ جَابِرٍ قَدْ قَسَّمَ الْأَنْوَاعَ فِي أَيْبَاتِهِ إِلَى قَسْمَيْنِ: لَفْظِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ، سَائِراً عَلَى نَهْجِ مَهْدَةِ الْخَطِيبِ الْقَرْوِينِيِّ فِي «تَلْخِيصِهِ» وَ«إِيضَاحِهِ» وَإِنْ كَانَ مُخَالَفاً لَهُ بِذِكْرِ الْأَنْوَاعِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ قَبْلَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمَعْنَى.

وقد جمع ابن جابر في بديعيته ثلاثة وأربعين نوعاً دون تفرّيع، سوى الجنس الذي فرّعه إلى ثمانية أنواع، وبذلك تبلغ الأنواع عنده واحداً وخمسين نوعاً، موزّعة على مئة وواحدٍ وخمسين بيتاً، وقد تجزّأت أنواع الجنس الثمانية عنده لتبلغ ستين نوعاً، موزّعة على أربعةٍ وثلاثين بيتاً، وقد شمل التفرّيع كذلك معظم الأنواع عنده، فكان في القسم الأول المتعلّق باللفظ من أنواع البديع، ثلاثة وسبعون بيتاً، فيها ثمانية عشر نوعاً، مجزّأة إلى ستة وتسعين نوعاً، وفي القسم الثاني المتعلّق بالمعنى ثمانية وسبعون بيتاً، فيها واحد وثلاثون نوعاً، مجزّأة إلى خمسة وسبعين نوعاً، بالإضافة إلى نوعي «حسن المطلع»، و«حسن الختام». أمّا الأبيات الستة والعشرون المتبقية فهي تتمّة للقصيدة، لا يخلو كلّ منها من نوع بديعي من الأنواع المذكورة. وبهذا يكون مجموع الأنواع المجزّأة وغيرها مئة واثنين وسبعين نوعاً.

وبذلك كلّه تميّز هذه البديعية عن سواها بمجموعة من الأمور:

- الإقتصار على أنواع البديع المحضة.

- الفصل بين أنواع البديع اللفظية والمعنوية.

- تقسيم النوع الواحد إلى أجزاء في مرحلة مبكرة من تاريخ هذا الفنّ

«البديعيات».

- تميم البديعية بمجموعة من الأبيات غايتها اكتمال المعنى، وإن لم تكن تحمل

في أثنائها أنواعاً بديعية جديدة. بالإضافة إلى هذا كلّه فإن هذه البديعية قد أخذت بكثير من الأنواع البديعية إذا ما قورنت بغيرها.

وقد شرح ابن جابر بديعيته هذه شرحاً مختصراً جداً أطلق عليه اسم البديعية ذاتها

«الحلّة السّيرا في مدح خير الوري». ولعلّ اختصاره الشديد لشرحه حمل صديقه الرعينيّ على شرح هذه البديعية شرحاً مطوّلاً سمّاه «طراز الحلّة وشفاء الغلّة»^(١). وفي ما يلي عرض كامل لأبيات هذه البديعية كما وردت في «الحلّة السّيرا في مدح خير الوري»^(٢).

«الحلّة السّيرا في مدح خير الوري»

بَطَيَّبَةَ انزُلْ وَيَمِّمْ سَيِّدَ الْأُمَمِ
وَابْذُلْ دُمُوعَكَ وَاعْذُلْ كُلَّ مُضْطَبِّرٍ
سَنَا نَسِيٍّ أَبِيٍّ أَنْ يُضَيِّعَنَا
جَمِيلٍ خَلَقِي عَلَى حَقِّ جَزِيلِ نَدَى
كَفَّ الْعُدَاةَ، وَكَدَّتِ الْحَادِثَاتِ كَفَى
وَكَمَّ حَبَا وَعَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ حَنَا
مَا فَاءَ فِي فَضْحِهِ مَنْ فَاءَ لَيْسَ سِوَى
حَانَ عَلَى كُلِّ جَانِ حَابٍ أَنْ قَصَدُوا
لَيْثُ الشَّرَى إِذْ سَرَى مَوْلَاهُ صَارَ لَهُ
كَافِي الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ، كَافِلُهُمْ
أَجَارَ مِنْ كُلِّ مَنْ قَدْ جَارَ حِينَ أَتَى
وَعَامَ بَدْرٍ أَعَامَ الْخَيْلَ فِي دَمِيهِمْ
وَحَاقَ إِذْ جَحَدُوا حَقَّ الرَّسُولِ بِهِمْ
فَهَدَّ أَطَامَ مَنْ قَدْ هَادَ إِذْ طَمَعُوا
وَجَلَّ عَنْ فَضْحٍ مَنْ أَخْفَى فَجَامَلَهُمْ
مَنْ زَارَهُ يَقِيهِ أَوْزَارُهُ وَتَوَى

وَأَنْشُرُ لَهُ الْمَدْحَ وَأَنْتُرُ أَطْيَبَ الْكَلِمِ
وَالْحَقُّ بِمَنْ سَارَ وَالْحَظُّ مَا عَلَى الْعَلَمِ
سَلِيلِ مَجْدِ سَلِيمِ الْعِرْضِ مُحْتَرَمِ
هَدَى، وَفَاضَ نَدَى كَفْيِهِ كَالدَّيَمِ
فَكَمْ جَرَى مِنْ جَدَا كَفْيِهِ مِنْ نِعَمِ
وَكَمَّ صَفَا وَضَفَا جُوداً لِيَجْبِرَهُمْ
عَذْلٍ بِعَدْلٍ وَتُضْحِجَ غَيْرِ مُتَّهَمِ
حَامِ شَفَى مِنْ شَقَا جَهْلٍ وَمِنْ عَدَمِ
جَاراً فَجَارَ وَنَيْلاً مِنْهُ لَمْ يَرْمِ
وَاقِي النَّدَى لِمُوافِي ذَلِكَ الْحَرَمِ
حَتَّى أَتَاخَ لَنَا عِزّاً فَلَمْ نُضَمِّ
حَتَّى أَبَاتَ أبا جَهْلٍ عَلَى نَدَمِ
كَبِيرُهُمْ أَرَاهُمْ نَزَعَ هَامِيهِمْ
فِي شَتِّهِ فَرَمَاهُمْ فِي شَتَاتِيهِمْ
مَا رَدَّ رَائِدَ رِفْدٍ مِنْ جُنَاتِيهِمْ
لَهُ نَوَافِلَ بَدْلٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ

(١) وقد حظيت هذه البديعية بشروح أخرى، انظر ذلك في بدايات الفصل السابق.

(٢) انظر «الحلّة السّيرا» ص ٢٧-١٥٧.

كَالغَيْثِ فَاضَ إِذَ الْمَحْلِ اسْتَفَاضَ تَلَا
 سَلْ مِنْهُمْ صِلَةٌ لِلصَّبِّ وَاصِلَةٌ
 أَقِمْ إِلَى قُصْدِهِمْ سُوقَ السُّرَى وَأَقِمْ
 وَالْحَقُّ بِمَنْ كَاسَ وَاحْتَثُّ كَاسَ كُلِّ سُرَى
 عُجَّ بِي عَلَيْهِمْ فَعَجِبِي مِنْ جَفَاءِ فَتَى
 دَعَّ عَنْكَ سَلْمَى وَسَلَّ مَا بِالْعَقِيَّتِي جَرَى
 مَنْ لِي بِدَارِ كِرَامٍ فِي الْبِدَارِ لَهَا
 بَانُوا فَهَانَ دَمِي وَجَدَا، فَهَا نَدَمِي
 يُوَلُونَ مَا لَهُمْ مَنْ قَدْ لَجَا لَهُمْ
 يَا بَرْدَ قَلْبِي إِذَا بُرِّدَ الْوِصَالِ ضَفَا
 مَا كَانَ مَنَعُ دَمِي بُخْلًا بِهِ لَهُمْ
 أَهْلًا بِهَا مِنْ دِمَاءٍ فِيهِمْ بُذِلَتْ
 مَنْ نَالَهُ جَاهُهُمْ مِثْلًا لَهُ ثِقَّةٌ
 بَدَارِ وَالْحَقُّ بِدَارِ الْهَاشِمِيِّ بِنَا
 جَزَمِي لَيْسَ سَارَ رَكْبٌ لَا أُرَافِقُهُ
 فَأَيُّ كَرْبٍ لِرَكْبٍ يُبْصِرُونَ سَنَا
 مَتَى أَحُلُّ جَمَى قَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
 جَارَ الزَّمَانُ فَكَفَّوْا جَوْرَهُ وَكَفَّوْا
 وَحَقَّهُمْ مَا نَسِينَا عَهْدَ حُبِّهِمْ
 لَا يَنْقُضِي أَلْمِي حَتَّى أَرَى بَلْدًا
 وَقَدْ تَشَمَّرَ ثَوْبُ النَّقْعِ عَنْ أُمِّ
 مَتَى أَرَى جَارَ قَوْمٍ عَزَّ جَارُهُمْ
 صَبَّ الدَّمُوعِ كَأَمْثَالِ الْعَقِيَّتِ عَلَى
 أَبْحَثُ فِيهِمْ دَمِي لِلشُّوقِ يَمْرُجُهُ

أَنفَالَ جُودٍ تَلَا فَي تَالَفَ النَّسَمِ
 وَالنَّمِ أَنَامِلَ أَقْوَامِ أَنَا بِهِمْ
 بِدَارِ عِزٍّ وَسُوقَ الْأَيْتُوقِ التَّمِ
 فَالذَّهْرُ إِنْ جَارَ رَاعَى جَارَ بَيْتِهِمْ
 جَارَ الدِّيَارِ وَلَمْ يُلُومْ بِرَبْعِهِمْ
 وَأُمَّ سَلْعًا وَسَلَّ عَنْ أَهْلِهِ الْقُدُمِ
 عِزٍّ، فَمَنْ قَدْ لَهَا عَنْ ذَاكَ يُهْتَضَمِ
 فَقَدْ أَرَأَى قَدَمِي فِيْمَا أَرَى قَدَمِي
 فَاشْدُدْ يَدًا بِهِمْ وَانزِلْ بِبَابِهِمْ
 وَيَا لَهَيْبِ قُوَادِي بَعْدَ بُعْدِهِمْ
 لَكِنْ تَخَوَّفْتُ قَبْلَ الْقُرْبِ مِنْ عَدَمِ
 وَحَبْنَا وَرُدُّ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِهِمْ
 أَنْ لَا يُصَابَ بِضَمِّ تَحْتَ جَاهِهِمْ
 قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمَهْمَا اسْطَعْتَ فَاعْتَنِمِ
 فَلَا أُفَارِقُ مَرْجِي أَدْمَعِي بِدَمِي
 بَرَقَ لِقَبْرِ مَتَى تَبْلُغُهُ تُحْتَرَمِ
 قَلْبِي، وَكَمْ هَائِمٍ قَبْلِي بِحُبِّهِمْ
 وَهَلْ أَضَامُ لَدَى عُرْبٍ عَلَى إِضَمِ
 وَلَا طَلَبْنَا سِوَاهُمْ، لَا وَحَقَّهُمْ
 فِيهِ الَّذِي رَيْقُهُ يَشْفِي مِنَ الْأَلَمِ
 شَتَّى يَوْمُونَ طَرًّا سَيِّدَ الْأُمَمِ
 عَهْدُ عَلِيِّ السُّرَى حِفْظًا لِعَهْدِهِمْ
 وَادِي الْعَقِيَّتِ اشْتِيَاقًا حَقَّ صَبِّهِمْ
 بِمَاءِ دَمْعِي عَلَى خَدِّي، وَقُلْتُ: دُمِ

حَيْثُ الْمُلُوكُ تَغْضُّ الطَّرْفَ كَالْخَدَمِ
 نَعِيمُهُ أَنْ يُرَى يَسْرِي مَعَ النَّعَمِ
 كَالطَّيْرِ مُشْتَمِلٍ بِاللَّيْلِ مُلْتَمِمِ
 فِي الْحَقِّ مُجْتَهِدٍ لِلرُّسُلِ مُخْتَمِمِ
 بِالْعَيْسِ لَا مُسْنِمِ يَوْمًا وَلَا سَنِمِ
 لِلْقُرْبِ مُغْتَنِمِ لِلتُّرْبِ مُلْتَمِمِ
 كَمْ حَلٍّ مِنْ كَرَمٍ فِي ذَلِكَ الْحَرَمِ
 جَارٍ زَفِيْعُ الدَّرَا نَاهٍ لِمُجْتَرِمِ
 وَنَثْرُ جَمْعِي لِذَاكَ الْجَمْعِ مُغْتَنِمِي
 وَسَيْلُ دَمْعِي بِذَيْلِ التُّرْبِ كَالدَّيْمِ
 بَحْرَ السَّرَابِ وَعَيْنُ الْقَيْظِ لَمْ تَنَمِ:
 فَقُلْتُ: سِيرُوا، فَهَذَا الْبَحْرُ مِنْ أَمَمِ
 وَعَمَّ نَفْعًا فَكَمْ ضُرٌّ شَفَى وَكَمِ
 وَجُودُ تِلْكَ الْأَيْدِي قَدْ ضَفَا فُقَمِ
 وَقَيْلٍ: سَلْ تُعْطَ قَدْ خَيْرَتْ فَاخْتَكِمِ
 مَا بَيْنَ مَاءٍ وَطِينٍ غَيْرِ مُلْتَمِمِ
 إِنَّا مُحْيُوكَ مِنْ رُبْعِ لِمُسْتَلِمِ
 فَقَالَ: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ هَذَا أَوْفَرُ الْقَسَمِ
 رَوْضٌ مِنَ الْخُلْدِ نَقْلٌ غَيْرُ مُتَّهَمِ
 عِدَاهُ، نُورٌ بِهِ إِزْشَادُ كُلِّ عَمِ
 لَوْ عَاشَ أَبْصَرَ مَا قَدْ عَدَّ مِنْ شَيْمِ
 كَأَنَّ يَوْشَعَ رَدَّ الشَّمْسِ فِي الظُّلَمِ
 قَرَعَ الرَّمَاحَ بِبَدْرِ ظَهَرَ مُنْهَزِمِ
 لِسَانِ دَاوُدَ ذِكْرٌ غَيْرُ مُنْصَرِمِ

وَلَيْسَ يَكْثُرُ إِنْ آثَرْتُ نَضْحَ دَمِي
 مِنْ سَائِلِ الدَّمْعِ سَالٍ عَنِ مَعَاهِدِهِ
 لِلسَّيْرِ مُبْتَدِرٍ كَالسَّيْلِ مُخْتَفِرٍ
 قَصْدًا لِمُرْتَقِبِ اللَّهِ مُنْتَصِرٍ
 مَنْ لِي بِمُسْتَسْلِمٍ لِلْبَيْدِ مُغْتَصِمِ
 لِلْبَرِّ مُفْتَحِمٍ لِلْبِرِّ مُلْتَزِمِ
 يَسْرِي إِلَى بَلَدٍ مَا ضَاقَ عَنْ أَحَدِ
 دَارٍ شَفِيْعُ الْوَرَى فِيهَا لِمُغْتَصِمِ
 فَهَجْرُ رَبِّي لِذَاكَ الرَّبِّ مُغْتَنِمِي
 وَمَيْلُ سَمْعِي لِتَيْلِ الْقُرْبِ مِنْ شَيْمِي
 يَقُولُ صَحْبِي وَسُقْنُ الْعَيْسِ خَائِضَةٌ
 يَمُّ بِنَا الْبَحْرِ إِنْ الرَّكْبَ فِي ظَمًا
 وَافٍ كَرِيمٌ رَحِيمٌ قَدْ وَفَى وَوَقَى
 فَقَمُّ بِنَا فَلَكُمْ فَقْرٌ كَفَى كَرَمًا
 دُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى حَتَّى دَنَا فَرَأَى
 وَكَانَ آدَمُ، إِذْ كَانَتْ نُبُوَّتُهُ،
 صَافِحُ ثَرَاهُ، وَقُلْ إِنْ جِئْتَ مُسْتَلِمًا:
 قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ فِي الذُّكْرِ الْحَكِيمِ بِهِ
 مَا بَيْنَ مِنْبَرِهِ السَّامِي وَحُجْرَتِهِ
 مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سُلَّ عَلَى
 إِنْ الَّذِي قَالَ: «يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِهِ»،
 تَلُوحٌ تَحْتَ رِدَاءِ النَّفْعِ عُرْتُهُ
 وَتَفْرَعُ السَّمْعِ عَنْ حَقِّ زَوَاجِرُهُ
 قَالَتْ عِدَاهُ: لَنَا ذِكْرٌ، فَقُلْتُ: عَلَى

إِنِّي لِأَرْجُو بِنَظْمِي فِي مَدَائِحِهِ
 وَإِنَّ لِيَلِيَّ إِلَّا أَنْ أُوَافِيَهُ
 نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أَرْقُدْ وَلِي زَجَلٌ
 أَقُولُ: «يَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ»، وَأُنشِدُهُ
 فَقُلْتُ لِلرَّكِبِ لَمَّا أَنْ عَلَا بِهِمْ
 الْمَنَحَةُ مِنْ سَنَا بَرْقٍ عَلَى عَلَمٍ
 أَعْرُ أَكْمَلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
 يَا حَادِي الرَّكِبِ إِنْ لَاحَتْ مَنَازِلُهُ
 وَاسْمَحْ بِنَفْسِكَ وَابْذُلْ فِي زِيَارَتِهِ
 وَاسْهَرْ إِذَا نَامَ سَارٍ، وَامْضِ حَيْثُ وَتَى
 بِوَاطِيءٍ فَوْقَ خَدِّ الصُّبْحِ مُشْتَهَرٍ
 إِلَى نَيْبِي رَأَى مَا لَا رَأَى مَلِكٌ
 جَدُّوا فَأَقْدَمَ ذُو عِزٍّ وَرَامَ سُرى
 فَسَوَدَ الْعَجْزُ مُبْيَضَّ الْمُنَى وَعَدَا
 فِي قَصْدِهِمْ رَافِقِ الْإِلْفَيْنِ: أْبْيَضَ ذَا
 قَدْ أَغْرَقَ الدَّمْعُ أَجْفَانِي وَأَدْخَلَنِي
 مَا أْبْيَضَ وَجْهُ الْمُنَى إِلَّا لِأَغْبَرَ مِنْ
 فَلُدُّ بِبَرٍّ رَحِيمٍ بِالْبَرِيَّةِ إِنْ
 يُرَوَى حَدِيثُ النَّدَى وَالْبِشْرَ عَنْ يَدِهِ
 تَبْكِي ظَبَاهُ دَمًا وَالسَّيْفُ مُبْتَسِمٌ
 دَمْعٌ بِلَا مُقَلٍ، ضِحْكٌ بِغَيْرِ فَمٍ
 جَاوِزُهُ يَمْنَعُ، وَلُدُّ يَشْفَعُ، وَسَلُهُ يَهَبُ
 لَمْ يَخْشَ قِرْنَا وَيَخْشَى الْقِرُنُ صَوْلَتُهُ
 وَالشَّمْسُ رُدَّتْ وَبَدْرُ الْأَفْقِ شَقَّ لَهُ

رَجَاءَ كَعْبٍ وَمَنْ يَمْدَحُهُ لَمْ يُضَمِّ
 لَيْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ مِنْ طَوْلٍ وَمَنْ سَأَمَ
 بِذِكْرِهِ فِي ذِرَا الْوَحَاذَةِ الرَّسْمِ
 بَيْتَ ابْنِ حُجْرٍ وَفَجْرِي غَيْرُ مُبْتَسِمِ
 تَلَقُّتُ الطَّرْفَ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّلَمِ:
 أَمْ نُورُ خَيْرِ الْوَرَى مِنْ جَانِبِ الْخَيْمِ!؟
 حُسْنًا وَأَمْلَحُ مَنْ حَاوَزْتَ فِي كَلِمِ
 فَاهْتَفِ: أَلَا عِمَّ صَبَاحًا، وَاذَنْ وَاسْتَلِمِ
 كَرَائِمَ الْمَالِ مِنْ خَيْلٍ وَمِنْ نَعَمِ
 وَاسْمَحْ إِذَا شَحَّ نَفْسًا، وَاسِرْ إِنْ يَقُمِ
 وَطَائِرٍ تَحْتَ ذَيْلِ اللَّيْلِ مُكْتَسِمِ
 وَقَامَ حَيْثُ أَمِينُ الْوَحْيِ لَمْ يَقُمِ
 فَلَمْ تَجِدْ وَلَمْ تُقْدِمْ وَلَمْ تَرْمِ
 مُخَضَّرُ عَيْشِكَ مُغْبَرًّا لِفَقْدِهِمْ
 بِشْرٍ وَأَسْوَدَ مَهْمَا شَابَ يَبْتَسِمِ
 نَارَ الْأَسَى عَزَمِي الْوَانِي، فَوَانْدَمِي
 خَوْضِ الْعُبَارِ أَمَامَ الْكُومِ فِي الْأَكَمِ
 عَقَّتْكَ شِدَّةُ دَهْرٍ عَاقَ وَاعْتَصِمِ
 وَوَجْهُهُ بَيْنَ مُنْهَلٍّ وَمُبْتَسِمِ
 يَخْطُ كَالثُّونِ بَيْنَ اللَّامِ وَاللَّمَمِ
 كَتَبُ بِغَيْرِ يَدٍ، خَطُّ بِلَا قَلَمِ
 وَعُدُّ يَعُدُّ، وَاسْتَرَدُّ يَفْعَلُ، وَدُمُّ يَدُمُ
 فَهُوَ الْمَنِيعُ الْمُبِيحُ الْأَسَدُ لِلرَّحِمِ
 وَالنَّجْمُ أَيْنَعُ مِنْهُ كُلُّ مُنْحَطِمِ

وَأِذَا دَعَا السُّحْبَ حَالَ الصَّخْرِ فَانْسَجَمَتْ
سَقَاهُمْ الْغَيْثُ مَاءً إِذْ سَقَى ذَهَباً
قَدْ أَفْصَحَ الضُّبُّ تَصْدِيقاً لِبِعْثَتِهِ
الْهَاشِمِ الْأَسَدِ هَشَمَ الزَّادِ تَبْدُلُهُ
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ تَحْتَ الْعَيْمِ عُرَّتُهُ
إِذَا تَبَسَّمَ فِي حَرْبٍ وَصَاحَ بِهِمْ
قَلُّوا بِبَدْرِ فَقَلُّوا غَرْبَ شَائِيهِمْ
فَابْيَضَّ بَعْدَ سَوَادِ قَلْبٍ مُنْتَصِرٍ
فَاتَّبَعَ رِجَالَ السُّرَى فِي الْبَيْدِ وَأَسْرَ لَهُ
خَيْرُ اللَّيَالِي لِيَالِي الْخَيْرِ فِي إِضْمٍ
بِعَزْمِهِمْ بَلَّغُوا خَيْرَ الْأَنَامِ فَقَدْ
يَقُومُ بِالْأَلْفِ صَاعٍ حِينَ يُطْعِمُهُمْ
مَنْ الْغَزَالَةُ قَدْ رُدَّتْ لِطَاعَتِهِ
دَانِي الْقُطُوفِ جَمِيلِ الْعَفْوِ مَقْتَدِرٍ
لَا يَرْفَعُ الْعَيْنَ لِلرَّاجِحِينَ يَمْنَحُهُمْ
يَا قَاطِعَ الْبَيْدِ يَسْرِبُهَا عَلَى قَدَمٍ
قَدْ اعْتَصَمْتَ بِأَقْوَامٍ جَفُونُهُمْ
جَوَازِمُ الصَّبْرِ عَنْ فِعْلِ الْجَوَى مُنِعَتْ
فِي الْقَلْبِ وَالطَّرْفِ مِنْ أَهْلِ الْجَمَى قَمَرٍ
يَا مُتْهِمِينَ عَسَى أَنْ تُنْجِدُوا رِجَالاً
أَغَارَ دَهْرٍ رَمَى بِالْبَعْدِ نَازِحِنَا
إِنَّ الْعَضَى لَسْتُ أَنْسَى أَهْلَهُ فَهُمْ
جَرَى الْعَقِيقُ بِقَلْبِي بَعْدَمَا رَحَلُوا
حَيْثُ الَّذِي إِنْ بَدَا فِي قَوْمِهِ وَحَبَا

وَمِنْ يَدَيْهِ اذْعُمَا إِنْ شِئْتَ تَنْسَجِمِ
فَغَيْرُ كَفِّهِ إِنْ أَمَحَلْتَ لَا تَشِمِ
إِفْصَاحُ قُوسٍ وَسَمْعُ الْقَوْمِ لَمْ يَهْمِ
بَنَانُ هَاشِمِ الْوَهَابِ لِلطَّعْمِ
فِي النَّفْعِ حَيْثُ وَجُوهُ الْأَسَدِ كَالْحُمَمِ
يُبْكِي الْأَسْوَدَ وَيَزِيْمِي اللَّسْنَ بِالْبَكَمِ
بِهِ وَمَا قَلَّ جَمْعُ بِالرَّسُولِ حُمِي
وَأَسْوَدٌ بَعْدَ بِيَاضٍ وَجْهٌ مُنْهَزِمِ
سُرَى الرِّجَالِ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْهَمَمِ
وَالْقَوْمِ قَدْ بَلَغُوا أَقْصَى مُرَادِهِمْ
فَارُؤُوا وَمَا بَلَغُوا إِلَّا بِعَزْمِهِمْ
وَالصَّاعُ مِنْ غَيْرِهِ بَاطِنِينَ لَمْ يَقُمْ
لَوْ رَامَ أَنْ لَا تَزُورَ الْجَدْيَ لَمْ تَرُمْ
مَا ضَاقَ مِنْهُ لَجَانٍ وَاسِعُ الْكَرَمِ
بَلْ يَخْفِضُ الرَّأْسَ قَوْلًا: هَاكَ فَاخْتِكِمِ
شَوْقاً إِلَيْهِ لَقَدْ أَصْبَحْتَ ذَا قَدَمِ
لَا تَعْرِفُ السَّيْفَ خَلُوعاً مِنْ خَضَابِ دَمِ
وَرَفَعَهُ حَالَ إِلَّا حَالَ قُرْبِهِمْ
مَنْ يَعْتَصِمُ بِحِمَاةِ الرَّحْبِ يُحْتَرَمِ
لَمْ يَسْأَلْ عَنْكُمْ وَلَمْ يُصْبِحْ بِمُتَّهَمِ
فَأَنْجِدُوا يَا كِرَامَ الذَّاتِ وَالشَّيْمِ
شَبُوهُ بَيْنَ ضُلُوعِي يَوْمَ بَيْنِهِمْ
وَلَوْ جَرَى مِنْ دَمِوعِ الْعَيْنِ لَمْ أَلَمِ
عُفَاتِهِ وَرَمَى الْأَعْدَاءَ بِالنَّقَمِ

فالبدْرُ فِي شُهْبِهِ وَالغَيْثُ جَادٌ لِذِي
 وَإِنْ عَلَا التَّقْعُ فِي يَوْمِ الْوَعَى فَدَعَا
 تَرَى الثَّرِيًّا تَقْوُدُ الشُّهْبَ يَرْسُلُهَا
 أَخْفُوا فِي الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ بَعَثْتُهُ
 قَدْ أَحْرَزَ الْبَاسَ وَالْإِحْسَانَ فِي نَسَقِي
 لَا يَسْتَوِي الْغَيْثُ مَعَ كَفِيهِ: نَائِلٌ ذَا
 غَيْثَانِ: أَمَّا الَّذِي مِنْ فَيْضِ أُنْمُلِهِ
 جَلَا قُلُوبًا وَأَحْيَا أَنْفُسًا وَهَدَى
 يُرِيكَ بِالْيَوْمِ مِثْلَ الْأَمْسِ مِنْ كَرَمٍ
 فَلَذِ بِمَنْ كَفَّهُ وَالْبَحْرُ مَا افْتَرَقَا
 وَالْمَالُ وَالْمَاءُ مِنْ كَفِيهِ قَدْ جَرِيَا
 فَازَ الْمُجْدَانِ دَانٍ أَوْ مُدِيمُ سُرَى
 مِنْ وَجْهِ أَحْمَدَ لِي بَدْرٌ وَمِنْ يَدِهِ
 كَمْ قُلْتُ: يَا نَفْسَ مَا أَنْصَفْتَ أَنْ رَحَلُوا
 يَمُّ نَبِيًّا تُبَارِي الرَّيْحَ أُنْمُلُهُ
 لَوْ قَابَلَ الشُّهْبَ لَيْلًا فِي مَطَالِعِهَا
 تَكَادُ تَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ
 لَوْ عَامَتِ الْفُلُكُ فِيمَا فَاضَ مِنْ يَدِهِ
 تُحِيْطُ كَفَّهُ بِالْبَحْرِ الْمُحِيْطِ فَلَذِ
 لَوْ لَمْ تُحِطْ كَفَّهُ بِالْبَحْرِ مَا شَمِلَتْ
 لَمْ تَبْرُقِ السُّحْبُ إِلَّا أَنَّهَا فَرَحَتْ
 وَالْمَاءُ لَوْ لَمْ يَفِضْ مِنْ بَيْنِ أُنْمُلِهِ
 يَسْتَحْسِنُ الْفَقْرَ ذُو الدُّنْيَا لِيَسْأَلَهُ
 وَالْبَدْرُ أَبْقَى بِمَرَاهٍ لِيُعْلِمَنَا

مَحَلِّ وَلِيثُ الشَّرَى قَدْ صَالَ فِي الْغَنَمِ
 أَنْصَارَهُ وَأَجَالَ الْخَيْلَ فِي اللَّجْمِ
 لِيثُ هَدَى الْأَسَدَ خَوْضَ الْبَحْرِ فِي الظُّلْمِ
 فَأَظْهَرَ اللَّهُ مَا أَخْفَوْا بِرَغْمِهِمْ
 وَالْعِلْمَ وَالْجِلْمَ قَبْلَ الذِّكْرِ لِلْحُلْمِ
 مَاءٌ وَنَائِلٌ ذَا مَالٍ فَلَا تَهُمُ
 فِدَائِمٌ وَالَّذِي لِلْمُزْنِ لَمْ يَدْمُ
 عُمِيًّا وَأَسْمَعَ آذَانًا ذَوِي صَمَمٍ
 وَلَيْسَ فِي غَدِيهِ هَذَا بِمُنْعَدِمٍ
 إِلَّا بِكَفِّ وَبِحْرِ فِي كَلَامِهِمْ
 هَذَا لِرَاجٍ وَذَا لِلْجَيْشِ حِينَ ظَمِي
 فَذَلِكَ نَاجٍ وَذَا رَاجٍ لِحُودِهِمْ
 بَحْرٌ، وَمِنْ فَمِهِ دُرٌّ لِمُنْتَظِمٍ
 وَمَا رَحَلَتْ، وَقَامُوا ثُمَّ لَمْ تَقُمْ
 وَالْمُزْنَ مِنْ كُلِّ هَامِي الْوَدْقِ مُرْتَكِمٍ
 خَرَّتْ حَيَاءً وَأَبْدَتْ بِرَّ مُحْتَرِمٍ
 إِلَى الْوَرَى نُطْفُ الْأَبْنَاءِ فِي الرَّجِمِ
 لَمْ تَلَقْ أَعْظَمَ بَحْرًا مِنْهُ إِنْ تَعِمِ
 بِهِ وَدَعِ كُلَّ طَامِي الْمَوْجِ مُلْتَظِمِ
 كُلُّ الْأَنَامِ وَأَزَوَتْ قَلْبَ كُلِّ ظَمِي
 إِذْ ظَلَّلَتْهُ فَأَبْدَتْ وَجْهَ مُبْتَسِمِ
 مَا كَانَ رِيُّ الظَّمَا فِي وَرْدِهِ الشَّيْمِ
 فَيَأْمَنُ الْفَقْرَ مِمَّا نَالَ مِنْ نَعَمِ
 بِالْإِنْشِقَاقِ لَهُ آثَارٌ مُنْثَلِمِ

أزال ضرَّ البعيرِ المُستَجِيرِ كما
 من أعرَبِ العُربِ إلا أنَّ نَسَبَتَهُ
 لا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ لا تَرَى لَهُمْ
 مَا عَابَ مِنْهُمُ عَدُوٌّ غَيْرَ أَنَّهُمْ
 مَنْ غَضَّ مِنْ مَجْدِهِمْ فَالْمَجْدُ عَنْهُ نَأَى
 لا خَيْرَ فِي الْمَرْءِ لَمْ يَعْرِفْ حُقُوقَهُمْ
 عَيْبَتِ عِدَاهُمْ فَزَانُوهُمْ بِأَنْ تَرَكَوا
 تَجْرِي دِمَاءَ الْأَعَادِي مِنْ سُيُوفِهِمْ
 لَهُمْ أَحَادِيثُ مَجْدٍ كَالرِّيَاضِ إِذَا
 تَرَى الْغَنِيِّ لَدَيْهِمْ وَالْفَقِيرَ وَقَدْ
 قُلَّ لِلصَّبَاحِ إِذَا مَا لَاحَ نُورُهُمْ
 إِذَا بَدَأَ الْبَدْرُ تَحْتَ اللَّيْلِ قُلْتُ لَهُ:
 كَانُوا غُيُوثًا وَلَكِنْ لِلْعَفَاةِ كَمَا
 كَمْ قَائِلٍ قَالَ: حَازَ الْمَجْدَ وَارِثُهُ
 قَدْ أَوْرَثَ الْمَجْدَ عَبْدَ اللَّهِ شَيْبَةَ عَنْ
 فَجَاءَ فِيهِمْ بِمَنْ جَالَ السَّمَاءَ وَمَنْ
 فَالْعُربُ خَيْرٌ أَنْاسٍ ثُمَّ خَيْرُهُمْ
 قَوْمٌ إِذَا قِيلَ: مَنْ؟ قَالُوا: نَبِيُّكُمْ
 إِنْ تَقْرَأَ النَّحْلُ تُنَجِّلُ جِسْمَ حَاسِدِهِمْ
 قَوْمُ النَّبِيِّ فَإِنْ تَحْفَلُ بِغَيْرِهِمْ
 إِنْ تَجَحَّدِ الْعُجْمُ فَضَّلَ الْعُربُ قُلْ لَهُمْ:
 مَنْ فَضَّلَ الْعُجْمُ فَضَّ اللهُ فَاهُ وَلَوْ
 بَدَأَ وَخَتَمًا وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ قَدْ
 لَعْنُ خَدَمْتُ بِحُسْنِ الْمَدْحِ حَضْرَتَهُ

بِهِ الْغَزَالَةُ قَدْ لَادَتْ فَلَمْ تُضْمِ
 إِلَى قُرَيْشٍ حُمَاةَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
 ضَيْفًا يَجُوعُ، وَلَا جَارًا بِمُبْهَتَضَمِ
 لَمْ يَضْرِفُوا السَّيْفَ يَوْمًا عَنْ عَدُوِّهِمْ
 لَكِنَّهُ غُصَّ إِذْ سَادُوا عَلَى الْأُمَمِ
 لَكِنَّهُ مِنْ ذَوِي الْأَهْوَاءِ وَالثُّهَمِ
 سُيُوفُهُمْ وَهِيَ تَبْجَانٌ لِهَامِيهِمْ
 مِثْلَ الْمَوَاهِبِ تَجْرِي مِنْ أَكْفِهِمْ
 أَهْدَتْ نَوَاسِمَ تُحْيِي بَالِي النَّسَمِ
 عَادَا سَوَاءً فَلِزِمَ بَابَ قَصْدِهِمْ
 إِنْ كَانَ عِنْدَكَ هَذَا الثُّورُ فَابْتَسِمِ
 أَنْتَ يَا بَدْرُ أَمْ مَرَأَى وَجُوهِهِمْ!
 كَانُوا لِيُوثًا وَلَكِنْ فِي عُدَاتِهِمْ
 فَقُلْتُ: هُمْ وَارِثُوهُ عَنْ جُدُودِهِمْ
 عَمْرٍو بِنِ عَبْدِ مَنَافٍ عَنْ قُصِيِّهِمْ
 سَمَا عَلَى النَّجْمِ فِي سَامِي بِيُوتِهِمْ
 قُرَيْشُهُمْ وَهُوَ فِيهِمْ خَيْرٌ خَيْرِهِمْ
 مِثًا فَهَلْ هَذِهِ تُلْفَى لِغَيْرِهِمْ
 وَفِي «بَرَاءة» يَبْدُو وَجْهُ جَاهِهِمْ
 بَيْنَ الْوَرَى فَقَدْ اسْتَسَمَّنَتْ ذَا وَرَمِ
 خَيْرُ الْوَرَى مِنْكُمْ أَمْ مِنْ صَمِيهِمْ
 فَاهُوا لَعَصُوا وَغَضُوا مِنْ نَبِيِّهِمْ
 دَانَتْ لَهُ الرُّسُلُ مِنْ عُربٍ وَمِنْ عَجَمِ
 فَذَلِكَ فِي حَقِّهِ مِنْ أَيْسَرِ الْخَدَمِ

لِمَدْحِهِ فَبِعَبْضِ الْبَعْضِ لَمْ أَقْمِ
 مَدْحُ مِنَ اللَّهِ مَثَلُ كُلِّ فَمِ
 مَنْ ذَا الَّذِي حَوْلَ ذَلِكَ الْجُودِ لَمْ يَحْمِ
 صَعُرْتُ قَدْرًا فَقَدْ أَمَلْتُ ذَا عِظَمِ
 كُبُرُ الْكَبَائِرِ وَالْإِلْمَامُ بِاللَّمَمِ
 مَا قَالَ: نَفْسِي نَفْسِي كُلُّ مُحْتَرَمِ
 وَرَأْسُ مَالِي سُؤَالِي خَيْرَ مُعْتَصَمِ
 يَرْجُو رِضَاكَ عَسَى يَنْجُو مِنَ الْأَلَمِ
 آلا وَصَحْبًا هُمْ رُكْنِي وَمُلْتَزَمِي
 أَفَارِقُ الْحُبَّ لِلْفَارُوقِ لَيْسَ فِيهِمْ
 نَخَافُ نَارًا وَإِنَّا أَهْلُ حُبِّهِمْ
 غَوِيٍّ وَسِبْطِيهِ سَمْطِي جِيدَ مَجْدِهِمْ
 بِأَسِ وَأَطْوِي زَمَانِي فِي ضَمَانِهِمْ
 أَرْجُو وَأَنْجُو مِنَ الْبَلَوِي بِبَالِهِمْ
 أَجَلٌ وَأُبْغِضُ مَنْ يُعْزِي لِبُغْضِهِمْ
 وَلَا يَمَلُّ لِسَانِي مِنْ حَدِيثِهِمْ
 فَأَجْعَلُ الْعُذْرَ وَالْإِفْرَارَ مُحْتَمِي

وَإِنْ أَقَمْتُ أَفَانَيْنِ الْبَدِيعِ حُلِي
 وَمَا مَحَلُّ فَمِي وَالشُّعْرِ حَيْثُ أَتَى
 لِكَيْتَنِي حُمْتُ مَا حَوْلَ الْجَمَى طَمَعًا
 يَا أَعْظَمَ الرُّسُلِ حَاشَا أَنْ أُخَيَّبَ وَإِنْ
 لَعَلَّنِي مَعَ عِلَاتِي سَتُغْفَرُ لِي
 أَنْتَ الشَّفِيعُ الرَّفِيعُ الْمُسْتَجِيبُ إِذَا
 مَالِي سِوَاكَ فَأَمَالِي مُحَقَّقَةٌ
 فَاشْفَعْ لِعَبْدِكَ وَادْفَعْ ضُرِّي ذِي أَمَلِ
 حَسْبِي صَلَاتُ صَلَاةٍ سُحْبُهَا شَمِلْتُ
 بِصِدْقِ حُبِّي فِي الصَّدِيقِ فُزْتُ وَلَا
 وَقَدْ أَنَارَ بِذِي التُّورَيْنِ صَدْرِي هَلْ
 بَغَيْتُهُمْ يَوْمَ إِحْسَانِ أَبِي حَسَنِ
 أَطْفِي بِحَمْرَةَ وَالْعَبَّاسِ جَمْرَةَ ذِي
 صَحْبِ الرَّسُولِ هُمْ سُؤْلِي وَجُودُهُمْ
 أَحِبُّ مَنْ حَبَّهُمْ مِنْ أَجْلِ مَنْ صَحِبُوا
 هُمْ مَالِي وَأَمَالِي أَمِيلُ لَهُمْ
 لَكِنْ وَإِنْ طَالَ مَدْحِي لَا أَفِي أَبَدًا

أما البديعية الثالثة فهي «التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع»: وهي البديعية الثالثة في تاريخ هذا الفن، ولعلها لم تعرف اسماً خاصاً بها فاقترن اسمها باسم شرحها «التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع». نظمها علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر، عز الدين الموصلبي المتوفى سنة (٧٨٩هـ.)، معارضاً بها بديعية صفي الدين الحلبي^(١)، إلا أنه زاد عليه الالتزام بالتورية باسم النوع، وذلك بأن يودع كل بيت من أبياتها اسم النوع البديعي بطريقة التورية أو الاستخدام. ومثال على ذلك ما

(١) الدرر الكامنة ٣/١١٢.

جاء في المطلع «براعتي تستهل»، فإنها تشير إلى «براعة الاستهلال» أحد المحسنات البديعية؛ ومثال آخر: «دع المعاصي . . . بالاستعارة . . . العقم» يشير إلى اسم النوع ضمن البيت. وهذا ديدنه في أبيات بديعته جميعها. ولعلّ الموصليّ أراد بذلك أن يظهر تفوّقه على صفّي الدين الحلّي الذي لم يلتزم بتضمين البيت اسم النوع البديعيّ اكتفاءً بالتعريف بها بالأمثلة من ناحية، وبذكر أسمائها بجانب الأبيات من ناحية أخرى. وقد علّق ابن حجّة الحموي على بديعة الموصليّ بقوله: «... قصيدة بديعية للشيخ عزّ الدين الموصليّ . . . التزم فيها بتسمية النوع البديعيّ، وورّى به من جنس الغزل، لتمييز ذلك على الشيخ صفّي الدين الحلّي . . . لأنّه ما التزم ببديعته بحمل هذا العبء الثقيل غير أنّ الشيخ عزّ الدين ما أعرب عن بناء بيوت ما أذن الله أن ترفع، ولا طالت يده لإبهام العقادة إلى شيء من إشارات ابن أبي الأصعب، وربما رضي في الغالب، بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمّى، ونثر شمل الألفاظ والمعاني، لشدة ما عقده نظماً»^(١).

ويقارن عبد الغني النابلسي في «نفحاته» بين الموصليّ والحلّي، بقوله: «ثم جاء بعده عزّ الدين الموصليّ . . . فعارضه بقصيدة على منوال قصيدته، وذكر من الأنواع ما ذكره، وزاد عليه بعض شيء يسير من اختراعاته، معجباً بذكر اسم النوع البديعيّ في ألفاظ البيت، مورياً به لثلاً يحتاج إلى تعريف النوع من خارج النظم، ولكنه تعسّف وتكلّف في غالب أبياته، وهجر مضجع الرقة والانسجام، ثمّ شرحها شرحاً يتّين فيه مقصده ومراده مع الاختصار، ولم يشف غلّة الأفكار، ثمّ جاء بعده العلامة تقي الدين أبو بكر ابن حجّة الحمويّ . . . فعارضه وجاراه وزاحمه فيما اقترحه واجترأه . . .»^(٢).

وتقع بديعية عزّ الدين الموصليّ في مئة وواحدٍ وأربعين بيتاً من الشعر^(٣)، جمع

(١) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب، خطبة المؤلف ١/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) انظر نفحات الأزهار ص ٣.

(٣) كما وردت في الخزانة ونفحات الأزهار. أما في «علم البديع» لعبد العزيز عتيق فذكر أنها في مئة وخمسة وأربعين بيتاً؛ وفي «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» لأحمد مطلوب ذكر أنها في مئة وأربعين بيتاً؛ وفي البديعيات في الأدب العربي لعلي أبو زيد ذكر أنها في مئة وتسعة وثلاثين بيتاً.

فيها مئة وستة وأربعين نوعاً بديعياً، وبذلك يكون قد قصر عن صفّي الدين الحلّي بخمسة أنواع، وهي: «التسليم»، و«الموازنة»، و«الاستعانة»، و«التوزيع»، و«السهولة».

وما يميّز هذه البديعية عن سابقتها أنّ الموصليّ قد استنّ فيها سنّة جديدة في فنّ البديعيات، وذلك بالتزامه تسمية النوع البديعيّ ضمن البيت بعد تضمينه ذلك النوع وجعله شاهداً عليه؛ وبذلك يكون الموصليّ أوّل من أضاف جديداً إلى هذا الفنّ، وهذا ما دفع أحمد إبراهيم موسى إلى وضعه في الطور الثالث من أطوار البديعيّات؛ ثمّ سار عدد من الشعراء على طريقته، وابتعد عنها بعضهم لاعتقادهم أنّ ليس في صنيعه إلزام يجب أن يُحتذى بالإضافة إلى إعناته للناظم.

كما تميّزت بديعيته بكونها أوّل بديعيّة ترتبط باسم شرحها، إذ كان الناظم قبله ينظم بديعيته ويمنحها اسماً، ثم يعكف عليها بالشرح أو يشرحها غيره، ويعطى هذا الشرح اسماً جديداً، فالحلّيّ سمّى بديعيته «الكافية البديعية في المدائح النبوية» وشرحها هو وسمّى شرحه «التتائج الإلهية»؛ وابن جابر سمّى بديعيته «الحلّة السيرا في مدح خير الورى»، وشرحها صديقه أبو جعفر الرعينيّ شرحاً مفصّلاً سماه «طراز الحلّة وشفاء الغلّة»؛ أمّا الموصليّ فقد سمّى البديعية وشرحها بل بديعيته المشروحة «التوصل بالبديع إلى التوسّل بالشفيع».

ويبدو أنّ الموصليّ قد أراد أن يتفوق على الصفيّ بابتداع السنن، فعمد إلى ذلك الالتزام وإلى تلك الطريقة في التسمية، وهذا ديدنه في طريق الابتداع، إذ نظم بديعية أخرى على رويّ اللام المضمومة، على وزن «بانت سعاد»، وبذلك يكون أوّل من أضاف جديداً إلى فنّ البديعيات بالتورية باسم النوع ضمن البيت، وأوّل من خالف قوانينها فنظمها على غير رويّ، وأوّل من سنّ نظّم أكثر من بديعية من قبل شاعر واحد؛ بالإضافة إلى كونه أوّل من قرن اسم بديعيّة باسم شرحها. وكان ممّن اتبع شيئاً من سننه هذه: ابن حجاج المعروف بـ«عويس» الذي نظم بديعيّة على رويّ الراء مخالفاً قانون «البديعيات»، وشعبان الآثاري الذي نظم ثلاث بديعيّات على رويّ واحد، وابن حجّة الحمويّ الذي ضمّن البيت في بديعيته اسم النوع البديعيّ، وعائشة الباعونية التي سمّت إحدى بديعيّتها وشرحها باسم «الفتح المبين في مدح الأمين». وهذه أبيات بديعيّته «التوصل بالبديع إلى التوسّل بالشفيع»، كما وردت في

بديعية عز الدين الموصلي: «التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع»

- ١- براعتي تستهلّ الدمع في العلم
 - ٢- فحيّ سلمى وسل ما ركبت بشذاً
 - ٣- ملقّق مُظْهر سرّي وشان دمي
 - ٤- يذيل العذل جارّ جارح بأذى
 - ٥- مُذتّم للعين أنس حين طرفها
 - ٦- هل من تقّي نقّي حين صحف لي
 - ٧- لفظي حُضي على حظي يمانعه
 - ٨- وكافرٍ نَعَم الإحسان في عدلٍ
 - ٩- يستطرّد الشوق خيل الدمع سابقه
 - ١٠- دَع المعاصي فشيّب الرأس مشتعلاً
 - ١١- والعين قرّت بهم لَمّا بها سمحوا
 - ١٢- هَزَل أريد به جدّ عتابك لي
 - ١٣- ليل الشبابِ وحُسن الوصلِ قابلهُ
 - ١٤- وما التفّت لساعٍ حجّ في شغفي
 - ١٥- كان افتناني بشغري راق مبسمه
 - ١٦- فكم حميت بالاستدراك ذا أسفٍ
 - ١٧- نشرٌ ويسرٌ وبشرٌ من شذاً وندي
 - ١٨- أبكي فتضحك من دُرّ مطابقة
 - ١٩- لقد تفيهقت بالتشديق في عدلي
 - ٢٠- تخيير قلبي هوى السادات صحّ به
 - ٢١- أبهمت نصحي مشيراً بالأصابع لي
- عبارة عن نداء المفرد العلم
قد أطلقتته أمام الحيّ عن أمم
لما جرى من عيوني إذ وشى ندمي
كلاحقٍ ماحقٍ الآثار في الأكم
مرأى الحبيب ببذل العين لم ألم
محرف القول زان الحكم بالحكم
مقلوب معنى ملا الأحشاء بالألم
كظلمة الليل عن ذا المعنوي عمي
يفضل السحب فضل العُرب للعجم
بالاستعارة من أرواحها العُقم
واستخدموها من الأعداء فلم تنم
كما كتمت بياض الشيب بالكتم
صبح المشيب وقبح الهجر يا ندمي
ما أنت للركن من وجدي بملتزم
صار افتناني بشغري فيه سفك دمي
لكن على المشتهى والبرء من سقمي
وأوجه فتعرّف طييّ نشرهم
حتى تشابه منشورٌ بمنظم
كيف النزاهة عن ذي الأشدق الخضم
عهدي وإتي لحزني ثابت الأكم
ليت الوجود رمى الإبهام بالعدم

٢٢- أنوارٌ بهجته إرسالها مثلاً
 ٢٣- لقد تهكمتُ في ما قد منحك من
 ٢٤- راجعتُ في القول إذ طَلقتُ سلوتَهُمْ
 ٢٥- عقلي ونومي بتوشيح الهوى سلباً
 ٢٦- أطرافك اشتبهتُ قولاً متى تَلِم
 ٢٧- تغاير الحال حتى للنوى فئة
 ٢٨- تذييل عيشي ورزقي قسمةً حصلتُ
 ٢٩- فَوَفَّ أرقَّ انظم انثرُ خُصَّ عُمَّ أفدُ
 ٣٠- لَأَثَّتْ أَفْتَحُ ذهناً في مواربةِ
 ٣١- كلامه جامعٌ وصف الكمال كما
 ٣٢- إنني أناقض عهد النازحين إذا
 ٣٣- فهِمَّ بصدرِ جمالٍ عجزُ عاشقِهِ
 ٣٤- قالوا: مُدامُ الهوى قول بموجبه
 ٣٥- في معرض المدح تهجي من قبيلته
 ٣٦- الناس كلُّ ولا استثناء لي عذروا
 ٣٧- وفي الهوى ضلُّ تشريع العذول لنا
 ٣٨- والبدرُ مذ لآخ في التتميم دان له
 ٣٩- وعارِفِ مُذُ بدأ بدري تجاهل لي
 ٤٠- وما اكتفى الحب كسَفِ الشمسِ منه إذا
 ٤١- وَأَدَعِ النظير من القوم الألى سلفوا
 ٤٢- من التعاظم تمثيل الزمان به
 ٤٣- نزهتُ طرفي وسمعي في محاسنه
 ٤٤- عتبتُ نفسي إذ أتعبتُها بهوى
 ٤٥- برئتُ من سلفي والشم من هممي

٤٦- حسن التخلّص من ذنبي العظيم غداً
 ٤٧- محمّد ابنُ عبد الله شيبَةَ جَدِّ
 ٤٨- خير المقالِ مقالُ الخيرِ فأصغِ وَدَعْ
 ٤٩- له الجميل من الله الجميل على الـ
 ٥٠- تكرارُ مدحي هدىً في الشاملِ النعمِ اِذْ
 ٥١- بمذهبٍ من كلامِ الله ينسخُ شَرُّ
 ٥٢- أَلَمْ تَرَ الجودَ يجري في يديه أَلَمْ
 ٥٣- وَمَنْ عطاياه رَوْضٌ وَشَعْتُهُ يَدٌ
 ٥٤- تَمَّتْ محاسنُهُ والله كَمَلَهُ
 ٥٥- قالوا هو البحر والتفريق بينهما
 ٥٦- تشطير معتدل بالسيفٍ مشتمل
 ٥٧- وقيل للبدْر تشبيهه إليه نَعَم
 ٥٨- وبأن في كُتُبِ التاريخ من قِدَمِ
 ٥٩- شيثانٍ يُشبه شيثينٍ انتبه لهما
 ٦٠- بأن انسجام كلام منزلٍ عجبٍ
 ٦١- تفصيلٌ مدحك تجميلٍ لذي أدبٍ
 ٦٢- نوادر من جنانٍ كالجنانِ زَهَتْ
 ٦٣- امدح وجزّ كُلَّ حَمْدٍ في مبالغَةٍ
 ٦٤- لو شاءَ إغراقَ وجهِ الأرضِ أجمعه
 ٦٥- في مدحه نفحاتٌ لا غُلُوٌّ بها
 ٦٦- ذو معنيينٍ بصحبٍ والعدى ائتلفا
 ٦٧- لِم يَنْفِ ذمّاً بإيجاب المديح فتى
 ٦٨- أضحتْ أعاديه في الأقطار طائراً
 ٦٩- والله هَدَّبَهُ طفلاً وأدَبَهُ

بمدحٍ أكرمِ خَلَقِ الله كُلَّهُم
 ذو ابن عمرو كرامٍ في أطرادِهِم
 عكس الصوابِ مع التبديل تستقم
 وَجْهَ الجميلِ بترديدٍ من النِّعَمِ
 من الشاملِ النعمِ ابن الشاملِ النعمِ
 عَ الأولين ببشرى من كلامِهِم
 تَسْمَعُ مناسبةً في قولِهِم بِفَمِ
 تُغني عَنِ الأجودين: البحرِ والدِّيمِ
 فقدَرُهُ في الوري في غايةِ العظَمِ
 إذ ذاك غَمٌّ وهذا فارحُ الغُصَمِ
 في جحفلٍ لهم كالأسدِ في الأجمِ
 نجمُ الثُّريا لَهُ كالنعلِ في القَدَمِ
 تلميحُ قصّةِ موسى مع مَعَدَّهُم
 حِلْمٌ وجهلٌ هما كالبرءِ والسَّقَمِ
 يهدي ويخبرنا عن سالفِ الأُممِ
 أوصالُهُ لَفَّتِ البلوى من الرِّقَمِ
 أم هل بدتْ واضحاتِ الحسنِ من إرَمِ
 حَقّاً ولا تُطَرِّ تُقْبَلُ غَيْرَ مُتَّهَمِ
 ندى يَدِيهِ لأحيائها ولم تُضَمِ
 يكاد يُحْيِي شذاها بالي الرَّمَمِ
 للخلفِ ما أشهبُ البازيِّ كالرَّخَمِ
 إلّا وعاقذتْ فيه الدَّهْرَ بالسَّلَمِ
 وأوغلتْ في الهوى خوفاً مع العُصَمِ
 فلم يَحُلْ هديهِ الزاكي ولم يُرَمِ

٧٠- لم يستحل بانعكاسٍ في سجيته
 ٧١- آتاه رُبُّكَ آياتٍ بتورية
 ٧٢- يجزي بسيئةٍ للضدِّ سيئةٌ
 ٧٣- علمٌ ومالٌ على جمعٍ يُقسَّمُهُ
 ٧٤- وعزُّهُ النارُ في جمعٍ يُفَرِّقُهُ
 ٧٥- ما تشتهي النفسُ يُهدَى في إشارته
 ٧٦- مالي بتوليدٍ مدحي في سواه هُدَى
 ٧٧- داع كثير رمادٍ القدرِ إن وُصِفَتْ
 ٧٨- للفضْلِ والفضلِ والإلطافِ منه ترى
 ٧٩- إيجاب إمداحه بالحلم يمنع من
 ٨٠- تقسيمه الدهر يوماً أمسهُ لغدٍ
 ٨١- وسَلْ زمانك تَلَفَ الكُتُبِ راويةٌ
 ٨٢- وللغزاة تسليمٌ به اشتركت
 ٨٣- لا زال بالعزَماتِ العُرِّ والهَمَمِ
 ٨٤- فلا اعتراضَ علينا في السؤالِ به
 ٨٥- رُمْتُ الرجوعَ من الأمداحِ أنظمها
 ٨٦- له الملائكُ والإنسانُ أجمعهم
 ٨٧- ميمٌ وحَا في اشتقاقِ الاسمِ محو عدَى
 ٨٨- محمَّدٌ واسمه بالاتِّفاقِ له
 ٨٩- وكم أبدعوا روضَ عدلٍ بعد طولهم
 ٩٠- يبدي مماثلةً يعطي مناسبةً
 ٩١- فألحقَ الجزءَ بالكُلِّيِّ منحصرأ
 ٩٢- كم حصحصَ الحقُّ إذ وافت فرائده
 ٩٣- في الفتحِ ضمٌّ من الأنصارِ شملهم

مُذِنِ أَخَا طَعْمٍ مُعْطِ أَخَا نَدَمِ
 قد أعجزتُ كلَّ حَبْرٍ خطاً بالقلمِ
 معنى مشاكلةٍ من خير منتقمِ
 هذا لَعْمَرٍ وهذا نفعٌ مُعْتَرِمِ
 ووجهُ النورِ يجلو ظلمةَ الغشمِ
 يعطي فنوناً بلا مَنْ ولا سَأَمِ
 لمعشر شبَّهوا الهنديَّ بالجَلَمِ
 كنايةً بطنها والظهرُ بالدَّسَمِ
 والعلمِ والحلمِ جمعٌ غيرُ منحرمِ
 سلبُ النفوسِ ولم يمنع من الكرمِ
 في الجَلَمِ والجودِ والإيفاءِ للذمِ
 إيجازٌ معنَى طويلِ الذكْرِ مُرْتَسِمِ
 مع التي هي ترعى نرجسَ الظلمِ
 مصرَعُ الضدِّ بالتشطيرِ في القممِ
 أعني الرسولَ لكي أنجو من الضَّرَمِ
 سوى مديحِ سديدِ القولِ محترمِ
 والجنِّ والوحشِ في الترتيبِ كالخدمِ
 والميمِ والدالِ مدَّ الخيرِ للأممِ
 وَصَفٌ يشاكلُهُ في اسمه العلمِ
 وَأَثَرُ عُوا حَوْضَ فَضْلِ قَبْلِ قولهم
 يحوي مجانسةً في الكَلِمِ والكَلِيمِ
 إذ دينُهُ الجنسُ للأديانِ كُلِّهِمِ
 وفي الوطيسِ بداً ثبتاً بلا بَرَمِ
 جبراً لِكَسْرِ بترشيحِ من الرَّجِمِ

٩٤- بشرى المسيح أتت عنوانَ دعوته
 ٩٥- تسهيمه في الوعى حسماً لمتصل
 ٩٦- للدين والنقع تطريزٌ لمحترم
 ٩٧- ففي براءة تنكيتٌ بمدحته
 ٩٨- للطعن والضرب إردافٌ يحلُّ به
 ٩٩- وأودعوا الفضلَ في الأصحابِ شرفهم
 ١٠٠- يا سائراً مفرداً أعرئتَ لحنك في
 ١٠١- إن المنافق لغزُّ قلبه زغلُّ
 ١٠٢- سلامةٌ لاختراعي في علاهمي
 ١٠٣- ذكرُ الإمامِ وابنيهِ يفسرُهُ
 ١٠٤- والجذعُ حنٌّ إليه بعد فرقتيه
 ١٠٥- كُتِبَ المدائحُ تستوفي علاه ولو
 ١٠٦- للخير والشرِّ إيضاحٌ به فبداً
 ١٠٧- ما الدوخُ تفريعه بالزهرِ مُتسِقُ
 ١٠٨- فالضيقُ أذهبَ والتوفيقُ سببٌ والث
 ١٠٩- تعديد أوصافهم في المدح يُعجزنا
 ١١٠- تعليلُ طيبِ نسيمِ الروضِ حينَ سرى
 ١١١- تعطفوا برضى أحبابهم وعلى
 ١١٢- يستتبعون ببذلِ العلمِ بذلَ ندَى
 ١١٣- أطاعه وعصاه المؤمنون ومن
 ١١٤- في معرض اللذمِّ إن قيلَ المديحُ فهمُ
 ١١٥- ذو بسطِ كفٍّ وخلقي زانه خلقُ
 ١١٦- بان اتساع المعاني في الصحابة كال
 ١١٧- جمعٌ لمؤلفٍ فيهم ومختلف

وقبله كلُّ هادٍ صادقٍ قدم
 تسليمه في الرضا وصلٌ لمنحسِم
 في نَصْرٍ محترمٍ في حفظٍ محترمٍ
 معناه في الشرحِ يشفي داءَ ذي البكم
 في موضع العقل يحكيه ذو الحكيم
 بين الرجال، وإن كانوا ذوي رَجِم
 توهيم منَع رضاعِ الشاءِ من حلَم
 وهو المعنى كمثل الأرزة الرزم
 إسمي وفعلي كحرفٍ عند رَسْمهم
 عليّ والحسنانِ أكرمٍ بذكرهم
 حسنٌ اتباعٍ لتلك الأربعِ الحُرْم
 تواردت في نظامٍ غيرٍ منصرم
 أمرٌ وعن ذاك نهى حُبُّ نُصْحهم
 نظماً بأطيب من تعريفِ ذكرهم
 تنسيقٌ رتبَ في تصديقِ حُكْمهم
 أهلُ التقى والتقا والمجد والهَم
 بآته نال بعضاً من ثنائهم
 أعدائهم عطفوا بالصارمِ الخذِم
 ويحفظون المعالي حفظَ عرضهم
 ناءى كذا الفرقُ بين الإنسِ والتعم
 لا عيبَ فيهم سوى الإعدامِ للتعَم
 أثنى عليه إلهُ العرشِ بالعِظَم
 فاروقٍ ثمَّ شهيدِ الدارِ ذي الحُرْم
 في العلمِ والحلم مع تقديمِ ذي قَدَم

١١٨- تطويلُ تعريضِ شانِيهِمْ يعظْمُهُمْ
 ١١٩- كم رَصَعُوا كَلِمًا مِنْ دُرٍّ لَفْظِهِمْ
 ١٢٠- كم قَاتِلٍ بِصَمِيمِ الْجَمْعِ مُقْتَحِمِ
 ١٢١- تَسْمِيْطُ ذِي عَجَبٍ تَنْظِيْمُ ذِي أَرْبِ
 ١٢٢- لِي التَّزَامُ بِمَدْحِي خَيْرَ مَعْتَصِمِ
 ١٢٣- إِذَا تَزَاوَجَ خَوْفُ الذَّنْبِ فِي خَلْدِي
 ١٢٤- ذِي فَضْلِ أَنْدِيَةِ ذِي عَدْلِ تَجْزِيَةِ
 ١٢٥- مِنْ لَفْظِهِ وَاعْظُ بِالنُّصْحِ جَرْدَنِي
 ١٢٦- أَحْيَا فَوَادِي مَجَازِي نَحْوِ حُجْرَتِهِ
 ١٢٧- تُؤَلَّفُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى فَصَاحَتُهُ
 ١٢٨- أَوْلَّفُ اللَّفْظَ مَعَ وَزْنٍ بِمَدْحِهِ مَوْ
 ١٢٩- تُؤَلَّفُ الْوِزْنَ وَالْمَعْنَى مَدَائِحُهُ
 ١٣٠- سَارُوا وَجَدُوا النَّوَى فَاللَّفْظُ مَوْلَفُ
 ١٣١- تَمَكِّينُ حُبِّكَ فِي قَلْبِي بِهِ نُسِخْتُ
 ١٣٢- أَرُومِ إِسْقَاطِ ذَنْبِي بِالصَّلَاةِ عَلَى
 ١٣٣- خَضْرُ الْمَرَاعِ حُمْرُ الْبَيْضِ سُوْدُ رَدَى
 ١٣٤- فَاصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ
 ١٣٥- حَسَنُ الْبَيَانِ بِحَمْدِ اللَّهِ بَيِّنَ لِي
 ١٣٦- أَدْمَجْتُ شَكْوَايَ مِنْ ذَنْبِي بِمَدْحَتِهِ
 ١٣٧- حَبِّي لَهُ قَدْ تَمَشَّى فِي الْمَفَاصِلِ، قُلْ
 ١٣٨- بَرَاعَةٌ بَانَ فِيهَا مُنْتَهَى طَلْبِي
 ١٣٩- عَقْدُ الْيَقِيْنِ صَلَاتِي وَالسَّلَامُ عَلَى
 ١٤٠- حُطَّتْ مَسَاوَاةَ مَعْنَاهُ وَصُورَتِهِ
 ١٤١- فَاجْعَلْ لَهُ مَخْلَصًا مِنْ قُبْحِ زَلَّتِهِ

والرفضُ أَقْبَحُ شَيْءٍ مُوجِبِ الْأَضْمِ
 كم أَبَدَعُوا حِكْمًا فِي سِرِّ عُلْمِهِمْ
 وقَائِلٍ لِنَظْمِ السَّجْعِ مُلْتَزِمِ
 تحْقِيقُ ذِي غَلْبٍ بِالنَّصْرِ مُلْتَزِمِ
 بَرْتِهِ وَارْتِبَاطُ غَيْرِ مَنْفَصِمِ
 ذَكَرْتُ أَنَّ نَجَاتِي فِي مَدِيحِهِمْ
 فَالذَّنْبُ فِي ظَلَمٍ يَمْشِي مَعَ الْعَنَمِ
 يَا نَفْسُ تُوبِي وَلِلتَّجْرِيدِ فَالْتَرَمِي
 وَقَدْ دَهَشْتُ لَجَمْعِ فِيهِ مُزْدَجِمِ
 تَبَارَكَ اللَّهُ مُنْشِي الدَّرِّ فِي الْكَلِمِ
 لَأَنَا وَذَمُّ عَدُوِّ بَيِّنِ الثَّلَمِ
 فَلِلْمَعَانِي تَرَى الْأَلْفَاظَ كَالْخَدَمِ
 مِنْ لُسْنِ دَمْعِي بِلَفْظٍ جَدِّ مُنْسَجِمِ
 مَحَبَّةُ الْكُلِّ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى صَدِيقِهِ الْعَلَمِ
 بِيضُ الثَّنَا فَاسْتَمِعْ تَدْبِيحَ وَصْفِهِمْ
 وَلَا اقْتَبَسَ يُرَى مِنْ هَذِهِ الْأَطْمِ
 هَدَى النَّبِيُّ الرَّضِيَّ الْوَاضِحِ اللَّقْمِ
 عَسَاكَ تَشْفَعُ لِي يَا شَافِعَ الْأُمَمِ
 بِالْإِحْتِرَاسِ، تَمَشَّى الْبُرْءُ فِي السَّقَمِ
 وَأَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ نُطْقِي بـ «لَا»، وَ«لَمْ»
 مُحَمَّدٍ دَائِمًا مَنِّي بِلَا سَامِ
 فِي الْحَسَنِ شَاهِدُهُ فِي «نُونِ وَالْقَلَمِ»
 فِي حَسَنِ مُفْتَتِحٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

أما بعد، فهذه نبذة تصوّر ما صار إليه البديع في القرن الثامن الهجريّ، على يد أصحاب هذه البديعيات الثلاث، كما تصوّر الجهود التي بذلها هؤلاء في سبيل تطويره وحفظه بأسلوب فني أدبيّ طريف..

وإذا ما اجتزنا القرن الثامن إلى القرن التاسع الهجريّ فإننا نرى أنّ الاتجاه الغالب في دراسة البديع يتمثل في نظم بديعيات تنحو منحى صفّي الدين الحلّي حيناً أو عزّ الدين الموصلّي أحياناً، وتبارى مع هذا أو ذاك، وأبرز هؤلاء المتبارين ابن حجّة الحمويّ الذي راح يباري الاثني معاً، بالإضافة إلى معارضته لبردة البوصيريّ التي عارضها قبله، وقد أشار إلى ذلك في مقدّمة «خزائنه» إذ يقول: «فهذه البديعيّة التي نسجتها بمدحه، (عليه السلام)، على منوال طرح البردة، كان... محمد بن البارزيّ... هو الذي ثقّف لي هذه الصعده... وما ذاك إلاّ أنّه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشّيخ عز الدين الموصلّي... التزم فيها تسمية النوع البديعيّ، وورّى به من جنس الغزل، ليمتيز بذلك على الشّيخ صفّي الدين الحلّي... فاستخار الله مولانا... ورسم لي بنظم قصيدة أطرز حلتها ببديع هذا الالتزام، وأجاري الحلّي برقة السحر الحلال الذي ينفث في عُقد الأقلام، فصرت أشيد البيت فيرسم لي بهدمه... فصرت أعرب عن بناء كلّ بيت له على المناظرة طاقة، فيحكم لي بالسبق وينقلني إلى غيره... فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلّي في بيوته من الجبال، وجاريتُ الصفيّ مقيداً بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال، وسمّيتها «تقديم أبي بكر» علماً أنّه لا يسمع من الحلّي والموصلّي في هذا «التقديم» مقال»^(١).

وقد ظفرت هذه البديعية بما لم تظفر به بديعية أخرى من الشهرة، وقد شرحها ابن حجّة بنفسه في كتابه المشهور «خزانة الأدب وغاية الأرب» وجرى كثير من الأدباء والشعراء على منواله في نظم البديعيات وشرحها. ونظراً لأهمية هذه البديعية وشرحها، ولكونها موضوع هذه الدراسة، أفرد لها فصلاً لدراستها دراسة تحليليّة، وأكتفي هنا بعرض أبياتها كما وردت في «الخزانة»، و«نفحات الأزهار»، و«جنى الجنتين»^(٢).

بديعية ابن حجّة الحمويّ: «تقديم أبي بكر»

١- لي في ابتدا مدحك يا عُربَ ذي سلّم
براعة تستهلّ الدمع في العَلَم

(٢) انظر «جنى الجنتين» ورقة ٣-١٧.

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٢٢.

٢- بالله سِرْ بي فِيسِرْ بي طَلِّقوا وطني
 ٣- ورمْتُ تَلْفِيقَ صَبْرِي كي أرى قَدَمِي
 ٤- وَذَيْلَ الهَمِّ هَمَلِ الدَّمْعِ لي فَجْرِي
 ٥- يا سَعْدُ ما تَمَّ لي سَعْدُ يَطْرَفْنِي
 ٦- هل من يَفِي ويَقِي إن صَحَّفُوا عَذْلِي
 ٧- قد فَاضَ دَمْعِي وفاظَ القَلْبُ إذ سَمَعَا
 ٨- أبو مَعَاذٍ أخو الخنساء كنت لهم
 ٩- واستطردوا خيلَ صَبْرِي عنهم فَبَكْتُ
 ١٠- وكان عَرَسُ التَّمَنِّي يانِعاً فذَوِي
 ١١- واستخدموا العَيْنَ مَنِّي فِهي جارية
 ١٢- والبَيْنُ هازلني بالجدِّ حين رأى
 ١٣- قابِلَتُهُم بِالرَّضَى والسلمِ منشِرحاً
 ١٤- وما أَرُونِي التَّفَاتَا عند نَفَرَتِهِم
 ١٥- تَغزَلِي وافتناني في شمائلهم
 ١٦- قالوا: نرى لك لحمأ بعد فُرْقَتنا
 ١٧- فالطِّي والنشر والتغيير مع قصرِ
 ١٨- بوحشَةٍ بَدَلُوا أنسي وقد خفضوا
 ١٩- نَزَهْتُ لفظي عن فحشٍ وقلتُ هم
 ٢٠- تَخَيَّرُوا لي سَماعَ العَدْلِ وانتزَعُوا
 ٢١- وزادَ إِبْهَامَ عَذْلِي عاذلي وَدُجِي
 ٢٢- وكم تَمَثَّلْتُ إذ أَرَحُوا شعورَهُم
 ٢٣- ذَلَّ العَدُولُ بهم وَجُداً فقلتُ له
 ٢٤- قال اصطَبِرْ قلت صبري ما يراجعني
 ٢٥- توشيحهم بملاً تلك الشُّعورِ إذا

٢٦- شابهتُ أطرافَ أقوالي فإن أهيم
 ٢٧- أغايرُ الناسَ في حُبِّ الرقيبِ فمُذُ
 ٢٨- والله ما طال تذييلُ اللقاءِ بهم
 ٢٩- خَشْنُ أَلْنِ إِحْزَنْ أَفْرَحُ إِمْنَعُ اعْطِ أَنْلُ
 ٣٠- يا عاذلي أنتَ محبوبٌ لديّ فلا
 ٣١- جمعُ الكلامِ إذا لم تُغْنِ حِكْمَتُهُ
 ٣٢- إني أناقضهم إن أزمعوا ونأوا
 ٣٣- أَلَمْ أَصْرَحْ بِتَصْدِيرِ الْمَدِيحِ لَهُمْ
 ٣٤- قَوْلِي لَهُ مُوجِبٌ إِذْ قَالَ أَشْفَقَهُمْ
 ٣٥- وكم بمعرضٍ مدحٍ قد هَجَوْتُهُمْ
 ٣٦- عِفْتُ الْقُدُودَ فَلَمْ أُسْتَثْنِ بَعْدَهُمْ
 ٣٧- طاب اللقا لَدَّ تشريعِ الشعورِ لنا
 ٣٨- بكلِّ بدرٍ بليلِ الشعرِ يحسده
 ٣٩- وافتَرَّ عَجْباً تَجَاهَلْنَا بِمَعْرِفَةٍ
 ٤٠- لَمَّا اكْتَفَى خَدُّهُ الْقَافِي بِجَمْرَتِهِ
 ٤١- ذَكَرْتُ نَظْمَ اللَّالِكِيِّ وَالْحَبَابِ لَهُ
 ٤٢- وَقَلْتُ: رَدْفُكَ مَوْجٌ كِي أُمَثْلُهُ
 ٤٣- وَأَسْوَدُ الْخَالِ فِي نَعْمَانٍ وَجَنَّتِهِ
 ٤٤- يَا نَفْسُ ذُوقِي عِتَابِي قَدْ دَنَا أَجْلِي
 ٤٥- بَرِئْتُ مِنْ أَدْبِي وَالغُرُّ مِنْ شِيْمِي
 ٤٦- وَمَنْ عَدَا قِسْمَهُ التَّشْبِيبُ فِي عَزَلِ
 ٤٧- مُحَمَّدُ بْنُ الدَّبِيحِيِّنِ الْأَمِينُ أَبُو الْأُ
 ٤٨- عَيْنِ الْكَمَالِ كَمَالُ الْعَيْنِ رُؤْيُهُ
 ٤٩- أَبْدَى الْبَدِيعِ لَهُ الْوَصْفِ الْبَدِيعِ وَفِي

أَهْمٌ إِلَى كُلِّ وَاِدٍ فِي صِفَاتِهِمْ
 أَرَاهُ أَبْسَطَ آمَالِي بِقَرَبِهِمْ
 يَا عَاذِلِي وَكَفَى بِاللَّهِ فِي الْقَسَمِ
 فَوَفَّ أَجْدُ وَشَرَّ رَقَّقُ شُدَّ حُبٌّ لَمْ
 تَوَارِبِ الْعَقْلِ مَنِّي وَاسْتَفِذْ حِكْمِي
 وَجُودُهُ عِنْدَ أَهْلِ الذُّوقِ كَالْعَدَمِ
 وَجَرَ نَمَلٌ ثَبِيرًا إِثْرَ عَيْسِهِمْ
 أَلَمْ أَهْدَدْ أَلَمْ أَصْبِرْ أَلَمْ أَلَمْ
 تَسَلَّ، قَلْتُ: بِنَارِي يَوْمَ فَقَدِهِمْ
 وَقَلْتُ سُدَّتُمْ بِحَمَلِ الضَّمِّمِ وَالتَّهْمِ
 إِلَّا مَعَاظِفَ أَغْصَانِ بَدِي سَلَمِ
 عَلَى النِّقَا فَنَعْمْنَا فِي ظِلَالِهِمْ
 بَدْرُ السَّمَاءِ عَلَى التَّمِيمِ فِي الظُّلَمِ
 قَلْنَا: أَبْرُقُ بَدَا أَمْ تُغْرُ مُبْتَسِمِ
 قَالَ الْعَوَاذِلُ بُغْضًا: إِنَّهُ لَدَمِي
 رَاعَى التَّنْظِيرَ بِشُعْرِ مِنْهُ مُنْتَظِمِ
 بِالْمَوْجِ قَالَ قَدْ اسْتَسَمَّنَتْ ذَا وَرَمِ
 لِي مَنذَرٌ مِنْهُ بِالتَّوْجِيهِ لِلْعَدَمِ
 مَنِّي وَلَمْ تَقْطَعِي آمَالَ وَصَلِهِمْ
 إِنَّ لَمْ أَبْرَّ بِنَأْيٍ عَنْهُمْ قَسَمِي
 حُسْنُ التَّخْلِصِ بِالمَخْتَارِ مِنْ قِسْمِي
 بِتَوَلِّ خَيْرِ نَبِيٍّ فِي أَطْرَادِهِمْ
 يَا عَكْسَ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
 نَظْمَ الْبَدِيعِ حَلَا تَرْدِيدُهُ بِفَمِي

٥٠- كَرَزْتُ مَدْحِي حَلا فِي الزَّائِدِ الْكَرَمِ ابْنِ الزَّائِدِ الْكَرَمِ
 لو لم تكن ما تَمَيَّزْنَا عَلَى الْأُمَمِ
 وحلمه ظاهرٌ عن كُلِّ مُجْتَرِمِ
 بحلَّةِ الْأَمْجَدَيْنِ الْعَهْدِ وَالذَّمِّ
 والوجهُ تكميله في غايةِ الْعَظَمِ
 في ذاكِ نَقْصٍ وَهَذَا كَامِلُ الشِّيمِ
 شَطْرَيْنِ فِي قَسَمِ تَشْطِيرِ مُلْتَزِمِ
 فقل لهم يتركوا تشبيهَ بَدْرِهِمْ
 وما ليوشعَ تلميحُ بركبِهِمْ
 تبسمَ وعطاً كالبرقِ في الدَّيَمِ
 باللهِ شَتَّفَ بها يا طيِّبَ النَّعَمِ
 في غيرِ تَفْصِيلِ مَدْحِ صِحَّتِ يا نَدْمِي
 منها الصَّبَا فَأَتَتْنا وهي في شَمَمِ
 والشُّهُبُ قد رَمَدَتْ من عَثِيرِ الدُّهْمِ
 في الْبَرِّ بحرٌ بموجٍ فيه ملتطمِ
 وعادَ والليلُ لم يجفُلْ بَصْبُجِهِمْ
 تآلَفَ في العطا والدينِ للْعَظَمِ
 ولا يشين العطا بالمنِّ والسَّامِ
 حَيًّا الْأَنَامَ بِوَدِّ غَيْرِ مَنْصَرَمِ
 في مهديه وهو طفلٌ غيرِ مَنْفَطِمِ
 لم يَسْتَحِجْ بانعكاسِ ثابِتِ الْقَدَمِ
 جيدي وعقدِ لساني بعد ذا وفمي
 لحكمةٍ هو فيها خيرٌ منتقمِ
 فالحيُّ لِلْأَسْرِ وَالْأَمْواتُ لِلضَّرَمِ

٥١- ومذهبي في كلامي أنْ بَعَثْتَهُ
 ٥٢- فَعَلِمُهُ وَاْفِرُّ وَالزَّهْدُ نَاسَبَهُ
 ٥٣- وَوَشَعَ الْعَدْلُ مِنْهُ الْأَرْضَ فَاتَّشَحْتُ
 ٥٤- آدَابُهُ تُمَمَّتْ لَا نَقْصَ يَدْخُلُهَا
 ٥٥- قالوا: هو الْبَدْرُ وَالتَّفْرِيقُ يَظْهَرُ لِي
 ٥٦- وَأَنْشَقُّ مِنْ أَدَبٍ لَهُ بَلَا كَذِبِ
 ٥٧- وَالْبَدْرُ فِي التَّمِّ كَالْعَرَجُونَ صَارَ لَهُ
 ٥٨- وَرَدَّ شَمْسَ الضُّحَى لِلْقَوْمِ خَاضِعَةً
 ٥٩- شَيْثَانٍ قَدْ أَشْبَهَا شَيْئِينَ فِيهِ لَنَا
 ٦٠- لَدَّ أَنْسِجَامِ دَمُوعِي فِي مَدَائِحِهِ
 ٦١- وَإِنْ ذَكَرْتُ زَمَاناً ضَاعَ مِنْ عَمْرِي
 ٦٢- نَوَادِرُ الْمَدْحِ فِي أَوْصَافِهِ نَشَقَّتْ
 ٦٣- بِالْعُ وَقُلْ كَمْ جَلَا بِالنُّورِ لَيْلٍ وَعَى
 ٦٤- لَوْ شَاءَ إِغْرَاقَ مَنْ نَاوَاهُ مُدَّ لَهُ
 ٦٥- بَلَا غُلُوًّا إِلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ سَرَى
 ٦٦- سَهْلٌ شَدِيدٌ لَهُ بِالْمَعْنِيِّينَ بَدَا
 ٦٧- لَا يَنْتَفِي الْخَيْرُ مِنْ إِجَابِهِ أَبَدَا
 ٦٨- لِلْجُودِ فِي السَّيْرِ إِيْغَالٌ إِلَيْهِ وَكَمْ
 ٦٩- تَهْذِيبُ تَأْدِيبِهِ قَدْ زَادَهُ عَظْمًا
 ٧٠- بَحْرٌ وَذُو أَدَبٍ بَدَا وَذُو رَحَبِ
 ٧١- أَوْصَافُهُ الْعُرُّ قَدْ حَلَّتْ بِتَوْرِيَةِ
 ٧٢- مِنْ اعْتَدَى فَبَعْدُوا وَإِنْ يَشَاكَلُهُ
 ٧٣- جَمْعَ الْأَعَادِي بِتَقْسِيمِ يُفَرِّقُهُ

٧٤- سنأه كالبرق إن أبدوآ ظلام وعى
 ٧٥- ومن إشارته في الحرب كم فهم ال
 ٧٦- توليد نضرتهم يبدو بطلعته
 ٧٧- قالوا: طويل نجاد السيف، قلت: وكم
 ٧٨- آدأبه وعطاياه ورأفته
 ٧٩- إجابته بالعطايا ليس يسلبه
 ٨٠- هده تقسيمه حالي به صلحت
 ٨١- أوجز وسل أول الأبيات عن مدح
 ٨٢- بالججر ساد فلا نذ يشاركه
 ٨٣- تصریح أبواب عدن يوم بعثهم
 ٨٤- فلا اعتراض علينا في محبته
 ٨٥- وما لنا من رجوع عن جماه بلى
 ٨٦- ترتب الحيوانات السلام له
 ٨٧- محمد أحمد المحمود مبعثه
 ٨٨- ووصفه لابنه قد جاء تسمية
 ٨٩- إبداع أخلاقه إبداع خالقه
 ٩٠- فالخير مائله والعمو جاوره
 ٩١- ألقب بخصر جميع الأنبياء به
 ٩٢- وشم وميض بروق من فرائده
 ٩٣- «يس» زادت على «لقمان» حكمته
 ٩٤- به العصا أثمرت عزاً لصاحبها
 ٩٥- كذا الخليل بتسهيم الدعاء به
 ٩٦- شملي بتطريز مدحي فيه منتظم
 ٩٧- وآله البحر آل، إن يقس بندي

والعزم كالبرق في تفريق جمعهم
 أنصار معنى به فازوا بنصرهم
 ما السبعة الشهب ما توليد رملهم
 لناره ألسن تُكني عن الكرم
 سجية ضمن جمع فيه ملتئم
 ويسلب المن منه سلب محتشم
 حياً وميتاً ومبعوثاً مع الأمم
 فيه وسل مكة يا قاصد الحرم
 حجر الكتاب المبين الواضح اللقم
 يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم
 وهو الشفيح ومن يرجوه يعتصم
 لنا رجوع عن الأوطان والحشم
 والنبت حتى جماد الصخر في الأكم
 كل من الحمد تبيين اشتقاقهم
 فإنه حسن حسب اتفاقيهم
 في زخرف الشعرا فاسجع بها وهم
 والعدل جائسه في الحكم والحكم
 فالجزء يلحق بالكلية للعظم
 وانظم حنانيك عقداً غير منقصم
 وبان ترشيحه في «نون والقلم»
 موسى وكم قد مَحَتْ عنوان سحرهم
 أصابهم ونجا من حر نارهم
 يا طيب منتظم يا طيب منتظم
 كفوفهم، فافهموا تنكيت مدحهم

٩٨- وفي الوغى رادفوا لُسْنَ القَنَا سَكْنَا
 ٩٩- وأودعوا للثرى أجسامهم فَشَكَتْ
 ١٠٠- والبيضُ ماتوا من التوهيمِ واطرحوا
 ١٠١- وكلَّما ألغزوه حلَّه لَسَنُ
 ١٠٢- وقدَّه باختراعِ سالمِ أَلِفُ
 ١٠٣- وصحبُه بالوجوه البيضِ يومَ وَغَى
 ١٠٤- ذكرأه تُطْرِبُهُمُ والسَّيفُ ينهلُ مِنْ
 ١٠٥- كأنما الهامُ أحداقُ مسهَّدةُ
 ١٠٦- هذا وتزدادُ إيضاحاً مخافتُهُم
 ١٠٧- ما العودُ إن فاح نشراً أو شداً طرباً
 ١٠٨- من ذا يناسقُهُم من ذا يُطابِقُهُم
 ١٠٩- تعديدُ فضلِهِم يُبدي لسامعِهِ
 ١١٠- نَعَمَ وقد طالَ تعليلُ التَّسِيمِ لَنَا
 ١١١- تَعَطَّفَ الجبرُ كم أبدوا لمذنبِهِم
 ١١٢- يحمُونَ مستتبعينَ العفو إن ظفروا
 ١١٣- طاعاتُهُم تَفهَّرُ العصيانَ قَدْرُهُمُ
 ١١٤- في معرضِ الذمِّ إن رُمَّتِ المديحُ فقلْ
 ١١٥- هم معشرٌ بسطوا جوداً سقاءهُ حياً
 ١١٦- نورُ القبائلِ ذو النورينِ ثالثُهُمُ
 ١١٧- جمعتُ مؤتلفاً فيهم ومختلفاً
 ١١٨- تعريضُ مدحِ أبي بكرٍ يقدمني
 ١١٩- نعم ترصَّع شعري واعتلتُ همي
 ١٢٠- سجعي ومنتظمي قد أظهرأ حكمي
 ١٢١- تسميطُ جوهره يلقى بأبحره

من العدى في محلِّ التُّطْقِ بالكلمِ
 شكوى الجريحِ إلى العقبانِ والرخمِ
 والسُّمُرُ قد قبَلتُهُم عند موتِهِم
 مُدَّ طالَ تعقيدهُ أزرى بفهمِهِم
 يبدو بترويسه من رأسِ كلِّ كومي
 كم فَسَّرُوا من بدورٍ في دُجَى الظلمِ
 أجسامِهِم لم يثبنَ حُسنَ اتباعِهِم
 ونومُها وارذنته في سيوفِهِم
 في كُلِّ معتركٍ من بطشِ رَبِّهِم
 يوماً بأطيبِ من تفریعِ وصفِهِم
 من ذا يُسابقُهُم في حلبةِ الكرمِ
 علماً وذوقاً وشوقاً عند ذكرِهِم
 لأنه مرَّ في آثارِ تُرْبِهِم
 والجبرُ ما زال في أبوابِ صَفْحِهِم
 ويحفظونَ وفاهمُ حفظَ دينِهِم
 له العلوُّ فجائسهُ بِمَدْحِهِم
 لا عيبَ فيهم سوى إكرامِ وفديهِم
 فأخضرُ العيشِ في أكنافِ أرضِهِم
 وللمعالي اتساعُ في عليهِم
 مدحاً وقصرتُ عن أوصافِ شيخِهِم
 في سبقِ جليهِم مع موصوليهِم
 وكم ترفَّعَ قَدْرِي وانجلتُ غمِّي
 وصرتُ كالعلمِ في العُزْبِ والعجمِ
 ورشفُ كوثره يُروى لكلِّ ظمِّي

١٢٢- لأنَّ مدحَ رسولِ الله ملتزمي
 ١٢٣- إذا تزوجَ ذنبي وانفردتُ له
 ١٢٤- وَرَيْتُ فِي كَلِمِي جَزَيْتُ مِنْ قَسْمِي
 ١٢٥- لِي الْمَعَانِي جَنُودٌ فِي الْبَدِيعِ وَقَدْ
 ١٢٦- فَهُوَ الْمَجَازُ إِلَى الْجَنَاتِ إِنْ عُمِّرْتُ
 ١٢٧- تَأَلَّفَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى بِمَدْحَتِهِ
 ١٢٨- وَاللَّفْظُ وَالْوِزْنُ فِي أَوْصَافِهِ ائْتَلَفَا
 ١٢٩- وَالْوِزْنُ صَحَّحَ مَعَ الْمَعْنَى تَأَلَّفُهُ
 ١٣٠- وَاللَّفْظُ بِاللَّفْظِ فِي التَّاسِيسِ مُؤْتَلَفٌ
 ١٣١- تَمَكِينُ سُقْمِي بَدَأَ مِنْ خَيْفَةٍ حَصَلْتُ
 ١٣٢- وَقَدْ أَمَنْتُ وَزَالَ الْخَوْفُ مَنحَذَفًا
 ١٣٣- وَاخْضَرَ أَسْوَدٌ عَيْشِي حِينَ دَبَّجَهُ
 ١٣٤- وَقَلْتُ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا
 ١٣٥- يَا رَبِّ سَهَّلْ طَرِيقِي فِي زِيَارَتِهِ
 ١٣٦- حَتَّى يَبْتَ بَدِيعِي فِي مَحَاسِنِهِ
 ١٣٧- قَدْ عَزَّ إِدْمَاجُ شَوْقِي وَالْدَمُوعُ لَهَا
 ١٣٨- فَإِنْ أَقْفَ، غَيْرَ مَطْرُودٍ، بِحَجْرَتِهِ
 ١٣٩- وَفِي بَرَاعَةٍ مَا أَرْجُوهُ مِنْ طَلَبٍ
 ١٤٠- قَدْ صَحَّ عَقْدُ بَيَانِي فِي مَنَاقِبِهِ
 ١٤١- تَمَّتْ مَسَاوَاةُ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ بِهِ
 ١٤٢- حَسَنُ ابْتِدَائِي بِهِ أَرْجُو التَّخْلِصَ مِنْ

فيه ومدح سواه ليس من لزمي
 بالمدح فزت ونجاني من النقم
 أبديت من حكمي جليت كل عومي
 جرذت منها لمدحي فيه كل عمي
 بيوته بقبول سابغ النعم
 والجسم عندي بغير الروح لم يقم
 فما يكون مديحي غير منسجم
 في مدحه فأتى بالذر في الكلم
 في كل بيت بسكان البديع سمي
 لكن مدائحها قد أبرأت سقومي
 نحو العدو ولم أخطر ولم أضم
 بياض حظي ومن زرق العداة حومي
 قد نلت كي يلحظوني باقتباسهم
 من قبل أن تعتريني شدة الهرم
 حسن البيان وأشدو في حجازهم
 على بهار خدودي صبغة العنم
 لم أحترس بعدها من كيد مختصم
 إن لم أصرخ فلم أحتج إلى الكلم
 وإن منه لسحرا غير سحرهم
 لكن تزيد على ما في بديعهم
 نار الجحيم وأرجو حسن مختومي

الفصل السادس: بديعية ابن حجة الحمويّ وشرحها: دراسة مقارنة تحليليّة

«تقديم أبي بكر» هي البديعية التي نظمها ابن حجة، وشرحها في كتابه الموسوم بـ «خزّانة الأدب و غاية الأرب»، وإن كان لا بدّ من دراسة تحليليّة لهذه «البديعية» و«شرحها» فلا بدّ أولاً من تقديم نبذة عن الدوافع والأهداف التي حدّت به إلى نظم بديعيته وشرحها، والتي نستشفّ من خلالها أهمّيّتها وقيمتها وأثرها، وما يميّزها عمّا سبقها، ولا سيّما بديعية الصفيّ، وبديعية العميان، وبديعية الموصليّ.

لقد فتح ابن حجة عينيه وعاش في قرنٍ كانت فيه البديعيات قد ولدت ونشأت وتكاملت وأخذت طابعها الأخير، الذي تميّزت به عن غيرها من القصائد، وذلك على يد من سبقه من نظّامها، ولكنها ظلّت مع ذلك فتاً جديداً بديعاً يستهوي الشعراء والأدباء، فيجدون فيه متنفساً للتعبير عن حذقهم وفنهم ومهارتهم في النظم، ومجالاً لعرض مخزونهم الثقافيّ عامّةً والأدبيّ خاصّةً، وقد كانت عند ابن حجة دوافع كثيرة حدت به ليكون واحداً من هؤلاء حتى بزّهم وتفوّق عليهم، منها: شهوة التّأليف بصورة عامة، ورغبته للتّأليف في البلاغة والبديع بصورة خاصّة، وربما كان لمهنته ككاتب في ديوان الإنشاء، وما تطلّبه هذه المهنة من براعة في تملّك ناصية الإنشاء، دور كبير للاطلاع على «البديع» والتّأليف فيه، ليتمكّن الكاتب بذلك من حسن التصرف بالألّفاظ، إذ كان العصر عصر عناية بالألّفاظ أكثر من العناية بالمعاني، ولهذا كثرت تآليف ابن حجة التي تفيد الكاتب والمنشئ. ففي كتابه «ثمرات الأوراق» مثلاً، عقد فصلاً لوصف الخيول المسوّمة التي لا بدّ للفحول من كتّاب الإنشاء من الجولان في ميدان وصفها، بل ألّف رسالة سمّاها «مجرى السوابق»، قصد منها أن يتزوّد الكتّاب والمنشئون ما يفيدهم بصنعتهم^(١)، كما عرّف في «ثمرات الأوراق» بالسجع والفقرة والفاصلة والبلاغة والفصاحة، وغيرها ممّا يفيد المنشئ، إلّا أنّه لم يكتفِ بهذا، بل تصدّى لتأليف مجموعة كُتِبَ في البلاغة قائمة بذاتها،

(١) انظر ثمرات الأوراق ص ١٦٢.

تشرح فنون البلاغة وتعرفها وتوضح حدودها، ولعل أبرزها: «شرح تقديم أبي بكر» أو «خزانة الأدب وغاية الأرب»^(١)، موضوع هذه الدراسة، بالإضافة إلى كتابيه «ثبوت الحجّة على الموصليّ والحليّ لابن حجّة» و«كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام».

وقد أسعف ابن حجّة في ذلك سعة اطلاعه على كتب البلاغة الكثيرة التي ألفت قبل عصره، وإمامه بكثير من كنوزها وفنونها الدفينة، بالإضافة إلى توجيه بعض شيوخه له، ممّن كانوا على جانب كبير من الإلمام بعلوم البلاغة كشمس الدين الهيتيّ والقضاميّ وعزّ الدين الموصليّ، بالإضافة إلى أنّ عصره كان عصر تسابق في نظم هذا اللون من البديع المسمّى بـ «البديعيّات»، وجعلها تتضمن أكبر كمية ممكنة من الأنواع البديعيّة، بالإضافة إلى كونه عصر تسابق في تأليف الشروح لتكون مجالاً قادراً على استيعاب ما عجزت عن استيعابه البديعيّات الملتزمة بالقافية والبحر، ولهذا تسابق الشعراء والشراح بكثرة التفريعات والتقسيمات والتنويعات، والتعرض لمن سبقهم والثناء عليهم تارةً، وسلقهم بالأسنّة حدادٍ تارةً أخرى. وسبقت الإشارة إلى أنّ بديعيّة ابن حجّة قد سبقت بثلاث بديعيّات: بديعيّة الحليّ، وبديعيّة ابن جابر الأندلسيّ، وبديعيّة عزّ الدين الموصليّ، وقد نظر ابن حجّة في هذه البديعيّات الثلاث التي سبقته، فلم ترق له، أو تعجبه، إذ قال في وصفها: «بيد أنّي أقول، وبالله المستعان، أنّ العميان اختصروا جانباً كبيراً من البديع، وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه، والشيخ صفيّ الدين الحليّ أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع، ولكنه قصر في مواضع نهتُ عليها في مظانّها، والشيخ عزّ الدين، رحمه الله، قصر في غالب بديعيّته لالتزامه بتسمية النوع البديعيّ ومراعاة التورية، والبحث مقرّر مع كلّ منهم في إجادته وتقصيره عند إيراد بيته على ذلك النوع الوارد»^(٢).

وما إن اطلع ابن حجّة على هذه البديعيّات الثلاث وقرأها، حتى أخذ على عاتقه أن يُظهر ما فيها من ثغرات ويبرز لمعارضتها، وينظم بديعيّة تبرز كلّ هذه البديعيّات

(١) سبق الكلام على اسم الكتاب أثناء توثيقه في مكانه من المدخل.

(٢) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ٤/٤٥١.

وتفوقها، وقد دفعه إلى المضيّ قدماً في هذا الميدان صديقه ناصر الدين محمد بن البارزّي الذي وقف في دمشق على بديعية عزّ الدين الموصليّ، ورسم له مخطّط معارضتها، وربّما كانت رغبة البارزي فيما بعد، هي نفسها التي دفعته إلى شرح هذا الكتاب الضخم، بل ربما كانت هناك دوافع أخرى غير رغبة ابن البارزيّ، كحبّ ابن حجّة للمعارضات والشهرة وحبّ الظهور، إذ صرّح في خطبة خزانته بمعارضته الصفيّ والموصليّ، والبوصيريّ في برده كذلك، فأراد أن يجمع محاسن الثلاثة ليبيّهم ويتفوق عليهم، هذا بالإضافة إلى دافع حبّه للتأليف والاستكثار فيه، ولما وقعت بين يديه مجموعة من كتب البلاغة والبديع، وأتيح له الوقوف عليها، أخذ على نفسه أن ينظم هذه البديعية ويعكف على شرحها، إلّا أنّ الدافع الأول وهو رغبة ابن البارزيّ يبقى على رأس هذه الدوافع، وقد أشار إلى ذلك كلّه في خطبة خزانته، إذ قال: «فهذه البديعية التي نسجتها بمدحه (ﷺ)، على منوال طرح البردة، كان مولانا... الناصريّ محمد بن البارزيّ الجهنّي الشافعيّ، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية... هو الذي ثقّف لي هذه الصعدة، وحلب ضرعها الحافل لحصول هذه الزبدة، وما ذاك إلّا أنّه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عزّ الدين الموصلي... التزم فيها تسمية النوع البديعيّ، وورّى به من جنس الغزل، لتمييز بذلك على الشيخ صفيّ الدين الحلّي... لأنّه ما التزم في بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل، غير أنّ الشيخ عزّ الدين ما أعرب عن بناء بيوت ما أذن الله أن ترفع، ولا طالت يده لإبهام العقادة إلى شيء من إشارات ابن أبي الإصبع، وربّما رضي في الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمّى، ونثر شمل الألفاظ والمعاني لشدة ما عقده نظماً [من الطويل]:

فيا دارها بالخَيْفِ إنّ مزارها قريبٌ ولكنّ دونَ ذلك أهوالٌ^(١)

فاستخار الله مولانا... الناصريّ... ورسم لي بنظم قصيدة أطرز حلتها بديع هذا الالتزام، وأجاري الحلّي برقة السحر الحلال الذي ينفث في عقْدِ الأقلام، فصرتُ أشيد البيت فيرسم لي بهدمه، وخراب البيوت في هذا البناء صعب على الناس، ويقول: بيت الصفيّ أصفى مورداً وأنور اقتباس، فأسنّ كلّ ما حدّه الفكر

(١) تخريج هذا البيت في خطبة خزانه الأدب وغاية الأرب ٣٠٥/١.

وأرجعه بيتٍ له على المناظرة طاقة، فصرتُ أعربُ عن بناء كلِّ بيتٍ له على المناظرة طاقة، فيحكم لي بالسبق، وينقلني إلى غيره، وقد صارت لي فكرة بإرشاده إلى الغايات سبّاقة، فجاءت بديعيّة هدمتُ بها ما نحته الموصليّ في بيوته من الجبال، وجاريتُ الصفيّ مقيداً بتسمية النوع، وهو من ذلك محلول العقال، وسمّيتها «تقديم أبي بكرٍ» علماً أنّه لا يسمع من الحلّيّ والموصليّ في هذا «التقديم» مقال. وكان... هو الذي مشى أمامي وأشار إلى هذا السلوك وأرشد، فاقتديت برأيه العالي، وهل يقتدي أبو بكرٍ بغير محمّد؟»^(١).

من هذه المقدّمة يبدو أنّ هدف ابن حجّة أن يجمع في بديعيّته، محاسن البديعيّتين: محاسن بديعية الحلّيّ بما فيها من رقة السحر الحلال، ومحاسن فكرة الموصليّ بالتزام ذكر اسم النوع، بالإضافة إلى محاسن برودة البوصيريّ، وبناءً على هذا وضع ابن حجّة نصب عينيه كلاً من البديعيّتين، محاولاً استبعاد كلِّ المآخذ التي أخذت على كلّ منهما، متّبِعاً في ذلك المنهج التالي:

أ- كان ينظم البيت البديعيّ في مدح الرسول، (ﷺ)، وعلى بحر البسيط، وقافية الميم المكسورة، متضمّناً النوع البديعيّ مشيراً إلى اسم هذا النوع. وهذا الالتزام بكلِّ هذه الشروط جعل ابن حجّة ينوء تحت وطأة هذه القيود الثقيلة، إذ ليس من اليسير أبداً أن يوزّع الشاعر فكره وانتباهه إلى التوفيق بين عدّة عناصر قد تكون متعارضة أشدّ التعارض في بعض الأحيان، وقد تحمل الشاعر على التخلّي عن بعض الشروط من أجل استيفاء بعض الشروط الأخرى، إلّا أن محمّد بن البارزيّ كان يتفحّ له البديعيّة، ويذكره دائماً بالتزام الرقة الحلّيّة، ولهذا كان يأمره بهدم بيت أنفق في تشييده كثيراً من الجهد لخلوّه من الرقة، وهي من العناصر الخفيّة التي اشترط ابن البارزيّ توفرها في القصيدة البديعية، وغالباً ما كان ابن البارزيّ يقارن بين بيت بديعية ابن حجّة وبيت بديعية الحلّيّ.

ب- أكثر ابن حجّة من الشواهد في شرح بديعيّته، فطاف بالقرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، وأخذ منهما ما أمكنه أخذه، كما عرّج على الشعر القديم، وانتزع منه شواهد على النوع البديعيّ، ثمّ عرّج بطريقه على شعر المولّدين

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/ ٣٠٤ - ٣٠٦.

وَأَلَمَ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ وَقَفَ وَقْفَةً طَوِيلَةً عِنْدَ شِعْرِ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنْ مَعَاصِرِهِ، وَحَشَدَ لَهُمْ نَمَازِجَ كَثِيرَةً مِنَ الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ، كَمَا أَكْثَرَ مِنْ حَشَدِ نَمَازِجِ شِعْرِيَّةٍ وَنَثْرِيَّةٍ مِنْ تَأْلِيفِهِ، وَتَجَاوَزَ ذَلِكَ لَيْسْتَشْهَدَ بِالزَّجْلِ وَالذُّوْبِيَّةِ وَالْمَوْشِحِ وَالْمَوَالِيَا، وَلِثَلَا يَلُومُهُ لَائِمٌ عَلَى هَذَا الِاسْتِشْهَادِ بِشِعْرِ الْمَتَأَخِّرِينَ وَنَثْرِهِمْ، قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ كِتَابِهِ مَقْدَمَةً ذَكَرَ فِيهَا آرَاءَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْقَدَامِيِّ الَّتِي مُؤَدَّاهَا أَنْ لَا مَانِعَ مِنَ الِاسْتِشْهَادِ بِشِعْرِ الْمَتَأَخِّرِينَ.

ويلاحظ على استشهد ابن حجة ببعض أدب معاصريه أنه كان يميل إلى التزلف والتملق لبعض الشخصيات البارزة في زمانه، إذ يرفعها إلى مصاف الأدباء الذين يصح الاستشهاد بكلامهم كاستشهاده ببعض المواليا التي نظمها زين الدين بن العجمي. وقد أكثر من الشواهد في خزائنه ما أدى إلى أن تبدو على هذا الشكل من الضخامة، فهو، مثلاً، يستشهد بالبيت أو البيتين أو الثلاثة على ظاهرة أو نوع بديعي، إلا أنه لا يكتفي بذلك، بل يقول: وأعجبنى من هذه القصيدة قوله كذا... ويورد عدة أبيات، وتذكره القصيدة بقصيدة أخرى فيذكرها، أو يذكر منها عدة أبيات، فللهذا كثرت الشواهد، وربما كان تضخم شواهد البلاغة في هذا العصر عائداً إلى كون المشتغلين بالبلاغة فتحوا باب الاستشهاد على مصراعيه ولم يجعلوا له حدوداً معينة، كما فعل المشتغلون في علم اللغة والنحو، فأباحوا لأنفسهم أن يستشهدوا بكلام المتأخرين والمتقدمين على حد سواء، ومن يتبع أعمال المشتغلين بالبلاغة، يلاحظ ازدياد الشواهد على النوع الواحد بتطور الزمن، فكل عالم من علماء اللغة يقتنص الشواهد، فيأتي غيره فيغير عليها، ولا يكتفي بها بل يزيد من شواهد معاصريه، وما إن وصلت الأنواع البديعية إلى القرن التاسع حتى كانت الشواهد من الكثرة بمكان بعيد؛ والذي زاد في كثرة الشواهد في خزانة ابن حجة أن الشعراء المتأخرين في عصره وقبله بقرون كان إسرافهم في البديع إسرافاً كبيراً، وهذا ما جعل شعرهم مرتعاً خصيباً للشواهد البديعية، فكان النقاد والبلاغيون أتى ساروا وجدوا شعراً يمكنهم الاستشهاد به.

وما زاد في تضخم كتاب ابن حجة بالإضافة إلى ذلك حب الإكثار والتدليل على سعة ثقافته، فقد أورد مثلاً في باب «إرسال المثل» كل ما اقتنصه متبوعو شعر المتنبي من حكمته فبلغت أربعمئة بيت ومئة شطر، ولم يكتف بهذا، بل أورد كتاباً كاملاً له في الاستشهاد على هذا النوع البديعي «إرسال المثل»، وهو كتابه المسمى بـ «تغريد

الصادح»، وذلك لأنّ هذا الكتاب مؤلّف من أرجوزة كلّها أمثال وحكم، ولعلّه صنع هذا الصنيع ليضع بين أيدي كتاب الإنشاء طائفة من جوامع الكلم التي يحتاجون إليها في صناعتهم، وهذا هدف من الأهداف التي كان يسعى إلى تحقيقها من خلال بعض تأليفه، وقد يكون لعامل الذوق عنده أثر كبير في إكثار الشواهد، إذ كثيراً ما كان يورد من القصيدة بيتاً هو بيت الاستشهاد، إلّا أنّه يقول: ومما تخيرته من هذه القصيدة كذا وكذا، ويذكر عدّة أبيات أو يستكمل القصيدة ويعتذر بعد إيرادها كاملةً بأنّ ما فيها من الطلاوة وحسن السبك هو الذي جعله يورد ما أورد، وقد سلك هذا المسلك مع من يحبّه من الشعراء، كالمتمنّي وابن نباتة المصريّ، ومن سار على منهاجهم من جماعة المولعين بالتورية. ومع هذا فعماد بديعيته مئة واثنان وأربعون بيتاً، تضمّنت مئة وسبعة وأربعين نوعاً بديعياً، التزم فيها التورية باسم النوع البديعيّ، على غرار ما فعله الموصليّ، وقد أخلّ بذلك بأربعة أنواع ذكرها الصفيّ في بديعيته وهي: التسليم، والموازنة، والتوزيع، والاستعانة، وقد حافظ مثله على بعض أنواع البيان كالتشبيه والكناية والمجاز... إلّا أنّ شرح هذه البديعية بلغ ما بلغه من الصفحات، إذ وصل إلى مئتين وسبع وعشرين صفحة مزدوجة في المخطوطة «الأم»، النسخة «ك»^(١)، وكانت رغبة ابن حجّة في التفرّيع والتقسيم والتنوع سبباً واضحاً للاستفاضة في الشرح، بالإضافة إلى أنّه كان يلغي بعض الأنواع الفرعية التي لا يستلطفها ذوقه، ولهذا قال في باب «التفرّيع» مثلاً: «وذكر صاحب الإيضاح لـ «التفرّيع» قسماً ثانياً لم يذكره غيره، ولا نسج على منواله أصحاب البديعيات فألغيته أيضاً، والشيخ زكيّ الدين بن أبي الأصعب اخترع قسماً ثالثاً، ولكن وجدت هذا النوع الذي نحن بصددده أحلى في الأذواق وأوقع في القلوب، وعلى سننه مشى أصحاب البديعيات، فألغيت أيضاً ما اخترعه ابن أبي الأصعب»^(٢).

إذاً لم يكن ابن حجّة الحمويّ مجرد مقتفٍ لآثار البلاغيين والبديعيين في تسميتهم للأنواع البديعية، بل كان يلغي بعضها حيناً، وينتقد كبار البلاغيين أحياناً لوقوعهم في سقطات ليس من ورائها أيّ جدوى. ففي باب «المراجعة» مثلاً، يصرّح بأنّه لم يذكر هذا النوع في بديعيته لولا المعارضة، إذ إنّ نوع تافه، وقال: «المراجعة

(١) انظر عدد صفحات النسخ كلّها في مكانها من المدخل.

(٢) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ٤/٢٤٤.

ليس تحتها كبير أمر، ولو فوّض إليّ حكم في البديع ما نظمته في سلك أنواعه، وذكر ابن أبي الأصبع أنّها من اختراعاته، وعجبت من مثله كيف قرّبها إلى الذي استنبطه من الأنواع البديعية الغربية»^(١).

ومن هذه الأنواع التي أنف من الاستفاضة فيها، ولولا المعارضة لم يكن لينظمها في بديعته: التفصيل، وعتاب المرء نفسه، وتشابه الأطراف، والمماثلة؛ إذ قال في معرض حديثه عن «التفصيل»: «التفصيل، بصاد مهملة، نوع رخيص بالنسبة إلى فنّ البديع والمغالاة في نظمه، وقد نبّهت قبله على عدّة أنواع سافلة، ولكنّ المعارضة أوجبت الشروع في نظمه كالتصدير وعتاب المرء نفسه، وتشابه الأطراف، وما أشبه ذلك»^(٢).

وقال في «تشابه الأطراف»: «هذا النوع الذي سمّوه «تشابه الأطراف»، هو أيضاً مثل «المراجعة» التي تقدّمت، ليس في كلّ منهما كبير أمر، وتالله ما خطر لي يوماً، ولا حسن في الفكر أن ألحق طرفاً من تشابه الأطراف بذيل من أبيات شعري، ولكن شروع المعارضة ملتزم»^(٣).

وقال أيضاً في «التصدير»: «ولو استقلّ... البيت بنظم نوع التصدير مجرداً، لم يكن تحته كبير أمر»^(٤).

كما قال في باب «عتاب المرء نفسه»: «هذا النوع... لم أجد العتب مرتباً إلّا على من أدخله في البديع وعدّه من أنواعه، وليس بينهما نسبة... ولولا أنّ الشروع في المعارضة ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود»^(٥).

وقد أتبع ابن حجّة في ترتيب أنواع البديع المنهج نفسه الذي اتّبعه صفيّ الدين الحلّي في بديعته، فبدأ بـ «براعة الاستهلال» ثم أتبعها بـ «الجناس» وأنواعه، إلى أن وصل في آخر بديعته إلى «حسن الختام»، وقد استفاض استفاضة كبيرة في الكلام على «براعة الاستهلال» إذ زخر هذا الباب بكثرة الشواهد من القرآن والحديث والنثر وشعر فحول القدامى والمولّدين، وكلام معاصريه من الكتّاب والمنشئين، ومن شعره

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ٢/١٩٧.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ٣/١٢٢.

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ٢/٢١٠.

ونثره، وقد استعرض في مطلع حديثه الشواهد الجيدة على «براعة الاستهلال»، إلا أنه لم يقف عند ذلك، بل أتى على ذكر براعات استهلال للذين كَبْتُ بهم خيول الفكر وتعرَّوا فجاؤوا بالسيئ من المطالع فكانوا موضع استهجان أهل الذوق والأدب، وذكر قصص هؤلاء المقصَّرين في «براعة الاستهلال»، وما جرَّته عليهم سقطاتهم من متاعب وإعنات، وهدف من وراء ذلك إلى تحذير الكتَّاب والمنشئين من الوقوع في مثل هذه السقطات التي ألحقت بأصحابها من كبار الأدباء ما لا تحمد عقباه، ومن أمثال ذلك ما قاله المتنبِّي في مطلع قصيدة (من الطويل):

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنَّ أمانياً^(١)
وما قاله البحتري في مطلع قصيدة له (من الكامل):

يا دارُ غيرك البلى ومحاكٍ يا ليت شعري ما الذي أبلاك^(٢)

وبعد هذا، فكتاب «خزانة الأدب وغاية الأرب» يُعتبر كتاب بلاغة لتضمَّنه البديعية وشرحها، وما اقتضاه هذا الشرح من تعريفات وحدود، رجع ابن حجة فيها ليس إلى سبعين كتاباً كما فعل الصفي، بل إلى ما يزيد على مئة كتاب كان يذكرها في أثناء حديثه، فيسمِّيها ويسمِّي مؤلِّفها حيناً، ويكتفي باسمها أو باسم مؤلِّفها حيناً آخر، فكان ينقل منها بعض التعريفات والحدود البلاغية، أو بعض المناقشات التي كانت تدور بين البلاغيين حول نقطة معقَّدة، وكثيراً ما كان يذكر تاريخ ميلاد النوع البديعي، وعلى يد من وُلد، ففي حديثه عن الترتيب مثلاً، قال: «هذا النوع... من استخراجات التيفاشي، ذكره في كتابه وسمَّاه بهذا الاسم»^(٣). وفي حديثه عن الاشتقاق، قال: «هذا النوع، أعني الاشتقاق، استخرجه الإمام أبو هلال العسكري، وذكره في آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بـ «الصناعتين»... وهذا النوع ما ذكره القاضي جلال الدين القزويني في «التلخيص» ولا في «الإيضاح»، ولا ذكره الشهاب محمود في «حسن التوسل»، ولا نظمته العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات، غير الشيخ صفي الدين الحلِّي...، و... الشيخ عزَّ الدين في

(١) خرَّج هذا البيت في باب «براعة الاستهلال».

(٢) خرَّج هذا البيت في باب «براعة الاستهلال».

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ٦٠/٤.

المعارضة...»^(١). فمن خلال هذا المقطع يتّضح لنا أنّ ابن حجّة الحمويّ كان إذا أراد نظم النوع البديعيّ وشرّحه رجع في شرحه إلى الكثير من كتب البلاغة، وقارن بين تعريفات البلاغيين له، ورجع إلى ما ذكره أصحاب البديعيات، ثم يستخلص لنفسه رأياً في تعريف هذا النوع، مشيراً إلى مخترعه أو السابق إلى اكتشافه أو معرفته، وهو في كلّ ذلك يتمتّع بشخصيّة الناقد البلاغيّ، إذ يذكر الأنواع ويعرّفها ويعرّج عليها بالنقد، فيقبل منها ما أعجبه، ويعرض عن غيره، معللاً الأسباب، فكثيراً ما كان يأخذ من هذا الكتاب لسبب، ويترك رأي مؤلف ذلك الكتاب لسبب، ويصوّب رأي فلان، ويسقّه رأي آخر، ويستحسن رأي زيد، ويمجّ رأي عمرو... وهذا كلّه لا يتأتّى للمرء إلّا بعد سعة اطلاع وتعمّق في كتب البلاغة ونقدها.

ولتتضح صورة النقد البديعيّ أكثر في كتابه يستحسن إيراد ما قاله عن «الاشتقاق» ومناقشته له، فتتضح بذلك معالم سعة اطلاعه وقيمة منهجه النقديّ، إذ يقول: «هذا النوع، أي الاشتقاق، استخرجه الإمام أبو هلال العسكري، وذكره في آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بـ «الصناعتين»، وعرفه بأن قال: «هو أن يشتقّ المتكلّم من الاسم العلم معنى، في غرضٍ يقصده، من مدح أو هجاء أو غيره، كقول ابن دريد في نبطويه (من السريع):

لو أوحى النحو إلى نبطويه ما كان هذا العلم يُعزى إليه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صياحاً عليه^(٢)

وهذا النوع، ما ذكره القاضي جلال الدين القزوينيّ في «التلخيص» ولا في «الإيضاح»، ولا ذكره الشهاب محمود في «حسن التوسّل»، ولا نظمته العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات، غير الشيخ صفى الدين الحلبيّ، وبيت بديعته، التي ذكر أنه جمعها من سبعين كتاباً، قوله:

لم يلقَ مرحبٌ منه مرحباً ورأى ضدّاً اسمه عند هدّ الحصن والأطم^(٣)

الشيخ صفى الدين اشتقّ من اسم «مرحب» «الترحاب»، حتى يقابله بضده، وهذا هو الغرض الذي أراده الناظم.

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب، باب (٢) البيتان مخرّجان في باب «الاشتقاق».

(٢) البيت مخرّج في باب «الاشتقاق».

«الاشتقاق».

وبيت الشيخ عزّ الدين في المعارضة قوله:

مِيمٌ وَحَا فِي اشْتِقَاقِ الْإِسْمِ مَحْوُ عِدَى وَالْمِيمُ وَالِدَالُ مَدَّ الْخَيْرِ لِلْأَمَمِ (١)
هذا البيت يشقّ عليّ أن أشرح اشتقاقه، وأذكر ما فيه من التعسّف والزيادة، وعدم القبول للتجريد، فإنه أراد أن يمشي على طريق ابن دريد في الاشتقاق، فلم يأتِ بغير الشقاق، وما ذاك إلا أن اسم نبطويه سداسيّ، فسّمه الناظم في الاشتقاق نصفين: جعل النصف الأوّل «نفظاً»، والثاني «صياحاً»، وهذا الاشتقاق صحيح على هذا التفصيل، وقالوا: هو في «محمّد» رباعيّ، من أين للشيخ عزّ الدين، غفر الله له، هذا حتى تصحّ معه لفظة محو، مع أنّي راجعت شرحه فوجدته قال: «ميم والحاء، من اسم محمّد، (ﷺ)، فيهما محو لأعدائه»؛ وأيضاً فلم نجد أحداً استشهد، في بيت من بيوت بديعيّته، وصدّر بيته، بقوله:

* «ميم وحَا في اشتقاق الاسم محو عِدَى»*

إلا الشيخ عزّ الدين، فإنّ المراد من بيت البديعيّة أن يكون صالحاً للتجريد خالياً من العقادة، ليصحّ الاستشهاد به على ذلك النوع.

وبيت بديعيّتي أقول فيه عن النبي، (ﷺ):

محمّد أحمد المحمود مبعثه كلّ من الحمد تبيين اشتقاقهم (٢)
قد تقدّم تقرير أبي هلال العسكريّ، في هذا النوع، وهو أن يشقّ المتكلّم معنى لغرضٍ يقصده. والغرض هنا، أنّ كُلاًّ من «محمّد» و«أحمد» وصفتهما المحمودة مشتقّ من «الحمد»، وشرف هذا المدح ظاهر، والله أعلم (٣).

لقد أوردت هذا النصّ عن «الاشتقاق» هنا كاملاً لأظهر مدى سعة ثقافته واطلاعه على كتب البلاغة عامّة و«البديعيّات» خاصة، ولا سيّما تلك التي نظمت قبله وشروحها، ولأبين ما تميّز به من روح نقدية بديعية من خلال مناقشته لشرح بديعية الموصلي، مبيّناً لنا تعسّف الموصليّ في الشرح حتى اضطرّ إلى العقادة والغموض، في حين كان الصفيّ قد أصاب الهدف المقصود في بيت بديعيّته، ومثل هذه الآراء المختلفة مبثوثة في خزائنه بكثرة، وهي التي جعلت منه ناقداً بديعيّاً، يعتمد على ذوق

(١) البيت مخرج في باب «الاشتقاق».

(٢) البيت مخرج في باب «الاشتقاق».

(٣) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب، باب «الاشتقاق».

بديعيّ يمدّه بمخزون كبير من الاطلاع على كتب البلاغة وفنون البديع، بالإضافة إلى الممارسة الطويلة للقراءة والكتابة والدربة على النظم وتدييج البديع واقتناصه نظماً ونثراً. كما تتضح من هذا النصّ الغاية الأولى التي نظم بديعيّته في سبيلها، ألا وهي معارضة الحلّيّ والموصليّ بشكل خاصّ، وذلك من خلال المقارنة التي اتخذها مقدّمةً للوصول إلى نتيجة التدليل بحسن صنيعه وتفوّقه على عميديّ فنّ البديعيات في ذلك العصر.

ويقودنا هذا النصّ إلى استنتاج بعض ميّزات ابن حجّة في مواقفه ممّن سبقه من الكتاب والأدباء والشعراء بصورة عامّة؛ وممّن سبقه إلى نظم البديعيات وشرحها بصورة خاصة. فكثيراً ما نجده يعترض على أمرٍ ما عند بعض الشعراء، أو يبيّن سرقة شاعر أو أفضلية آخر، أو يتتبع المعاني التي أخذها شاعر من آخر، كتبّعه للمعاني التي أخذها صلاح الدين الصفديّ من جمال الدين بن نباتة، أو التي أخذها هذا من الوداعيّ، وينقد عليهم أشعارهم مبيّناً وجوه الخطأ فيها وجوه الصواب، أو ينبه على ما أغفلوه، ولا سيّما أثناء المقارنة بين أبيات أصحاب البديعيات، فيقول، مثلاً: «والعميان لم ينظموا هذا النوع...»؛ أو يعتذر عن بعضهم، مبيّناً أعتذارهم، ولا سيّما في دفاعه عن الموصليّ في بعض العقادة التي جاء بها التزامه بتسمية النوع البديعيّ، أو في عدم نظم العميان لنوع تافهٍ من الأنواع البديعية، فيتمتّى لو كان معهم، لولا إلزامية المعارضة. ومن ناحية أخرى تجده يؤيد آراء البعض أو يدافع عنهم، أو يستحسن اعتراض غيره على فلان، أو يورد آراء فلان في الردّ على آخر، أو يعقّب على أقوال فلان، ومع هذا تراه يحمل على بعضهم حملةً عنيفة، ثمّ يدعي أنّ الأفضلية هي في بديعيّته وشرحها، كلّ ذلك مقروناً بالشواهد والبراهين وشهادات أصحابه له من المعاصرين والمحيّين والمقرّبين، وأكثر ما تتركز آراؤه في أفضلية «بديعيّته» على غيرها أثناء المقارنة بين بيته وأبيات البديعيات الثلاث، في آخر كلّ باب بديعيّ من أبواب الخزّانة البالغة مئة واثنين وأربعين باباً، وقد سبقت الإشارة إلى رأيه وموقفه من البديعيات الثلاث وما قصّرت فيه، وأسباب ذاك التقصير، إذ دفعه ذلك كلّه إلى نظم بديعيّة يعارض بها تلك البديعيات، ويشرحها فتوضّح غاية الأرب منها.

ولهذا كلّه، لم تعد «خزانة الأدب وغاية الأرب» كتاباً مقصوراً على البلاغة وتعريفات أنواعها وتسميتها، بل كانت معرضاً لكلّ ما تزخر به ثقافة ابن حجّة الأدبية

من ضروب وفنون، فهو في أثناء الشرح ينقلك من البلاغة إلى الأدب، ومن النقد إلى الطرفة، ومن الخبر إلى الفن، وهذا ما جعل «خزائنه» حديقة غنيّة بكلّ الثمار الشهيّة من الأشجار الحمويّة.

إذاً، فقيمة هذا الكتاب تكمن في موضوعه ومضمونه، لما اشتمل عليه من الأنواع البديعية في «تقديم أبي بكر» وشرحها، وما حواه من شواهد كثيرة من القرآن الكريم، والحديث الشريف والشعر القديم والمعاصر له، وشواهد النثر، بالإضافة إلى البديعيات الثلاث الأخرى التي قام ابن حجّة بمعارضتها وشرحها، وما أودعه في خزائنه من ثقافته الواسعة، وما حفظته تلك الخزانة من آراء بعض النقاد والبلاغيين الذين ضاعت كتبهم مع الزمن، وما نقلته من آثار بعض الأدباء الذين فُقدت كتاباتهم مع ما فقد من التراث العربيّ آنذاك، فكانت بذلك مصدراً مهمّاً لهؤلاء وهؤلاء.

وفي «شرح بديعته» من الفوائد اللغوية والأدبية والنقدية والبلاغية والتاريخية وغيرها، فنون أكثرها من المستملح المستطاب. وهذا ما دفع محمود رزق سليم إلى القول فيه: «وما عليك إلا أن تجمع تعريفاته البلاغية ومعها المثل أو المثالن، ثمّ تنحّيهما جانباً عن بقيّة «الخزانة» لتبدو لك بقيّتها مسرحاً وضيئاً متألقاً مليئاً بجولات الأديب الذي فاضت صورته بالأدب اللباب، وسنح خاطره بالنقدات العذاب، وفيها ما فيها من حسن اختيار وسهولة عرض ودقّة تتابع وجمع للمتفرّق المتقارب»^(١).

ولعلّ «شرح بديعته» من أوائل الكتب التي فتحت مجالاً أمام شراح البديعيات بأن يضمّنوا شروحهم بديعيات أخرى، كادت أن تكون مفقودة لولا ذكرها في تلك الشروح، بل إنّ شرح بديعته كان أهمّ من البديعية نفسها، إذ جعله شرحاً مطوّلاً حوّله فعلاً إلى «خزانة أدب» أودعها كثيراً من معرفته وعلمه ونوادره وطرائفه والمساجلات الأدبية والنقدية التي دارت في عصره، والتي كان لها أثر كبير في تحريك عجلة النقد الأدبيّ الفتّي، فغدت بذلك موسوعة تجمع بين اللغة والأدب

(١) عصر سلاطين المماليك ١٦٥/٦.

والبلاغة والنقد والشعر والنثر والتاريخ والتراجم... حتى ليتمكن اعتبارها مرجعاً خاصاً لشعراء العصرين الأيوبي والمملوكي، زيادة على كونها مرجعاً عاماً لا غنى عنه لطلبة العلم في مختلف الدراسات الأدبية والبلاغية والنقدية. ولعلّ أوجز كلمة في قيمة هذا الكتاب الأدبية، ما كتبه معاصره، أحمد بن حجر العسقلاني في الصفحة الأولى قبل العنوان في النسخة «ك»، ذات الرقم (٥٩٧١): «هو مجموع أدب قلّ أن يوجد في غيره، ولعلّ مقتنيه يستغني عن غيره من الكتب الأدبية، ولو لم يكن له فيه إلا جودة الشواهد لكلّ نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادير العصرين...»^(١)، كما أنّ قيمة هذا «الشرح» مرتبطة بالقيمة العلمية للبدعية، وما حوته من أنواع البديع والبلاغة، وأسلوب النظم والتورية باسم النوع، وهذا ما دفع بدر الدين البشكي إلى أن يقول فيها: «نظم ابن حجة في البديع قصيدة غنيّة عن «التلخيص» و«الإيضاح»، و...»^(٢)، هذا بالإضافة إلى الأثر الكبير الذي تركته في الأدب والنقد والبلاغة، والمؤلفات المنبثقة عنها أو المعارضة لها، أو المقتبسة منها، والتي سيأتي الكلام عليها.

ولكنّ هذه «الخزانة» رغم قيمتها البالغة الأهميّة فقد خلت من التاريخ والسيرة، ولا سيّما السيرة النبويّة، ولعلّ هذا استوعبه كتاب آخر لابن حجة هو «بلوغ المرام من سيرة ابن هشام والروض الأنف والأعلام».

وما إن فرغ ابن حجة من تأليف كتابه «شرح تقديم أبي بكر» حتى أقبل أدباء عصره وعلماءه يتناسخونه لما أعجبوا بمضمونه، وكتبوا عليه تقارير كثيرة، وأخذ عليه البعض بعض المآخذ، فقال: «وليس لابن حجة في بديعته فضل اختراع أو زيادة على من تقدّمه من أصحاب البديع، وكلّ ما له من فضل أنه جمع فيها من أعمال السابقين مئة واثنتين وأربعين نوعاً من المحسنات، يختلط اللفظي فيها بالمعنوي من غير فصل أو تحديد. وكل ما يلحظ من خلاف بينه وبين سابقه هو في تسمية بعض الأنواع، فالتصدير، والالتزام مثلاً عنده هما: ردّ العجز على الصدر، ولزوم ما لا يلزم عند غيره. ولعلّ التباين في تسمية بعض أنواع المحسنات عنده ناشئ

(١) سبقت الإشارة إلى هذا القول في مكانه من المدخل.

(٢) هذا القول ورد في صفحة العنوان من النسخة «د».

من صعوبة تطويع اسم النوع كلّهُ للنظم»^(١)، إلا أنه يقول قبل ذلك: «وما من شك في أنّ بديعيته أرقّ وأسلس في نظمها من بديعية عزّ الدين، ولكنه لم ينجح كل النجاح في التخلّص ممّا عابه عليه من ثقل النظم والتكلّف الشديد في بديعيته»^(٢)، إلا أن هذا الكتاب يبقى كما قال فيه بدر الدين الدمايني: «على أنّه لو لم يكن لهذا الإمام، . . . إلا هذه البدعيّة لكفاه فضلاً، ولأوجب ذلك له في ذمّة الشكر ديوناً لا تستطيع غرماء الأفكار أن توفّيها أصلاً. . .»^(٣).

ومن أراد أن يشكّل فكرة صحيحة عن بديعية ابن حجّة فلا بدّ له من مراجعة نصّ البديعية في «الخزانة» موزّعاً على الأبواب البديعية، أو مجموعاً في الفصل السابق.

وأما شرحه لبديعيته فقد حوى بالإضافة إلى ما سبق من مواقف نقدية وفنون أدبية وبلاغية، ومقتطفات مختلفة من كلّ فنّ ونوع، الكثير من الموضوعات المختلفة التي بثّها هنا وهناك في ثنايا شرحه، والتي تعتبر بذاتها مصدراً من مصادر التراث العربيّ، ومن هذه الموضوعات ما استقاه من مصادره الكثيرة التي اطّلع عليها وفقدت مع الزمن، أو من تجارب حياته الشخصية ومطالعاته اليومية، ويكفي أن يطّلع أحدنا على كتابه ابتداءً من «حسن الابتداء وبراعة الاستهلال» وصولاً إلى «حسن الختام» ليجد فيه موسوعة أدبية تجمع بين اللغة والأدب والبلاغة والنقد والترجمة والتاريخ، والطرائف والفنون والقصص ومنظوم الكلام ومثوره والنوادر والمناظرات والمساجلات، حتى يمكن القول أنّه ضمّ كُتباً بحالها أمثال «تغريد الصادح»، و«تحرير القميراطي»، و«زاوية شيخ الشيوخ»، ومن ينظر في باب «التورية» مثلاً، يجد فيه كتاباً آخر وضعه فيما بعد ضمن كتاب سمّاه «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام»، . . . وغيرها من الكتب لنفسه ولغيره من الشعراء والأدباء المعاصرين له والسابقين.

١- أثر «بديعية» ابن حجّة «وشرحها» في الأدب والنقد والبلاغة:

أ- أثرهما في الأدب:

سبقت الإشارة إلى أن ابن حجّة الحمويّ لم يكن شاعراً فحسب، بل كان شاعراً أدبياً، قد امتلك زمام الأدب من شقّيه: الموهبة الشعرية والمقدرة على التأليف،

(١)(٢) علم البديع (عبد العزيز عتيق) ص ٦٤ - ٦٥.

(٣) المخطوطة ب، الجزء الثاني ص ٢٢٥ ب - ٢٢٦ أ.

فهذبت الشاعرية قلمه، وقعد القلم شعره، فهو لم يكتفِ بنظم البديعية معارضاً بها من سبقه (الحلبي والموصلي)، بل جعل همه في شرحها، والتنبيه على مستغلقاتها، والإشارة إلى مواطن الاستشهاد فيها، بشرح يطول ويتسع تارةً كما في خزائنه هذه، أو يختصر ويضيق تارةً، كما في كتابه «ثبوت الحجّة على الموصلي والحلي لابن حجّة»، وفي كلا الحالتين كان شرحه مسرحاً وضيئاً بفنون الأدب الشعريّ والثريّ، والقصص والأمثال، ولمحات النحو والصرف والعروض والتاريخ والتراجم... إضافة إلى الشواهد من الشعر والنثر، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ)، وغيرها، حتى غدت شروحه مطية ليكشف بها عن مكنون صدره، وليعرض من خلالها مذكر علمه وأدبه ممّا جمعه وحواه؛ ومن هنا فدراسة أثر بديعية ابن حجّة وشرحها في الأدب تنطلق باتجاهين اثنين: أولهما: من حيث كثرة التأليف التي قامت حولها أو عارضتها أو انبثقت منها؛ وثانيهما: من حيث الفوائد العلمية في هذه التأليف.

١- المؤلفات المنبثقة عن بديعته:

سبقت الإشارة إلى أنّ ابن حجّة نظم بديعته لدوافع كثيرة منها معارضة الحلبيّ والموصليّ، نزولاً عند رغبة صديقه محمد بن البارزيّ، وقد ارتبطت فكرة النظم عنده بفكرة التأليف، فعمد إلى بديعته يشرحها، فكان له فيها شرحان: شرح مطوّل وهو المسمّى بـ «خزانة الأدب وغاية الأرب»، وشرح مختصر سمّاه «ثبوت الحجّة على الموصليّ والحليّ لابن حجّة». ولم يقتصر التأليف على شرحه هذين بل انطلقت من بديعته شروح أخرى لغيره ومعارضات كثيرة، ومؤلفات لم تكن شروحاً لها، بل كانت في النقد والبحث في السرقات، والاحتجاج لهذا أو لذلك.

ولم يكن صنيع ابن حجّة في شرحه لبديعته إلا اقتداءً برائده الأوّل صفيّ الدين الحلبيّ الذي نظم بديعته ثم شرحها وعقب على أبياتها دالاً على النوع ومواطن الاستشهاد. ولو نظرت في شرح بديعته لوجدت فيها الكثير من بضاعته وعلمه وأدبه الشعريّ والثريّ، وتفاخره فيما كان يحمل من إحاطة بفنون الشعر والأدب، والإدلال بمقدرته على الخوض في عباب هذا التيار الزاخر الذي يتطلّب الكثير، فالبدیع وأنواعه في قصيدته، بل البديعية ذاتها، لم تكن سوى مطية يتوسل بها أغراضاً أخرى، ولهذا تجاوز شرحه الحجم المعروف عند الشروح السابقة له عند الصفّيّ والموصليّ. ويكفي

أن تنظر في باب «التورية» وباب «التوجيه» لترى معظم الشواهد المكررة بين البابين، بالإضافة إلى اقتناص الكثير من شواهد التورية حتى بلغت حجم كتاب ضخيم، جمعه فيما بعد تحت عنوان «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام».

وبهذا ظهر ابن حجة في شرح بديعته مدفوعاً بدافعين اثنين كغيره من ناظمي البديعيات: أحدهما الجري على عادة الأغلبية وستة الشعراء لتوضيح الأنواع المقصودة، ويترتب على هذا أن يكون الشرح ضامراً مختصراً، وهذا ما فعله في «ثبوت الحجّة على الموصليّ والحليّ لابن حجة»^(١)؛ وثانيهما: مجازاة المشهورين في عرض ما يحملونه من بضاعة الأدب وفنونه، بل قد فاقهم في ذلك، وهذا ظاهر في «خزانتة».

ولم يتفرد ابن حجة بشرح بديعته، بل لقد لقيت بديعته وشرحه لها عناية كبيرة من العلماء والأدباء والبلاغيين بعده، وما حظيت به من عناية لم تكن بديعية أخرى لتحظى به، وشاهد ذلك أنها رغم شرح ناظمها لها شرحاً وافياً، فإن أحد أدباء العصر واسمه عثمان الظاهر قد شرحها مرّة ثانية، كما شرحها محمد بن أحمد بن عثمان البسطامي المتوفى سنة (٨٤٢هـ)^(٢)؛ وشرحها أيضاً محمد بن عيسى بن محمود بن كنان المتوفى سنة (١١٥٣هـ)، وأطلق على شرحه اسم «المحاسن المرضية في شرح المنظومة البديعية»، وذلك بعد أن نظر في شرح ابن حجة فوجده «لم يتكلم في أكثر أحواله إلا في النوع وترك شرح باقيها»، ورأى عمله غير مكتمل، فعبر عن غايته قائلاً: «فأحببت أن أنشئ لها شرحاً حسناً يحيط بها إحاطة الدائرة بفلك معدّل النهار، ويمتزج بها كما امتزج بياض الورد بالاحمرار»^(٣).

ولم تقتصر العناية ببديعية ابن حجة على الشرح فقط، بل لقد لاقت البديعية وشرحها اهتمام الكثيرين من المشتغلين بالبلاغة فعارضوها ونهجوا نهجها في بديعياتهم وشروحهم، ففي أوائل القرن العاشر نظم الإمام جلال الدين السيوطي بديعية عارض بها بديعية ابن حجة وشرحها وسماها «نظم البديع في مدح خير شفيح»، وبعده توالى المشتغلون بالبلاغة قرناً فقرناً، وكانوا يعتمدون في نظم

(١) سيأتي الكلام عليه بعد قليل.

(٢) انظر هدية العارفين ٦/١٩٢-١٩٣، ٣٢٥.

(٣) البديعيات في الأدب العربي ص ١٩٣.

بديعاتهم أو في شروحها على بديعية ابن حجة الحموي، فالشيخ عبد الغني النابلسي عندما أراد أن ينظم بديعته عارض بها ابن حجة وسماها «نسمات الأسحار في مدح النبي المختار»، وعندما عزم على شرحها اعتمد على ثلاثة شروح رئيسة هي: شرح الحلبي، وشرح الموصلي، وشرح ابن حجة، وسمى شرحه هذا «نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار»، وكذلك فعل مصطفى بن عبد الوهاب الصلاحي الذي نظم «نخبة البديع في مدح الشفيح»، وقد ذكر ابن حجة الحموي في مقدمة كتابه في عداد الذين استعان بمؤلفاتهم.

ومن الذين أعجبوا بشرح ابن حجة على بديعته عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي فاختصر هذا الشرح تيسيراً للدارسين وسماه «شرح أبي الفلاح».

وممن وقف على شرح بديعية ابن حجة علي بن محمد بن دقماق الحسيني المتوفى سنة (٩٤٠هـ.)، فاقفى أثرها، ونظم قصيدة على منوالها ثم شرحها شرحاً حافلاً^(١). وكذلك فعل عبد القادر بن محمد بن يحيى الحسيني الطبري المكي الشافعي، إلا أنه سمي شرحه على بديعته «علو الحجّة بتأخير أبي بكر بن حجة».

وممن عارض ابن حجة في ذلك علي بن أحمد بن محمد بن معصوم المدني، وقد سمي بديعته «تقديم علي»، ردّاً على تسمية ابن حجة لبديعته «تقديم أبي بكر».

ومن هؤلاء أيضاً قاسم بن محمد البكرجي الحلبي الذي نظم بديعية على غرار بديعية ابن حجة، فالتزم فيها ذكر اسم النوع البديعي في أثناء البيت، وسمّاها «العقد البديع في مدح الشفيح»، ثم شرحها شرحاً جيداً سماه «حلية العقد البديع في مدح خير شفيح»^(٢). ولمحمد نوري باشا بن أحمد بن عبد الوهاب الكيلاني بديعية اقتدى فيها بابن حجة، وسمّاها مع شرحها «البديعية النورية في مدح خير البرية»؛ ولمحمد رضوان بن محمد بن إسماعيل بديعية حاول فيها أن يتابع ابن حجة في كل شيء، فالتزم فيها التورية باسم النوع البديعي، ضمن البيت، وسمّاها «عنوان الرضوان في مدح سيّد ولد عدنان»، إلا أنّ هذه البديعية لم تظفر بشرح^(٣).

(١) انظر البديعات في الأدب العربي ص ١٠٨، ١١٠.

(٢) انظر البديعات في الأدب العربي ص ١٣٣-١٣٥.

(٣) لقد سبق الكلام على هذه البديعات وشروحها في الفصل الرابع.

كما شغلت بديعية ابن حجة الرجال والنساء على حد سواء، إذ نظمت عائشة الباعونية بديعتها وشرحها متأثرة بابن حجة؛ والجدير بالذكر أيضاً أن هذه البديعية قد شغلت المسلمين والنصارى معاً، فممن ألف شروحاً على بديعية ابن حجة الخوري بولس عواد، وسمّاها «العقد البديع في فنّ البديع».

ثم إنَّ المطلع على الآثار التي انبثقت عن بديعية ابن حجة ودارت حولها أو عارضتها واقتدت بها، يعلم أن أثر هذه البديعية في الحركة التأليفية لم يقتصر على الشروح والمعارضات فحسب، بل إنَّ هناك حقيقة لا بدّ من ذكرها وهي أن هذه البديعية كغيرها من البديعيات الفذة استقطبت مجموعة من الكتب، لم يكن موضوعها الشرح الخالص أو المعارضة المحضة، بل تجاوز موضوعها ذلك إلى «المختصرات»، و«النقد»، و«البلاغة».

أما على صعيد المختصرات، فإنَّ هذا الموضوع لم يكن بعيداً عن الشروح، فقد عمد ابن حجة إلى اختصار شرحه المطول ليكون ميسراً بين أيدي جميع القراء، وأطلق على مختصره اسم «ثبوت الحجّة على الموصليّ والحليّ لابن حجة»، وقد سبقت الإشارة إلى أنّ عبد الحيّ بن العماد الحنبليّ اختصر شرح ابن حجة المطول تيسيراً للدارسين، وسمّاه «شرح أبي الفلاح»^(١). فما إن أنجز ابن حجة كتاب «شرح تقديم أبي بكر» بين نظم وشرح وتنقيح ومراجعة للكتب السابقة، وعرضه على الملاء حتى انبرى له بعض أدياء عصره وسلقوه بألسنة حدادٍ، ورموه بالسرقة والاتباع والتطفّل على موائد أصحاب البديعيات الذين جاؤوا قبله، ورغم اعتزازه بصنيعه أخذ معاصروه ينعتونه بـ «تأخير أبي بكر»، واتهموه بأنّه لم يزد عن سرقة أبيات أصحاب البديعيات الذين سبقوه وسرقه أفكارهم في شرحهم، لهذا عمد إلى رفع التهمة عنه، بتأليف كتاب آخر يثبت فيها فكرة «تقديمه» على عميدي نظام البديعيات آنذاك الحليّ والموصليّ، فكان هذا المؤلف هو كتاب «ثبوت الحجّة على الموصليّ والحليّ لابن حجة»، ولقد افتتح كتابه هذا بالشهادة التي ظفر بها من أصدقائه، علماء القرنين الثامن والتاسع الهجريّين، الذين قرّظوا بديعته، وعلى رأسهم قاضي القضاة أحمد بن حجر العسقلانيّ، وبدر الدين الدمامينيّ المالكيّ. وخلاصة «ثبوت الحجّة» إذاً أنه

(١) انظر فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية ٢٠٣/٢.

كتاب مختصر لـ «خزانة الأدب وغاية الأرب»، جمع فيه ابن حجة أبيات البديعيات الثلاث، وعرف كل نوع من الأنواع البديعية، وكان رائده المقارنة التي اتخذها مقدمةً للوصول إلى نتيجة التدليل بحسن صنيعه، وتفوقه على عميدَي فن البديعيات: الحلبي والموصلي.

وأما على صعيد النقد، فقد اهتمت مجموعة من العلماء ببديعيته، فراحوا يتابعون قضاياها، ويتذوقون ثمارها ويوجهونها، إن أمكنهم ذلك، أو يكشفون عن بعض جوانبها، وهذا ما استقطبته بديعية ابن حجة وشرحها. فمما وصل إلينا خبره أو مضمونه مجموعة من الكتب تدور في فلك بديعيته وشرحها، وهي:

- «إقامة الحجة على ابن حجة»: لمؤلفه أبي بكر بن عبد الرحمن باعلوي، الذي قال فيه الزركلي: هو «في نقد بديعية ابن حجة الحموي»؛ وذكره إلبان سركيس في معجمه بقوله: وفيه «انتقاد على ابن حجة الحموي بشرح شواهد بديعيته»^(١).

- «سركات ابن حجة في بديعيته»: ولعل هذا الكتاب لتلميذ ابن حجة المعروف بـ «النواجي»^(٢).

- «الحجة على من زاد على ابن حجة في البديع»: لمؤلفه عثمان بك الجليلي الموصلي.

بيد أنه يلاحظ أنّ هذه الكتب يستقطبها ابن حجة وحده آنذاك، في بديعيته التي أكثر في صفحاتها من الإعجاب بنفسه، وإظهار تفوقه على غيره مما أثار حوله موقفَي الخصومة والتأييد، كما يبدو ذلك من أسماء هذه المؤلفات التي تعتبر بحق أثراً من آثار بديعيته.

وأما على صعيد البلاغة، فقد وجد بعض الكتاب في بديعية ابن حجة بناءً قوياً متكاملًا يضم أنواع البديع كلها، ولذلك عندما أراد هؤلاء أن يؤلفوا كتباً في البديع، لم يكلفوا أنفسهم عناءً كبيراً، بل اتخذوا من بديعيته وسيلة للتفصيل في فنون البديع، ومن هؤلاء: بولس عواد الذي ألف كتاباً سماه «العقد البديع في فن البديع»، إذ اتخذ من بديعية ابن حجة مادة لهذا الكتاب أغناه بشرح وتوضيح للأنواع البديعية الواردة

(١) الأعلام ٦٥/٢، ومعجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١/١٤٠.

(٢) انظر هدية العارفين ٦/٢٠٠-٢٠١.

فيها متبعا ترتيب ابن حجة دون تقديم أو تأخير.

ومنهم أيضاً حفني ناصيف الذي عرّف كتابه التعليمي باسم «القطار السريع في علم البديع»، وقد تحدّث عن سبب تأليفه فقال: «شكا لي بعض طلبة الحقوق صعوبة تحصيل علم البديع وكثرة نسيانه، وسألني وضع مختصر إن لم يُحفظ على الغيب فإنه يوضع في الجيب، فأشرت عليه أن يحفظ بديعية تقي الدين، وتكلّفت له بشرحها شرحاً وجيزاً أختار فيه أرجح الأقوال وأصحّ التعاريف وأوضح الأمثلة بأبسط العبارات وآثرت هذه البديعية على غيرها لشهرتها بين الأدباء، وللإشارة فيها إلى أسماء الأنواع...»^(١). وبهذا يبدو أنّ بديعية ابن حجة لم تعد منظومة وحسب، بل كانت فتاً شعرياً بلاغياً أدبياً، قامت حولها حركة واسعة من الشروح والمؤلفات المتنوعة في فنونها وفوائدها وموضوعاتها.

٢- الفوائد العلمية في هذه المؤلفات:

إن أحسن ما قيل في فوائد هذه المؤلفات وقيمتها العلمية ما أطلقه محمود رزق سليم أثناء بحثه في شرح ابن حجة، إذ استطاع أن يخمن المقصود من نظم هذه البديعية وشرحها، فقال: «وما عليك إلا أن تجمع تعريفاته البلاغية ومعها المثل أو المثالن، ثمّ تتخيها جانباً عن بقية «الخزانة» لتبدو لك بقيتها مسرحاً وضيقاً متألقاً مليئاً بجولات الأديب الذخي فاضت صورته بالأدب اللباب، وسنح خاطره بالنقدات العذاب، وفيها ما فيها من حسن اختيار وسهولة عرض ودقة تتابع وجمع للمتفرّق المتقارب»^(٢).

إنّ هذا القول يوضّح أن ذاك الشرح - وغيره من الكتب المنبثقة عن البديعية - لم يتخذ من البديع ووجوهه إلا مطية، يتوسّل بها ابن حجة عند النظم أو الشرح، ليحلّق على أجنحتها ويسير في رحاب ما زخر به صدره ووعاه عقله من فنون الأدب والمعرفة، ولذلك لا يمكننا أن نسمي هذا الشرح إلا بجنة مدخلها «بديع»، وكل ما فيها متنوع بديع، وهذا ما جعلها بحق «خزانة للأدب وغاية للأرب». ويكفي أن تنتقل إلى مضمون هذا الشرح لنجد مصداق ذلك، من خلال البناء العام الذي بني عليه، والذي يتمثّل في العناصر التالية:

(٢) عصر سلاطين المماليك ٦/١٦٥.

(١) القطار السريع: المقدمة، ص ٢.

البديع، وشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف، والشواهد الشعرية من مختلف العصور الأدبية، والشواهد النثرية، ولمحات نقدية، وفنون مختلفة، وبديعيات.

أ- البديع:

قامت بديعية ابن حجة، كأية بديعية، على فنّ البديع، وفقاً لشروطها الملتزمة، وهي أن يتضمّن كلّ بيت نوعاً من أنواعه، لذلك فإنّ أول ما قام به ابن حجة في شرحه لبديعيته، هو التعريف بالنوع البديعيّ الذي ورد في بيت البديعية، وتوضيح شروطه وأقسامه، وذكر أقوال العلماء في هذا النوع، وفي معظم الأحيان يعمد إلى التسمية، فيفصل القول في معناها لغةً واصطلاحاً، ثمّ يحدّد أقسام النوع ويفصلّها، ثم يذكر الفرق بينه وبين ما يمكن أن يشتهه أو يلتبس به من أنواع البديع. لذلك يمكن أن يُستخرج من «شرح» كتاب خاصّ بالبديع يشمل أنواعه كلّها وما يضاف إليها من جديد على مرّ الزمن، وذلك باستخراج البيت وما يعقب عليه من شرح للنوع وتحديد له من هذا «الشرح». وخذ مثلاً لذلك ما قاله ابن حجة في خزائنه إثر بيت بديعيته في «التورية».

ب- شواهد القرآن الكريم والحديث الشريف:

لا ننسى أنّ الغاية التي قامت من أجلها معظم علوم العربية ولا سيّما علم البلاغة، إنما هي النصّ القرآنيّ الكريم وإعجازه وتفسيره، والسنة النبوية الشريفة... ومن هنا كان ابن حجة، كغيره من الدارسين والمشتغلين في البلاغة العربية، يؤكّد هذه الناحية، ويصرّ على إدراك علوم البلاغة لهذه الغاية، وما استكثاره من آيات القرآن في شرحه إلّا دليل على ذلك، تليها غالباً أحاديث النبيّ، (ﷺ)، حتى كادت هذه الطريقة أن تكون سنة متّبعة لمن جاء بعده^(١).

ج- الشواهد الشعرية من مختلف العصور الأدبية:

سبقت الإشارة إلى أن ابن حجة الشاعر قد اتخذ من شرح بديعيته مطية لإظهار ما عنده من علم في ثناياها، وإن أكثر ما تتضح هذه الناحية عندما يعقد الحديث على شواهد النوع البديعيّ، فإنه لم يكتف غالباً بالبيت أو البيتين، إنّما يعكف أحياناً كثيرة

(١) انظر في ذلك مختلف أبواب خزانة الأدب وغاية الأرب.

على إيراد مقطّعات كاملة في شرحه، بل قصائد طويلة، فكثيراً ما تراه لا يكتفي بالبيت المطلوب شاهداً، بل يعزّزه بذكر مناسبه وموضوعه من القصيدة، وربما يُغرم بالقصيدة كلها لجمالها فلا يتوانى عن إيرادها كاملةً، أو قريبة من الكمال، وقد لا يشبع نهمه هذا، فيبدأ بذكر ما استُحسن لهذا الشاعر واستُجيد له، دون أن يشترط موافقة ذلك لموطن الاستشهاد الذي هو فيه، وقد يخطر له أن يطنب فيأتي على ذكر عثرات هذا الشاعر والمستقيح من شعره، بالإضافة إلى ما ذكره من المستجاد له، وهكذا تتوالى أمامك الأبيات الشعرية دون أن تقتصر على شاعر أو عصر معين. ولهذا مزيتان: إحداهما: أنها من أبيات الاستشهاد إن لم تكن استطراداً. وثانيتها: أنها كانت تؤخذ من عصور مختلفة تبدأ بالعصر الجاهلي وتنتهي بعصر المؤلف، وما يزيد هذه الشواهد الشعرية أهمية أنّ ابن حجة عندما يصل إلى زمنه، ويستشهد بشعر معاصريه وأصدقائه، فإنّ ما يورده لهم، غالباً، نفتقر إليه، لإغفاله من قبل كُتب الشعر والأدب، وقد لا نجد له ذكراً في غير هذا الشرح. ويكفي أن ننظر في الشواهد الشعرية الموجودة في «الخزانة» لتجد مصداق ذلك.

د- الشواهد الثرية:

بما أنّ ابن حجة كان شاعراً وناثراً، وبما أنّ البلاغة لم تكن مقتصرة على الشعر دون النثر، أصبح من الطبيعي أن لا تقتصر شواهد على الشعر، بل إنه وجد في النثر مادةً أخرى تكشف عن جانب من جوانب ثقافته، وتنمّ عن طول باعه في هذا المجال، فكادت أمثله الثرية بقدر أمثله الشعرية أو دونها بقليل، فاتخذ من أقوال البلغاء وخطب العلماء وأمثال الفصحاء ومناظرات الأدباء ورسائلهم مادة هامة في الاستشهاد بها إلى جانب الشعر. وعلى طريقته في الاستشهاد بالشعر، سار في الاستشهاد بالنثر، فالشاهد الثري قد يكون مثلاً سائراً، أو بعض خطبة، وقد يطول ليصل إلى تضمين الشرح رسالة كاملة، كما فعل في باب «التغاير» من تضمينه لرسالة المفاخرة والمغايرة بين «السيف والقلم».

هـ- لمحات نقدية:

لقد استطاع ابن حجة أن يميّز في أثناء شرحه بين الحسن والقبیح، والجيد والرديء، من خلال لمحات وإشارات عديدة، ووقفات فاحصة في أثناء شرحه، تعبّر عن موقفه وتوضّح منهجه في النقد، وتشير إلى ملامح النقد في عصره بشكل عام،

فما هو إلا من أبناء هذا العصر، وما نقده إلا جزء من نقد العصر.
و- فنون مختلفة:

لم يقتصر هذا الشرح، والكتب المنبثقة عنه، على ما سبق ذكره، بل إن من يتجول في جنانه، ويبحث في رفوف خزائنه، يجد فيه الكثير من اللفظات البديعة، والفنون المتنوعة، ولا عجب في ذلك، إذا ما علمنا أن ابن حجة كغيره من شراح «البديعيات» كان بحق مثقفاً ثقافاً إسلامية عربية متنوعة كاملة، فجاء شرحه صورة عن هذه الثقافة التي تمثلت بكثير من وجوه الفقه والتفسير والنحو واللغة والعروض والبلاغة، وكلها فنون من المستملح المستطاب. وتكفي الإشارة إلى ما أورده ابن حجة في باب «التورية» ليكون مثلاً على ذلك، إذ ذكر حادثة جرت مع الحسن بن سهل وزير المأمون فقال: «يحكى أن بعض الشعراء هتأ الحسن بن سهل باتصال ابنته بالمأمون مع من هتأه، فأثاب الناس كلهم وحرمه، فكتب إليه: إن أنت تماديت على حرمانني عملت فيك بيتاً لا تعلم مدحُك فيه أم هجوُك، فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف، وقال: لا أعطيك أو تفعل، فقال [من مجزوء الخفيف]:

بارك الله للـحـسـنِ ولبورانَ في الخـتـنِ
يا إمامَ الهدى ظـفـرُ تَ ولكن بيئتِ مَنْ^(١)
فلم يعلم ما أراد بقوله «بيئت من» في الرِّفعة أو في الصَّغر، واستحسن منه الحسن ذلك...»^(٢).

وأمثال هذا كثير في شرحه.

ز- بديعيات:

ومما حواه شرح البديعية وحافظ عليه وأفادنا به البديعيات التي عارضها ابن حجة، قاصداً بذلك أن يثبه على تفوقه وتقدمه على أقرانه، وهو بذلك، ومن غير قصد، حاول أن يحفظ مجموعة من «البديعيات» كادت أن تكون مفقودة لولا وجودها في هذه الشروح، بل لعل ابن حجة هو من أوائل العاملين على هذا عندما جمع في شرحه بديعيات ثلاث.

(١) انظر تخريج هذين البيتين في باب (٢) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب، باب «الإبهام»، وباب «التوجيه» من الخزانة.
(٢) «الإبهام»، وباب «التوجيه».

وبناءً على هذا المضمون المتنوع لشرح البديعية وتلك الطريقة التي استخدمها في شرحه، يمكن تصنيف ابن حجة ضمن أتباع المدرسة الأدبية البلاغية في تاريخ التأليف البلاغيّ عند العرب، لما أكثره من الشواهد الأدبية والبلاغية.

إلا أنّ شرح ابن حجة قد خلا كمعظم الشروح من السيرة النبويّة، كما خلا من شرح معنى بيت البديعية، وانصبّ الاهتمام على موضع النوع البديعيّ فيه ليس غير، ولعلّ ذلك يعود إلى غاية ابن حجة المرجوة من شرحه، والتي تتمثل في نشر بضاعته النادرة وعرضها في أسواق الأدب.

ب- أثرهما في النقد:

إذا كانت بديعية ابن حجة قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالأدب، إضافة إلى كونها فتاً شعرياً متميزاً، فإن ارتباطها بالنقد كان أوثق، نظراً لتلازم النقد والأدب، ولتناولها أحد أسس النقد الأدبيّ، وهو فنّ البديع.

ولعلّ كثرة الآراء والمواقف التي كانت معها أو ضدّها هي التي جعلتها تعيش هذه الحياة الطويلة، وتشتهر هذه الشهرة الكبيرة، ويتوارد كبار الشعراء والأدباء والنقاد على مناهلها، لذا لا بدّ من إظهار أثر هذه «البديعية» وما دار حولها من شروح ومواقف في الحركة النقديّة في زمنها، إذ كانت مع شرحها مادة خصبة متنوعة تغذي تلك الحركة النقديّة القويّة التي انطلقت منها.

١- الحركة النقديّة حول بديعية ابن حجة:

تتمثل هذه الحركة النقديّة في مجموع مواقف الناس منها، على اختلاف طبقاتهم، وما أُلّف من كتب في هذه المواقف المتنوّعة.

أ- موقف الخاصّة:

لقد شاعت بديعية ابن حجة بين الناس، وانتشرت بين الشعراء، وحقّقت من الإقبال عليها ما لم تحقّقه أيّة بديعية أخرى في عصره، وربما كان ذلك لما تضمّنته من نفحات دينية، لبست لبوس العصر المألوف من الزخرف والتلون والزرَكشة، بدليل أمرين، أوّلهما: أنّ ابن حجة عندما بلغ من الشهرة غايتها، ومن المعرفة والمقدرة الشعريّة والثرية أوجها، يَمّم نحو نظم البديعيّات ليدلي بدلوّه فيها، مدللاً بذلك على تمام شاعريّته واكتمال شهرته، وهذا ما دفع أصحاب المعرفة إلى أن يشهدوا له

بذلك، لتفوقه ورسوخ قدمه في ميداني الأدب: الشعر والنثر... وثانيهما: أن بديعته - كما رأينا سابقاً - كانت نتيجة لرغبة صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية، محمد بن البارزي الجهني، والذي رسم لابن حجة بنظم قصيدة بديعية يعارض بها قصيدتي الموصلي والحلي، وأشار إليه بإرشاداته ولم يبخل عليه برأيه ونقده ليزيد بديعته سابقتيها. وربما كانت رغبة البارزي هذه بغية التقرب من جمهور الناس، والظهور أمامهم بمظهر التقى في عصر كان يستهوي الناس مثل هذا المظهر، لما كان للمقياس الديني من أثر في الفكر السائد آنذاك، وهذا ما يجعله يرتبط بمفاهيم النقد ومقاييسه في ذلك العصر. وإذا رأى أحدنا اليوم أن هذه البديعية غيرها من البديعيات «صناعة من العبث، أضعفت من الشعر... وأوردته موارد التكلف والتعمل الثقيل»^(١) فلأن مفاهيمنا النقدية اليوم تختلف عن مفاهيم ذلك العصر، وإن كانت امتداداً لموروث ثقافي وبيئي واحد.

لذا فإن هذه البديعية قد وافقت بيتها من ناحيتين على الأقل:

أولاهما: الحسن الديني الذي كان يسيطر على جميع طبقات الشعب.

وثانيهما: الذوق العام المائل إلى الزخرفة والتنميق في كل شيء. وهذا ما جعل بديعته غيرها من البديعيات تتطابق بما أتت به من ألوان بديعية مع الملامح الفنية السائدة في ذلك العصر. وليس غريباً بعد هذا أن يطلب ابن البارزي من ابن حجة أن ينظم بديعته ويعينه عليها ويرافقه في نظمها حتى النهاية^(٢).

ومن هنا لم تبقى بديعية ابن حجة مجرد فن شعري، بل خرجت إلى دائرة النقد، وما ذاك القبول والإقبال عليها من قبل الخاصة والعامة إلا موقف له دلالة النقدية الواضحة.

ب- موقف العامة:

لقد أتضح، من خلال موقف الخاصة من بديعته، أنه لولا حب العامة لمثل هذا الفن وتعلقهم به لما تقرب ابن البارزي به إلى ابن حجة، ولولا ذلك أيضاً لما أقدم على نظمها، ولما جعلها غاية وذروة يتحدى بها عميدي نظام البديعيات آنذاك

(١) الصيغ البديعية ص ٣٧٢.

(٢) انظر خطبة ابن حجة في خزنة الأدب وغاية الأرب ١/٣٠٤ - ٣٠٦.

(الصفوي والموصلي)، ولما استطاعت بديعته أن تعيش فترةً من الزمن يشرحها هذا، ويعارضها ذلك، وينقدها ذلك. وربما كان للاتجاه الديني الذي رافقها كغيرها من البديعيات، أثر بالغ في قبول الناس لها، إذ وجدوا فيها ملاذاً يرجون بها الخلاص، كونها من المدائح النبوية، بالإضافة إلى ما وجدوا فيها من غرض تعليمي جديد، فلاقت منهم آذاناً صاغية وقلوباً واعية، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على الحركة النقدية التي كانت تدور حولها.

ج- كُتِبَ في نقد بديعته:

لم تقتصر الحركة النقدية التي نشأت حول «البديعية» على الموقف التدوقيّ المتمثل في قبولها والإقبال عليها، بل تعدته إلى مرحلة التأليف في نقدها، وتكاد تقتصر حركة التأليف النقديّ على الكتب التالية: «الحجة في سرقات ابن حجة» للنواجي، و«الحجة على من زاد على ابن حجة في علم البديع» لعثمان بك الجليلي، و«إقامة الحجة على التقّي ابن حجة» لأبي بكر بن عبد الرحمن العلويّ الحضرمي، و«سرقات ابن حجة» لمجهول، ولعلّ هذا هو نفسه كتاب تلميذه النواجي، وذلك لتطابق العناوين.

أما الكتابان الأوّل والرابع منها فلعلّهما قد تطرّقا إلى نقد بديعية ابن حجة، لما عرف عن النواجي، صاحب الكتاب الأوّل، من أخذه عن ابن حجة، ثم انقلب عليه وتركه، فشنّ عليه غارة شعواء، وكان لبديعية ابن حجة أثر فيهما. وأما الكتاب الثاني «الحجة على من زاد على ابن حجة في علم البديع» فإنّ مؤلفه يتحدث فيه عن غايته من تأليفه، إذ يقول: «وكننت قد طالعت فيما تدون فيه [أي البديع] بديعية الأديب النبيه تقّي الدين بن حجة الحمويّ، رحمه الله تعالى، فإنه وإن أكثر الشواهد فيها والتعريفات إلّا أنه، كما قيل، كم ترك الأوّل للآخر، فإنّه متقدّم على من جاء بعده من الأدباء، وقد جاءت بعده عصابة كالجلال السيوطيّ العالم الفاضل ومن تبعه من بعده، واخترعوا فيه أنواعاً، ثم جاء الحميديّ فخرج عن الجادة المقبولة لقبوله الأنواع البخسة إلى زمان شيخنا... محمد أمين الدين العمريّ بن خير الله الخطيب، والشيخ محمد الغلاميّ، رحمهما الله تعالى برحمته... فلم تزل تتزايد هذه الأنواع من أوّل الأمر إلى أن خبط فيها خبط عشواء؛ فعنّ لي أن أستخلص منها ما زاد على بديعية التقّي من الصحيح المقبول ونترك الضعيف المعلول، وبحسب عقلي القاصر

الحقهم بديعية ابن حجة، علماً بأنه لو رآهم من كان له ذوق من جهة الأدب لاستحسن ذلك مني وأخذه عني^(١). فقد حدّد الجليلي في ذلك غايته ودوافعها التي تمثلت في البحث عن الجديد من أنواع البديع التي زادت بعد بديعية ابن حجة، ومحاولة غربلتها لتمييز الجيد من السيئ، ومن ثمّ البحث عنها في بديعية ابن حجة، أو إلحاقها بها، ثم قال: «فالنوع الذي رأينا له شاهداً من أبياتهم حرّراه، والذي لم نر له شاهداً نظمنا له بيتاً مستقلاً»^(٢).

ثم يستعرض الجليلي مجموعة من الأنواع التي زادت بعد ابن حجة، ولا سيّما في بديعات السيوطي والحميدي والعمرّي والآثري، أو من مخترعات عصره، ومخترعاته هو أحياناً.

وتعتمد طريقة الجليلي في عمله هذا على نقد الأنواع المزادة أحياناً كما تعتمد على البحث والكشف والتوضيح والتعريف أحياناً أخرى^(٣).

ولعلّ عثمان الجليلي أراد أن تكون طريقته النقدية هذه دفاعاً عن بديعية ابن حجة الحموي، وتقديماً له حتّى على المتأخرين، معتمداً في نقدها على سواها من البديعات ليعود بنقده إليها.

وهناك كتاب آخر يبدو أنّه ألف في الردّ على كتاب الجليلي، وهو «إقامة الحجّة على التقيّ بن حجة» لأبي بكر بن عبد الرحمن العلوي، الذي تجاوز بكتابه هذا النقد المتمثل في قبول العمل أو رده دون تحليل أو دراسة لذلك العمل وإعطاء مسوّغات الحكم، وبذلك تجاوز مرحلة النقد الذوقيّ التي رأيناها في موقف الخاصّة والعامّة من هذه البديعية وغيرها.

ولقد عمد أبو بكر بن عبد الرحمن العلويّ إلى بديعية ابن حجة وبدأ يحلّلها وينقدها معتمداً على نهج علميّ وضعه لنفسه لإظهار ما في هذه البديعية من خلل وضعف وسرقة، دون أن ينسى كل ما جاء به ابن حجة من حسن فيها، أو يبخسه حقّه، إذ طالما أكبر بديعيته وعدّها من مناقبه، وممّا لم يستطع أحد مجاراته بها.

ثمّ قارن عمله بعمل ابن حجة في شرحه فقال: «ولم أصنع، والحمد لله، صنيعه

(١) الحجّة على من زاد على ابن حجة ص ١٤. (٣) انظر الحجّة على من زاد على ابن حجة

(٢) الحجّة على من زاد على ابن حجة ص ١٥. ص ٢٤-٢٧، ٦٧.

في انتقاد مستقيم القول وأعوجه، بل غايرته فيما جنح إليه من تزغيل إبريز الكلام وبهرجه»^(١)، وبهذا يكون أكثر عدلاً من ابن حجة في نقده، مبيّناً الدافع الذي حمله على هذا العمل. ثم ينطلق أبو بكر إلى نقد بديعية ابن حجة متبعاً طريقة واضحة في ذلك، فيذكر بيت البديعية أولاً، ويبدأ بتحليله ونقده، من حيث السرقة أو الركاكة والغوص في مضمون البيت.

ولو رجعت إلى محاكمته لبيت ابن حجة في «الجناس الملقق» مثلاً ورضاه عن بيته في «الاكتفاء»^(٢) لوجدت طريقاً نقدية هي أشبه بطرق النقد الموضوعي الحديثة، وما يدل على موضوعيته هذه في نقده أنه كثيراً ما كان يقف أمام بيت من أبيات البديعية عاجزاً عن فهمه فيتركه ويكل أمره إلى غيره دونما حكم صريح، فيقول مثلاً في شرح شطر من بيت «الجمع»: «حاولت أن أفهم معنى عجز هذا البيت فلم أوفق له»^(٣). وبهذا يكون كتاب أبي بكر العلويّ استجابة للحركة النقدية التي دارت حول هذه البديعية في عصره، وقد أثار بدوره طريق البديعيات الأخرى بومضات نقدية فاحصة من خلال بديعية ابن حجة؛ حتى ليتمكن القول أن هذه الكتب السابقة لم تتسع دائرتها لتشمل كل البديعيات بل دارت في فلك بديعية واحدة نظمها ابن حجة، وذلك لما أثارته هذه البديعية حولها من حركة نقدية كادت لولاها أن تكون مفقودة.

٢- الحركة النقدية في شرح «تقديم أبي بكر»:

لم يقتصر أثر البديعية في الحركة النقدية على ما دار حولها من آراء ومواقف وقضايا، بل كان لها دور آخر من خلال شرحها الذي نستشف في ثناياه ملامح نقدية تمثلت في الأمور التالية:

أ- الملامح النقدية في البناء العام لـ «الشرح»:

من خلال الكلام السابق على مضمون شرح البديعية، يبدو أنه يعتمد على الفنون البديعية في بادئ الأمر، لينطلق منها جامعاً من الشعر والنثر أجمله وأطرفه، وأكثره

(١) إقامة الحجة ص ٤.

(٢) انظر إقامة الحجة ص ٦، ٢٥.

(٣) انظر إقامة الحجة ص ٤٨.

دوراناً على الألسن ومناسبةً للاستشهاد به، رغم التعرّيج أحياناً على المستقبح المرذول من الشواهد، إلا أنّ جُمع هذه الشواهد المتنوّعة وانتقاءها من رياض الشعر والنثر خضع لعملية نقدية هامة وبارزة، فالشواهد كثيرة وابن حجّة الشارح أمامها «صياد بارعٌ تمرُّ الشواهد أمامه، أو يستعرضها، ثمّ يقتنص منها ما يروق له ويجد فيه بغيته مما يناسب حديثه، سواءً من حيث جودة الشاهد وجماله وإصابة صاحبه، أو من حيث رداءته وكبوة صاحبه به، ثمّ لا يكتفي الشارح [ابن حجّة] بعرض صيده هذا، بل يقرنه بعبارات مختلفة تدلّ على قيمة هذا الشاهد»^(١)، فكثيراً ما تجده يقول: «ومن محاسن هذا الفنّ...»، و«وهذا أحسن ما سمعت...»، و«ومن براعته...»، و«ومما يستقبح...»، و«ومما يؤخذ عليه...»، إلى غير ذلك من هذه العبارات الحكمية النقدية. ومثل هذه العبارات كثير في شرح بديعته، وما يلاحظ فيها أنّ ابن حجّة كان يخرج بين الحين والآخر عن طريقة التذوّق المحضة والحكم بالجمال والحسن، أو القبح والردّ دون توضيح سبب ذلك، إلى تعليل هذا الحكم وإظهار دوافعه وتبيان مواطن الجودة والضعف فيه، وفي ذلك ما يدلّ على لمحات نقدية قد ترتقي أحياناً لتصل إلى مرتبة النقد المنهجيّ الموضوعي، وقد تنحطّ أحياناً أخرى لتعود إلى البدايات الأولى للنقد المتمثّلة في عبارات «ما أحسن...» و«ما أقبح...» و«ما أجمل...»، دون أيّ تعليل، ولعلّ ذلك كلّه يعود إلى حبه لهذا الشاعر أو غضبه على ذلك، وهذا ما يؤخذ عليه في نقده.

لذا كانت كل هذه اللمحات النقدية تزيّن شرح البديعية، لتغنيها وتلونها، ولتقف من خلالها على فنّ من فنون التّأليف الأدبيّ في ذلك العصر إذ امتزجت فيه فنون الأدب: شعراً ونثراً ونقداً.

ب- الملامح النقدية في عمل ابن حجّة، وما دار حوله:

إنّ في شرح البديعية ظاهرةً ليست بغريبة عن الفكر التّألفيّ في التراث العربيّ الإسلاميّ عامّة، وعصر نشوء البديعيات وازدهارها خاصّة. فكثيراً ما يصادفنا في قراءة هذا الشرح موقف ابن حجّة من مؤلّفي عصره، ومن سبقه، فيتعقّبهم في قضية ما، يخطّئهم فيها، أو يردّ عليهم، أو يحدّ من آرائهم، أو يوافقهم ويزيد عليهم، ولا

(١) البديعيات في الأدب العربي ص ٢٣٣.

عجب في عمله هذا إذا ما عرفنا عنه أنه تميّز بكثير من الزهو والإعجاب بالنفس والحدّة في الموقف، ولهذا كانت هناك مجموعة من الكتب التي ألّفت في الردّ عليه والانتقاص منه ومن عمله، وفي الدفاع عنه والتأييد له. فهو يصرّح منذ بداية شرحه أنه إنما نظم بديعيته وأمامه بديعتنا الصفيّ والموصليّ بالإضافة إلى بديعية ابن جابر، وهو ينظر إليها نظرة الناقد المتفحص، الباحث عن خبايا جمالها ومواطن ضعفها، ليستطيع بذلك أن يتدارك نقصاً سبق، وأن يبيّز غيره بجمال وفضل وإجادة، فينطلق ليسابق هؤلاء مخلفاً وراءه كلّ من سبقوه إلى هذا الفنّ، وقد أعانه على ذلك صديقه الأديب المعروف محمد بن البارزيّ الذي كان وراء نظم هذه البديعية وشرحها. ومن هنا جاء تتبّعه للشعراء الثلاثة في بديعاتهم ومقارنة عمله بأعمالهم مستعيناً بمشورة صديقه، إذ قال: «فاستخار الله مولانا الناصري... ورسم لي بنظم قصيدة أطرّز حلّتها ببديع هذا الالتزام، وأجاري الحلّي برقة السحر الحلال، الذي ينفث في عقد الأقلام، فصرت أشيد البيت فيرسم لي بهدمه... ويقول: بيت الصفيّ أصفى مورداً، وأنور اقتباساً، فأسنّ كلّ ما حدّه الفكر، وأراجعه بيت له على المناظرة طاقة، فيحكم لي بالسبق وينقلني إلى غيره، وقد صار لي فكرة إلى الغايات سبّاقة، فجاءت بديعية هدمتُ بها ما نحته الموصليّ في بيوته من الجبال، وجاريتُ الصفيّ مقيداً بتسمية النوع، وهو من ذلك محلول العقال»^(١).

وما يلاحظ من هذا القول أنّ هناك عمليّن اثنين كانا يرافقان نظم كل بيت من أبيات البديعية: أوّلهما: تتبّع ابن حجّة لمن سبقه وإعمال نفسه في التفوق عليه، وثانيهما: الموقف النقديّ المتمثّل في عمل ابن حجّة أولاً، وفي حكم المعروض عليه (ابن البارزيّ) ثانياً، إذ كثيراً ما كان يشير عليه بالقبول أو الإعادة بعد مقارنته بأبيات الحلّيّ والموصليّ.

ومطلع «شرح البديعية» يبيّن لنا أنّ ابن حجّة لم يترك هنّة من هنوات الصفيّ أو الموصليّ إلاّ شهّر بها وأعلنها متجاوزاً إلى أحسن، مزهواً بمقدرته وتفوقه وإجادته في كلّ كلمة من كلمات بديعيته، وحتى من شعره ونثره الذي لا يمت إلى البديع والبديعات بصلة، وهذا تراه مبثوثاً في كل أبواب الشرح المذكور.

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ٣٠٥/١.

ففي حديثه عن «براعة الاستهلال» مثلاً، يتعرّض لمطلع ابن جابر فيقول: «فهذه البراعة ليس فيها إشارة تشعر بغرض الناظم وقصده، بل أطلق التصريح، ونثر المدح، ونشر طيب الكلم...»^(١)، ثم يثني على مطلع صفّي الدين الحلّي فيقول: «وبراعة الشيخ صفّي الدين الحلّي في هذا الباب من أحسن البراعات وأحشمها...»، إلا أنه لم يتعرض لذكر براعة الاستهلال عند عزّ الدين الموصليّ، إذ إنّه سرقة منه.

ومن زهوّه بشعره قوله مثلاً وهو يقدّم لقصيدته له: «وقلت بعد المطلع أخاطب النسيم بما هو أرقّ منه...»^(٢). هذا المنهج الذي اعتمده ابن حجّة في تتبّعه من سبقه مع الزهو الذي تميّز به لم يرق لكثير من المؤلّفين والنقاد، فوقفوا له بالمرصاد، وسلّوا سيوف النقد عليه وعلى إنتاجه، يغربلونه وينخلونه باحثين فيه عن كل هنة، ومن هؤلاء الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ في شرحه «نفحات الأزهار» حيث لم يستطع أن يخفي ازدراءه وانتقاده لابن حجّة، فصرّح به منذ بداية شرحه قائلاً: «ثمّ شرح قصيدته شرحاً أخذ فيه بأذيال الإطالة، وألبسه حلل السامة والملافة... وتشدّق في عباراته، وأفحش في إشاراته، مع ما في أبيات قصيدته من الركة والقلاقة، واختلاس كلمات غيره بحسب ما عنده من الفاقة»^(٣). وشرع بعد ذلك يتتبّع ابن حجّة في بديعيته وانتقاداته لغيره ولسابقيه من أصحاب البديعيات، ينقّب عن سرقاته، ويتقصّى هنواته وعثراته ومجانبتها للصواب، فوجد أن عدم تعرّض ابن حجّة لمطلع الموصليّ يعود إلى أنّه قد سرقة منه، وقال: «وقد دخل هذا البيت فكر ابن حجّة... فسرق من مصراع الباب...»^(٤)، وفي بيت «التكميل» مثلاً، يردّ على ابن حجّة انتقاده عدم وضوح بيت صفّي الدين، فيقول: «ومحل التكميل قوله: «تعصدها عناية»، إلى آخره...، وعجيب كيف ينكر ذلك منكر، وشمس العناية مشرقة في أفق البيت»^(٥).

وممن تتبّع ابن حجّة في عمله ابن معصوم المدنيّ، فنظم بديعيته «التي فاقت بديعية ابن حجّة فلو أدركها لما قامت له معها على تزكية نفسه حجّة»^(٦)، وإذا بحثت

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٣٤٢.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٤٢٥.

(٣) نفحات الأزهار ص ١٣٧؛ وخزانة

الأدب وغاية الأرب، باب «التكميل».

(٤) أنوار الربيع ١/٢٨.

(٥) نفحات الأزهار ص ٣.

(٦) نفحات الأزهار ص ١٢.

ضمن شرحه عن هذا التتبع لوجدته مبثوثاً فيه منذ البداية حتى النهاية، من ذلك ما نقله من تعقب ابن حجة لمطلع ابن جابر، فيعترض على مطلع ابن حجة بأنه «قصر (الابتداء) وحقه المدّ، لأنه مصدر «ابتداء، يتدئ»، وهو ضرورة، وارتكاب الضرورة في الابتداء خصوصاً مطلع البديعية لا يخفى ما فيه»^(١).

وممن تتبع ابن حجة في عمله أيضاً أبو الوفاء العُرُضِيّ، كما تتبع قاسم البكرجيّ ابن حجة ومن تتبع ابن حجة في بديعيته وعلى رأسهم عبد الغني النابلسي^(٢).

إذاً، إنّ الملامح النقدية المستقاة من البناء العام لشرح بديعية ابن حجة، ومن ظاهرة التتبع لها وما أثار هذا التتبع من تتبع له، تشكّل صورة عن الحركة النقدية التي تتراءى لنا من خلالها، لعلها من أهم صور النقد الأدبي في مرحلة هامة من مراحل التراث العربيّ.

ج- ملامح نقدية عامة:

لم تقتصر الحركة النقدية لبديعية ابن حجة وشرحها على الملامح المستقاة من خلال بنائها العام وظاهرة التتبع لها، بل كانت تمرّ لمحات نقدية عامة تلوّن صفحات «الشرح» وتوضّح شيئاً من معالم النقد العامة وأسس وطرقه في ذلك العصر.

فهناك تتبع للسراقات الشعرية، داخل وخارج نطاق البديعية طبعاً، فكثيراً ما رأينا أصحاب التتبع يقفون عند هذه السراقات كلّما سنحت لهم فرصة، فيشيرون إليها، مبرهنين بذلك على تنوع معرفتهم وسعة اطلاعهم وقدرتهم على النقد وكشف الحقائق والتمحيص. وهذا مايمثله ابن حجة في شرح بديعيته أثناء الحديث مثلاً عن سرقات جمال الدين بن نباتة المصريّ من علاء الدين الوداعيّ، فيقول في سياق الحديث عن براعة الوداعيّ في شعره: «وعلى موائد معانيه ونكته تطفّل الشيخ جمال الدين بن نباتة في مواضع كثيرة، وقد عنّ لي، وإن طال الشرح، أن أذكر نبذة من ذلك ليتأيّد قولِي، ويعرف رتبة الشيخ علاء الدين من كان بها جاهلاً...»، ثم يورد مجموعة من الأبيات التي أخذها جمال الدين بن نباتة منه^(٣).

(١) أنوار الربيع ١/ ٩٢-٩٣.

(٢) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ص ٢/

٣٥٥ - ٣٦٣.

(٢) انظر في ذلك البديعيات في الأدب العربي

ص ٢٤١-٢٤٤.

وهناك مواقف صريحة من أنواع البديع ذاتها، ولمحات نقدية واضحة إذ كثيراً ما كان ابن حجة يصرّح بجودة هذا النوع أو ذاك، واستحسانه له، وإعجابه به، أو يشير إلى أنه ما كان لينظمه إلا سيراً على عادة غيره، أو لإلزامية المعارضة، وفي هذا كله لمحات نقدية واضحة. ولابن حجة الحمويّ مواقف متميزة في هذا الأمر، إذ استحسّن عدداً من الأنواع البديعية واستهجن أخرى، وكان ممّا استهجنه نوع «المراجعة» إذ قال: «ليس تحتها كبير أمر، ولو فوّض إليّ حكم في البديع ما نظمتها في أسلاك أنواعه»^(١). وقال في نوع «التفويّف»: «تأمّلته فوجدته نوعاً لم يفد غير إرشاد ناظمه إلى طرق العقادة»^(٢).

ومثل هذه الأمثلة كثير في شرحه، وقد جمع محمود رزق سليم منها الكثير في كتابه «عصر سلاطين المماليك»^(٣)، وقد اجتزأت عن مجموعها بعضها للتمثيل على هذه الظاهرة من اللّمحات النقدية المتنوّعة، التي لو ضمّت إلى غيرها من الظواهر النقدية، فإنّها تساعد على توضيح ذلك الجانب النقديّ الذي كان أثراً من آثار بديعته، ونتيجة طبيعية لها. وهذا كلّه يدلّ على أنّ هذا الفنّ الشعريّ لم يقتصر على نظم الأنواع البديعية، ولم يكتف «شرحها» بتعريف هذه الأنواع، بل كان لذلك كله أثر في نشأة حركة نقدية واضحة المعالم، تمثلت في «شرح بديعته» شكلاً ومضموناً، وفي ما انبثق حولها من كتب ومؤلفات^(٤).

ج- أثرهما في البلاغة:

لا شكّ في أن للبديعية ولشرحها أثراً في البلاغة، باعتبار أن البديعية هي «فنّ» بلاغيّ، انبثق بادئ الأمر من فكرة بلاغية محضّة، تبلورت مع الزمن، وشاءت عوامل عديدة أن تلبسها ثوب الشعر المطرّز بالمديح النبويّ وألوان البديع. أمّا ما تركته هذه البديعية من أثر في البلاغة العربية وما خلفته من معالم في حياة هذا الفنّ، فيتمثل في الأمور التالية:

- (١) انظر خزّانة الأدب باب «المراجعة» ١٩٧/٢.
- (٢) انظر خزّانة الأدب وغاية الأرب باب «التفويّف» ٢٤٧/٢.
- (٣) انظر عصر سلاطين المماليك ١٧٣/٦-٢٠١.
- (٤) وانظر أيضاً «ابن حجة الناقد» من ترجمته في مكانها من المدخل.

- تعميم البلاغة ونشرها بين الناس .
- ترسيخ أسس «البديع» وتأكيد انفصاله عن علمي «البيان» و«المعاني» .
- العودة بالبديع إلى أحضان المدرسة الأدبية .
- كشف اللثام عن بعض وجوه البلاغة .
- ١- تعميم البلاغة ونشرها بين جمهور الناس :

لم يستطع البلاغيون منذ «بيان» الجاحظ إلى «بديعية» الحلبي أن يجعلوا من البلاغة فنًا شعبيًا ينتشر بين جمهور الناس . وما إن جاءت بديعية ابن حجة بهذا قالب الشعري الذي عرفت به «البديعيات» وما تضمّنته من نفحات دينية وألوان بديعية، حتى طرحت نفسها في سوق الأدب تتطلع إلى مشاعر الناس وعقولهم، وكان امتحانها الأول والعسير . . . وكانت النتيجة أن أحبها الناس وتلقوها كغيرها من «البديعيات» بقبول حسن، واحتضنوها ورحبوا بها، فتسابق الشعراء إلى معارضتها ونقدها، ساعين إلى التفوق عليها بزيادة جديدة، وأقبل الشراح على مواردها يستقون منها ما يروق لهم^(١) .

وبذلك غدت هذه «البديعية» قصيدة شعبية، وغدت البلاغة معها فنًا شعبيًا، لما ضمّنته في ثناياها من فنون البديع، بعد أن كانت فنًا متربّعاً في برج عاجي لا يدركه إلا خواص المثقفين، ثم صار لها، كما لسائر البديعيات، من أثر متتابع مطرد لدى الناس على تقبل كل جديد من هذا الفن، لما تحمله من صلوات وروابط بقلوب الجماهير، وفي ذلك إشارة إلى سيطرة طابع الصنعة البديعية على الحياة الأدبية لما انطبع في الذوق العام من صنعة وزخرفة، جعلته يتقبل هذه الصنعة المتمثلة في هذه البديعية، ومن هنا تبدو علاقة التأثير والتأثر متبادلة بفضل هذا الفن، فالتقى الناس مع البلاغة، والبديع خاصة، والشعراء مع الناس في موكب فن بلاغي جديد، هو «فن البديعيات» .

٢- ترسيخ أسس البديع وتأكيد انفصاله عن علمي «البيان» و«المعاني» :

سبق في بداية هذه الدراسة أن تكلمت على نشأة البلاغة واتحاد أقسامها الثلاثة :

(١) انظر في ذلك أثر البديعيات في البلاغة من الفصل الثالث .
(٢) انظر في هذا الفصل الثاني وأثر البديعيات في البلاغة من الفصل الثالث .

(البيان والمعاني والبديع)، وانقسامها، عبر مراحل تطوّر علم البلاغة. وما إن جاء القرن السابع الهجريّ حتى تمّ انفصال هذا الفنّ «البديع» واستقلاله تماماً عن علمي «المعاني» و«البيان»، وذلك مع ظهور أوّل بديعية إلى الوجود على يد الحلبيّ، إذ واكبت هذا الانفصال على يد الخطيب القزوينيّ. ومن هنا كان ظهور بديعية ابن حجّة إلى جانب غيرها من البديعيات، واشتمالها على فنون البديع عامّة دليلاً مميّزاً وواضحاً في تأكيد انفصال هذا الفنّ عن علمي «البيان» و«المعاني» وإشاعة هذا الانفصال بين جمهور الناس، رغم أنّهم أبقوا ضمن أنواع البديع على بعض فنون البيان، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية. وما أكد هذه الظاهرة الانفصاليّة لهذا الفنّ «البديع» ترسيخ قواعده وتوضيح أنواعه وتحديدتها من خلال شرح البديعية واقتصارها على فنون البديع المعروضة في ثناياها، كما أنّ الإشارة إلى حياة هذا الفنّ، منذ نشأته إلى زمن البديعيات، في مقدّمات هذا الشرح وغيره، ساعدت على استقلال فنّ «البديع» بنفسه، وتوضيح معالمه، وترسيخ أسسه، وتحديد فنونه، ونشر ذلك كلّ بين جمهور الناس؛ فكان ظهور هذه البديعية إذاً، ومؤازرة ذلك الشرح لها، وانتشارها كغيرها بين الناس، أكبر مساعد على تأكيد تلك الظاهرة الانفصاليّة لهذا الفنّ.

٣- العودة بالبديع إلى المدرسة الأدبية:

لقد عرفت البلاغة العربية في مناهج بحثها الأولى اتجاهين واضحين، فمن البلاغيين من سيطرت على كتبهم النزعة الأدبية، ومنهم من سيطرت على كتبهم النزعة الفلسفيّة والعقليّة، وكان نتيجة ذلك أن ظهرت مدرستان بلاغيّتان هما: المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية، وكان لكلّ من هاتين المدرستين خصائصها ومميّزاتها ورجالها الأعلام. أمّا المدرسة الأدبية، والتي ينتمي إليها شرح ابن حجّة، فلم تهتمّ بالتحديد والتقسيم للأنواع البديعية، كما أنّها لم تعتمد على المنطق ومسائل الفلسفة، بل كانت تستعمل المقاييس الفنيّة في الحكم على الأدب مع سهولة العبارة وسلاسة التركيب ووضوح الدلالة، والإكثار من الشواهد الشعريّة والنثريّة. وعلى العكس من ذلك كلّ كانت المدرسة الكلامية. واحتدم الصراع بين تيّيك المدرستين على يد علماء البلاغة منذ «بديع» ابن المعتزّ إلى «مفتاح» السكاكيّ، وما إن ظهرت بديعية ابن حجّة، إلى جانب أخواتها من البديعيات، بثوبها الشعريّ الطريف، مزينة

بشرحها، زاهية بمضمونها، متألثة بين صفحات هذا الشرح الذي قطفت من رياض الأدب أطيب ثماره، وأجمل أزهاره، حتى كادت البديعية ذاتها تغرق في خضم هذا البحر المليء بالجواهر والدرر. فالإكثار من الشواهد إذًا، منظومها ومنثورها، والبحث عن كل ما يُستجد ويُستملح منها، والبحث عن مواطن الجمال فيها، إنما هو من خصائص المدرسة الأدبية، مع تعريف النوع البديعي بأقصر عبارة وأوضح أسلوب، وبهذا تكون هذه البديعية، إلى جانب غيرها، قد عادت بالبديع إلى رياض الأدب وأحضان المدرسة الأدبية، وخلصته من قيود الفلسفة والمنطق والأحكام العقلية الجافة التي سيطرت على البلاغة منذ بداية القرن السادس الهجري إلى زمن ظهور «البديعات» و«شروحها».

٤- كشف اللثام عن بعض وجوه البلاغة:

لقد كشف شرح البديعية عن وجوه بلاغية هامة كالجناس والتورية والاستخدام، فبين أهمية كل منهما في التركيب اللفظي والمعنوي، كما بين نفاذه وجوه أخرى كالمراجعة والتخيير وغيرهما، وقد سبق الكلام على هذه. وقد دفع ابن حجة اهتمامه بالتورية والاستخدام إلى تأليف كتاب بلاغي خاص بهما سماه «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام»، بين فيه معالم المعركة المحترمة بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، بل بين أنصار اللفظ المعنوي، وأنصار اللفظ اللفظي، وبتعبير آخر: بين أصحاب التورية والاستخدام وما شابههما وأصحاب الجناس والطباق وما شابههما... ثم راح يقارن فيه بين أبيات في الجناس وأخرى في التورية، مرجحاً التورية على الجناس.

ومن آرائه في الجناس: «ولم يجنح للجناس ولا يكثر استعماله إلا من قصرت همته عن اختراع المعاني التي هي كالنجوم الزواهر في أفق الألفاظ، وإذا خلت بيوت الألفاظ من سكان المعاني تنزل منزلة الأطلال البالية»^(١).

ومن آرائه في التورية ما نقله عن الإمام الزمخشري من قوله: «ولا نرى باباً في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، يعني التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام نبيه، (ﷺ)، وكلام الصحابة»^(٢).

(١) كشف اللثام ص ٦.

(٢) كشف اللثام ص ١١.

وما «كشَّف اللثام عن وجه التورية والاستخدام» إلا نسخة ثانية لكراسة من كتابه الضخم «شرح تقديم أبي بكر»، إذ تحدَّث فيه عن التورية كنوع بديعيٍّ وأفرط في الحديث عنها، ولعلَّه فعل ذلك ليكشف عن وجه هذه الأنواع البلاغية، وليؤكد مناصرته لجماعة التورية على جماعة الجناس.

٢- ما قاله العلماء والنقاد في «البديعية» و«شرحها»: (تقاريط ومآخذ):

سبق أن أشرت إلى أنّ «تقديم أبي بكر» و«شرحه المطوّل» قد حظيا بعناية أكثر مما حظيت به بديعية أخرى أو شرحها، وكان لهما الأثر البالغ في من جاء بعد ابن حجّة من المشتغلين بالبلاغة والكتابة والنقد والأدب.

ويمكن القول: إنّ الذين اشتغلوا بالبلاغة من المتأخّرين كانوا فئتين: فئة أعجبت بصنيع ابن حجّة في نظمه لبديعيته وشرحها، فقرنت اسمه في مؤلّفاتهما بالثناء العطر، والشكر الطيّب^(١)؛ وفئة أخرى رأت في صنيعه هذا اجتراراً لفنّ البديعيات، إذ اشتغل فيه الكثيرون قبله، ولم يكن له فضل فيه، بل راحوا ينسبون إليه إساءة الأدب تجاه من سبقوه في هذا الفنّ، وذلك لاعتزازه وفخره بنفسه والتبجّح بصنيعه.

أمّا المعجبون فمنهم جلال الدين السيوطي، إذ وجد في بديعية ابن حجّة وشرحها أفضل مثال يحتذى، فعمد إلى أن يدلي بدلوه في هذا الفنّ، فنّ البديعيات، متّخذاً من «تقديم أبي بكر» و«شرحه» مرجعاً له فكان له «نظم البديع في مدح خير شفيح». كما أنّ الأديبة الشاعرة عائشة الباعونية، وهي من معاصري السيوطي، قد أعجبت بشرح ابن حجّة على بديعيته، فاعتمدت عليه في شرح كتابها المسمّى «الفتح المبين في مدح الأمين»، وراحت تنقل عنه بعض التعريفات والشواهد بأمانة مصرّحة بهذا النقل فتقول: قال العلامة كذا...، وعزّف العلامة هذا النوع بكذا...، وهي تقصد بـ«العلامة» ابن حجّة. ومن هؤلاء أيضاً الأب بولس عوّاد، وهو معاصر، إذ طلبت منه إحدى المؤسسات الكاثوليكية في بيروت أن يؤلّف كتاباً في البديع، فما كان منه، لإعجابه ببديعية ابن حجّة، إلا أن يتّخذها عمدة لكتابه «العقد البديع في فنّ البديع»، فأخذ أبياتها بيتاً بيتاً وشرحها بأسلوب معاصر، وشواهد معاصرة.

وأما الفئة التي لم يعجبها صنيع ابن حجّة في «تقديمه» و«شرحه»، فمنها

(١) انظر في هذا أثر البديعية وشرحها في الأدب، وقد سبق الكلام عليه.

النواجي، تلميذ ابن حجة، إذ انصبَّ عليه باللوم وانهاه عليه بالتفريع، ونقد نظمه لبديعته فعزاها للسرقة من الحلّي والموصليّ، مبيّناً الكثير من سرقاته فيها، كما ادّعى بأنّه كان يساعده في نظمها وتهذيبها وتنقيح ألفاظها، ولم يكتف بهذا، بل لقد ألف في ذلك كتاباً سمّاه «الحجة في سرقات ابن حجة»، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب أثناء الكلام على أثر البديعية وشرحها في النقد.

ولقد أثار تسمية ابن حجة لبديعته «تقديم أبي بكر» حسدَ الشيخ عبد القادر الحسيني الطبري، فألف كتاباً سمّاه «عليّ الحجة بتأخير ابن حجة»، وتهجم عليه وسفّه آراءه^(١). كما أثار هذه التسمية «تقديم أبي بكر» صدر الدين عليّ بن معصوم المدني، فنظم بديعية سمّاه «تقديم عليّ»^(٢) وشرحها في كتابه المسمّى «أنوار الربيع في أنواع البديع»، فقال في مقدّمته: «فبينا أنا ذات يوم أطرف الطرف في بديعية ابن حجة، وأروح مروح الفكر في مهيع تلك المحجّة . . . فنظمت هذه البديعية التي فاقت بديعية ابن حجة، فلو أدركها لما قامت له معها على تزكية نفسه حجة»^(٣). وعلى الرغم من أنّ الدافع إلى نظم بديعته هو بديعية ابن حجة ذاتها، إلّا أنه لم يعجبه صنيعه، فتحامل عليه، وإن كان تحامله عليه أخفّ من تحامل تلميذه النواجي. وممن أخذ على ابن حجة بعض المآخذ أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلويّ الحسيني الحضرمي، فألف كتاباً سمّاه «إقامة الحجّة على التقّي ابن حجة»، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب أيضاً أثناء الكلام على أثر البديعية وشرحها في النقد.

ثمّ إنّ زهو ابن حجة في شرحه لم يرق لكثيرين من أصحاب القلم، فوقفوا له بالمرصاد، وجرّدوا سيوف النقد وسلّوها على إنتاجه هذا، يغربلونه وينخلونه باحثين فيه عن كل ضعف ومطعن، وأبرز هؤلاء الشيخ عبد الغنيّ الثابلسي في شرحه المسمّى «نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار» إذ لم يستطع إخفاء ازدرائه وانتقاده لابن حجة،

(١) انظر «ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص ٢٠٣.

(٢) يبدو أنه في هذه التسمية لبديعته قد ورى بها لغاية خلافة قديمة بين الشيعة وأهل السنة حول تقديم أبي بكر الصديق على علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، في الخلافة. وكانت تسمية ابن معصوم هذه ردّاً على تسمية ابن حجة لبديعته بـ «تقديم أبي بكر»، وقد وجد كلّ من الناظمين عوناً في اسمه على ما ذهب إليه من تورية.

(٣) مقدمة أنوار الربيع في أنواع البديع ص ٢.

فصرّح به منذ البداية، إذ قال: «... ثم شرح قصيدته شرحاً أخذ فيه بأذيال الإطالة، وألبسه حثل السامة والملالة، واعترض فيه على القوم، وقال لمتعصبي أفكاره: هلمّوا فاليوم اليوم، وتشدّق في عباراته وأفحش في إشاراته مع ما في أبيات قصيدته من الرّكّة والقلاقة، واختلاس كلمات الغير بحسب ما عنده من الفاقة...»^(١)؛ رغم أنه يعترف له ببعض فضلٍ إذ قال: «ثم جاء... العلامة تقيّ الدين أبو بكر بن حجّة الحمويّ... فعارضه [الموصلّي] وجاراه وزاحمه فيما اقترحه واجترأه...»^(٢).

ولم يكن معاصرو ابن حجّة بأرحم ممّن أتى بعدهم، فقد أخذ بعضهم على ابن حجّة مأخذ كثيرة، وللأسباب السابقة ذاتها، فرموه بالسرقة والاتباع والتطفل على موائد أصحاب البديعيات الذين جاؤوا قبله، وندتوا «تقديمه» بـ «تأخير أبي بكر»، فما كان منه إلا أن عمد إلى رفع التهمة عنه بتأليف كتاب آخر يثبت فيه فكرة «تقديمه» على أصحاب البديعيات السابقين، وأبرزهم الحلّيّ والموصلّيّ، فكان هذا المؤلّف هو كتاب «ثبوت الحجّة على الموصلّيّ والحلّيّ لابن حجّة»^(٣)، وقد افتتح كتابه هذا بشهادات تقرّظ لعلماء عصره، ومّن أسماهم «نقاد الأدب»؛ وكان أصحاب هذه الشهادات هم أنفسهم قد قرّظوا بديعته وشرحها. ومما قاله في مقدّمة هذا الكتاب: «فإن بديعيتي التي سمّيتها «تقديم أبي بكر» أجمع أئمة الأدب على أنّها قبله، وقالوا لم نلتفت مع صحّة هذا التقديم إلى شيعة الموصل والحلّة، وقد ثبت ذلك على إمام أئمة الأدب وشيخ مشايخ الإسلام، مولانا قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلانيّ الشافعيّ الناظر في الحكم العزيز بالديار المصريّة وسائر الممالك الإسلاميّة، زاد الله شأنه تعظيماً، وحكم فيه بقلمه ولم يفتقر معه إلى إقامة بيّنة ولا إلى إعلام، فإنّه أعزّ الله تعالى أحكامه قال: «أشهد أنّ أبا بكر مقدّم على أنظاره ولا أعدل في هذه الشهادة من أحمد، وأجزم رفعة قدره على كلّ من انتصب لهذا الفنّ ولا أبلغ من حاكم يشهد... وقد فاخر بهذه البديعية الحلّيّ... والموصلّيّ، فأما ابن سرايا فالشيعيّ المسرف قاصر عن رتبة السّيّ التقيّ،... وأما العزّ فذلّ صعبه أنّ أبا بكرٍ عند أهل الحقّ أفضل من عليّ...»^(٤).

(٤) يشير بـ «علي» إلى اسم عز الدين. وستأتي

هذه الشهادة كاملة بعد قليل، وقد أخذت من آخر النسخة ب، الجزء الثاني.

(١)(٢) نفعات الأزهار ص ٣.

(٣) انظر في هذا «ابن حجّة الحمويّ شاعراً

وناقداً» ص ٢٠٤-٢٠٧.

ثم يستدعي ابن حجة شهوده ممن أسماهم «نقاد الأدب»، فيورد شهادة بدر الدين الدماميني المالكي المخزومي الذي قال عنه ابن حجة: إنه نقد وحكم، وقال وقوله في ليالي سطور الأدب أشهر من نار على علم؛ ومنها: «شرطت على الناظر في أبيات هذه البديعية السنية أن يبدأ بتقديم أبي بكر، ويصرف لجهته ما هو معلوم من الشهادة السنية، علماً بأن الإمام الذي لا شك في علو قدره، ولا مزية لسبقه في إحراز الفضل، ولكن بشيء وقر في صدره... لقد أظهر من زوايا بديع الأدب خبايا، وجرّد جيوش بلاغة لا تعبأ بالحلي ولو انتصر من أبيه بسرايا... وأما العزّ فقد باء بالذلّ لتعقيد تركيبه وقلقه، وقيد بسلاسل حروفها إلى مصرعه، وكانت ميم الروي غلاً في عنقه...»^(١).

ثم أتبع ابن حجة هاتين الشهادتين بشهادة رجل يُعرف بإمام الحفاظ وأعلامهم سنداً، وهو أحد مشايخ الإسلام، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن الجزري الشافعي، شيخ البلاد الشامية يومئذ بشيراز، قال [من الطويل]:

«ألم ترَ أن السَّيْفَ ينقصُ قدرُه إذا قيلَ: إن السَّيْفَ أمضى من العَصَا؟»^(٢)

ولا شك أن أبا بكر هو المقدم، والقول والحكم له فيما حكم مسلم، وهو بكلّ فضلٍ أولى وأحقّ، وإذا قضى في بديعته بصواب، فالثالثة تقضي بالحق»^(٣).

والجدير بالذكر أنّ شهادة كلّ من الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، والشيخ بدر الدين الدماميني، قد وردت كاملة في نهاية نسخة من نسخ «خزانة الأدب»، وهي النسخة «ب»، الجزء الثاني منها. وللأمانة العلمية أورد هاتين الشهادتين تكاملتين. أمّا الأولى فهي للشيخ ابن حجر، وقد أشير إزاءها في الهامش بحاشية كتب فيها: «تقريظ العلامة العسقلاني، رحمه الله تعالى»، مشاراً قبلها بـ «حشاً». وهذا نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذه نسخة ما كتبه علامة العصر سيّدنا ومولانا قاضي القضاة شهاب الدين أحمد

(١) ستاتي هذه الشهادة كاملة بعد قليل، وقد أخذت من آخر النسخة ب، الجزء الثاني.

(٢)(٣) انظر «ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً» ص ٢٠٥.

ابن حجر العسقلاني الشافعي^(١)، أسبغ الله عليه ظلاله وختم بالصالحات أعمالنا وأعماله، آمين آمين آمين.

اللهم غفر[انك]،... كيف لا أسأل المغفرة وقد ألزمت بكشف عواري، وألجئت من تقرّظ هذه الدرّة اليتيمة إلى رفع الحجب عن بنات أفكارني، وأنا لا أزال أغطي بلمهي على أعراض المعاني الفائقة عني، وأواري، وجهدي أن أحسن النظر فيما وقف عليه من اللطائف بالزواهر والزواري، وكيف يضيء مصباح فكر قليل المادة في مقابلة هذه النجوم الدراري؟ وكيف أقنع من موضع الإسهاب لها بالألفاظ الموجزة، ورويتي عاجزة، وليت لي بديهة معجزة، لكن جرى القلم فكتبت، وتوفرت سهام الحقوق فطرحت رداء العصبية، ورمت الغرض فأصبت، وطالعت هذا الشرح فتلا لسان الحال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٢)، ورفعت يد الابتهاج للاقتدار على مدحه مع قبول الاعتذار؛ فقليل لي: قَدْ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ^(٣)؛ فأقول: أشهد أن أبا بكر مقدّم على أنظاره، ولا أعدل في هذه الشهادة من أحمد، وأجزم برفعة قدره على كل من انتصب لهذا الفنّ، ولا أبلغ من حاكم يشهد، لقد بلغ أشده في البلاغة واستوى، وثبت رشده عند غواة الأدب، لكن ما ضلّ صاحبهم / وما غوى، ولا نطق في ١٢٢٤ المديح النبوي إلا بالحقّ، وحاشا لهذا الصاحب أن ينطق عن الهوى، ولقد ظفرت حبائل فكره بكل سانحة من ظباء البديع وبارحة، وخطبته من يتيمة الدهر ودمية القصر كل قرينة صالحة، وأتى طرسه بكل نادرة مؤنّقة معجبة، وأخذ الذي هو أبهج من النضار بمجامع القلب لشدة ما بينهما من الشبه، ولقد تفتّن في أفنان البديع، ولا سيّما في التورية والاستخدام، وسما لسما الكواكب الدراري، واستخدم اللفظ الرقيق فيما أطاعه من المعاني، حتى صحّ وصفها بالجوارني، وتواری منه المُجَارني، وحقّ له الهرب عند سماع الاستخدامات المخترعة والتواري، نعم هو الذي نظر الأعمى إلى أدبه، واستفاض تقدّمه فحكم القاضي الفاضل بموجبه، وزاد كمالاً في السلم فنقص عنده أبو تمام، وخرق العادة في النثر فلا كرامة معه لصاحب المقامات ولا إكرام؛ وأما علماء المعاني فحقّ قدامة أن يدرس كتاب تأخير المعرفة، ويقول لعصريه نبطويه: لا شك أن ابن حجّة أفضل من ابن عرفة^(٤)؛ ولقد ظهرت من حلاوة

(١) ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ. (٣) إشارة إلى الآية ٢ من الشرح.

(٤) يقصد بـ«ابن عرفة» محمد بن عرفة، إمام =

(٢) الشرح: ١.

نظمه حموضة الرمانية، وشهد عبد القاهر أن الحموي أشهى من الجرجانية، وأشار ابن أبي الأصبح إلى نقد الخنصر على إمامته، واتفق السكاكي والخلخالي وابن الصائغ على إتقان صياغته، في بلاغته، ولكن الأولى كَفَّ العنان عن الجري في الميدان، عند ذكر هؤلاء الفحول، والاختصار على الحكم بالكلم الجوامع، لثلاً يملئ ما يملئ، فأقول: قد فاخر بهذه البديعية الحلبي والمغربي والموصلي، / فأما ابن ٢٢٤ب سرايا فالشيعي المفترى قاصر عن رتبة السني المتقي، وأما ابن جابر فالأعمى لا يستوي مع ذي النظر السوي، وأما العز فذل صعبه أن أبا بكر عند أهل الحق أفضل من علي، وعلى هذا فقد ثبت رجحان هذا الإمام بهذا البرهان الحلبي، ولم يحتج من يحتج له إلى دليل الإصابة، بل متى ذكر ديوان النظم ودعا من تساءل الشهادة له بالإجادة أجابه، ومتى ذكر ديوان الإنشاء، فأبو بكر عليه الرضوان مقدم على جميع الصحابة، والسلام».

انتهى تقرير ابن حجر العسقلاني شيخ الإسلام الشهابي، أحمد حافظ العصر، رحمه الله تعالى»^(١).

وأما الشهادة الثانية، فهي للشيخ بدر الدين الدماميني، وقد أشير إزاءها في الهامش بحاشية كتبت فيها: «تقرير العلامة البدر الدماميني، رحمه الله تعالى»، مشاراً قبلها بـ «حش». وهذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه نسخة ما كتبه سيدنا الشيخ بدر الدين الدماميني^(٢)، فسح الله تعالى في أجله، على القصيدة المباركة، قبل شروع المصنف في هذا الشرح الذي لم ينسج على منواله، وقفت على هذه الكلمة الطيبة وحبت على جامع مخترعاتها جميع ديم الشكر الطيبة، وشرطت على الناظر في أبياتها العالية السنية أن يبدأ بتقديم أبي بكر ويصرف لجهته ما هو معلوم من الشهادة السنية، علماً بأنه الإمام الذي لا شك في علو قدره، ولا مزية لسبقه في إحراز الفضائل، وإنما سبق بشيء وقر في صدره: أدباً اقتضى نقص أبي تمام عن التعلق بسببه، وأوجب له العجز عن القيام بحقه، فحكم

=تونس وعالمها وخطيبها في عصره، (١) من كلام الناسخ.

المتوفى سنة ٨٠٣هـ. (الأعلام ٤٣/٧). (٢) ولد سنة ٧٦٣هـ، وتوفي سنة ٨٢٧هـ.

القاضي الفاضل بموجبه، وغوصاً على المعاني لا يخرج الدرر إلا كباراً، ونظماً تفديه العقود بحبّاتها إجلالاً له وإكباراً، ونثراً جاءت رسالاته معجزة باهرة، وآمنت الأدباء/ ٢٢٥

ببلاغته الخارقة العادة، فلا كرامة للفئة الكافرة؛ وسلاسة طبع أشهى من العذب الزلال، وسحر بيان عقد ألسنة المدعنين، وهذا هو السحر الحلال، حرس الله به ريع البلاغة في مصر وحماة، وأقام به عمود الشعر في الفسطاط، فمدّ أسبابه ومنع حماه، فأطلع كواكب ألفاظه السيّارة بفلك البراعة جواري قد نجمت، واستخدمها بين بنات فكره، فأذعنت للاستخدام وقدمت، وجلتها على الأفهام عرائس، وحلّتها من جواهر البديع بنفائس، فأثى يقاوم ابن الرومي بعجمته هذه العربية الأنساب، أو يطمع مهيار وهو من الموالي في كفاءة هذه الفصاحة، وهي الشريفة الأحساب، فلو رآه ديك الجنّ الحمصيّ لخفض جناحه، واثبه من سينة الغفلة مذعوراً يكرّر صياحه، ويحقّق أن العرف شاهد بفضيحة مثله، وعلم أنّ هذا الإمام هو صاحب الوقت فأذن بفضله، ولو أدركه الورّاق لطوى من صحائف حسناته ما انتشر، وأخذ البيعة على القلوب لطاعة أبي بكر ولا ينكر ذلك من عمر، ويستضاء من أفلاك نظمه ونثره بالقمرين، واهتدى في طرق البلاغة إلى حسن السيرة خلفه، فناهيك بسيرة العمرين، ولو رأى زهير رياض هذه الآداب لصوّب تصغير نفسه، أو ابن المشدّ لقام في خدمة ديوانها بعضا القلم، وفخر بذلك على أبناء جنسه، ولو رآه ابن نباة لتواري وظهر عجزه، ولم ينتفع بتواريه، وكسد شعره في سوق الرقيق فلا من يسومه ولا من يشتريه، على أنه لو لم يكن لهذا الإمام، أبقاه الله، إلا هذه البديعية لكفاه فضلاً، ولأوجب ذلك له في ذمة الشكر ديوناً لا تستطيع غرماً/ الأفكار أن توفّوها* [توفّيها] أصلاً، فريدة لا ٢٢٥ ب

يزال حاسدها في نقص، وحسنها في ازدياد، ومستعرض سطورها يجد في نفسه عظمة الملك إذا عرضت عليه بالعشيّ معانيها الجياد، حسناء أشرفت أنوارها فكاد ينظر محاسنها الأعمى، ورامت الأفكار أن تساميتها، وأثى ذلك و بنت أبي بكر «أسماء» سابقة لا تجاريها بميدان براعتها الفحول، غزالها من إشراق معانيها وميمات قوافيها غرر واضحة وحجول، ذات مقاطع لم ينسج على منوالها، ولا حاك في الصدر أن يسمح الدهر بمثالها، فمن أين للحريري أن يأتي بمثل بزّها الرفيع، وهيئات هيهات أن يصل إلى مثل وشيها البديع؛ كأنما سطورها درجات يتسّم فيها إلسان الناظر إلى بديع الطباقي، أو طرق تسافر فيها اللحظات إلى حدائق الأدب لا

على الأرجل بل على الأحداق، قد نشر في علم البديع علمها فما انطوى، وتطلعت من بيوتها سكان المعاني كأنها تنظر من ميمات الروي في كوى، وكأتما تلك الميم نُعَرَّ صَدَرَ عن منهل الفصاحة رويًا، أو خاتم طبع به على ما في تلك البيوت من ذخائر الأدب/ وأحسن بها حليًا، أو هالة بدر طلع في فلك البراعة، أو عروة تمسك بها ٢٢٦ رجال هذه الصناعة، أو عين تحدق إلى وجوه المعاني الحسان، أو تفجر من ينابيع البلاغة بما يحلي اللسان، أو مشكاة سطعت في كل بيت أنوارها، أو جام دارت به راح الأدب، فلذ إسكارها، فحيًا الله بديعة أسرت الأفلام لتقريظها، فحبرت الطروس، ورأت أن هذا مقام يطلب فيه الأدب، فسعت على الرؤوس، قد نفحت في ألفاظها أرواح معانٍ لو عارضها ابن ممتي للقي شدة الممات، وأخرجت من بحر البسيط دررًا لو وازنها المعري لخاض من عماء في بحر الظلمات، ودقت معانيها فجلاً ما فتح لها في أبواب البديع من المزايا، وجهزت جيش البلاغة فلا تعباً بالحلي، ولو انتصر من أبيه بسرايا، فكيف بقاء الصفي المذكور بكدره، أو الأعمى مع فساد نظره، أو العز الموصلي، وقد باء بالذل لتعقيد تركيبه وقلقه، وقيدت سلاسل حروفها إلى مصرعه، وكانت ميم الروي غلاً لعنقه، هذا ولو شاهدها الخليع لتمزق في حبها، أو البيغاء لسقط على نقط سطورها يلتقط من حبها، أو ابن اللبانة، لقال: هذه زبدة البلاغة/ أو ابن الصائغ لقال: هذا خاتم بهذه الصناعة، وهكذا تكون ٢٢٦ الصياغة، وماذا عسى أن أقول، ولو وقفت لوقفت عن التقريض، وقعدت عن القول فقد أوقعتني في الطويل العريض، لسان المرء ينبئ عن حجه، وعي المرء يستره السكوت، لكنتي أمرت فذهلت، والأمر المهول نقيض بالذهول، وأوجب علي عقد المحبة أن أمثل فقابلت بالإيجاب والقبول، ووجدت مكان القول ذا سعة إلا أن العبارة ضيقة، والفكرة بلباس العجز متردية على أنها بأسباب الحوادث منخفضة، والزمن قد كادني بسهام أوتاره المصيبة ورماني بأنكاد، بعد أن كاد، وأسيف الخطوب ليس لها إلا الجوانح أغماد، وبلد ذهني مع أتني أصبحت ذكياً بمداه، وسألته كف العنان عن الأعيان، فما قصر عن مداه، أستغفر الله فإنني دعوته الآن، فلم أكن بدعائه شقيًا، وأغضيت عن زلاته حيث هداني لسيده أراه على كل حال تقياً، فهو والله إمام العصر وما تم إلا التسليم، وبديع الزمان الذي جمع المحاسن، وقسمها على كلامه، فأبدع في الجمع والتقسيم، وحسنه الدهر الذي محا جميع سيئاته،

ونظم شمل الأدب وعلمه بعد شتاته، أتبعنا الله بأفعال برّه المتعدّية، وأعان على حقوق شكره اللازمة، وأحسن في ابتدائه بالمكافأة عني، فقد تفاءلت من قصيدته بحسن التخلّص، ورجوت ببركة ممدوحها حسن الخاتمة بمنّه وكرمه، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيّدنا، محمّد وآله وصحبه وسلّم. تمّ تمّ تمّ.

هذا ما كان من تقرّيب على النسخة ب، من مخطوطة الخزانة؛ أمّا ما ورد فيها من مآخذ، فكان في الصفحتين الأولى والثانية من الجزء الأول منها قبل المتن. فما جاء في الصفحة الأولى منها هو:

«الحمد لله محلّي الشعراء بأردية الفصاحة والآلاء، وأتمّ صلاة وأسمى سلام على سيد الأعراب والأعجام وعلى آله وأصحابه الكرام، وبعد:

فإني حين ألجأتني دواعي الآداب إلى النظر إلى هذه البدعية المنسوبة لابن حجة الحموي، بادرت في استجلائها من مقرّها، وأنا حينئذٍ في الخلاء أشتاق إلى صنيعي اشتياق الوالد لولده، فقمّت لها لما وافتني على البصر أنظر منها رأسها وعينيها وقوامها، فإذا هي أقبح من طرطيس^(*)، فشاهدت منها العجيب، وما ليس يدّعيه أديب، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، ثمّ نظرت إلى تقرّيب ابن حجر والدماميني، رحمهما الله تعالى، لعدم معرفتهما بالشعر قد بلغ الغاية وهو في الحضيض، وكان في معيّتنا الهمام الكامل الشيخ مصطفى البرهاني فعرضت عليه هذه البدعية والتقرّيب فأجاب: إنّما ذاك جزال، وهما عالمان ليسا بأدبيين^(*)، ثم بعد ذلك رأيت في ظهر هذه الورقة ما كتبه عليها فأصابني من سهم كلامه سهام المنون حيث قال فيما هو يودّه أنّ ابن حجّة ذمّ أنواع الجناس وأعابها لعجزه عنها، وقال: بالله عليك يا هذا، انظر قولني في الجناس التأمّ، وقد أتيت به في خمسة أبيات وهم^(*):
لا تَبُكِ الْفَأْنَائِي يَوْمًا وَلَا دَارًا...

أقول: هذا عيب على من يعيب شيئاً ويأتي بما هو أقبح منه، أمّا الأبيات فهم^(*) للحريري في مقاماته من المنسرح، وقد جعلهم من البسيط مع علمنا بشعر

* الطرطيس: هي العجوز المسترخية، أو الناقة الخوارة. (اللسان ١٢٢/٦)
* الصواب «وهي».
* الصواب: «فهي».
* (طرطس)).

المقامات، فيستحقّ هذا الشيخ أن ندعو له بالمغفرة، ولولا ضيق هذه الورقة لاستوفيت من المضحك على أقواله.

كتبته بخطّي وأنا الفقير محمد علي العظمي سنة ١٢٣٠.

الحمد لله مولّي النعم، وموجد الوجود من بعد العدم، أسأله العناية والتوفيق، والسلوك إلى أرشد طريق، والصلاة والسلام على النبي المعظم، سيّد العرب والعجم، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والكرم، وبعد: لما نظرت...»^(١).

وما جاء في الصفحة الثانية من النسخة ب، الجزء الأول، هو: «ونقلت من خطّ المرحوم الشيخ شمس الدين محمد بن طولون، رحمه الله تعالى:

الحمد لله باذل النعم مميّز البشر عن النعم بأصناف المزايا والحجّر وإتقان البديع من الشعر، وصلى الله وسلّم على أفصح العرب وآله وصحبه ذوي الحسب والنسب، وبعد:

فإنّي حين وقفت على هذه البديعية الخالية من المعاني، القلقة الألفاظ، المنصرمة التركيب، حلفت بالله إنها لا تليق أن تكون في مدحه الشريف لعلوّ مقداره، (ﷺ)، لعدم بلاغتها وفصاحة ناظمها، وكلّما أمعنت النظر إليها أجدها إلى الحضيض تنزل مع بشاعة وشناعة رأي قائلها، وقوله في الجنس المركب: «أنشدني قاضي القضاة لنفسه بحماسة في مبادئ العمر، وقد ذكرت بين يديه الجنس المركب، ولعمري ما أظنّه إلّا الذي سأله فأجابه القائل: فقامت سريعاً ركباً فوق ظهره، وقلت له: هذا الجنس المركب، عيب على هذا الذي عدّ نفسه من حدّاق أهل الأدب أن يقع في مثل هذا، وفي مدح نفسه فيما اخترعه من البرادة والنقاصة، حيث قال: «لم أسبق إليه لم أسبق إليه»، وقد سبقته إليه المقعدون والحمير، وإنّي أخاف على من نظر إلى بديعيته أن تصيبه الحمى الباردة، أما نظر هذا الفهيم مميّته البصيرة وهمزيّته؟ أبعد الدّرّ يطلب الخرز؟ ومن أعجب أقواله أنّه ذمّ أنواع الجناس وأعابها لعجزه عنها: «بالله عليك، يا هذا انظر قولني في الجنس التام، وقد أتيت به في خمسة أبيات، وهم (*):

لا تَبُكُ إلْفاً نائِي _____ يـومـاً ولا دازاً...»

* الصواب «وهي».

(١) هكذا وردت دون تنمة.

ودر لحكم زمان كلّمَا دار، وصير الناس إن صحبهم سكناً ودارهم، فليب القوم
من داری إلى نصرهم وما أظنّ هذا الجزار إلا قاصراً على الاستعار.

هذا ما كتبه بخطي حين طالعتها، وأنا الفقير مصطفى بن محمد البرهاني
الداغستاني سنة ١٢٣٢هـ.، في ربيع الثاني.

هذا بالإضافة إلى تقاريط ومآخذ أخرى، قد وردت مبثوثة في ثنايا هذه الدراسة،
أثناء الكلام على قيمة هذه الخزانة، وأثرها في الأدب والنقد والبلاغة^(١).

ويبقى لـ «تقديم أبي بكر» و«شرحه» مآخذ معدودة، لعل أهمّها ما نلاحظه على
ابن حجة من عدم توّرجه عن ذكر بعض الشواهد الشعرية الفاحشة، التي يجدر
بأرباب الأقلام والأدب أن يربأوا بأنفسهم عن ذكرها أو التلّفظ بها، ولا سيّما إذا عرفنا
أن ابن حجة كان قادراً على أن يأتي ببديل عنها، إذ جاء بها للتمثيل على الأنواع
البديعية، وكيف له أن يستشهد بمثل تلك الأشعار في شرحه، وهو الذي وضع
للبيعية قواعد وشروطاً في «الأدب والاحتشام» لكونها مديحاً نبويّاً؟ وهو القائل:
«... إن الغزل الذي يصدر به المديح النبويّ، يتعيّن على الناظم أن يحتشم فيه
ويتأدّب ويتضاءل ويتشّبّب، مطرباً بذكر «سلع» و«رامة» و... ويطرح ذكر محاسن
المرد، والتغزل في ثقل الردف... وبياض الساق وحمرة الخدّ... وقُلّ من يسلك
هذا الطريق من أهل الأدب»^(٢). وهل يعني ذلك أنّ على الناظم أن يحسن أدبه في
نظمه للبيعية، ويترك الأدب والاحتشام والتعقّف في «شرحه لها»!؟

وما يلاحظ في «شرحه» أيضاً ظاهرة الإطالة في الشرح، التي قد تبلغ أحياناً حدّ
الملل، وإن كان يبرّر بين الحين والآخر ورود مثل هذه الإطالة التي كان يتحاشى
الوقوع فيها؛ وحسبك أن تنظر في شرحه لباب «التورية» لترى ما وصلت إليه من
الإطالة والاستطراد. وليس هذا وحسب، فقد طالعنا ابن حجة في خزانته بظاهرة
أخرى، هي ظاهرة «التكرار»، فكثيراً ما تراه يكرّر البيت أكثر من مرّة، في أكثر من
موضع، ولعلّ ذلك يعود لما يقتضيه الاستشهاد على النوع البديعيّ بأبيات، يمكن

(١) لم أذكر هذه التقاريط والمآخذ هنا، منعاً (٢) خزانة الأدب وغاية الأرباب «براعة
للتكرار، ولترجع هذه في مكانها من الاستهلال» ١/٣٤٢ - ٣٤٤.

الاستشهاد بها على أنواع بديعية أخرى، كما يعود لخلطه بين شواهد بعض الأبواب، كما في شواهد «التوجيه» و«التورية»، وغيرهما، وأبرز هذه الشواهد المكررة ما أورده من شعر جمال الدين بن نباتة الذي أخذه عن علاء الدين الوداعي.

وما يؤخذ على ابن حجة في خزانته أنه كان في نقده أحياناً إذا أحبّ شاعراً أعجب بشعره، فإذا أثنى عليه ألبسه من ثياب الثناء والمدح حلّة سيّراء، وأفرط في تعظيم صنيعه، وإذا غضب على شاعر تناوله بالقدح والذمّ، واتهمه بسوء الصنيع أو السرقة أو التطفّل على موائد الفحول. . . فمن الذين أثنى عليهم في جلّ نقده الشيخ جمال الدين بن نباتة، وعلاء الدين الوداعي، والقاضي الفاضل، وأغلب أنصار «التورية»، أمّا الذين تحامل عليهم فأغلبهم من أنصار «الجناس»، وعلى رأسهم صلاح الدين الصفديّ، وابن العطار، كما يؤخذ عليه في نقده أحياناً إصداره للأحكام النقدية التي تعوزها الدقة ووضوح المقياس النقديّ والصوابية، فكثيراً ما كان يكيل المدح والثناء ويفرط في الاستحسان لمجرد ظاهرة بسيطة لا تستحقّ جزءاً يسيراً من هذا الاستحسان، بالإضافة إلى الثناء الذي كاله بغير حساب لبعض أصدقائه، وإنك لتجد شواهد ذلك في معظم أبواب «الخزانة»، وأبرز مثال على ذلك انحيازه في الحكم أثناء تحكيمه بين الشيخين صفّي الدين الحلّيّ وجمال الدين بن نباتة، إذ يقول (من الطويل):

تصفّحتُ ديوان الصفّيّ فلم أجدُ لديه من السّحرِ الحلالِ مرامي
فقلتُ لقلبي دونك ابن نباتةٍ ولا تتبّع الجليّ فهو حرامي^(١)

ومهما يكن من أمر هذه البديعية وشرحها وما قيل فيها من أقوال، فإنها تبقى خزائناً للأدب وموسوعة لمختلف العلوم السائدة في عصر ابن حجة، ولا أبالغ إذا قلت ما قاله ابن حجر فيها: هي «مجموع أدب قلّ أن يوجد في غيره، ولعلّ مقتنيه يستغني عن غيره من الكتب الأدبية، ولو لم يكن له فيه إلا جودة الشواهد لكلّ نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادر العصرين للضرب بها على غير أهلها، فإن مالكة مرتفع عنه كلفة العارية»^(٢).

(١) البيتان مخرّجان في مكانهما من الخزانة.

(٢) النسخة «ك» من مخطوطة الخزانة، الصفحة الأولى قبل صفحة العنوان.

ولا يسعني إلا أن أردد مع ابن حجر نفسه:

يَا سَيِّدًا طَالَعَهُ إِنَّ رَاقٍ مَعْنَاهُ فَعُودُ
وَأَفْتَحَ لَهُ بَابَ الرِّضَا وَإِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدُّ^(١)

(١) الرجز مخرّج في مكانه من الخزانة.

القسم الثاني

خزانة الأدب وغاية الأرب

لأبي بكر بن علي بن عبدالله المعروف بابن حجة الحمويّ

(٧٦٧ - ٨٣٧هـ - ١٣٦٦ - ٤٣٤م)

[خطبة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب^(١). قال شيخنا^(٢) الشيخ الإمام العالم^(٣) العلامة، فريد دهره، ووحيد عصره، أبو المحاسن تقى الدين، ملك المتأدبين، أبو بكر بن حجة الحنفى القادري الحموي^(٤)، منشئ دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الإسلامية، روى الله تعالى^(٥) روض الأدب بسحائب فكره، ونظم شمل^(٦) البلاغة ببدايع نثره^(٧):

الحمد لله البديع الرفيع، الذي أحسن ابتداء^(٨) خلقنا بصنعه^(٩) وأولانا جميل الصنيع، وأستهلت^(١٠) الأصوات ببراعة توحيدته وهو البصير السميع^(١١)، أدب نبينا^(١٢)، (ﷺ)، فأحسن تأديبه، حتى أرشدنا، جزاه الله عنا^(١٣) خيراً، إلى سلوك الأدب، وأوضح لنا غريبه وبديعه^(١٤)، نحمده حمداً يحسن به^(١٥) التخلص من غزل

- (١) «عليه توكلت وإليه أنيب» سقطت من ك، وثبتت في هامشها؛ وفي د: «توكلت على الله، اعتصمت بالله، استعنت بالله» مكان «وما توفيقى... أنيب».
- (٢) «شيخنا» سقطت من د.
- (٣) «العالم» سقطت من ب، د.
- (٤) في و: «الحموي ٢ الحنفى ٢ القادري».
- (٥) في ب: «سبحانه».
- (٦) في و: «وشمل ٢ نظم ٢».
- (٧) هذه الفقرة: «بسم الله... نثره» سقطت من ط؛ وفي د: «تعلمه الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه» مكان «روى... نثره»؛ وفي و: «بعجائب نثره»
- كتبت تحت «بدايع نثره»، لعلها كذا في نسخة أخرى.
- (٨) «ابتداء» سقطت من ب.
- (٩) في ط: «بصنعه»؛ وفي هـ ك: «بصنعه» خ.
- (١٠) في ط: «فاستهلت»؛ وفي هـ ك: «فاستهلت» خ.
- (١١) في ب: «السميع ٢ البصير ٢».
- (١٢) في ط: «نبينا محمداً».
- (١٣) «عنا» سقطت من ب.
- (١٤) في ب، د، ط، و: «بديعه وغريبه»؛ وفي ك: «غريبه ٢ وبديعه ٢».
- (١٥) «به» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».

الشهوة إلى حسن الختام، ونشكره شكر من شعر بديع صفاته فأحسن النظم، ونعوذ^(١) بالله من قوم لا يشعرون بهذا النظام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة شاعر بأنه الواحد، ونشهد^(٢) أن سيدنا^(٣) محمداً عبده ورسوله المبعوث من بيت عربي، فصاحته على الأعراب والإعراب أعظم شاهد، صلى الله عليه^(٤) وعلى آله وصحبه^(٥) الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودوائر بحره، وأنواع بديعه وديباجة^(٦) صدره، وسلم تسليماً كثيراً^(٧). وبعد:

فهذه البديعية التي نسجتها بمدحه، (ﷺ)، على منوال طرح^(٨) البردة، كان مولانا المقرّ الأشرف العالي المولوي القاضوي المخدومي الناصري محمد^(٩) بن البارزي الجهني الشافعي، صاحب دواوين^(١٠) الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة، جمل الله الوجود بوجوده، هو الذي ثقّف لي هذه الصعدة، وحلب ضرعها^(١١) الحافل لحصول هذه الزبدة، وما ذاك إلا أنه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ^(١٢) عزّ الدين الموصلي، رحمه الله تعالى^(١٣)، التزم^(١٤) فيها تسمية^(١٥) النوع البديعي، وورّى^(١٦) به^(١٧) من جنس الغزل، ليمتيز بذلك على^(١٨) الشيخ صفّي الدين الحلّي، تغمّده الله برحمته^(١٩)، لأنه ما التزم في بديعته بحمل^(٢٠) هذا العبء الثقيل، غير أنّ الشيخ عزّ الدين ما أعرب^(٢١) عن بناء بيوت

- (١) في ط: «وأعوذ».
- (٢) «نشهد» سقطت من ط؛ وفي ك «نشهدخ».
- (٣) «سيدنا» سقطت من ب، د، و.
- (٤) في ب: «صلى الله عليه وسلم».
- (٥) في ط: «وأصحابه».
- (٦) في ط: «وديباج».
- (٧) في ب: «وعظّم تعظيماً» مكان «كثيراً».
- (٨) في ط: «طرز»؛ وفي هـ ك: «طرز» خ صح.
- (٩) في ط: «الناصرى سيدي محمد».
- (١٠) في ط: «ديوان»؛ وفي هـ ك: «ديوان» خ.
- (١١) في ط: «وحلب لي ضرعها».
- (١٢) «للشيخ» سقطت من ك، وثبتت في
- هامشها مشاراً إليها بـ «خ»؛ وفي ب:
- «الشيخ».
- (١٣) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب.
- (١٤) في ب: «التي التزم»...
- (١٥) في ط: «بتسمية».
- (١٦) في ب «وروي»؛ وفي هـ ك: «مورياً».
- (١٧) في ط: «بها».
- (١٨) في د، و: «عن».
- (١٩) سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ط: «تغمده الله تعالى برحمته».
- (٢٠) في ب، و: «تحمل».
- (٢١) في د: «ما أعرب»؛ وفي ب، و: «أعرب».

ما^(١) أذن الله أن ترفع، ولا طالت يده لإبهام^(٢) العقادة إلى شيء من إشارات ابن أبي الإصبع، وربما رضي في الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمّى، ونثر شمل الألفاظ والمعاني لشدة ما عقده نظماً [من الطويل]:

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريبٌ ولكنْ دونَ ذلك أهوال^(٣)

فأستخار الله^(٤) مولانا المقرّ^(٥) الناصريّ المشار إليه، عظم الله تعالى شأنه^(٦)، ورسم لي بنظم قصيدة أطرز حُلَّتْها بديع^(٧) هذا الالتزام، وأجاري الحلّي برقة السحر الحلال الذي ينفث في عُقد الأقلام، فصرت أشيد البيت في رسم لي بهدمه، وخراب البيوت في هذا البناء صعب على الناس، ويقول: بيت الصفيّ أصفى مورداً وأنور أقباس، فأسنّ كلّ ما حدّه الفكر وأراجعه ببيت له على المناظرة طاقة^(٨)، فصرتُ أعربُ عن بناء كلّ بيت له على المناظرة طاقة^(٩)، فيحكم لي بالسبق وينقلني إلى غيره، وقد صارت^(١٠) لي فكرة بإرشاده إلى الغايات سبّاقة، فجاءت بديعيّة هدمتُ بها ما نحته الموصليّ في بيوته من الجبال، وجاريتُ الصفيّ مقيداً بتسمية النوع وهو من^(١١) ذلك محلول العقال، وسمّيتها «تقديم أبي بكر»، علماً^(١٢) أنه لا يسمع من الحلّي والموصليّ في هذا «التقديم» مقال.

- (١) «ما» سقطت من ط؛ وفي ك أشير فوقها بخطّين لعلها مشطوبة.
- (٢) في ب: «إلى إبهام».
- (٣) البيت لأبي العلاء في سقط الزند ص ٢٢٩؛ وكتاب الأذكياء ص ٢٤٩؛ وفيهما: «فيا دارها بالخزن»؛ ونفحات الأزهار ص ١٨٦؛ وديوان الصبابة ص ٤. والخيف: خيف مكة، وهو موضع فيها عند منى. (اللسان ١٠٣/٩ (خيف)، ومعجم البلدان ٤٧١/٢).
- (٤) في ب: «الله سبحانه وتعالى»؛ وفي د، و: «الله تعالى».
- (٥) «المقرّ» سقطت من ط؛ وفي ب، د، و: «المقرّ».
- (٦) سقطت من ط؛ وفي ب: «عظم الله سبحانه شأنه»؛ وفي و: «عظم الله شأنه».
- (٧) في هـ ك: «أطرزها بديع» خ.
- (٨) «فصرت... طاقة» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك، (وفي هامشها سقطت «لي» وثبتت فوق الهامش).
- (٩) «فصرت... طاقة» سقطت من ط؛ وفي ك: «فصرت خ...».
- (١٠) في ط: «صار».
- (١١) في ب: «مع».
- (١٢) في ط: «عالماً».

وكان المشار إليه، عَظَّمَ اللهُ شأنه^(١)، هو الذي مشى أمامي وأشار إلى هذا السلوك وأرشد، فأقتديتُ برأيه العالِي^(٢)، وهل يقتدي أبو بكر بغير محمدٍ؟! [فقلت في براعة الاستهلال]^(٣):

(١) في ب: «عظم الله سبحانه شأنه»؛ وفي د: (٢) «العالِي» سقطت من ط.
 (٣) من ب؛ وفي ط: «فقلت».

حسن الابتداء وبراعة الاستهلال (*)

١ - لي في ابتداء مدحكُم يا عُزْبَ ذي سَلَمٍ بَرَاةٌ تَسْتَهْلُ الدَّمْعَ فِي العَلَمِ (١)

[حسن الابتداء عند العرب والمولدين] (٢):

اعلم أنه (٣) اتفق علماء البديع على أنّ براءة المطلع عبارة عن طلوع أهلة (٤) المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا تتجافى (٥) / جنوب (٦) الألفاظ عن مضاجع الرقة، وأن يكون التشبيب بنسيبها مرقصاً عند السماع، وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن (٧)، ومطلعها، مع اجتناب الحشو، ليس له تعلق بما بعده، وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الأول أجنبيّاً من شطره الثاني.

وقد سمى ابن المعتزّ براءة الاستهلال حُسن الابتداء (٨)، وفي هذه التسمية تنيبه على تحسين المطالع، فإن (٩) أخلّ الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن

١٣/١١٣ (حزن)).

(*) العنوان سقط من ب، ط، و.

(١) البيت في ديوانه ورقة ٣ب؛ ونفحات (٨) في هامش ب: «وشعراء العجم سمّوا ذلك الأزهار ص ١٢.

(٢) زيادة يقتضيها المنهج.

(٣) «اعلم أنه» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشارفاً إليها بـ «خ».

(٤) أهلة المعاني: يقصد بداياتها.

(٥) في د، ط: «يتجافى».

(٦) في ط: «بجنوب».

(٧) الحزن: الوعر الغليظ من الأرض، (٩) في ط: «وإن».

والغريب المعقّد من الكلام (اللسان

الابتداء^(١)، وأورد في هذا الباب قول النابغة الذبياني^(٢) [من الطويل]:
 كِلِينِي لَهُمْ، يَا أُمَيْمَةَ، نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ^(٣)
 قَالَ زَكِيٌّ^(٤) الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَصْبَعِ: لِعَمْرِي^(٥) لَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْمُعْتَزِ الْاِخْتِيَارَ،
 فَإِنِّي أَطْنَهُ نَظَرَ بَيْنَ هَذَا الْاِبْتِدَاءِ وَبَيْنَ^(٦) اِبْتِدَاءِ امْرِئِ الْقَيْسِ حَيْثُ قَالَ [من الطويل]:
 قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيْبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(٧)
 فرأى ابتداء امرئ القيس، على تقدّمه وكثرة معانيه، متفاوت القسمين جدّاً، لأنّ صدر البيت جمع بين^(٨) عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني، وليس في الشطر الثاني شيء من ذلك، وعلى هذا التقدير فمطلع^(٩) النابغة أفضل من جهة ملاءمة ألفاظه وتناسب قسميّته وإن كان مطلع امرئ القيس أكثر معاني^(١٠)، وما عظم ابتداء امرئ القيس في النفوس إلاّ الاقتصار على سماع صدر البيت الأوّل^(١١)، فإنّه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والم منزل في شطر بيت، وإذا تأمل الناقد [الليبي]^(١٢) البيت^(١٣) بكماله ظهر له تفاوت القسمين وقال، أعني ابن أبي الأصبع: إذا وصلت إلى قول البحرّي في^(١٤) هذا الباب وصلت^(١٥) إلى غاية لا

ص ١٦٩؛ والطراز ٣/٣٤؛ والأزهية ص ٢٤٤، ٢٤٤؛ والدرر ٦/٧١؛ وخزانة الأدب ١/٣٣٢، ٣/٢٢٤.

وسقط اللوى و«الدخول» و«حومل»: أسماء مواضع ما بين إمرة وأسود العين. (معجم البلدان ٢/٣٧٣، ٥٠٧؛ ٥/٢٧).

(٨) في ب: «بين» كتبت فوق «جمع».

(٩) في ط: «مطلع».

(١٠) في ط: «معاني».

(١١) «الأول» سقطت من د، ك؛ وثبتت في هـ

ك مشاراً إليها بـ «خ ص».

(١٢) من ب، و.

(١٣) «البيت» سقطت من ب.

(١٤) في ط: «من».

(١٥) «وصلت» سقطت من ك، وثبتت في هـ

هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

(١) في ب، د، و: «بحسن ابتداء»؛ وفي ك: «بحسن الابتداء»؛ وفي هامشها: «بشير من حسن إلخ» خ.

(٢) «الذبياني» سقطت من ط.

(٣) البيت في ديوانه ص ٤٠؛ ونهاية الأرب ٧/١٣٤؛ وتحرير التحبير ص ١٦٨؛

والإيضاح ص ٣٥١؛ والأزهية ص

٢٣٧؛ والدرر ٣/٥٧؛ وخزانة الأدب

٢/٣٢١، ٣٢٥.

وناصب: متعب (اللسان ١/٧٥٨ (نصب)).

(٤) في ب: «قال الشيخ زكي»...

(٥) «لعمرى» سقطت من ب.

(٦) في ب: «بين... وبين» مصححة عن

«بيت... وبيت» وهي غامضة، وفي

هامشها «بين» توضيحاً لرسمها.

(٧) البيت في ديوانه ص ٨؛ وتحرير التحبير

- تدرك، وهو [قوله] ^(١) [من الطويل]:
 يُوَدِّي لَوْ يَهْوَى الْعَدُولُ وَيَعْشَقُ لِيَعْلَمَ أسباب الهوى كَيْفَ تَعْلَقُ ^(٢)
 انتهى كلام [زكي الدين] ^(٣) بن أبي الأصعب. قلت ^(٤): ولقد أحسن أبو الطيب ^(٥)
 ما شاء ^(٦) في قوله من هذا النوع ^(٧) [من الخفيف]:
 أتراها ^(٨) لكثرة العشاق تحسبُ الدَّمعَ خَلْقَةً في المآقي ^(٩)
 ومثله قوله (أي حبيب) ^(١٠) [من الطويل]:
 حُشاشَةٌ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فلم أذِرُ أَيَّ الظاعنينَ أَشِيْعُ ^(١١)
 وما أطف قول أبي تمام في هذا الباب [من الكامل]:
 لا أنتِ أنتِ ولا الـديارُ ديارُ خَفَّ الهوى وتَقَضَّتِ الأوطارُ ^(١٢)
 ومثله قول أبي العلاء المعرِّي [من البسيط]:
 يا ساهرَ البرقِ أيقظْ راقداً السَّميرَ لعلَّ بالجزعِ أعواناً على السَّهَرِ ^(١٣)
 وقد خلب ابن المعتز القلوب ^(١٤) بقوله في تناسب القسمين ^(١٥) [من الخفيف]:

- (١) من ط. ومعاهد التنصيص ٢٢٧/٤؛
 (٢) البيت في ديوانه ٨١١/٢، وفيه: «فيعلم»؛
 وتحرير التحبير ص ١٧٠؛ وبلا نسبة في تاج
 العروس ٢٨٥/٩ (ودد)؛ وفيه: «فيعلم».
 (٣) من ط.
 (٤) «قلت» سقطت من ط؛ وفي ك: «قلت خ».
 (٥) في ب: «المتنبي»؛ وفي ط: «أبو الطيب
 المتنبي».
 (٦) «ما شاء» سقطت من ب، د، ط.
 (٧) في ط: «حيث قال» مكان «في... النوع».
 (٨) «أتراها» سقطت من و، وثبتت في هامشها
 مشاراً إليها بـ «صح».
 (٩) البيت في ديوانه ص ٢٣٦؛ وتحرير
 التحبير ص ١٧١؛ ومعاهد التنصيص ٤/٤
 ٢٢٨.
 (١٠) في ط: «... القلوب ابن المعتز».
 (١١) في ب، د، ط: «في تناسب القسمين بقوله».

أَخَذْتُ مِنْ شِبَابِي الْأَيَّامُ وَتَوَلَّى الصُّبَا عَلَيْهِ^(١) السَّلَامُ^(٢)
وما أحلى ما ناسب ابن هانئ قَسَمِي مطلعُه بالاستعارات الفائقة حيث قال [من
الكامل]:

بَسَمَ الصَّبَاحُ لِأَعْيُنِ الثُّدْمَاءِ وَانْشَقَّ جَيْبُ غِلَالَةِ الظُّلْمَاءِ^(٣)
وقال الشريف أبو جعفر البياضي، يشير إلى الرفق بالإبل عند السرى^(٤)، وتلطَّف
ما شاء في تناسُب القسمين حيث قال [من الكامل]:

رِفْقًا بِهِنَّ فَمَا خُلِقْنَ حديدًا أَوْ مَا تَرَاهَا أَعْظَمًا وَجُلُودًا^(٥)
وهذه القصيدة، طريقها الغريب لم يسلكه^(٦) غيره، فإنه نسجها جميعها على هذا
المنوال، منها^(٧) [من الكامل]:

يَفْلِينَ نَاصِيَةَ الفَلَا بِمَنَاسِمِ وَسَمَ الوَجَا^(٨) بِدِمَائِهِنَّ البِيدَا
فكَأَنَّهُنَّ نَشْرَنَ وَرَدًا^(٩) بِالخُطَا
ونظمن منه بسيرهنَّ عقودًا^(١٠)

ومما يعذب في الذوق، من هذا الباب، قول ابن قاضي ميلة [من الطويل]:
يزيد^(١١) الهوى دمعي وقلبي المعنَّف ويحيي^(١٢) جُفُونِي^(١٣) الوَجْدُ وَهُوَ المُكَلَّفُ^(١٤)

(١) في ب: «عليه مئي»، وبها يكسر الوزن.
(٢) البيت في ديوانه ص ٦٣٦؛ وفيه:
«وَتَوَلَّى» مكان «وَتَوَلَّى».

(٣) البيت في ديوانه ص ٤٨٢.
والجيب: الطوق من الثوب. (اللسان ١/
٢٨٨ (جيب))؛ والغلالة: الثوب والستر
(اللسان ١١/٥٠٢ (غلل)).

(٤) السرى: السيرليلاً. (اللسان ١٤/٣٨٢ (سرا)).
(٥) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

(٦) في ط: «لم يسلكها».
(٧) في ط: «ومنها».

(٨) في د، و: «الذجي».
(٩) في ط: «دُرًّا»؛ وفي هـ ك: «دُرًّا» خ.

(١٠) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من
مصادر.
(١١) في ب، د، ك، هـ و: «يذيل»؛ وفي هـ
ك: «يزيد» خ.
(١٢) في ب، د، ك: «وتجني»؛ وفي هـ ك:
«ويحيي» خ؛ وفي هـ و: «وتجفي».
(١٣) في ب: «عيوني».
(١٤) البيت له في وفيات الأعيان ٦/١٥٩.

وقد نبّه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء، فإنه أوّل شيء يقرع به^(١) الأسماع، ويتعيّن على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين، ويفتقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه، ليتجنّب^(٢) ذكره، ويختار لأوقات المدح ما يناسبها، وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في حسن الأدب، فقد حكى أن أبا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك في مجلسه فأنشدّه من نظمة [من الرّجز]:

صفراء قد كادت ولمّا تفعلِ كأنّها في الأفق عَيْنُ الأَحْوَلِ^(٣)

وهشام بن عبد الملك أحول، فأخرجه [من مجلسه]^(٤) وأمر بحبسها؛ وكذلك اتفق^(٥) لجرير مع أبيه عبد^(٦) الملك، فإنه دخل عليه وقد مدّحه بقصيدة حائية ب٢ أولها^(٧) [من الوافر]:

* أَتَضْحُو أَمْ فؤادُك غيرُ صاح^(٨) *

فقال له عبد الملك: بل فؤادك يا ابن الفاعلة. ومن هذه الجهة بعينها، عابوا على أبي الطيّب المتنبّي خطابه لممدوحه في ابتداء^(٩) قصيدة حيث قال^(١٠) [من الطويل]:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنايا أن يَكُنَّ^(١١) أمانياً^(١٢)

(١) «به» سقطت من ط؛ وفي ك «تّ به».

(٢) في د: «ليجتنب».

(٣) الرجز له في الطرائف الأدبية ص ٦٩؛

ونفحات الأزهار ص ١١؛ وبلا نسبة في

مقاييس اللغة ١/١١٥؛ ولسان العرب

١٤/٤٦٢ (صغا)؛ وتهذيب اللغة ٨/

١٥٩؛ وفيها:

صفراء قد مالـت...

فهـي على الأفق كعـين الأـحول

وهذا في مدح هشام الأـحول، وهو في

صفة الشمس عند الغروب.

(٤) من ب.

(٥) «اتفق» سقطت من د.

(٦) في هـ و: «عند».

(٧) وفي هـ و: «عند».

(٧) «بسم... أولها» سقطت من و، وثبتت

في هامشها؛ وفي ب: «فقال» مكان

«أولها».

(٨) في و: «صاحي». والبيت في ديوانه ص

٨٧؛ ولسان العرب ١٤/٤٥٢ (صحا)؛

وعجزه:

* عشية همّ صـحبك بالـزواج *

(٩) في ط: «مطلع»؛ وفي هـ ك: «مطلع» خ.

(١٠) «أتضحو... قال: سقطت من و،

وثبتت في هامشها.

(١١) في د: «تكن».

(١٢) البيت في ديوانه ٤/٤١٧؛ والأمثال

السائرة من شعر المتنبّي ص ٥٧؛

ونفحات الأزهار ص ١٠.

ومن مستقبحات الابتداء قول البحرني، وقد أنشد يوسف بن محمد^(١) قصيدته التي^(٢) أولها، [وهي بديعة في بابها، غريبة بين أترابها]^(٣) [من الطويل]:

* لَكِ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ آخِرُهُ^(٤) *

فقال له^(٥): بل لك الويل والخزي^(٦).

وأما قصة إسحاق بن إبراهيم الموصلي في هذا الباب، فإنني أنفعل وأخجل عند سماعها، وما ذاك إلا أنه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان، فشرع في إنشاء^(٧) قصيدة نزل بمطلعها إلى الحضيض، وكان هو وحكاية الحال في طرفي نقيض، وهو [من الكامل]:

يا دارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَمَحَاكِ^(٨) يا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ^(٩)

فتطير المعتصم من قبح^(١٠) هذا الابتداء^(١١)، وأمر بهدم القصر على الفور، فنعوذ بالله من آفة الغفلة، هذا مع يقظة إسحاق وسير الركبان بحسن محاضرتة ومنادمته للخلفاء، ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكيو الجواد^(١٢)، مع أنه قيل: إن^(١٣) أحسن ابتداء ابتداء^(١٤) به مؤلّد قول إسحاق [بن إبراهيم]^(١٥) الموصلي [المذكور،

- (١) في د: «أبو يوسف محمد»؛ وفي و: يا دار هند ما الذي أبلاك
«محمد بن يوسف».
- (٢) في ب: «قصيدة من شعره يقول في».
- (٣) من ب.
- (٤) البيت في ديوانه ٥١٣/١؛ وفي له (١٠) في ب: «نسيج».
- (٥) مكان «لك»؛ وعجزه: (١١) في ط: «المطلع».
- (٦) * وَوَبَّئِكَ نَوَى حَيِّ تَرُمُ أَبَاعِرُهُ * (١٢) المثل في الألفاظ الكتابية ص ٢٣؛
والعقد الفريد ٨٤/٣؛ والميداني ١٢/١،
- (٧) «له» سقطت من ط.
- (٨) في ب، د، ك، و: «والحرب»، وفي هـ (٣٠٢؛ وفصل المقال ص ٤٣؛ وكتاب
الأمثال ص ٥١.
- (٩) ك: «والخزي» خ صح.
- (١٠) في د: «إنشاده»؛ وفي ب، ك، و: (١٣) «إن» سقطت من ب، د، و.
- (١١) «إنشاد»؛ وفي هـ ك: «إنشاء» خ.
- (١٢) في هـ ك: «ودهاك» خ.
- (١٣) البيت في ديوانه ص ١٦٠؛ وفيه: (١٤) «ابتداء» سقطت من ب، وثبتت في
هامشها.
- (١٤) في هـ ك: «ودهاك» خ.
- (١٥) البيت في ديوانه ص ١٦٠؛ وفيه: (١٥) من ب.

وهو الذي بـ«النديم» مشهوراً^(١)، حيث قال [من الخفيف]:

هَلْ إِلَى أَنْ^(٢) تَنَامَ عَيْنِي سَبِيلٌ إِنَّ عَهْدِي بِالنَّوْمِ عَهْدٌ طَوِيلٌ^(٣)

فانظر إلى هذا الأديب الحاذق المتيقظ، كيف استطردت به خيول السهو إلى أن خاطب المعتصم في قصر رباحين تشييده غضة^(٤)، بخطاب^(٥) الأطلال البالية، وانظر إلى حشمة أبي نواس، كيف خاطب الدمن بخطاب توذ القصور العوالي^(٦) أن^(٧) تتحلّى بشعاره، مع بلوغه في تناسب القسمين الطرف الأقصى، وهو^(٨) [من الطويل]:

لِمَنْ دِمْنٌ تَزْدَادُ حَسَنَ رُسُومٍ^(٩) عَلَى طَوْلٍ مَا أَقْوَتْ، وَطَيْبَ نَسِيمٍ^(١٠)

وقصة ذي الرمة مع عبد الملك [بن مروان]^(١١) أيضاً^(١٢)، تقارب قصة إسحاق مع المعتصم، فإنه دخل عليه يوماً فأمره بإنشاد شيء من شعره فأنشده^(١٣) [من البسيط]:

* مَا بِأَلْ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ^(١٤) *

وكان بعين عبد الملك ريشة فهي تدمع أبداً، فتوهم^(١٥) أنه خاطبه وعرض به، فقال له^(١٦): ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة، ومقته^(١٧) وأمر بإخراجه.

ومعاهد التنصيص ٢٢٧/٤.

وَدِمْنٌ: ج دمنة وهي آثار الدار. (اللسان ١٥٧/١٣ (دمن))؛ وأقوت: أفررت وخلت وخربت. (اللسان ٢١١/١٥ (قوا)).

(١) من ب. (٢) في و: «لي إلى» مكان «إلى أن». (٣) البيت في ديوانه ص ١٦٥؛ وتحرير التحبير ص ١٦٨؛ ونهاية الأرب ٧/١٣٤.

(١١) من ب؛ ولكنها كتبت «بن مروان». (١٢) «أيضاً» سقطت من ب، د، ط، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ«خ ص».

(٤) في هـ ك: «في قصر رباحين تشييده غضة» ن؛ ورياحين تشييده غضة: يقصد حديث البناء.

(٥) في هـ و: «بخطاب» ن.

(١٣) في ط: «فأنشد قوله».

(٦) في ط: «العالية».

(١٤) الشطر في ديوانه ٤١/١؛ وعجزه:

(٧) في د: «إلى أن».

* كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرَبٌ *

(٨) في ط: «حيث قال».

(١٥) في ب: «وتوهم».

(٩) في د: «وسوم».

(١٦) «له» سقط من و.

(١٠) البيت في ديوانه ص ٥٧٧؛ وفيه:

(١٧) في ط: «فمقته».

«وطيب»؛ وتحرير التحبير ص ١٧٠؛

[حسن الابتداء عند المتأخرين]^(١):

انتهى ما أوردته في حسن الابتداء للعرب والمولدين وفحول الشعراء، ونَبَّهْتُ على حَسَنِهِ وقبيحه، ولكن جذبتني، يا أخا الأدب^(٢)، نسبة المتأخرين [إلى]^(٣) أن أثبت في هذا المحلّ القابل^(٤) تشبيهاً^(٥) ونسبها، وأظهر في شرح هذه البديعة الآهله بديعها وغريبها، ليعلم من تنزّه في هذه الحدائق الزاهرة أن ما ربيع الآخر من ربيع الأول بعيدٌ، وإذا تحقّق أنّ لكلّ زمان بديعاً تمعّ بلذّة الجديد.

وهنا بحثٌ لطيفٌ، وهو أنّ الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرين ليس فيه^(٦) نقض^(٧)، لأنّ البديع أحد علوم الأدب الستة، وذلك أنك^(٨) إذا نظرت في^(٩) الكلام العربيّ، إمّا أن تبحث عن المعنى الذي وُضع له اللفظ وهو علم اللغة، وإمّا أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه من الحذف والقلب والبدل وغير ذلك^(١٠) وهو علم التصريف، وإمّا أن تبحث عن المعنى^(١١) الذي يفهم من الكلام المركّب بحسب اختلاف أواخر الكلم وهو علم العربية، وإمّا أن تبحث^(١٢) عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغويّ وهو علم المعاني^(١٣)، وإمّا أن تبحث^(١٤) عن طرق دلالة الكلام إيضاحاً وخفاءً بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان، وإمّا أن تبحث^(١٥) عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع.

فالعلوم الثلاثة الأولى لا يستشهد عليها إلّا بكلام^(١٦) العرب نظماً ونثراً، لأنّ المعتمَر فيها ضَبُطُ ألفاظهم، والعلوم الثلاثة الأخيرة يُستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، إذا كان

- (١) زيادة يقتضيها المنهج.
- (٢) في ط: «العرب»؛ وفي هـ ك «العرب» خ.
- (٣) من ط.
- (٤) «القابل» سقطت من ط.
- (٥) في ب، د، و: «نسبها».
- (٦) في د: «ليس له فيه»...
- (٧) في ب، ط، و: «نقص».
- (٨) «أنك» سقطت من ب، د، و.
- (٩) في ك: «إلى» وفي هامشها «في» صح.
- (١٠) «من الحذف... ذلك» سقطت من ط.
- (١١) «عن المعنى» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
- (١٢) «الذي... تبحث» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
- (١٣) «وإمّا... المعاني» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
- (١٤)(١٥) في ب: «يبحث».
- (١٦) في ط: «يستشهد عليها بكلام».

الرجوع إلى العقل^(١) /.

وقال^(٢) أبو الفتح عثمان بن جني^(٣): المولّدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ؛ قال ابن رشيقي في العمدة: الذي ذكره أبو الفتح صحيح يّين، لأن المعاني اتّسعت باتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض، فإنهم حضّروا الحواضر، وتفتنوا في المطاعم والملابس، وعرفوا بالعيان^(٤) ما دلّتهم عليه^(٥) بداءة^(٦) عقولهم من فضل التشبيه وغيره^(٧)، ومن هاهنا^(٨) يُحكى عن ابن الرومي أنّ لائماً لأمه وقال له: لِمَ لا تشبّه تشبيه ابن المعتزّ وأنت أشعر منه؟ فقال له: أنشدني^(٩) شيئاً من شعره^(١٠) أعجز عن مثله، فأشده^(١١) في صفة الهلال [من الكامل]:

فَانظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فَضَّةٍ قَدْ أَثْقَلْتُهُ حُمُولَةً مِنْ عُنْبَرٍ^(١٢)
فقال له ابن الرومي: بالله^(١٣) زدني، فأشده [من مجزوء الرجز]:

كَأَنَّ أَذْرِيُونَ هَا وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالِيَّةِ
مَدَاهِنٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَّةِ^(١٤)
فقال: واغوثاه، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١٥)، ذاك^(١٦) إنّما يصف

(١) في هـ ك: «إذ هو راجع إلى العقل، (١٢) البيت في ديوانه ص ٣٢٩؛ وفيه: انتهى» خ.

(٢) في و: «ل» مكان «وقال».

(٣) في ب: «بن حسين».

(٤) في ب: «بالعبارة».

(٥) «عليه» سقطت من د.

(٦) في ب، د، ط، و: «بداهة».

(٧) في ط: «ونحوه».

(٨) في ب، د، ط، و: «هنا».

(٩) في ب: «أنشد».

(١٠) في هـ ك: «قوله» خ؛ وفي ب، ط، و:

«قوله».

(١٥) البقرة: ٢٨٦.

(١٦) في ب، د، ك، و: «ذلك»؛ وفي ط:

«ذلك»؛ وفي هـ ك «ذاك» خ صح.

ماعون بيته لأنه ابن الخلفاء، وأنا مشغول بالتصرف في الشعر وطلب الرزق به، أمدح هذا مرّةً، وأهجو هذا كرّةً، وأعاتب هذا تارة^(١)، وأستعطف هذا طوراً. انتهى كلام ابن رشيق.

ورأيت الشيخ شمس الدين ابن الصائغ، رحمه الله تعالى^(٢)، قد استشهد في شرح البردة الذي سمّاه بـ«الرقم»، لغالب^(٣) أهل عصره^(٤)، فيما عرض له من أنواع البديع حتى أورد لهم شيئاً من محاسن الزّجل.

رَجِعْ إلى ما كُنَّا فيه من حسن الابتداء وتناسب القسمين وإيراد ما وعدنا به من كلام المتأخرين. قال قاضي هذه الصناعة وفاضلها، والمتأخر الذي لم يتقدّم عليه بغير الزمان أوائلها [من الكامل]:

زارَ الصِّباحُ فكيفَ^(٥) حالكِ يا دُجى قَمِّ واستذمَّ^(٦) بفرعهِ أو فالنَّجاء^(٧)

انظر إلى حسن هذا الابتداء، كيف جمع مع اجتناب الحشو بين رقة النسيب وطرب^(٨) التشبيب^(٩) وتناسب القسمين وغرابة المعنى.

ومثله قوله يخاطب العاذل [من البسيط]:

أخْرِجْ حديثك من سَمْعِي وما^(١٠) دَخَلَا لا تَرَمِ بالقَوْلِ سَهْمًا رُبُّمًا قَتَلَا^(١١)

وما ألطف ما قال بعده [من البسيط]:

وما يَخِفُّ على قلبي حديثك لي لا والذي خلقَ الإنسانَ والجِبَلَا^(١٢)

ومثله قوله [من المتقارب]:

(١) في ك: «كرّة»؛ وفي هامشها «تارة» صح خ.

(٢) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب؛ و«تعالى» سقطت من د، و.

(٣) في ب، ط: «بغالب».

(٤) في ب: «العصر».

(٥) في و: «وكيف».

(٦) في ب، ط: «فاستذم».

(٧) البيت في ديوانه ص ١٣٥؛ وبلا نسبة في

نفحات الأزهار ص ٥؛ وغيه: «واستظّل (١١)(١٢) البيت في ديوانه ص ٨٩.

بفرعه».

وفي هامش ب: «لو قال: «هجم الصباح» لكان أنسب، ولكن لا اعتراض على القاضي». وقد أشير فوقها بـ«حش».

(٨) «وطرب» سقطت من ب؛ وفي و: «وظرف».

(٩) «التشبيب» سقطت من ب.

(١٠) في ط: «فما».

سمعتك والقلب لم يسمع فكم ذا تقول وكم لا أعي^(١)
وما أحلى^(٢) ما قال بعده [من المتقارب]:

يقول وما عئذة أنني^(٣) بغير فؤاد ولا أضلع^(٤)

أما مع هذا الفتى قلبه فقلت: نعم يا فتى، ما معي^(٥)

وأما مطلع [قصيدة]^(٦) ابن نبيه^(٧) فالأذواق^(٨) السليمة تتبّه به إلى فتح هذا الباب، وهو [من البسيط]:

يا ساكني السفح كم عين بكم سفحت نرختم فهني بعد البعد ما نرخت^(٩)

والقصيدة كلها تحف وطرّف^(١٠)، عارضها ابن نباتة فما حلا معها مكرز^(١١)

نباته، وأجرى الصفي خلفها^(١٢) ينابيع فكره فما صفا له معها مورد، وجاراها
الصفدي فتصدت^(١٣) سوابق قوافيه عن لحاقها.

منها^(١٤) [من البسيط]:

وروضة وجنات الورد قد خجلت فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت^(١٥)

تشاجر الطير في أفنانها سحراً ومالت القضب للتعنيق وأصطلحت^(١٦)

والقطر قد رش ثوب الدوح حين رأى مجامر الزهر في أذياله نفتح^(١٧)

ومما يحسن نظامه في هذا السلك قوله [من الطويل]:

(١) البيت في ديوانه ص ٦٣.

(٢) في ط: «ألطف».

(٣) «فكم ذا... أنني» سقطت من د.

(٤) في ب: «أضلي».

(٥) البيتان في ديوانه ص ٦٣.

(٦) من ط.

(٧) في ب، ط: «ابن النبيه».

(٨) في ط: «فإن الأذواق».

(٩) البيت في ديوانه ص ١٦٥.

(١٠) في ب، د: «وطرّف».

(١١) في ب: «تكرز».

(١٢) في ط: «معها».

(١٣) تصفدت: كتبت بالأصفاذ أي القيود
اللسان ٢٥٦/٣ (صفد).

(١٤) في د: «وهي منها»؛ وفي ط: «ومنها».

(١٥) في د: «أنفتحت».

(١٦) في ط: «فاصلحت»؛ وفي هـ ك:

«فاصلحت» خ.

(١٧) الأبيات الثلاثة في ديوانه ص ١٦٧؛ وفيه:

«فاصلحت».

رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرنا فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى^(١)
ومما اختاره الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله^(٢)، من ديوان أبي الفتح
نصرالله بن قلاقس، وهو حسن^(٣) في هذا الباب، قوله [من البسيط]:
كم مقلّة للشقيق الغضّ زمداء إنسانها سابح في دمع^(٤) أنداء^(٥)
وقوله^(٦) [من الطويل]:

قفا فأسألاً^(٧) متي زفيراً وأذمعا أكانا لهم إلا مصيفاً ومزبعا^(٨)
وهذا^(٩) من الغايات التي اختارها الشيخ جمال الدين [بن نباتة]^(١٠) من شعر ابن

قلاقس، فإنه قال: طالعت ديوان الأديب البارع أبي الفتح/ نصرالله بن قلاقس،
فطالعت الفنّ الغريب، وفتح عليّ بتأمل ألفاظه فتلوت^(١١): ﴿نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ
قَرِيبٌ﴾^(١٢)؛ بيد أنني وجدت له حسناتٍ تبهر العقول فضلاً، وسيئاتٍ يكاد يذكرها ابن
قلاقس يُقلى^(١٣). انتهى كلام الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى^(١٤).

ومما وقع في تناسب القسمين إلى الغاية قول الشيخ ظهير الدين بن البارزي،
رحمه الله^(١٥)، وهو [من الطويل]:

يُذَكِّرُنِي وَجُدِي الْحَمَامُ إِذَا غَثَى لَأَنَّا كِلَانَا فِي الْهَوَى يَعْشَقُ الْغُصْنَا^(١٦)
ذكر الصلاح الكتبي في كتاب^(١٧) «وفات^(١٨) الوفيات» أنّ الشيخ أثير الدين أبا

= والمجامر: ج مجمر، وهو وعاء يوضع

فيه البخور. (اللسان ١٤٥/٤ (جمر)).

(١) البيت في ديوانه ص ٢٨٧؛ وبلا نسبة في

نفحات الأزهار ص ٥.

والصعدة: الرمح أو القناة المستوية التي لا

تحتاج إلى تنقيف (اللسان ٢٠٣/١٥ (قنا)).

(٢) «رحمة الله» سقطت من ب؛ وفي د، و:

«رحمة الله تعالى».

(٣) «وهو حسن» سقط من د.

(٤) في ط: «بحر»؛ وفي هـ ك: «بحر» خ.

(٥) البيت في ديوانه ص ٣٥٩.

(٦) في و: «وقوله رحمه الله تعالى».

(٧) في ط، و: «واسألاً».

(٨) البيت في ديوانه ص ١٨٢.

(٩) في ط: «وهو».

(١٠) من ط.

(١١) في هـ د: «فتلوت» ن.

(١٢) الصف: ١٣.

(١٣) يُقَلَى: يُغْفَرُ وَيُهَجَّر. (اللسان ١٩٨/١٥ (قلا)).

(١٤) «رحمة الله تعالى» سقطت من ب، ط، و.

(١٥) «رحمة الله» سقطت من ب؛ وفي د، و:

«رحمة الله تعالى».

(١٦) البيت له في نفحات الأزهار ص ٥.

(١٧) «كتاب» سقطت من ب، د، ك، و؛

وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «خ».

(١٨) في ب: «وفات».

حيّان قال: رأيت [الشيخ]^(١) المذكور شيخاً^(٢) صوفياً بحمّاء المحروسة، وأنشدني من لفظه^(٣) لنفسه هذه القصيدة وعدّة مقاطيع، منها [من الطويل]:

أراك فأستخبي فأطرق هيبَةً وأخفي الذي بي من هواءك^(٤) وأكثم
وهيّهات أن يخفي وأنت جعلتني جميعي لساناً في الهوى يتكلم^(٥)
وتوفي بعد الثمانين والسّمئة، رحمه الله تعالى^(٦).

وأما مطلع الشيخ شمس الدين محمد^(٧) بن العفيف في هذا الباب فظرافته لا تنكر لأنّه كان يُنعت بالشابّ الظريف، قال في شطره الأوّل [من الوافر]:

* أعزّ الله أنصار العيون^(٨) *

وفي الثاني:

* وخلّد ملّك هاتيك الجفون^(٩) *

وما أظرف ما قال بعده [من الوافر]:

وضاعف بالفتور لها اقتداراً وجدّد نعمة الحُسن المصون^(١٠)
وما أحسن^(١١) ابتداءات الشيخ شرف الدين^(١٢) عبد العزيز الأنصاريّ، شيخ
شيوخ حماة المحروسة، رحمه الله تعالى^(١٣)، فجميعها نسجت على هذا المنوال،
منها قوله^(١٤) [من الطويل]:

حروف غرامي كلّها حرف إغراء على أن سّمي بعض أفعال أسماء^(١٥)

(١) من ط. (٩) البيت في ديوانه ص ٣٣٥؛ وصدّره ما

(٢) «شيخاً» سقطت من ط. سبقه.

(٣) «من لفظه» سقطت من ط. (١٠) البيت في ديوانه ص ٣٣٥.

(٤) في ب، د، و: «جفاك»؛ وفي هـ ك: «وأما حسن...»؛

«جفاك» خ. وفي هـ ك: «وما أحسن إلخ...» صح.

(٥) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من (١٢) «شرف الدين» سقطت من ط.

(١٣) «المحروسة... تعالى» سقطت من ب، مصادر.

(٦) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط. ط؛ و «تعالى» سقطت من د.

(٧) «محمد» سقطت من ط. (١٤) «قوله» سقطت من ب.

(٨) البيت في ديوانه ص ٣٣٥؛ وتماّمه ما

بعده.

وقوله [من مخّلع البسيط]:

ويُلاه من نومي المُشرّد
أواه من شملي المُبدّد^(١)
وقوله^(٢) [من مجزوء الكامل]:

أهلاً بطيفكم وسهلاً
لو كنت لإغفاء أهلاً^(٣)
وما أحلى ما قال بعده [من مجزوء الكامل]:

لكئنه وافى وقد
حلف الشهاد علي أن لا^(٤)
وقد توارد هو وابن عنين في هذا المعنى، وكلّ كساه ديباجة تأخذ^(٥) بمجامع
القلوب، ومطلع [شرف الدين]^(٦) ابن عنين قوله^(٧) [من الكامل]:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى
وعليهم لو سامحوني بالكرى^(٨)
وقول مهيار [بن مرزويه]^(٩) الديلمي في هذا الباب مشهور، والذي أقوله إن
الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله^(١٠)، نبات هذا البستان، وقلادة هذا
العقيان^(١١)، ومن مطالعه التي هي^(١٢) أبهج من مطالع البدور^(١٣) قوله في هذا الباب
[من البسيط]:

في الريق سُكّر وفي الأصداع تجعيد
هذا المُدام وهاتيك العناقيد^(١٤)

- (١) «ويلاه... المبدّد» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «صح»؛ وفي ط: «واه» مكان «أواه». والبيت في ديوانه ص ١٤٧؛ وفيه: «ويلاي من غمضي المُشرّد فيك ومن ذمعي المُردّد»
- (٢) «وقوله» سقطت من ب، د، و، ك؛ وثبتت في هـ ك مع البيت السابق مشاراً إليها ب «صح».
- (٣) البيت في ديوانه ص ٤٢٥.
- (٤) البيت في ديوانه ص ٤٢٥.
- (٥) في ب: «فأخذ».
- (٦) من ب.
- (٧) «قوله»: سقطت من ب، د، و. (٨) البيت في ديوانه ص ٣. والكرى: النعاس أو النوم. (اللسان ١٥/٢٢١ (كرا)).
- (٩) من ب.
- (١٠) سقطت من ب، ط؛ وفي د، و: «رحمه الله تعالى».
- (١١) العقيان: الذهب. (اللسان ١٣/٢٨٨ (عقن)).
- (١٢) «هي» سقطت من د.
- (١٣) في ط: «الشمس»؛ والمثل في المستقصى ١/٥٢.
- (١٤) البيت في ديوانه ص ١٥٢؛ وفيه «لهذي» =

وقوله [من الوافر]:

بَدَا وَرَنَتْ^(١) لَوَاحِظُهُ ذَلَالًا

وقوله [من البسيط]:

سَلَبْتَ عَقْلِي بِأَحْدَاقٍ وَأَفْدَاحٍ

وما ألطف ما قال بعده [من البسيط]:

سَكْرَانٌ مِنْ مُقْلَةٍ^(٥) السَّاقِي وَفَهْوَتِهِ

وقوله [من البسيط]:

إِنْسَانٌ عَيْنِي بِتَعْجِيلِ الشُّهَادِ بَلِي^(٨)

وقوله [من الخفيف]:

قَامَ يَزُرُونُ^(١٠) بِمُقْلَةٍ كَخَلَاءِ

وقوله [من البسيط]:

نَفْسٌ عَنِ الْحَبِّ مَا أَغْفَتْ وَلَا^(١٢) غَفَلَتْ

فَمَا أَبْهَى الْغَزَالَةَ وَالْغَزَالَ^(٢)

يَا سَاجِي الطَّرْفِ أَوْ^(٣) يَا سَاقِي الرَّاحِ^(٤)

فَاتْرُكْ مَلَامَكَ فِي السُّكْرَيْنِ^(٦) يَا صَاحِ^(٧)

عَمْرِي لَقَدْ ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٩)

عَلَّمْتَنِي الْجَنُونََ بِالسُّودَاءِ^(١١)

بِأَيِّ ذَنْبٍ وَقَاكَ اللَّهُ قَدْ قُتِلْتَ^(١٣)

(٨) في ب، د، ك: «ملي».

(٩) البيت في ديوانه ص ٣٨١؛ وهو في مدح السلطان الناصر حسن.

والآية في سورة الأنبياء: ٣٧.

(١٠) في ك: «يرنون» مكررة؛ والثانية منهما مشطوبة.

(١١) في هـ ك: «أنا منها المجنون بالسوداء» خ. والبيت في ديوانه ص ٤؛ وهو مما قاله في المؤيد.

(١٢) في ب: «حالت ولا»؛ وفي د، و: «حادث ولا»؛ وفي ط: «حادث وما»؛

وفي هـ ك: «حادث وما» خ.

(١٣) البيت في ديوانه ص ٣٧٥؛ وفيه «ما حادث» مكان «ما أغفت»؛ وهو مما قاله في المؤيد.

=مكان «هذا»؛ وهو مما قاله في الشهاب محمود.

(١) في د: «وزنت».

(٢) البيت في ديوانه ص ٥٥٤؛ وهو مما قاله في ابن الشهاب محمود.

(٣) في ط: «بل»؛ وفي هـ ك: «بل» خ صح.

(٤) البيت في ديوانه ص ١٠٥؛ وهو في مدح أخيه علاء الدين.

وساجي الطرف: فاتر العين. (اللسان ٣٧١/١٤ (سجا)).

(٥) في د: «مقلة».

(٦) في ب: «السكران».

(٧) في ب: «يا صاح (ي)»؛ وفي و: «يا صاحي». والبيت في ديوانه ص ١٠٥؛ وفيه: «من قهوة الساقى ومقلته... يا صاحي»؛ وهو في مدح أخيه علاء الدين.

وقد تقدّم شروط^(١) لا بدّ من اجتنابها في حسن الابتداء^(٢)، منها الحشو، ولكن
وقاك الله [هنا]^(٣) حشو اللوزينج^(٤)، ومن ذلك^(٥) قوله [من البسيط]:
لامُ العذارِ أطالتُ فيكُ تسهيدي كَأَنَّها لِغرامِي لأمُ توكيدي^(٦)
ولولا الإطالة لأفعمتُ الأذواقَ من هذا السكرِ النباتي، ورأيتُ للشيخ صفّي الدين
الحلي^(٧) في الأرتقيات^(٨) قصيدةً قافيةً^(٩)، مطلعها في هذا الباب غاية، وهو قوله^(١٠)
[من الطويل]:

قفي ودّعينا قبلَ وشكِ التّفرُقِ فما أنا منَ يحيا إلى حينَ نلتقي^(١١)
وأشدني من لفظه لنفسه الشيخ عزّ الدين الموصلي، رحمه الله^(١٢)، قصيدةً نونيةً
نظمها بحماسة^(١٣)، ومطلعها^(١٤) في حسن ابتدائه^(١٥) حسنٌ، وهو^(١٦) [من الطويل]:
سَمِعنا حمامَ الدّوحِ في روضةٍ غنّا فأذكرنا ربّعَ الأحبّةِ^(١٧) والمعنى^(١٨)

ولقد/ سهوت عن تقديم^(١٩) مطلع الشيخ علاء الدين علي بن المظفر الكندي^{أ٤}
الشهير بالوداعي، رحمه الله^(٢٠)، فإنه^(٢١) ليس له في تناسب القسمين قسيم، وهو

- (١) في هامش ط: «قوله: «شروط» صوابه (١٢) سقطت من ب، ط؛ وفي د، و: «رحمه الله تعالى».
- (٢) في ب: «المبتدأ».
- (٣) من ب، د، و.
- (٤) اللوزينج: ضرب من الحلواء، شبيه بالقطنف، يؤدم بدهن اللوز. (اللسان ٤٠٨/٥ (لوز)).
- (٥) «من ذلك» سقطت من ط.
- (٦) البيت في ديوانه ص ١٢٦؛ وهو مما قاله في الملك المؤيد.
- (٧) «الحلي» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «ص صح».
- (٨) في و: «الأريقيات».
- (٩) «قافية» سقطت من ب.
- (١٠) «قوله» سقطت من ب، د، و.
- (١١) البيت في ديوانه ص ٧٤٥.
- (١٢) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (١٣) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (١٤) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (١٥) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (١٦) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (١٧) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (١٨) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (١٩) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (٢٠) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
- (٢١) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».

[من المنسرح]:

بَدْرٌ إِذَا مَا بَدَا مُحَيَّاهُ أَقُولُ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ^(١)وعارضه الشيخ جمال الدين بن نباتة في هذه القصيدة^(٢) [بعينها]^(٣)، وترقى إلى مطلع بدره وزاحمه في حسنه بالمناكب^(٤)، ومطلع^(٥) الشيخ جمال الدين [بن نباتة المذكور، هو]^(٦) [من المنسرح]:لَهُ إِذَا غَازَلْتُكَ عَيْنَاهُ سِهَامٌ لَحْظٌ أَجَارَكَ اللَّهُ^(٧)ومن مطالعي التي^(٨) حصل لها فتوح^(٩) في هذا الباب قولي [من الطويل]:طَلَعْتُمْ بَدُوراً فِي أَعْرُ الْمَطَالِحِ فَبَشَّرَنِي قَلْبِي بِسَعْدِ طَوَالِعِي^(١٠)

وقولي [من البسيط]:

إِغْرَاءُ لَحْظِكَ مَا لِي مِنْهُ تَحْذِيرٌ وَلَا لِتَعْرِيفِ وَجْدِي فِيكَ تَنْكِيرٌ^(١١)

وقولي [من الخفيف]:

فِي عَرُوضِ الْجَفَا بِحُورٍ^(١٢) دَمُوعِي مَا أَفَادَتْ قَلْبِي سِوَى التَّقْطِيعِ^(١٣)

وقولي [من الكامل]:

(١) في هامش د: «ثانيه [من المنسرح]:

قد كتبت الحسن على جبهته

أشهد أن لا مليح إلا هو

(حاشية)

* لو قال «فوق» لكان أصلح للوزن.

[والبيت لعلني بن المظفر الكندي الوداعي].

(٢) في ك: «هذه القصيدة ع» كتبت فوق «هذا

القصيد» وفي د، ط، و: «هذا القصيد».

(٣) من ط.

(٤) «بالمناكب» سقطت من ط؛ وفي ك:

«بالمناكب ع».

(٥) في ط: «ومطلع».

(٦) من ب.

(٧) البيت في ديوانه ص ٥٤٣؛ وهو مما عتني به.

(٨) في و: «الذي».

(٩) في ط: «لي فيها الفتوح» مكان «لها فتوح».

(١٠) البيت في ديوانه ورقة ١٣ ب؛ وفيه

«مطالع». وطوالعي: ج طالع، ويقصد به

الحظ؛ وقيل: هو الفجر الكاذب.

(اللسان ٢٣٦/٨ (طلع)).

(١١) البيت في ديوانه ورقة ٨ ب؛ ونظم الدرر

والعقيان ص ٣٢٧.

(١٢) في ك: «بحار ع»؛ وفي هامشها «بحور»

خ صح.

(١٣) بعده في ط: «وقولي: لله قوم...».

= والبيت في ديوانه ورقة ١٥ ب.

- جَرَدْتُ سَيْفَ اللَّحْظِ عِنْدَ تَهْدُدِي يَا قَاتِلِي فَسَلَبْتَنِي بِمَجْرَدٍ^(١)
وقولي [من البسيط]:
قَدْ مَالَ عُصْنُ النَّقَا عَنْ صَبِّهِ هَيْفَا يَا لَيْتَهُ بِنَسِيمِ الْعُتْبِ^(٢) لَوْ عَطَفَا^(٣)
وقولي [من الطويل]:
هَوَايَ بَسْفَحِ الْقَاسِمِيَّةِ وَالْجَسْرِ إِذَا^(٤) هَبَّ تَذْرُوا أَنَّ ذَاكَ الْهَوَىٰ عُذْرِي^(٥)
وقولي [من البسيط]:
لِلَّهِ قَوْمٌ لِنَظْمِ الْوَصْلِ^(٦) قَدْ نَشَرُوا شَعَرْتُ فِي حُبِّهِمْ وَجَدَا وَمَا^(٧) شَعَرُوا^(٨)
وكأني بمنتقدٍ تألم قلبه على المتقدمين بكثرة النقد، ومالت نفسه إلى بحث^(٩) مع
المتأخرين ليستوفي^(١٠) الشروط الأدبية في مباشرة هذا العقد^(١١).
فأقول، وبالله^(١٢) المستعان: إن جماعة من^(١٣) المخاديم بدمشق المحروسة^(١٤)،
رسموالي^(١٥) أن أعارض شيئاً من نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى^(١٦)،

- (١) بعده في ط: «وقولي: هواي...». (٦) في ب: «الشعر».
والبيت في ديوانه ورقة ٣٢ب؛ وفيه:
«بمجردي».
(٢) في د: «العطف».
(٣) «قد مال... عطفًا أعيذ في هـ ك؛
وبعده في ط: «فأقول، وبالله المستعان...».
والبيت في ديوانه ورقة ٩ب.
والنقا: الكتيب من الرمل. (اللسان ١٥/
٣٣٩ نقا)).
(٤) في ب: «إذ».
(٥) في ط: «ذاك الريحُ فهو الهوى العذري»؛
وفي هـ ك: «ذاك الريحُ فهو الهوى
العذري» خ؛ وبعده في ط: «وكأني
بمنتقدٍ...».
وفي هامش ب: «ما أدري ما أوجب
سقوط النون من «تدروا»؛ وقد أشير فوقها
بـ «حش» والبيت في ديوانه ورقة ٣٣ب.
(٦) في ب: «يا ليتهم» مكان «وجدًا وما».
(٧) بعده في ط: «وقولي: قد مال...».
(٨) في د: «ليستوفوا».
(٩) في هـ ك: «وأقام نفسه مقام وليٍّ وأنكر
عدم الشاهد على المتأخرين في مباشرة
هذا العقد» خ مكان «ومالت نفسه...»
العقد؛ وبعده في ط: «وقولي: قد
مال...».
(١٠) في ب: «وبالله سبحانه».
(١١) «من» سقطت من ب، د، و.
(١٢) «المحروسة» سقطت من ط.
(١٣) «لي» سقطت من ط.
(١٤) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط؛
وفي و: «رحمه الله».

وتخَيَّرُوا لي خمس^(١) قصائد منها قصيدته الكافية التي مطلعها [من الطويل]:

تَصَرَّمَتِ الأَيَّامُ دُونَ وَصَالِيكَ فَمَنْ شَافِعِي فِي الحُبِّ يَا ابْنَةَ مَالِكِ^(٢)
فلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى معَارَضَتِهَا وَجَدْتُ بَيْنَ الشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ المَطْلَعِ وَبَيْنَ الأَوَّلِ^(٣)
بعض^(٤) مَبَايِنَةٍ، كَمَا تَقَدَّمُ فِي مَطْلَعِ^(٥) امرئِ القَيْسِ، فَإِنَّ^(٦) فِي شُطْرِهِ الأَوَّلِ مَا لَيْسَ
فِي الثَّانِي^(٧).

وقد اتَّفَقَ علماءُ البَدِيعِ عَلَى أنْ عَدَمُ تَنَاسُبِ القَسْمِينَ نَقْصٌ فِي حَسَنِ الأَبْتِدَاءِ، وَقَدْ
تَقَدَّمَ قَوْلُ زَكِيِّ الدِّينِ بِنِ ابْنِ أَبِي الأَصْبَعِ: «إِنَّ مَطْلَعِ النَّابِغَةِ أَفْضَلُ مِنْ مَطْلَعِ امرئِ القَيْسِ
لِتَنَاسُبِ قَسْمِيهِ^(٨)، وَإِنْ كَانَ مَطْلَعُ امرئِ القَيْسِ^(٩) أَكْثَرَ مَعَانِي^(١٠)». انْتَهَى.

وَلَوْ قَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ^(١١) فِي مَطْلَعِهِ^(١٢) [من الطويل]:

تَمَذَّهَبْتُ فِي هَجْرِي بِطُولِ مِطَالِيكَ فَمَنْ شَافِعِي فِي الحُبِّ يَا ابْنَةَ^(١٣) مَالِكِ^(١٤)
لِجَمْعِ بَيْنِ تَنَاسُبِ القَسْمِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١٥).

وَمَطْلَعِي الَّذِي عَارَضْتُ بِهِ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ^(١٦) [من الطويل]:

رَضِيحُ الهَوَى يَشْكُو فِطَامَ وَصَالِيكَ فَدَارِي بُنْيَ الحُبِّ يَا ابْنَةَ^(١٧) مَالِكِ^(١٨)

- (١) «خمس» سقطت من ب، د، ط، ك، و؛
(٢) وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «خ ص».
(٣) البيت في ديوانه ص ٣٥٩؛ وهو مما قاله
في المؤيد.
(٤) في ط: الشطر الأول.
(٥) «بعض» سقطت من ط؛ وفي ك «بعض ع».
(٦) في و: «مطالع».
(٧) في ط: «من الكلام على أن» مكان «فإن».
(٨) في د: «شطره الثاني».
(٩) وفي هامش ب: «لو كان في شطره الأول
ما في الثاني لكان تكررًا أو حشوًا، كما في
قوله [من الطويل]:
* شدت بكم العشاق لما ترتموا *
وقد أشير فوقها بـ «حشو».
- (٨) في ط: «القسمين».
(٩) «لتناسب... القيس» سقطت من و،
وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
(١٠) في ط: «معان».
(١١) في ب: «النباتي» مكان «الشيخ جمال الدين».
(١٢) في «مطلعه» سقطت من ك، وثبتت في
هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
(١٣) في ب: «أم».
(١٤) البيت لم أقع عليه في ديوانه.
(١٥) «والله أعلم» سقطت من ط.
(١٦) في د: «رحمه الله».
(١٧) في د، و: «أم».
(١٨) «لجمع... ابنة مالك» سقطت من ب.
والبيت لم أقع عليه في ديوانه.

وكذا^(١) مطلع الشيخ صفى الدين الحلبي في قصيدته الجيمية، التي هي من جملة القصائد الأرتقيات التي امتدح بها الملك المنصور صاحب ماردین، وهو^(٢) [من البسيط]:

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج فعطرت سائر الأزجاء بالأرج^(٣)
فالشطر الثاني ليس من جنس الشطر الأول، فإن الشطر الأول في الطريق

تمر بك الأبطال كلتى هزيمة
ووجهك وضاح وشرعك باسم
[ديوانه ص ٣٨٧]؛ فقال له سيف الدولة:
يعترض عليك بما اعترض على امرئ
القيس في قوله [من الطويل]:
كأني لم أركب جواداً لئلا
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسب الزق الشمول ولم أقل
لخيلي كربي كربة بعد إجفال
[ديوانه ص ٢٦٣]؛ وفيه «الروي» مكان
«الشمول»؛ ولو نقل كل منكما شطر بيته
الأول إلى الثاني وشطر الثاني إلى الأول
لكان أحسن وأنسب. فقال المتنبي بعد أن
أعجب بهذا القول: الصواب معي ومع
امرئ القيس، وبين وجه ذلك بكلام
يطول، ثم قال له: إن الشاعر كالنساج
يطلع على ما ينظمه كما يطلع النساج على
أصل ما ينسجه من خيوط وصباغ وقوة
ضعف، والسامع كالبراز لا يعرف منها
إلا ما يظهر له من ظاهر الثوب، فإذا
تأملت هذا الكلام ولم يحصل لك فهم
معانيه فانسب العجز إلى نفسك، ولا
تعترض إلا في محل الاعتراض. وقد
أشير فوقها بـ «حشد».

(١) في ط: «وكذلك من».

(٢) «وهو» سقطت من ط.

(٣) «الأرتقيات التي... بالأرج» سقطت من
و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ
«صح». والبيت في ديوانه ص ٧١٣.

وفي هامش ب: «الشاعر قد يقصد ما لا
يحوم حوله فكر المستمع وكذلك
المتكلم، فيكون النقص في ذلك من
جهة المستمع؛ وتأمل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ
فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:
٢٥]؛ ربّما يقول إنسان من أول وهلة: ما
المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد؟
وكذا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبْرِيلِ
كَيْفَ خَلَقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿١٥﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]؛ وقوله
سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا
تَضْحَى ﴿١٨﴾﴾ [طه: ١١٩]. وعليك بما
أجاب المتنبي ممدوحه لما أنشده [من
الطويل]:

وقفت وما في الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

الغرامِيّ^(١) ليس له نظير^(٢)، ومن أنكر هذا النقد ينظر^(٣) في مطلع الشيخ شرف الدين عمر^(٤) بن الفارض، قدّس الله سرّه^(٥)، فإنّه طرفه في هذا الباب^(٦)، وهو [من البسيط]:
 ما بين مُعْتَرِكِ الأَحْدَاقِ والمُهَجِ أنا القَتِيلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ^(٧)
 وهنا نكتة لطيفة تؤيد هذا النقد: اتفق أنّ الشيخ نور الدين علي بن سعيد الأندلسيّ الأديب المشهور الذي من نظمه قوله^(٨) [من مخّلع البسيط]:

وأطول شوقي إلى ثغورٍ مَلَأَى^(٩) من الشَّهْدِ والرَّحِيْقِ
 عنها أخذتُ الذي^(١٠) تراه يَعُذِبُ من شعري الرَّقِيْقِ^(١١)
 لما ورد إلى هذه البلاد اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير، وتطلّع على موائد^(١٢)

طريقته الغرامية، وسأله الإرشاد إلى سلوكها/ فقال له: طالع ديوان التلعفريّ ٤ب والحاجريّ^(١٣) وأكثر المطالعة فيهما، وراجعني بعد ذلك، فغاب عنه مدّة وأكثر من مطالعة الديوانين إلى أن حفظ غالبهما، [في غضون المحاضرة والمطالعة]^(١٤)، ثم اجتمع به بعد ذلك وتذاكرا في الغراميات، فأنشده الصاحب بهاء الدين زهير في غضون المحاضرة [قوله]^(١٥) [من الرجز]:

* يا بانَ وادي الأَجْرِعِ^(١٦) *

وقال: أشتهي أن تكمل^(١٧) [لي]^(١٨) هذا المطلع، فأفكر قليلاً وقال [من الرجز]:

- (١) في ط: «الغرامية».
 (٢) في ط: «مثيل».
 (٣) في ط: «التقدير نظر».
 (٤) «عمر» سقطت من د، و.
 (٥) سقطت من د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك
 مشاراً إليها ب «صح»؛ وفي ب: «رضي
 الله سبحانه وتعالى عنه».
 (٦) في ط: «في هذا الباب طرفه».
 (٧) البيت في ديوانه ص ١٤٤.
 (٨) «قوله» سقطت من ب، د، و.
 (٩) في هـ و: «ملأى» ن.
 (١٠) في د: «التي».
 (١١) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من (١٧) في ط: «يكمل».
 (١٢) «موائد» سقطت من ب، د، ك، و؛
 وثبتت في هـ ك.
 (١٣) في ط: «الحاجري والتلعفري».
 (١٤) من ب.
 (١٥) من و.
 (١٦) في د: «الأجرعي»؛ وبعدها في و:
 سقيت غيث الأدمع
 هل ملت من شوقي معي
 والرجز لم أقع عليه في ديوانه؛ وهو على
 طريق الحاجريّ في ديوانه ص ٧؛ وفيه:
 يا سائق الأظعان لا تلوي بها
 عن بان كشيان اللوى والأجرع
 (١٧) من ط.
 مصادر.

* سُقِيَتْ غَيْثَ الْأَذْمَعِ (١) *

فقال له (٢): والله حسن، ولكن (٣) الأقرب إلى الطريق الغراميّ أن تقول [من الرجز]:

* هل ملّت من طَرْبٍ (٤) معي (٥) *

وما أطف مطلع الحاجري في هذا الطريق [من الكامل]:

لَكَ أَنْ تُشَوِّقَنِي إِلَى الْأُوطَانِ وَعَلَيَّ أَنْ أُبْكِي بِدَمْعِ قَانٍ (٦)

والأداء (٧) على (٨) هذا النوع يُسْتَحْسَنُ هنا بمطلع (٩) ناصر الدين بن النقيب، فإنه أعدل شاهد مقبول، والتشبيب بنفسه الطيب يُعْنِي في هذه الحضرة عن الموصول، وهو [من الكامل]:

قَلَّدْتُ يَوْمَ الْبَيْنِ جَيْدَ مُودَعِي دُرّاً نَظَّمْتُ عَقُودَهَا مِنْ أَدْمَعِي (١٠)

وبالنسبة إلى حسن الابتداءات مطلع الشيخ برهان الدين القيراطيّ مع حسنه وبهجته فيه نقص، وهو [من الكامل]:

قَسَمًا بِرَوْضَةِ حُسْنِهِ (١١) وَنَبَاتِهَا وَيَأْسِهَا الْمَخْضَلُ فِي جَنَابَاتِهَا (١٢)

(١) «وقال: أشتهي... الأدمع» سقطت من د.

والرجز لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

(٢) «له» سقطت من ط.

(٣) في ط: «لكن».

(٤) في ب، د، ك، و: «شوق»؛ وفي هـ ك: «طرب» خ صح.

(٥) الرجز لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

وفي هامش ب: «العجب من الشيخ أبي بكر كيف لم يعترض على هذا المطلع، فإنّ فيه نقصاً لأنه استفهام، والسؤال لا يتم إلاّ بالجواب؛ كما اعترض على مطلع القيراطيّ فإنّ فيه قسماً، والقسم لا يتم إلاّ

بالجواب». وقد أشير فوقها بـ «حش».

(٦) «وما أطف... قان» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ط: «قاني». والبيت في ديوانه ص ٢٣.

(٧) في ط: «والآراء».

(٨) في هـ و: «على» بيان.

(٩) في ط: «تستحسن هنا مطلع».

(١٠) البيت في الأدب في العصر المملوكي ٢/ ١٦٣.

(١١) في ب، د: «خذو»؛ وفي ط، و: «خذها»؛ وفي هـ ك: «خذها» خ، «خذ» خ.

(١٢) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

والأس: ضرب من الرياحين، دائم =

فإنه لم^(١) يأت بجواب القسم، ولا^(٢) ما يحسن السكوت على مطلعته ولا تتم الفائدة إلا به^(٣)؛ ومشايخ^(٤) البديع قد^(٥) قرروا أن لا يكون المطلع متعلقاً بما بعده في حسن الابتداء.

وقد آن أن^(٦) أحبس عنان القلم، فإن الشرح قد طال ولم أطله إلا ليزداد الطالب إيضاحاً ويداوي علل فهمه بحكم المتقدمين، ويتنزه في رياض الأدب على النبات الغض^(٧) من نظم المتأخرين.

[براعة الاستهلال في النظم]^(٨):

انتهى ما أوردته في حسن الابتداء^(٩)، وقد فرّع المتأخرون منه براعة الاستهلال في النظم والنثر، وفيها زيادة على حسن الابتداء، فإنهم شرطوا في براعة الاستهلال أن يكون مطلع القصيدة^(١٠) دالاً على ما بنيت عليه، مُشعراً بغرض الناظم من غير

- «فإنه لم...» خ صح.
- (٢) في ب، د، ك، و: «وإلا»؛ وفي هـ ك «... ولا...» خ صح.
- (٣) «ولا تتم الفائدة إلا به» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها مع ما سبقها وما يتلوها ب «خ صح».
- (٤) في ك: «فإنه إن لم يأت بجواب القسم وإلا ما يحسن السكوت على مطلعته، ومشايخ...»؛ وفي هامشها: «فإنه لم يأت بجواب القسم ولا ما يحسن السكوت على مطلعته ولا تتم الفائدة إلا بـ، و، ومشايخ إلخ...» خ صح.
- (٥) «قد» سقطت من ط.
- (٦) «أن» سقطت من د، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
- (٧) في هـ و: «الغض» ن.
- (٨) زيادة يقتضيها المنهج.
- (٩) في ب: «الابتداءات».
- (١٠) في ب، د: «القصيدة».

=الخضرة، أبيض الزهر، عطريه. (اللسان ١٩/٦ (أوس)).

وفي هامش ب: «لو ترك القيراطي الجواب أصلاً، ولم يذكره لما كان نقصاً، وفائدة ذلك عموم الجواب وليذهب ذهن السامع كل مذهب بخلاف ما إذا ذكر، فإنه يقتصر على جواب واحد، وهذا بحسب المقامات، والحذف قد يكون أحسن وأفصح وأبلغ في علم المعاني، وعلم البديع تبع لعلم المعاني وذيل؛ والكلام في هذا سيطول؛ ولا يعلم أنه إن لم يأت بجواب القسم يكون نقصاً، وقد وقع في الكتاب العزيز مثل ذلك، قال تعالى: ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۗ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَيُشْفَاقِي ۗ﴾ [ص: ١-٢]؛ وقال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۗ﴾ [ق: ١]؛ ونحو ذلك في الكتاب العزيز =غزير». وقد أشير فوقها ب «حش».

(١) في د، ك: «فإنه إن لم...»؛ وفي هـ ك:

تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل بها على قصده من عتبٍ أو عذرٍ أو تنصّلٍ أو تهنئةٍ أو مدحٍ أو هجوٍ، وكذلك في النثر، فإذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، كان من فرسان هذا الميدان، وإن لم يحصل^(١) له براعة الاستهلال^(٢)، فليجتهد في سلوك ما تقرّر له^(٣) في حسن الابتداء^(٤)، وما سمي هذا النوع «براعة استهلال» إلا لأن^(٥) المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء^(٦) رفع صوته به^(٧)، ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال، يقال: استهلّ المولود صارخاً إذا رفع صوته عند الولادة، وأهلّ الحجيج إذا رفعوا أصواتهم^(٨) بالتلبية، وسمي الهلال هلالاً لأنّ الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته.

ومما وقع من براعة^(٩) الاستهلال التي تُشعر^(١٠) بغرض الناظم وقصده في قصيده براعة قصيدة^(١١) الفقيه^(١٢) نجم الدين عمارة اليميني حيث قال [من الطويل]:

إذا لم يُسالمك الزمانُ فحاربٍ وباعدٍ إذا لم تَتَفِغْ بالأقاربِ^(١٣)

فإشارات إلتعب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة، ويفهم منها أن بقية القصيدة^(١٤) تُعرب عن ذلك، فإن زكيّ الدين بن أبي الأصبع قال: براعة الاستهلال هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله؛ وهذه القصيدة في حكمها وتحسّمها^(١٥) وتسير أمثالها نهاية، والموجبُ لنظمها على هذا النمط أنّه كان بينه وبين الكامل بن شاور صحبة أكيدة قبل وزارة أبيه، فلما وُزّر استحال عليه، فكتب

- (١) في ه ب، د، و: «تحصل».
- (٢) في د، و: «استهلال».
- (٣) في ط: «يقوله» مكان «تقرّر له».
- (٤) «وإن لم تحصل... الابتداء» سقطت من ب، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
- (٥) في ب: «أن».
- (٦) «ابتداء» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «خ».
- (٧) «به» سقطت من ب.
- (٨) «بالتلبية... أصواتهم» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
- (٩) في ط: «براعات»؛ وفي هـ ك «براعات» خ مكان «براعة خ».
- (١٠) في ب: «تسفر».
- (١١) «قصيدة» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «خ».
- (١٢) «الفقيه» سقطت من ب.
- (١٣) البيت في كتابه «النكت العصرية» ص ١٣٠.
- (١٤) في ب، و: «القصيد».
- (١٥) في ب، ك، و: «وتحسّمها»؛ وفي هـ ك: «وتحسّمها» خ صح.

إليه هذه القصيدة على هذا النمط^(١)، التي^(٢) منها^(٣) [من الطويل]:

ولا تحتقرُ كيداً ضعيفاً^(٤) فَرُبَّما
ومنها^(٦) [من الطويل]:

إذا كان رأسُ المالِ عُمُرَكَ فاحترس^(٧)
فبينَ اختلافِ اللَّيْلِ والصَّبْحِ مَعْرُكٌ
ومنها^(٩) [من الطويل]:

وما راعني غدُرُ الشبابِ لأتني
ومنها^(١٢) [من الطويل]:

إذا كانَ هَذَا الدَّرُّ معدُّهُ فمي
رأيتُ رجالاً حالَهُمْ في مَادِبِ
تَأخَّرْتُ^(١٣) لَمَّا قَدَّمْتَهُمْ^(١٤) عُلَاكُمُ
تُرى أين كانوا في مَواطني التي
لياليَ أتلو ذَكَرَكُم في مجالسِ
ومن أطف البراعات وأحشمها^(١٦) براعة مهيار^(١٧) الدليمي^(١٨)، فإنه بلغه أنه

- (١) «على هذا النمط» سقطت من ط.
(٢) «التي» سقطت من ب، د، و.
(٣) في ط: «من جملتها»؛ وفي و: «منها» له.
(٤) في ط: «صغيراً»؛ وفي هـ ك: «صغيراً» خ، و«كيد الصغير إلخ»... ظ.
(٥) البيت في كتابه «النكت العصرية» ص ١٣٠؛ وفيه: «من سمام العقارب».
(٦) في ب: «منها».
(٧) في ط: «فاحترز»؛ وفي هـ ك: «فاحترز» خ.
(٨) البيتان في كتابه «النكت العصرية» ص ١٣١.
(٩) في ب: «منها».
(١٠) في ط: «لهذا».
(١١) البيت في كتابه «النكت العصرية» ص ١٣١.
(١٢) في ب: «منها».
(١٣) في ب: «تأخراً».
(١٤) في ط: «قدمتكم».
(١٥) الأبيات في كتابه «النكت العصرية» ص ١٣١؛ وفيه: «نائب» مكان «خاطب».
(١٦) في ب: «وأحسناها».
(١٧) في ب: «الأستاذ مهيار».
(١٨) «الدليمي» سقطت من ب.

وُشي به إلى ممدوحه فتتصل من ذلك بألف عذرٍ وأبرزه في معرض الغزل^(١) والنسيب^(٢)، فقال [من الطويل]:

أَمَا وَهَوَاهَا حِلْفَةٌ^(٣) وَتَنْصُلًا لَقَدْ نَقَلَ الْوَاشِي إِلَيْهَا^(٤) فَأَمْحَلًا^(٥)
وما أحلى ما قال بعده^(٦) [من الطويل]:

سَعَى جُهِدَهُ لَكِنْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ وَكَثَّرَ فَأَزْتَابَتْ وَلَوْ شَاءَ قَلَّلًا^(٧)

وأذكرني مهيار بحسن براعته ما كتبت به إلى سيدنا و^(٨) مولانا قاضي القضاة صدر الدين ملك المتأدبين^(٩)، أبي الحسن علي بن الأدمي الحنفي، الناظر في الحكم العزيز بالذيار المصرية والممالك الإسلامية، سقى الله ثراه^(١٠)، من حماة المحروسة إلى أبوابه العالية بدمشق المحروسة، ورياحين الشيبية غضة، وكانت مطالعاتي قد تأخرت عنه مدةً لعارضي^(١١) حجب الفكر عن هذا الفن، وهي رسالة مشتملة على نظم ونثر، فصدرت^(١٢) الجواب بقصيدة ترفل في حُلل النسيب على طريق^(١٣) مهيار [بن مرزويه، المذكور]^(١٤)، وكلها براعة استهلال، أولها [من الكامل]:

وَصَلَّتْ وَلَكِنْ بَعْدَ طَوِيلٍ تَشْوِقِي^(١٥) وَدَنْتَ وَقَدْ رَقَّتْ لِقَلْبِي الشَّيْقِي^(١٦)
وما أحلى ما قلت بعده^(١٧) [من الكامل]:

- (١) في ب: «النشيد»؛ وفي ط: «التغزل». (١١) في ك: «تأخرت عنه مدة...»؛ وفي هـ
(٢) في ب: «والغزل». ك: «قد تأخرت عنه مدةً لعارضي الخ»
(٣) في د: «خلقة». خ؛ وفي د: «عنده» مكان «عنه»؛ وفي
(٤) في ط: «إليك»؛ وفي هـ ك: «إليك» خ.
(٥) البيت في ديوانه ١٩٤/٣.
(٦) وأمحل: كذب وسعى بوشاية. (اللسان ٦١٩/١١ (محل)).
(٧) «وما... بعده» سقطت من ب.
(٨) البيت في ديوانه ١٩٤/٣.
(٩) «سيدنا و» سقطت من ب.
(١٠) «سيدنا و» سقطت من ب.
(١١) «ملك المتأدبين» سقطت من ب.
(١٢) في ب، ط، و: «جمل الله الوجود بوجوده»، وفي هـ ك: «جمل الله الوجود بوجوده» خ.
(١٣) في ب، ط، و: «جمل الله الوجود بوجوده» خ.
(١٤) «وما... بعده» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».

فشمَلْتُ من طَرِبٍ بَرَجِعِ حَدِيثِهَا فَكَأَنَّما قَدْ نَادَمْتُ بِمُعْتَقِي (١)
 وجميعها على هذا الطريق البديعي (٢)، ومثله أن [القاضي] (٣) المقرَّ المرحومي (٤)
 الأمينِي الحمصي لَمَّا انتقل من توقيع حمص المحروسة إلى صحابة ديوان الإنشاء
 الشريف (٥) بدمشق المحروسة (٦)، قصد نقلتي من حماة المحروسة إلى أبوابه
 العالية، وحبَّ حماة (٧) يُفْتَرُّ العزم عن ذلك، وهذا يفهم من قولِي في بعض قصائدي
 فيها [من الطويل]:

يَلْدُ عِناقُ الفَقْرِ لي بِفِنائِها وفي غيرها لم أرضَ بِالْمُلْكِ وَالرَّهْطِ (٨)
 ولكته قطع أسلته (٩) العالية بعد ما (١٠) كانت كؤوس الإنشاء (١١) دائرة بيننا
 فكتبت إليه قصيدة (١٢) تشعر بالعتب اللطيف (١٣)، وبلا بل الغزل تغرَّد في أفنانها على
 طريق (١٤) مهيار [الدَّيْلَمِي] (١٥) وطريق مولانا قاضي القضاة صدر الدين [بن
 الأدمي] (١٦)، عظم الله تعالى شأنه (١٧)، وبراعة استهلالها [من الخفيف]:

مَنْ بِأَسِيفِ هَجْرِهِم كَلَّمونا ما عليهم (١٨) لو أَنَّهُمْ كَلَّمونا (١٩)

- (١) البيت لم أقع عليه في ديوانه.
 والمعتق من الخمرة: يقصد أجودها.
 (٢) «وجميعها... البديعي» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».
 (٣) من ب.
 (٤) في ط: «المخدومي».
 (٥) «الشريف» سقطت من ط.
 (٦) «المحروسة» سقطت من ط.
 (٧) في ب: «حماة المحروسة».
 (٨) البيت في ديوانه ورقة ٣٤ ب؛ وفيه: «أرضى».
 والرهط: الجماعة والحاشية. (اللسان ٧/ ٣٠٥ (رهط)).
 (٩) في ب، د، و: «أمثله».
 (١٠) في ط: «بعد أن».
 (١١) في ب: «الإنشاء»؛ وفي هـ ك: «الإنشاء»
 خ؛ توهم المصحح أو المقابل أن الدال جاءت بعد «الإنشاء»، فأشار إلى تصويبها في هـ ك بالهمزة، والثابت أن الدال تابعة لـ «دائرة» بعدها.
 (١٢) في ط: «بقصيدة».
 (١٣) في ط: «بعتب لطيف».
 (١٤) في ط: «طريقة».
 (١٥) من ط.
 (١٦) من ب.
 (١٧) في ب: «عظم الله شأنه»؛ وفي د، ك: «سقى الله تعالى ثراه»؛ وفي هـ ك: «عظم الله تعالى شأنه» خ صح.
 (١٨) في و: «ماذا عليهم».
 (١٩) البيت في ديوانه ورقة ١٢ ب. وكلمونا: الأولى من «الكلم»، وهو الجرح؛ والثانية من «الكلام».

ولم أعرب في نحو هذه القصيدة عن غير هذه الإشارات اللطيفة، ومنها^(١) [من الخفيف]:

أغلقوا^(٢) بابَ وصلِهِم فَتَحَ الدَّ هُ لَهُم بِالهِنَاءِ فَتَحَا مُبِينَا
وَصَلُّوا هَجَرْنَا وَعَيْشِ هَوَاهِم لَمْ نَحُلْ عَنْهُمْ وَلَوْ قَطَّعُونَا
مَلَكُوا رَقْنَا فَصَرْنَا عَبِيدًا لَيْتَهُمْ بَعْدَ رَقْنَا كَاتِبُونَا^(٣)
[قال]^(٤): ولم أزل أغازل عيون هذه المعاني إلى المخلص، فقلت [من الخفيف]:

حُبُّكُمْ فَرَضْنَا وَسَيْفُ جَفَاكُمْ قَدْ عَدَا فِي بَعَادِنَا مَسْئُونَا
وَالْحَشَا لَمْ تَخُنْ^(٥) عَهْدَ وَفَاكُمْ وَاسْأَلُوا^(٦) مَنْ عَدَا عَلَيْهَا أَمِينَا^(٧)
ومما يُشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء براعة الاستهلال للعلامة^(٨) إمام
المغرب، ذي الوزارتين^(٩)، لسان الدين بن^(١٠) الخطيب، وهي [من الكامل]:
الحقُّ يعلو والأباطيلُ تَسْفُلُ^(١١) والله^(١٢) عن أحكامِهِ لَا يُسْأَلُ^(١٣)

- (١) في ب، د، و: «منها».
(٢) في ط: «غلقوا».
(٣) الأبيات في ديوانه ورقة ١٢ب.
(٤) من ب.
(٥) في ط: «يخن»؛ وفي ك «يخن»، وفوق الياء نقطتان.
(٦) في ط: «فاسألوا».
(٧) البيتان في ديوانه ورقة ١١٣أ.
(٨) في ب: «براعة الإمام العلامة»؛ وفي د، ط، و: «براعة العلامة».
(٩) «إمام المغرب، ذي الوزارتين» سقطت من ط.
(١٠) «بن» سقطت من ب.
(١١) في و: «والأسافل تبطل».
(١٢) في ط: «والحق».
(١٣) البيت في ديوانه ٢/٤٩٥.
- (١) في ب، د، و: «منها».
(٢) في ط: «غلقوا».
(٣) الأبيات في ديوانه ورقة ١٢ب.
(٤) من ب.
(٥) في ط: «يخن»؛ وفي ك «يخن»، وفوق الياء نقطتان.
(٦) في ط: «فاسألوا».
(٧) البيتان في ديوانه ورقة ١١٣أ.
(٨) في ب: «براعة الإمام العلامة»؛ وفي د، ط، و: «براعة العلامة».
(٩) «إمام المغرب، ذي الوزارتين» سقطت من ط.
(١٠) «بن» سقطت من ب.
(١١) في و: «والأسافل تبطل».
(١٢) في ط: «والحق».
(١٣) البيت في ديوانه ٢/٤٩٥.

فإنه قال: نظمت للسلطان، أسعده الله تعالى^(١)، وأنا بمدينة سلا^(٢)، لما انفصل طالباً حقه بالأندلس، قصيدة كان صنع الله^(٣) براعة أستهلها^(٤) ووجهت بها إليه^(٥) إلى رنذة^(٦) قبل الفتح، ثم^(٧) لما قدمت أنشدتها بين يديه بعد الفتح، وفاءً بنذري وسميتها «الفتح الغريب في الفتح»^(٨) القريب، منها [من الكامل]:

وإذا^(٩) استحالت حالةً وتبدلت فالله عز وجل لا يتبدل

والمستعد لما^(١٠) يؤمل ظافرُ
واليسرُ بعد العسرِ موعودٌ به
وكفاك شاهدٌ «قيدوا وتوكلوا»^(١١)
منها^(١٢) [من الكامل]:

أحمدٌ والحمدُ منك^(١٣) سجيّةٌ
بِحليلها بين الوريّ يتجمل^(١٤)
[منها]^(١٥) [من الكامل]:

أمّا سعودك فهو دون منازع
ولك السجايا الغرُّ والشيم التي
عقدٌ بأحكام القضاء مُسجّل^(١٦)
بغريبها يتمثل المتمثل

- (١) «تعالى» سقطت من ط؛ وفي ب: «سبحانه وتعالى».
- (٢) سلا: مدينة بأقصى المغرب. (معجم البلدان ٢٦٢/٣).
- (٣) في ب: «الله سبحانه».
- (٤) في ب، د، و: «مطابقاً لاستهلالها»؛ وفي هـ ك: «مطابقاً لاستهلالها» خ.
- (٥) «إليه» سقطت من ط.
- (٦) رنذة: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكزتا، وهي مدينة قديمة على نهر جازر. (معجم البلدان ٨٤/٣).
- (٧) «ثم» سقطت من ب.
- (٨) في و: «الفتح».
- (٩) في ط: «فإذا».
- (١٠) في ط: «بما»؛ وفي هـ ك: «بما» خ.
- (١١) الأبيات في ديوانه ٤٩٥/٢.
- (١٢) وشاهد «قيدوا وتوكلوا»: يقصد النبي ﷺ لقوله: «اعقل وتوكل». (جمع الجوامع للسيوطي ص ٣٥٧٧).
- (١٣) «منها» سقطت من د، ك؛ وثبتت في هـ ك؛ وفي ط: «ومنها».
- (١٤) في ب: «فيك»؛ وفي هـ ك «منه» خ.
- (١٥) البيت في ديوانه ص ٤٩٥.
- (١٦) وسجيّة: عادة وطبيعة وخلق. (اللسان ٣٧٢/١٤ (سجا)).
- (١٧) من د.
- (١٨) في ط: «يسجّل»؛ وفي هـ ك: «يسجّل» خ.

وَهَفَّتْ مِنَ الرُّوعِ^(٤) الْهَضَابُ الْمُتَلُّ^(٥)

قَدْ تَنْقُصُ الْأَشْيَاءُ مِمَّا تَكْمَلُ^(٧)

وَاللَّهُ يَأْمُرُ بِالْمَتَابِ وَيَقْبَلُ
بِإِسَاءَةٍ قَدْ سَرَّكَ الْمُسْتَقْبَلُ
أَرْضَاكَ فِيمَا قَدْ جَنَاهُ الْأَوَّلُ
لَمَّا ارْتَضَاكَ وَلَايَةً لَا تُعْزَلُ
وَقَضَى لَكَ الْحُسْنَى فَمَنْ ذَا يَخْذُلُ^(١٠)

مَتْنِ الْعُبَابِ فَأَيُّ صَبْرٍ يَجْمَلُ
وَالرِّيْحُ تَبْتَلَعُ الزَّفِيرَ^(١٣) وَتُرْسِلُ
تَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ وَتَرْفَلُ

٤٩٩/٣ (عوذ).

(٨) من ب، د، و.

(٩) في ك: «الثاني»؛ وفي هـ ك: «الثاني» خ.

(١٠) في ب: «يعزل». والأبيات في ديوانه
ص ٩٩٨.

(١١) «ومنها» سقطت من ك؛ وثبتت في
هامشها مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ب،
د، و: «منها».

(١٢) في ب: «قلوعه».

(١٣) في ب، و: «تقطع للزفير»؛ وفي د، ك:

«يقطع للزفير»؛ وفي هـ ك: «تبتلع الزفير»

خ صح.

(١٤) في ب، د، و: «الجوار».

وَلَكِ الْوَقَارُ^(١) إِذَا تَزَلَّزَلْتَ^(٢) الرَّبَا^(٣)

ومنها^(٦) [من الكامل]:

عَوْدٌ كَمَالِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ

[منها]^(٨) [من الكامل]:

تَابَ الزَّمَانُ إِلَيْكَ مِمَّا قَدْ جَنَى
إِنْ كَانَ مَاضٍ مِنْ زَمَانِكَ قَدْ مَضَى
هَذَا بِذَاكَ فَشَقَّعِ الثَّانِي^(٩) الَّذِي
وَاللَّهُ قَدْ وَأَلَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ
وَإِذَا تَغَمَّدَكَ الْإِلَهُ بِتَضْرِيهِ
ومنها^(١١) [من الكامل]:

وَضَعْنَتْ عَنْ أَوْطَانٍ مُلْكِكَ رَاكِباً
وَالْبَحْرُ قَدْ خَفَقَتْ عَلَيْكَ ضُلُوعُهُ^(١٢)
وَلَكِ الْجَوَارِي^(١٤) الْمُشَشَاتُ قَدْ اغْتَدَّتْ

(١) في ب: «الوفاء»؛ وفي هامشها:
«الوقار».

(٢) في ط: «نزلت على».

(٣) «الربا» سقطت من ب.

(٤) في ب: «الفرع».

(٥) الأبيات في ديوانه ص ٤٩٦.

وسعود: ج سعد، وهو الحظ. (اللسان ٣/
٢١٣ (سعد)).

(٦) «ومنها» سقطت من ب، د، ك، و؛
وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».

(٧) البيت في ديوانه ص ٤٩٧.

وعَوْدُهُ: حماه بالتعاونيد، وهي الطلاسمة أو
بالمعودتين من القرآن الكريم. (اللسان

جَوْفَاءُ^(١) يَحْمِلُهَا وَمَنْ حَمَلْتُ^(٢) بِهِ مِنْهَا^(٤) [من الكامل]:

صَبَّحَتْهُمْ غُرَّرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا
مِنْ كُلِّ مَنْجَرٍ أَغْرَّ مَحْجَلٍ
زَجَلُ الْجَنَاحِ إِذَا أَجَدَّ لَغَايَةَ
جَيْدٌ كَمَا التَفَّتْ^(٥) الظِّلِيمُ وَفَوْقَهُ
ومنها^(٧) [من الكامل]:

وخليلُ هندی راقٌ حسنٌ صفائه
غرنت^(٩) بصفحته^(١٠) النُّعَالُ^(١١) وَأُزْسَكْتُ
فَالصَّرْحُ مِنْهُ مَمْرَدٌ وَالصَّفْحُ مِنْ
[منها]^(١٤) [من الكامل]:

وبكلِّ أَرْقٍ إِنْ شَكَتْ أَلْحَاظُهُ

مَرَّةً^(١٥) العُيُونِ فَبِالعِجَاجَةِ يُكْحَلُ^(١٦)
والظلم: ذكر النعام. (اللسان ١٢/٣٧٩
ظلم)).

(٧) في ب، د، و: «منها».

(٨) في ط: «به يقوم».

(٩) في ب: «عرفت».

(١٠) في د: «بصفحته».

(١١) في ط: «النمال»؛ وفي هـ ك: «النمال»
خ.

(١٢) في ب: «فأوثقت».

(١٣) الأبيات في ديوانه ص ٥٠٠.

والصَّيْقَلُ: الشَّحَاذُ الَّذِي تَجَلَّى بِهِ
السُّيُوفُ. (اللسان ١١/٣٨٠ (صقل)).

(١٤) من ب، د، و.

(١٥) في ك: «مِرَّةً».

(١٦) في ب: «تكحل».

(١) في ط: «خرقاء»؛ وفي هـ ك: «خرقاء» خ.

(٢) في د: «وما انحملت».

(٣) الأبيات في ديوانه ص ٤٩٩-٥٠٠.

والعياب: عباب البحر أمواجه، ومعظم

مياحه. (اللسان ١/٥٧٣ (عبب))؛

والجوارى المنشآت: السفن العظيمة

المرفوعة الشُّرْعُ. (اللسان ١/١٧٣

نشأ)).

(٤) «منها» سقطت من ط.

(٥) في ب، د، ك، و: «التف»؛ وفي هـ ك

«التفت» خ.

(٦) الأبيات في ديوانه ص ٥٠٠.

وزجل الجناح: أي لجناحه صوت.

(اللسان ١١/٧٠٢ (زجل))؛ وَأَجَدَّ:

واجتهد. (اللسان ٣/١١٣ (جدد))؛

- مَتَأَوَّدٌ^(١) أَعْطَافُهُ فِي نَشْأَةٍ^(٢) عَجَباً لَهُ إِنَّ النَّجِيعَ بِطَرْفِهِ
مَمَّا يَعْلُ^(٣) مِنَ الدَّمَاءِ وَيَنْهَلُ^(٤) رَمْدٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَقْتَلُ^(٥)
[منها]^(٦) [من الكامل]:
لِلَّهِ مَوْقِفُكَ الَّذِي وَثَبَاتُهُ وَالْخَيْلُ خَطٌّ وَالْمَجَالُ صَحِيفَةٌ
وَالْبَيْضُ قَدْ كَسَرَتْ حُرُوفَ جَفُونِهَا وَهِيَ طَوِيلَةٌ^(٨) [كثيرة]^(٩)، وَجَمِيعُهَا فَرَائِدُ^(١٠)، وَلَمْ أَكْثَرُ مِنْهَا إِلَّا لِعِلْمِي أَنْ نَظَمَ
الْوَزِيرُ^(١١) لِسَانَ الدِّينِ بْنِ^(١٢) الْخَطِيبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ^(١٣)، غَرِيبٌ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ^(١٤).
وَمِنَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْ إِشَارَتِهَا^(١٥) أَنَّهَا تَهْنِئَةٌ بِمَوْلُودِ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ
الْخَازِنِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١٦) [وهو]^(١٧) [من البسيط]:

- (١) في د: «متأوّد». (٢) في ب، د، ط: «نشوة». (٣) في ب: «تعلّ». (٤) في ب: «وتنهّل». (٥) الأبيات في ديوانه ص ٥٠٠-٥٠١.
(٦) ومره العينون: مرض يصيب العين لترك الكحل. (اللسان ١٣/٥٤٠ مره)؛ (٧) والعجاجة: الغبار الكثيف. (اللسان ٢/٣١٩ عجاج)؛ ومتأوّد: معوج. (اللسان ٣/٧٥ أود)؛ وأعطافه: جنباته. (اللسان ٩/٢٥٠-٢٥١ عطف)؛ ويعلّ وينهّل: العلل الشربة الثانية، والنهل الشربة الأولى. (اللسان ١١/٤٦٧ علل)، ٦٨٠ (نهل)؛ والنجيع: دم الجوف. (اللسان ٨/٣٤٨ نجع). (٦) من ب، د، و. (٧) الأبيات في ديوانه ص ٥٠٠-٥٠١.
(٨) «طويلة» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح». (٩) من و. (١٠) في ب: «فوائد». (١١) «نظم الوزير» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح». (١٢) «بن» سقطت من ط. (١٣) سقطت من ب؛ وفي ط، و: «رحمه الله تعالى». (١٤) في ب: «في هذه البلاد غريب». (١٥) في ب، د، ط، و: «إشاراتهما». (١٦) «رحمة الله تعالى» سقطت من ب، و. (١٧) من ب.

ووثباته: الأولى من «الوثب» وهو القفز، والثانية من «الثبات». (اللسان ٤/٣٧٦)

بُشْرَى^(١) فقد أُنْجَزَ الإِقْبَالُ ما وَعَدَا وكوكبُ المجدِّ في أفقِ العُلا صَعِيدًا^(٢)
وممَّا يُشعر بقرينة الذوق أنَّ الناظم يريد الرثاء، قولُ التَّهاميِّ^(٣) في براعته^(٤) [من
الكامل]:

حُكْمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جاري ما هُذِه الدُّنيا بدارِ قرارِ^(٥)
وهذه القصيدةُ يرثي بها ولده، وهي نسيجٌ وحدها، وواسطةٌ عقدها؛ منها^(٦) [من
الكامل]:

ومكَلِّفِ الأَيامِ ضِدًّا طبايعِها مُتَطَلِّبُ في المَاءِ جَدْوَةَ نارِ
طُبِعَتْ^(٧) على كَدَرٍ وَأَنْتَ تَريدُها صَفْوًا مِنَ الأَقْداءِ وَالأَقْدارِ^(٨)
وإذا رَجَوْتَ المَسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرِّجاءَ عَلى شَفيرِ هارِ
وَالعِيشِ^(٩) نَوْمٌ وَالمَنيَّةُ يَقْظَةُ والمِرْءُ بَينَهُما خيالِ سارِ^(١٠)

(١) في د: «بشراً».

(٢) البيت في الإيضاح ص ٣٥٣.

(٣) في و: «رحمه الله».

(٤) «في براعته» سقطت من ب، ط، ك؛
وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «صح».

(٥) البيت في ديوانه ص ٤٦١-٤٦٢.

وفي هامش ب: «قال بعضهم في مطلع
مرثية [من الطويل]:

علام تَرى شَوَّ الضُّيا جِيبَ فَجْرِه

وفيمَ تُرى جَبَّ الدُّجى ذَيْلَ شِعْرِه

انظر إلى هذا البيت وما فيه من الصنائع

المعنوية واللفظية وهي: الطباق بين «الضيا

والفجر» و«الدُّجى»؛ والمناوبة بين «جيب»

و«ذيل»، و«شَوَّ» و«جَبَّ»، و«علام»

و«فيم»، و«تُرى» و«تُرى»؛ والمجانسة بين

«جَبَّ» و«جيب»؛ وتجاهل العارف

والاستعارات اللطيفة، وخطاب «تُرى»

و«تُرى» العام، إلى غير ذلك؛ وأما حسن

الابتداء وتناسب القسمين ورعاية مقام

الرثاء، والإشارة إلى ما قصده الشاعر ممَّا

بُني عليه غرضه، فلا أقول فيه شيئاً، وربما

يقول قائل: إنه لم يتم وإنه متوقف على ما

يأتي بعده، فالمنصف يجيبه عن ذلك أو

يدعي أنه غير متناسب القسمين، كما فعل

الشيخ تقي الدين ابن حجة في قول الصفيِّ

الحليِّ [من البسيط]:

جاءت لتنظر ما أبت من المهج...

[ديوانه ص ٧١٣؛ وعجزه:

* فَعطَّرت سائر الأرجاءِ بالأرْجِ *].

وقد أشير فوقها ب «حش».

(٦) «منها» سقطت من ب، ط.

(٧) في ط: «جبلت»؛ وفي هـ ك: «جبلت» خ.

(٨) في ب: «والأقذار»؛ وفي د، و:

«والأكذار»؛ وفي هـ ك: «والأكذار» خ.

(٩) في هـ ك: «فالعيش» خ.

(١٠) في ط، و: «ساري». والأبيات في ديوانه

وما^(١) أعلم أنّ أحداً استهلَّ للمراثي^(٢) بأحسن من هذه البراعات^(٣)؛ ومنها^(٤) يشير إلى ولده، وهو من المعاني المستغربة [من الكامل]:

جاوَزْتُ أَعْدائِي وَجاوَرَ رَبَّهُ شَتَّانَ بَيْنَ جُوارِهِ وَجُوارِي^(٥)

وأما قصيدة الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى^(٦)، في تهنئة السلطان الملك الأفضل بسلطنة حماة المحروسة^(٧)، وتعزيتة^(٨) بوفاة والده الملك المؤيد، سقى الله عهده^(٩)، فهي^(١٠) من عجائب الدهر لأتة^(١١) جمع فيها بين نقيضي^(١٢) المدح والرثاء^(١٣) في كل بيت^(١٤)، وبراعتها [من الطويل]:

هناءَ مَحَا ذَاكَ الْعِزَاءَ الْمُقَدِّمًا^(١٥) فَمَا عَبَسَ الْمُحْزُونُ حَتَّى تَبَسَّ مًا

ثَغورُ ابْتِسامٍ فِي ثَغورِ مَدامِعِ شَبِيهانٍ لا يَمْتازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا نَرْدُ^(١٦) مِجارِي الدَّمْعِ وَالْبِشْرِ وَاضِحٌ كِوابِلِ غَيْثٍ فِي^(١٧) ضُحَى الشَّمْسِ قَدْ هَمِي^(١٨)

ص ٤٦١-٤٦٢.

وشفير هار: حرف مهوم أو كاد أن يهدم.
اللسان ٢٦٧/٥ (هور).

(١) في ب، د، و: «ما».

(٢) في ب: «المراثي».

(٣) في د، ك: «العبارات»؛ وفي هـ ك: «البراعات» صح.

(٤) في ب، د، ك، و: «منها»؛ وفي ط: «ومنها».

(٥) البيت في ديوانه ص ٤٦١.

(٦) سقطت من ب؛ وفي د، و: «رحمه الله».

(٧) «المحروسة» سقطت من ب، د، ط، و.

(٨) «وتعزيتة» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

(٩) «سقى الله عهده» سقطت من ب؛ وفي ط: «سقى الله ثراه».

(١٠) في ط: «فإنها».

(١١) في ط: «فإنه».

(١٢) ورد في نسخة مطبوعة بشرح عصام

شعيتو: «نقيضي»: هكذا وردت في الأصل، والأصح: «نقيضين»؛ لعله قد نسي أنّ النون قد حذفت للإضافة، وذلك من باب إضافة المسمى إلى الاسم.

(١٣) وفي هامش ب: «لو قال: «الهناء والرثاء» لكان قوله «نقيضي» صحيحاً، لأنّ نقيض المدح الذم؛ والمدح والرثاء غير نقيضين، ولأنّ الرثاء مدح الميت، وكلاهما مدح فتأمل ذلك». وقد أشير فوقها بـ «حش».

(١٤) في و: «منها» مشطوبة بعد «بيت».

(١٥) في د، ك: «العزا المتقدم»؛ وفي هـ ك: «العزاء المقدم» خ صح.

(١٦) في ط: «يرد»؛ وفي ك: «يرد»، وفوق الياء نقطة.

(١٧) في ك: «قد»؛ وفي هامشها: «صوابه «في»».

(١٨) الأبيات في ديوانه ص ٤٢٩.

سبحان المانع، والله مَنْ لا يتعلم الأدب من هنا، فهو من المحجوبين عن إدراكه.

وكتب^(١) إليه^(٢) / الشيخ صلاح الدين الصفدي قصيدة^(٣) ضَمَّنَ فيها أعجاز معلقة ٦٦ امرئ القيس، وصرَّح فيها^(٤) وفي^(٥) براعتها بغليظ^(٦) العتب، ولم يأت في البراعة بإشارة لطيفة يُفهم منها القصد، بل صرَّح وقال^(٧) [من الطويل]:

أفي كلِّ يومٍ منك عَتَبٌ يَسُوؤُنِي «كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عِلِّ»^(٨)
فأجابه الشيخ جمال الدين بقصيدة ضَمَّنَ فيها الأعجاز المذكورة، وبراعة استهلالها [من الطويل]:

فطُمْتُ ولائي ثُمَّ أَقْبَلْتَ عَاتِباً «أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التذللِ»^(٩)
والإشارة [له]^(١٠) بقوله: «أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التذللِ»^(١١) لا يخفى على حُذَّاق أهل^(١٢) الأدب ما مراده^(١٣) منها، وفي هذا القدر كفاية، وما أحلى ما قال منها^(١٤)، وهو ممَّا يؤيِّد^(١٥) قصده في تلك الإشارة [من الطويل]:

فدونك عَتَبٌ^(١٦) اللَّفْظُ ليس بفاحشٍ «إذا هي نصَّته»^(١٧) ولا بمُعْطَلٍ^(١٨)

وهنا بحث، وهو أنني وقفت على بدعيَّة الشيخ شمس الدين، أبي عبدالله محمد^(١٩) بن جابر الأندلسي، الشهيرة بدعيَّة العميان، فوجدته قد صرَّح في براعتها

- | | |
|--|---|
| (١) مكررة في ب. | (١١) في ب، و: «التذلل». |
| (٢) «إليه» سقطت من ب. | (١٢) «أهل» سقطت من ط؛ وفي ب: «وأهل»؛ |
| (٣) «قصيدة» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح». | وفي ك: «أهل ح». |
| (٤) «فيها» سقطت من ط. | (١٣) «مراده» سقطت من ب. |
| (٥) في ب «ومن»؛ وفي ط: «في». | (١٤) في ط: «بعده». |
| (٦) في ب: «تغليظ». | (١٥) «يؤيد» سقطت من ط. |
| (٧) في و: «أو» مشطوبة بعد «وقال». | (١٦) في ب، د، ك، و: «عتبي»؛ وفي هـ ك: |
| (٨) البيت لم أقع عليه في ماعدت إليه من مصادر. | «عتبٌ» صح. |
| (٩) في ب: «التذلل». والبيت في ديوانه ص ٣٩٢. | (١٧) في ب، د: «فضته». |
| (١٠) من و. | (١٨) في ب: «بمعلل». والبيت في ديوانه ص ٣٩٣؛ وفيه: «عتبي». |
| | (١٩) «محمد» سقطت من ب. |

بمدح النبيّ، (ﷺ)، وهي:

بَطِيْبَةٌ أَنْزِلُ وَيَمَّمُ سَيِّدَ الْأُمَمِ وَأَنْزُرُ لَهُ الْمَدْحَ وَأَنْشُرُ طَيِّبَ الْكَلِمِ (١)

فهذه البراعة ليس فيها إشارة تُشعِرُ بغرض الناظم (٢) وقصده، بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم، كما قال (٣)، فإن قال (٤) قائل إنها براعة استهلال، قلنا (٥): إن البديعية لا بد لها من براعة وحسن تخلص (٦) وحسن ختام، فإذا كان مطلع القصيدة مبنياً على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع؛ ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة إلى طريق الجماعة، غير أن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الأندلسي، رحمه الله تعالى (٧)، شرحها شرحاً مفيداً.

وهنا فائدة، وهي (٨) أن الغزل الذي يصدر به المديح النبويّ يتعين على الناظم أن يحتشم فيه وَيَتَّبَدَى (٩) ويتضامل ويشبب (١٠)، مطرباً بذكر: سَلَعُ وَرَامَةٌ وسفح العقيق والعذيب وبارق (١١) والغوير ولعلع وأكناف حاجر (١٢)، ويطرَحُ ذكر محاسن المُرْدِ

(١) البيت في الحلة السّيرا ص ٢٨؛ وفيه:

* وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم *

(٢) في و: «المادح».

(٣) «كما قال» سقطت من ط.

(٤) «قال» سقطت من د، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».

(٥) في ط: «قلت».

(٦) في ط: «مخلص».

(٧) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط.

(٨) في ط: «وهو».

(٩) في ب، ط. «ويتأذب»؛ وفي هـ ك: «ويتأذب» خ.

(١٠) في ط: «ويشبيب».

(١١)(١٢) «وبارق» سقطت من ط.

وسلع: موضع بقرب المدينة (معجم

البلدان ٢٦٨/٣)؛ ورامة: موضع في

طريق البصرة إلى مكة (معجم البلدان ٣/

٢٠)؛ وسفح العقيق: سفح جبل بالمدينة

(معجم البلدان ١٣٩/٤)؛ والعذيب: وادٍ

لبنى تميم وهو من منازل حاج الكوفة

(معجم البلدان ٩٢/٤)؛ وبارق: موضع

بتهامة (معجم البلدان ٣٨٠/١)؛

والغوير: موضع (معجم البلدان ٤/

٢٢٠)؛ ولعلع: موضع أو جبل قريب

من العذيب (معجم البلدان ٢١/٥)؛

وأكناف حاجر: نواحٍ لموضع في ديار

بني تميم (معجم البلدان ٢٣٦/٢).

وفي هامش ب: «قد يتدئ الناظم بتشبيب

أو نصائح أو توحيد أو حكميات أو مذمة

الدنيا، ثم يتخلص بألف وجه إلى مديح

النبيّ، (ﷺ)، وهذا سائغ [لعلها:

«شائع»] لا يحتاج إلى شاهد؛ وقد يفعل

ما ذكر من الأماكن، ويخلص إلى مدح

الخلق، ولا يمدح بذلك النبيّ، (ﷺ)، =

وقال نجم الدين بن إسرائيل [من الطويل]:

لَقَدْ عَادَنِي مِنْ لَاعِجِ الشُّوقِ عَائِدُ
فَهَلْ عَهْدُذَاتِ الْخَالِ بِالسَّفْحِ عَائِدُ
[البيت له في الأدب في العصر المملوكي
٢٤٦/١].

وقال ابن مطروح [من الكامل]:

هِيَ رَامَةٌ فَخَذُوا بِمَلْءِ الْوَادِي
وَذَرُّوا السُّيُوفَ تَقَرَّرَ فِي الْأَغْمَادِ
[البيت في ديوانه ص ١٨٥].

وقال آخر [من الطويل]:

لَعَلَّ نَوَاحِي الْعَيْشِ تُعْرَبُ عَنْ وَجْدِي
إِذَا نَزَلْتُ دُونَ الشَّنِيَةِ مِنْ نَجْدِي
وقال [آخر] [من الخفيف]:

نَمَّ دَمْعِي إِلَى الْحُدَاةِ يَوْجِدِي
حِينَ سَارُوا عَنِ الْعَقِيْقِي بِهَيْدِي
إلى ما لا نهاية له.

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الإصبع في كتابه المسمّى بـ «بديع القرآن»: قلت قصيدة مدحت فيها رسول الله، (ﷺ)، عدتها ثلاثمائة وخمسة عشر بيتاً، وأورد بعضها، وأولها [من الطويل]:

بِسُكْرِ الصَّبَا أَعْطَافُهَا تَتَأَوَّدُ
وَأَلْحَاطُهَا سُكْرًا عَلَيْنَا تُعْرَبُ

ذكر الشيخ زكي الدين أنه ذكر في هذه القصيدة وصف القرآن العزيز، وأنه نظم فيها ما في «الشفاء» للقاضي عياض، في نبينا محمد، (ﷺ)، من دلائل نبوته، (ﷺ)، وخصائصه، عليه الصلاة والسلام، فانظر أيها الأديب المنصف إلى مطالعها وتأمل بعين الفكر ما تكلفه الشيخ تقي =

=ولا يحكم على ناظم ذكر هذه الأماكن أن يتخلص منها إلى مديح النبي، (ﷺ)، ألبتة، بل أكثر الشعراء ينظمون ذلك ويتخلصون إلى أغراض سوى مدحه، (ﷺ)، قال أحمد بن صدقة الخياط الدمشقي [من الطويل]:

* خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ*... إلخ
[البيت في ديوانه ص ١٧٠؛ وعجزه:

* فَقَدْ كَادَ رِيَّاهَا يَطِيرُ بِلَبِّهِ*]

وقال غيره [من الكامل]:

بِالْخَيْفِ مِنْ ظَبْيَاتِهِ سَمْرَاءُ
أَقْوَامُهَا أُمُّ صَعْدَةَ سَمْرَاءُ
منها [من الكامل]:

فَلِذَاذَةُ الْأَيَّامِ رُدُّ بِعَادِهَا
يَقْضِي بِهِ الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وقال آخر [من البسيط]:

عَجَّ بِالْغُوبِرِ فَلَ فِيهِ لَبَانَاتُ
وَحَلَّ لُؤْمِي فَمَا تَجْدِي الْمَلَامَاتُ
وقال في آخرها [من البسيط]:

يَدِيرُ مِنْ يَدِي خَمْرًا وَمِنْ فَمِهِ
شَهْدًا بِهِ لِنَفُوسِ الْقَوْمِ لِدَاتُ
وقال التنوخي تاج الدين يمدح الملك الناصر [من البسيط]:

مَضَّتْ لَنَا بِالْحَمَى وَالْبَانِ أَوْقَاتُ
ضَنْتْ لَنَا وَصَفَتْ فِيهَا الْمَسْرَاتُ
منها [من البسيط]:

رَقَّتْ فُقُلُنَا: صَلَاحُ الدِّينِ شَارِبُهَا
أَخْلَاقُهُ فَصَفَتْ مِنْهَا الزَّجَاجَاتُ
وقال مجد الدين بن الظهير [من الكامل]:

غَشُّ الْمَفْتَدِ كَامِرٌ فِي نُصْحِهِ
فَاطِلٌ وَفُوقَكَ بِالْغُوبِرِ وَسَفْحِهِ

والتغزّل في ثقل الرّدْف^(١) ورقّة الخصر وبياض الساق وحمرة الخدّ وخضرة العذار وما أشبه ذلك، وقلّ من سلك^(٢) هذا الطريق من أهل الأدب.

وبراعة الشيخ صفّي الدين الحلّي في هذا الباب من أحسن البراعات^(٣) وأحشمها، وهي^(٤):

إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلِّ عَنْ جِيرَةِ الْعَلِمِ وَأَقْرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبِ بَدِي سَلَمِ^(٥)

لا يشكُّ^(٦) مَنْ عِنْدَهُ أَدْنَى ذَوْقٍ أَنَّ هَذِهِ الْبِرَاعَةَ صَدْرُ^(٧) لَمَدِيحِ نَبِيِّ^(٨)، فَإِنَّهُ شَبَّ بِذِكْرِ سَلْعٍ، وَسَأَلَ عَنْ جِيرَةِ الْعَلِمِ، وَسَلَّمَ عَلَى عُرْبِ بَدِي سَلَمِ^(٩).

ومطلع البردة^(١٠) في هذا الباب من أحسن البراعات أيضاً، وهو^(١١) [من البسيط]:

أَمِنْ تَذَكَّرِ جِيرَانِ بَدِي سَلَمِ مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ^(١٢)

فمزج دمعاً بدمه^(١٣)، عند تذكر جيران بدي سلم، من أطف الإشارات إلى أن القصيدة نبوية، وما أحلى ما قال بعده [من البسيط]:

العلم، والسلام على عرب بدي سلم.

(٧) في ب: «صدراً»؛ وفي ط: «صدرت».

(٨) في ب: «النبى ﷺ».

(٩) «فإنه شبّ... بدي سلم» هذه الصيغة

سقطت من ط.

ويبدو ابن حجة هنا متجاهلاً لبراعة الشيخ

عز الدين الموصلي في بديعته، وهي:

براعة تستهلّ الدمع في العلم

عبارة عن نداء المفرد العلم

[نفحات الأزهار ص ١٢].

(١٠) في ط: «البردة أيضاً».

(١١) في و: «وهي».

(١٢) البيت للبوصيري في ديوانه ص ١٦٥.

(١٣) في ب، د: «بدم».

=الدين، غفر الله لنا وله وللمسلمين.

انتهى». وقد أشير فوقها بـ«حش».

(١) في ب: «الأرداف».

(٢) في ط: «يسلك».

(٣) في ب: «البراعات» مكررة.

(٤) في ط: «وهو».

(٥) البيت في ديوانه ص ٦٨٥؛ وفيه «وأقر»؛

وشرح الكافية البديعية ص ٥٧؛ ونفحات

الأزهار ص ١٢؛ وفيهما: «وأقرأ».

والعلم: جبل فرد شرقيّ الحاجر، يقال له

«أبان» فيه نخل وفيه وادٍ (معجم البلدان

١٤٧/٤)؛ وذو سلم: موضع بالحجاز

(معجم البلدان ٢٧٢/٣).

(٦) في ط: «ولا يشكل على»؛ وقبلها في ط:

«فقد شبّ بذكر سلج، والسؤال عن جيرة

- أم هبَّت الرِّيحُ من تلقاءِ كاظمةٍ وَأَوْمَضَ البرقُ في الظَّلْماءِ مِنْ إِضْمٍ^(١)
وحشمةُ الشيخ جمال الدين بن نباتة في براءة قصيدته الرائية النبوية يتعلّم الأديب
منها سلوك الأدب، وهي [من الطويل]:
- صحا القلبُ لولا نسمةٌ تَتَخَطَّرُ ولَمْعَةٌ برقيٌ بالقُضا تَتَسَعَّرُ^(٢)
وما أحسَمَ قوله بعده [من الطويل]:
- وذكرُ جبينِ المالكيّةِ إنْ بدأ هلالُ الدجى والشيءُ بالشيءِ يذكرُ
سقى الله أكنافَ الفضا سائلَ الحيا وإن كُنْتُ أُسْقَى أذْمَعاً تَتَحَدَّرُ^(٣)
- وأما قصيدتي النبوية الموسومة بـ«أمان الخائف» فإنها عُذِيبٌ هذا^(٤) البارق،
وحلبة مجرى هذه السَّوابق، لأنني لم أخرج في تغزلها عن التَّبَادِي^(٥) وحشمة الألفاظ
وذكر^(٦) المنازل المعهودة، وبراعتها [قوله]^(٧) [من الطويل]:
- شَدَّتْ بِكُمْ العِشاقُ لَمَّا تَرَنَّمُوا فغَنَّوا وَقَدْ طابَ المقامُ وزَمَزَمُوا^(٨)
وقلت بعدها^(٩) [من الطويل]:

- (١) البيت للبوصيري في ديوانه ص ١٦٥. وكاظمة: اسم موضع على طريق البصرة. (معجم البلدان ٤/٤٣١)؛ وإضم: اسم وادٍ فيه ماء، بين مكة واليمامة. (معجم البلدان ١/٢٥٤).
- (٢) البيت في ديوانه ص ١٨٠؛ وفيه: «بالغضا».
- (٣) «وحشمة الشيخ جمال الدين... تتحدّر» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».
- والبيتان في ديوانه ص ١٨٠؛ وفيه: «البابلية إذ» مكان «المالكية إن»؛ و«الغضا» مكان «الغضا». «الشيء وبالشيء يذكر»: المثل في تمثال الأمثال ص ٢٩١، ٢٩٣.
- (٤) «هذا» سقطت من د.
- (٥) في ب: «التأذب»؛ وفي ط: «التباري».
- (٦) في ط: «بعده».
- (٧) في ط: «والتشبيب بذكر» مكان «وحشمة الألفاظ وذكر».
- (٨) من ب.
- (٩) في ب، د، ط: «وزمزم»؛ وفي و: «وزمزم (وا)». والبيت في ديوانه ورقة ١٧؛ وفيه «وزمزم».
- وفي هامش ب: «قال الشيخ بدر الدين البشتكي: شدا وترنم وعتى وزمزم بمعنى». وقد أشير فوقها بـ «حش».
- وفي هامش ك: «قال الشيخ بدر الدين البشتكي: هذا البيت الذي خطب له فاسد، لأن معنى «شدا» غتّى، ومعنى «ترنم» غتّى، ومعنى «زمزم» غتّى. وقد كتب فوقها «حاشية».

- وضاعَ شَذَاكُمْ بَيْنَ سَلْعٍ وَحَاجِرٍ
وَجَزْتُمْ بَوَادِي الْجَزَعِ فَاحْضَرَّ وَالتَّوَى
وَلَمَّا رَوَى أَخْبَارَ نَشْرِ ثُغُورِكُمْ
ومنها^(٣)، وما أَلَيْقَهُ أَنْ يَكُونَ صَدْرًا لِلْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ^(٤) [من الطويل]:
- فِيَا عَرَبَ الْوَادِي الْمَنِيعِ حِجَابُهُ
رَفَعْتُمْ قِيَابًا نُصِبَ عَيْنِي وَنَحْوَهَا
وَيَا مَنْ أَمَاتُونَا اشْتِيَاقًا وَصَيَّرُوا
مَنْعَتُمْ تَحِيَّاتِ السَّلَامِ لِمَوْتِنَا
[منها]^(٧) [الطويل]:
- يَقُولُونَ لِي فِي الْحَيِّ أَيْنَ قِيَابُهُمْ
عُرَيْبٌ لَهُمْ طَرْفِي^(٩) خِبَاءٌ مَطْتَبٌ
وَمَنْ أَلْطَفَ الْإِشَارَاتِ إِلَى أَنْ هَذَا التَّغَزَّلَ صَدْرَ لِقَصِيدَةِ^(١١) نَبِيَّةٍ قَوْلِي مِنْهَا^(١٢)
[من الطويل]:
- أَوْزِي بِذِكْرِ الْبَانِ وَالرَّنْدِ وَالتَّقَا
وَسَفْحِ اللَّوَى وَالْجَزَعِ وَالْقَصْدِ أَنْتُمْ^(١٣)
- (١) «وضاع... إليكم» سقط من د.
(٢) في ب: «يتبسم». والأبيات في ديوانه ورقة ٧؛ وفيه «إليكمو»؛ و«منمنموا».
(٣) في ب: «منها».
(٤) «وما أليقه... النبوية» سقطت من ب؛ وفي ط: «وما أليقه... النبوية، ومنها».
(٥) في ط: «لنا وتيمموا»؛ وفي هـ ك: «لنا وتيمموا» خ.
(٦) الأبيات في ديوانه ورقة ٧؛ وفيه «غسلانها تيمموا»؛ ونظم الدرّ والعقيان ص ٣٢٥.
(٧) من ب، د، و.
- (٨) في هـ و: «من هم» ن؛ وفي و: «ومنهم» وفوقها «من».
(٩) في ب: «قلبي».
(١٠) البيتان في ديوانه ورقة ٧ ب. ومطتب: ذو طنب، وهي الحبال التي تشدّ بها أعمدة الخيام (اللسان ١/ ٥٦٠ (طنب)).
(١١) في ط: «قصيدة».
(١٢) «منها» سقطت من و.
(١٣) البيت في ديوانه ورقة ٧ ب.
والبان: موضع. (معجم البلدان ١/ ٣٩٥)؛ والرند: موضع. (معجم البلدان ٣/ ٨٤)؛ والتقا: كتيب رمل (اللسان ١٥/ =

ولم أزل في براءة الاستهلال، أستهلّ أهلة هذه^(١) المعاني، إلى أن وصلت إلى حسن التخلّص، فقلت [من الطويل]:

تَقْنَعْتُ^(٢) فِي حَبِّي لَهُمْ فَتَعَصَّبُوا معي^(٣) وهُم ساداتُ مَنْ قَدْ تَلَّمُوا
لَهُمْ حَسَبٌ عَالٍ بِبَطْحَاءِ مَكَّةِ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْأَصْلِ مِنْهُمْ^(٤)

ومن الأغزال التي لا يليق^(٥) أن يكون^(٦) غزلها^(٧) صدرأ^(٨) لمديح^(٩) نبويّ
قصيدة السري الرفاء، فإنه مدح الفاطميين بها^(١٠) وجدّم رسول الله^(١١)، (ﷺ)،
وجرح القلوب بندبة الحسين، رضي الله عنه^(١٢)، فإنه قال منها [من البسيط]:

مهلاً فما نقضوا^(١٣) آثار^(١٤) والده وإنما نقضوا في قتلِه الدّينا^(١٥)

وهذه القصيدة مشتملة على مدح النبي، (ﷺ)، وآله^(١٦)، وندبة الحسين [بن
علي]^(١٧) رضي الله عنه^(١٨)، فما ينبغي أن تكون^(١٩) براعتها [من البسيط]:

نَطْوِي اللَّيَالِي عِلْمًا أَنْ سَتَطْوِينَا فَشَعَشَعْنَاهَا^(٢٠) بِمَاءِ الْمُرْنِ وَأَسْقِينَا^(٢١)

- (٩) في ط: «لمديح قصيد». (= ٣٣٩ نقا))؛ واللوى: اسم وادٍ (معجم
البلدان ٢٧/٥)؛ والجزع: منعطف
الوادي. (معجم البلدان ١٥٥/٢).
- (١) «هذه» سقطت من و، وثبتت في هامشها
مشاراً إليها بـ «صح».
- (٢) في هامش ب: «يقال: تقنع بكوز
وتعصب بجزرة، وقد حصل اللثام
والعصابة والمقنعة بقي ما بقي
والسلام». وقد أشير فوقها بـ «حش».
- (٣) في ط: «عليّ»؛ وفي هـ ك: «عليّ» خ.
- (٤) البيتان في ديوانه ورقة ٧ ب.
- (٥) في ط: «تليق».
- (٦) في د: «تكون».
- (٧) في ب: «غزلها أن يكون» مكان «أن يكون
غزلها».
- (٨) «صدرأ» سقطت من ط، ك؛ وثبتت في هـ
ك مشاراً إليها بـ «خ».
- (٩) في ط: «لمديح قصيد».
- (١٠) في ط: «بها الفاطميين».
- (١١) «رسول الله» سقطت من ب، د، ط، و.
- (١٢) في ط: «عليه السلام».
- (١٣) في ط: «نقلوا».
- (١٤) في ب، و: «أوتار».
- (١٥) البيت في ديوانه ص ٢٧٣، وفيه «أوتار».
- (١٦) في ط، و: «وآل بيته»؛ وفي هـ ك: «وآل
بيته» خ.
- (١٧) من ط.
- (١٨) «فإنه قال... الله عنه» سقطت من ب؛
وفي ط: «عليهما السلام» مكان «رضي
الله عنه».
- (١٩) في ب، ك: «يكون».
- (٢٠) في ب: «فشعشعها».
- (٢١) البيت في ديوانه ص ٢٧٢.

ما أحقّ هذه البراعة لبعدها من المديح بقول القائل [من الطويل]:

تَمَنِّيْتُهُمْ بِالرَّقْمَتَيْنِ وَدَارُهُمْ بُوَادِي^(١) الْغَضَا يَا بُعْدَ مَنْ^(٢) أْتَمَّنَاهُ^(٣)
وما كفاه حتّى قال بعد ذلك [من البسيط]:

وتَوَجَّي بِكُوُوسِ الرَّاحِ رَاحَتَنَا^(٤) فَإِنَّمَا خُلِقْتُ لِلرَّاحِ أَيْدِينَا
قامت تهزُّ قواماً ناعماً سرقت شمائلُ البانِ مِنْهُ اللَّطْفُ وَاللِّينَا^(٥)
تديراً خمراً تلقّاها المزاجُ كما أَلْقَيْتَ فَوْقَ جَنِي^(٦) الْوَرْدِ نَسْرِينَا
فلستُ أدري أَسْقِينَا وَقَدْ نَفَحَتْ رَوَائِحُ الْمُسْكِ مِنْهَا أَمْ تُحَيِّينَا
قد مَلَكْتُنَا زَمَامَ^(٧) الْعَيْشِ صَافِيَةً لَوْ فَاتَنَا الْمَلِكُ رَاحَتْ^(٨) عَنْهُ تُسَلِّينَا^(٩)

أقول^(١٠): غفر الله له هذا الغزل، فيه إساءة أدب على مَمادِيحِهِ^(١١)، فإنّه شبّب فيه^(١٢) بوصف القيان وبذكر الخمر^(١٣)، وبينه وبين المديح مباينة عظيمة^(١٤).

رَجَّعُ إِلَى الْبَرَاعَاتِ الْبَارِعَةِ الَّتِي تُشْعِرُ أَنَّهَا صَدْرٌ لِلْمَدِيحِ^(١٥) النَّبَوِيِّ بِالْإِشَارَاتِ

- (١) في ك: «بدار»؛ وفي هامشها «بوادِي» خ صح.
(٢) في ب، ط، و: «ما»؛ وفي ك: «مَنْ» خ؛ وفي هامشها «ما» خ.
(٣) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.
والرقمتان: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٦٦/٣-٦٧)؛ ووادي الغضا: موضع بنجد (معجم البلدان ٢٠٥/٤).
(٤) في ب، د، ك، و: «أيدينا»؛ وفي هـ ك: «راحتنا» صح.
(٥) في ب، د، ط، و: «من أعطافه اللينا»؛ وفي هـ ك: «من أعطافه اللينا» خ.
(٦) في هـ و: «جناء» ن؛ وفي و: «جنى».
(٧) في ط: «وقد ملكنا زمان».
(٨) في ب: «كانت».
(٩) الأبيات في ديوانه ص ٢٧٢-٢٧٣، وفيه «أيدينا» مكان «راحتنا»؛ و «من أعطافه اللينا»؛ و «تحت حمراء» مكان «تدير خمراً».
(١٠) «أقول» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «خ».
(١١) في ب: «مادحيه»؛ وفي د، ط، و: «مَمادِيحِهِ»؛ وفي ك: «مَمادِيحِهِ».
(١٢) «فيه» سقطت من ط؛ وفي ك «فيه خ».
(١٣) في ب: «وذكر الخمر».
(١٤) في ب: «بون» مكان «مباينة عظيمة»؛ وبعدها في ب: «وقال منها بعد التخلص»
مهلاً فما نقضوا أوتار والده
وإنما نقضوا في قتله الدّينا
(١٥) في ط: «المديح».

اللطيفة، منها براعة الشيخ برهان الدين القيراطي، رحمه الله تعالى^(١)، وهي [قوله]^(٢) [من الخفيف]:

ذُكِرَ الْمُلتَقَى عَلَى الصَّفراءِ فَبَكَاهُ بِدُمْعَةٍ حَمراءِ^(٣)

وأما براعة بديعيتي^(٤) فإنها، ببركة ممدوحها، (عليه السلام)، نور هذه المطالع، وقبله هذا الكلام الجامع، فإنني^(٥) جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشروط المقررة^(٦) لكل منهما، وأبرزت تسمية نوعها^(٧) البديعي في أحسن قوالب التورية، وشقت بأقراط^(٨) غزلها الأسماع مع حشمة الألفاظ وعدوبتها وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة.

وبديعية الصفي^(٩) رقة^(١٠) غزلها لا ينكر^(١١)، غير أنه لم يلتزم^(١٢) فيها بتسمية^(١٣) النوع البديعي مؤرئ^(١٤) به من جنس الغزل، ولو التزمه لتجافت^(١٥) عليه تلك الرقة، فإن^(١٦) الشيخ عز الدين الموصلتي، رحمه الله تعالى^(١٧)، لما التزم ذلك، نحت من الجبال بيوتاً، وقد أشرت إلى ذلك في الخطبة بقولي: «وهي البديعية التي هدمت بها ما نحت الموصلتي في بيوته من الجبال، وجاريت الصفي^(١٨) مُقيداً بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال، وسميتها «تقديم أبي بكر» علماً^(١٩) أنه لا يُسمع

- (١) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط؛ وفي هامش ك: «لأنه لم يكن عاجزاً عن وفي و: «رحمه الله».
- (٢) من ط.
- (٣) البيت لم أفع عليه في ما عدت إليه من مصادر.
- (٤) في ب، د: «بديعيتي هذه».
- (٥) في ط: «فإنني».
- (٦) في ط: «بالشرط المقرّر».
- (٧) في ب: «نوعها تسمية».
- (٨) «بأقراط» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
- (٩) في ط: «صفي الدين».
- (١٠) «رقة» سقطت من ط؛ وفي د: «برقة».
- (١١) في د، و: «تنكر».
- وفي هامش ك: «لأنه لم يكن عاجزاً عن ذلك». (حاشية).
- (١٢) في و: «يستلزم».
- (١٣) في ط: «تسمية».
- (١٤) في ب: «مؤدئ».
- (١٥) في ب، د، ك، و: «تجافت»؛ وفي ط: «لتجافت».
- وفي هامش ك: «لو قال: لما تجافت». (حاشية).
- (١٦) في ط: «وأما».
- (١٧) سقطت من ب، ك، و؛ وثبتت في هـ ك «رحمه الله تعالى»؛ وفي ط: «فإنه».
- (١٨) في ب، د: «الصفي الحلبي».
- (١٩) في ط: «عالماً».

من الحلّي والموصليّ في هذا التقديم مقال».

ومن [أحسن^(١)] إشارات براعاتي^(٢) التي تُشعر أنها صدر مديح نبويّ التشبيب^(٣) فيها^(٤) بعرب ذي سلم، وخطابي لهم أن^(٥) لي في ابتداء^(٦) مدائحهم^(٧) براعة تستهلّ^(٨) الدمع، وكأنتي وعدتهم بشيء لا بدّ من القيام به، وهذا حسب ما أراده ابن أبي/ الأصعب بقوله: براعة الاستهلال هي ابتداء الناظم بمعنى ما يريد تكميله.

[براعة الاستهلال في النثر]^(٩):

انتهى ما أورده هنا^(١٠) من البراعات البارعة نظماً^(١١)، وأما براعات النثر فإنها مثلها، إن لم تكن^(١٢) براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر^(١٣) الكتاب المصنّف دالّة على غرض المنشئ، وإلا فليست^(١٤) ببراعة^(١٥) استهلال.

وقد رأيتُ غالبَ البديعيين اكتفوا^(١٦) عند استشهادهم على براعة الاستهلال في النثر، بقول الصاحب^(١٧) عمرو بن مسعدة كاتب المأمون، فإنه امتحن أن يكتب إلى الخليفة، يعرفه^(١٨) أن بقرة ولدت عجلاً وجهه كوجه الآدمي^(١٩)، فكتب: «الحمد لله خالق^(٢٠) الأنام^(٢١) في بطون الأنعام».

ورأيتُ الشيخ^(٢٢) صفّي الدين الحلّي في شرح بديعيته قد ألقى عند الاستشهاد بها

- | | |
|---|--|
| (١) من ط. | يقول: أي أنه ينبغي أن يكون براعة |
| (٢) في ط: «براعتي». | الخطبة إلخ...» (حاشية). |
| (٣) في ط: «تشبيبي». | (١٣) بعدها في و: «الكلام» مشطوبة. |
| (٤) «فيها» سقطت من ط. | (١٤) في ب، د، و: «ليست». |
| (٥) في ط: «بأن». | (١٥) في ب «براعة». |
| (٦) «ابتداء» سقطت من ط. | (١٦) في ط: «قد اكتفوا». |
| (٧) في ب، د، و: «مديحهم». | (١٧) في ب، د، ك، و: «صاحب»؛ وفي ط: «الصاحب». |
| (٨) في د: «الاستهلال». | (١٨) في ط: «للخليفة يخبره». |
| (٩) زيادة يقتضيها المنهج. | (١٩) في ط: «الإنسان». |
| (١٠) في ب: «انتهى هنا ما أورده من...». | (٢٠) في ب: «خلق»؛ وفي ط: «الذي خلق». |
| (١١) في د: «نظماً ونثراً». | (٢١) في هـ ك: «الإنسان» خ. |
| (١٢) في هامش ط: «قوله: إن لم تكن إلخ... هكذا في النسخ؛ المناسب أن | (٢٢) في و: «للشيخ». |

عصا التسيار، واحتجبت عنه في هذا^(١) الأفق بهجة^(٢) الشمس والأقمار، أين هو من علو مقام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر، إلى الأمير آق سنقر^(٣) الفارقاني، جواباً عن مطالعة^(٤) بفتح سوس من بلاد السودان، واستهله^(٥) بقوله تعالى^(٦): ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَنَّا فَمَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(٧)؛ الله أكبر! إن من البلاغة لسحراً^(٨)، والله ما^(٩) أظن أن^(١٠) هذا الاتفاق الغريب اتفق لناثر، ولا هلال كاتب المأمون في هذا^(١١) الاستهلال بزاهر، وهذا المثال الشريف ليس له مثال؛ منه: صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس [السامي]^(١٢) تشي^(١٣) على عزائمه التي واتت^(١٤) كل أمر رشيد، وأتت على كل

المكاتبات وأنواع المراسلات عدة. وكان عند ذلك الأمير [الأمير] كتبت فوق «ذلك»؛ الذي اسمه بخارى كاتب مفلق، فقال له بخارى: إن الأمير نوح قد أكثر علينا الإبراق والإرعاد، وبالغ في التخويف والإيعاد، فأريد منك له جواباً كافياً دافعاً، شافياً قاطعاً، مختصراً موجزاً مفيداً بحيث لا ينجع بعده جواب، ولا رسول ولا كتاب، فكتب الكاتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿يَتْلُوعُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا يَمَّا تَدُلُّنَا إِنَّ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]؛ ولم يزد على هذا، والحكاية طويلة تطلب من «تاريخه». انتهى».

وقد أشير فوقها بـ «حش»؛ وفي هذه الحاشية: «عدة» وأنواع المراسلات.

(٩) في و: «وما» مكان «والله ما».

(١٠) «أن» سقطت من ط.

(١١) «هذا» سقطت من د.

(١٢) من ط.

(١٣) في ب، ك: «يشي».

(١٤) في ب: «وأنت»؛ وفي ط: «دلّت على».

(١) في ب، د، ك، و: «هذه»؛ وفي ط: «هذا».

(٢) «بهجة» سقطت من ب، ط.

(٣) في ط: «سنقر».

(٤) في ط: «مطالعة».

(٥) في ط: «واستهل».

(٦) «تعالى» سقطت من ط.

(٧) الإسراء: ١٢.

(٨) في الأمثال النبوية ٢٥٠/١ (إن من البيان...؛ وجمهرة الأمثال ١٣/١؛ والميداني ٧/١).

وفي هامش ب: «ذكر محمد بن محمد بن محمد الصوفي في كتابه المسمى بـ «جامع الحكايات ولامع الروايات»، وهو من أعاجيب الزمان، لكته فارسي، أن الأمير نوح الساماني أمير بخارى وما وراء النهر عصي عليه بعض أمرائه، وأظن أن اسمه كان «بخارى»، وتحصن في قلعة حصينة، فجعل الأمير نوح يلاطفه بالمراسلات ويستميله بأنواع الرغبات، وهو لا يزيد إلا عناداً، ولا يزداد إلا فساداً، فأرسل يتوعده ويتهدده، وطالت بينهما المدة، وسارت بينهما من

جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وحكمت بعدل السِّيفِ فِي كُلِّ (١) عبد سوءٍ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْقَاسِدِ﴾ (٢).

وبراعة الشيخ كمال (٣) الدين بن عبد الرزاق الأصفهاني، في «رسالة القوس»، تجاري براعة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في هذه الحلبة، وتساويها في علو هذه (٤) الرتبة، فإنه أتى فيها بالعجائب، وأصاب غرض البلاغة منها (٥) بسهم صائب، واستهلها بعد البسملة (٦) بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْبَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِن تِلْكَ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكِّنَّا لَكَ فِي الْأَرْضِ وَءَاثِنَتْهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَنْبِئِ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ (٧)، منها: «شيطان تطلع (٨) شمس النصره من بين قرنيه، مارداً لا يصلح إلا بتعريك أذنيه، صورة مركبة ليس لها من تركيب العظم (٩)، إلا ما حملت ظهورها (١٠) أو الحوايا أو ما اختلط بعظم» (١١).

وأما براعة استهلال (١٢) الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى (١٣)، في خطبة كتابه المسمى بـ«خبز الشعير» فإنها خاصّ الخاصّ، ولا بدّ لها (١٤) من مقدّمة، بحيث (١٥) تكون هي النتيجة موجّب تسمية (١٦) هذا الكتاب بـ«خبز الشعير»، إشارة إلى أنّه (١٧) مأكول مذموم، وما ذاك إلا أنه كان يخترع المعنى الذي لم يُسبق إليه، ويُسكنه بيتاً من أبياته العامرة بالمحاسن، فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي بلفظه

(١) «كل» سقطت من و.

(٢) فصلت: ٤٦.

(١٠) في ط: «ظهورهما».

(١١) هنا اقتباس من الآية الكريمة: ﴿إِلَّا مَا

حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ

بِظَهْرٍ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

(١٢) «استهلال» سقطت من ب، ط، ك، و؛

وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ«صح».

(١٣) سقطت من ب، ط؛ وفي و: «رحمه

الله».

(١٤) «لها» سقطت من ط.

(١٥) «بحيث» سقطت من ط.

(١٦) في ط: «الموجبة لتسمية».

(١٧) في ط: «فإنه» مكان «إشارة إلى أنه».

(٣) كمال

(٤) الرتبة

(٥) بسهم صائب

(٦) البسملة

(٧) منها

(٨) شمس النصره

(٩) العظم

(١٠) ظهورها

(١١) اختلط بعظم

(١٢) استهلال

(١٣) رحمه الله تعالى

(١٤) من مقدّمة

(١٥) تكون هي النتيجة

(١٦) تسمية

(١٧) مأكول مذموم

ولم^(١) يغيّر فيه غير البحر، وربّما عام به في بحر طويل، يفتقر فيه^(٢) إلى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم^(٣)، فلم يسع الشيخ جمال الدين بن نباتة^(٤) إلا أنه^(٥) جمعه [يعني كتاب «خبز الشعير»]^(٦) من نظمه^(٧) ونظم الشيخ صلاح الدين، واستهل خطبته بقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾^(٨)، وربّ كتابه المذكور على قوله: «قلت أنا: ... فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال: ...»^(٩).

فمن ذلك: قال^(١٠) الشيخ جمال الدين^(١١): قلت [من المجتث]:

ومولع بفخاخ يمدّها وشبّاك
قالت لي العين ماذا يصيد قلت كراكي^(١٢)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال^(١٣) [من الطويل]:

أغار على سرح الكرى عندما رمى ال
فقلت أرجعي يا عين عن ورد حسنه
ومن ذلك^(١٥): قال الشيخ جمال الدين^(١٦): قلت [من السريع]:

أسعد بها يا قمري برزة
صرعت طيراً وسكنت الحشا

سعيدة الطالع والغارب
فما تعديت عن الواجب^(١٧)

- (١) في ط: «ولا».
- (٢) «فيه» سقطت من ط؛ وفي ب مكررة.
- (٣) في ب: «ما يلائم».
- (٤) «بن نباتة» سقطت من ب، د، ط، و.
- (٥) في و: «إلانه».
- (٦) من ب.
- (٧) في ب: «من لفظه».
- (٨) نوح: ٢٨.
- (٩) في ب، د، ك، و: «فقال»؛ وفي ط:
- «وقال»؛ وهي الأصوب كما يبدو ممّا يليها.
- (١٠) في ط: «قول».
- (١١) في ب: «ابن نباتة» مكان «الشيخ جمال الدين».
- (١٢) «كراكي»؛ وفي ب: «كراكي».
- (١٣) «كراكي»؛ وفي ب: «كراكي».
- (١٤) في د، و: «كراكي».
- (١٥) «ومن ذلك» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».
- (١٦) في ب: «الشيخ جمال الدين ابن نباتة».
- (١٧) «البيتان في ديوانه ص ٦٣»؛ وفيه: «البيتان في ديوانه ص ٦٣».

فأخذه الشيخ صلاح الدين^(١) وقال من^(٢) البحر [السريع]: /
 قلتُ له والطيرُ من فوقه يصرعه^(٣) بالبندقِ الصائبِ
 سكنتَ في قلبي فحرّكتَهُ فقال: لم أخرجَ عن الواجبِ^(٤)
 قال الشيخ جمال الدين: قلت [من الكامل]:
 وبمُهْجتي رشاً يَميسُ قوائمهُ فكأنه نشوانٌ من شفتيه
 شغف^(٥) العذارُ بخدّه ورآه قد نعتت لواحظه فذبّ عليه^(٦)
 فأخذه الشيخ صلاح الدين^(٧) وقال [من الطويل]:
 وأهيف كالغصنِ الرطيبِ إذا اثنى تميلُ حماماتُ الأراكِ إليه
 له عارضٌ لما رأى الطرفَ ناعساً أتى خدّه سرّاً فذبّ عليه^(٨)
 وأحسن ما وقع للشيخ جمال الدين في هذا الباب^(٩) أنه قال [من الوافر]:
 بروحي عاطرُ الأنفاسِ أَلَمَى^(١٠) مليّ الحُسنِ خالي^(١١) الوجنتين
 له خالانٍ في دِينارٍ خدٌّ تُباعُ له القلوبُ بحبَّتَيْنِ^(١٢)
 فأخذه الشيخ صلاح الدين^(١٣) وقال [من الوافر]:

- (١) في ب: «صلاح الدين الصفدي».
 (٢) في د، ك، و: «في»؛ وفي هامشها: «من» خ.
 (٣) في ب: «يصرعها».
 (٤) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
 (٥) في ط: «شغف».
 (٦) البيتان في ديوانه ص ٥٧٧؛ وفيه: «نواظره» مكان «لواظله».
 والعذار: الشعر النابت في موضعه العارض (اللسان ٤/ ٥٥٠ عذر).
 (٧) في ط: «الصلاح».
 (٨) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
 (٩) وفي هامش ب: «شتان بين قوله: «شغف العذار بخدّه» وبين قوله: «له عارض أتى خدّه»! . وقد أشير فوقها ب «حش».
 (١٠) في ب: «سقطت من ب؛ وفي د، ط: «في هذا الباب للشيخ جمال الدين»؛ وفي و: «في هذا الباب للشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى...».
 (١١) في و: «التي».
 (١٢) البيتان لم أقع عليهما في ديوانه و: «خالي» مشاراً تحت الخاء منها ب «ح»!
 (١٣) في ط: «الصلاح».

بِرُوحِي خَدُّهُ الْمَحْمَرُّ^(١) أَضَحَّتْ عَلَيْهِ شَامَةٌ شَرَطَ الْمَحَبَّةُ
كَأَنَّ الْحُسْنَ يَعْشُقُهُ قَدِيمًا فَنَقَطَهُ بِدِينَارٍ وَحَبَّةٍ^(٢)

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال: لا إله إلا الله، سرق الشيخ
صلاح الدين^(٣) [كما يُقال]^(٤) من الحبتين حبة^(٥).

قال الشيخ جمال الدين^(٦): قلت [من البسيط]:

يَا غَادِرًا بِي وَلَمْ أُغْدِرْ بِصُحْبَتِهِ وَكَانَ مَنِّي مَكَانَ^(٧) السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
قَدْ كُنْتُ مِنْ قَلْبِكَ الْقَاسِي إِخَالَ جَفَاءً فَجَاءَ مَا خَلَّتُهُ نَقْشًا عَلَى حَجَرٍ^(٨)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال [من الكامل]:

مَا زِلْتُ أَشْكُو حِينَ وَقَرَّ فِي^(٩) الضَّنَا قَسَمِي^(١٠) وَأَسْلَمَنِي إِلَى الْبَلْوَى وَقَرَّ
حَتَّى تَأْتَرَ^(١١) مِنْ شِكَايَةِ لَوْعَتِي لِي قَلْبُهُ فَرَأَيْتُ نَقْشًا فِي حَجَرٍ^(١٢)

قال الشيخ جمال الدين: قلت [من الكامل]:

يَا عَاذَلِي شَمْسُ النَّهَارِ جَمِيلَةٌ وَجَمَالُ^(١٣) فَاتِنْتِي^(١٤) أَلْدُ وَأَزِينُ

(١) في د: «المُحْمَرُّ».

(٢) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

(٣) في ط: «الشيخ صلاح الدين سرق».

(٤) من ط.

(٥) في هامش ب: [من الطويل]:

«رمى عليه* من صارم اللحظ قدحة»

أثارت عند* حراقي أحشائي الشرز

وما حجر قلب الحبيب وإنه

إذا رمت منه الوصل أقى من الحجر*

وقد أشير فوقها بـ «حش».

* لو قال: «فوقه»، «لدى» لكان أصلح

للوذن.

(٦) في و: «رحمه الله»؛ وفي ب: «ابن نباتة»

مكان «الشيخ جمال الدين».

(٧) في ط: «محل».

(٨) البيتان في ديوانه ص ٢٥٠.

والمثل في ثمار القلوب ص ٥٦٩.

(٩) في ط: «لي».

(١٠) في ط: «قسماً»؛ وفي نسخة مطبوعة

بشرح عصام شعيتو: «قسماً».

(١١) في ط: «توفر».

(١٢) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

في هامش ب: «لو تأثر لما وصف بأنه

حجر لأنه رق». وقد أشير فوقها بـ «حش».

(١٣) «وجمال» سقطت من د، وثبتت في

هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

(١٤) في ط: «قاتلتي».

فانظر إلى حُسْنَيْهِمَا^(١) متأملاً واذفع ملامك بالتّي هي أحسن^(٢)
فأخذه الشيخ صلاح الدين^(٣) مع البحر^(٤) [بل أخذ الكل]^(٥) بالوزن^(٦)
والقافية^(٧) وقال [من الكامل]:

بأبي فتاة من كمال صفاتها وجمال بهجتها تحار الأعين
كم قد دفعت عواذلي من^(٨) وجهها لَمَا تَبَدَّتْ بالتّي هي أحسن^(٩)
[ومن ذلك]^(١٠) قال الشيخ جمال الدين وأجاد إلى الغاية [من الوافر]:

فَدَيْتُكَ أَيُّهَا الرّامِي بقوسٍ ولحظ يا ضنّى قلبي عليه
لقوسيك نحو حاجيك أنجذبٍ وشبه الشيء منجذبٍ إليه^(١١)
فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال [من الوافر]:

تشرط من أحب فذبّت وجرأ عقيق دمي جرى فأصاب خدي
فقال وقد رأى جزعي عليه وشبه الشيء منجذبٍ إليه^(١٢)

(١) في هـ ك: «حسنيهما» ن.

(٢) البيتان في ديوانه ص ٤٨٦:

ويلومني فيها خلّي ما درى
الشمس أم تلك المليحة أزين
يا لائمي انظر حُسنَ تلك وهذه
واذفع ملامك بالتّي هي أحسن

(٣) في ب: «الصفدي»؛ وفي د، و: «الشيخ صلاح الدين الصفدي».

(٤) «مع البحر» سقطت من ك، وثبتت في هامشها.

(٥) من ب، د، ط، و.

(٦) «بالوزن» سقطت من ب، د، ط، و.

(٧) في ب، د، ط، و: «مع القافية».

(٨) في ط: «عن».

(٩) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

(١٠) من ط.

(١١) البيتان في ديوانه ص ٥٧٩؛ وفيه «جسدي» مكان «قلبي»؛ والأدب في العصر المملوكي ١٥/١.

(١٢) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

وفي هامش ب: «قال بعضهم ولم يسمع ما قال [أي ابن نباتة والصفدي] [من الوافر]:

وريم رام رمي قلبي * بقوسٍ
شديد الجذبٍ شبه حاجبيهِ
وقد مالته إليه بسهل جذبٍ
وأقبلت الظبا سعيًا لذيه
فقلت تعجّباً ماذا؟ فقالوا:

شبيه الشيء منجذبٍ إليه

[الآيات لم أقع عليها في ما عدت إليه من

ما أظنُّ أن^(١) الشيخ صلاح الدين، غفر الله له، لما سمع ما قاله الشيخ جمال الدين ونظم بعده^(٢) هذين البيتين، كان في حيِّز الاعتدال، وأين انجذاب القوس إلى الحجاب من انجذاب الدم إلى الخد؟ وليته تَلَفَّظ بالانجذاب، بل قال:

* عَقِيْقُ دَمِي جَرَى فَأَصَابَ خَدِّي *
 * عَقِيْقُ دَمِي جَرَى فَأَصَابَ خَدِّي *

ولعمري إنَّ الشيخ جمال الدين يعذر فيما نكَّته على الشيخ صلاح الدين^(٣) في براعة استهلاله بقوله^(٤) تعالى: ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾^(٥)، وقال^(٦) بعدها: «اللَّهُمَّ وَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي كَافِرًا بِفَوَائِدِي الْمُنْعَمَةِ، وَبَيْتِ شِعْرِي، سَارِقًا مِنْ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ الْمَحْكَمَةِ، فَأُخْجِلْهُ فِي سِرِّهِ وَعِلَانِيَتِهِ، وَعَاقِبْهُ عَلَى قَوْلِهِ وَعَلَى نَيْتِهِ»^(٧).

منها^(٨): «بلغني عن^(٩) بعض أدباء عصرنا ممَّنْ مَنَحْتُهُ وَدِّي، وَأَنْفَقْتُ عَلَى ذَهْنِهِ الطَّالِبِ مَا عِنْدِي، وَأَقَمْتُهُ، وَهُوَ لَا يَدْرِي الْوِزْنَ، مَقَامَ مِنْ زَكَاةِ نَقْدِي، وَأَوْدَعْتُهُ ذَخَائِرَ فِكْرِي فَأَنْفَقَهَا، وَأَعْرَثُهُ أَوْرَاقِي»^(١٠) العتيقة، فلا والله ما ردَّها/ ولا أَعْتَقَهَا، [بل]^(١١) ١٨
 إنَّه غَيَّرَ الشِّئَاءَ بِالْهَجَاءِ، وَالْوَلَاءَ بِالْجَفَاءِ^(١٢)، وَنَسَبَنِي إِلَى سَرَقَةِ بِيوتِ الْأَشْعَارِ مَعَ الْغِنَى عَنْهَا وَالْغِنَاءَ^(١٣)، فَتَغَاضَيْتُ^(١٤) وَقَلْتُ: ﴿هَمَّازٍ مَشَّامٍ بِنَبِيِيرٍ﴾^(١٥)، وَغَلَطَ^(١٦)
 صَدِيقٌ أَتَجَرَّعَهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ حَمِيمٍ، وَأَخْلَيْتُ^(١٧) مِنْ حَدِيثِهِ بَابَ فَمِي، وَمَجْلِسُ

= [مصادر]. (١٠) في هـ و: «أوراقِي» ن.

وقد أشير فوقها بـ «حش».

* لو قال: «يدي» لكان أصلح للوزن. (١٢) في د: «في الجفاء».

(١) في د: «ما أظنُّ»؛ وفي ط: «وما أظنُّ». (١٣) في د: «والغناء»؛ وفي ط: «الغناء عنها».

(٢) في ب: «بعد».

(٣) «تَلَفَّظَ بِالْانْجِذَابِ... صلاح الدين» (١٤) في ك: «فتغاضبت».

(١٥) في ب، د، ك، و: «هَمَّزَةٌ»؛ وفي ط سقطت من ط.

(٤) في ط: «بقول الله».

(٥) نوح: ٢٨.

(٦) في ط: «قال».

(٧) في ط: «ونيتته».

(٨) في ط: «ومنها».

(٩) في ط: «أن».

(١٦) في ط: «وغصّة».

(١٧) في ب: «فأخليت».

صدري، وصرفتُ ذكره عن فكري.

ولكنْ وقتُ له على تصانيف وضعها في علم الأدب، والعلم عند الله تعالى^(١)،
ووشحها، كما زعم^(٢)، بشعره، وشعري المغصوب المنهوب^(٣)، يقول: يا صاحبي
ألا لا^(٤)، ما^(٥) يتوضَّح^(٦) من جيد تلك الأشعار لُمعةً إلا ومن لفظي مُشكاتها^(٧)،
ولا تتضوَّع زهرة إلا ومني في الحقيقة نباتها، فضحكتُ والله من ذهنه الذاهل،
وذكرت على زعمه قول القائل [من الكامل]:

وفتئى يقولُ الشعْرَ إلا أنه فيما علمنا يسرقُ المسْرُوقا^(٨)
وعجبتُ [له]^(٩) كيف رضي لنفسه هذا الأمر منكراً، وكيف حلا لذوقه اللطيف
هذا الحرام مكرراً، وقد أوردتُ الآن هنا^(١٠) في هذا الكتاب قدراً كافياً، ووزناً من
الشعر وافياً، وسَميته «خبز»^(١١) الشعير لكونه^(١٢) المأكول المذموم، وعرضته على
معدلة مولانا ليعلم^(١٣) أيّنا مع خليله المظلوم^(١٤).

ولولا الإطالة لأوردتُ جميع أبيات الشيخ جمال الدين التي دخل إليها^(١٥) الشيخ
صلاح الدين بغير طريق، ليرتدع القاصر عن التناول إلى معاني الغير.

ومن البراعات التي يستهلُّ بها في هذا الأفق الذي مرآة سمائه صقيلة، براعة
المقرَّ المرحومي^(١٦) القضائي الفخري عبد الرحمن بن مكانس، مالك أزيمة البلاغة،

(١) «تعالى» سقطت من ب. (اللسان ٤٤١/١٤ (شكا)).

(١) «تعالى» سقطت من ب.

(٨) البيت لم أقع عليه في ما عدت عليه من

(٢) «كما زعم» سقطت من ط.

مصادر.

(٣) «المنهوب» سقطت من و، وثبتت في

(٩) من د، ط.

هامشها مشاراً إليها ب «صح».

(١٠) «هنا» سقطت من ط.

(٤) في هامش ط: «قوله: «وشعري إلخ»...

(١١) في ب: «الخبز».

مبتدأ؛ خبره «يقول»؛ وقوله: «ألا لا»

(١٢) «لكونه» سقطت من ط.

مقتطع من صدر بيت هو [من السريع]:

(١٣) «ليعلم» سقطت من ك، وثبتت في هامشها

قالت: ألا لا تَلَجِّنْ دَارَنَا

مشاراً إليها ب «صح».

إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَائِرٌ

(١٤) في ط: «مظلوم».

(حاشية).

(١٥) في ط: «دخلها».

(٥) في ط: «وما».

(١٦) في ط: «المخدومي».

(٦) في د، و: «تتوضَّح».

(٧) المشكاة: هي الحديدية التي يعلَّق عليها

وملك المتأخرين نثراً ونظماً^(١)، في رسالته التي كتبها^(٢) إلى المقرّ المرحوميّ القضايّي الزينيّ أبي بكر بن العجميّ، عين كتاب الإنشاء الشريف بالأبواب الشريفة [وبقية الفضلاء الذين فضلوا بالطريق الفاضلية]^(٣) بسبب^(٤) عبدالله الرعينيّ^(٥) القرويّ^(٦) الضرير، فإنني^(٧) نقلتُ من خطّ المشار إليه ما صورته: «وَرَدَ عَلَيْنَا شَخْصٌ مِنَ الْقَيْرَوَانِ ضَرِيرٌ يَتَعَاطَى نَظْمَ الشَّعْرِ الْمَقْفِيِّ الْمَوْزُونِ الْخَالِي مِنَ الْمَعَانِي، فَتَرَدَّدَ إِلَى^(٨) مَجَالِسٍ مُتَفَرِّقَةٍ، ثُمَّ بَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ وَشَى إِلَى صَاحِبِي^(٩) الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ ابْنِ الْعَجْمِيِّ بِأَنِّي اهْتَضَمْتُ مِنْ جَانِبِهِ وَأَنْقَضْتُهُ، وَعَظَّضْتُ^(١٠) مِنْهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَدَبِ، وَأَنَّهُ يَسْتَعِينُ بِكَلَامِ الْغَيْرِ كَثِيرًا فَتَأْذَى بِسَبَبِ ذَلِكَ وَتَأْذَيْتُ مِنْ كَذِبِ^(١١) النَّاقِلِ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ^(١٢) رَقْعَةً بِرَاعَةِ اسْتِهْلَالِهَا: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾^(١٣). أَقُولُ [إِنَّهُ]^(١٤) يُسْتَعْنَى بِهَذِهِ الْبِرَاعَةِ عَنِ الرَّسَالَةِ.

منها: «وبلغ المملوك أنه رمى^(١٥) بعض الأصحاب بريبة^(١٦) مثل هذه فأصمى، وتردّد إليه مرّة أخرى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(١٧) ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾^(١٧)، ولقد خسرت صفقته إذ المملوك ما برح مخلصاً لمولانا في ولائهِ^(١٨)، مبيعاً^(١٩) له على سلطنة البلاغة، وأجلّ من تشرف بحمل لوائه؛ ومولانا بحمد الله أولى من استفتى قلبه، واستدلّ على صفاء صدق محبته^(٢٠) بشواهد المحبة، والمسؤول من صدقاته أمران: أحدهما الجواب، فإنه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشدة، والآخر ردّ كل فاسق

- (١) في ط، و: «نظماً ونثراً».
- (٢) في ب، د: «رسالة كتب بها»؛ وفي ط: «رسالة كتبها»؛ وفي و: «رسالة كتبت بها».
- (٣) من ط.
- (٤) في ب: «نسيب».
- (٥) «الرعيني» سقطت من ط؛ وفي ب، د: «الزعبي»؛ وفي و: «الزعيني».
- (٦) في ط: «القيرواني»؛ وفي ب: «الضرير» القرويّ^٢.
- (٧) في ط: «فإنني».
- (٨) في ب، د: «إليّ»؛ وفي ط: «إليّ في».
- (٩) «صاحبي» مكرّرة في ب.
- (١٠) في ب: «وغضبت»؛ وفي د، ك، و: «وغضيت»؛ وفي ط: «وغضضت».
- (١١) في ب: «نقل».
- (١٢) في ك: «إليها».
- (١٣) النور: ٦١.
- (١٤) من ط.
- (١٥) في ط: «رماه».
- (١٦) في ط: «برمية».
- (١٧) عبس: ١-٢.
- (١٨) في ب: «الولاية».
- (١٩) في ب: «متابعاً»؛ وفي ط: «ومبيعاً».
- (٢٠) في و: «محبّيه».

عن [هذا] (١) الباب العالي، فإنَّ أبا بكرٍ أولى من تصلَّب (٢) في الردة. انتهى كلام القاضي فخر الدين.

ولقد كشف الشيخ جمال الدين بن نباتة عن هذا الوجه الجميل (٣) القناع، وأظهر من (٤) بهجته في «رسالة السيف والقلم» ما ليس لمطالع البدور عليه اطلاع، فإنَّ الرسالة مبنية على المفاخرة بينهما، ولما انتصب القلم لمفاخرة السيف كانت براعته: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِبِعَمَّةِ رَبِّكَ بِمَجْتَوِّنٍ ﴿٢﴾﴾ (٥)، واستهلَّ بعدها بقوله: «الحمد لله الذي علَّم بالقلم، وشرفه بالقسم». وبراعة استهلال السيف قوله تعالى (٦): ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧)، واستهلَّ بعدها (٨) بقوله: «الحمد لله الذي جعل الجنة تحت ظلال السيوف، وشرع حدَّها في ذوي العصيان فأغصتهم بماء الحتوف». [وما أظنَّ أن أحداً من المتقدمين نسج على هذا المنوال، ولا نفث في عمق أقلامهم مثل هذا السحر الحلال] (٩).

وممن طلع من العصرين في هذا الأفق الساطع وأبدر (١٠)، ورقى ببلاغته أعواد هذا المنبر، مولانا المقرَّ الأشرف، القاضي (١١) الناصري محمد بن البارزي الجهنِّي الشافعي (١٢)، صاحب دواوين الإنشاء الشريف (١٣) بالممالك الإسلامية المحروسة (١٤)، عظم الله شأنه (١٥)، فإنه اتفق له بحماة محنة (١٦) كان لطف

- (١) من ط. (١٢) في ط: «القاضي ناصر الدين بن البارزي» مكان: «مولانا... الشافعي».
- (٢) في ط: «يصلب».
- (٣) «الجميل» سقطت من ط.
- (٤) «من» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
- (٥) القلم: ١-٢.
- (٦) «قوله تعالى» سقطت من ب، د، و.
- (٧) الحديد: ٢٥.
- (٨) في ط: «بعده».
- (٩) من ط.
- (١٠) في ط: «فأبدر».
- (١١) في ب، د، و: «العالي القاضي...».
- (١٢) في ط: «القاضي ناصر الدين بن البارزي» مكان: «مولانا... الشافعي».
- (١٣) في ب: «الشريف» مصححة في المتن نفسه عن «الشريفة» بشطب التاء.
- (١٤) «المحروسة» سقطت من ط؛ وفي هـ ك «المحروسة» ص.
- (١٥) سقطت من ط؛ وفي ب: «عظم الله سبحانه وتعالى شأنه»؛ وفي د: «عظم الله تعالى شأنه»؛ وفي هـ ك: «وقاه الله».
- (١٦) في ب، د، و: «بحماة المحروسة، وقاه الله محنة...».

الله^(١) متكفلاً له بالسلامة منها، ولم يضرم نارها إلّا من عُذِّي بلبان نعمته قديماً وحديثاً، فالحمد لله الذي أسعف الإسلام والمسلمين بنجاته، ومَتَعَ^(٢) العلم [الشريف]^(٣) والرئاسة بطول حياته، ولَمَّا هاجر من حماة المحروسة إلى دمشق المحروسة^(٤)، كان مولانا^(٥) السلطان الملك المؤيد، خَلَدَ الله ملكه^(٦)، إذ ذاك^(٧)، كافلها، ففَوَّضَ إليه خطابة الجامع الأمويّ، فلم يبقَ أحد من أعيان دمشق^(٨) المحروسة^(٩) حتّى حضر في تلك الجمعة، لأجل سماع خطبته^(١٠)، فكانت براعة الخطبة^(١١): «الحمد لله الذي أيدَ محمداً بهجرته، ونقله من أحبّ البقاع إليه لما اختاره من تأييده ورفعته، فَعَلَا^(١٢) بالجامع الأمويّ أصوات ترتّم حرّكت أعواد المنبر طرباً إليه^(١٣)، وكاد التسر^(١٤) أن يصقّق لها بجناحيه [عجبا]^(١٥)».

وما أَلْطَفَ براعة سيّدنا^(١٦) الإمام العالم^(١٧) العلامّة قاضي القضاة^(١٨)، نور الدين أبي الثناء محمود الشافعيّ، الناظر في الحكم العزيز بحماة المحروسة، الشهر^(١٩) بخطيب الدهشة بها^(٢٠)، فسح الله تعالى^(٢١) في أجله^(٢٢)، في كتاب

- (١) في ب: «الله سبحانه»؛ وفي ط: «الله تعالى».
- (٢) في ط: «وأمتع».
- (٣) من ط.
- (٤) في ب: «المأنوسة».
- (٥) في ط: «كان إذ ذاك مولانا».
- (٦) «خَلَدَ الله ملكه» سقطت من ط؛ وفي ب: «خَلَدَ الله سبحانه ملكه».
- (٧) «إذ ذاك» سقطت من ط هنا، وثبتت قبل «مولانا».
- (٨) في ب: «الأعيان بدمشق».
- (٩) «المحروسة» سقطت من ب، ط.
- (١٠) في ب، ط: «الخطبة».
- (١١) في ب، ط: «خطبته».
- (١٢) ورد في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: «في الأصل: «فَعَلَا»، والأصح ما أثبتناه؛ وهذا وهم، إذ إنه يجوز
- تذكير الفعل مع فاعله المؤنث إذا فُصِّلَ بينهما.
- (١٣) «إليه» سقطت من ب، د، ط، و.
- (١٤) في و: «النصر».
- (١٥) من ط.
- وفي هامش ب: «الحمد لله الذي ما صقّق، فإنّه لو صقّق لخرّ الجامع راکعاً، وتمّ الناس سجوداً إلى يوم القيامة». وقد أشير فوقها بـ «حش».
- (١٦) في ب: «مولانا».
- (١٧) «العالم» سقطت من ب، د، و.
- (١٨) في ط: «الشيخ العلامّة» مكان «سيدنا... القضاة».
- (١٩) في ب، د، ط، و: «والشهير».
- (٢٠) في ط: «بحماة المحروسة».
- (٢١) في ب: «سبحانه».
- (٢٢) «فسح... أجله» سقطت من ط.

«الأدعية» له^(١)، المسمّى^(٢) بـ«دواء المصاب في الدعاء المجاب»، وهي: «الحمد لله سامع الدعاء، ودافع البلاء». وفيها البناء والتأسيس فإنّه أشار بـ«سامع الدعاء» إلى «الدعاء المجاب» وبـ«دافع البلاء» إلى «دواء المصاب».

وأما براعة خطيب الخطباء أبي يحيى عبد^(٣) الرحيم بن نباتة الفارقي، فإنّها شغلت أفكاره مدّة ولم يسعني غير السكوت والإحجام عنها، فإنه استهلّها في خطبة وفاة النبيّ، (ﷺ)، بقوله: «الحمد لله المتّقم ممّن خالفه، المهلك لمن^(٤) أسفه». ولقد^(٥) اعتذر عنها جماعة من كبار^(٦) العلماء.

وأورد الشيخ سرّي الدين بن هانئ في شرحه الذي كتبه على ديوان الخطب عن^(٧) هذه البراعة عذراً لأبي البقاء، أرجو أن تهبّ عليه نسמת القبول.

وما أحشم ما استهلّ الشيخ^(٨) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في خطبة وفاة النبيّ، (ﷺ)، بقوله: «الحمد لله الذي استأثر بالبقاء، وحقّ له أن يستأثر، وحكم بالفناء على سكّان هذا الفناء، فأذعنوا لحكمه القاهر».

وأما خطبة الشيخ صفّي الدين^(٩) في صدر [شرح]^(١٠) بديعته، فإن استهلالها نير ولكن فيه بعض نظر ومباينة^(١١) عمّا نحن فيه، فإنّه قال: «الحمد لله الذي حلّل لنا سحر البيان». وكتابه مبنيّ على البديع، ولهذا^(١٢) استهلّيت خطبة^(١٣) [شرح]^(١٤) بديعتي^(١٥) بقولي: «الحمد لله البديع الرفيع»^(١٦). ولما جمعت ديواني استهلّيت

(١) في ط: «أدعيته».

(٢) في ب: «المسمّاة».

(٣) بعدها في و: «الكريم» مشطوبة.

(٤) في ط: «من».

(٥) في و: «ولو».

(٦) في ط: «أكابر».

(٧) في ط: «على».

(٨) في ب: «الإمام العلامة»؛ وفي و: «الإمام».

(٩) في ب، د، و: «صفّي الدين الحلّي».

(١٠) من ط.

(١١) في ط: «نظر وبعض مباينة».

(١٢) في ب: «لهذا».

(١٣) في ك: «خطبتي»؛ وفي هامشها

«خطبة...» في: «خطبة بديعتي» خ.

(١٤) من ط.

(١٥) «بديعتي» سقطت من ك، وثبتت في

هامشها مشاراً إليها بـ خ في: «خطبة

بديعتي» خ.

(١٦) في هامش ب: «إن قصد التورية، فقد

أخطأ خطأ فاحشاً، لأن التورية أن يكون

للّفظه معنيان، قريب يتبادر [إليه] الذهن،

وبعيد يقصده المتكلّم، وعلى هذا فيكون =

خطبته^(١) بقولي: «الحمد لله الذي لا يحصر مجموع فضله ديوان».

وكان قد^(٢) رسم لي أن أنشئ صداقاً شريفاً لمولانا السلطان^(٣) الملك^(٤) الناصر، وأنا إذ ذاك بدمشق المحروسة^(٥)، وقد حلّ ركابه الشريف بها على بنت المقر^(٦) الأشرف^(٧) السيفي^(٨) المرحوم^(٩) كمشبغا^(١٠) الظاهري الحموي، فاستهليت^(١١) بقولي: «الحمد لله الذي أيد السُّنة الشريفة بقوة وناصر»^(١٢).

وتمثّلت بعد هذا التاريخ^(١٣) بالمواقف الشريفة الإمامية الخليفة^(١٤) المستعينية العباسية، زاد الله شرفها تعظيماً، فبرزت لي^(١٥) أوامرها المطاعة، أن أنشئ عنها^(١٦) عهداً شريفاً^(١٧) بكفالة السلطنة الشريفة^(١٨) بالبلاد الهندية للسلطان الملك^(١٩) العادل

= ما قصده: «الحمد لله الذي هو علم البديع؛ وإن لم يقصد التورية، فلا فرق بين قوله: «الحمد لله البديع»، وبين قوله: «الحمد لله السميع والعليم والقدير»؛ فتأمل». وقد أشير فوقها بـ «حش».

(١٢) في هامش ب: «الصواب معه، لأنه ذكر الفنّ المتوسط من الفتن، أعني فنّ المعاني والبديع، وهو من باب ذكر البعض وإرادة الكلّ، ومبنى علم البديع على علمي المعاني والبيان، لأنّ علم البديع يراعى فيه العُلمان، ولا يُراعى هو فيهما، إن حضر كان زيادة تحسين، وإن لم يحضر فلا يفتقر إليه، وكثير من الناس يسمّي الثلاثة «علم البيان»، وبعضهم يسمّي «البيان والبديع» علمَ البيان، والأوّل علم المعاني، وبعضهم يسمّي الثلاثة «علم البديع»، فحينئذٍ النظرُ فيه نظرٌ؛ فتأمل ذلك». وقد أشير فوقهما بـ «حش».

(١) في ط: «خطبتي».

(٢) في و: «وقد كان».

(٣) مكان «شريفاً لمولانا السلطان» سقطت من ط.

(٤) في ط: «للملك».

(٥) «المحروسة» سقطت من ط.

(٦) «المقرّ» سقطت من ط.

(٧) في ب، ط، و: «الشريف».

(٨) «السيفي» سقطت من ب.

(٩) «المرحوم» سقطت من ب، د، و؛ وفي ط: «المرحوم الشريف السيفي» مكان الأشرف السيفي المرحوم؛ وفي ك: «المرحوم» كتبت فوق «السيفي».

(١٠) في ط: «كشبغا».

(١١) في ط: «فاستهليت».

(١٣) في ب: «التأليف».

(١٤) في ب، ط، و: «الخليفة».

(١٥) في ط: «إلي».

(١٦) «عنها» سقطت من ط.

(١٧) «شريفاً» سقطت من ط.

(١٨) «الشريفة» سقطت من ط.

(١٩) «الملك» سقطت من ط.

مظفر شاه شمس الدُّنيا والدِّين، صاحب حضرة^(١) دِهْلِيّ^(٢) والفتوحات/ الهندية، ١٩ فاستهلّيت براعته بقولي: «الحمد لله الذي وثق عهد النجاح للمستعين به». وقلت بعد الاستهلال: «وثبت أوتاده ليفوز من تمسك، من غير فاصلة، بسببه، وزين السماء الدنيا بمصاييح وحفظاء^(٣) وأفرغ^(٤) على أعطاف^(٥) الأرض حلال الخلافة الشريفة، وعلم أنّ في خَلْفِهَا الزاهر زهرة الحياة الدنيا، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٦)، واختارها من بيت براعة استهلاله من أوّل بيت وضع للناس، وسبقت إرادته [سبحانه]^(٧)، وله الحمد أن تكون^(٨) هذه النهلة الشريفة^(٩) من سقاية [بني]^(١٠) العباس». وذلك في العشر الأخير^(١١) من رمضان^(١٢)، سنة ثلاث عشرة وثمانمئة.

ومما أنشأته بالديار^(١٣) المصرية، وأنا^(١٤) منشئ ديوان الإنشاء الشريف المؤيّد^(١٥) [بالممالك الإسلامية]^(١٦) تقليد مولانا المقرّر الأشرف القاضي الناصريّ محمد بن البارزيّ [الجهني الشافعيّ، عظم الله شأنه]^(١٧)، بصحابة ديوان الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية، بتاريخ شوال سنة خمس عشرة وثمانمئة، واستهلّيته بقولي: «الحمد لله الذي أودع محمداً سرّه». وقلت بعد الاستهلال: «وجعله ناصر دينه فحلّ به عقد الشرك وشدّ أزّره، وأرسله لينشئ مصالح الأمة فهدينا^(١٨) بترسلاته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، وميّز^(١٩) ديوان

- (١) «حضرة» سقطت من ط.
(٢) ورد في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: (١٢) في ب: «شهر رمضان»؛ وفي ب، د، و: «نظّمها دلهي»، وقد أصابها التحريف.
(٣) في كلّ النسخ: «وحفظاء»، فصحتها بما يتناسب والمعنى.
(٤) في ط: «فأفرغ».
(٥) في ط: «أطراف».
(٦) البقرة: ٣٠.
(٧) من ب.
(٨) في ب: «يكون».
(٩) «الشريفة» سقطت من ب.
(١٠) في ط: «ويين».
(١١) في ط: «ويين».
(١٢) في ط: «ويين».
(١٣) في ط: «في الديار».
(١٤) في ط: «وقد استقرّيت».
(١٥) «المؤيّد» سقطت من ط.
(١٦) من ط.
(١٧) من ب، د، ط، و؛ وفي ب: «... الله سبحانه وتعالى...»؛ وفي د، و: «... الله تعالى...».
(١٨) في ط: «فهدينا».
(١٩) في ط: «ويين».

إنشائنا^(١) الشريف، بصاحب من بيته^(٢) ظهر التمييز بكفايته^(٣)، وأيد الإسلام والمسلمين بملك مؤيد تمسك بمحمد وصحابته.

وأنشأت بعد هذا^(٤) التاريخ توقيعاً لرئيس الطبّ بالديار المصرية، فكانت براعته: «الحمد لله الحكيم اللطيف»^(٥).

وبراعة الشيخ صلاح الدين الصفدي في خطبة^(٦) «شرح لامية العجم» في غاية الحسن، فإنه استهلّها بقوله^(٧): «الحمد لله الذي شرح صدر من تأدّب، والكتاب^(٨) مبني على شرح^(٩) شيء من علم الأدب».

وأما البراعات التي تقبيلها يحلو^(١٠) بوجنات الطروس، فمنها براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة، في^(١١) رسالة كتبها إلى القاضي علاء الدين الحسيني^(١٢) واستهلّها بقوله: «يقبل الأرض العلية على السحاب نسباً». وقال بعد الاستهلال: «الموفية^(١٣) على حصباء الأنجم حسباً».

[هذا الأدب إن أطنبت في وصفه فهو فوق الوصف]^(١٤).

وكتب إليه الشيخ برهان الدين القيراطي من القاهرة المحروسة إلى دمشق^(١٥) رسالة بليغة واستهلّها بقوله: «يقبل الأرض التي^(١٦) سقت السماء نباتها»، وقال بعد البراعة: «وحرس الله^(١٧) ذاتها، وعمر بمعاني^(١٨) الأنس^(١٩) أبحاثها».

- (١) في ط: «الإنشاء».
- (٢) في ط: «بيت».
- (٣) في ط: «بكتابه».
- (٤) في ك: «هذا» كتبت فوق «بعد».
- (٥) في هامش ب: «قدّم الكلام عليه في قوله: «الحمد لله البديع الرفيع». وقد أشير فوقها بـ «حش».
- (٦) «خطبته» سقطت من ط؛ وفي و: «خطبته» سقطت من ط.
- (٧) «الحمد لله الحكيم استهلّها بقوله»
- (٨) سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح صح».
- (٩) في ب: «والكلام».
- (١٠) في ط: «يحلو تقبيلها»؛ وفي ك: «تحلو» بالتاء.
- (١١) في ط: «من».
- (١٢) في ط: «الحسيني».
- (١٣) في ب، د، ك، و: «الوفية»؛ وفي ط: «الموفية».
- (١٤) من ط.
- (١٥) في ب: «دمشق المأنوسة»؛ وفي د، ط، و: «دمشق المحروسة».
- (١٦) في ب: «مذ».
- (١٧) في ب: «الله سبحانه».
- (١٨) في ك: «بمحاسن»؛ وفي هامشها «بمعاني» صح.
- (١٩) في ط: «الحسن».

ومن أظرف ما وقع من البراعات المتشحة^(١) برداء^(٢) التنكيت^(٣) براءة القاضي فخر الدين عبد الوهاب، كاتب الدرج^(٤)، فإنه كان له صديق يتهم^(٥) بعبده، فكتب إليه رسالة يذاعبه^(٦) فيها، واستهلها بقوله: «يقبل اليد الشهائية، كثر الله عبيدها»، وقال بعد البراعة: «وضاعف خدمها وأضعف حسودها». وقد خطر لي أن أوردتها بكمالها لوجازتها وغرابة أسلوبها، فإنه قال بعد «يقبل^(٧) اليد^(٨)»: «وينهي بعد ولاء يمتد، ودعاء يشتد^(٩)، وثناء كأنه عنبر أو كافور أو ندى^(١٠)، إن مولانا توجه، والأعضاء خلفه^(١١) سائرة، وكل ذي^(١٢) عين لغيبته ساهرة، ولا يخفى عليه شوق العليل إلى الشفاء، والظمان إلى انصباب^(١٣) الماء، والغريب إلى بلده، والمحصور إلى سعة مسلكه ومقعده، فمولانا يطوي هذه الشقة ويقصر [هذه]^(١٤) المدة، ويدع أحد غلماناه يسد مسدّه^(١٥)، والمملوك^(١٦) قلق لسماع أخبار التشويش في البلاد، وتطرق أهل الجرائم والفساد، فمولانا يرسم لغلماناه أن يشتمروا في خدمته ذليلاً، ويسهروا عليه بالثوبة^(١٧) لمن يطرق ليلاً، والله المسؤول أن تكون هذه السفارة معجلة، ويخص^(١٨) فيها بالتبرك مخرجه ومدخله، ويبلغه من فضله مزيداً، / ٩ ب ويجعله^(١٩) يوماً^(٢٠) عليه^(٢١) مباركاً وليلاً^(٢٢) عليه سعيداً».

- (١) في ط: «المتوشحة».
- (٢) في د: «برُد».
- (٣) في ط: «التبكيث».
- (٤) في د: «الدرج الشريف».
- (٥) في ب، ط: «متهم».
- (٦) في ب، د، ك: «يذاعبه».
- (٧) في ب: «تقبيل».
- (٨) في د: «اليد» مصححة في المتن نفسه عن «الأرض»، وفي هامشها «اليد» ن.
- (٩) في ط: «يستد». [بمعنى يستجاب].
- (١٠) ورد في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: «راوند»؛ و«الراوند: نبات عشبي يطلق البطن»؛ وهو تصحيف، بل هو جهل بقراءة الكلمات.
- (١١) في ب: «تقبيل».
- (١٢) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (١٣) في ب: «ويجعل».
- (١٤) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (١٥) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (١٦) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (١٧) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (١٨) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (١٩) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (٢٠) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (٢١) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».
- (٢٢) في ب: «ويحظى»، وفي د: «ويخلص».

وكتب المقرّ المجديّ^(١) فضل الله بن مكانس، مجد الأدب^(٢) الذي ظهر من بيته^(٣) فخره، ورضيع لبانه^(٤) الذي ما سقانا منه ذرةً إلّا وقلنا^(٥) لله دَرُهْ!، إلى والده المقرّ المرحوميّ الفخريّ من القاهرة المحروسة^(٦)، إلى حلب المحروسة^(٧)، وهو صحبة الركاب الشريف الظاهريّ يشكو [إليه]^(٨) رمداً حصل له بعده، كان صدر رسالته^(٩) [من البسيط]:

ما الطَّرْفُ بَعْدُكُمْ بِالنُّومِ مَكْحُولٌ هَذَا وَكَمْ بَيْنَنَا مِنْ رَبِّعِكُمْ مَيْلٌ^(١٠)
وقال بعد الاستهلال: «لا استهلّت لمولانا دموع، ولا جفا جفنه^(١١) مدى الليالي هجوع». ومنها^(١٢): «يطالع العلوم الكريمة بما قاساه طرف^(١٣) المملوك من الرمد، وما حصل عليه من الكمد [من الخفيف]:

إِنَّ عَيْنِي مَذْغَابَ شَخْصُكَ عَنْهَا يَأْمُرُ السَّهْدُ فِي كَرَاهَا وَيَنْهَى
بدموعٍ قَدْ أَشْبَهَتْهَا^(١٤) الغوادي لا تَسْلُ مَا جَرَى عَلَى الْخَدِّ مِنْهَا^(١٥)
فلو رآه وقد أخذت عينه^(١٦) من العناصر الثلاثة بنصيب، وعوضها الهواء عن التراب بمضاعفة الماء واللهيب، لرأى من مائها^(١٧) ما يُفْحَمُ الْقُلُوبَ، ومن دمعا ما هو البلاء المصبوب، واستمرّ انهماؤها^(١٨) حتى أنشدها المتوجّع [من السريع]:

- (١) في ب: «المقرّ المخدوميّ المجديّ»؛ وفي ط: «المقرّ المخدوميّ».
(٢) في ب: «الأدب».
(٣) في ب: «بيت الأدب».
(٤) في د: «لبابه».
(٥) في ط: «قلنا».
(٦) «المحروسة» سقطت من ط؛ وفي ب: «المأنوسة».
(٧) «المحروسة» سقطت من ط.
(٨) من ط.
(٩) في ط: «وكان مبدأ الرسالة قوله».
(١٠) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.
(١١) في ب: «عيناها».
(١٢) في ب، د، ط، و: «من نارها»؛ وفي هـ ك: «من نارها» ص.
(١٣) في ك: «انهما لهما».
(١٤) في ب: «جنبه».
(١٥) في ب، د، ط، و: «منها».
(١٦) «طرف» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
(١٧) في ط: «كأنهنّ» مكان «قد أشبهتها».
(١٨) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
والغوادي: ج غادية، وهي السحابة التي تنشأ فتمطر غدوة. (اللسان ١١٨/١٥ غدا)).

* قارنها الدمع فبئسَ القرينُ^(١) *

وطالت مدة رمده حتى لقد أتى على الإنسان حين». منها^(٢): «وتزايد خوف المملوك على مقلتيه، وشحُّه بكريمته، ففصد في الذراعين، وكاد أن^(٣) يصير [لولا أن منَّ الله تعالى عليه]^(٤) أثراً بعد عين».

وكتب إلى المقرِّ المجدِّي^(٥)، المشار إليه، سيِّدنا الإمام العلامة الذي صلَّت بلغاء^(٦) العصر خلف إمامته، وملك قياد البلاغة ببراعته وعبارته، بدر الدين، رحلة الطالبين، أبو عبدالله محمد بن الدماميني المالكي المخزومي^(٧)، فسح الله في أجله^(٨)، جواباً عن حلِّ لغزٍ في وزدٍ أرسله إليه، فاستهله بقوله: «يقبل الأرض وينهي ورود الجواب الذي شفى الصدورَ وروده». وقال بعد الاستهلال: «واللغز الذي نُشيئ^(٩) بورده^(١٠) [منه]^(١١) بأن الحمى وزروده».

منه: «فاستحلي^(١٢) المملوك [منه]^(١٣) بالتحريف وِزْدَة، ووَدَّ لو اقتطف من أغصان حروفه وِزْدَة، فردّه ذلَّ التقصير عارياً عن ملابس عزّه^(١٤)، وأنشده قول ابن قلاقس وهو يُقلِّي بنار عجزه [من الوافر]:

إذا منعنك أشجارُ المعالي جناها الغصَّ^(١٥) فافنَّع بالشَّمِيم^(١٦)
[فظهر من طريق سعده نصره]^(١٧).

منه^(١٨): «وعلم أنَّ هذا الورد لا يحسُن من غير تلك الحضرة، وأنَّ هذه الفاكهة لا

(١) الشطر لم أقع عليه في ما عدت إليه من (١٠) في ط: «بوروده».

مصادر. (١١) من ط.

(٢) «منها» سقطت من ب، ط. (١٢) في ب، ط، و: «فاستحلي».

(٣) «أن» سقطت من ب. (١٣) من ط.

(٤) من ط. (١٤) في د: «غيره».

(٥) في ط: «المخدومي».

(٦) في ط: «جماعة أهل». (١٦) البيت في ديوانه ص ٥١٦؛ وفيه:

(٧) في ط: «المخزومي المالكي». «جباها؛ و» بالهشيم.

(٨) سقطت من ط؛ وفي ب: «فسح الله سبحانه في أجله».

(٩) من ط. (١٧) من ط.

(١٠) «منه» سقطت من ط.

(١١) في ب، د، ط، و: «نسي».

يخرجها^(١) إلا أغصان أقلام لها بالرّاحة^(٢) المخدوميّة بهجّة ونضرة».

منه^(٣): «وتمشّي نظر المملوك من^(٤) هذا اللغز في بساتين الوزير على الحقيقة^(٥)، ورأى^(٦) كلّ وردة وآخت الوجنات الحمر^(٧) فتحيرّ أهي وردة^(٨) أم شقيقة، وعلمت أنّ الفكرَ القاصر لا يجاري منْ بديهته منْ بحار الفضل رويّة، وأنّ الخاطر الذي هو على ضعفه^(٩) من رعايا الأدب، لا يقوى على سلطان هذا اللغز لأنّ شوكنه قويّة».

[منه^(١٠)]: «وتمتعت من ورده الوارد بالمشموم، ثم تذكّرت البعدَ عن جناب المخدوم، فاستقظّر البين ماء الورد من حدّقي».

وكتبتُ إلى القاضي بدر الدين، المشار إليه^(١١)، من القاهرة المحروسة إلى الثغر المحروس^(١٢)، في منتصف ربيع^(١٣) الآخر^(١٤) سنة اثنتين^(١٥) وثمانمئة، عند دخولي^(١٦) إليها في البحر، هارباً من طرابلس الشام^(١٧) المحروس^(١٨)، وقد عضّت عليّ أنيابُ الحرب بغيرها، رسالة مشتملة على حكاية الحال، ووَرّيت^(١٩) في براعتها بمصنّفين له، أحدهما «الفواكه البدرية» الذي جمعه من ثمار آدابه^(٢٠)، والثاني «نزول الغيث» الذي نكّث به^(٢١) على الغيث الذي^(٢٢) انسجم، في «شرح لامية العجم»، للشيخ صلاح الدين الصفديّ، واستهلّيتها بقولي: «يقبل الأرض التي سُقي دوحُها/

(١) في ط: «لا تخرجها».

(٢) في ط: «بيدي الراحة».

(٣) في ط: «ومنه».

(٤) في و: «في».

(٥) في ط: «الحديقة».

(٦) في ط: «فرأى».

(٧) في د: «الخمر».

(٨) في ط: «أوردة هي».

(٩) في ط: «ضعف».

(١٠) من ط.

(١١) إلى القاضي بدر الدين المشار سقطت من ط.

(١٢) إلى الثغر المحروس سقطت من ط.

(١٣) في ب: «شهر ربيع».

(١٤) في ط: «الآخرة».

(١٥) في ب، د، ك، و: «اثنين»؛ وفي ط:

«اثنتين».

(١٦) في ب: «دخوله».

(١٧) «الشام» سقطت من د، ك؛ وثبتت في هـ

ك مشاراً إليها ب «صح».

(١٨) «المحروس» سقطت من ب، د، ط، و.

(١٩) في ط: «ورّيت».

(٢٠) في ب: «الأدب»؛ وفي ط، و: «أدبه».

(٢١) «به» سقطت من ب؛ وفي ط، و: «فيه»؛ وفي هـ ك: «فيه» خ مكان «به» خ.

(٢٢) «نكّث به على الغيث الذي» سقطت من ب.

بـ«نزول الغيث» فأثمر «الفواكه»^(١) البدرية»، «وقلت بعد الاستهلال: «وطلع بدر كمالها من المغرب»^(٢) فسلمنا لمعجزاتها»^(٣) المحمدية، وجرى لسان البلاغة في ثغرها فسما على^(٤) العقد بنظمه المستجاد، وأنشد، لا فضلَ الله فاه، وقد ابتسم عن محاسنه التي لم يخلق مثلها في البلاد [من الوافر]:

لقد حَسُنَتْ بِكَ الأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ^(٥) ابْتِسَامُ^(٦)
منها^(٧): «فأكرم»^(٨) به مورد^(٩) فضلٍ ما برح^(١٠) منهله العذب كثير الزحام،
ومدينة علم تشرّفت بالجناب المحمديّ فعلى ساكنها السلام، ومجلس حُكْم ما
ثبت^(١١) لمُدْعَى الباطل^(١٢) به حجة، وعرفات أدبٍ إن وقفت^(١٣) بها وقفة صرت^(١٤)
على الحقيقة ابنَ حَجَّة^(١٥)، وأفق معالٍ^(١٦) بالغ في سمو بدره، فلم يقنع بما دون
النجوم، وميدان عربيّة تجول^(١٧) فيه فرسان الفصاحة^(١٨) من بني مخزوم.

منها: «أورّى بدخوله إلى دمشق ومطارحته»^(١٩) للجماعة؟ وتالله ما لفرسان
الشقراء والأبلق^(٢٠) في هذا الميدان مجال، وإذا اعترفوا بما^(٢١) حصل للفارس
المخزوميّ عندهم من الفتح^(٢٢)، ﴿كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(٢٣)، وينهي بعد أدعية

- (١) في ط: «وأثمر بالفواكه».
(٢) في ط: «الغرب».
(٣) في ط: «لمعجزاته».
(٤) في ك، و: «علي».
(٥) في ب، ط: «الدنيا».
(٦) البيت للمتنبي في ديوانه ص ١٠٤.
(٧) «منها» سقطت من ط.
(٨) في ب: «أكرم».
(٩) في ط: «من مورد».
(١٠) في ب: «غدا».
(١١) في ب: «لما يثبت».
(١٢) «به» سقطت من د.
(١٣) في د: «وَقَفْتُ».
(١٤) في و: «صرت» مصححة عن «صنت»؛
وفي هامشها: «صرت».
(١٥) في ط: «والبلق».
(١٦) في ط: «عرفوا ما».
(١٧) «من الفتح» سقطت من ك، وثبتت في
هامشها مشاراً إليها بـ«ص».
(١٨) في ب: «لفته»، يقصد: (ومطارحته).
(١٩) في ب: «ومطارحته» مصححة عن
«ومطالفتة». (وكتب «رحته» فوق
«البلغة» صح.
(٢٠) في ب: «البلق»؛ وفي ط: «العربية»؛
وفي و: «الفصاحة» مشطوبة؛ وفي هـ و:
«البلاغة» صح.
(٢١) في ب: «ومطارحته» مصححة عن
«ومطالفتة». (وكتب «رحته» فوق
«البلغة» صح.
(٢٢) في ب: «ومطارحته» مصححة عن
«ومطالفتة». (وكتب «رحته» فوق
«البلغة» صح.
(٢٣) في ب: «ومطارحته» مصححة عن
«ومطالفتة». (وكتب «رحته» فوق
«البلغة» صح.
(٢٤) في ب: «ومطارحته» مصححة عن
«ومطالفتة». (وكتب «رحته» فوق
«البلغة» صح.
(٢٥) في ب: «ومطارحته» مصححة عن
«ومطالفتة». (وكتب «رحته» فوق
«البلغة» صح.

ما برح المملوك منتصباً لرفعها، وتغريد أفنته^(١) ما لسجع^(٢) المطوّق في الأوراق النباتية حلاوة^(٣) سجعها^(٤)، وأشواق برّحت^(٥) بالمملوك، ولكن تمسك في مصر بالآثار [من الوافر]:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار^(٦)

[وهذه الرسالة لكونها نظمت في طويل البحر ومدیده، يفتر إلى سرد غالبها لتعلقها بحكاية الحال]^(٧).

منها^(٨): «وينهي وصول المملوك إلى مصر محتمياً^(٩) بكنانتها، وهو بسهام^(١٠) اليبين مصاب، مذعوراً^(١١) لما شاهده^(١٢) من المصارع عند مقاتل الفرسان في منازل الأحباب، مكلماً من ثغر طرابلس الشام بالسنة الرّماح، محمولاً على جناح غراب وقد حكم عليه اليبين أن لا يبرح من^(١٣) سفره على جناح [من مخّلع البسيط]:

وكان^(١٤) في اليبين ما كفاني فكيف باليبين والغراب^(١٥)

منها: «يا مؤلانا، وأبتك^(١٦) ما لاقيت من أهوال البحر وأحدث عنه ولا حرج، فكم وقع المملوك^(١٧) من أعاريضه في زحاف قطع^(١٨) منه القلب، لما دخل إلى دوائر تلك اللجج، وشاهدت منها^(١٩) سلطاناً جائراً ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(٢٠)؛ ونظرت إلى الجوّاري الحسان وقد رمّت أزر قلوّعها، وهي بين يديه لقلّة رجالها تُسبى،

- (١) في د: «أفنية»؛ وفي ب، ط، و: «أثنية» . (١٠) في ط: «بسهم» .
 (٢) في ك: «لسجع» . (١١) في ط: «مذعور» .
 (٣) في ط: «مثل» . (١٢) في ط: «عاينه» .
 (٤) في ك: «سجعها» . (١٣) «من» سقطت من ط .
 (٥) في ب: «ما برحت» . (١٤) في ب: «فكان» .
 (٦) البيت لإسحق الموصليّ في الإعجاز والإيجاز ص ١١٨؛ ومعجم الأدباء ٦/ ٣٢؛ والأمثال والحكم ص ٩٣؛ ونهاية الأرب ٩٢/٣ . (١٥) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر .
 (٧) من ط . (١٦) في د: «وأشنتد» .
 (٨) «منها» سقطت من ط؛ وفي ب: «ومنها» . (١٧) في د: «للمملوك» .
 (٩) «منها» سقطت من ط؛ وفي ب: «ومنها» . (١٨) في ط: «تقطع» .
 (١٠) في ب، د، ط، و: «منه» . (١٩) في ب، د، ط، و: «منه» .
 (١١) في ط: «مخيماً» . (٢٠) الكهف: ٧٩ .

فَتَحَقَّقْتُ أَنْ رَأَيْ مِنْ جَاءِ يَسْعَى فِي الْفَلِكِ جَالِسًا^(١) غَيْرَ صَائِبٍ، وَاسْتَصَوَّبْتُ هُنَا رَأْيِي مِنْ جَاءِ يَمْشِي وَهُوَ رَاكِبٌ، وَزَادَ الظَّمَا بِالْمَمْلُوكِ وَقَدْ اتَّخَذَ فِي الْبَحْرِ سَبِيلَهُ، وَكَمْ قَلْتُ مِنْ شِدَّةِ الظَّمَا: يَا تَرَى، قَبْلَ الْحَفْرَةِ، أَطْوِي مِنَ الْبَحْرِ هَذِهِ الشُّقَّةَ الطَّوِيلَةَ؟ [مِنَ الْبَسِيطِ]:

وَهَلْ أُبَاكِرُ بَحْرَ النِّيلِ مَنْشَرِحًا وَأَشْرِبُ الْحُلُوءَ مِنْ أَكْوَابِ مَلَّاحٍ^(٢) بَحْرٌ تَلَاطَمَتْ عَلَيْنَا أَمْوَاجُهُ، حِينَ^(٣) مُنْنَا مِنَ الْخَوْفِ وَحُمِلْنَا عَلَى نَعْشِ الْغَرَابِ، وَقَامَتْ وَآوَاتِ دَوَائِرِهِ مَقَامَ «مَعَ» فَنَصَبْنَا^(٤) لِلْغُرُقِ لَمَّا اسْتَوَتْ الْمِيَاهُ وَالْأَخْشَابُ، وَقَارَنَ الْعَبْدُ فِيهِ سُودَاءَ اسْتَرَقَتْ مَوَالِينَا^(٥) وَهِيَ جَارِيَةٌ، وَغَشِيَهُمْ مِنْهَا فِي^(٦) الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ فَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَلَشِيَةِ^(٧)؟ وَاقَعَهَا الْحَرْبُ^(٨) فَحَمَلْتُ بِنَا وَدَخَلَهَا الْمَاءُ فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ، وَانْشَقَّ قَلْبُهَا لِفَقْدِ رَجَالِهَا، وَجَرَى مَا جَرَى عَلَى ذَلِكَ الْقَلْبِ فِقَاضٍ^(٩)، وَتَوَشَّحَتْ بِالسُّودِ فِي هَذَا الْمَأْتَمِ^(١٠) وَسَارَتْ عَلَى الْبَحْرِ وَهِيَ مِثْلُ، وَكَمْ سُمِعَ فِيهَا^(١١) لِلْمَغَارِبَةِ عَلَى ذَلِكَ التَّوَشِيحِ زَجَلٌ، بَرَجَ مَائِي وَلَكِنْ يُعْرَبُ^(١٢) فِي رَفْعِهَا وَخَفَضِهَا عَنِ النَّسْرِ وَالْحَوْتِ، وَتَشَامَخَ كَالْجِبَالِ، وَهِيَ خَشْبٌ مَسْنَدَةٌ، مِنْ تَبَطَّنَهَا عُدَّةً مِنَ الْمَصْبَرِينَ فِي تَابُوتٍ^(١٣)، تَأْتِي بِالطَّبَاقِ وَلَكِنْ بِالْمَقْلُوبِ لِأَنَّ بِيَاضَهَا سُودًا، وَتَمْشِي عَلَى^(١٤) الْمَاءِ وَتَطِيرُ مَعَ الْهَوَاءِ وَصَلَاحِهَا عَيْنَ الْفَسَادِ، إِنْ نَقَرَ الْمَوْجُ عَلَى دَفُوفِهَا لَعِبَتْ أَنْامِلَ قُلُوعِهَا بِالْعُودِ، وَتَرْقِصُنَا عَلَى آتِنَا الْحَدْبَاءِ فَتَقُومُ قِيَامَتَنَا مِنْ هَذَا الرِّقْصِ الْخَارِجِ وَنَحْنُ قَعُودٌ، وَتَشَامَمُ^(١٥) وَهِيَ، كَمَا قِيلَ، «أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ وَأَسْتٌ فِي الْمَاءِ»^(١٦)، وَكَمْ نَطِيلُ^(١٧) الشُّكُورَى إِلَى قَامَةِ صَارِيهَا عِنْدَ الْمِيلِ وَهِيَ الصَّعْدَةُ ١٠ ب

(١) «جالسًا» سقطت من ط.

(٢) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من

(١١) «فيها» سقطت من ب. مصادر.

(١٢) في د: «تعرب»؛ وفي و: «تعرب».

(٣) في ط، و: «حتى».

(١٣) في ط: «التابوت».

(٤) في ط: «فصبنا».

(١٤) في د: «في»؛ وفي ط: «مع».

(٥) في ط: «مواليها».

(١٥) في ب، د، و: «تشامم»؛ وفي هـ ك:

(٦) في ب: «من».

«... مم» ن.

(٧) الغاشية: ١.

(١٦) المثل في جمهرة الأمثال ١/١٦٦؛

(٨) في ب: «البحر»؛ وفي ط: «الريح».

والمستقصى ١/٣٩٤؛ والميداني ١/٢١.

(٩) في و: «ففاض ط».

(١٧) في ب، ط: «نطيل».

الصمَاء، فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين، وتتصابي إذا هبت الصبا وهي ابنة^(١) مئة وثمانين، وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال، وتدعي براءة الذمة وكم استغرقت^(٢) لهم من^(٣) أموال، هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن ثقفل أرداف الأمواج، وكم وجلت القلوب لما صار لأهداب^(٤) مجاديفها^(٥) على مقلة البحر اختلاج، وكم أسبلت على وجنة البحر طرة قلعتها فبالغ الريح في تشويشها، وكم مرّ على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها، تتعاطم فتهزل إلى أن ترى ضلوعها من السقم تعدّ^(٦)، ولقد رأيتها بعد ذلك التعاطم قد^(٧) تبّت^(٨) وهي حمالة الحطب، ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(٩).

وأما البراعة التي لخطبة كتابي المسمّى بـ«مجرى السوابق في وصف الخيول المسومة»، فإنها أحرزت قصبات السبق، وهي: «الحمد لله الذي يقف عند سوابق^(١٠) فضله كل^(١١) جواد، ويقصر في حلبة هذا الكرم الذي ليس له غاية في بديع الاستطراد، فمن ألهمه الحزم وأرشده إلى حدّ المعرفة حاز قصبات السبق ولا نقول^(١٢) كاد، نحمده على أن جعل لنا الخير معقوداً بنواصي الخيل^(١٣)، ونشكره شكراً نعلو به على أشهب الصبح ومنتطي أدهم الليل، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو أن نكون بها^(١٤) في ميادين الرحمة من السابقين^(١٥)، ونشهد أن سيدنا^(١٦) محمداً عبده ورسوله قائد الغر المحجلين».

- (١) في ب: «بنت».
- (٢) في ط: «أغرقت».
- (٣) «من» سقطت من ب، وثبتت في هامشها.
- (٤) في د، ك: «لأهداب».
- (٥) المجذاف: لغة في «المجذاف»، وهو خشبة في رأسها لوح عريض تدفع بها السفينة. (اللسان ٢٣/٩ (جذف)).
- (٦) في ب: «يعدّ».
- (٧) في ط: «وقد».
- (٨) «قد تبّت» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ«صح».
- (٩) المسد: ٥. والمسد: الليف. (اللسان ٤٠٢/٣ (مسد))؛ وفي نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: «مسد: نار!!» (١٠) في ط: «سابق».
- (١١) في د: «تقف عند حمده سوابق كل...».
- (١٢) في ب، ك: «تقول».
- (١٣) في الأمثال النبوية ٤٠٠/١: «الخيول معقود في نواصيها الخير».
- (١٤) في ط: «منها».
- (١٥) «ونشهد أن... السابقين» سقطت من د.
- (١٦) «سيدنا» سقطت من ب، د، و.

وقد آن أن نقطع طول هذا البحث^(١) بـ«رسالة السكين» فإن استهلالها يسُنُّ ما كَلَّ من الذوق ويبرزه^(٢) من قراب الشكِّ إلى القطع باليقين، وما ذاك إلا أنه لما تفرَّد^(٣) العلامة^(٤) كمال الدين بن^(٥) عبد الرزاق الأصبهانيّ^(٦) بـ«رسالة القوس» واستوفى جميع المحاسن، وجاء الشيخ جمال الدين بن نباتة بـ«رسالة السيف والقلم» وأظهر فيها معجزات الأدب، أردت أن أعزّزهما من [اختراع]^(٧) «رسالة السكين» بثالث، واستهلّيتها بقولي: «يقبل الأرض التي قامت^(٨) حدود مكارمها، وقطعت عتًا مكروه الفاقة بمكنون^(٩) عزائمها».

منها: «وينهي وصول السكين التي قطع المملوك بها^(١٠) أوصال الجفا، وأضافها إلى الأدوية، فحصل بها البرء والشفاء، وتالله ما غابت إلا وبلغت^(١١) الأقسام من تعثيرها^(١٢) إلى الحفا^(١٣)».

منها: «ما شاهدها موسى إلا سجد في محراب النصاب، وذَلَّ بعدما خضعت له الرؤوس والرقاب، كم أيقظت طرف القلم بعدما خطَّ، وعلى الحقيقة ما رُئي مثلها قطَّ، وكم وجد بها الصاحب^(١٤) في المضائق نفعاً، وحكم بحسن صحبتها قطعاً [من الرجز]:

مِنْ أَجْلِنا^(١٥) تدخلُ في مضائقي
وكلُّ ما^(١٧) تَفَعَلُهُ توجزُهُ

ليس لِسَيْفِ^(١٦) قَطُّ فيها مَدْخُلُ
وَالرَّمْحِ^(١٨) في^(١٩) تعقيده يُطَوَّلُ^(٢٠)

(١) في ب: «الهجر».

(٢) في ب: «وبرزه».

(٣) في ط: «انفرد».

(٤) «العلامة» سقطت من ط.

(٥) «بن» سقطت من ط.

(٦) في ب، د، ط، و: «الأصبهاني».

(٧) من ط.

(٨) «قامت» سقطت من ك، وثبتت في

هامشها مشاراً إليها بـ«صح».

(٩) في د، ط، و: «بمسنون»؛ وفي ك: «بمكنون»

خ، وفي هامشها: «بمكنون» خ ص.

(١٠) في ب: «بها المملوك».

(١١) في ط: «وبلغ».

(١٢) في ب: «تعثيرها»؛ وفي ط: «تقشيرها».

(١٣) في د: «الجفا»، وفي ك: «الحفا» مشاراً

تحت الحاء منها بـ«ح».

(١٤) في ط: «الصاحب بها».

(١٥) في ط: «من أجل أنها».

(١٦) في ط: «للسيف».

(١٧) في ط: «وكلما».

(١٨) في ب: «والسيف».

(١٩) في د: «لي».

(٢٠) في ط: «مطوّل». والرجز لم أقع عليه في

ديوانه.

تَطْرُفُ بِأَشْعَتِهَا الْبَاهِرَةَ عَيْنِ الشَّمْسِ، وَبِإِقَامَةِ^(١) الْحَدِّ حَافِظَتِ الْأَقْلَامَ عَلَى
 مَوَاطِبَةِ الْخَمْسِ، وَكَمْ لَهَا مِنْ عَجَائِبَ تَرَكْتَ جَدُولَ^(٢) السِّيفِ فِي بَحْرِ غَمَدِهِ
 كَالْغَرِيقِ، وَلَوْ سَمِعَ بِهَا مِنْ قَبْلِ ضَرْبِهِ مَا حَمَلَ التَّطْرِيقَ». .
 انْتَهَى مَا أوردته^(٣) مِنْ بَرَاةِ الْاسْتِهْلَالِ نَثْرًا وَنِظْمًا، وَمَنْ لَمْ يَرَ بِهَجَّةٍ مَا أْبْرَزْتَهُ
 لِلْمَتَأَخِّرِينَ^(٤) فَهوَ فِي هَذِهِ أَعْمَى .

(١) فِي ط: «وَبِإِقَامَتِهَا» .

(٣) فِي و: «أوردته» .

(٢) «جَدُول» سَقَطَتْ مِنْ ط .

(٤) فِي و: «المتأخرين» .

الجناس المطلق والمركب (*)

٢ - بالله سِرْبِي فَسِرْبِي طَلَّقُوا وَطَنِي وَرَكَّبُوا فِي ضُلُوعِي مُطَلَّقَ السَّقَمِ (١)
 أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب،
 وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ فإنَّ كلاً منهما يؤدي إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان
 البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة (٢) كقول القائل، / وأستحيي أن أقول إنه أبو ١١١
 الطيب المتنبّي (٣) [من الطويل]:

فَقَلَّقْتُ (٤) بِالهِمِّ الَّذِي قَلَّقَ الْحِشَا قَلَّ قَلَّ عَيْسِي (٥) كَلَّهَنَّ قَلَّ قَلُّ (٦)
 ولقد تصفحت ديوانه، فلم أجد لوافد هذا النوع نزولاً، إلا في (٧) ما قل من (٨)
 أبياته، وهو نادر جداً، ولا (٩) العرب (١٠) من قبله خيّم (١١) بأبياتها عليه، غير أن هذا

(الثانية): شدة الصوت والاضطراب.
 (اللسان ١١/٥٦٦-٥٦٧ قلل).

وفي هامش ك: «قال صاحب بن عباد لما
 سمع هذا البيت: قلقل الله أحشاه، ما له
 وهذه القافات الباردة؟!». وقد أشير فوقها
 بـ «حش».

(٧) «في» سقطت من ط.

(٨) في ط: «في».

(٩) بعدها في و: «من قال صاحب بن عباد
 لما سمع هذا البيت: قلقل الله أحشاه،
 ما له وهذه المقامات الباردة، انتهى الم».
 وقد أشير فوقها بـ «حش» أربع مرّات.

(١٠) في و: «والعرب».

(١١) في د: «خيمت».

(*) في ب، د: «الجناس المركب والمطلق»؛

وفي ط: «ذكر الجناس المركب

والمطلق»؛ وفي «و» ذكر العنوان بعد
 بيت البديعية مشاراً فوقه بخط.

(١) البيت في ديوانه ورقة ٣؛ ونفحات
 الأزهار ص ١٧، ٣٣؛ وفيه: «مطلق الألم».

(٢) في د: «المنكرة».

(٣) «المتنبّي» سقطت من ب، د، ط، و.

(٤) في ك: «قلقلت»، وفي هامشها:
 «قلقلت» خ؛ وفي و: «تقلقلت».

(٥) في ب، د، و: «عيشي».

(٦) البيت في ديوانه ص ٣٤.

وفقلقلت: حرّكتها وجعلتها تضطرب؛
 والقلاقل: الخفاف السراع منها؛ والقلاقل

البيت حكمت على أبي الطيب به المقادير، ومثله قول القائل [من الرجز]:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفِرٍ وليسَ قَرَبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ^(١)

فتهافته على^(٢) «قرب»^(٣) و«قبر» لأجل الجناس المقلوب، هو الذي قلب^(٤) عليه^(٥) القلوب، ألهم إلا أن يقع الجناس في حشوي بيت من البحور التي تحمل ثقله من غير اعتناء بأمره، كقول القائل [من الكامل]:

لله لُبْنَى! كَلَّمَا لُبْنَا^(٦) على تعنيقها^(٧) ونهودها، تتقاعدُ

وبنارِ أسما وهي أسمى رتبةٍ لقدِ احترقتُ^(٨) وريقُها يتباردُ^(٩)

ففي طلعة شمس التورية هنا^(١٠) ما يُغني عن النظر إلى زحل الجناس، ولقد^(١١) أحسن من^(١٢) قال [وأجاد في المقال]^(١٣) [من البسيط]:

انظُرْ إلى صور الألفاظِ واحدةً وإنما بالمعاني تُعشَقُ الصُّورُ^(١٤)

والجناس من صور الألفاظ، وممن وافق على^(١٥) ذلك علامة عصره الشهاب محمود، وقال: إنما يحسن الجناس إذا قل وأتى في الكلام عفواً، من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل إلى جانب الركة، ولا يكون^(١٦) كقول الأعشى [من البسيط]:

(١) الرجز لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

(٢) «فتهافته على» سقطت من ط.

(٣) في ط: «قرب».

(٤) «قلب» سقطت من ب.

(٥) في ك: «عليه» كتبت فوق «قلب».

(٦) في ك: «لله لبنا كلما لبني...».

(٧) في ك: «تعنيقها»؛ وفي باقي النسخ: «تعنيقها». مصادر.

(٨) في هـ ك: «احترقت» ن.

(٩) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر. هامشها، دون الواو، مشاراً إليها بـ«صح».

(١٠) في ك: «على» كتبت فوق «وافق».

(١١) «ولا يكون» سقطت من و، وثبتت في هامشها، دون الواو، مشاراً إليها بـ«صح».

ولبنا: من «لاب» أي عطش وحام حول الماء دون أن يصل إليه. (اللسان ١/٧٤٥ لوب).

(١٠) «هنا» سقطت من ب.

(١١) في و: «ومن».

(١٢) في و: «ما».

(١٣) من ب.

(١٤) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

(١٥) في ك: «على» كتبت فوق «وافق».

(١٦) «ولا يكون» سقطت من و، وثبتت في هامشها، دون الواو، مشاراً إليها بـ«صح».

وقد عَدَوْتُ إلى الحانوتِ يَتَبَعُنِي شَاوٍ وَمُشَلٍّ (١) شَلْوُلٌ (٢) شَلْشَلٌ شَوْلٌ (٣) ولا كقول مسلم بن الوليد [من الكامل]:

سَلَّتْ وَسُلَّتْ ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلٌ سَلِيلُهَا مَسْلُولاً (٤)

ولا بأس به في مطالع القصائد، إن تعذر على الناظم أن يُركبه تورية، فإنه نوع متوسط، بالنسبة إلى ما فوَّقه من أنواع البديع، كما قرره مشايخه (٥)، كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه وما قارب ذلك من أنواع البديع (٦).

وحكى ابن (٧) جتّي أن الأصمعيّ كان يدفع قول العامة إذا قالوا: هذا يجانس هذا إذا كان من شكله، ويقول هذا (٨) ليس (٩) بعربيّ خالص.

(١) (اللسان ١١/٣٤١ (سلل))؛ وسُلَّ سَلِيلُهَا:

(١) في ب، ط، و: «مُشَلٌّ».

أصيب ولدها بالسُّلِّ. (اللسان ١١/٣٣٩،

(٢) «شلول» سقطت من ب.

٣٤١ (سلل))؛ وسَلِيلٌ سَلِيلُهَا: لحم مثنى

(٣) في ب: «شَوْلٌ». والبيت في ديوانه ص

ولدها أو دماغه. (اللسان ١١/٣٣٩،

٢٨٤؛ ولسان العرب ١١/٣٦٢ (شلل)؛

٣٤٠ (سلل))؛ ومسلولاً: مصاباً بالسُّلِّ،

وتهذيب اللغة ١١/٢٧٧؛ وفيها:

مريضاً. (اللسان ١١/٣٤١ (سلل)).

«مُشَلٌّ... شُلْشُلٌ شَوْلٌ».

وفي هامش ك: «قال أبو الحسن

وَمُشَلٌّ: داعي الدابة أو الكلب، من «أشلى

الواحدى: سمعت الشيخ أبا منصور

الكلب: دعاه». (اللسان ١٤/٤٤٣ (شلا))؛

الثعالبي، رحمه الله تعالى، يقول: قال

والشلول: السريع الخفيف. (اللسان ١١/

لي أبو نصر: أتى المرزبان ثلاثة من

٣٦٢ (شلل))؛ والشُلْشُل: الدائم الحركة

رؤساء الشعراء، شلشل أحدهم، وسلسل

وكذلك الشَوْل. (اللسان ١١/٣٦٢

الثاني، وقلقل الثالث، يشير إلى الأعشى،

(شلل))؛ وقيل: الشَوْل: الذي يحمل

وإلى مسلم بن الوليد، وإلى المتنبي.

الأشياء. (اللسان ١١/٣٧٦ (شول)).

وقد أشير فوقها ب «حش».

(٤) في ط:

(٥) في ب: «مشائخه».

«سَلَّتْ وَسُلَّتْ ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُهَا

(٦) «كما قرره... أنواع البديع» سقطت من

فَأَتَى سَلِيلٌ سَلِيلُهَا مَسْلُولاً»

و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح

وفي نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو:

صح».

«فَأَتَى» مكان «فَأَتَى». والبيت في ديوانه

(٧) في ط: «وحكي عن ابن».

ص ٥٧؛ وفيه: «سَلَّتْ فَسَلَّتْ».

(٨) «هذا» سقطت من ط.

وسَلَّتْ: ذهبت أسنانها. (اللسان ١١/

(٩) في ك: «هذا؟ ليس؟».

٣٤٢ (سلل))؛ وسَلَّتْ: أصيبت بالسُّلِّ.

وقال ابن رشيّق صاحب «العمدة»: هو من أنواع الفراغ وقلة الفائدة، ومما لا يشكّ في تكلفه، وقد كثر منه هؤلاء السّاقّة^(١) المتعقبون في نظمهم ونثرهم، حتى برّد وَرَكَ^(٢). انتهى كلامه.

ولم يحتج^(٣) إليه ويكثر^(٤) استعماله إلاّ من قصّرت همّته عن اختراع المعاني، التي هي كالنجوم الزاهرة في أفق الألفاظ، وإذا خلت بيوت^(٥) الألفاظ من سكّان المعاني تنزلت^(٦) منزلة الأطلال البالية، وما أحلى قول الفاضل^(٧) هنا [من الخفيف]:

إنّما الدارُ قبلُ بالسّكّانِ ثمّ بعدُ^(٨) السّكّانِ بالجيرانِ
فإذا ما الأرواحُ شرّدها الحثُّ ففمّا إذا يُرادُ بالأبْدانِ^(١٠)

وكان الشيخ صلاح الدين الصفديّ، رحمه الله^(١١)، يستسمن ورمه ويظّنه شحمًا، فيشبع أفكاره منه، ويملأ بطونَ دفاتره ويأتي فيه بتراكيب تخفّ^(١٢) عندها جلاميد الصّخور، كقوله، غفر الله له^(١٣)، [من الطويل]:

ونمّ في أمانٍ بالحبيبِ ولا تخفُّ لقاءً واشٍ في لقاء طواشي^(١٤)
وقوله^(١٥) [من الطويل]:

وكمّ ساقٍ في الظلماءِ والليلُ شاهدٌ رواجِلٍ واطٍ في الرّواحِ^(١٦) لِيواطي^(١٧)

(١) في ب: «السادة».

(٢) في ب: «وترك».

(٣) في ب: «ولم يجنح».

(٤) في ط: «بكثرة».

(٥) «الألفاظ، وإذا خلت بيوت سقطت منك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

(٦) في ب: «نزلت».

(٧) في ب: «القاضي الفاضل».

(٨) في ك: «بعد».

(٩) في هـ: «النفوس» خ مكان «الأرواح» خ.

(١٠) البيتان لم أقع عليهما في ديوانه.

(١١) «رحمه الله» سقطت من ب، ط.

(١٢) في ب: «يخف».

(١٣) «غفر الله له» سقطت من ب.

(١٤) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

ولقائظ: ج لقيطة، وهي الكلمة التي يلتقطها الواشي ليزيعها. (اللسان ٣٩٢/٧

(لقط))؛ وطواشي: ج طائشة، على

القلب، وهي التزفة والخيفة العقل

(اللسان ٣١٢/٦ طيش)).

(١٥) «وقوله» سقطت من ب.

(١٦) في ب، ط: «رواح».

(١٧) في: د، و: «لواطا»؛ وفي ط: «لواطي» =

- وقوله [من الطويل]:
 وَأَيْنَ إِذَا كَانَ الْفِرَاقُ مَعَانِدِي
 مَطَالِعُ نَاءٍ فِي مِطَالِ عَنَاءٍ^(١)
 وقوله في الرَّاحِ [من الطويل]:
 وَكَمْ أَلْبَسْتُ نَفْسَ^(٢) الْفَتَى بَعْدَ نَوْرِهَا
 مَدَارِعَ قَارٍ فِي مَدَارِ عُقَارِ^(٣)
 وقوله [من الطويل]:
 إِذَا خَرَجَ^(٤) الْعِشَاقُ قَالُوا أَقَمْتَ فِي
 مَدَارِ جِرَاحِ^(٥) فِي مَدَارِجِ رَاحِ^(٦)
 وقوله [من الطويل]:
 وَكَمْ^(٧) شَمْتُ لَمَّا قَسْتُ مَقْدَارَ وُدِّكُمْ
 بَوَارِقَ يَاسٍ فِي بَوَارِ قِيَاسِ^(٨)
 وقوله [من الطويل]:
 وَلَا تَفْتَحَنَّ^(٩) بَابَ الْهَدَايَا وَعَدَّهَا
 مَطَارَ فَرَاشٍ لَا مَطَارِفَ رَاشٍ^(١٠)

=والبيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

ورواحل: ج راحلة، وهي الدابة. (اللسان ٢٧٦/١١ (رحل))؛ وواط: وطى، أي السهل اللين الذلول. (اللسان ١٩٨/١ (وطأ)).

(١) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

(٢) في ب: «يد».

(٣) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

ومدارع: ج مدرعة، وهي ضرب من الثياب من الصوف (اللسان ٨٢/٨ (درع))؛ وقارٍ: صالح أو مقيم. (اللسان ١٧٨، ١٧٥/١٥ (قرا)).

وفي هامش ك: [من المتقارب]:

«تواصلني ووصلك بي سعادة

وتهجرني وهجرك يبس» عادة،

=وقد كتب فوقها: «حاشية».

* يبس: مخففة من «بس».

(٤) في ب، د، ط، و: «جرح».

(٥) في د، ك: «مدارج راح».

(٦) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

(٧) في ك: «وكم» كتبت فوق «شمت».

(٨) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

وشمتُ البرق: نظرتُ إلى سحابته أين

تمطر. (اللسان ٣٣٠/١٢ (شيم))؛

وياس: مخففة من «ياس»؛ والبوار:

الأرض الخراب التي لم تزرع. (اللسان

٨٦/٤ (بور))؛ والقياسي: ج أقوسة،

على القلب، وهي التي لا تياس. (اللسان

١٨٧/٦ (قوس)).

(٩) في ك: «تفتحن».

(١٠) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من

مصادر.

وقوله [من الطويل]:

تُنَّتْ نَحْوُهُ الْأَغْصَانُ قَامَاتٍ^(١) لِيْنِهَا طَوَاعِنَ شَاطِطٍ فِي طَوَاعِ نَشَاطٍ^(٢)

وقوله [من الطويل]:

وَمَرَّ عَلَى غَيْرِي سِقَامٌ وَصَحَّةٌ وَلَمْ يَرَ قَانٍ مِثْلَ ذَا^(٣) يَرْقَانٍ^(٤)

وقوله^(٥) من^(٦) غير هذا النوع^(٧) [من الطويل]: /

فَجَارَ وَأَجْرَى حِينَ جَاوَرَ^(٨) وَأَجْتَرَى فَمَا فَاتَهُ مِمَّا يَرُومُ جِنَاسٌ^(٩)

رَأَيْتُ^(١٠) بَخَطَ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ الْبِشْكِيِّ تَحْتَ هَذَا الْبَيْتِ، وَالْبَيْتُ^(١١) الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ الضَّعِيفُ بِالْبِرْقَانِ، وَأَنَّ مَنْ ذَلِكَ مَبْلُغُهُ مِنَ النِّظْمِ لَجَدِيدٌ أَنْ يَقْعُدَ مَعَ صِغَارِ

وَأَنْجُمُهُ تَبْدُو كَأَعْشَارِ مَسْجِدٍ

تَضَمَّنَهَا فِي الْجَوْجِ جَامِعٌ قَارٍ*

وكتب فوقها: «ليس من الأصل».

* جام: إناء من فضة. (اللسان ١٢/١١٢

(جوم)؛ القاري: الصالح من الناس.

(اللسان ١٥/١٧٥ (قرا)).

(٥) في ط: «ومنه قوله».

(٦) في د: «في».

(٧) «من غير هذا النوع» سقطت من ط.

(٨) في ط: «جاورت».

(٩) بعده في ط: «وقوله: زاروا...».

والبيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

وجار: ظلم. (اللسان ٤/١٥٣ (جور))؛

وأجرى: وأدام له. (اللسان ١٤/١٤٢

(جرى))؛ واجترى: واجترأ عليه. (اللسان

١/٤٤ (جرأ)).

(١٠) في ب، ط: «ورأيت».

(١١) «البيت» سقطت من ب، و؛ وثبتت في

هـ و مشارًا إليها بـ «صح».

ومطارف: ج مطرف، وهو رداء من خز

مُرْبَع. (اللسان ٩/٢٢٠ (طرف)).

(١) في ط: «قامة».

(٢) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من

مصادر.

والشاطي: مخففة من «الشاطيء»، وهو

من الشجر ما خرج حول أصله. (اللسان

١/١٠٠ (شطأ))؛ والبطواع: من

«الطواعية». (اللسان ٨/٢٤٠ (طوع)).

(٣) في ط: «ذي».

(٤) في و: «برقاني»؛ وبعدها في ط:

«ورأيت بخط الشيخ بدر... انتهى».

والبيت في الأدب في العصر المملوكي

١/٩٤.

وقان: يقصد به الدم الأحمر؛ والبرقان:

مرض معروف يصيب الناس. (اللسان

١٠/٣٨٧ (برق)).

وفي هامش ك: «لبعضهم [من الطويل]:

وَلَيْلٍ كَأَصْدَاغِ الْحَبِيبِ قَطَعْتُهُ

وَوَزِدٍ كَخَذِيئِهِ وَجَامٍ* عَقَارِ

المتأديين . انتهى^(١) .

ومنه^(٢) قوله [من المجتث]:

زَارُوا وَزَانُوا _____ وَزَادُوا^(٣) هَذَا الْجِنَاسُ الْمَلِيحُ^(٤)

وفي قوله: «هذا الجناس المليح»^(٥)، من الرّكّة ما لا يخفى على أهل الذوق السليم، ولولا خوف الإطالة^(٦) من سأم الأسماع لأوردت له كثيراً من هذا النمط.

ومن^(٧) أظرف ما وقع للشيخ^(٨) جمال الدين بن نباتة معه^(٩)، أنّه لما وقف على كتابه المسمّى بـ«جنان الجناس»، وقد اشتمل على كثير من هذا النوع، قرأه^(١٠) «جُنان الخنّاس»^(١١)، وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه، وهذا ممّا يؤيد قولي إنّه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله.

ويعجبني هنا قول الشيخ زين الدين عمر^(١٢) بن الورديّ [المعريّ]^(١٣)، رحمه الله تعالى^(١٤) [من الوافر]:

إِذَا أَحْبَبْتَ نَظْمَ الشَّعْرِ فَأَخْتَرْ لِنَظْمِكَ كُلَّ سَهْلٍ ذِي امْتِنَاعٍ
وَلَا تَقْصِدْ مِجَانِسَةً وَمَكَّنْ قَوَافِيَهُ وَكِلْهُ إِلَى الطَّبَاعِ^(١٥)

(١) بعده في ط: «ومنه قوله: فجار

وأجرى... جناس».

(٨) في ط: «له مع الشيخ».

(٩) في ب: «مع»؛ وفي ط: «وذلك».

(١٠) في هـ ب: «فسمّاه».

(١١) الجنان: «النّرس». (القاموس ص ١٥٣٢ (جنن))؛ ويقصد بالخنّاس: الشيطان.

(١٢) «عمر» سقطت من ب، هـ و.

(١٣) من ب.

(٢) «منه» سقطت من ط.

(١٤) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، هـ و.

(٣) في د: «زاروا وزاروا وزاروا».

(١٥) «ويعجبني هنا... الطباع» سقطت من د،

(٤) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من

ك، و؛ وثبتت في هـ ك، وفي هـ و مشاراً

مصادر.

إليها فيهما بـ«صح صح»؛ وكتب فوقها

(٥) في ط: «ذلك» مكان: «قوله... المليح».

في هـ ك «أصل». وَالْبَيْتَانِ فِي دِيوانه

(٦) في ط: «الخشية» مكان «خوف الإطالة».

ص ٣٩٥-٣٩٦.

وكان الأسعد بن ممتي أيضاً ممن لم^(١) يجعل الجناس له مذهباً في نظمه، وما أحلى ما قال [من الكامل]:

طَبَعُ المَجْتَسِ^(٢) فِيهِ نَوْعُ قِيَادَةٍ أَوْ مَا تَرَى تَأْلِيْفَهُ لِالأُحْرَفِ^(٣)

ومن غريب ما يُحكى أنّ الشيخ صلاح الدين الصفدي، رحمه الله^(٤)، مع تهافته على الجناس والتزامه بما صنّقه من^(٥) جنسه^(٦) وأنواعه، زاحم ابن ممتي في لفظ بيته ومعناه، فقال^(٧) [من الطويل]:

أَلَا إِنَّ^(٨) مَنْ عَانَى القَرِيضَ بِطَبْعِهِ يَقُوْدُ فَأَرْسِلُهُ، لِمَنْ^(٩) صَدَّ وَأَحْتَشَمَ

أَلَمْ تَرَهُ أَنْ قَالَ شِعْراً مَجَانِساً يُوْلَفُ مَا بَيْنَ الحُرُوفِ إِذَا نَظَمَ^(١٠)

فانظر كيف أخذ المعنى وغالب الألفاظ، ولم يتمكّن من نظم^(١١) ذلك إلا في بيتين، أتى فيهما بكثرة الحشو مع قلة الأدب على أهله؛ والأسعد^(١٢) أثبت القيادة لطبع المجتس، والشيخ صلاح الدين^(١٣)، غفر الله له^(١٤)، أثبت الحكم المذكور لمن يعاني نظم الشعر^(١٥).

(١) «لم» سقطت من ب.

«من نظم» خ.

(٢) في د: «المجتس».

(١٢) في ب، د، ط، و: «فإن الأسعد».

(٣) البيت لم أقع عليه في ماعدت إليه من مصادر.

(١٣) في ب: «والصلاح» مكان «والشيخ

(٤) «رحمه الله» سقطت من ب، د، ط، و.

صلاح الدين».

(٥) «من» سقطت من د؛ وفي ب، ط، و:

(١٤) «غفر الله له» سقطت من ب.

«في»؛ وفي ك: «من» وفوقها في ك:

(١٥) في هامش ك: «نقلت من خطّ شيخ

«في» خ.

الإسلام ابن حجر من حاشية نسخة

(٦) «جنسه» سقطت من د.

النواجي: «وكذا ابن سناء الملك حين

(٧) في ب: «وقال».

قال [من مخّلع البسيط]:

(٨) «إن» سقطت من و، وثبتت في هامشها

وَكَاثِكُ* شَاعِرٌ أَدِيْبٌ

مشاراً إليها ب «صح».

منتظم العقل والقياس

(٩) في ب: «إلى مَنْ».

قَلْتُ* لِي، وَالْفَضُولُ دَاءٌ،

(١٠) البيتان لم أقع عليهما في ماعدت إليه من

وَهُوَ، كَمَا قِيلَ، كَالعِطَاسِ

مصادر.

قَد كُنْتُ تَبَغِي فَصُرْتُ تَبَغُو

(١١) «نظم» سقطت من ك، وثبتت في هامشها

قَالَ: من العشتي في الجناس =

وقد طال الشرح^(١) [حينئذٍ]^(٢) وتعيّن الكلام على الجناس لأنّ الشروع فيه ملزم^(٣) لأجل معارضة من تقدّمني في نظم^(٤) البديعيات.

أمّا هذا النوع فإنّه ما سمّي جناساً^(٥) إلّا لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادّة واحدة، ولا يشترط فيه تماثل جميع الحروف، بل يكفي في التماثل ما تعرف به المجانسة.

وأما اشتقاق «الجناس»، فمنهم من يقول: «التجنيس» وهو^(٦) تفعيل من «الجنس»، ومنهم من يقول: «المجانسة» وهو^(٧) المفاعلة من «الجنس» أيضاً، لأنّ^(٨) إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى^(٩) وقع^(١٠) بينهما مفاعلة الجنسيّة^(١١)، و«المجانسة»^(١٢) و«الجناس» مصدر «جانس»، ومنهم من يقول: «التجانس» وهو^(١٣) التفاعل من «الجنس» أيضاً، لأنّه مصدر «تجانس الشيطان» إذا دخلا في جنس واحد.

[= الأبيات لم أقع عليها في ديوانه].

قلت: ولولا أنه أطاله بجعله ملامة أبياته لكان أولى ممّا قبله. انتهى. وأشير فوقها بـ «حش».

*** «و» يبدو أنها كتبت سهواً قبل «كأنك»، ولو كتبت قبل «قلت» لكان أصلح للوزن.

وتبغي: تطلب؛ وتبغو: تنظر إلى الشيء كيف هو. (اللسان ٧٥/١٤ بغا)؛ وريّما أنت «تبغي» بمعنى: تعدل عن الحق؛ وتبغو: تتعدّى وتجنّي. (اللسان: ١٤/٧٨، ٧٩ بغا).

(١) في و: «الكلام».

(٢) من و.

(٣) في ط: «يلزم».

(٤) في ط: «المعارضة لمن تقدّمني من ناظمي».

(٥) في هامش ب: «ترى القائل بأنّ «التجنيس»

من «الجنس»، هو القائل بأنّ «المجانسة»

من «الجنس»، والقائل بأنّ «المجانسة»

من «الجنس» هو غير القائل بأنّ «التجانس» من «الجنس»، حتى ذكر الشيخ مذاهبهم وبين اختلافاتهم، ولو قال: «التجنيس» تفعيل، و«المجانسة» مفاعلة، و«التجانس» تفاعل، والكلّ مشتقّ من «الجنس»، ما كان يلزمه من المحذور، وكأنّه قصد بذلك أن يُعلم أنّ له تصرّفاً في التصريف. وقد أشير فوقها بـ «حش».

(٦) في ب، ط: «هو».

(٧) «وهو» سقطت من ط.

(٨) في ط: «إلّا أنّ».

(٩) في ط: «تشابهت بالأخرى».

(١٠) ورد في نسخة مطبوعة بشرح عصام

شعبتو: «في الأصل وقع»، وما أثبتناه

أصح. وهذا وهم، إذ إنه يجوز تذكير

الفعل مع فاعله المؤنث إذا فصل بينهما.

(١١) في و: «جنسيّة».

(١٢) «والمجانسة» سقطت من ط.

(١٣) «وهو» سقطت من ط.

ولمّا انقسم أقساماً كثيرة وتوّع أنواعاً عديدة تنزل منزلة الجنس الذي^(١) يصدق على كلّ واحدٍ من أنواعه، فهو حيثنذ جنس، وأنواعه^(٢): التام، والمحرف، والمصحّف، والملق، وهلمّ جرّاً... كما أنّ البديع جنس وأنواعه: الجنس، واللفّ والنشر، والاستعارة^(٣)، والتورية، والاستخدام، وغير ذلك من أنواع البديع.

وأما حدود أنواع الجنس فقد اختلفت^(٤) فيها عبارات البديعيين^(٥)، ولكن نأتي بحد^(٦) كلّ واحد^(٧) من الأنواع في موضعه، ونذكر ما وقع من^(٨) الاتفاق عليه.

وقد صدّرت بديعيتي هذه بـ«الجناس المركّب والمطلق» حسبما ربّبه الشيخ صفّي الدين الحلّي في بديعته، ولكن فاته شنبُ التسمية، وإبرازها في شعار التورية من جنس الغزل^(٩).

فحدّ المركّب أن يكون أحد^(١٠) الركنين^(١١) كلمة مفردة والآخر مركّباً^(١٢) من كلمتين، وهو على ضربين، فالأوّل ما تشابه لفظاً وخطاً، كقول الشاعر [من مجزوء الرمل]:

عَضُّنَا الدَهْرُ بِنَابِئِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِئِهِ^(١٣)
ومثله قول القائل [من الخفيف]:

ناظِرَاهُ بِمَا^(١٤) جَنَى نَاظِرَاهُ/ أَوْ دَعَانِي رَهْنًا^(١٥) بِمَا أَوْدَعَانِي^(١٦) ١١٢

(١) «وهو التفاعل... الذي» سقطت من ب.

(٢) في و: «وأقسامه ش»، وفي هامشها:

«أنواعه» صح.

(٣) في هامش ب: «الاستعارة بأنواعها من

قسم البيان». وقد أشير فوقها بـ«حش».

(٤) في ك: «اختلف»، وكتب فوقها:

«اختلفت» خ.

(٥) في ط: «البديعين».

(٦) في ب: «يأتي نحد».

(٧) «واحد» سقطت من و.

(٨) «من» سقطت من ب، ط، و.

(٩) في ط: «التغزل».

وحفظتُ من شَيْخِي العَلَّامَةِ الشَّيْخِ (١) شَمْسِ الدِّينِ الهَيْتِيِّ الحَسَنِيِّ النُّحَوِيِّ، وَأَنَا فِي مَبَادِيِّ العِلْمِ (٢) وَالِاشْتِغَالِ، مِنَ الجِنَاسِ المَرْكَبِ المِثْشَابِهِ (٣) قَوْلُ القَائِلِ [مَنْ دَوْبِيَّتْ] (٤):

فِي مِصرٍ مِنَ القِضَاةِ قَاضٍ، وَلَهُ فِي أَكْلِ مَوَارِيثِ اليَتَامَى وَلَهُ
إِنْ رُمْتَ عَدَالَةً فَمُمْ (٥) مَجْتَهِدًا مَنْ عَدَلَهُ دَرَاهِمًا عَدَلَهُ (٦)
وَكَانَ يَقُولُ: لَا أَعْرِفُ لهُمَا نَاطِمًا.

وَمَا أَلْطَفَ قَوْلُ القَائِلِ [مَنْ المَجْتَثْ]:

يَا سَيِّدًا حَازَ رَقِي مَمَّا (٧) حَبَانِي وَأُولَى
أَحْسَنْتَ بَرًّا فَقُلْ لِي أَحْسَنْتُ فِي الشُّكْرِ أَوْ لَا (٨)

وَقَالَ العَلَّامَةُ الشَّهَابُ (٩) مَحْمُودٌ: أَنشَدَنِي الشَّيْخُ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَابِ لِنَفْسِهِ مِنَ المِثْشَابِهِ لِفِظًا وَخَطَأً [وَهُوَ] (١٠) [مَنْ الرَّمْلُ]:

= وفي هامش ب: «قبله [من الخفيف]:
قُلْتُ لِلْقَلْبِ: مَا دَهَاكَ؟ أَجِنِّي،
اللسان ٥٠/١٣ (برن)).

- قَالَ لِي: بَائِعُ البِرَانِيِّ* بِرَانِي (١)
قال الأستاذ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: أنشدني أبو القسم [لعلها: أبو القاسم] علي بن محمد البخاري الطاهري البصري، فأنشدتها أبا الفتح البستي، فقال: والله، قد غير وجهي. والبستي هو المغرم بفرن التجنيس. البراني: شيء يطبخ بالأرز المرضوض والحليب وماء الزبيب. وقد أشير فوقها بـ «حش».
- (١) «الشيخ» سقطت من د، ك؛ وثبتت في هـ ك.
(٢) في ب. ط، و: «العمر»؛ وفي هـ ك: «العمر» خ مكان «العلم» خ.
(٣) في ب: «والمشابه».
(٤) من ط؛ وفي ب: «دوبيت».
(٥) في ط: «فقل».
(٦) البيتان بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ١٥؛ وفيه: «فقل»؛ و«دلاهما».
(٧) في ط: «بما».
(٨) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

* وقيل: البراني: بلغة أهل العراق،
الديكة الصغار حين تدرك، وقيل:

البرنية: شبه فخارة ضخمة خضراء، أو
إناء من الخزف، وقيل: البرني ضرب من

حَارَ فِي سَقْمِي مَنْ بَعْدَهُمْ كَلُّ مَنْ فِي الْحَيِّ دَاوَى أَوْ رَقَا
بعدهم لا طُلَّ^(١) وادي المنحنى^(٢) وكذا بانُ الجِمَى لا أَوْرَقَا^(٣)
وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدي^(٤) لنفسه في كتابه المسمّى^(٥) بـ«جنان
الجناس» من هذا النوع، [قوله]^(٦) [من المجتث]:

يَا مَنْ إِذَا مَا أَتَاهُ أَهْلُ الْمَوَدَّةِ أَوْلَمُ
أَنَا مُحِبُّكَ حَقًّا إِنَّ كُنْتُ^(٧) فِي الْقَوْمِ أَوْلَمُ^(٨)
وهذا النوع لم يذكره الشيخ صفى الدين الحلبي^(٩) في بديعته.
انتهى الكلام على المتشابه من المركب^(١٠) لفظاً وخطأ^(١١).

[و]^(١٢) الثاني ما هو متشابه^(١٣) لفظاً لا خطأ^(١٤) ويسمى المفروق، وهو الذي
نظمه الشيخ^(١٥) صفى الدين الحلبي^(١٦) في بديعته، [والأول أعزّ وأحسن موقعاً،
وهو الذي نظمته في بديعتي]^(١٧)، وهو^(١٨) كقول الشاعر^(١٩) [من الكامل]:
لا تعرِضَنَّ على الرواة قصيدةً ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فإذا^(٢٠) عرضت الشعر غير مهذبٍ عدوه منك وساوساً تهذي بها^(٢١)

- (١) في ب، ط: «ظَلَّ».
(٢) في هـ و: «المنحنى» ن.
(٣) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(٤) «الصفدي» سقطت من ب.
(٥) «المسمّى» سقطت من ب.
(٦) من ط.
(٧) في د: «كنتُ».
(٨) البيتان بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ١٥؛ وفيه: «أهل المحبة».
(٩) وفي هامش ك: «والأول أعزّ وأحسن موقعاً، وهو الذي نظمته في بديعتي».
(١٠) حاشية).
(١١) «الحلي» سقطت من ط.
(١٢) «انتهى... المركب» سقطت من و،
وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ«صح».
(١٣) في و: «لا خطأ».
(١٤) من ط.
(١٥) في د: «المتشابه».
(١٦) في و: «وَخَطَأً».
(١٧) «الشيخ» سقطت من ط.
(١٨) «الحلي» سقطت من ب، ط.
(١٩) من ب، و.
(٢٠) «وهو» سقطت من د، ط، و.
(٢١) «وهو كقول الشاعر» سقطت من و،
وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ«صح».
(٢٢) في ط: «وإذا».
(٢٣) البيتان بلا نسبة في الإيضاح ص ٣٢٠؛
وفيه: «ما لم تبلغ قبل في»؛ وحاشية
شرح الكافية البديعية ص ٦٠.

ومثله قول القائل [من مجزوء الكامل]:

يَا مَنْ تَدِلُّ^(١) بِمَقْلَةٍ وَأَنَا مِلٌّ مِنْ عَنْدَمِي^(٢)
كُفِّي جُعَلْتُ لِكَ الْفِدَا أَسِيفَ لِحُظِّكَ عَنْ دَمِي^(٣)
ومثله قول ابن أسد بن الفارق^(٤) [من الطويل]:

عَدُونَا بِأَمَالٍ وَرُحْنَا بِخَيْبَةٍ أَمَاتَتْ لَهَا^(٥) أَفْهَامَنَا وَالْقِرَائِحَا
فَلَا^(٦) تَلَقَّ مِنَّا غَادِيًا نَحْوَ حَاجَةٍ لِتَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ^(٧) وَاللَّقَّ رَائِحَا^(٨)
وحسن^(٩) قول أبي الفتح^(١٠) البستي فيه^(١١) [من البسيط]:

وإِنْ أَقَرَّ عَلَيَّ رِقٌّ أَنْامِلُهُ أَقَرَّ بِالرَّقِّ كُتَابُ الْأَنَامِ لَهُ^(١٢)
وما ألطف قول العلامة الشهاب^(١٣) محمود من هذا النوع [من الوافر]:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ بَشْرِ^(١٤) الرَّوْضِ لَمَّا تَلَاقَيْنَا وَبِئْتَ^(١٥) الْعَامِرِيُّ
جَرَى دَمْعِي وَأَوْمَضَ بَرَقُ فِيهَا فَقَالَ الرَّوْضُ فِي ذَا الْعَامِ رِيِّي^(١٦)
ومن لطائف الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله^(١٧)، قوله هنا^(١٨) [من الكامل]:

مصادر.

(١) في د، و: «تَدَلُّ».

(٩) في ط: «ويحسن هنا».

(٢) في ب، د: «عندم».

(١٠) في ك: «الحسن»، وفي هامشها «الفتح»
صح.

(٣) البيتان في تحرير التحبير ص ١٠٩؛ «تَدِلُّ»
بوجبة؛ «وَعندم»؛ «وَأَلْحَظْ عَيْنَكَ»
عن...».

(١١) «فيه» سقطت من ب.

(١٢) البيت في ديوانه ص ١٥٨؛ وفيه: «وإن»
أمر على؛ «والعمدة ١/٥١٣».

وتدِلُّ: تتغنى وتتلوى. (اللسان ١١/٢٤٧)
(دليل)؛ «والعندم»: شجر أحمر، وقيل: هو
دم الغزال يطبخ بلحاء شجر الأرتي، حتى
ينعقد فتختضب به الجوارى. (اللسان
١٢/٤٣٠ (عندم)).

(١٣) في ط: «شهاب الدين».

(١٤) في ب، ط: «نشر».

(١٥) في ط: «بنت».

(١٦) البيتان لبعض الفضلاء في نفحات الأزهار
ص ١٥.

(٤) في ب، د، ط، و: «الفارقي».

(٥) في ب، ط، و: «لنا».

(١٧) «رحمه الله» سقطت من ب، ط؛ وفي د:
«رحمه الله تعالى».

(٦) في ب: «ولا».

(٧) في ط: «حاجة».

(١٨) «قوله هنا» سقطت من ط.

(٨) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

قمرأ نراه^(١) أم مليحاً أمرداً ولحاظهُ بينَ الجوانحِ أم ردى^(٢)
ومثله قول شمس الدين محمد بن العفيف [من مخْلَع البسيط]:
أسرعُ وسرُّ طالبِ المعالي بكلِّ وإِدٍ وكلِّ مَهْمَه
وإنْ لَحَى^(٣) عاذلُ جهولُ فقلْ لهُ يا عدولُ مَه مَه^(٤)
ومثله قوله [من مجزوء الرجز]:
إنَّ الذي مننزلُوه من سُخبِ دَمعي أمرعَا
لم أدرِ مِنْ بَعدي هلْ ضايِعَ عَهدي أم رعى^(٥)
ومثله قول قاضي القضاة^(٦) بهاء الدين السبكي^(٧) [من الكامل]:
كنْ كيفْ شئتَ عنِ الهوى لا أنتهي حتَّى تُعوذَ لي الحياةُ وأنتَ هي^(٨)
وأنشدني قاضي القضاة تقي الدين بن الجيتي^(٩) الحنفي لنفسه الكريمة^(١٠)،
حرسها الله تعالى^(١١)، بحماة المحروسة^(١٢)، في مبادئ العمر، وقد ذكرت بين يديه
الجناس المركب [من الخفيف]:
قلتُ للعاذلِ الملح^(١٣) على الدَّم ع وإجرائه على الخدِّ نيبلاً

- (١) في ب، د: «تراه».
- (٢) البيت في ديوانه ص ١٤٤؛ وهو مما قاله في شهاب الدين ابن فضل الله؛ ونفحات الأزهار ص ١٥.
- (٣) في كلِّ النسخ: «لَحَى».
- (٤) البيتان في ديوانه ص ٣٤٣؛ ونفحات الأزهار ص ١٥.
- (٥) والمَهْمَه: المفازة أو الفلاة البعيدة: ومَه مَه: اسم فعل أمر، للجزء والنهي بمعنى: اكْتَفَى. (اللسان ٥٤٢/١٣ مهه)؛ ولَحَى: لام وَعَدَل. (اللسان ٢٤٢/١٤ (لحا)).
- (٦) الرجز في ديوانه ص ٢٠٨.
- (٧) وأمرع: أخصب. (اللسان ٣٣٤/٨).
- (٨) «ومثله قول... وأنتَ هي» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
- (٩) في ط: «الحسني».
- (١٠) «لنفسه الكريمة» سقطت من ط.
- (١١) سقطت من ط؛ وفي ب: «حرسها الله سبحانه وتعالى».
- (١٢) «المحروسة» سقطت من ط.
- (١٣) في ه و: «الملح» ن.
- (مرع).
- (٦) في ط: «القاضي».
- (٧) في ط: «رحمه الله تعالى»؛ وفي ب: «وقول قاضي القضاة بهاء الدين السبكي مثله».

سَلَّ سَبِيلاً إِلَى النِّجَاةِ وَدَعَّ نَيْبَ لَ (١) دُمُوعِي تَجْرِي لِهِمْ سَلْسَبِيلاً (٢)
 ومن أنواع الجناس المركب نوع (٣) يسمّى «المرفوّ» وهو أن يكون أحد الرّكّنين
 جزءاً مستقلاً والآخر مجزأً (٤) من كلمة أخرى، كقول الحريري [من السريع]:
 وَالْمَكْرُ مَهْمَا اسْطَعَّتْ (٥) لَا تَأْتِيهِ لِيَتَّقَتْنِي السُّؤْدَدَ وَالْمَكْرُمَةَ (٦)
 وكقوله (٧) [من الطويل]:

وَلَا تَلُهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ (٨) وَأَبِيكَ بدمع يُحَاكِي الْمُزْنَ حَالَ مَصَابِهِ
 وَمَثَلٌ لِعَيْنَيْكَ الْجَمَامَ وَوَقَعَهُ وَرَوْعَةً (٩) مَلْقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ (١٠)
 وهذا النوع لم يخلُ (١١) من التعسف (١٢) وعقادة التركيب (١٣).

انتهى الكلام على الجناس المركب وأقسامه؛ / غير أنّ هنا بحثاً لطيفاً، وهو أنه ١٢ ب
 قد تقرّر أنّ ركني الجناس يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى لأنه نوع لفظي لا
 معنوي، وهو نوع (١٤) متوسط بالنسبة إلى ما فوفقه من أنواع البديع، والتورية من أعزّ
 أنواعه وأعلاها رتبة، فإذا جعلت الجناس توريةً انحصرت المعنيان في ركن واحد،

- (١) في ط: «دمع».
 (٢) البيتان بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ١٤. (١٠) البيتان في مقاماته ص ١٧٩؛ والإيضاح ص ٣١٩؛ ونفحات الأزهار ص ١٤؛
 (٣) «نوع» سقطت من ب؛ وفي ك: «نوعاً».
 (٤) في ب: «جزء».
 (٥) في ب: «استعطت»؛ وفي د، و:
 «استطعت».
 (٦) البيت في مقاماته ص ٤٠٧.
 وفي هامش ب: «لبعضهم [من السريع]:
 ما الأمانة العمياء بين الوري
 أقبح من جرأتني ملامنة
 فمة إذا استجدت عن قول «لا»
 فالحرُّ لا يملأ منها فمة»
 (حاشية).
 (٧) في ط: «وقوله».
 (٨) في و: «دينك».
 (٩) في ب: «وروعه».
 (١٠) البيتان في مقاماته ص ١٧٩؛ والإيضاح ص ٣١٩؛ ونفحات الأزهار ص ١٤؛ وفيه: «يضاهي المزن»؛ و«لوعه ملقاه».
 ومصاب المزن: هطوله. (اللسان ١/ ٥٣٤ صوب)؛ والصاب: عصارة شجر مُرّ، وقيل: هو عصارة الصبر. (اللسان ١/ ٥٣٧ صوب).
 (١١) في ه ب: «لم يخل» توضيحاً لما في متن ب.
 (١٢) في ط: «تعسف».
 (١٣) في ب: «والعقادة في التركيب»، وفي هامشها: «وعقادة التركيب»، وفي ط: «وعقادة في التركيب».
 (١٤) «نوع» سقطت من ب.

وخلصت من عقادة الجناسِ وحرّكت جامد^(١) الأذواق وأبهجت خاطر السامع بما أتحفته من بديع تركيبها وتأهيله بغريبها، وأنا أذكر المثالين هنا ليصح^(٢) في الأذهان الصحيحة، أن النهار لم يحتج^(٣) إلى إقامة دليل.

قال صاحب الجناس المركّب [من الكامل]:

أَعْنِ الْعَقِيْقِي سَأَلْتِ بَرَقًا أَوْ مَضًا أَأَقَامَ^(٤) حَادٍ بِالرَّكَائِبِ أَوْ مَضَى^(٥)

قال صاحب التورية^(٦) [من الكامل]:

وَإِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا لَمْ أَلْتَفِتْ إِنَّ عَادَ بَرَقٌ^(٧) فِي الدِّيَاجِي أَوْ مَضًا^(٨)

وهنا يحسن أن يتمثل بقول القائل [من السريع]:

وَمَنْ يَقُلْ لِلْمَسْكِ أَيْنَ الشَّدَا كَذَّبَهُ فِي الْحَالِ مَنْ شَمَّا^(٩)

ومثله قول الشاعر [من مجزوء المتقارب]:

نَدِيمِي لَا تَسْقِنِي سَوَى الصَّرْفِ فَهُوَ الْهَنِي

وَدَعْ كَأْسَهَا أَطْلَسًا وَلَا تَسْقِنِي مَعْدَنِي^(١٠)

ومن التورية المركّبة ما أنشدني من لفظه، لنفسه الكريمة^(١١)، علامة عصرنا

- (١) «جامد» سقطت من ط.
- (٢) في ط: «ليتضح».
- (٣) في ب: «إزالتها ولم تحتج» مكان «أن النهار لم يحتج».
- (٤) في ب: «أقام».
- (٥) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.
- (٦) والعقيق: وادٍ بناحية المدينة المنورة وفيه عيون ونخل. (معجم البلدان ١٣٩/٤).
- (٧) في ط: «برقاً».
- (٨) في د، و: «أو مضى». والبيت بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ١٦.
- (٩) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.
- (١٠) في ط: «مع دني»؛ وبعدها في ب، و: «مع دني».
- (١١) «لنفسه الكريمة» سقطت من ط.

القاضي بدر الدين [بن] (١) الدماميني، فسح الله في أجله (٢)، ممّا (٣) كتب به إلى مولانا الحافظ (٤)، الشيخ شهاب الدين ملك المتأدبين، وعمدة المحدثين (٥)، أبي العباس أحمد (٦) بن حجر العسقلاني (٧) الشافعي (٨)، جمّل الله الوجود بوجوده (٩)، [من الطويل]:

حمى ابنُ عليّ حَوْزَةَ (١٠) المجدِّ والعلا
وكم مُشكلاتٍ في البيانِ بفهمِهِ

ومُدُّ (١١) رامُ أسبابِ (١٢) المعالي (١٣) حازها (١٤)
تبيّنها (١٥) من غيرِ حَجَبٍ (١٦) ومازها (١٧)

«وربما يكون قال ذلك، [من الطويل]:

* وَمَا أَقَّةُ الْأَخْبَارِ إِلَّا رَوَاتُهَا*
وقد أشير فوقها بـ «حش».

* هذا الشطر لم أفع عليه فيما عدتُ إليه
من مصادر.

(١٤) في ط: «وحازها».

(١٥) في و: «يبيّنها».

(١٦) في د، ط، و: «عجب».

(١٧) في ب، د: «وما زهي»؛ وفي و: «وما
زها(ئ)»؛ وبعدها في ط: «ومازها».
والبيتان لم أفع عليهما في ما عدتُ إليه
من مصادر.

وفي هامش ك: «[قال] ابن المظفر وجيه
الدين الأعمى [من الطويل]:

وَلَوْ قَطَّرَتْ فِي لَجَّةِ الْبَحْرِ قَطْرَةً

مِنَ الْمَزْنِ أَوْ مَا يَشَاءُ لَمَازَهَا
وَلَوْ مَلِكُ الدُّنْيَا فَأَضَحَّتْ مَلُوكُهَا

عبيداً له في الشري والغرب ما زها
وله أيضاً [من الطويل]:

أَطَلْتُ مَلَامِي فِي اجْتِنَابِي لِمَعَشِرِ

طَغَامٍ* إِنَّمَا وَجُودُهُمْ غَيْرُ مُرْتَجَى

تَرَى بِأَبْتِهِمْ لَا بَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ

على طالب المعروف أرجاء مُرْتَجَا =

(١) من د، ط، و.

(٢) سقطت من ط؛ وفي ب: «فسح الله
سبحانه في أجله»؛ وفي و: «فسح الله
تعالى في أجله».

(٣) في ط: «بما».

(٤) «مولانا الحافظ» سقطت من د، ك؛
وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».

(٥) في ط: «المحققين».

(٦) «ملك... العباس أحمد» سقطت من د،
ك؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».

(٧) «العسقلاني» سقطت من ط.

(٨) «الشافعي» سقطت من د.

(٩) «جمّل الله الوجود بوجوده» سقطت من د،
ط، ك؛ وثبتت في هـ ك؛ وفي ب: «جمّل
الله سبحانه الوجود بوجوده، أمين».

(١٠) في د: «جوزة».

(١١) في ط: «ومُنْ».

(١٢) في ب، د، ط، و: «أشتات».

(١٣) «المعالي» سقطت من ب، وثبتت في هامشها.

وفي هامش ب: «لو قال بدل «المعالي»
«المكارم» أو «المفاخر» أو ما يشبهه [د]
كان استراح من تحريك الياء». وقد أشار
فوقها بـ «حش».

فأجابه شيخنا المشار إليه^(١) بقوله^(٢) [من الطويل]:

بروحي بَدْرٌ^(٣) في التَّدَى ما أطاعَ مَنْ نَهَاهُ وقد حازَ المعالي فزَانَهَا
يُسَائِلُ أَنْ يَنْهَى عَنِ الجودِ نَفْسَهُ وَهَا هُوَ قد بَرَّ^(٤) العُفَاةَ وَمَانَهَا^(٥)
وما أحلى ما قال [وأعني ابن حجر]^(٦) فيه^(٧) متغزلاً [من المنسرح]:

سَأَلْتُ مَنْ لَحِظُهُ وَحَاجِبُهُ كَالْقَوْسِ وَالسَّهْمِ^(٨) مَوْعِدًا حَسَنًا
فَفَوْقَ السَّهْمِ مِنْ لَوَاحِظِهِ^(٩) وَأَنْقَوْسَ الْحَاجِبَانِ وَأَقْتَرْنَا^(١٠)

ومن نثر^(١١) الشيخ بدر الدين المشار إليه في التورية المركبة يشير إلى تقرير
كتبته^(١٢) لبعض أهل الأدب على مُصَنَّفِ سافل، ولم^(١٣) يمكن تسميته، والتزمت^(١٤)
في التقرير نوع الإبهام من الأوّل إلى الآخر، وكتب الشيخ بدر الدين^(١٥) على ذلك

والعفاة: ج عاف: طالب الفضل والرزق،
أو الضيف. (اللسان ٧٤/١٥ عفا)؛
وامانها: احتمل مؤونتهم وقام بكفايتهم.
(اللسان ٤٢٥/١٣ مون).

(٦) من و.
(٧) «فيه» سقطت من ط.
(٨) في ط: «كالسهم والقوس».
(٩) في ب: «حواجيه».
(١٠) في ط: «وقت رنا»، وبعدها: «واقترنا»؛
وبعدها في ب، و: «وقت رنا». والبيتان
في ديوانه ص ٢٦٦؛ وأنس الحجر
ص ٣٤٩؛ ونفحات الأزهار ص ١٦.

(١١) في ب: «نثر» مصححة عن «نظم»، وهي
غامضة، وفي هامشها «نثر» توضيحاً
لرسمها.

(١٢) في ط: «كتبه».
(١٣) في ط: «لم».
(١٤) في ط: «والتزم».
(١٥) بعدها في ب: «المذكور».

=حَمَوْهَا* لهم والدين والعروض منهم
مباح فما يخشون من هجو من هجا
إذا شرع الأقوام في الجود منهجاً
لهم شرعوا في البخل سبعين منهجاً
وقد كُتِبَ بجانبها في الهامش: «ليس هذا
من البديعية، وإنما سمعته من بعض
الإخوان حالة المقابلة». (حاشية).
* الطغام: أرذال الناس وأوغادهم.
(اللسان ٣٦٨/١٢ طغم).

* وردت «حمواها» سهواً.
(١) «شيخنا المشار إليه» سقطت من د، ط،
ك؛ وثبتت في هـ ك.
(٢) «بقوله» سقطت من ط.
(٣) في ط: «بدرأ».
(٤) في ب: «مَنْ».

(٥) في ب: «وما نهى»؛ وفي و:
«وامانها(ئ)»؛ وبعدها في ط، ك:
«وما نهى». والبيتان لم أقع عليهما في
ديوانه.

المصنف^(١) بعدي^(٢) قوله: «[وهو]^(٣) ولقد^(٤) كنت أرتجي باباً أدخل منه إلى التقريظ، ففتح لي المقرّ التقويّ باباً مُرتجاً، ونهَجَ الطريق إلى المدح فافتُضيت آثاره [واهتديت]^(٥) حيث^(٦) رأيتُ منهجاً^(٧)».

ومثله قوله في التقريظ الذي كتبه على بديعيتي^(٨) هذه: «كتبتُ وأسياف الخطوب ليسَ لها إلاّ الجوانح أعماد، والزمن قد كاذني بسهام أوتاره المصيبة ورماني^(٩) بأنكاد^(١٠) بعد أنكاد^(١١)».

ومثله ما أنشدني من لفظه لنفسه الكريمة^(١٢) أحد أعيان العصر القاضي مجد الدين بن مكانس، فسح الله في أجله^(١٣)، [حيث قال]^(١٤) [من الطويل]:

أقولُ لِحُبِّي قُمْ وِمْسْ يا مُعَدِّبِي كَمِيسَةَ خَوْدٍ حَرَكَ السُّكْرُ رَأْسَهَا
وَلَا تَسْهُ عَنْ شَيْءٍ إِذَا مَا حَكَيْتَهَا فِقَامَ كَغَضَنِ الْبَانِ لِيناً وَمَاسَهَا^(١٥)

مقصود الشيخ من هذه * السجعتين». (حاشية).

* لو قال «هاتين» لكان أصوب.

(١٢) في ب: «الكريمة ٢ لنفسه ٢».

(١٣) سقطت من ط؛ وفي ب: «فسح الله سبحانه في أجله».

(١٤) من ط.

(١٥) في و: «وما سها(ئ)». والبيتان له في نفحات الأزهار ص ١٦.

وفي هامش ب: «ماس يمين: فعل لازم أي «تبختر»، ولا يتعدى بنفسه، فقوله:

«ما سها» حرف نفي، و«سها» فعل ثلاثي مجرد ناقص، وهذا المعنى واللفظ

صحيح، وأما على تقدير أن يكون «ماس» فعلاً فلا يتعدى إلاّ بإحدى طرق

التعدية، فلا يجوز أن يكون «ماسها» فعلاً متعدياً، والضمير مفعولاً تعدى إليه الفعل

بلا واسطة*. وقد أشير فوقها ب «حش».

* وربما كانت «ها» في «ما سها» عائدة إلى =

(١) في هامش ط: «قوله: وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف»، هكذا في

النسخ، والصواب إسقاطه». (حاشية).

(٢) «بعدي» سقطت من ط.

(٣) من ب.

(٤) «ولقد» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «ص».

(٥) من ب، ط، و.

(٦) في ب، ط، «حين»؛ وفي و: «حتى».

(٧) في د: «من هجا»، وبعدها «منهجاً»؛ وفي ه ط: «من هجا»؛ وبعدها في ك:

«من هجا»؛ وفوقها في و: «من هجا».

(٨) في ط: «بديعيتي».

(٩) في ب: «وأرماني».

(١٠) «بأنكاد» سقطت من ط.

(١١) في ب، ط: «أن كاد»؛ وفي ه ط: «أنكاد»؛ وفوقها في د، و: «أن كاد»؛

وبعدها في ك: «أن كاد»؛

وفي هامش ب: «ما فهم الشيخ تقي الدين

وأحجية مولانا^(١) الشيخ شهاب الدين بن حجر، المشار إليه^(٢) [آفناً]^(٣) في هذا الباب، من ظُرف^(٤) الأدب، فإنها تورية [خفّية]^(٥) مُركبة في الأصل، وهي^(٦) [من مجزوء الكامل]:

يا فاضلاً هُوَ في الأحَا جي ليسَ يَخْلُو مِن وَلَعِ
ما مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي يشكو^(٧) الحبيبَ أَسَكْتُ رَجَعِ^(٨)
ف«صَة» مرادف «أسكت»، و«باء» مرادف «رجع»، فحصلت التورية المركبة^(٩) في
«صهباء» و«صه باء».

ومن النظم في هذا النوع الغريب قول المعمار [من الرجز]:

وخادم يعلو على عُشاقِهِ بِرُتْبَةٍ مِن الْجَمَالِ نالِها
وإسمُهُ وَهُوَ الْعَجِيبُ مُحْسِنٌ وكم دُموعٍ في الهوى أسالها^(١٠)

ومثله قول الشيخ شمس الدين المزين، / رئيس دمشق المحروسة^(١١)، في غلامٍ ١١٣
مليح وله لألاء^(١٢) مليح [من الخفيف]:

ومليح لألأه يحكيه حُسناً فهو كالبدْرِ في الدجى يتلألاً
قلتُ: قصدي من الأنام مليحٌ هكذا هكذا وإلا فلألاً^(١٣)

(١٠) في د، و: «أسى لها»؛ وبعدها في ب: «أسى لها»؛ وبعدها في ط: «أساء لها».
والرجز لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

وفي هامش ب: «ما أدري ما مراده: أساء الدمع». وقد أشير فوقها بـ «حش».

(١١) رئيس دمشق المحروسة «سقطت من ط»؛ و«المحروسة» سقطت من ب.

(١٢) اللألاء: الضوء أو النور (السراج).
اللسان ١٥٠/١ (لألاً)؛ وتاج العروس ٤١٤/١ (لألاً).

(١٣) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

= «ميسنة» في البيت السابق، فتكون في محل نصب على المفعولية المطلقة، وهذا جائز، وبها يصح اللفظ والمعنى.

(١) «مولانا» سقطت من د، ط؛ وفي ك كتبت فوق «وأحجية».

(٢) «المشار إليه» سقطت من ط.

(٣) من ب.

(٤) في د، ط، و: «ظرف».

(٥) من ط.

(٦) «وهي» سقطت من ط.

(٧) في د: «بيكي».

(٨) البيتان لم أقع عليهما في ديوانه.

(٩) «المركبة» سقطت من ط.

ومن نظمي^(١) في هذا النوع الغريب^(٢) [من الوافر]:

تصدَّيْتُمْ لِقَتْلِ ضَعِيفِ جِسْمٍ لغيرِ الْوَجْدِ فيكُمْ مَا تَصَدَّى^(٣)
وَعَدَّ ضُلُوعَهُ بِالسَّقْمِ لَمَّا تعدَّيْتُمْ عَلَيْهِ وَمَا تَعَدَّى^(٤)
وقلت فيه [من الخفيف]:

بَعْدَ هُنْدٍ وَبَعْدَ سَلْمَى تَعَطَّشُ تُ إِلَى رَشْفِ كُلِّ الْعَسَنِ أَلْمَى
وفؤادي يقول لا تطلبِ الرِّيدَ يَ مِنْ الرِّيقِ بَعْدَ هُنْدٍ وَسَلْمَى^(٥)
وقلت أيضاً^(٦) من قصيدة^(٧) مطوّلة [من الخفيف]:

حِينَ قَابَلْتُ خَدَّهُ بدموعي أَثَرْتُ خَلْتُ ثَوْبَ خَزِّ مُخْتَمِ^(٨)
فَانظُرِ^(٩) الْيَوْمَ ثَغْرَهُ مَعَ دَمْعِي^(١٠) وَأَخِيكَ مَا شَتَّ عَنْ أَقَاحِ^(١١) وَعَنْ دَمِ^(١٢)

في شفته لون سمره مشربة بسواد. (اللسان ٢٥٨/١٥ (لما)).

(٦) «أيضاً» سقطت من ط؛ وفي د: «وقلت فيه أيضاً».

(٧) في ط: «قصيد».

(٨) في د: «مخيم»؛ وفي ط: «منمنم».

وفي هامش ك: «كأنَّ خَدَّهُ كان طولُه عشرة أذرع، فهلاً قال: «جسمه» وفيه ما فيه». وقد أشير فوقها بـ «حش».

(٩) في ط: «وانظر».

(١٠) في ط: «خَدَّهُ مَعَ دموعي».

(١١) في ط: «عقبي».

(١٢) في ب، و: «وَعَنْدَمُ»، وبعدها: «وَعَنْ دَمِّ»؛ وفي د: «وَعَنْدَمُ»؛ وبعدها في ط: «وَعَنْدَمُ». والبيتان في ديوانه ورقة ١٩ب؛ وفيه: «وانظر اليوم خدّه»؛ و«واحكي».

وفي هامش ب: «وجد بخط المصنّف ما مثاله: هذا من الملقّن، وإنّما الكاتب غلط =

(١) في د: «ومن نظمي الغريب...».

(٢) في ط: «الغريب في هذا النوع» مكان «في هذا النوع الغريب».

(٣) بعدها في ب: «مات صدّاً».

(٤) بعدها في ب: «مات عدّاً»؛ وبعدها في ط، و: «ومات عدّاً». والبيتان في ديوانه ورقة ٨٠أ.

وفي هامش ك: «وجدت بخط بعض الفضلاء، فإن زالت من كل المصنّف: ما مثاله: هذا البيت من الملقّن، وإنّما الكاتب غلط ووضعه هنا». وقد أشير فوقها بـ «حش».

وفي هامش و: «هذا من الجناس الملقّن، وإنّما الكاتب غلط ووضعه هنا». وقد أشير فوقها بـ «حش».

(٥) بعدها في ب، ط، و: «وسل ما». والبيتان لم أقع عليهما في ديوانه.

والعس: في شفته لون ضارب إلى السواد قليلاً. (اللسان ٢٠٧/٦ (لعس))؛ وألمى:

والبيت الأول من المعاني المخترعة التي لم أسبق^(١) إليها.

انتهى ما أوردته من الكلام على الجناس المركب واستجلاء عرائس التورية.

وأما الجناس المطلق فإن للناس في الفرق بينه وبين «المشتق» معارك، وسمّاه السكاسكي^(٢) وغيره «المتشابه والمقارب»^(٣)، لشدة مشابهته وقربه من «المشتق»، وكلّ منهما^(٤) يختلف في الحروف والحركات، ولكن الفرق بينهما دقيق، قلّ مَنْ أتى بصبحه^(٥) ظاهراً، فإن «المشتق» غلط فيه جماعة من المؤلفين وعدّوه^(٦) تجنيساً، وليس الأمر كذلك، فإن معنى^(٧) «المشتق» يرجع إلى أصل واحد، والمراد من الجناس اختلاف المعنى في ركنيه^(٨)، و«المطلق» كلّ ركن منه^(٩) يباين الآخر في المعنى. وأنا أذكر لكلّ [واحد]^(١٠) منهما شاهداً يزول به الألباس، فالمشتق كقوله^(١١) تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾﴾^(١٢)؛ وقيل: إن «ما» مصدرية، أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي؛ فعلى كلّ تقدير الجميع^(١٣) راجع إلى العبادة، والمعنى في الاشتقاق راجع إلى أصل واحد، وقوله^(١٤): ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾^(١٥)؛ ومثله^(١٦) قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾^(١٧)، وقوله تعالى: ﴿أَرْزِقِ الْأَرْزِقَةَ ﴿٥٧﴾﴾^(١٨).

= ووضعه هنا. وقد أشير فوقها بـ «حش». (١٢) الكافرون: ١، ٢، ٣، ٤.

- (١) في ط: «يسبق».
- (٢) في و: «السكاسكي».
- (٣) في ب، د: «والمقارب».
- (٤) في ك: «منها».
- (٥) في ب، ط: «بصحته».
- (٦) في ب: «وسمّوه».
- (٧) في د: «المعنى».
- (٨) في د: «تركيبه».
- (٩) «منه» سقطت من ب، ك؛ وثبتت في هـ ك.
- (١٠) مشاراً إليها بـ «ص».
- (١١) من ب، ط.
- (١٢) في ب: «والمشتق مثله قوله».
- (١٣) في ك: «الجمع».
- (١٤) «وقوله» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مع ما يليها، مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ط: «ومنه قوله تعالى».
- (١٥) «ومن... حسد» سقطت من ك، ووثبتت في هـ ك مع ما سبقها. «وقوله»: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ صح.
- (١٦) [الفلق: ٥].
- (١٧) «مثله» سقطت من ب، د، ط، و.
- (١٨) النجم: ٥٧.

ومن النظم قول عمرو بن كلثوم في معلقته [من الوافر]:
 ألا لا يجهلن أحدٌ عَلَيْنَا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(١)
 وما أطف قول كشاجم في خادِم أسود مشهورٍ بالظلم [من السريع]:
 يا مشبهاً في فعله لَوْنُهُ لم تحط ما أوجبت القسمة
 فِعْلُكَ مِنْ لَوْنِكَ مُسْتَخْرَجٌ وَالظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظُّلْمَةِ^(٢)
 فَإِنَّ النَّبِيَّ، (ﷺ)، قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٣).
 ومن السحر الحلال قول بعض المتأخرين في هذا^(٤) الباب [من البسيط]:

عَاتِبْتُ طَيْفَ الَّذِي أَهْوَى وَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ أَهْتَدَيْتَ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مَسْدُولٌ
 فَقَالَ آنَسْتُ نَاراً مِنْ جَوَانِحِكُمْ يَضِيءُ مِنْهَا لَدَى السَّارِينِ قِنْدِيلٌ
 فَقُلْتُ نَارُ الْجَوَى مَعْنَى وَلَيْسَ لَهَا نَوْرٌ يَضِيءُ؟ فَمَا ذَا^(٥) الْقَوْلُ مَقْبُولٌ
 فَقَالَ نَسَبْتُنَا فِي الْأَمْرِ^(٦) وَاحِدَةٌ أَنَا الْخِيَالُ وَنَارُ الشَّوْقِ تَخْيِيلٌ^(٧)
 وقد نَبَّه على^(٨) الاشتقاق بقوله^(٩): «نسبتنا في الأمر^(١٠) واحدة»، ورأيت^(١١)
 الشيخ^(١٢) شمس الدين بن الصائغ، رحمه الله تعالى^(١٣)، في شرحه^(١٤) على البردة

- (١) البيت في ديوانه ص ٧٨؛ ولسان العرب (٥) في ط: «وهذا».
 (٢) ١٧٧/٣ (رشد)؛ والمخصص ٨١/٣؛ (٦) في ط: «الحال».
 (٣) والبصائر والذخائر ٨٢٩/٢؛ وتحرير التعبير ص ١٠٢.
 (٤) البيتان في ديوانه ص ٢٧٨؛ وفيه: (٨) «على» سقطت من و، وثبتت في هامشها
 «يا مشبهاً في لونه فعله» مشاراً إليها بـ «صح»، وقد وضعت علامة
 للإلحاق خطأ فوق «وقد».
 (٥) في ب، د، ط، و: «في قوله».
 (٦) في ط: «الحال».
 (٧) في ب: «ورأيت» مكررة.
 (٨) في ب: «للشيخ».
 (٩) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط.
 (١٠) في ب: «شرح له».
 (١١) البيت في ديوانه ص ٢٧٨؛ وفيه: (٨) «على» سقطت من و، وثبتت في هامشها
 «يا مشبهاً في لونه فعله» مشاراً إليها بـ «صح»، وقد وضعت علامة
 للإلحاق خطأ فوق «وقد».
 (١٢) في ب: «للشيخ».
 (١٣) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط.
 (١٤) في و: «ذا».

لَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِ الْمُصْتَفِّ [مِنَ الْبَسِيطِ]:

ظَلَمْتُ سَنَةً مِّنْ أَحْيَا الظَّلَامِ إِلَى أَنْ أُشْتَكَّتْ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ^(١)
قال: إنَّ^(٢) «ظلمتُ» و«ظلام» جناس اشتقاق^(٣)، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَسَلَمْتُ
مَعَ سَلِيمَانَ﴾^(٤)، قلت: أمَّا «ظلمتُ» و«ظلام» فاشتقاق^(٥) بلا خلاف، و«أسلمتُ» مع
«سليمان» جناس مطلق^(٦)، لأنه لم يرجع في المعنى إلى^(٧) أصلٍ واحدٍ، وهو أعظم
شواهد البديعيين على الجناس المطلق.

انتهى الكلام على «المشتق»^(٨)، وأمَّا الجناس المطلق فلشدة مشابهته^(٩)
بالمشتق، يوهم أحد ركنيه أن أصلهما واحد، وليس كذلك، كقوله تعالى: ﴿وَإِن
يُرَدَّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾^(١٠)، وكقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوَاءَ
أَخِيهِ﴾^(١١).

ومنه ما كُتِبَ به إلى المأمون في حق عامل له، وهو: «فلان ما ترك/ فضةً إلا ١٣
فضها ولا ذهباً إلا ذهب به^(١٢)، ولا مالاً إلا مال عليه^(١٣)، ولا فرساً إلا افترسه، ولا
داراً لا أدارها ملكاً، ولا غلةً إلا غلها^(١٤)، ولا ضيعةً إلا ضيَّعها، ولا عقاراً إلا عقره،

تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ﴾ [التوبة:
٣٨]؛ وأمثاله كثيرة، ذكره في «رد العجز
على الصدر»، وذكر له ستة عشر مثلاً.
وقد أشير فوقها بـ «حش».

(٧) «إلى» سقطت من ب.

(٨) في ب: «الجناس المشتق».

(٩) في ط: «تشابه».

(١٠) يونس: ١٠٧.

(١١) المائدة: ٣١.

(١٢) في ب، د، ط، و: «أذهبه».

(١٣) في ب: «إليه»، وفي هامشها «عليه».

(١٤) «ولا مالاً... إلا غلها» سقطت من ك،

وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

وقد كتب فوقها «أصل».

(١) «أن اشتكت... ورم» سقطت من ك،
وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح»؛
وفي ك: «البيت»؛ وفي و: «ورم» مصححة
عن «ألم»، وفي هامشها «ورم» ن.

والبيت للبوصيري في ديوانه ص ١٦٧.

(٢) «إن» سقطت من ط.

(٣) في ب، د: «الاشتقاق».

(٤) النمل: ٤٤.

(٥) في ب: «اشتقاق».

(٦) في هامش ب: «الذي سمّاه الشيخ «جناساً

مطلقاً» ذكره الشيخ برهان الدين المطرزي

في المقامات، وسمّاه «شبه الاشتقاق»،

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنْ

الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]؛ وقوله

ولا حالاً إلا أحواله، ولا جليلاً إلا أجلاه، ولا دقيقاً إلا دقّه»^(١)؛ فهذه الأركان كلها^(٢) شواهد على الجناس المطلق، وليس^(٣) فيها ركنان يرجعان في المعنى^(٤) إلى أصل واحد^(٥) كالْمَشْتَقِ، بل جميع ما ذكرته^(٦) أسماء^(٧) أجناس، وهي محمولة على عدم الاشتقاق.

ومثل ذلك من النظم قول الشاعر [من الكامل]:

عُرْبٌ تراهم أعجمينَ عن القري
مُتَنَزِّلِينَ على الضيوفِ النَّزْلِ

فَأَقَمْتُ بَيْنَ الْأَزْدِ غَيْرَ مُزَوِّدٍ
ورحلتُ عن خولانَ غَيْرَ مَحْوَلٍ^(٨)

ومثله قول الآخر [من البسيط]:

بجانِبِ الكَرْخِ مِن بَغدادَ عَنِّ لَنَا
ظَفيرَتاهُ^(٩) على قَتلي تَظافَرتا^(١٠)

يا مَنْ رأى شاعراً أودى بِهِ الشَّعْرُ^(١١)

(٧) «أسماء» سقطت من و، وثبتت في هامشها.

(٨) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

والقري: ضيافة الضيف وإطاعمه. (اللسان

١٧٩/١٥ (قرا))؛ والأزد وخولان:

قبيلتان من العرب في اليمن. (اللسان

٧١/٣ (أزد)؛ ٢٢٦/١١ (خول))؛ وغير

مخول: لا يملك شيئاً من العبيد والخدم

والمال... (اللسان ٢٢٥/١١ (خول)).

(٩) في د، ط: «ضفيرتاه».

(١٠) لعلها: «تضافرتا»، وكتبت كما تلفظ

الضاد فيها قريية من مخرج الظاء.

(١١) البيتان للشريف المرتضى في ديوانه ٢/

٧٥؛ وبلا نسبة في نفحات الأزهار ص ٣٠.

والكرخ: موضع في العراق. (معجم =

(١) في هامش ك: «نقلت من خط شيخ

الإسلام ابن حجر من حاشية نسخة،

رأيتها في مرسل بديع الزمان، وفيها من

الزيادة: «ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا سيّداً

إلا استند به، ولا ليداً* إلا لبد فيه، ولا

غنماً إلا غنمها، ولا قطعاً إلا اقتطعه،

ولا حالة إلا أحالها». انتهى». وقد أشير

فوقها بـ«حش».

* اللبد: الصوف أو الشعر، أو البساط

المصنوع منهما. (اللسان ٣٨٦/٣ (لبد)).

(٢) في ب، د، ط، و: «هنا».

(٣) في ب، د، ط، و: «ليس».

(٤) «في المعنى» سقطت من ط.

(٥) في ب: «يرجعان إلى أصل واحد في

المعنى».

(٦) في ط: «ذكرنا».

وما أحلى قول القائل [من البسيط]:

* سَلَّمْ عَلَى الرَّبِيعِ مِنْ سَلْمَى بَدِي سَلَمٍ ^(١) *

فالثلاثة عنان ^(٢) حسنها ^(٣)، مطلق في المطلق.

وقال آخر ^(٤) وأجاد في قوله ^(٥) [من المتقارب]:

إذا أعطَشْتِكَ أَكْفُ اللَّئَامِ كَفْتِكَ الْقِنَاعَةَ شُبْعاً وَرِيّاً
فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى وَهَامَةٌ هَمَّتْهُ فِي الثَّرِيّاً ^(٦)

دوما أحلى قول أبي فراس في هذا النوع [من البسيط]:

فَمَا السَّلَافُ اَزْدَهْتَنِي ^(٧) بَلْ سَوَالِفُهُ وَلَا الشَّمُولُ دَهْتَنِي بَلْ شَمَائِلُهُ ^(٨)

ومثله قول الصاحب بهاء الدين زهير [من دوبيت]:

يَا مَنْ لَعِبْتُ بِهِ ^(٩) الشَّمُولُ ^(١٠) مَا أَلْطَفَ هَذِهِ الشَّمَائِلُ ^(١١)

=البلدان ٤/٤٤٧).

وفي هامش ب: «بينهما آخر وهو [من

البسيط]:

ذَوَابِتَاهُ نِجَادَا سَيْفٍ * مَقْلِيهِ

وجفنه جفنه والشفرة الشفرة

[والأبيات الثلاثة للشريف المرتضى في

ديوانه ٢/٧٥؛ وفيه: «وإفرنده الحور»].

وقد أشير فوقها بـ «حش».

* نجادُ السيف: حمائله. (اللسان ٣/

٤١٦ (نجد)).

(١) * الشطر لم أفع عليه في ما عدت إليه من

مصادر.

(٢) عنان: رباط أو قيد. (اللسان ١٣/٢٩٢

(عن)).

(٣) في ط: «جنسها».

(٤) في د، ط: «الآخر».

(٥) «في قوله» سقطت من ط.

(٩) في د: «به» مكررة.

(١٠) في ب، د، ط: «شمول».

(١١) البيت في ديوانه ص ٢٧٧.

(٦) البيتان بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ٣١.

(٧) في و: «زهنتي».

(٨) البيت في ديوانه ص ٢٦٠؛ ونفحات

الأزهار ص ٣٠؛ وفيهما: «دهنتي» مكان

«ازدهنتي»؛ و«ازدهنتي» مكان «دهنتي»؛

والعمدة ١/٥١٤؛ وفيه: «دهنتي»؛

و«زهنتي».

والسلاف: الخمرة. (اللسان ٩/١٦٠

(سلف))؛ والسوالف: ج سالفة، وهي

ناحية مقدم العنق من لدن معلق القُرط

إلى قَلْبِ التَّرْقُوة. يقال: إنها لوضّاحة

السّوالف. (اللسان ٩/١٥٩ (سلف))؛

والشّمول: الريح الشمالية، أو الخمر

الباردة. (اللسان ١١/٣٦٦، ٣٦٩ (شمل)).

وللبحتري^(١) [من الخفيف]:

وإذا ما رباحُ جُودِكَ هَبَّتْ صارَ قولُ العذولِ فيه^(٢) هباءً^(٣)

ويحسن هنا قول الشاب الظريف محمد بن^(٤) العفيف [من الوافر]:

أراك فيمَتلي قلبي سُروراً وأخشى أن تشطَّ بك الديارُ

فَجُرْ وَأَهْجُرْ وَصُدَّ وَلَا تَصِلْنِي رَضِيْتُ بأنْ تجورَ وَأَنْتَ جَارُ^(٥)

وما أحسن ما قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري شيخ شيوخ حماة

المحروسة^(٦)، رحمه الله تعالى بمثه وكرمه^(٧) [من المتقارب]:

تَوَلَّى شَبَابِي فَوَلَّى الْغَرَامُ وَلَازِمَ شَيْبِي لُزُومَ الْغَرِيمِ

وَلَوْلَمْ يَصِدْنِي بِأَزِيئِهِ لَمَّا صَارَ مَثْنِي مَهَاءُ الصَّرِيمِ^(٨)

انتهى الكلام على المطلق^(٩)، وعلى الفرق بينه وبين المشتق^(١٠) [منه]^(١١) نظماً ونثراً.

وقد رسم^(١٢) لي أن أثبت في بديعيتي هذه أبيات من تقدمني في النظم، كالشيخ

صفي الدين الحلبي والشيخ عز الدين الموصلي وما ورد في بديعية العميان من القدر

الذي استعملوه، ليشاهد المتأمل في هذا الميدان مجرى السوابق؛ فالشيخ^(١٣) صفي

الدين^(١٤) الحلبي^(١٥) جمع بين الجناس المركب والمطلق في بيت واحد، وهو

(١) في ب: «وقال البحتري».

(٢) في ط: «فيها».

(٣) البيت في ديوانه ١٦/١؛ وفيه:

«فلذا»... «العُدَالِ»؛ والإيضاح

ص ٣٢٣.

(٤) في ب: «محمد ابن الشيخ العفيف».

(٥) البيتان في ديوانه ص ١٥١؛ وفيه: «بنا»

مكان «بك»؛ و«أقم» مكان «فَجُرْ».

(٦) وشط: بعد. (اللسان ٣٣٤/٧) (شطط).

(٧) «المحروسة» سقطت من ب، د، ط، و.

(٨) «رحمه... وكرمه» سقطت من ب؛ و

«تعالى بمثه وكرمه» سقطت من و؛ وفي

د: «سقى الله ثراه».

(٩) سقطت من ط.

(١٠) سقطت من ط.

(١١) سقطت من ط.

(١٢) سقطت من ط.

(١٣) سقطت من ط.

(١٤) سقطت من ط.

(١٥) سقطت من ط.

المطلع، فقال:

إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلِّ عَنْ جِيْرَةِ الْعَلَمِ وَأَقْرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بَدِي سَلَمٍ (١)
والعميان لم يأتوا في البيت إلا بنوع واحدٍ فقالوا في المركب:
دَعِ عَنَّا سَلْمِي وَسَلِّ (٢) مَا بِالْعَقِيْقِ جَرِيٍّ وَأُمَّ سَلْعاً وَسَلِّ عَنْ أَهْلِ الْقُدُمِ (٣)
وقالوا في الجناس المطلق:

جَارَ الزَّمَانَ فَكَفُّوا جَوْرَهُ وَكَفُّوا وَهَلْ (٤) أَضَامُ لَدَى عُرْبٍ عَلَى إِضْمٍ (٥)
والمطلق (٦) في «أضام» و«إضم»، وأما «جار» و«جور» فمشتق، ولكن لم يخف
ما في البيتين من الثقل مع خفة الالتزام.
وبيت الشيخ عز الدين (٧) الموصلي (٨) [وهو] (٩):

فَحِيٍّ سَلْمِي وَسَلِّ مَا رَكَّبَتْ بِشِدَاً قَدْ أَطْلَقْتَهُ أَمَامَ الْحَيِّ عَنْ أُمِّ (١٠)
فالشيخ عز الدين (١١) أتى بالنوعين في بيتٍ واحدٍ، وورى بالاسمين من جنس
الغزل، ومع ذلك تَلَطَّفَ وتضائل عليهم / واحتشم.

أ١٤

وبيتي تقدّم [ذكره] (١٢)، ولكنَّ الضرورة دعت (١٣) إلى ذكره هنا (١٤) حسب
المرسوم العالي (١٥)، وهو:

بِاللّهِ سِرُّ بِي فَسِرُّبِي طَلَّقُوا وَطَنِي وَرَكَّبُوا فِي ضُلُوعِي مَطْلَقَ السَّقَمِ (١٦)

(١) البيت سبق تخريجه في باب براءة الاستهلال. (١٠) البيت في نفحات الأزهار ص ١٧، ٣٢.

وعن أمم: عن كئب. (اللسان ٢٨/١٢).
(أمم).

(٢) في ب «وسلم».

(١١) «عز الدين» سقطت من ط؛ وفي ب:
«الموصلي».

(٣) البيت في الحلة السيرا ص ٤٢.

(٤) في ك: «ولم» خ، وفي هامشها «وَهَلْ»
خ.

(١٢) من ط.

(٥) البيت في الحلة السيرا ص ٤٩.

(١٣) في ط: «دعت الضرورة».

(٦) في ط: «فالمطلق».

(١٤) في ب: «إلى ذكره هنا دعت» مكان
«دعت إلى ذكره هنا».

(٧) في ب: «العز».

(١٥) «العالي» سقطت من ط.

(٨) في د، و: «رحمه الله تعالى».

(١٦) البيت سبق تخريجه.

(٩) من ب.

وفي تسمية النوعين^(١) هنا ما يغني عن التنبه عليهما، وقد تقدّم الشرح على كل واحدٍ منهما، والشيخ صفي الدين^(٣) الحلبي^(٤) والعميان لم يثقل التقييد بتسمية النوع لهم كاهلاً، هذا^(٥) مع أن يكونَ مورّى^(٦) به من جنس الغزل، وشتان بين عالم^(٧) الإطلاق، والتقييد بضيق هذا الخناق، لأنّ الرقيق هنا^(٨) لم يقم له سوق بل يصدّق إذا ما ادّعى عتقه، والله المسؤول أن يُقيم لنا سوق القبول، في متاجر الرقّة، فإنّ الشيخ صفي الدين^(٩) قال في خطبته، مع إطلاق قياده: فانظر أيها العالم الأريب^(١٠) إلى غزارة الجمع، وهي ضمن الرياقة^(١١) في السمع، ثم قال [بعد ذلك]^(١٢) [من الطويل]:

وَدَعَّ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنِّي أَنَا الصَّائْتُ^(١٣) المحكي والآخرُ الصّدَى^(١٤)
انتهى^(١٥).

(١) في ط: «النوع».

(٢) «قد» سقطت من ب.

(٣) «صفي الدين» سقطت من ب.

(٤) «الحلي» سقطت من ط.

(٥) «هذا» سقطت من ط.

(٦) في ب: «مورّى».

(٧) في ك: «علم» خ، وفي هامشها «عالم»

خ.

(٨) «هنا» سقطت من ط.

(٩) في ب: «الحلي» مكان «صفي الدين».

(١٠) في ب، ط: «الأديب».

(١١) في ب: «الرقاية».

(١٢) من ط.

(١٣) في ط: «الصائح»؛ وفي ك: «الطائر»،

وفي هامشها: «الصائت» خ.

(١٤) البيت للمتنبي في ديوانه ص ٧٧٣؛ وفيه:

«أنا الطائر»؛ وفي نسخة أخرى: «أنا

الصائح» ٢٩١/١.

(١٥) «انتهى» سقطت من ط.

الجناس الملقق (*)

٣ - ورُمْتُ تَلْفِيْقَ صَبْرِي^(١) كِي أَرَى قَدَمِي يَسْعَى مَعِي فَسَعَى لِكُنْ أَرَاقَ دَمِي^(٢) وَحَدَّ^(٣) «الملقَّق» أَنْ يَكُونَ كَلٌّ مِنَ الرِّكْنَيْنِ^(٤) مُرَكَّبًا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ «المُرَكَّب»، وَقَلٌّ مِنْ أَفْرَدِهِ^(٥) عَنْهُ^(٦)، وَغَالِبُ الْمُؤَلِّفِينَ لَمْ يَفْرُقُوا^(٧) بَيْنَهُمَا، بَلْ عَدُّوا كُلًّا^(٨) مِنْهُمَا مُرَكَّبًا إِلَّا الْحَاتِمِي وَابْنُ رَشِيْق وَأُمَثَالُهُمَا^(٩)، وَلَعَمْرِي لَوْ سَمَّوْا الْمَلَقَّقَ مُرَكَّبًا وَالمُرَكَّبَ مَلَقَّقًا لَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْمَطَابَقَةِ فِي التَّسْمِيَةِ، لِأَنَّ الْمَلَقَّقَ مُرَكَّبَ الرِّكْنَيْنِ^(١٠)، وَالمُرَكَّبَ الرِّكْنَ الْوَاحِدِ^(١١) كَلِمَةً مَفْرَدَةً، وَالثَّانِي مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهَذَا هُوَ التَّلْفِيْقُ بِعَيْنِهِ^(١٢).

وَمَا أَلَمَّ بِالْمَلَقَّقِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْبَدِيعِيَّاتِ غَيْرَ الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ^(١٣) الْحَلِيّ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةٍ بِدِيعِيَّتِهِ إِنَّهَا نَتِيجَةُ سَبْعِينَ كِتَابًا فِي هَذَا الْفَنِّ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ [أَلَمَّ بِهِ]^(١٤)، وَلَمَّا^(١٥) عَارَضَهُ الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينِ^(١٦) الْمُوصِلِيَّ^(١٧) وَالتَّرَمَّ

(*) فِي ط: «ذَكَرَ الْمَلَقَّقَ».

فَوْق «رَشِيْق».

(١) فِي ب، د، وَ: «صَبْرًا».

(١٠) فِي ط: «فِي الرِّكْنَيْنِ».

(٢) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ وَرَقَةٌ ٣ب؛ وَنَفْحَاتُ

(١١) فِي ط: «رِكْنَ وَاحِدًا».

الْأَزْهَارِ ص ١٩؛ وَفِيهِ: «أَنْ أَرَى»؛

(١٢) «بِعَيْنِهِ» سَقَطَتْ مِنْ ط.

وَ«يَسْعَى بِهِ».

(١٣) «صَفِيِّ الدِّينِ» سَقَطَتْ مِنْ ب.

(٣) فِي ط: «حَدَّ».

(١٤) مِنْ ب.

(٤) فِي د: «المُرَكَّبَيْنِ».

(١٥) «أَنَّهُ لَمَّا» سَقَطَتْ مِنْ ط.

(٥) فِي د: «أَفْرَادِهِ».

وَفِي هَامِشِ ط: «قَوْلُهُ: «وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى

(٦) فِي ط: «نَفْسِهِ».

أَنَّهُ»... الصَّرَاحُ أَنْ يَقُولَ بِدَلِّ هَذِهِ الْعِبَارَةِ:

(٧) فِي ط: «مَا فَرَّقُوا».

«وَلَمَّا عَارَضَهُ إِخْ... تَأَمَّلْ». (حَاشِيَةٌ).

(٨) فِي ط: «كُلُّ وَاحِدًا»؛ وَفِي وَ: «كُلٌّ».

(١٦) «عَزَّ الدِّينِ» سَقَطَتْ مِنْ ب.

(٩) «وَأُمَثَالُهُمَا» سَقَطَتْ مِنْ د؛ وَفِي ك كَتَبَتْ

(١٧) «المُوصِلِيَّ» سَقَطَتْ مِنْ ط.

بتسمية^(١) الأنواع التي ذكرها الشيخ صفّي الدين^(٢)، لم يجد بداً من نظمه لأجل المعارضة، ولكن نحت فيه من الجبال بيتاً^(٣)، وسيأتي [ذكره]^(٤).
وأما العميان فإنهم عدّوه في بديعيتهم من المركّب فاخصّرته هنا، وكذلك بقية أبياتهم في أنواع الجناس تعيّن اختصارها، فإنهم لم يأتوا في البيت إلا بالنوع^(٥) الواحد.

ومن الملقق في النظم قول الشاعر [من الطويل]:

وكم لجباه الراغبين إليه من مجال سُجود^(٦) في مجالس جُود^(٧)
وما أطف قول^(٨) القاضي أبي علي عبد الباقي بن أبي حصين في هذا النوع
وقد ولي قضاء المعرّة^(١٠) وهو ابنُ خمسٍ وعشرين^(١١)، وأقام في الحكم خمس
سنين، وهو [من الوافر]:

وليت الحكم خمسا وهي خمس
فلم تُضِع^(١٣) الأعداي قدّر شاني
ليعمري والصبا في العنّفوان^(١٢)
ولا قالوا: فلان قدّر شاني^(١٤)

الدين بن حجر في المعنى [نفسه] [من
السريع]:

يا أيها السلطان لا تستمع

في أمر قاضيك كلام الوشاة
والله لن نسمع بأن أمراً

أهدى له قط ولا قدّر شاة

[البيتان في ديوانه ص ٢٧٢؛ وأنس الحجر
ص ٣٥٩].

قلت: ولم يورده المصنّف في كتابه،
لكنتي نقلته من كلام قاضي القضاة من
مصنّف له سمّاه «السبعة السيارة».

هذان البيتان ليسا من الجناس الملقق كما
ادّعا كاتبهما بقوله، ولابن حجر في

المعنى* [نفسه]... بل في الثاني
التورية فقط وهو قوله: «ولا قدّر شاة».

قاله محمد بن محمد المصري الشافعي.
(حاشية).

(١) في ط: «تسمية»؛ وفي ب: «بذكر».

(٢) «والتزم... الدين» سقطت من و، وثبتت
في هامشها مشاراً إليها بـ «صح صح»؛

وفي ب: «الحلي» مكان «صفّي الدين».

(٣) في ب، د، ط، و: «بيتاً من الجبال».

(٤) من ب.

(٥) في ب: «بأنواع».

(٦) في د: «سوّد».

(٧) البيت بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ١٨.

(٨) في ط: «ما قال».

(٩) في ط: «أبو».

(١٠) في ط: «القضاء بالمعرة».

(١١) بعدها في ب، ط، و: «سنة».

(١٢) في ك: «العنّفواني».

(١٣) في ب: «تعطى».

(١٤) البيتان له في نفحات الأزهار ص ١٨.

وفي هامش ك: «قلت: وللشيخ شهاب

وما أحلى قول^(١) شرف الدين بن عُنين في هذا الباب [من الخفيف]:
 خَبَّرَوهَا بِأَنَّهُ مَا تَصَدَّى لِسَلْوٍ عَنُّهَا وَلَوْ مَاتَ صَدًّا^(٢)
 ويعجبني قوله بعد المطلع [من الخفيف]:
 وسلوها^(٣) في زورةٍ من خيالٍ إن يكن^(٤) لم تجد من الهجرِ بُدًّا^(٥)
 انتهى.

وبيت الشيخ صفى الدين^(٦) في الملقق^(٧):

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم لهم ولم أستطع مع ذاك منع دمي^(٨)
 لم^(٩) يمكن الشيخ صفى الدين^(١٠) أن يحضر^(١١) مع الملقق غيره من أنواع
 الجناس في بيت واحد، كما^(١٢) تقدم، لصعوبة^(١٣) مسلكه، وهو عزيز الوقوع،
 ولكن له رونق وموقع في الذوق لحلاوة^(١٤) تركيبه، وغرابة أسلوبه؛ وبيت الشيخ
 صفى الدين^(١٥) فيه في^(١٦) غاية الرقة والانسجام، غير أن التحريف حكم عليه فصار
 مشوشاً، والمشوش كل جنس تجاذبه طرفان من الصنعة^(١٧) ولا^(١٨) يمكن إطلاق
 أحدهما عليه^(١٩)، وبيت الشيخ^(٢٠) صفى الدين^(٢١) تجاذبه المحرف والملقق.
 انتهى^(٢٢).

- =* ترك بعدها فراغ قدر ثلاث كلمات. (١٠) في ب: «الشيخ الحلبي».
- (١) في ط: «قول الشيخ».
- (٢) البيت في ديوانه ص ٤٩؛ ونفحات الأزهار ص ١٨.
- (٣) في ب، و: «واسألوها».
- (٤) في ب، د، ط، و: «تكن».
- (٥) البيت في ديوانه ص ٤٩.
- (٦) في ب: «وبيت الشيخ الحلبي»؛ وفي ط: «وبيت الحلبي».
- (٧) في ب: «الجناس الملقق».
- (٨) البيت في ديوانه ص ٦٨٥؛ وشرح الكافية البديعية ص ٦٢؛ ونفحات الأزهار ص ١٩.
- (٩) في ط: «ولم».
- (١٠) في ب: «الشيخ الحلبي».
- (١١) في ب: «الشيخ الحلبي».
- (١٢) في ب: «الشيخ الحلبي».
- (١٣) في ب: «الصيغة».
- (١٤) في ب، د، ط، و: «فلا».
- (١٥) في ب: «على الآخر».
- (١٦) في ب: «الشيخ» سقطت من ط.
- (١٧) في ب: «الشيخ الحلبي».
- (١٨) في ب: «كلام» مشطوبة.
- (١٩) في ب: «كلام» مشطوبة.

١٤ ب

وبيت الشيخ عزّ الدين^(١) / :

ملقّق^(٢) مُظَهَّر^(٣) سَرِي^(٤) وَشَانَ دَمِي لَمَّا جَرَى مِنْ عَيْونِي إِذْ وَشَى نَدَمِي^(٥)
 هذا البيت فيه الجناس الملقق على الصيغة^(٦)، وتسميته على الشروط المذكورة،
 ولكن عجزت لعقادة تركيبه عن الطيران بأجنحة الفهم لأحوم^(٧) له على معنى،
 ونظرت بعد ذلك في شرحه، فوجدته قد قال: إنّ لفظة «ملقّق» صفة للجواز والمجورور
 في قوله:

* فحَيِّ سلمى وسَلْ ما رَكَّبْتُ بِشَدًّا^(٨) *

يعني أنّ الشذا الذي أطلقته سلمى أمام الحيّ كان ملقّقاً. انتهى^(٩).
 وبيتي والمسؤول^(١٠) [له]^(١١) من الله السلامة:

وَرَمْتُ تَلْفِيْقَ صَبْرٍ^(١٢) كِي أَرَى قَدَمِي يَسْعَى مَعِي فَسَعَى لَكُنْ أَرَاقَ دَمِي^(١٣)
 الكلام^(١٤) في رقة قولِي: «ورمت تلفيق صبر»^(١٥) إلى آخر^(١٦) البيت، إنّما
 وقع^(١٧) مع^(١٨) أصحاب الغراميات لا مع^(١٩) أصحاب البديعيات، وقد تقدّم
 قولِي^(٢٠): إنّ الفرقة الناجية من التعسف والتكلف في النظم لم ترض بالجناس إذا
 أمكنت التورية. وقال^(٢١) المقرّ المرحوميّ الصاحبيّ^(٢٢) الفخريّ^(٢٣) في التورية التي

- (١) في ب: «الشيخ الموصلي».
 (٢) في و: «ملقّق» كتبت بعد «عزّ الدين» ظناً بها أنّها خبر لـ «بيت».
 (٣) في ط: «ظاهر».
 (٤) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: «سَرِي»؛ وسَرَى: شُرْف. (اللسان ١٤/ ٣٧٨ (سرا)).
 (٥) البيت في نفحات الأزهار ص ١٩.
 (٦) في ط: «الصنعة».
 (٧) في ط: «لا أحوم».
 (٨) البيت سبق تخريجه وعجزه:
 * قد أطلقته أمام الحيّ عن أمم *
 (٩) انتهى سقطت من ط.
 (١٠) في ط: «المسؤول».
 (١١) من ط.
 (١٢) في ط: «صبري»؛ وفي ك «صبر» رغم أنها وردت في أوّل هذا الباب «صبري».
 (١٣) البيت سبق تخريجه.
 (١٤) في ط: «والكلام».
 (١٥) في ط: «صبري».
 (١٦) في ط: «إلخ...».
 (١٧) في هـ ك: «هو» خ.
 (١٨) (١٩) في ط: «من».
 (٢٠) في ب: «إنّ قولِي»، وفي هامشها: «في...».
 (٢١) في د، و: «قال».
 (٢٢) «الصاحبيّ» سقطت من ط؛ وفي ب: «القاضي».
 (٢٣) في ب: «فخر الدين».

سَمَّوْهَا^(١) جناساً ملقّقاً [من البسيط]:
 إِنَّ الْهَوَاءَيْنِ يَا مَعْشُوقُ قَدْ عَبَّأْنَا
 بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ فِي سِيرٍ^(٢) وَفِي عَلَنِ^(٣)
 وَالرُّوحُ تَفْدِيكَ بِالْمَمْدُودِ قَدْ تَلَفَتْ
 وَالْجِسْمُ، حَوْشِيَّتٌ^(٤) بِالْمَقْصُورِ، فَيْكَ فَنِي^(٥)
 وَأَنْشُدْنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَحَدَ أَعْيَانِ^(٦) عَصْرِنَا^(٧) الْقَاضِي^(٨) بَدْرِ الدِّينِ
 ابْنِ^(٩) الدَّمَامِينِيِّ، فَسَحَّ اللَّهُ فِي أَجْلِهِ^(١٠) [من مخلّع البسيط]:
 تَدْرِي لِمَاذَا أَتَاكَ قَلْبِي
 فِي عَسْكَرِ الْوَجْدِ وَهُوَ ذَائِبٌ
 أَذْنَبَ ثُمَّ اخْتَشَى فَوَافِي
 مِنْ ذَلِكَ الدَّنْبِ فَيْكَ تَائِبٌ^(١١)
 وَأَنْشُدْنِي [من لفظه]^(١٢) لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَحَدَ أَعْيَانِ الْعَصْرِ^(١٣) الْقَاضِي مَجْدِ
 الدِّينِ^(١٤) بِنِ مَكَانَسٍ [من السريع]:

- (١) في ط: «سَمَّوْهَا».
 (٢) في ط: «سَرِي».
 (٣) في ط: «علني».
 (٤) في ك: «حوشيت» كتبت فوق «والجسم».
 (٥) بعدها في ب، ط، ك: «في كفن»؛ وفي و: «في كفن» وبعدها: «فَيْكَ فَنِي». والبيتان في نفحات الأزهار ١٩؛ وفيه: «في كفن».
 ويقصد بـ «الهواءين»: الهوى والهوى؛ فالمدد: الهواء؛ والمقصود: الهوى.
 (٦) في د، و: «سيدنا وعلامة» مكان «أحد أعيان».
 (٧) «الكريمة أحد أعيان عصرنا» حنقظت من ب، ط.
 (٨) في ب: «العلامة القاضي»؛ وفي ط: «علامة عصره الشيخ».
 (٩) «ابن» سقطت من ب، ط.
 (١٠) «فسح الله في أجله» سقطت من ب، ط.
 (١١) فوقها في د، وبعدها في ط، ك: «في كتاب»؛ وفي ب، و: «في كتاب» وبعدها: «فَيْكَ تَائِب». والبيتان في نفحات الأزهار ص ١٩؛ وفيه: «في كتاب».
 وفي هامش ك: «ونقلت من خط شيخ الإسلام أيضاً ما صورته: قال ابن حجر وقد أصابه ضعف [من البسيط]:
 أشكو إلى الله من هذا الزمان ومن
 هَذَا السقام الذي قد حل في بدني
 رَقُّ الْحَسُودِ لِمَا قَاسَيْتُهُ وَرَثَا
 وَمَا رَثَانِي سِقَامِي بَلْ وَلَا زَمَنِي»
 [البيتان في ديوانه ص ٢٨٠؛ وفيه:
 * «مما أقاسيه رق الكون لي ورثا» *
 وقد أشير فوقها بـ «حش».
 (١٢) من ب، د، ط، و.
 (١٣) «الكريمة... العصر» سقطت من ب.
 (١٤) «القاضي مجد الدين» سقطت من ط.

كمالٌ أوصافِكْ^(١) يا مُنَيَّتِي في حُبِّهِ^(٢) أصبحتُ مثلَ الخلالِ
وملتُ^(٣) من سُكْرِ الهَوَى نشوؤً فارحَمُ مُعَنَّى مُغْرَمًا في كمالِ^(٤)

ومن نظمي في هذا النوع^(٥) الغريب [من البسيط]:

رأتُ حياةَ شبابي قد قضتُ^(٦) أجلاً والسَّقْمُ قد زادَ لَمَّا قلَّ مضطَبِرِي
قالتُ سرقتُ نحوَلِ الخصرِ قلتُ لها: ما يحملُ الشيخُ هذا وهوَ فيكِ بري^(٧)

انتهى^(٨).

- (١) في ط: «أوصافي».
- (٢) في ب: «حَيْك»؛ وفي ط: «الحبُّ أنْ».
- (٣) في ب: «ونلتُ».
- (٤) بعدها في ك، و: «فيك مال»؛ وفي ب، د، ط: «فيك مال»، وبعدها في ب، ط: «في كمال»؛ وفوقها في د: «في كمال».
- (٥) «النوع» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
- (٦) في د: «قضى».
- (٧) بعدها في ك: «في كبر»؛ وفي ب، ط: «في كبر»، وبعدها: «فيك بري»؛ وفي و: «في كبري»، وبعدها: «فيك بري».
- (٨) والبيتان لم أقع عليهما في ديوانه.
- (٨) بعدها في ط: «والله عزَّ وجلَّ أعلم».

الجناس (*) المذيل واللاحق (**)

٤ - وَذَيْلَ الْهَمِّ هَمَلٌ الدَّمْعِ لِي فَجَرَى كَلَاحِقِ الْعَيْثِ حَيْثُ الْأَرْضُ فِي ضَرَمٍ (١)
والمذيل (٢) اختلف (٣) جماعة من (٤) المؤلفين في اسمه، ولم يتقرر له أحسن من
هذه التسمية، فإن فيها مطابقة للمسمى، وما ذاك إلا أن المذيل هو ما زاد أحد ركنيه
عن (٥) الآخر حرفاً في آخره فصار له كالذيل، وهو الفرق بينه وبين المطرف، ويأتي
الكلام على المطرف في موضعه، فالمذيل كقول كعب بن زهير [من الكامل]:

ولقد علمت وأنت خير حليمة (٦) أن لا يقربني الهوى لهوان (٧)
وما أطف قول (٨) من قال [من الكامل]:

وسألْتُها بإشارة عن حالها وعليَّ فيها لُوشاة عيونُ

(*) «الجناس» سقطت من د، ط، ك، و؛ (٧) في ب: «لهواني». والبيت في ديوانه ص
وثبت في هـ ك. ١٥٨؛ وفيه «غَيْرُ» مكان «خير»، و«هوى»
مكان «الهوى».

(**) «المذيل واللاحق» سقطت من د، و؛ وفي و: «الجناس المذيل واللاحق» كتب
مشطوباً بعد بيت البديعية.

(١) البيت في ديوانه ورقة ٣ب؛ وفيه:
«ضرمي»؛ و«نفحات الأزهار ص ٣٣، ٣٦».

(٢) في ط: «المذيل».

(٣) «اختلف» سقطت من و، وثبتت في
هامشها.

(٤) «من» سقطت من و.

(٥) في ط، و: «على».

(٦) في ط: «عليمة».

(٧) «قول» سقطت من ط.

فتنفّستْ صُعْدًا^(١) وقالتْ مَا الهَوَىٰ إِلَّا الهَوَانُ أُزِيلَ^(٢) عنه النونُ^(٣)
 ومنه قول أبي تمام^(٤) [من الطويل]:
 يمدون من أيدي عواصم عواصم
 تصول بأسياف^(٥) قواضٍ قواضٍ^(٦)
 وقال آخر [من الطويل]:
 عذيري من دهرٍ مُورٍ مُورٍ
 له حسناتٌ كلهنّ ذنوبٌ^(٧)
 ومن النثر: فلان^(٨) حامٍ حاملٍ لأعباءِ الأمور، كافٍ كافٍ لمصالح الجمهور؛
 ومثله: فلان^(٩) سالٍ من أحزانه^(١٠)، سالمٌ من زمانه.
 ومن غراميات البهاء زهير في الجناس المذيل قوله من قصيد [من مجزوء
 الكامل]:

أشكو وأشكرُ فعلهُ فاعجبُ لشاكٍ منه شاكرُ
 طرُفي وطرُفُ النجمِ فيهِ^(١١) كِلاهُما ساءٍ وساهِرُ^(١٢)
 منها، ولم يخرج عما نحن فيه^(١٣) [من مجزوء الكامل]:

يا ليلُ بدركُ حاضرٌ يا ليلتُ بذري كانَ حاضرٌ

- (١) في و: «صُعْدًا».
 (٢) في ب، د، و: «وزال»؛ وفي ط: «فزال».
 (٣) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
 (٤) في د: «ومنه قول أبي تمام» كتبت قبل البيت السابق سهواً. (فتنفّستْ... النونُ).
 (٥) في د: «بأسياف».
 (٦) البيت في ديوانه ١/١٤٩؛ والعمدة ١/٥٠٨؛ ونهاية الأرب ٧/٩١؛ والطرّاز ٢/٣٦٢؛ وتحرير التحبير ص ١٠٨؛
 (٧) في ك: «فلان» كتبت فوق «النثر».
 (٨) «فلان» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
 (٩) في ط: «عن إخوانه».
 (١٠) في ط: «فيك».
 (١١) البيتان في ديوانه ص ١٥٦-١٥٧.
 (١٢) في ط: «ولم يخرج عما نحن فيه، منها».

- حَتَّى يَبِينَ^(١) لِنَاظِرٍ^(٢) مَن مِّنْهُمَا زَاوٍ وَزَاهِرٌ^(٣)
وما أحلى ما ختم القصيد^(٤) بقوله [من مجزوء الكامل]:
بَدْرِي أَدَقُّ^(٥) مَحَاسِينَا وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرٌ^(٦)
وقد تأتي الزيادة في / آخر المذئيل بحرفين، كقول حسان بن ثابت، رضي الله ١٥
عنه^(٧) [من الطويل]:
وَكُنَّا مَتَى^(٨) يَغْزُو^(٩) النَّبِيُّ قَبِيلَةً نَصَلُ جَانِبَيْهِ بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ^(١٠)
ومثله^(١١) قول النابغة [من الطويل]:
لَهَا نَارٌ جِنَّ بَعْدَ إِتْسٍ تَحَوَّلُوا وَزَالَ بِهِمْ صَرْفُ التَّوَى وَالنَّوَابِلِ^(١٢)
ومنه في رثاء [قوله]^(١٣) [من الطويل]:
فِيَا لَكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهُمَا جَدِيدٌ^(١٤) الرَّدَى تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَائِحِ^(١٥)
وأرق ما سمعته في هذا الباب قول القائل [من مجزوء الكامل]:
إِنَّ الْبِكَاءَ هُوَ الشِّفَا ءٌ مِّنَ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(١٦)
انتهى الكلام على الجناس المذئيل.

- (١) في ط: «بيان».
(٢) في ط: «لناظري».
(٣) البيتان في ديوانه ص ١٥٦-١٥٧.
(٤) في ط: «القصيدة».
(٥) في ب، ط: «أرق».
(٦) البيت في ديوانه ص ١٥٧.
(٧) «رضي الله عنه» سقطت من ط.
(٨) في ب: «وكأنتي».
(٩) في و: «يغز»؛ وفي ب دون إجماع.
(١٠) في ب: «بالثنا والقبائل»؛ وفي نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: «... وَالْقَنَابِلِ». والبيت في ديوانه ص ٢٩٧؛ وفيه: «يغز»؛ و«حافتيه»؛ ونفحات الأزهار ص ٣١؛ وفيه: «جانيها».
(١١) في ط: «ومنه».
(١٢) البيت لم أقع عليه في ديوانه؛ وهو له في نفحات الأزهار ص ٣١.
(١٣) من ط.
(١٤) في ب: «حديدا».
(١٥) البيت لم أقع عليه في ديوانه؛ وهو بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ٣٢؛ والعمدة ٥٠٨/١؛ وفيه: «جديد البلى».
(١٦) البيت للخنساء في ديوانها ص ١٩٢؛ والإيضاح ص ٣٢١؛ وبلا نسبة في نفحات الأزهار ص ٣٢.

وأما اللاحق فقلَّ من فرَّق بينه وبين المضارع، والمراد بالمضارع هنا المشابه، والفرق بينهما دقيق^(١)، فإنَّ اللاحق هو^(٢) ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه، ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه، سمِّي مضارعاً، وإن كان قريباً منه^(٣) كان مضارعاً أيضاً، وأنا أذكر شاهد كلِّ منهما، فإنَّ الفرق بينهما يدقُّ على^(٤) كثير من الأفهام، ولم يساعده^(٥) على ظلمة شكِّه غير ضياء^(٦) الحسن^(٧)؛ فالمضارع^(٨) هو المشابه^(٩) في المخرج، كقوله تعالى، وهو^(١٠) الغاية^(١١) التي لا تدرك: ﴿وَهُمْ يَهْوُونَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾^(١٢)؛ ومنه^(١٣) قوله^(١٤) (ﷺ): «الخيَل معقود بنواصيها^(١٥) الخير إلى يوم القيامة»^(١٦)؛ ومثله^(١٧) قول بعضهم: «البرايا أهداف البلايا»^(١٨).

ومن النظم قول الشريف الرضيّ [رحمه الله]^(١٩) [من البسيط]:
لَا يُذَكِّرُ الرَّمْلُ إِلَّا حَنًّا مُغْتَرِبًا^(٢٠) لَهُ إِلَى الرَّمْلِ أَوْطَارٌ وَأَوْطَانٌ^(٢١)
فاللام والراء والنون من مخرج واحدٍ عند قطرب والجرمي وابن دريد والفرّاء.

- (١) في ب: «رقيق».
(٢) في ط «هنا».
(٣) في ك: منه «خ»، وفي هامشها «من المخرج» خ.
(٤) في ط: «عن».
(٥) في ط: «يساعده».
(٦) في ه ب: «الذوق».
(٧) في ب، ط: «الحسن»؛ وفي و: «الحسن» (ح).
(٨) في ط: «والمضارع».
(٩) في ط: «المتشابه».
(١٠) في ب: «وهي».
(١١) في ط: «إلى الغاية».
(١٢) الأنعام: ٢٦.
(١٣) في و: «ومثله».
(١٤) في ب: «قول النبي».
(١٥) في ط: «في نواصيها».
(١٦) الحديث في الأمثال النبوية ١/٤٠٠؛ وفيه: «في نواصيها»؛ ومسند أحمد بن حنبل ٢/٤٩، ٥٧؛ وسنن الدارمي ٢/٢١٢؛ ومستدرک الحاكم ٢/٥، ٩١؛ وصحيح ابن خزيمة ص ٢٢٥٢؛ وكنز العمال للمتقي الهندي ص ٣٥٢٤٤.
(١٧) في ب: «ومنه».
(١٨) المثل لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.
(١٩) من ط.
(٢٠) في ك: «حَنٌّ...» (ح)؛ وفي د: «جَنٌّ مغترب».
(٢١) البيت في ديوانه ٢/٣٩٥؛ وفيه: «بذي» مكان «إلى»؛ ونفحات الأزهار ص ٣٤؛ وفيه: «مغترباً»؛ وتحرير التحبير ص ١٠٧.

وقال (١) بعض أهل الأدب في كتاب (٢): «راش (٣) سهامه بالعقوق، ولوى ماله عن الحقوق». فالعين (٤) والحاء من مخرج واحد.

ويعجبني قول الشيخ جمال الدين بن نباتة (٥) في هذا الباب [من الكامل]:

رَقَّ النَّسِيمُ كَرَقَّتِي مَنْ بَعْدِكُمْ فكَأَنَّنَا فِي (٦) حُبِّكُمْ نَتَغَايِرُ
وَوَعَدْتُ بِالسَّلْوَانِ وَاشِ (٧) عَابَكُمْ (٨) فكَأَنَّنَا فِي كَذِبِنَا نَتَخَايِرُ (٩)
فالعين والحاء من مخرج واحد.

انتهى الكلام على المضارع وتقاربه من (١٠) مخارج حروفه في (١١) موضع (١٢) الإبدال، فاللاحق (١٣) فقد (١٤) تقدم أنه ما أبدل من أحد رُكْنِيهِ حَرْفٍ مِنْ غَيْرِ مَخْرَجِهِ، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا آلِيْنِمْ فَلَا نَقْهَرُ﴾ (١٥) ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ﴾ (١٥).

وكتب بعضهم في جواب رسالة: «وصل كتابك فتناولته باليمين، ووضعته مكان العقد الثمين».

ومن النظم قول البحرّي وأجاد إلى الغاية [من الخفيف]:

عَجَبَ النَّاسُ لِاعْتِرَالِي وَفِي الْأَطْ رَافٍ تَلَقَى (١٦) مَنَازِلَ الْأَشْرَافِ
وَقُعُودِي عَنِ التَّقَلُّبِ وَالْأَزْ ضُ لِمِثْلِي رَحْبَةً (١٧) الْأَكْنَافِ
لَيْسَ عَنِّي ثُرُوءٌ بَلَغَتْ مَدَاهَا غَيْرَ أَنِّي أَمْرُؤُ كِفَانِي كِفَانِي (١٨)

(١) في ط: «قال».

(٢) «في كتاب» سقطت من ب.

(٣) راش سهامه: ركب فيها الرّيش الخاص بها. (اللسان ٦/٣٠٨ ريش).

(٤) في ب: «فالعين» مكررة.

(٥) في و: «رحمه الله تعالى».

(٦) في ب: «وكأننا من».

(٧) في ب: «عنكم».

(٨) «عابكم» سقطت من ب، وفي هامشها: «عاذلي».

(٩) البيتان في ديوانه ص ٢٤٩؛ ونفحات الأزهار ص ٣٤؛ وفيه: «من حبكم».

(١٠) في ط: «ومقاربه في».

(١١) في ط: «على».

(١٢) «موضع» سقطت من ط.

(١٣) في ب، ط، و: «واللاحق».

(١٤) في ط: «قد».

(١٥) الضحى: ٩-١٠.

(١٦) في د، ط، و: «تلقى».

(١٧) في ب، د، ط، و: «رحبية».

(١٨) الأبيات في ديوانه ٧٦٤/٢؛ وفيه:

«تُنْغَسِي مَنَازِلُ»؛ و«وَقُعُودِي عَنِ

التَصْرِيفِ»؛ و«رَحْبِيَّةُ»؛ ونفحات الأزهار

ص ٣٣.

ف«كفاني» و«كفاني» هو اللاحق الذي لا يلحق، وهنا نكتة لطيفة تؤيد قول
البحرّي في بيته الأوّل، وهو [من الخفيف]:

عجبَ الناسُ لاغتزالي وفي الأطمِّ رَافٍ تَلَقَّى (١) منازلَ الأشرافِ (٢)
قيل لبعضهم: في أيّ موضع من (٣) القرآن (٤) «الأطراف» «منازل الأشراف»؟
فقال: في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى * قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ﴾ (٥)، فهذا أشرافهم، وكان ينزل، (٦) (ﷺ)، في (٦) أقصى المدينة، والأطراف
والأشراف أيضاً (٧) ممّا نحنُ فيه.

ومّا أحلى قول أبي هلال العسكري في اللاحق أيضاً (٨) [من الوافر]:

وَأَزَعَى (٩) تَحْتَ حَاشِيَةِ الدِّيَاجِي شَقَائِقَ وَجَنَّةٍ سُقَيْتَ مُدَامَا
وإنْ ذُكِرَتْ لَوَاحِظُ مُقْلَتَيْهِ حَسِبْتُ قَلُوبَنَا مُطِرَتْ سِهَامَا
وإنْ مَالَتْ بِعِطْفِيهِ شُمُولٌ سَقَانَا مِنْ شَمَائِلِهِ سَقَامَا (١٠)

انتهى الكلام على الجناس اللاحق، والفرق بينه وبين المضارع.

ومن الناس من سمّى (١١) كلّ ما اختلف (١٢) بحرف تجنيس «التصريف»، سواء
كان من المخرج أو من غيره، ولكن رأيت استجلاء الفرق أنور، ولا يشترط أن يكون
الإبدال في الأوّل ولا في الوسط ولا في الآخر، فإنّ جلّ القصد الإبدال كيفما
اتفق (١٣). انتهى (١٤).

وبيت الشيخ صفّي الدين (١٥) مشتمل (١٦) على الجناس (١٧) المذيل واللاحق،

- | | |
|-------------------------------------|---|
| (١) في د، ط، و: «تلقى». | (١١) في ب، ط: «يسمي». |
| (٢) البيت سبق تخريجه. | (١٢) في ك: «ذلك» خ، وفي هامشها «كل |
| (٣) في ب، د، ط: «في». | ما اختلف؛ وبعدها في و: «فيه» |
| (٤) في ب: «القرآن الكريم». | مشطوبة. |
| (٥) يس: ٢٠. | (١٣) «اتفق» سقطت من د، ك؛ وثبتت في هـ ك |
| (٦) في ط: «وكان (ﷺ)، ينزل، من». | مشاراً إليها بـ «خ». |
| (٧) أيضاً سقطت من ط. | (١٤) «انتهى» سقطت من ب، ط. |
| (٨) أيضاً سقطت من ب، د، ط، و. | (١٥) في ب: «وبيت الحلبي». |
| (٩) في ب: «أرى»؛ وفي ط، و: «أراعي». | (١٦) في ط: «يشتمل». |
| (١٠) الأبيات في ديوانه ص ٢٠٣. | (١٧) «الجناس» سقطت من ط. |

وهو: /

ب ١٥

أَبَيْتُ وَالدَّمْعُ هَامٌ هَامِلٌ سَرِبٌ وَالْجِسْمُ مِنْ (١) إِضْمٍ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ (٢)
 وَبَيْتُ الشَّيْخِ عَزَّ الدِّينُ (٣) الْمَوْصِلِيُّ (٤)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (٥):

يَذِيلُ (٦) الْعَدْلُ (٧) جَارٌ (٨) جَارِحٌ بِأَذَى (٩) كَلَّاحِيَةٍ مَاجِحِيِ الْآثَارِ فِي الْأَكْمِ (١٠)

قال شيخنا الشيخ شمس الدين الهيثمي، وقد تقدمت ترجمته، رحمه الله (١١)، لما
 أنشدته هذا البيت والذي قبله، بعد حفظي لهما من المصنّف، بحماسة (١٢)
 المحروسة (١٣): لَوْ عَزَى أَحَدٌ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِلَى الْجَانِّ مَا شَكَّكَتُ فِي قَوْلِهِ.

وبيت بديعيّي:

وَذَيْلُ الْهَمِّ هَمْلٌ الدَّمْعُ لِي فَجَرَى كَلَّاحِيِ الْغَيْثِ حَيْثُ الْأَرْضُ فِي ضَرْمٍ (١٤)
 وَالْمَذِيلُ (١٥) فِي «هَمٍّ» وَ«هَمْلٍ»، وَاللَّاحِقُ فِي «غَيْثٍ» وَ«حَيْثٍ». انْتَهَى (١٦).

- (١) في ب، ط، و: «في»؛ وفي ك: «من»
 خ، وفي هامشها «في» خ.
 (٢) البيت في ديوانه ص ٦٨٦؛ وشرح الكافية
 البديعية ص ٦٣؛ وَنَفْحَاتِ الْأَزْهَارِ
 ص ٣٦، ٣٢.
 والوَضْمُ: كل ما يوضع عليه اللحم من
 خشب أو بارية يُوقى به من الأرض؛
 ويقال: تركهم لحمًا على وَضْمٍ: أي أوقع
 بهم فذلّلهم وأوجعهم. (اللسان ١٠٢/
 ٦٤٠ ووضم)).
 (٣) «عز الدين» سقطت من ب.
 (٤) «الموصلّي» سقطت من ط، و.
 (٥) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط، و.
 (٦) في ب: «مذيل»؛ وفي و: «مذيل» كتبت
 بعد «عز الدين» ظنًا بها أنها خبر لـ «بيت».
 (٧) في ط: «الدمع».
 (٨) في د: «حار» (ح*).
 (٩) في ب: «بدني».
 (١٠) البيت في نفحات الأزهار ص ٣٢، ٣٦؛
 وفيه: «يديل».
 والأكم: الرّوابي الملتفة بالأشجار.
 (اللسان ١٢/٢١ (أكم)).
 (١١) «رحمه الله» سقطت من ب، ط.
 (١٢) في د: «بحماسة» (ح*).
 (١٣) «المحروسة» سقطت من ب، ط.
 (١٤) البيت سبق تخريجه.
 (١٥) في ط: «فالمذيل».
 (١٦) «انتهى» سقطت من ط.

[الجناس^(*)] التامّ والمطرّف^(**)

٥ - يا سعدُ ما تمّ لي سعدٌ يُطرّفني بقُرْبِهِمْ وقليلُ الحظِّ لمْ يُلمّ^(١)

أما الجناس التامّ فهو ما تماثل ركناهُ واتفقا لفظاً واختلافاً معنئاً، من غير تفاوت في صحيح^(٢) تركيبهما واختلاف حركاتهما^(٣)، سواء كانا من اسمين أو من فعلين أو من اسم وفعل، فإنّهم قالوا: إذا انتظم^(٤) رُكناهُ من نوعٍ واحدٍ كاسمين أو فعلين، سمّي مُمَثَلًا^(٥)، وإن انتظما من نوعين كاسم وفعل سمّي مستوفئاً، وجلّ القصد تماثل الرّكنين في اللفظ والخطّ والحركة، واختلافهما في المعنى، سواء كانا من اسمين أو من^(٦) غير ذلك، فإنّ المراد أن يكون الجناس تاماً^(٧) على الصيغة^(٨) المذكورة، من حيث هو، وهو^(٩) أكمل الأنواع إبداراً^(١٠) وأسماءها^(١١) رتبة وأولها في الترتيب، ومنه^(١٢) قول الإمام [أمير المؤمنين]^(١٣) عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه^(١٤):

(*) من ب. «انتظم».

(**) في ب، و: «المطرّف والتامّ».

(٥) في و: «مُمَثَلًا».

(١) «يا سعد... لم يلمّ سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح». والبيت

في ديوانه ورقة ٣ب؛ وَنَفْحَاتِ الْأَزْهَارِ

ص ٢٦، ٣٩؛ وفيه: «لقربهم».

(٧) في د: «فأما».

(٨) في ط: «الصفة».

(٩) «وهو» سقطت من ط. ويطرّفني: يُشَرّفني. (اللسان ٢١٨/٩

(١٠) في ب: «أبدأ».

(١١) في ب، و: «وأعلاها».

(١٢) في ب، د، و: «في حركاتهما»؛ وفي ط: «فمنه».

(١٣) من ط. ط: «حركاتهما».

(١٤) في ب، د، ك، و: «انتظمت»؛ وفي ط: «كرم الله وجهه».

«صولة الباطل ساعة، وصولة الحق إلى الساعة». وقيل: ما وقع في القرآن العظيم غير^(١) هذين الركنين، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(٢)، ولكن استخرج شيخنا العلامة الشيخ شهاب الدين^(٣) بن حجر من القرآن العظيم^(٤) جناساً آخر تاماً عظيماً، وهو^(٥) قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَمِصْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَرِ﴾^(٦).

ومن النظم قول الشاعر وأجاد إلى الغاية^(٧) [وهو]^(٨) [من الطويل]:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ^(٩) اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ^(١٠)

ومن مُلح هذا النظم في هذا^(١١) النوع قول ابن الرومي [من البسيط]:

لِلسُّودِ^(١٢) فِي السُّودِ^(١٣) آثَارٌ تَرَكْنَ بِهَا وَقَعاً مِنَ الْبَيْضِ تَشِي^(١٤) أَعْيُنَ الْبَيْضِ^(١٥)

ومثله قول أبي الفتح البُستي [من الوافر]:

(١) في ك: «من» خ، وكتب فوقها «غير ع». (٢) في ب: «يقوم». الروم: ٥٥.

(٣) وفي هامش ك: «ونقلت من خطّ شيخ الإسلام المشار إليه أيضاً ما نصّه: «قلت:

ثمّ وقع لي بعد ذلك شاهدٌ آخر؛ وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [النور: ٢٥]؛ ثمّ وقفت

على ثالث، وهو قوله تعالى في فضل ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَاءً آيَاتَهُ مِنْ كُلِّ مَوْجٍ سَبِّحًا ﴿٨٤﴾ فَأَنْجَى سَبِّحًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف:

٨٤-٨٥]؛ فإن أهل العلم بالتفسير قالوا: إنّ السبب الأوّل العلم، والثاني الطريق. وقد أشير فوقها بـ «حش».

(٤) «شبخنا... الدين» سقطت من ط. (٥) «العظيم» سقطت من د، و؛ وفي ب: «الكريم».

(٦) «هو» سقطت من «د». (٧) «اللسان ٢٣١ (سود)؛ والثانية: الليلي السوداء. (٨) «اللسان ٢٢٦/٣ (سود)؛ و«البييض» =

(٩) «اللسان ٢٢٦/٣ (سود)؛ و«البييض» =

(١٠) «اللسان ٢٢٦/٣ (سود)؛ و«البييض» =

(١١) «اللسان ٢٢٦/٣ (سود)؛ و«البييض» =

سَمَا وَحَمَىٰ بِنِي سَامٍ وَحَامٍ فليسَ كَمِثْلِهِ سَامٍ وَحَامٍ^(١)
 أما أبو الفتح البُستي^(٢) فإنه ثابر على استعمال الجناس في نظمه^(٣) كثيراً، ولكن
 ما أعلم أنه نظم أحسن من هذا البيت^(٤)، ولقد^(٥) تجمّل به نوع الجناس وكاد أن
 يكون توريةً.

وما أحسن قول الغزوي^(٦) فيه وأحشمه [من البسيط]:

لم نلقَ^(٧) غيرَكَ إنساناً يُلاذُّ بهِ فلا برحّت لعينِ الدهرِ إنساناً^(٨)

ومطلع الشيخ صفّي الدين^(٩) الحلبي^(١٠) في قصيدته البائية، التي عارض بها أبا
 الطيّب المتنبّي^(١١)، فامتدح^(١٢) بها السلطان^(١٣) الملك الناصر، سقى الله عهده^(١٤)،
 حسنٌ في هذا الباب، وهو [من الكامل]:

أَسْبَلَنَ من فوقِ التُّهودِ ذَوَائِبَا فتركَنَ حَبَّاتِ القلوبِ ذَوَائِبَا^(١٥)

(٧) في ب: «يلق»، وفي هامشها: «يلقّف». (٨) البيت له في معاهد التنصيص ١٧/٢؛ وللمغربي في الطراز ٣٥٨/٢؛ والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ص ١٣٦؛ وفيه: «لم يبق غيرك إنساناً...»

فلا برححت... ولأبي العلاء المعري في البلاغة العربية (الميداني) ص ٤٤٩؛ ولم أقع عليه في ديوانه.

(٩) «صفي الدين» سقطت من ب.

(١٠) «الحلبي» سقطت من ط.

(١١) «أبا الطيب» سقطت من ط؛ وفي ب: «المتنبّي أبا الطيب».

(١٢) في ب، د، ط، و: «وامتدح».

(١٣) «السلطان» سقطت من د.

(١٤) «سقى الله عهده» سقطت من ب.

(١٥) البيت في ديوانه ص ٩٥؛ ونفحات الأزهار ص ٣٨.

الأولج «أبيض»، وهي السيوف أو الخوذ التي يلبسها الفرسان اتقاءً للسيوف؛ والثانية: الجواري المكنونة في الخدر. (اللسان ١٢٥/٧، ١٢٨ (بيض)).

(١) «سما وحمى... وحام» سقطت من و، وثبتت في هامشها مع ما يليها مشاراً إليها ب «صح». والبيت في ديوانه ص ١٧٤؛ ونظم الدرّ والعقيان ص ٢١٩.

(٢) «أما... البستي» سقطت من و، وثبتت مع ما سبقها في هامشها مشاراً إليها ب «صح»: «سما... البستي» صح؛ و«البستي»: سقطت من ط.

(٣) «في نظمه» سقطت من ط.

(٤) في ب: «هذين البيتين»؛ وفي هامشها: «هذا البيت».

(٥) في ط: «وقد».

(٦) في ط: «المعري».

ومن محاسن هذه القصيدة قوله منها^(١) [من الكامل]:

عَاتِبْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَأَزُورُ أَلْحَاظًا وَقَطَّبَ حَاجِبًا / ١١٦
فَأَذَابِنِي الْخُدَّ الْكَلِيمَ^(٢) وَطَرْفَهُ^(٣) ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةَ مُغَاضِبًا^(٤)

ومطلع الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى^(٥)، في قصيدته القافية^(٦) التي امتدح بها الملك الأفضل، صاحب حماة المحروسة^(٧)، غاية في هذا النوع، وقد عارض بها^(٨) أبا الطيب^(٩) المتنبّي أيضاً^(١٠)، ولكن أتى فيها بما لو سمعه أبو العلاء [المعري]^(١١) لرجع عن شرح^(١٢) ديوان أحمد، وأقرّ بمعجزات محمّد. ومطلع^(١٣) المتنبّي [هو]^(١٤) [من الكامل]:

أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرُقُ وَجَوِيٌّ يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقُّرُقُ^(١٥)
ومطلع الشيخ جمال الدين^(١٦)، رحمه الله تعالى^(١٧) [هو]^(١٨) [من الكامل]:
مَا بَتْ فِيكَ بَدْمِعِ عَيْنِي أَشْرُقُ إِلَّا وَأَنْتَ مَنْ الْغَزَالَةِ أَشْرُقُ^(١٩)

- (١) في ط: «ومن محاسنها» مكان «ومن... منها».
- (٢) في و: «الكريم».
- (٣) في ب: «بطرفه».
- (٤) البيتان في ديوانه ص ٩٦؛ ونفحات الأزهار ص ٣٨.
- (٥) و«ذو النون» هو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧].
- (٦) «تعالى» سقطت من و؛ وفي ب: «النباتي» مكان «جمال... تعالى».
- (٧) «المحروسة» سقطت من ب، ط.
- (٨) «بها» سقطت من ط.
- (٩) «أبا الطيب» سقطت من ب.
- (١٠) «أيضاً» سقطت من ط.
- (١١) (١١) من ب.
- (١٢) «شرح» سقطت من ط.
- (١٣) في ط: «مطلع».
- (١٤) من ب.
- (١٥) البيت في ديوانه ٧٣/٣؛ وتاج العروس ٢٥/٧ (أرق)؛ وفيه: «وأسى» مكان «وجوى».
- (١٦) (١٦) في ب: «النباتي»؛ وفي ط: «ابن نباتة» مكان «الشيخ جمال الدين»؛ وبعدها في و: «بن نباتة».
- (١٧) (١٧) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط.
- (١٨) من ب.
- (١٩) (١٩) البيت في ديوانه ص ٣٣٨؛ وهو مما قاله في الأفضل بن المؤيد.
- وفي هامش ك: «قال شيخ الإسلام ابن حجر: «ليتأمل هذا، فإنني أظنّ الأوّل [أشروق] بضمّ الراء، ولست من ذلك على يقين». انتهى». وقد أشير فوقها بـ «حش».

ولأجل إطنابي في هذه القصيدة تعين إيراد شيء من محاسنها^(١) هنا، منها^(٢) [من الكامل]:

عَيْنٌ عَلَى مَرَأَى جَمَالِكَ تُنْفَقُ
فَكَأَنَّ^(٤) غَرْبَ الْجَفْنِ مَتَّى مَشْرِقُ
أَتَى لَجْوَرِكَ فِي الْهَوَى أَتَشَوِّقُ
وَالدَّمَاعَ رَاحَةً مَنْ يَحِبُّ وَيَعَشَقُ
يُفْنِي عَلَيْكَ حَيَاتَهُ لَمْوَفَقُ
وَسَهَامٌ سَحْرٍ مِنْ جُفُونِكَ تُرَشِقُ
فَاعَجَبٌ لَهُ مَنْ سَائِلٍ يَتَصَدَّقُ
فِي غَيْظِ لُؤَامِي^(٩) عَلَيْكَ فَلَا سُقُوا
بِالْحَلِيِّ يُزْهِرُ^(١٠) وَالْغَلَائِلُ تُورِقُ^(١١)
خَطَاً بِهِ حُبُّ الْقُلُوبِ مُعَلَّقُ
حِظِّي عَلَيْهِ وَهُوَ رِزْقٌ ضَيِّقُ
وَلبَسْتُ ثُوبَ الرَّاحِ وَهُوَ مُعَثِّقُ
لِلشَّرِبِ مَا بَيْنَ النَّدَامَى زَوْزُقُ
فَهُوَ السَّنَانُ أَوْ الْعَدُوُّ الْأَزْرُقُ^(١٤)

أَنْفَقْتُ عَيْنِي^(٣) فِي الْبِكَاءِ وَحَبِّدَا
وَتَكَاثَرْتُ فِي الْجَفْنِ أَنْجُمٌ أَدْمَعِي
وَأَخَافَنِي مِنْكَ^(٥) الْعَدُولُ وَمَا دَرَى
قَسِماً بِمَنْ جَعَلَ الْأَسَى بِكَ لَذَّةً
إِنَّ الْعَدُولَ هُوَ الْغَيْبِيُّ وَإِنَّ مَنْ
لِي مِنْ نَصِيبِ نَوَاكٍ^(٦) سَهْمٌ وَافِرٌ
يَمْتَازُ^(٧) مِنْ دَمْعِي عَلَيْكَ دَوُو الْبُكَاءِ
وَلَقَدْ سُقَيْتُ بِكَأْسِ^(٨) فَيْكَ مُدَامَةً
وَضَمَمْتُ مِنْ عِطْفَيْكَ غَضْنَ مَلَا حِيَةٍ
وَقَرَأْتُ فِي^(١٢) خَدَيْكَ بَعْدَ تَأْمُلٍ^(١٣)
وَرُزِقْتُ مِنْ جَفْنَيْكَ مَا حَسَدَ الْوَرَى
وَنَعَمْتُ بِاللَّذَاتِ وَهِيَ جَدِيدَةٌ
فِي لَيْلِ أَفْرَاحٍ كَأَنَّ هَلَالَهُ
حَتَّى اسْتَطَالَ الْفَجْرُ يَطْعَنُ فِي الدُّجَى

(٨) في ب: «بكأسك».

(٩) في ط: «عدالي».

(١٠) في ك: «تزهر».

(١١) في د، ط: «يورق»؛ وفي و: «يورق»
مصححة عن «تورق».

(١٢) في ط: «من».

(١٣) في د: «تأمل»^(*).

(١٤) «حتى استطال... الأزرق» سقطت من و،
وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

(١) في ب: «منها ومن محاسنها».

(٢) «منها» سقطت من ب؛ وفي ط: «فمنها».

(٣) في ك: «عمري» خ، وفي هامشها «عيني»
خ ص؛ وفي و: «دمعي خ»، وفي
هامشها: «عيني» صح.

(٤) في ب: «وكأن».

(٥) في ط: «فيك».

(٦) في د، ط: «هواك».

(٧) في د: «يمتاز».

لَكُنْنَا لَا عَن رِضَى نَتَفَرَّقُ
لَا يَسْتَقَرُّ وَطَالِبٌ لَا يَرْفُقُ^(٢)

نَحْوِي السُّقَاءُ وَأَنَّ فَوْدِي أَبْلَقُ
أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرُقُ^(٧)
منها في المدح، والعدر عن طول ما أوردته واضح لغرابه أسلوبها غزلاً ومدحاً^(٨)

أَصْلُ الْفَخَارِ وَكُلُّ ذَكَرٍ مَلْحَقُ
وَالنَّجْمُ بَعْضُ جَدُودِهِمْ فَلْيَرْتَقُوا^(٩)
فَلَأَنَّهُ بِيَدِ^(١١) الْفَتْوحِ مُطَوَّقُ
فَكَأَنَّهُمْ بَبْقَاءِ أَفْضَلِهِمْ بَقُوا^(١٣)

- والغلائل: الدروع، وقيل: بطائن تلبس تحت الدروع. (اللسان ٥٠٢/١١ غلغل)؛ والفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. (اللسان ٣٤٠/٣ فود) .
- (٨) في ط: «والعدر عن طول... ومدحاً، منها في المدح» .
- (٩) في ك: «مطوق»، وفي هامشها: «صوابه: فليرتقوا» .
- وفي هامش ب: «يشير إلى جدّه نجم الدين أيوب». وقد أشير فوقها بـ «حش» .
- (١٠) في ك: «يشجع» .
- (١١) في ط: «بيد» .
- (١٢) في ب، د، و: «أو يَفَن»؛ وفي ك: «وإن تَفَن»، (والواو فيها مشطوبة)، وفي هامشها: «صوابه: إن يَفَن» .
- (١٣) في ك: «فالقلب قبل الطَّرْف فيها مُطَرَّق»، =

يَا حَبِّذَا لَيْلٌ نَبِيْعُ بِهِ الْكَرَى
حَيْثُ الشَّبَابُ إِلَى الْمَسْرَةِ رَاكِضٌ^(١)
[منها]^(٣) [من الكامل]:

مَا سَرَّنِي أَنَّ الْكُمَيْتَ تَحْتَهَا^(٤)
زَالَ الصَّبَا^(٥) وَنَأَى الْحَبِيبُ فَعَادَنِي^(٦)
منها في المدح، والعدر عن طول ما أوردته واضح لغرابه أسلوبها غزلاً ومدحاً^(٨)

قَوْمٌ لَذَكَرَاهُمْ عَلَى صُجُفِ الْعَلَا
أَلْمُلْكُ بَعْضُ دِيَارِهِمْ فَلْيَنْزِلُوا
إِنْ يَسْجَعُ^(١٠) الدِّينُ الْحَنِيفُ بِمَدْحِهِمْ
أَوْ يُبْقِ^(١٢) مَاضِيَهُمْ عَلَى سَنَنِ الْوَفَا

- (١) في ك: «راكذ»، وفي هامشها: «صوابه: راكض» .
- (٢) الأبيات في ديوانه ص ٣٣٨-٣٣٩؛ وفيه: «وتكاثرت... مشرق» ساقط؛ و«فيك» مكان «منك»؛ و«لجودك» مكان «لجورك»؛ و«الغني» مكان «الغبي»؛ و«هواك» مكان «نواك»؛ و«ضوء الراح» مكان «ثوب الراح»؛ و«حتى استطال... الأزرق» ساقط .
- ويمتار: يأخذ الميرة وهي الطعام. (اللسان ١٨٨/٥ مير) .
- (٣) من ب، د، و .
- (٤) في ب، ط: «يحثها» .
- (٥) في ط: «زار الضنا» .
- (٦) في د، ط: «وعادني» .
- (٧) البيتان في ديوانه ص ٣٣٩ .

فالقَلْبُ قَبْلَ الطَّرْفِ فِيهَا مُطْرِقٌ
غَرْبَانُ بَيْنِ فِي الْخَزَائِنِ تَنْعَقُ
عنها الكواكبُ وَهِيَ بَعْدُ تُحَلِّقُ^(٣)

وُقِيَتْ مِنْ حَدَقِ إِلَيْكَ تُحَدِّقُ
جَلْبَأُ بِغَيْرِ بِلَادِكُمْ لَا يُنْفَقُ
مَثْوَاهُ بَاكِيَةُ الْغَمَائِمِ^(٦) تَشْهَقُ
أَكْمَامُهَا بِيَدِ النِّسِيمِ تُفْتَقُ^(٧)

تُجَلَى بِجَارِحَةِ السَّمَاعِ وَتُشْتَقُ^(٩)
فِي النِّظْمِ شَابَ مِنَ الْوَلِيدِ الْمَفْرُقِ
دُرَرَ الصِّفَاتِ^(١١) يَقُولُ لِلخَلْقِ^(١٢) أَنْفِقُوا^(١٣)
فِي الْخَافِقَيْنِ جِنَاحُ ذِكْرٍ^(١٤) يَخْفَقُ
مَا كُنْتُ لَوْلَاكُمْ بِهَا أَتَعَلَّقُ

مَلَأْتُ مَوَاقِفُهُ^(١) الْقُلُوبَ مَهَابَةً
وَكَأْتَمَا أَقْلَامُهُ بِسَوَادِهَا
لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى عَزَائِمٍ^(٢) قَصَّرَتْ
[منها]^(٤) [من الكامل]:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُكْمَلُ فَضْلُهُ
وَبَقِيَتْ لِلْمُدَّاحِ تَجَلِبُ عَيْسُهُمْ
أَذْكَرْتَنَا زَمَنَ الْمُؤَيَّدِ لَا غَدَتْ^(٥)
حَتَّى تَجَرَّ بِهِ ذِيُولَ حَدِيقَةٍ
[منها]^(٨) [من الكامل]:

وَبِدِيعَةٍ كَالرَّوْضِ إِلَّا أَنَّهَا
نَظْمُتْهَا عَقْدًا بَدُونِ مِثَالِهِ^(١٠)
لَا فَضْلَ لِي فِيهَا وَبِحَرْكٍ قَاذِفٍ
مَنْ عَشَّ بَيْتَكَ قَدْ دَرَجَتْ فَطَارَ لِي
وَبِكُمْ^(١٥) عَلَقْتُ مِنَ الْقَرِيضِ صِنَاعَةً

(٥) من ب، د، ط، و.

(٦) في ط: «الغمامة».

(٧) الأبيات في ديوانه ص ٣٤٠.

(٨) من ب، د، ط، و.

(٩) في ك: «وتعشق»، وفي هامشها:
«وتشتق» خ.

(١٠) في ب، د، و: «مثاله».

(١١) في ط: «الصفاء».

(١٢) في ط: «للناس».

(١٣) في د: «أنفقوا».

(١٤) في ط: «ذُكْرِك».

(١٥) في ط: «ولكم».

=وفي هامشها: «صوابه: فكأنهم بقاء»

أفضلهم بقوا؛ وفي ط: «فلا تهم...».

(١) في ط: «مواهبه».

(٢) في ط: «العزائم».

(٣) الأبيات في ديوانه ص ٣٣٩؛ وفيه:

«قوم... ملحق؛ ساقط؛ والنجم» مكان

«الملك»؛ و«حدودهم» مكان

«جدودهم»؛ و«إن يسجع... مطروق»

ساقط؛ و«يفن» مكان «بيق»؛ و«موافقة»

مكان «موافقه»؛ و«وكأنما... تنعق»

ساقط.

(٤) في د، ط، و: «عدت».

لَكُمْ الْوَلَا^(١) مَتِّي لِأَنَّ نِدَائِكُمْ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ لِرُقِّي^(٢) يَعْتِقُ^(٣)

ومن مطالعي في الجناس التام قولي [وهو]^(٤) [من الكامل]:

يَا طَيِّبَ الْأَخْبَارِ يَا رِيحَ الصَّبَا يَا مَنْ إِلَيْهِ كُلُّ قَلْبٍ^(٥) قَدْ صَبَا^(٦)

وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة، سنة اثنتين^(٧) وثمانمئة، إلى

مولانا المقرّ الأشرف القاضي الناصريّ محمد بن البارزيّ الجهنيّ الشافعيّ^(٨)،

صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة^(٩)، عظم الله

شأنه^(١٠)، أهرّ جذع الأدب^(١١) تشوقاً إليه وإلى حماة^(١٢)، وقلت بعد المطلع أخطب

النسيم بما هو أرقّ منه [من الكامل]:

يَا طَاهِرَ الْأَذْيَالِ كَمْ لَكَ مِنْ نَبَا

يَا صَادِقَ الْأَنْفَاسِ يَا أَهْلَ الذِّكَا

يَا مَنْ نَرَاهُ عِبَارَةً عَنْ حَاجِرٍ

يَا نَسْمَةَ الْخَيْرِ الَّذِي مِنْ طَيْبِهِ^(١٣)

تُنْتَشِقُ^(١٤) الْأَخْبَارُ عَنْ تِلْكَ الرُّبَا

بِاللَّهِ إِنْ رَتَّحْتَ ذَاتَكَ^(١٥) بِالْحِمَى

وَوَرَدَتْ شِعْبًا مِنْ دَمُوعِي مَعْشَبَا

وَهَزَزْتَ فِيهِ كُلَّ عُوْدٍ أَرَاكِي

أَضْحَى بِهَاتِيكَ الشُّغُورِ مُطَيَّبَا

(٧) في ب، د، ك: «اثنتين».

(١) في د: «الولاء».

(٨) في ط: «القاضي تاج الدين بن البارزي»

(٢) في ط: «الفقري».

مكان «مولانا... الشافعي».

(٣) الأبيات في ديوانه ص ٣٤٠؛ وفيه:

(٩) «بالممالك الإسلامية المحروسة» سقطت

«وتعشق» مكان «وتنشق»؛ و«المثل» مكان

من ط؛ و«المحروسة» سقطت من ب.

«بدون»؛ و«تقول» مكان «يقول»؛

(١٠) سقطت من ط؛ وفي ب: «عظم الله

و«وطار» مكان «فطار»؛ و«علمت»

سبحانه شأنه»؛ وفي د، و: «عظم الله

مكان «علقت»؛ و«من كلّ حادثة له في

تعالي شأنه».

معتق».

(١١) «أهرّ جذع الأدب» سقطت من ط.

(٤) من ب.

(١٢) في ب، ط: «حماة المحروسة».

(٥) في ب، و: «صب»؛ وفي ك: «قلب» خ،

(١٣) في ك: «طيه»، وفي هامشها: «طيه» خ.

وفي هامشها: «صب» خ.

(١٤) في د، ط: «تنشق».

(٦) البيت في ديوانه ورقة ٣٥ب؛ وفيه: «كلّ

(١٥) في ط: «ذيك».

صب».

وَلَعْنَتٌ مِنْ ثَغْرِ الْأَقَاحِي (١) مَبْسَمًا
 وَدَخَلَتْ كُلَّ خَبَاءٍ زَهْرٍ قَدْ عَدَا
 وَطَرَقَتْ حَيَّ الْعَامِرِيَّةِ ظَامِنًا
 وَحَمَلَتْ مِنْ نَشْرِ الْخَزَامَى نَفْحَةً
 عُجْجٌ بِالْعُذَيْبِ فَإِنَّ مَخْجَرَ عَيْنِهِ
 وَاصْحَبَ عَيْبِرَ (٥) الْمَسْكِ مِنْهُ فَإِنَّهُ
 فَإِذَا تَقَمَّصَتْ (٧) الشَّدَا (٨) وَتَعَطَّرَتْ
 عَرَّجٌ عَلَى وَادِي حِمَاةٍ بِسَحْرَةٍ (٩)
 وَاحْمِلْ لَنَا فِي طَيِّ بُرْدِكَ نَشْرَهُ (١٠)
 وَأَسْرِعْ إِلَيَّ وَدَاوِ (١٢) فِي مَصْرِ بِهِ
 اللَّهُ ذَاكَ السَّفْحُ وَالْوَادِي الَّذِي
 وَتَعَمَّ (١٥) لِمَصْرِ (١٦) نَسْبَةٌ لَكُنْ أَرَى
 أَرْضٌ رَضَعْتُ بِهَا ثَدِيَّ شَبِيبَتِي
 يَا سَاكِنِي مَغْنَى حِمَاةٍ وَحَقِّكُمْ
 وَمَهَالِكُ الْحَرَمَانِ تَمْنَعُ عَبْدَكُمْ

أَبْدَى بَدْرٌ (٢) الطَّلُّ (٣) ثَغْرًا أَشْنَبَا
 بدموعِ أَجْفَانِ الْغَمَامِ مُطَبَّأ (٤)
 فَنَعَمَتْ فِي الْوَادِي بَرِيًّا زَيْتَبَا
 مَشْمُولَةٌ بِالطَّيْبِ مِنْ ذَاكَ الْخَبَا
 أَضْحَى لِمَا حُمِّلَتْهُ مُتَرَقِّبَا
 لَشَوَارِدِ الْغَزَلَانِ أَضْحَى مَشْرَبَا (٦)
 مِنْكَ الذِّيُولُ وَطَبَّتْ يَا رِيحَ الصَّبَا
 مَتِيَّمًا مِنْهُ صَعِيدًا طَيِّبَا
 فَبِعَيْبِرِ ذَاكَ الطَّيْبِ لَنْ أَتَطَيَّبَا (١١)
 قَلْبَا (١٣) عَلَى نَارِ الْبَعَادِ مُقَلَّبَا
 مَا زَالَ رَوْضُ الْأَنْسِ فِيهِ مُخْصَبَا (١٤)
 وَادِي حِمَاةٍ وَلُطْفُهُ لِي أَنْسَبَا
 وَمَزَجْتُ لِدَاتِي (١٧) بِكَاسَاتِ (١٨) الصَّبَا
 مِنْ بَعْدِكُمْ مَا ذُقْتُ عَيْشًا طَيِّبَا
 مِنْ أَنْ يِنَالَ مِنْ التَّلَاقِي مَطْلَبَا (١٩)

(١) في و: «الأقاح».

(٢) في د: «بدر».

(٣) في ب: «الثغر»، وفي هامشها: «الطل».

(٤) «ودخلت... مطببا» سقطت من ك،

وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

(٥) في د: «عنبر».

(٦) في ب: «مسربا».

(٧) في ط: «وإذا تنصمت».

(٨) في د: «الصبا».

(٩) في د: «بسجدة».

(١٠) في د: «نشره».

(١١) في ط: «نتطيبا».

(١٢) في د: «داو».

(١٣) في د: «قلنا».

(١٤) في ب: «مطيبا»؛ وفي د: «مخصبا».

(١٥) في ب: «ولنعم»؛ وفي ط، و: «وانعم».

(١٦) في ب: «مصر»؛ وفي ط: «لمصر».

(١٧) «لذاتي» سقطت من ب، وثبتت في

هامشها.

(١٨) في ب: «بكاساتي».

(١٩) الأبيات في ديوانه ورقة ٣٥ ب -

١٣٦؛ وفيه «تنسّم الأخبار»؛ و«مشعبا»؛ =

[منها]^(١) [من الكامل]:

وإذا اشتَهَيْتُ السَّيْرَ نَحْوَ دِيَارِكُمْ

[منها]^(٣) [من الكامل]:

وَقَدْ التَّفْتُ^(٤) إِلَيْكَ يَا دَهْرِي بِطَو

قَرَزْتَ لِي طَوْلَ الشَّتَاتِ وَظَيْفَةً

[والمخلص]^(٦) [من الكامل]:

وَأَسْرَتَنِي لَكُنْ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ

فمحمَّدٌ ومدينةٌ قد حلَّها

[منها في المديح]^(٨) [من الكامل]:

مولئٍ إذا قصَدَ الزمانَ بلحنه

ذو رتبةٍ نصَبَ السُّعودُ بيوتها

وَفَضَائِلِ أُمَسْتِ^(١٠) عَلَى حُلِّ الْعُلُو

وكتابةٍ منسوبةٍ لَكُنْ إِلَى

وإذا تَسَنَّمْ ذُرْوَةً مِنْ مُنْبَرٍ

قَرَأَ التَّوَى لِي فِي الْأَوَاخِرِ مِنْ سَبَا^(٢)

لِ تَعْتُبِي وَيَحِقُّ لِي أَنْ أُعْتَبَا

وَجَعَلْتَ دَمْعِي فِي الْخُدُودِ مُرْتَبَا^(٥)

يا دهرُ كُنْ فِي مَخْلَصِي مُتَسَبِّبَا

لَمْ أَلَقَ غَيْرَهُمَا لِقَلْبِي مَطْلَبَا^(٧)

خَفَضِي غدا عَنْ رَفْعِ قَدْرِي مُعْرَبَا^(٩)

من فوقِ هامِ الْفَرْقَدَيْنِ وَطَنَّبَا

مِ بِرِقْمِهَا الزَّاهِي طِرَازاً مَذْهَبَا

غَيْرِ^(١١) الْكَمَالِ وَحَقَّهَا^(١٢) لَنْ^(١٣) تُسَبِّبَا^(١٤)

لِخُطَابَةٍ فَأَبْنُ الْخُطِيبِ هُنَا هَبَا

(٥) البيتان في ديوانه ورقة ٣٦ أ.

(٦) من ب، د، و.

(٧) البيتان لم أقع عليهما في ديوانه.

(٨) من د، و.

(٩) في د: «معلبا».

(١٠) في ب، و: «أضحت»؛ وفي هـ و:

«أمست» صح.

(١١) في ط: «عين».

(١٢) في هـ ب: «وحقه».

(١٣) في ط، و: «أن».

(١٤) في هامش ب: «إشارة إلى والده كمال

الدين». وقد أشير فوقها بـ «حش».

= «وإبردك بشرة»؛ و«وداوي»؛ و«فيه مخضبا».

والأشنب: الفم ذو الأسنان البيضاء والرقعة والعذوبة. (اللسان ١/٥٠٦، ٥٠٧ (شنب)).

(١) من و.

(٢) البيت في ديوانه ورقة ٣٦ أ.

و«سبا» مخففة من «سبا»، وهي مدينة تُعرف بـ «مأرب»، وقيل: هو اسم مدينة بلقيس باليمن. (اللسان ١/٩٤ (سبا)).

(٣) من ب، د، و.

(٤) في د: «التفتت».

من بيتٍ فضلٍ قد عَلتَ طبَقَاتُهُ
 وإذا وقفتَ لحاجةٍ في بابِهِ
 يا كاتبَ الأسرارِ يا من فضلهُ
 أقلامك السُمُرُ الرِشاقُ^(٢) إذا انثنتَ
 سودُ العيونِ كأنما ألحاظها
 لكنْ إلى وجهِ الطُروسِ إذا رنتَ
 وسرى نسيمُ الروضِ^(٤) في قصبَاتِها
 فلاجلِ ذا إن رجعتَ أقوالها
 رجعْ إلى ما كتأ فيه^(٧) من الكلامِ على^(٨) الجناسِ التامِ، ومن نظمي فيه
 [أيضاً]^(٩) مع زيادة التورية^(١٠) قولي^(١١) [من المنسرح]:
 طلبتُ تقبيلَ من أحبُّ وقد
 فرَّقَ لي قلبه وقال إذا
 انتهى الكلام على الجناس التام.

وقد تقدّم قولي إنَّ جميعَ مَنْ نهلتُ من شربهم^(١٣) الصافي لم يرتضوا^(١٤)
 بالجناس التام إذا أمكن اشتراك^(١٥) التورية من رُكنيه، لعلمهم بعلوّ رتبتها عنه

- (١) «وإذا... مُجَرَّبًا» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
- (٢) في ب: «الرقاق».
- (٣) في ك: «الحرب» خ، وفي هامشها: «الخطب» ص.
- (٤) في ب، د، ط، و: «الذوق»؛ وفي ك: «الروض» خ، وفي هامشها: «الذوق» خ.
- (٥) في د: «نلق».
- (٦) الأبيات في ديوانه ورقة ١٣٦ - ٣٦ب؛ وفيه: «لم تنسبا»؛ و«الأنام مشيئا».
- ويقصد بـ «ابن الخطيب» الوزير لسان الدين الأديب والشاعر والخطيب المعروف؛ وهبًا: يقال: هبا الرماد:
- (٧) «رجع إلى ما كتأ فيه» سقطت من د.
- (٨) «الكلام على» سقطت من ط، و.
- (٩) من ط.
- (١٠) في ب: «مع الزيادة بذكر التورية وهو».
- (١١) «قولي» سقطت من ط.
- (١٢) البيتان في ديوانه ورقة ١٧٩.
- (١٣) في ط: «شرايهم».
- (١٤) في ب، د، ط، و: «يرضوا».
- (١٥) في ط: «استدراك».
- اختلط بالتراب وهمد. (اللسان ١٥/ ٣٥١ (هبا))؛ وبيض الظبي: السيوف، وقيل: الظبة: حدّ السيف والسنان... (اللسان ١٥/ ٢٢ (ظبا)).

والتفات الأذواق الصحيحة [السليمة]^(١) إلى حسن موقعها، وإذا راجعت النظر في كلامهم وجدت غالب ما نظموه من التورية جناساً تاماً^(٢)، فمن ذلك قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل [من دوبيت]^(٣):

كَمْ قَالَ معاطفي حكتها الأسْلُ . وَالْبَيْضُ سَرَقَنَ ما حَوَتْهُ الْمُقْلُ
وَالْيَوْمَ^(٤) أوامري عليهم حَكَمْتُ أَلْبَيْضُ تُحَدُّ وَالْقَنَا تُعْتَقَلُ^(٥)

ففي «تحدُّ» و«تُعْتَقَلُ» جناسان تامان مماثلان^(٦) إذا أبطلت الاشتراك وأبرزت^(٧) كلاً من الركنين في موضعه، على طريق مَنْ له رغبة في الجناس، ومثله قول القاضي^(٨) محيي الدين بن عبد الظاهر في كوز^(٩) [الحَبَّ]^(١٠) [من مجزوء الوافر]:

وذي أُذُنٍ بِسَلامٍ . له قلبٌ بِسَلامٍ
إذا اسْتَوْلَى على حَبٍّ . فقل ما شئت في الصَّبِّ^(١١)

ومثله قول البدر^(١٢) يوسف بن لؤلؤ الذهبي [من الطويل]:

تَعَشَّقَتْهُ لَدُنَّ القَوَامِ مُهْفَهَفًا . شهِيَّ اللَّمَى أَحْوَى المِراشِفِ أَشْنَبًا

(١) من ط. (اللسان ١١/٤٦٢)

(عقل).

(٢) «تاماً» سقطت من د.

(٣) من ط؛ وَ في ب: «دوبيت».

(٤) في ب، ط، و: «والآن»؛ وفي ك:

«واليوم» خ، وفي هامشها: «والآن» خ.

(٥) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

وَالْأَسْلُ: الرماح، وقيل: كلُّ شجر له

شوك طويل... (اللسان ١١/١٤-١٥)

(أسل)؛ ويقصد بـ «البيض»: السيف أو

الجواري؛ وتُحَدُّ: تعاقب بإنزال الحدِّ بها

لمخالفة حدود الله؛ ويقال أيضاً: حَدَّ

السيف: شَحَذَهُ. (اللسان ٣/١٤٠-١٤١)

(حدد)؛ وتُعْتَقَلُ: تُجَعَلُ بين الركاب

والساق، أو أن تُجَعَلَ تحت الفخذ، ويُجَرَّ

(١١) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

(١٢) في ب، ط: «بدر الدين».

وقالوا بدأ^(١) حَبُّ الشَّبَابِ بِوَجْهِهِ فَيَا حُسْنَهُ^(٢) وَجْهًا إِلَيَّ مُحَبَّبًا^(٣)
ومنه قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز^(٤) الأنصاري، شيخ شيوخ حماة، رحمه
الله تعالى^(٥)، [من الوافر]:

لَنَا مَنْ رَبَّةِ الْخَالَيْنِ جَارَةٌ تَوَاصَلُ تَارَةً وَتَصَدُّ تَارَةً
تَعَامِلُنِي بِمَا يَحْكِي^(٦) سَلْوِي^(٧) وَلَكِنْ لَيْسَ فِي جَوْفِي مَرَارَةٌ^(٨)
ومثله قول الشيخ ظهير^(٩) الدين [بن]^(١٠) البارزي، سقى الله ثراه^(١١)، [من
مجزوء الرجز]:

يَا لِحَيْةَ الْجَبِّ الَّتِي طَالَ لَهَا تَلْفُتِي^(١٢) / ١١٧
هَلْ أَنْتِ مَسْكُ التَّرِكِ أَوْ هَلْ أَنْتِ مَسْكُ تُبَّتِ^(١٣)
ومثله قول الشاب الظريف، شمس الدين محمد بن العفيف [من الطويل]:

تَبَسَّمَ زَهْرُ الْبَانِ عَنْ طَيِّ نَشْرِهِ وَأَقْبَلَ فِي حُسْنٍ يَجْلُ عَنِ الْوَصْفِ
هَلُمَّ إِلَيْهِ بَيْنَ قَصْفٍ وَلَذَّةٍ فَإِنَّ عُصُونَ الْبَانِ تَصْلُحُ لِلْقَصْفِ^(١٤)
ومنه^(١٥) قول الشيخ علاء الدين الوداعي، رحمه الله تعالى^(١٦)، [من الخفيف]:

- (١) في ب: «به».
(٢) في د: «حسنه»^(١٢).
(٣) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(٤) «عبد العزيز» سقطت من ط.
(٥) «رحمه الله تعالى» سقطت من ط.
(٦) في ط: «يحلو»؛ وفي ب، د، و: «يُحلي».
(٧) في ط: «سلوي».
(٨) في ب: «مرأة». والبيتان في ديوانه ص ٢٠٠.
(٩) في ب: «علاء»، وفي هامشها: «ظهير».
(١٠) من ب، و.
(١١) «سقى الله ثراه» سقطت من ب.
(١٢) في ط: «ومثله».
(١٣) في ك: «تلفت».
(١٤) «ومثله قول الشاب... للقصف» سقطت من ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».
(١٥) البيتان في ديوانه ص ٢٢٣؛ وفيه: «زهراً اللوز عن دُرِّ مَبْسَمٍ وَأَصْبَحَ»؛ وَ الْعُصُونَ الرَّهْرِ».
(١٦) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط.

- أَثَخَنْتَ عَيْنَهَا^(١) الجِرَاحُ وَلَا إِذْ مَمَّ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا نَعْسَاءُ^(٢)
 زَادَ فِي عُسْقِيهَا جَنُونِي فَقَالُوا مَا بِهَذَا؟ فَقُلْتُ^(٣): بِي سَوْدَاءُ^(٤)
 وَمَنَّهُ^(٥) قَوْلُ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ^(٦) لِسَانَ الدِّينِ بْنِ^(٧) الْخَطِيبِ^(٨) [مِنَ الرَّمْلِ]:
 جَلَسَ الْمَوْلَى لِتَسْلِيمِ الْوَرَى وَلِفَضْلِ^(٩) الْبَرْدِ فِي الْجَوِّ اخْتِكَامُ
 فَإِذَا مَا سَأَلُوا عَنْ يَوْمِنَا قُلْتُ: هَذَا الْيَوْمُ بَرْدٌ وَسَلَامٌ^(١٠)
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّيْخِ سِرَاجِ الدِّينِ الْوَرَّاقِ، رَحِمَهُ اللهُ^(١١)، فَيَمْنُ بِخَلِّ بِالرَّاحِ،
 وَالتَّوْرِيَّةُ ثَلَاثِيَّةٌ^(١٢)، [وَهُوَ]^(١٣) [مِنَ الْكَامِلِ]:
 لَا تَطْمَعَنَّ بِرَاحَةٍ مِنْ مَعْشِرٍ^(١٤) سَادُوا بِغَيْرِ مَآثِرِ السَّادَاتِ
 قُطِعَتْ عَنِ الْمَعْرُوفِ أَيْدِيهِمْ وَقَدْ سَرَقُوا الْعَلَا فَخَلَّتْ مِنَ الرَّاحَاتِ^(١٥)
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ نَصِيرِ الدِّينِ الْحَمَامِيِّ [مِنَ مَجْزُوءِ الرَّجْزِ]:
 لِي مَنزَلٌ مَعْرُوفُهُ^(١٦) يَنْهَلُ غَيْثًا كَالسُّحُبِ
 أَقْبَلُ ذَا الْعَذْرِ بِهِ^(١٧) وَأُكْرِمُ^(١٨) الْجَارَ الْجُنُبِ^(١٩)
 وَمَنَّهُ^(٢٠) قَوْلُ شَهَابِ الدِّينِ الْحَاجِبِيِّ^(٢١) [مِنَ الْوَافِرِ]:

الله تعالى».

(١) في ب: «عنها».

(٢) «أثخنت... نعاء» سقطت من و، (١٢) في ب: «والتورية مثلثة».

(٣) وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

(١٣) من ط.

(٤) في ب: «قلت».

(٥) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

مصادر.

(١٦) في ب، د: «معروفة».

(٥) في ط: «ومثله».

(١٧) في د: «المؤدريّة».

(٦) «ذي الوزارتين» سقطت من ط.

(١٨) في ط: «وأقبل».

(٧) «بن» سقطت من ط.

(١٩) الرجز في الأدب في العصر المملوكي

(٨) في د، و: «رحمه الله تعالى».

١٦٠/٢.

(٩) في د: «وبفضل».

(٢٠) في ب، ط، و: «ومثله».

(١٠) البيتان في ديوانه ٥٧١/٢؛ وفيه:

(٢١) في د: «رحمه الله».

«احتكام» و«وسلام».

(١١) سقطت من ب، ط، و؛ وفي د: «رحمه

لَهُ عَيْنٌ لَهَا غَزْلٌ وَغَزْوٌ مَكْحَلَةٌ وَلِي عَيْنٌ تَبَاكَثُ
 وَحَاكَثٌ فِي فَعَائِلِهَا الْمَوَاضِي فَيَا لِكَ مَقْلَةٌ غَزَلْتُ وَحَاكَثُ^(١)

ومثله قول جمال الدين عبدالله السوسي [من مخْلَع البسيط]:
 أَهْوَى غَزَالاً عَلَيْهِ صَبْرِي قَدْ بَانَ فِي الْحَبِّ وَهُوَ عَذْرِي
 آسِرُ قَلْبِي بِمَقْلَتَيْهِ فَرَحْتُ مَمْلُوكَهُ بِأَسْرِي^(٢)

ومثله^(٣) قول الشيخ زين الدين^(٤) بن الوردِي [من المجتَث]:
 قَالَتْ إِذَا كُنْتُتْ تَهْوَى أَنْسِي^(٥) وَتَخْشَى^(٦) نَفْوَري
 صَفٌّ وَزَدَ خُدْيَ وَإِلَّا أَجْوَرُ نَادَيْتُ جُورِي^(٧)

ومثله قول الشيخ شمس الدين^(٨) بن الصائغ^(٩) [من الكامل]:
 هَجَرْتُ فَأَحْشَائِي لَذَاكَ تَوَقَّدْتُ جَمراً وَلَيْسَتْ فِي الْمَحَبَّةِ^(١٠) فَاتِرَةٌ
 هَذَا وَتَحْرُمْنِي أَقْيَلٌ بِالْجَفَا^(١١) وَمَنْ الَّذِي يَقْوَى^(١٢) بِنَارِ الْهَاجِرَةِ^(١٣)

وأحسن منه قول الشيخ جمال الدين^(١٤) بن نباتة^(١٥) في الملك المؤيد صاحب
 حماة^(١٦) [من الطويل]:

- (١) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
- (٢) «ومثله قول جمال الدين... بأسري» سقطت من ب، د، ط، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح». والبيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
- (٣) في ب، د: «ومنه».
- (٤) «الشيخ زين الدين» سقطت من ط.
- (٥) في ط: «ترجو وضلي».
- (٦) في ك: «تخشي» مشطوبة بخط عمودي، وفي هامشها: «تهوى» ص.
- (٧) البيتان في ديوانه ص ٤٠٧؛ وفيه: «كنت ترجو».
- (٨) «الشيخ شمس الدين» سقطت من ط.
- (٩) في و: «رحمه الله».
- (١٠) في و: «المجبة».
- (١١) في ط: «التقيل في الهوى»؛ وفي نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: «في الشطر الأول خلل في الوزن، ونظته: هذا وتحرمني الثقيل من الهوى»!!
- (١٢) في ط: «من ذا الذي يرضى».
- (١٣) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
- (١٤) في ط: «ومثله قول» مكان «وأحسن... الدين».
- (١٥) في ب: «النباتي» مكان «جمال الدين بن نباتة».
- (١٦) بعدها في و: «رحمه الله».

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَاسَمَتْنَا هَبَاتُهُ فَنَشْرُ الْعَطَا مِنْهُ وَنَنْظُمُ الثَّنَا مِنَّا
يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ فَنُثْشِي (١) لَهُ لَفْظًا وَيُثْشِي (٢) لَنَا مَعْنَى (٣)

ومثله قوله، وهو أعدل شاهدٍ في هذا الباب [من الكامل]:

دُمَعِي عَلَيكَ يَجَانِسُ (٤) قَلْبِي فَانظُرْ عَلَى الْحَالِينَ لِلصَّبِّ (٥)

فَذَكِّرُ «التجانس» هنا هو (٦) أحد لازمَي التورية، و«الدمع» هو اللازم الآخر، ولكن (٧) نبتها الشيخ جمال الدين (٨)، رحمه الله (٩)، على أنه لم يرض بالجناس، وأيد (١٠) ذلك قوله (١١) على الحاليين، ومنه قول الشيخ برهان الدين (١٢) القيراطي [من السريع]:

أَبَاحَ لِي (١٣) نَرْجَسَ أَلْحَاطِهِ فِي مَجْلِسٍ مَا فِيهِ مَا نَكَّرَهُ
فَقَلْتُ وَرَدُّ الْخَدِّ جُدُّ لِي بِهِ أَيْضًا فَقَالَ: الْكُلُّ فِي الْحَضْرَةِ (١٤)

ومثله قول الشيخ (١٥) بدر الدين بن الصاحب [من الطويل]:

فُتِنْتُ بِنَبْتٍ مِنْ عَوَارِضِ خَدِّهِ فَهَذَا أَنَا فِي قَيْدِ الْغَرَامِ أُسِيرُ
وَمَا كَانَ لِي بِالْعَشْقِ قَطُّ تَعَلُّقٌ وَلَا بِالْهَوَى قَبْلَ الْعَذَابِ شَعُورُ (١٦)

ومثله قول الشيخ (١٧) صلاح الدين الصفدي (١٨) [من الكامل]:

- (١) في ط: «ونثشي». (٩) «رحمه الله» سقطت من ب، ط.
(٢) في ب: «وينسى»؛ وفي ط: «فيثشي». (١٠) في ط: «ويؤيد». (١١) في ب: «بقوله». (٣) البيتان في ديوانه ص ٥٣٦.
ومعنى: هو معن بن زائدة ابن مطر ابن شريك، من أجداد العرب في الجاهلية وفرسانهم. (اللسان ٤١١/١٣ (معن)). (١٢) «الشيخ برهان الدين» سقطت من ط؛ وفي ب: «البرهان». (١٣) «لي» سقطت من ب.
(٤) في ب، د، ط، و: «مجانس». (١٤) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر. (١٥) «الشيخ» سقطت من ط.
(٥) في ط: «في الصب»؛ والبيت في ديوانه ص ٣٢؛ وفيه: «مجانس» مكان «يجانس». (١٦) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر. (٦) «هو» سقطت من ط.
(٧) في ط: «وقد». (١٧) «الشيخ» سقطت من ط.
(٨) في ب: «النباتي» مكان «جمال الدين». (١٨) بعدها في و: «رحمة الله تعالى».

إِنْ لَمْ تُصَدَّقْنِي تَصَدَّقْ بِالكَرَى لِيَزُورَنِي فِيهِ الْخِيَالُ الزَّائِلُ
وانظرُ إلى فقري لوَصَلِكْ وَاغْتَنِمْ أَجْرِي وَقُلْ لِلدَّمْعِ قِفْ يَا سَائِلُ^(١)
ومثله قول الشيخ شهاب الدين^(٢) بن أبي حجلة الحنفي^(٣) [من الكامل]:
يا صَاحٍ قَدْ حَضَرَ الشَّرَابُ وَمُنَيْتِي وَحُطِّيتُ بَعْدَ الْهَجْرِ بِالْإِيْناسِ^(٤)
وَكَسَا الْعِذَارُ الْخَدَّ^(٥) حُسْنًا فَاسْقِنِي وَاجْعَلْ حَدِيثَكَ كَلَّهُ فِي الْكَاسِ^(٦)
وما أظرف قول الشيخ^(٧) يحيى الخباز الحموي^(٨) في هذا النوع^(٩) [من السريع]:
أَصْبَحْتُ فِي الْعَالَمِ أَعْجُوبَةً عِنْدَ ذَوِي الْمَعْقُولِ وَالْفَهْمِ
جَدِّي حَمُوي فَاسْمَعُوا وَاغْجِبُوا وَمَا كَفَى حَتَّى أَبِي أُمِّي^(١٠)
ومثله قول الشيخ إبراهيم^(١١) المعمار [من السريع]:

قَدْ بَتُّ مِنْ كَرْبِي لِفَقْدِ النَّسَا أْفُورُ كَالْتَنُّورِ مِنْ نَارِيَهْ
وقد طَغَى الْمَاءُ فَمَنْ لِي بَأْنُ أُحْمِلَ بِالْجُودِ^(١٢) عَلَى جَارِيَهْ^(١٣)
ومثله قول الشيخ بدر^(١٤) الدين حسن الغزي الشهير^(١٥) بالزغاري [من الخفيف]:
قِيلَ لِي إِذْ^(١٦) رَأَيْتُ أَقْمَارَ تَمَّ عَن بَدْوْرِ السَّمَاءِ لِلطَّرْفِ تُلْهِي
أَيُّ وَجْهِ أَضْنَاكَ قَلْتُ دَعُونِي فَسَقَامِي قَدْ صَحَّ مِنْ كُلِّ وَجْهِ^(١٧)

- (١) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(٢) «الشيخ شهاب الدين» سقطت من ط.
(٣) «الحنفي» سقطت من د، ط، و.
(٤) في ك: «والإيناسي»؛ وفي د، ط، و: «بالإيناسي».
(٥) في ك: «الخدَّ ٢ العذار ٢».
(٦) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(٧) «الشيخ» سقطت من ط.
(٨) بعدها في د، و: «رحمه الله».
(٩) «في هذا النوع» سقطت من ط.
(١٠) ومثله قول الشيخ شهاب الدين... أبي أمي» سقطت من ب. والبيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(١١) «الشيخ إبراهيم» سقطت من ط.
(١٢) في ب: «بالجودي».
(١٣) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(١٤) في ط: «شرف».
(١٥) في ط: «المشهور» مكان «الغزي الشهير».
(١٦) في ط: «إذ».
(١٧) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

ومثله قول الشيخ^(١) عزّ الدين الموصلي^(٢) [من الطويل]:
 حديثٌ عذارِ الحبِّ بادٍ وساقُهُ له أوجُهُ تُبدي لِقَلْبِي^(٣) اشتياقَهُ
 درى^(٤) أتنا نُضغِي إلى الحِسنِ^(٥) دائماً فأبدي لنا ذاك الحديثِ وساقَهُ^(٦)
 ومثله قول المقرّ المرحوميّ الفخريّ ابن مكناس^(٧)، رحمه الله^(٨)، [من
 الوافر]:

يقول مفتدي^(٩) إذ همتُ فيه بخدِّ^(١٠) خلْتُ فيه الشِعْرَ^(١١) نَملاً
 أتعرِفُ خدّهَ للعشْتِ أهلاً فقلتُ له: نعم أهلاً وسهلاً^(١٢)
 وأنشدني من لفظه لنفسه^(١٣) بقية السلف، ومن كان للفروع النباتية نغم الخلف،
 الشيخ زين الدين أبو بكر بن العجمي عين كتاب الإنشاء الشريف^(١٤) بالديار

- (١) «الشيخ» سقطت من ط.
 (٢) في ب: «رحمه الله»؛ وفي و: «رحمه الله» (٨) «رحمه الله» سقطت من ب، ط؛ وفي و:
 تعالى». (٩) في و: «لقتلي».
 (٣) في و: «ذرى».
 (٤) في د: «الحسن»^(ح).
 (٥) في د: «الشعر».
 (٦) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
 (٧) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

وفي هامش ك: «نقلت من خطّ شيخ
 الإسلام، ابن حجر ما نصّه لمسطره*،
 [من الوافر]:

تَجَرَّدَ مَنْ أَحَبَّ فَقَالَ لِي مَنْ
 يَلُومُ وَأَظْهَرَ الحَسَدَ المَكْتَمَ:
 أجادٌ لك الحبيبِ يلمسُ جسمِ
 له كالخزّ قلتُ: نَعَمْ وأنعمُ
 وقد أشير فوقها بـ «حش».
 * كذا وردت.

(١٣) في د: «لنفسه الكريمة».

(١٤) «الشريف» سقطت من د، و.

وفي هامش ك: «أقول: ومما ينتظم في
 سلك هذا المعنى قول الشيخ صلاح الدين
 الصفديّ، رحمه الله، لكن المصنف،
 رحمه الله، لم يورده، [من الطويل]:
 أهاجرُ حَمَلِ السَّيْفِ حرفةً والدي
 وآدابُ* طولِ العَمْرِ في طلبِ العِلْمِ
 فيا عجباً إن كنتُ مَمَّنْ يُعَدُّ في
 أولي العِلْمِ ما بين الوريّ وأبي أمي»
 (حاشية).

* كذا في الهامش.

(٧) «المقر المرحوميّ الفخري» سقطت من

المصريّة، / وقد تمثّلتُ بين يديه بالقاهرة المحروسة، سنة إحدى وتسعين ١٧ب
وسبعمئة^(١)، وطالبتَه بسماع شيء^(٢) من لفظه^(٣) في المواليا، فإنّه كان إمام فنونها^(٤)
المتشعبة، فقال^(٥) [من المواليا]:

للحَبِّ قالوا مُعَنَّاك^(٦) الذي ابتلتُوا^(٧) جُدُّوْ بِقَبْلَةَ فَعَقَلُوْ^(٨) فَيْكَ خَبَلْتُوْ

فقال أقسم لو أن البؤس سبّلتُوا ومات للشرقي ما دُرْتُوا وَقَبَّلْتُوْ^(٩)

ومنه قول الشيخ جلال الدين^(١٠) ابن خطيب داريا [من الوافر]:

تقولُ وقد أتنّني ذات يوم مخبّرةً عن الطّبيّ الجموح

يسُرُّك أن أروح إليه أجري^(١١) فقلتُ لها خذي مالي وروحي^(١٢)

ومثله^(١٣) قول علامة عصرنا القاضي^(١٤) بدر الدين [بن]^(١٥) الدماميني، فسح

الله في أجله^(١٦) [من هذا النوع]^(١٧) [من مجزوء الرمل]:

قم بنا نركب طرف الـ لهُو سَبَقاً لِلْمُدَامِ

وأئن يا صاح عناني لكميتٍ ولجام^(١٨)

وما أحلى قول [شيخنا]^(١٩) الشيخ شهاب الدين بن حجر^(٢٠) في هذا النوع^(٢١)

(١) في ط: «إحدى وثمانمئة».

(٢) في ط: «بشيء» مكان: «بسماع شيء».

(٣) «وبقية... شيء من لفظه» سقطت من ب.

(٤) في ط: «فنونته».

(٥) «فقال» سقطت من ب، د، و.

(٦) في ب: «مضناك».

(٧) في ب: «ادبلتو»؛ وفي ط: «اذبلتوا».

(٨) في ط: «فقلبو».

(٩) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

(١٠) «جلال الدين» سقطت من ط.

(١١) في و: «أخري».

(١٢) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

(١٣) في ب، ط: «ومنه».

(١٤) «علامة عصرنا القاضي» سقطت من ط؛

وفي ب: «الشيخ»؛ وفي د: «علامة

العصر الشيخ».

(١٥) من د، و.

(١٦) «فسح الله في أجله» سقطت من ب، د، ط.

(١٧) من ب.

(١٨) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

ويقصد: لفرسٍ ولجايه، أو لخمرة

ولكأسها الفضي.

(١٩) «شيخنا» سقطت من كل النسخ؛ وثبتت

في هـ و مشاراً إليها ب «صح».

(٢٠) بعدها في و: «فسح الله في أجله».

(٢١) «قم بنا نركب... هذا النوع» سقطت من

ب؛ وفي ط: «ومثله قول ابن حجر» =

[من مجزوء الرمل]:

سألوا عن عاشتي في أسقمته مُقلتاه
قمرٍ بادٍ سَنناه قلتُ لا بل شفتاه^(١)

ومثله قول بدر الدين البشكبي [من الطويل]:

أحبابنا حكمتكم في حشاشتي وأفرشتكم خدي لتخطوا كرامةً
وكم حكَمَ الأحبابُ في الصَّبِّ واشتطوا رَمَيْتُمْ بِسَهْمِ البَيْنِ قلبي ولم تخطوا^(٢)
ومثله قول^(٣) [من البسيط]:

عانتبه ودموعي^(٤) غيرُ جارِيَةٍ فقالَ لَمْ أَرِ وكَفَ الدَّمْعِ قلتُ له
لأنَّ دَمعي من طولِ البُكا نَشفا حَسِيبُك^(٥) اللهُ يا بدرَ الدُّجى وكَفَى^(٦)

ولم أستطرد إلى هنا^(٧) إلا ليتأيد^(٨) قول^(٩) إن جميع من نسجت على منوالهم لم يرضوا بالجناس التام إذا أمكنت التورية التامة، وصُبحَ الفرق بينهما بحمد الله ظاهر، وبدر مثاله في^(٩) ليالي السطور سافر.

انتهى ما أوردته من محاسن التورية التامة ووجوب تقديمها على الجناس التام، إذا كان عند الناظم يقظة وكان ممن يميل إلى هذا المذهب.

وأما الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً^(١٠) في طرفه الأول، وهذا هو الفرق بينه وبين المُذيل، فإنَّ الزيادة في المُذيل تكون في آخره فهي

(٤) في و: «دموعي» مشطوبة، وفي هامشها:

«دمعي» صح.

(٥) في د: «حسبك».

(٦) البيتان في ديوانه ورقة ٤٤٢ أ - ٤٤٢ ب.

(٧) في ط: «هَذَا».

(٨) في ط: «لتأيد».

(٩) في ب: «مثالي من».

(١٠) في هامش ط: «قوله: «حرفاً»، المناسب

أن يزيد: «أو حرفين» بدليل تمثيله».

(حاشية).

= مكان «وما أحلى... النوع».

(١) البيتان في ديوانه ص ٢٣٦؛ وأنس الحجر ص ٣٤٠.

(٢) «ومثله قول بدر... تخطوا» سقطت من كل النسخ؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «صح». وفيها: «رَمَيْتُمْ»، ولعل الصواب: «رَمَيْتُمْ».

والبيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

(٣) «ومثله قول^(٩) سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».

قَامَ يَسْعَى مَا بَيْنَ شَرْبٍ أَعَزَّةٌ من بني التَّرِكِ أَعْيَدُ فِيهِ عِزَّةٌ^(١)
وقصيدة هذا المطلع رأيتها في بعض التذاكر بخط الشهاب محمود، ولم أعرف لها ناظماً، وأعجبني فيها أبيات، منها [من الخفيف]:
يَقِظُ مَا يُشِيرُ طَرْفٌ^(٢) إِلَيْهِ بمرامٍ إِلَّا وَيَنْفُهُمْ^(٣) رَمَزَةٌ
كُلُّ مَا تَفْعَلُ الصَّوَارِمُ تُغْنِي عنه أَلْحَاطُهُ الْمَرَاضُ بَغْمَزَةٌ^(٤)
وأما الشيخ جمال الدين بن نباتة^(٥)، رحمه الله تعالى^(٦)، فإنه ما نظم هذا النوع إلا توريةً، فقال^(٧) [من الكامل]:
عَطَفْتُ كَأَعْطَافِ^(٨) الْقَيْسِيِّ حَوَاجِبَا فَرَمْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ قَلْبًا وَاجِبَا^(٩)
ومثله قولي [من الكامل]:
والله ما هبَّ النسيمُ الحاجرِي^(١٠) إِلَّا تَعَثَّرَ^(١١) مَدْمَعِي بِمَحَاجِرِي^(١٢)
انتهى الكلام على [الجناس^(١٣)] التام والمطرف، وهما في بيت البديعية ظاهراً.
وبيت الشيخ^(١٤) صفِّي الدين^(١٥) الحلِّي فيهما^(١٦):

- (١) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.
(٢) في د: «طرفي».
(٣) في ط: «ويعرف».
(٤) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(٥) في ب: «النباتي» مكان «جمال الدين بن نباتة».
(٦) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب.
(٧) في ط: «ومن نظم ابن نباتة الذي جعله نثناً» مكان «وأما الشيخ... فقال».
(٨) في ب، د، ط، و: «كأمثال»؛ وفي ك: «كأعطاف» خ، وفي هامشها: «كأمثال» خ.
(٩) البيت في ديوانه ص ٢٦؛ ونفحات الأزهار ص ٢٣؛ وفيهما: «كأمثال» مكان «كأعطاف».
(١٠) في ط: «بحاجر».
(١١) في ط: «ترقرق».
(١٢) في و: «بمحاجر». والبيت في ديوانه ورقة ٣٠.
(١٣) من ب، ط.
(١٤) «الشيخ» سقطت من ط.
(١٥) «صفِّي الدين» سقطت من ب.
(١٦) في ط: «قوله».

- مَنْ شَأْنُهُ^(١) حَمْلُ أَعْبَاءِ الْهَوَى كَمَدًا إِذَا هَمَى شَأْنُهُ^(٢) بِالذَّمْعِ لَمْ يُلَمَّ^(٣)
 وبيت الشيخ^(٤) عز الدين^(٥) الموصليّ [في هذا النوع]^(٦):
 مُدُّ^(٧) تَمَّ لِلْعَيْنِ^(٨) أَنْسُ حِينَ طَرَفَهَا مَرَأَى الْحَبِيبَ بِبُذْلِ الْعَيْنِ لَمْ أَلَمَّ^(٩) / ١١٨
 وبيت بديعيتي^(١٠):
 يَا سَعْدُ مَا تَمَّ لِي^(١١) سَعْدٌ يَطْرَفُنِي بِقُرْبِهِمْ وَقَلِيلُ الْحِظِّ لَمْ يُلَمَّ^(١٢)
 وللمتأمل هنا^(١٣) أن يستحلي ويستجلي ما يظهر في مرآة ذوقه ولا يميل عن جادة
 الإنصاف. انتهى^(١٤).

- (١) في ب، ط: «مِنْ شَأْنِيهِ»؛ وفي د، ك، و: (٩) في ط: «يلم». والبيت في نفعات الأزهار ص ٢٦، ٣٩.
 (٢) في د، ك، و: «شأنه».
 (٣) البيت في ديوانه ص ٦٨٦؛ وفيه: «مِنْ شَأْنِيهِ»؛ وشرح الكافية البديعية ص ٦٤؛ ونفعات الأزهار ص ٢٦؛ ٣٩؛ وفيه: «شأنه».
 (٤) «الشيخ» سقطت من ط.
 (٥) «عز الدين» سقطت من ب.
 (٦) من ب.
 (٧) في ك: «مد».
 (٨) في ب: «للعيش».
 (٩) في ط: «يلم». والبيت في نفعات الأزهار ص ٢٦، ٣٩.
 (١٠) «لي» سقطت من ب.
 (١١) بعدها في و: «وبيت الشيخ عز الدين الموصليّ» مشطوبة. والبيت سبق تخريجه.
 (١٢) «هنا» سقطت من ط.
 (١٣) «وللمتأمل... الإنصاف. انتهى» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح»؛ و«انتهى» سقطت من ط.
 (١٤) «انتهى» سقطت من ط.

الجناس (*) المصحّف والمحرّف

٦ - هل من يفي ويقي إن صحّفوا عدّلي وحرفوا وأتوا بالكلم في الكلم^(١)

«يقي» و«يقي» فيهما^(٢) جناس التصحيف القريب من المضارعة^(٣)، ومنهم من يسميه جناس الخطّ، وهو ما تماثل ركناه وضعا^(٤) واختلفا نقطا^(٥)، والمقدّم في هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾^(٦)؛ ومنه قول النبيّ، (ﷺ)، لعليّ بن أبي طالب^(٧)، كرم الله وجهه^(٨): «قصرّ ثوبك، فإنه أتقى وأنقى^(٩) وأبقى^(١٠)». وقوله^(١١)، (ﷺ)، وقد^(١٢) سمع رجلاً ينشد على سبيل الافتخار، وقيل: بل^(١٣) سأله عن نسبه^(١٤)، فقال [من البسيط]:

إني امرؤ جَمِيرِي حِينَ تَنْسُبُنِي^(١٥) لا من ربيعة آبائي ولا مُضَرٍ^(١٦)

- (*) «الجناس» سقطت من د، ط، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «صح».
- (١) البيت في ديوانه ورقة ٣ب؛ ونفحات الأزهار ص ٢٩، ٣٦؛ وفي ص ٢٩؛ «يقي أو يفي».
- (٢) في و: «فيها».
- (٣) «القريب من المضارعة» سقطت من كلّ النسخ، وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «صح».
- (٤) في ب: «وصفاً»؛ وفي ط: «خطاً».
- (٥) في ب، ط: «لفظاً».
- (٦) في ب: «يشفيني». الشعراء: ٧٩-٨٠.
- (٧) «بن أبي طالب» سقطت من ب.
- (٨) في ب: «رضي الله تعالى عنه».
- (٩) في ط: «أنقى وأتقى».
- (١٠) في ب، و: «وأبقى وأنقى». والحديث في السمائل للترمذي ص ٥٨؛ ومسند أحمد بن حنبل ٥/٣٦٤.
- (١١) في ط: «وقول النبي».
- (١٢) في ط: «حين».
- (١٣) «بل» سقطت من ط.
- (١٤) في ب: «بمن نسبه».
- (١٥) في ب: «تسبني».
- (١٦) في د: «مُضَرٍ». والبيت بلا نسبة في العمدة ١/٥٠٩.

فقال له النبي، (ﷺ) (١): «ذلك، والله (٢)، أَلُمُّ لَجْدُكَ وَأَفْلٌ لِحَدِّكَ» (٣) (٤). ومنه قول عمر بن الخطاب (٥)، رضي الله عنه (٦): «لو كنتُ تاجراً ما اخترتُ (٧) غير العطر، إن فاتني ربحُهُ لم يفتني (٨) ربحُهُ». ومنه قول القاضي الفاضل في بعض ترسلاته (٩): «وأنتم (١٠) يا بني أيوب أيديكم آفةُ نفائس (١١) الأموال، كما أن سيوفها (١٢) آفةُ أنفسِ الأبطال، فلو ملكتم الدهر لَأَمْتَطَيْتُمُوهُ (١٣) لياليه أداهم، وقلدتم بيضَ أيامه صوارم، ووهبتم شמושَه وبدوره (١٤) دنانيرَ ودراهم، وأوقاتكم أعراس (١٥) ومآتم، إلا على الأموال فيها (١٦) مآتم، والجود خاتم في أيديكم ونفس حاتم (١٧) نقشٌ في ذلك الخاتم». وقال أهل الأدب: «خُلِفَ الوَعْدِ خُلُقُ الوَعْدِ (١٨)». والأربعة أركان بغير حشو، وهي (١٩) غاية في هذا الباب.

ومن النظم [في هذا النوع] (٢٠) قول الشاعر [من الوافر]:

فإن حَلُّوا فليسَ لَهُمْ مَقَرٌّ وإن رَحَلُوا فليسَ لَهُمْ مَقَرٌّ (٢١)

- (١) «فقال له النبي، (ﷺ)» سقطت من ب، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
- (٢) في ب: «ذلك والله».
- (٣) وفي هامش ب: «أو كما قال (ﷺ)». وقد أشير فوقها بـ «حشو».
- (٤) في ب: «أقل».
- (٥) في ط: «أَلُمُّ لَجْدُكَ وَأَفْلٌ لِحَدِّكَ». والحديث في العمدة ٥٠٩/١-٥١٠؛ وفيه: «ذلك، والله، أَلُمُّ لَجْدُكَ، وأضرع لِحَدِّكَ، وَأَفْلٌ لِحَدِّكَ، وَأَقْلٌ لِعَدِّكَ، وأبعد لك عن الله ورسوله».
- (٦) «بن الخطاب» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
- (٧) في د: «رضي الله تعالى عنه»؛ وفي و: «تعالى» مكتوبة فوق «الله».
- (٨) في ب: «اتجرت».
- (٩) في ط: «تفتني».
- (١٠) في ط: «رسالاته».
- (١١) في ط: «فأنتم».
- (١٢) في ط: «أنفس».
- (١٣) في ب، ط: «سيوفكم»؛ وفي و: «سيوفنا».
- (١٤) في و: «لأمطم».
- (١٥) في ط: «وأقماره».
- (١٦) في ب: «عرائس».
- (١٧) في ط: «فهي».
- (١٨) حاتم هو حاتم الطائي، يُضرب به المثل في الجود، وهو حاتم بن عبد الله سعد بن الحشرج. (اللسان ١١٥/١٢ حتم).
- (١٩) الدليل. (اللسان ٤٦٤/٣ وغد).
- (٢٠) في ط: «وهو».
- (٢١) من ب.
- (٢٢) البيت بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ٣٤؛ والعمدة ٥١١/١.

ومثله قول أبي فراس [من مجزوء الكامل]:

من بحرِ شِعْرِكَ^(١) أَعْتَرِفُ وَبِفَضْلِ عَليِّكَ أَعْتَرِفُ^(٢)

ولم أذكر هنا من جناس التصحيف، إلا النوع السالم من اختلاف الحركة بالتحريف^(٣)، فإنه إذا اجتمع فيه النوعان صار مشوشاً^(٤) كقول الحريري [من الخفيف]:

* زُيِّنَتْ زَيْنَبُ [بِقُدِّ يَقْدُ]^(٥) *

فهذا فيه التحريف والتصحيف، وقد تقدّم أنّ الركنين إذا تجاذبهما^(٦) نوعان من التجنيس ولا يخلصان^(٧) لواحدٍ، كان الجناس مشوشاً^(٨).

ومثله قول أبي تمام [من البسيط]:

* فِي حَدِّهِ^(٩) الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ^(١٠) *

ومن المصحف السالم من التشويش^(١١) ما كتبتُ به إلى المقرّ المرحوميّ الفخريّ^(١٢) ابن مكناس، في رسالتي^(١٣) التي^(١٤) ذكرت فيها حريق دمشق المحروسة^(١٥)، وهو: «وأضحت^(١٦) أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيرة، ولقد كان أهلها في ﴿ظِلِّ مَمْدُودٍ، وَمَاءِ مَسْكُوبٍ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾^(١٧)، فعبس بعد ذلك ثغرُ روضها الباسم، وضاع من غير تورية عطّره الناسم».

- (١) في ط: «جودك».
- (٢) البيت في ديوانه ص ٢١٩؛ ونفحات الأزهار ص ٣٥.
- (٣) في و: «بالتعريف» مشطوبة، وفي هامشها: «بالتحريف» صح ن.
- (٤) في ب: «مهوشاً».
- (٥) من ط؛ والشطر في مقاماته ص ٤٠٥؛ وعجزه: «من التشويش» سقطت من ط.
- (٦) في ط: «المخدوميّ فخر الدين».
- (٧) في د: «رسالة».
- (٨) في و: «الذي».
- (٩) «المحروسة» سقطت من ب، ط.
- (١٠) في د: «وصحت».
- (١١) الواقعة: ٣٠-٣٢.
- (١٢) في ب: «تحاذهما».
- (١٣) في ط: «ولم يخلصا».

ومن غراميات البهاء زهير ولطائفه في الجناس المصحف قوله في قصيدة^(١) [من الطويل]:

وليس مَشِيباً ما تروُنَ بعارِضي فلا تمنعوني^(٢) أن أهيمَ وَأَطْرَبَا
وما هُوَ إِلَّا نورٌ نُغِرَ لشمثُهُ تعلقَ في أطرافِ شعري فَأَلْهَبَا^(٣)
وَأَعْجَبَنِي التجنيسُ بيني وبينهُ فلما تَبَدَّى أَشْتَبَا رُحْتُ أَشْيَبَا^(٤)
وأظرف منه^(٥) قول شمس الدين محمّد^(٦) بن العفيف، وقد كتى بأحد^(٧) الركنين
عن الآخر، وهو [من مخّلع البسيط]:
يا ذا الذي صدَّ عنْ مُجِبِّ فيه أذاب الغرامُ قَلْبَهُ
مالك في الهَجْرِ من دليلٍ لكنَّ هذا^(٨) علوُّ^(٩) قُبَّه^(١٠)
ولم يطالب هنا^(١١) بالتشويش لظرافته ولطفه^(١٢).

انتهى الكلام على الجناس المصحف^(١٣)، وأما قولي:

* وحرّفوا وأتوا بالكلم في الكليم^(١٤) *

فهذا جناس التحريف، وهو ما اتفق ركناه في أعداد^(١٥) الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات، سواء كانا من اسمين أو من^(١٦) فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك، فإن القصد اختلاف الحركات كما تقرّر^(١٧)، والمقدّم فيه، وهو الغاية التي لا

- (١) «في قصيدة» سقطت من ط؛ وفي ب، د، (١٠) البيتان في ديوانه ص ٧٠؛ وفيه: «به»
و: «من قصيدة».
(٢) في و: «تمنعوني صح» كتبت فوق «فلا».
(٣) «وما هو إلا... فالهبا» سقطت من و، (١١) في ط: «فيه».
(٤) «أعجبني التجنيس» سقطت من و، (١٢) في ط: «ولطائفته!!»
(٥) «أظرف منه» سقطت من و، (١٣) في و: «المحرّف» مشطوبة، وفي
(٦) «أعجبني التجنيس» سقطت من و، (١٤) «المصحف» صح.
(٧) «أحد» سقطت من ط، (١٥) الشطر سبق تخريجه؛ وصدّره:
(٨) «هذا» سقطت من ط، (١٦) هل من يفى ويقي إن صحفوا عدّلي *
(٩) «قُبَّه» سقطت من ط، (١٧) في ب: «أحد».
(١٠) «قُبَّه» سقطت من ط، (١٨) في ب، د: «لهذي».
(١١) «قُبَّه» سقطت من ط، (١٩) في و: «علو».

تدرک، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ، فَأَنْظَرُوا/ كَيْفَ كَانَ غَيبَةُ ١٨ ب
 الْمُنذِرِينَ﴾^(١)، ولا يقال: إِنَّ اللَّفْظَيْنِ مُتَّحِدَانِ فِي الْمَعْنَى لِأَتَمَّهَا^(٢) من^(٣) الإنذار،
 فلا يكون بينهما تجنيس، باختلاف المعنى ظاهر، إذ المراد بالأوّل الفاعلون وهم
 الرسل، والثاني المفعولون وهم الذين وقع عليهم^(٤) الإنذار، ومنه قوله^(٥)، (ﷺ):
 «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»^(٦). ومثله قولهم: جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبُرْدِ.
 ومثله قولهم: «رَطْبُ الرُّطْبِ ضَرْبٌ مِنَ الضَّرْبِ»^(٧). ومثله^(٨) قول القاضي الفاضل:
 «لا زالت الملوک ببابه وقوفاً، والأقدارُ لَهُ سُوْفَاً، والخلقُ في ديار»^(٩) الدنيا لَهُ
 سُوْفَاً^(١٠)، ودينُ الحقِّ إذا جرّد^(١١) لتقاضيه سُوْفَاً سُوْفَى»^(١٢).

ومن النظم قول أبي تمام [من الكامل]:

هَنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرَتْ عِيَاةً^(١٣) من حَائِهِنَّ فَإِنَّهِنَّ حِمَامٌ^(١٤)
 وما أظرف^(١٥) قول أبي العلاء المعري [من الطويل]:
 لغيري زكاةٌ من جمالٍ فإن تكنُ زكاةٌ جمالٍ فأذكرني ابنَ سبيلٍ^(١٦)
 ومثله قول ابن الفارض^(١٧) رحمه الله^(١٨)، [من الكامل]:

- (١) في ب: «قوماً». الصافات: ٧٢-٧٣.
 (٢) في ط: «لكونهما»؛ وفي ك: «لأتهما»
 خ، وفي هامشها: «لكونهما» خ.
 (٣) في و: «في» مشطوبة، وفي هامشها «من»
 صح.
 (٤) في ك: «عليهم» خ، وفي هامشها: «بهم»
 خ.
 (٥) في ط: «وقول النبي».
 (٦) الحديث في الطبقات الكبرى لابن سعد
 ٩٨، ٢/١.
 (٧) الضَّرْبُ: العسل، وقيل: عسل البر.
 (اللسان ١/٥٤٧ (ضرب)).
 (٨) في ط: «ومنه».
 (٩) في ب: «دار»؛ وفي ط: «له في دار».
 (١٠) في د: «صفوفاً».
 (١١) في ط: «جرّداً».
- (١٢) «والخلق... سيوفى» سقطت من ك،
 وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
 (١٣) في د: «عياقة».
 (١٤) البيت في ديوانه ٧٥/٢؛ وتحريرو التحير ص
 ١٠٦.
 والعيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها
 وأصواتها وممرّها. (اللسان ٩/٢٦١
 (عيف)).
 (١٥) في ط: «أحلى».
 (١٦) البيت في سقط الزند ص ٢٢٠؛ ونفحات
 الأزهار ص ٢٧.
 (١٧) في ب: «الشيخ شرف الدين ابن الفارض
 عمر».
 (١٨) في ب: «رضي الله عنه»؛ وفي ط:
 «رحمه الله تعالى».

هَلَّا نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ أَمْرِي لَمْ يُلَفَّ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءٍ^(١)
ومثله قول الشيخ شرف الدين الأنصاري^(٢)، شيخ شيوخ حماة^(٣) المحروسة^(٤)،
رحمه الله^(٥)، [من الوافر]:

لَعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ فِيهِ عَبْرَةٌ تُصَيِّرُنِي لِأَهْلِ الْعَشْقِ عَبْرَةً^(٦)
وغاص هو والقاضي الفاضل في هذا البحر، وأظهرها في^(٧) هذا الروي جواهر
العقود، فمن قصيدة^(٨) شيخ الشيوخ [بحماة]^(٩) قوله^(١٠) [من الوافر]:
إِذَا غَفَلَ الْوَشَاءُ أَسَلْتُ^(١١) دَمْعِي فِيغْدُو^(١٢) مُرْسَلًا فِي وَقْتِ^(١٣) فَتْرَةٍ^(١٤)
[منها]^(١٥) [من الوافر]:

عَلَامَةٌ شَقَوْتِي فِي الْحُبِّ أَتِي سَأَلَزَمُ بَابَ خَمَارِ السَّنَايَا
ثَقُلْتُ عَلَيْكَ لَا مِنْ طَوْلِ عَشْرَةٍ لِيُطَلِّقَ لِي وَلَوْ فِي الْعَمْرِ سَكْرَةً^(١٦)
[أقول]^(١٧): وظريف^(١٨) هنا قول الشاب الظريف شمس الدين^(١٩) بن
العفيف^(٢٠) من قصيدة، أولها^(٢١) [من الخفيف]:

لَا أَجَازِي حَبِيبَ قَلْبِي بِظُلْمِهِ أَنَا أَحْتَى عَلَيْهِ مِنْ قَلْبٍ^(٢٢) أُمَّة

- (١) البيت في ديوانه ص ١١٩.
(٢) «الشيخ... الأنصاري» سقطت من ب؛ وفي ط: «الشيخ عبد العزيز».
(٣) في ب: «شيخ الشيوخ بحماة».
(٤) «المحروسة» سقطت من ب، ط.
(٥) «رحمه الله» سقطت من ب، ط، و؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
(٦) في د: «عبرته». والبيت في ديوانه ص ٢٣٦؛ ونفحات الأزهار ص ٢٧.
(٧) في ط: «وأظهروا من».
(٨) في ب، ط: «قصيدة».
(٩) من ط.
(١٠) قوله سقطت من ط.
(١١) في ط: «بعثت».
(١٢) في ط: «يفغدو».
(١٣) في ط: «من غير».
(١٤) البيت في ديوانه ص ٢٣٦.
(١٥) من ب، د، و.
(١٦) البيتان في ديوانه ص ٢٣٦-٢٣٧.
(١٧) من ب.
(١٨) في د: «فطريف».
(١٩) بعدها في د، ط، و: «محمد».
(٢٠) في ب: «ابن الشيخ العفيف» مكان «شمس الدين بن العفيف».
(٢١) «أولها» سقطت من ط.
(٢٢) في ب: «بطن»، وفي هامشها: «قلب».

جورُهُ مثلُ عدلِهِ عُنْدَ مَنْ يَهْوَاهُ مثلي وظلُّمُهُ مثلُ ظلِّمِهِ^(١)
وما أظرف [هنا]^(٢) قول صاحب بهاء الدين زهير من غرامياته في هذا النوع [من
المتقارب]:

زَهَا وَرَدُ خَدَّيْكَ لِكِنَّةٍ بغيرِ التَّوَاظُرِ لَمْ يُقْطِفِ
وقد زَعَمُوا أَنَّهُ مُضَعَفٌ وما عَلِمُوا^(٣) أَنَّهُ مُضْعِفِي^(٤)

وأورد الشيخ الإمام العلامة^(٥) كمال الدين الدميري، تغمده الله برحمته^(٦)، في كتابه
المسمى بـ«حياة الحيوان»، عندما انتهى إلى ذكر المها^(٧)، أبياتاً تعجبني في هذا الباب^(٨)،
أولها تامٌ وآخرها مطرفٌ، وباقي الأبيات تحريفها تمتزج^(٩) حلاوته^(١٠) بالأذواق^(١١)
المعتدلة، [والأبيات لجميل بشينة]^(١٢)، وهي^(١٣) [قوله]^(١٤) [من الطويل]:

خَلِيلِي إِنْ قَالَتْ بُثِينَةٌ مَا لَهُ أَتَانَا^(١٥) بِلا وَعَدٍ فَقَوْلَا لَهَا لَهَا
أَتَى^(١٦) وَهُوَ مَشْغُولٌ لِعُظْمِ الَّذِي بِهِ ومن باتَ طَوَّلَ اللَّيْلِ يَرَعَى السَّهَاءَ سَهَا
بُثِينَةٌ تَزْرِي بِالْغَزَالَةِ فِي الضَّحَى إِذَا بَرَزْتُ لَمْ يَبْقَ^(١٧) يَوْمًا بِهَا بَهَا
لَهَا مَقْلَةٌ كَحَلَاءِ نَجْلَاءِ خِلْقَةٍ كَأَنَّ أَبَاهَا الظُّبِيَّ^(١٨) أَوْ أُمَّهَا مَهَا^(١٩)

- (١) البيتان في ديوانه ص ٣٨٦.
والظلم: الماء الذي يجري ويظهر على
الأسنان من صفاء اللون لا من الريق،
حتى يتخيل لك فيه سواد من شدة البريق
والصفاء. (اللسان ١٢/٣٧٩ ظلم)).
(٢) من د.
(٣) في د: «أعلموا».
(٤) البيتان في ديوانه ص ٢١١؛ ونفحات
الأزهار ص ٢٧.
(٥) «الإمام العلامة» سقطت من ب، ط.
(٦) سقطت من ب، ط؛ وفي د: «تغمده الله
تعالى برحمته».
(٧) في ب: «البهاء زهير» مكان «المها».
(٨) في و: «النوع».
(٩) في ب: «يمتزج»؛ وفي و: «يمزج»، وفي
تعقيب آخر الصفحة: «تمتزج».
(١٠) «حلاوته» سقطت من ب؛ وفي ك:
«حلاوته» كتبت فوق «تمتزج».
(١١) في ط: «بالأذواق حلاوته».
(١٢) من ط.
(١٣) «وهي» سقطت من ط.
(١٤) من ب.
(١٥) في ب: «أتانا».
(١٦) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو:
«أني».
(١٧) في ط: «لم يبق».
(١٨) في د: «الظبي».
(١٩) في د: «المها».

[دَهْتَنِي بَوْدٌ قَاتِلٌ وَهُوَ مُثْلِفِي وَكَمْ قَتَلْتُ بِالْوَدِّ مَنْ وَدَّهَا دَهًا] (١)
 ويعجبني قول من قال: [إِنْ] (٢) الصديق الصّدوق أوّل العَقْدِ ووَاسِطَةُ العَقْدِ.
 ومثله قولهم: البُدْعَةُ شَرَكُ الشُّرِكِ.

وما أحلى قول الشيخ جمال الدين (٣) بن نباتة (٤)، رحمه الله تعالى (٥)، في هذا
 الباب (٦) [من الوافر]:

قَوَامُكَ تَحْتَ شَعْرِكَ يَا أَمَامَهُ غَدَا لِكَ حَامِلًا عِلْمَ الإِمَامَةِ (٧)
 ونظمت في هذا النوع بيتين ما يدخل من هذا الباب إلى (٨) أحسن منهما (٩)،
 مع (١٠) زيادة التورية، وهي (١١) [من الطويل]:

ولمّا أراني الشّعَرَ وَهُوَ مَذِيْلٌ وَجَانِبَ ذَاكَ الصَّدُغِ وَهُوَ مُطْرَفٌ
 بَدَا بِخِمَارٍ مِنْ خُمَارِ (١٢) بَرِيْقِهِ فَقَلْتُ لَهُمْ هَذَا الْجِنَاسُ الْمَحْرَفُ (١٣)

انتهى الكلام على الجناس المصحف والمحرّف.

وبيت الشيخ صفّي الدين (١٤) الحلّي (١٥) فيهما (١٦):

(١) «دهنتي... دها» من ط. والأبيات في ديوانه ص ٢١٤-٢١٥؛ وفيه: «طول الليل» ساقطة؛ و«لم تُبقي» مكان «لم يبق»؛ وفي حياة الحيوان ٢/٣٣٠؛ وفيه: «سها» مكان «أتى»؛ و«لم تُبقي»؛ و«نجلاء» كحلاء.

(٢) من ط.

(٣) «الشيخ جمال الدين» سقطت من ط؛ وفي ب: «الشيخ».

(٤) في ب: «النباتي».

(٥) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط؛ و«تعالى» سقطت من و.

(٦) «في هذا الباب» سقطت من ط.

(٧) البيت في ديوانه ص ٤٥٠؛ وفيه: «لحسنك حامل» مكان «غدا لك حاملاً».

(٨) بعدها في و: «رحمه الله تعالى».

(٩) «فيهما» سقطت من ط.

(١٠) في و: «إلا».

(٩) في د: «منها»؛ «ونظمت... منها» سقطت من ط.

(١٠) في ط: «ولي مع».

(١١) في ب: «وهما».

(١٢) في هامش ب: «قوله: «بخمار من خمار» كلاهما بالكسر، فلا تحريف».

(حاشية).

(١٣) في ك: «المردف»، وفي هامشها: «المحرّف» ص خ. والبيتان في ديوانه

ورقة ٧٨ ب.

والخمار: ما تغطّي به المرأة رأسها؛ والخمار: بقية السكر. (اللسان ٤/٢٥٥،

٢٥٧ (خمر)).

(١٤) «صفي الدين» سقطت من ب.

(١٥) بعدها في و: «رحمه الله تعالى».

(١٦) «فيهما» سقطت من ط.

مَنْ لِي بِكَلِّ غَرِيرٍ مِنْ ظَبَائِهِمْ غَزِيرٍ حُسْنٍ يُدَاوِي الْكَلْمَ بِالْكَلِمِ (١)
 وبيت الشيخ عز الدين (٢) الموصلي [الحنبلي] (٣)، رحمه الله تعالى (٤)
 [فيهما] (٥):

هل من نَقِيٍّ نَقِيٍّ حِينَ (٦) صَحَّفَ لِي مُحَرَّفَ الْقَوْلِ زَانَ الْحُكْمَ بِالْحِكْمِ (٧)
 أما التصحيف والتحريف في هذا البيت فظاهران، وأما المعنى فالسريرة عند الله
 تعالى (٨).

وبيتي [في هذا النوع هو] (٩): /

أ١٩

هل من يفي وبقي إن صحَّفوا عَذْلِي وَحَرَّفُوا وَأَتَوْا بِالْكَلْمِ فِي الْكَلِمِ (١٠)

- (١) البيت في ديوانه ص ٦٨٦؛ وَنَفَحَاتِ الْأَزْهَارِ ص ٢٩، ٣٦؛ وَشَرْحِ الْكَافِيَةِ الْبَدِيعَةِ ص ٦٥؛ وَفِيهِ: «عَزِيزٌ» مَكَانَ «غَزِيرٍ».
- (٢) «عز الدين» سقطت من ب.
- (٣) من ط.
- (٤) «رحمة الله تعالى» سقطت من ب، ط.
- (٥) من ب.
- (٦) «حين» سقطت من ب؛ وفي هامشها: «كذا»...
- (٧) البيت في نفحات الأزهار ص ٢٩، ٣٦.
- (٨) «تعالى» سقطت من ط؛ وفي ب: «سبحانه وتعالى».
- (٩) من ب.
- (١٠) بعدها في و: «انتهى». والبيت سبق تخريجه.

الجناس (*) اللفظي والمقلوب (**)

٧ - قَدْ فَاضَ دُمْعِي وَفَاطَ الْقَلْبُ إِذْ سَمَعَا لَفْظِيَّ عَدَلٍ^(١) مَلَأَ الْأَسْمَاعَ بِالْأَلَمِ^(٢)

وأما^(٣) اللفظي فهو النوع الذي إذا تماثل ركناه وتجانسا خطأ خالف^(٤) أحدهما الآخر بإبدال حرف [منه]^(٥) فيه مناسبة لفظية، كما يكتب^(٦) بالضاد والطاء، وشاهده في البيت قولي^(٧) «فاض» و«فاظ»، فإن الأول من «فيض^(٨) الماء» والثاني من «التلف».

وجاء من^(٩) هذا النوع في^(١٠) القرآن العظيم^(١١) [قوله، سبحانه وتعالى]^(١٢):

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾^(١٣)، فالأول من النضارة، والثاني من النظر؛ وألحقوا به ما يكتب بالهاء والتاء كقولهم: «جبلت القلوب على معاداة المعادات»^(١٤)؛ وقيل [فيه]^(١٥): إنه^(١٦) حديث. أو بالنون والتنوين كقول

(*) «الجناس» سقطت من د، ك، و؛ وثبت (٩) في ط: «في».

في هـ ك. (١٠) في ط: «من».

(**) في د: «المقلوب، اللفظي». (١١) في ب: «الكريم».

(١) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: (١٢) من ب.

«لفظي عدول». (١٣) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٢) البيت في ديوانه ورقة ٣ب؛ وفيه: «عدلي»؛ ونفحات الأزهار ص ٢٦، ٢٩. البستي من البسيط:

(٣) في ط: «أما».

(٤) في د: «وخالف».

(٥) من ط.

(٦) في ب: «تكتب».

(٧) في ط: «قولِي في البيت».

(٨) في و: «فيظ».

(٩) من ب.

(١٠) من ب.

(١١) من ب.

(١٢) من ب.

(١٣) من ب.

(١٤) من ب.

(١٥) من ب.

(١٦) في ط: «هو».

[القاضي]^(١) الأزجاني [من الوافر]:

وببيضُ الهندي منْ وجدي هوازٍ بإحدى البيضِ منْ علياً هوازٍ^(٢)

أو بالألف والنون كقول الشاعر، وهو شمس الدين^(٣) بن العفيف^(٤) التلمساني^(٥)، رحمه الله تعالى^(٦)، [من الرجز]:

أحسنُ^(٧) خلقِ الله وجهاً^(٨) وفماً إنْ لم يكنْ أحقُّ بالحسنِ فَمَنْ^(٩)

ولم ينظم هذا النوع غير الشيخ صفي الدين^(١٠) الحلبي، وهو قليل جداً، وأصعب مسالكة تركيبه^(١١) بالضاد والطاء، لأجل إبدال^(١٢) الحرف^(١٣) الذي فيه المناسبة اللفظية.

وقد تقدّم قولِي إنَّ الشيخ^(١٤) شمس الدين بن الصائغ أورد^(١٥) في شرحه المسمّى بـ«الرقم على البردة»^(١٦)، شيئاً من محاسن الزجل على [هذا]^(١٧) النوع^(١٨) البديعي^(١٩) الذي أطلق عنان القلم في الكلام عليه، والزجل فنٌّ يتمكن الناظم فيه من

- (١) من ب. نفحات الأزهار ص ٢٨؛ وفيه:
* أعذب خلقِ الله نطقاً وفماً *
(١٠) «صفي الدين» سقطت من ب؛ وفي ط:
«الصفي» مكان «الشيخ صفي الدين».
(١١) «تركيبه» سقطت من ب.
(١٢) «إبدال» سقطت من د، وثبتت في هامشها
مشاراً إليها بـ«صح».
(١٣) في د: «الحروف».
(١٤) في ط: «قول الشيخ».
(١٥) في ط: «إنه أورد».
(١٦) في د، و: «الذي سمّاه «الرقم على البردة»؛
وفي ط: الذي سمّاه «رقم البردة».
(١٧) من ط.
(١٨) «وقد تقدم... على هذا النوع» سقطت
من ب.
(١٩) في ب: «والبديعي».
- (١) من ب.
(٢) البيت لم أقع عليه في ديوانه؛ ولا في ما عدت إليه من مصادر.
هوازٍ: هوازئ، ج هازئة أو هازئ؛ وهوازٍ: قبيلة من قيس، وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس عيلان. (اللسان ٤٣٦/١٣ (هزن)).
(٣) «وهو شمس الدين» سقطت من ط.
(٤) في ب: «الشاب الظريف بن الشيخ العفيف» مكان «الشاعر... العفيف».
(٥) «التلمساني» سقطت من ب، ط.
(٦) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط، و؛ و«تعالى» سقطت من د.
(٧) في د: «أعذب».
(٨) في د: «ثغراً».
(٩) الرجز في ديوانه ص ٣٣٩؛ وبلا نسبة في

المعاني لجولانه في ميادين^(١) الأغصان والخرجات، وهو لا يُحسِنُ رسمه في الكتابة إلا من عرف اصطلاحه، وكان الشيخ العلامة^(٢) علاء الدين^(٣) بن مقاتل الحموي، رحمه الله تعالى^(٤)، إذا ذكر الزجل كان ابن بجدته وأبا عُذرتة^(٥)، وممن سلّمتُ إليه^(٦) مقاليد هذا الفن.

وأورد الشيخ صلاح الدين^(٧) الصفديّ له نبذة من غرر أزجاله في تذكرته وتاريخه، وشهرته^(٨) تغني عن الإكثار في ترجمته، وله^(٩) في الجنس اللفظي زجل [غريب]^(١٠) جانسه بالظاء والضاد^(١١) لم يسبق إليه، ومطلعه^(١٢) [قوله]^(١٣) [من الزجل]:

إِنَّ مَعْ مَعْشُوقِي^(١٤) جُفُونٌ وَلِحَاظٌ^(١٥) لَو رَأَاهُمْ عَبَادٌ لَهَا مٌ وَلِحَاضٌ^(١٦)
وَمَعَ آتَوْ مَنْ سَحَرَ عَيْنِيهِ إِذَا
إِنَّ مَاعُو عُيُونَ فَوَاتِرٌ حُوزٌ^(١٧)
كَيْفَ لَا يَفْتَنَ عَشَاقٌ^(٢٠) ذَاكَ الْفَتُور

لو رآهم عابداً لها مٌ ولحاضٌ^(١٦)
حَفَّظُوا بِأَبِ أَنْسَاءِ صَلَاتُو أَدَا
تَحَو^(١٨) وَلِدَانِهَا فَوَاتِرٌ^(١٩) جُفُونٌ
وَعَلَى خَدَّو^(٢١) شَامَهُ نَقْطَةٌ^(٢٢) فَتُونٌ^(٢٣)

- (١) في ب: «ميدان».
- (٢) «العلامة» سقطت من ط؛ وفي ب: «الحاج» مكان «الشيخ العلامة».
- (٣) في ب: «علي».
- (٤) «الحموي رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط.
- (٥) في ك: «ابن بخدته وأبا عُذرتة»؛ وفي د: «عُذرتُهُ» مكان «عُذرتة».
- (٦) في و: «له».
- (٧) في ب: «وأورد الصلاح».
- (٨) «وشهرته» سقطت من ط.
- (٩) «له نبذة... في ترجمته وله» سقطت من ك، وثبتت في هامشها.
- (١٠) من ب.
- (١١) في ب: «بالضاد والظاء».
- (١٢) في ب: «ومطلع الزجل المذكور هو».
- (١٣) من ط.
- (١٤) في ب: «معشقي».
- (١٥) في ب: «وألحاظ».
- (١٦) في ط: «وحاض».
- (١٧) في د: «جور».
- (١٨) في ب: «تحوي»؛ وفي ط: «نحو».
- (١٩) في ط: «بواتر».
- (٢٠) في ط: «عشاقو».
- (٢١) في ط: «خدّه».
- (٢٢) في ط: «بنقطة».
- (٢٣) في د: «فتون» وفي ط: «فتون»؛ وفي هامش د: «لعلّه: «في تون»، فلي تأمل». (حاشية).

وكَيْفَ أَنُو مَا يَنْسَحِرُ مِنْ عَيْونَ
 وَجُفونَ كُلِّ جَفْنِ سَيْفٍ^(٢) أَيُّ قَاضٍ^(٣)
 حِكْمَةٍ^(٤) مَمَّنْ أَضَلَّ نَاسٌ وَهَدَى
 فِي غِيَابِهِ يَامَاذَا تَحْفَظُ^(٦) فَصُولِ
 وَلَوْ أَنِّي نَكُونُ^(٨) فِي مِيدَانِ نَجُولِ^(٩)
 وَلَا نَعْرِفُ^(١١) إِيْشَ^(١٢) كَانُ^(١٣) نَرِيدُ لَوْ نَقُولُ^(١٤)
 وَتَضِيْقُ^(١٨) بِي^(١٩) رَحْبَ الْمَكَانِ الْقَاضِ
 وَابْتِ^(٢٢) سَكْرَانِ طَوَّلَ لَيْلَتِي وَغَدَا
 بُتُّ^(٢٣) مِنْ^(٢٤) طَيِّبِ السَّلَامِ كَلُّو
 قَلْبِي^(٢٧) ذَاكَ الَّذِي الْفَ ظَلُّوا^(٢٨)
 وَسَأَلُ^(٣٠) عَنْ جَسْمِي الضَّعِيفِ قَلُّ لَوْ^(٣١)

من نظرهم نظره بقي مسحور
 تعتقدهم^(١) رقود وهم أيقاظ
 يقضي فيمن بسرّو باح وهذّي
 حضرتي لما ان تغيب^(٥) عني
 حتى أتو يصير^(٧) قريب مني
 ايش^(١٠) تضيق الدنيا علي ذهني
 وايش^(١٥) ما قد حفظت^(١٦) من ألقاظ^(١٧)
 ولا نطلب^(٢٠) يومي شراب^(٢١) وغذا
 يا نسيم السحر على حبي
 لله^(٢٥) وأوصيه بالعاشق^(٢٦) المسبي
 وان تيسر لك أن ترى^(٢٩) قلبي

- (١) في ب، ط: «يعتقدهم».
 (٢) «سيف» سقطت من ب؛ وفي ط: «بسيف».
 (٣) في ب: «أيقاض»؛ وفي و: «أيقاظ».
 (٤) في ب: «حكم».
 (٥) في ط: «يغيب».
 (٦) في ب: «يا ماذا يحفظ»؛ وفي ط: «ياما
 بتحفظ».
 (٧) «يصير» سقطت من ب، وثبتت في هامشها.
 (٨) في ط: «أتو يكون».
 (٩) في ط: «يجول».
 (١٠) في ب: «آش».
 (١١) في ط: «يدري».
 (١٢) في ب: «آش».
 (١٣) في ك: «كان» كتبت فوق «ايش».
 (١٤) في ط، و: «يريد لو يقول».
 (١٥) في ب، ط، و: «وأنس».
- (١٦) في ط: «حفظتو».
 (١٧) في ط: «الألقاظ».
 (١٨) في ب، د، ط، و: «ويضيق».
 (١٩) في و: «في».
 (٢٠) في ط: «اطلب».
 (٢١) في و: «شراب يومي».
 (٢٢) في ط: «فابق».
 (٢٣) في د: «بت».
 (٢٤) في ب، د، ط، و: «منّي».
 (٢٥) في ب: «بالله».
 (٢٦) في و: «للعاشق».
 (٢٧) في ط: «وبقلبي».
 (٢٨) في ط: «استلوا».
 (٢٩) في د: «يرى».
 (٣٠) في ط: «وإن يسأل».
 (٣١) في ط: «قلوا»؛ وفي هـ و: «قل لؤا».

واغتسل من ماء^(٣) [من]^(٤) عيونو فاض
وفي بابو^(٩) حادي المنيا^(١٠) حدًا
غصبوا^(١٤) حتى وقف على ما جرا
ونوادر متّو ومتّي^(١٧) تُرا
فوقو ورد الخجل^(١٨) وتحتو جرا
ونشف ماء لوني^(١٩) إلى أن غاض
سرّ فيه^(٢١) ممّن أنا لو فدا^(٢٢)

انتحل^(١) من^(٢) بعدك إلى أن فاظ
وعلى حدو^(٥) الدار^(٦) حين^(٧) قد حدًا^(٨)
اذكر آتي في عتبو^(١١) وحد^(١٢) النهار^(١٣)
وبقي هو يحماز^(١٥) ونا نصفار^(١٦)
فلا تعجب من خدو كيف يحمار
ماء الحيا في وجناتو لمّا انغاظ
وما ينكر^(٢٠) حالي وحالو قدًا
انتهى^(٢٣).

ونظمت [في]^(٢٤) هذا النوع الغريب^(٢٥) توريةً، فجاءت في غاية الحسن، ولم
أسبق إليها إلا من الشائب الظريف محمد بن العفيف^(٢٦) / بقوله^(٢٧) [من الكامل]: ١٩ ب
عَبْتُمْ مِنَ الْمَحْبُوبِ حُمْرَةً شَعْرِهِ وَأَظْطَكُمْ بِدَلِيلِهِ^(٢٨) لَمْ^(٢٩) تَشْعُرُوا

- (١٧) في ط: «متي ومتو».
(١٨) في ط: «الخدود».
(١٩) في ب: «لواني».
(٢٠) في ب: «ننكر».
(٢١) في هامش ب: «لعل سقط منها «بان»،
فليتأمل». (حاشية).
(٢٢) القصيدة لم أقع عليها في ما عدت إليه من
مصادر.
(٢٣) «انتهى» سقطت من ط.
(٢٤) من ط.
(٢٥) بعدها في و: «في» مشطوبة.
(٢٦) «محمد بن العفيف» سقطت من ب.
(٢٧) «بقوله» سقطت من ب؛ وفي ط:
«كقوله».
(٢٨) في ب: «بدليكم»؛ لعلها: «بدليكم».
(٢٩) في ب: «لا».

- (١) في ط: «انو نحيل».
(٢) «من» سقطت من ب.
(٣) في ط: «مما».
(٤) من ب، د، ط، و.
(٥) في و: «حدو».
(٦) في ب: «الديار».
(٧) في د، ط، و: «جين».
(٨) في و: «حدًا».
(٩) في ط: «نابو».
(١٠) في ب، ط: «الصنايا».
(١١) في ب: «غيتو».
(١٢) في ط: «وخذ».
(١٣) في ط: «البهار».
(١٤) في ب، د: «غظتو»؛ وفي ط، و: «عصتو».
(١٥) في ط: «يحمرا».
(١٦) في ط: «بصفار».

- لا تُنْكروا ما أَحْمَرَ مِنْهُ فَإِنَّهُ
وهو (٢) قولي (٣) [من الكامل]:
- خاطرت في عشقي له يا (٤) مهجتي (٥)
فالطرف شاهد منه ناظر (٧) قدّه
ومثله (١٠) قولي (١١) [من السريع]:
مَرَجُ حَمَاةٍ قَدْ (١٢) بنوا غيرَه (١٣)
واغْتَاطَ نَمُورٌ (١٤) دِمَشْقٌ لَذَا (١٥)
ومثله (١٧) قولي (١٨) [من مخلّع البسيط]:
- حَضَيْتُ (١٩) عَزَمِي إِلَيْكَ شَوْقاً (٢٠)
-
- (١) في د، ط، و: «مضفر». والبيتان في ديوانه ص ١٥٦؛ وفيه: «عابوا» مكان «عيتم»، «وأظنتهم»، «لم يشعروا»؛ «مضفر».
- (٢) «هو» سقطت من ط.
- (٣) في ب: «وقلت» مكان «وهو قولي».
- (٤) «يا» سقطت من ب.
- (٥) في و: «خاطري» مشطوبة، وفي هامشها «مهجتي» صح.
- (٦) في ب: «علني».
- (٧) في ب، د، ط، و: «ناظر».
- (٨) في ط: «فغذا».
- (٩) في ب: «ناظري»؛ وفي و: «ناصري».
- والبيتان في ديوانه ورقة ٣٠ ب؛ وفيه: «وغدا»؛ و«ناظري».
- (١٠) «مثله» سقطت من ط.
- (١١) في ب: «وقلت في المعنى» مكان «ومثله قولي».
- (١٢) «قد» سقطت من ط، ك؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «ص».
- (١٣) في ب، د، و: «بنوا غيروه».
- (١٤) في ط: «نمروء».
- (١٥) في ط: «له».
- (١٦) في ب، و: «في غيظته». والبيتان لم أقع عليهما في ديوانه.
- والنمور: من «تنمر»: عبس وتنكر غضبان. (اللسان ٢٣٥/٥ (نمر))؛ والغیضة: الأجمة. (اللسان ٢٠٢/٧ (غیض)).
- (١٧) «مثله» سقطت من ط.
- (١٨) في ب: «وقلت في المعنى» مكان «ومثله قولي».
- (١٩) في و: «حَضَيْتُ».
- (٢٠) في كلّ النسخ: «شوقاً إليكم»؛ وفي نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: «إليك شوقاً»، وهذا أصلح للوزن.

وجئت^(١) لم أخط بالتلاقي وغايتي^(٢) أن أُلومَ حَضِي^(٣)

انتهى الكلام على الجناس اللفظي. وأما الجناس المقلوب، وسماه قوم بـ«جناس^(٤) العكس»، فهو^(٥) الذي يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص، ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب، كقوله تعالى^(٦) حكاية عن هارون، عليه الصلاة والسلام^(٧): ﴿حَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٨)؛ ومنه قول النبي، (ﷺ): «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة^(٩): اقرأ وأزقاً»^(١٠). وما ألفت ما أشار الصاحب بن عباد إلى الجناس المقلوب بقوله لأبي العباس [بن] الحارث في يوم قيظ في القيظ^(١٢)، وقد طلب مروحة^(١٣) الخيش، ما يقول الشيخ في قلبه؟ يعني «الخيش»؛ ومروحة الخيش أحدثها بنو العباس وذكرها الحريري في المقامات: وقال: اسمعوا وقيتم الطيش، وأنشد ملغزاً^(١٤) في مروحة الخيش [من الطويل]:

وجارية في سيرها مُشْمَعِلَةٌ ولكن على إثر المَسِيرِ قُفُولُهَا
لها سائقٌ مِنْ جِنْسِهَا يَسْتَجِثُّهَا على أنه في الإِخْتِثَاتِ^(١٥) رَسِيلُهَا
تُرى في أوانِ القِيظِ تَنْطُفُّ بالندى ويبدو إذا وَلَّى المَصِيفُ فُحُولُهَا^(١٦)

- (١) في ب، د، ط: «وحيث».
 (٢) في ط: «فغايتي».
 (٣) في و: «حَضِي»، وفوق الضاد «ظ».
 والبيتان لم أقع عليهما في ديوانه.
 (٤) في ب، د، ط، و: «جناس» مكان «بجناس».
 (٥) في ط: «وهو».
 (٦) في ب: «سبحانه».
 (٧) سقطت من ط، و؛ وفي ب: «على نبينا وعليه السلام».
 (٨) طه: ٩٤.
 (٩) «يوم القيامة» سقطت من د.
 (١٠) الحديث في موارد الظمان للهيتمي ص ١٧٩؛ وإتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٧٩٠؛ والدرر المنتور للسيوطي ٦/١٥٣؛ وفيها: «وازق» مكان «وارقاً».
 (١١) من ط.
 (١٢) «في القيظ» سقطت من ب، د، ط، و.
 (١٣) في د: «مروحة»؛ وفي ك: «مروحة»^(ج).
 (١٤) في ط: «لغزاً».
 (١٥) في ب: «الاجتناب».
 (١٦) في ب: «محولها»؛ وفي د: «فحولها»؛ والأبيات في مقاماته ص ٣٦١.
 ومشمعلة: سريعة نشيطة. (اللسان ١١/٣٧٢ شمعل)؛ وتنطف: تقطر بالماء. (اللسان ٩/٣٣٦ نطف)؛

وكان سبب^(١) حدوث هذه المروحة أنّ هارون الرشيد دخل يوماً على أخته عُلَيَّة بنت المهديّ في يوم قيظ^(٢)، فألفاها قد^(٣) صبغت ثياباً^(٤) من زعفران وصندل، ونشرتها على الحبال لتجفّ، فجلس هارون^(٥) قريباً من الثياب المنشورة، فصارت الريح تمرّ على الثياب، فتحمل منها ريحاً بليلاً عطرة، فوجد لذلك راحةً من الحرّ واستطابته، فأمر^(٦) أن يصنع له مثل^(٧) ذلك. وقال ابن الشريسيّ في شرح المقامات: هذه^(٨) المروحة شبيهة^(٩) الشراع للسّفينيّة، تُعلّق في السقف^(١٠)، ويشدّ بها حبل، وتبلّ بالماء وترشّ بماء الورد^(١١)، فإذا أراد الرجل في القائلة أن ينام جذبها بحبلها، فتذهب بطول البيت وتجيء، فتهبّ^(١٢) على الرجل^(١٣) منها نسيمٌ بارد طيب^(١٤). انتهى كلام ابن الشريسيّ^(١٥).

رَجِعْ إلى الجناس المقلوب^(١٦)؛ ومن الإشارات اللطيفة إليه في النظم قول الشاعر^(١٧) [من الطويل]:

حكاني بهارُ الروضِ حينَ ألفتُهُ وكلّ مَشوقٍ للبهارِ مُصاحبُ
فقلتُ له: ما بالُ لونِكَ شاحباً فقال: لأتِي حينَ أقلبُ رَاهِبُ^(١٨)
و«راهب» قلب «بهار» على الترتيب^(١٩).

- | | |
|---------------------------------|--|
| (١) في ط: «السبب في». | (١٤) في ب، د، ط، و: «رطب». |
| (٢) في ب: «قائظ». | (١٥) في ط: «كلامه». |
| (٣) في ط: «وقد». | (١٦) «رجع إلى الجناس المقلوب» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح». |
| (٤) في ط: «ثيابها». | (١٧) في ط: «فمنه قول بعضهم» مكان «ومن الإشارات... الشاعر». |
| (٥) في و: «هارون الرشيد». | (١٨) البيتان في نفحات الأزهار ص ٢٤. |
| (٦) في ط: «وأمر». | والبهار: نبت طيب الريح، له فقّاحة صفراء ينبت أيام الربيع، يقال لها العرارة. (اللسان ٨٤/٤ (بهر)). |
| (٧) في ب، د، و: «له في مثل...». | (١٩) «وراهب... الترتيب» سقطت من د، ط، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح». |
| (٨) في ط: «وهذه». | |
| (٩) في ط: «شبه». | |
| (١٠) في ط: «بالسقف». | |
| (١١) في ط: «بالمورد». | |
| (١٢) في ب، ط: «فيهب». | |
| (١٣) في ط: «النائم». | |

وما أحلى قول شمس الدين محمد^(١) بن العفيف^(٢) هنا^(٣) مع زيادة التورية
[وهو]^(٤) [من السريع]:

أَسْكِرْنِي بِاللَفْظِ وَالْمَقْلَةِ الـ كَخَلَاءٍ وَالْوَجْنَةِ وَالكَاسِ
سَاقٍ يُرِينِي قَلْبُهُ قَسْوَةً وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسِي^(٥)
وبديع هنا قول الشيخ جمال الدين بن نباتة^(٦)، رحمه الله،^(٧) في الأمير شجاع
الدين بهرام [من مجزوء الخفيف]:

فِيكَ^(٨) كُلُّ الْقُلُوبِ مَنْ رَهَبِ الْحُبِّ^(٩) تَضَطَّرِبُ
قَلْتُ هَذَا تَخْرُصُ^(١٠) قَلْبُ بِهْرَامَ مَا رَهَبُ^(١١)
وبيت عبد الله بن رواحة [الصحابي، رضي الله تعالى عنه]^(١٢)، غاية في هذا
النوع، وقيل إنه^(١٣) أمدح بيت قالته العرب، فإنه من جملة مديح النبي، (ﷺ)^(١٤)،
وهو [قوله]^(١٥) [من البسيط]:

تَحْمَلُهُ النَّاقَةُ^(١٦) الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلَى نَوْرُهُ الظَّلْمَا^(١٧)
وما أحلى قول القائل [من الطويل]:

- (١) «شمس الدين محمد» سقطت من ط؛ وفي ب: «الشاب الظريف».
(٢) «بن العفيف» سقطت من ب.
(٣) «هنا» سقطت من ط.
(٤) من ب.
(٥) في ب، ط: «قاسي». والبيتان في ديوانه ص ١٨٦؛ وفيه: «الكحلأ»؛ ونفحات الأزهار ص ٢٤.
(٦) في ب: «النباتي» مكان «جمال الدين بن نباتة».
(٧) سقطت من ب، ط، و؛ وفي د: «رحمه الله تعالى».
(٨) في ب، د، ط، هـ و: «قيل».
(٩) في ب، ط، هـ و: «الحرب».
(١٠) في ب: «تحكم»؛ وفي د: «تحرض»؛ وفي ك، و: «تحرض».
(١١) «وبديع هنا... ما رهب» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح»؛ والبيتان لم أقع عليهما في ديوانه؛ وهما له في نفحات الأزهار ص ٢٤.
(١٢) وفي هامش و: «في النسخة المقابل عليها: «قلب هارون». (حاشية).
(١٣) «إنه» سقطت من ط.
(١٤) في ب: «... وشرف وكرم».
(١٥) من ط.
(١٦) في ط: «ناقته».
(١٧) البيت لم أقع عليه في ديوانه.

وَأَلْفَيْتَهُمْ يَسْتَعْرِضُونَ حَوَائِجًا إِلَيْهِمْ وَلَوْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ جَوَائِحًا^(١)
ومثله قول القائل^(٢) [من الخفيف]:

إِنَّ بَيْنَ الضَّلُوعِ مَتِي نَارًا تَتَلَطَّى فَكَيْفَ لِي أَنْ أُطِيقَا
فَبِحَقِّي عَلَيْكَ يَا مَنْ سَقَانِي أَرْحِيقًا سَقَيْتَنِي أَمْ حَرِيقًا^(٣)
ومن الغايات في هذا الباب قول القائل^(٤) [من الرمل]:

لَبَبْتُ أَقْبَلَ فِيهِ هَيْفٌ كُلُّ مَا^(٥) أَمْلُكُ إِنْ غَنَّى هَيْبَهُ^(٦)
فهذا البيت، كل كلمة منه، بانضمامها إلى أختها، تجانسها في القلب، وأعلى
منه رتبة قول سيف الدين بن^(٧) المشد [من مجزوء الكامل]:

لَيْلٌ أَضَاءَ هَلَالُهُ أَنَّى يُضِيءُ بِكَوْكِ^(٨)

وهذا البيت، كل كلمة منه تقرأ مستوية ومقلوبة، / وهو نوع^(٩) مما لا يستحيل
بالانعكاس كقولك^(١٠): «ساكب كاس»، وهذا النوع يأتي الكلام عليه في موضعه،
لأن المراد هنا جناس^(١١) القلب.

وللشيخ علاء الدين [علي]^(١٢) بن مقاتل الحموي^(١٣) أيضاً في هذا النوع
زجل^(١٤) سارت به الركبان، أنشده المصنّف بالحضرة الشريفة المؤيدية، بحماة
المحروسة^(١٥)، والشيخ صفّي الدين^(١٦) الحلبي^(١٧) والشيخ جمال الدين بن نباتة^(١٨)

(١) في و: «جوانحا». والبيت في نفحات الأزهار ص ٢٥.

والجوائح: الشديدة أو الشدائد. (اللسان

٤٣١/٢ (جوح)).

(٢) «قول القائل» سقطت من ط؛ وفي ب: «وقول القائل مثله».

(٣) البيتان في نفحات الأزهار ص ٢٥.

(٤) في ب: «وقول الآخر من الغايات في هذا

الباب».

(٥) في ب، د، ط، ك: «كلما».

(٦) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من

مصادر.

(٧) «بن» سقطت من ب، د، و.

نباتة».

(٨) «نوع» سقطت من ط.

(٩) في ط: «كقول الحريري».

(١٠) في ب: «أجناس».

(١١) من ب.

(١٢) في ب: «الفخري».

(١٣) في ط: «زجل في هذا النوع».

(١٤) في ط: «في حماة بحضرة الملك المؤيد».

(١٥) «صفّي الدين» سقطت من ب.

(١٦) «الحلي» سقطت من ب.

(١٧) في ب: «النباتي» مكان: «جمال الدين بن

حاضران^(١)، فوقع في المجلس شيء أقوله^(٢) إذا استوعبت الرجل كتابةً، وأوله^(٣) [يقول فيه]^(٤):

قلبي يحب^(٥) تياه ليس يعشق^(٦) إلا إياه فازمن وقف وحيّاه يرصد على محياه
بدر السما ويطبّع^(٧) من رام وصالو يعطب

صغير نحير^(٨) في أمر غزال قهر بشمرو^(٩) ليث الهوى ونمرو فأعجب لصغر عمرؤ
ريم ابن عشر وأربع أزدى الأسود وأرعب

أذكر نهار تبعثو وروحي كنت بعثو خيب^(١٠) ما فيه طمعتو^(١١) وقال^(١٢) وقد سمعتو
إرجع ولي^(١٣) لا^(١٤) تشيع نخشى^(١٥) عليك لا تتعب

كم قدأمو^(١٦) وخلفو مشيت مطيع لخلفو ورمت^(١٧) لثم كفو قال دع منك وكفو
فإن لثم إصبغ من الثريا أصعب

ما زلت لو نداري حتى حصل في داري ناديت ودمعي جاري آش^(١٨) لو تكون^(١٩) يا جاري
تدعني^(٢٠) من فيك أشبع قال آش^(٢١) يكن^(٢٢) لك أشعب

(١) «حاضران» سقطت من ط.

(٢) «أقوله» سقطت من ط.

(٣) في ط: «علمته».

(٤) من ب.

(٥) في ك: «بحب».

(٦) في ب، د: «نعشق».

(٧) في ط: «لو يطبع».

(٨) في ط: «يجير».

(٩) في ط: «بسمرو».

(١٠) في ط: «وخبب».

(١١) «خبب ما فيه طمعتو» سقطت من ب.

(١٢) في ط: «فقال».

(١٣) «لي» سقطت من و، وثبتت في هامشها

مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ط: «ولا».

(١٤) في ط: «لي».

(١٥) في ط: «اخشى».

(١٦) في د، ك، و: «قدأمو».

(١٧) في ب، و: «ورذت».

(١٨) في ط، و: «أيش».

(١٩) في ب: «لو يكون»؛ وفي ط: «كان

يصيب».

(٢٠) في ط: «لو كنت».

(٢١) في ط، و: «أيش».

(٢٢) في ب، د، و: «يكون».

من جاز^(١) في حسن^(٢) حدو^(٣) لحظو لقتل^(٤) حدو^(٥) ورزذ حد^(٦) ندو^(٧) ما في الرياض شي ندو
 روض بالحيا^(٨) مبرقع^(٩) عليه سياج^(٩) مُعقرب^(٩)
 من في الجمال فريدو للصب من وريدو يذبح وهو يُريدو^(١٠) وكم ذا^(١١) شيخ مريدو
 [خلاه دموعو يبلع وهو بعقلو يلعب
 كم خصم في المقاتل صابو ابن^(١٢) مقاتل وكم ذا في المحافل قد أنشأ لو جحافل^(١٣)
 من كل بيت في^(١٤) مربع^(١٥) ملحون بألف مُعرب^(١٦)
 والشيء اللطيف الذي وقع في المجلس المشار إليه ووعدت بذكرو: [ذكروا]^(١٧)
 أنّ الشيخ علاء الدين ابن مقاتل، رحمه الله^(١٨)، لما وصل إلى قوله «ملحون بألف
 معرب»، صار الشيخ جمال الدين بن نباتة^(١٩)، رحمه الله^(٢٠)، ينظر إلى الشيخ علاء
 الدين^(٢١) بن مقاتل ويشير إلى الشيخ صفى الدين^(٢٢) ويقول: «ملحون بألف^(٢٣)

- (١) في ط: «جاز». (١٤) «في» سقطت من ب، ط.
 (٢) في د: «في حسن»؛ وفي ط: «حسن». (١٥) في ب: «مربع». (١٦) الزجل لم أقع عليه في ما عدت إليه من
 مصححة عن «حدو». مصادر.
 (٣) في ط: «حدو»؛ وفي و: «حدو»^(ح). (١٧) من ب، د، ط، و.
 (٤) في ب، د، ط: «لقتلي». (١٨) سقطت من ب، ط؛ وفي د، و: «رحمه
 الله تعالى». (١٩) بعدها في ب: «النباتي» مكان «جمال
 الدين بن نباتة». (٢٠) سقطت من ب، ط؛ وفي د، و: «رحمه
 الله تعالى». (٢١) «الشيخ علاء الدين» سقطت من ب.
 (٥) في «لحظو لقتلي حدو» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشأراً إليه ب «صح». (٢٢) بعدها في ب، ط: «الحلي»؛ و«ينظر
 إلى... صفى الدين» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشأراً إليها ب «صح
 صح». (٢٣) «بألف» سقطت من و، وثبتت في هامشها
 (٦) في ب، د، ط، و: «حدو». (٢٤) «بألف» سقطت من ب، د، ط، و؛ وفي ب، د، و: «غصن حافل» مكان
 «لو جحافل».

معرب»، والمملك^(١) المؤيد^(٢) يتبسم^(٣) لذلك. انتهى.
 وإذا نظر المتأمل إلى نقص^(٤) [هذه]^(٥) الأحرف في رسم كتابة الرّجل لا ينتقد،
 فإنَّ شرط رسمه أن يوضع كذا لأجل تحرير وزنه.
 انتهى الكلام على الجناس اللفظي والمقلوب.
 وبيت الشيخ صفّي الدين^(٦) الحلّي فيهما [هو]^(٧):
 بِكُلِّ قَدْ نَضِيرٍ لَا نَضِيرَ لَهُ مَا^(٨) يَنْقُضِي أَمْلِي مِنْهُ وَلَا أَلْمِي^(٩)
 وبيت الشيخ عز الدين^(١٠) الموصلي^(١١) [فيهما]^(١٢):
 لَفْظِي حُضِّي^(١٣) عَلَى حَظِّي^(١٤) يَمَانِعُهُ مَقْلُوبٌ مَعْنَى مَلَأَ^(١٥) الْأَحْشَاءَ بِالْأَلْمِ^(١٦)
 أمّا قوله «مقلوب معنى» فما دخل معناه إلى القلب^(١٧).
 وبيتي:

قد فاض دمي وفاظ^(١٨) القلبُ إذ سمعا لفظيَّ عَدَلِ مَلَا الْأَسْمَاعَ بِالْأَلْمِ^(١٩)

- (١) «الملك» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
 (٢) بعدها في د، و: «سقى الله عهده».
 (٣) في و: «يتبسم».
 (٤) في ب، ط: «بعض»..
 (٥) من ط.
 (٦) «صفّي الدين» سقطت من ب.
 (٧) من ب.
 (٨) في ط: «لا».
 (٩) البيت في ديوانه ص ٦٨٦؛ ونفحات الأزهار ص ٢٦، ٢٩؛ وشرح الكافية البديعية ص ٦٦.
 (١٠) «عز الدين» سقطت من ب.
 (١١) «الموصلي» سقطت من ط؛ وبعدها في و: «رحمه الله».
 (١٢) من ب.
 (١٣) في ب، ط: «حُضٌّ»؛ وفي د: «حُضِّي»؛ وفي و: «حُظِّي».
 (١٤) في د: «حَظِّي»؛ وفي ط: «حَظٌّ»؛ وفي و: «خطي».
 (١٥) في ط: «ملا»؛ وفي و: «تلا».
 (١٦) في ط: «من ألم». والبيت له في نفحات الأزهار ص ٢٩؛ وفيه: «من ألم».
 (١٧) «أمّا قوله... القلب» سقطت من ط؛ وبعدها في ب: «انتهى».
 (١٨) في د: «وفاض».
 (١٩) بعدها في ط: «انتهى، والله أعلم»؛ وبعدها في و: «انتهى». والبيت سبق تخريجه.

الجناس (*) المعنوي

٨ - أبو (١) معاذ أخو (٢) الخنساء كُنْتُ لَهُمْ يا معنويُّ فَهَدُّونِي بِجَوْرِهِمْ (٣)

أما الجناس المعنوي فإنه ضربان: تجنيس إضمار وتجنيس إشارة، ومنهم من سمى تجنيس الإشارة تجنيس الكناية، وكلّ منهما مطابق التسمية. ولم ينظم الشيخ صفي الدين (٤) الحلبي في بديعته غير نوع الإضمار، وهو أصعب مسلكاً من جناس الإشارة، ولا بدّ أن أنوع هذا الشرح بمحاسن النوعين (٥)، فإنّ المعنوي طرفة من طُرف الأدب، وعزيز الوجود جدّاً، ولم يذكره القاضي (٦) جلال الدين القزويني في «التلخيص» ولا في «الإيضاح»، ولا ذكره ابن رشيق في «العمدة» ولا زكي الدين (٧) ابن أبي الأصبغ في «التحرير» ولا ابن منقذ في كتابه، والعميان ذكروه في شرح

وفي هامش ب أيضاً: «قال البهاء زهير في
ثقل [من الرجز]:

فَهُوَ إِذَا لَاحَ لِعَيْنِ الرَّائِي

أبو معاذ وأخو الخنساء
[ديوانه ص ١٥؛ وفيه: «إذا رأته
عين...»؛ و«أو أخو»].

وقد أشير فوقها ب «حش».

(٤) «صفي الدين» سقطت من ب.

(٥) في هـ ك: «تبنى هذه بمحاسن النوعين» خ
مكان «أنوع هذا الشرح...».

(٦) في ط: «الشيخ».

(٧) «زكي الدين» سقطت من ب.

(*) في ط: «ذكر الجناس».

(١) في ط: «أبا».

(٢) في ط: «أخا».

(٣) البيت في ديوانه ورقة ٤؛ ونفحات
الأزهار ص ٢٢؛ وفيه: «أبا» و«أخا».

ويقصد ب «أبي معاذ» جيلاً والد معاذ بن
جبل الصحابي الجليل، و«أخي الخنساء»
صخرأ بن عمرو الشريد.

وفي هامش ب: «ونقلت عن المصتف أنه
أنشد قبل هذا لبعضهم [من الخفيف]:

يا أخا مالِكِ ويا مَنْ لَهُ الخُدُّ

ساءَ أختُ ويا أبا لمعاذٍ

وقد أشير فوقها ب «حش».

بديعيتهم، ولكن ما تيسر لهم نظمه، وذكر الشهاب محمود في كتابه/ المسمّى بـ ٢٠ بـ «بحسن»^(١) التوسّل في^(٢) «صناعة الترسّل»، منه نوع الإشارة لا نوع الإضمار، ولكن ما نظمه^(٣) ولم يذكر نوع الإضمار في بديعيتّه^(٤) غير الشيخ صفّي الدين^(٥) الحلبيّ، وقد تقدّم القول إنّه قال عن^(٦) بديعيتّه: إنّها نتيجة سبعين كتاباً في هذا الفنّ. وكان شيخنا قاضي القضاة علاء الدين بن^(٧) القضايميّ، نور الله ضريحه^(٨)، يقول، وهو إمام هذا الفنّ^(٩): ما أعلم لبيت أبي بكر^(١٠) بن عبدون، في إضمار الركنين، ثانياً غير بيت الشيخ صفّي الدين^(١١)، ولو لم يفتح له^(١٢) ابن عبدون هذا الباب في بيته ما حصل للشيخ صفّي الدين دخول إلى نظم هذا النوع. انتهى.

والكلام على البيتين يأتي بعد تعريف النوع، والمعنوي^(١٣) المضمّر هو أن يضمّر الناظم رُكْنَيْ التجنيس^(١٤) ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمّر للدلالة عليه، فإن تعذر المرادف يأتي^(١٥) بلفظ فيه^(١٦) كناية لطيفة تدلّ على المضمّر بالمعنى، كقول أبي بكر بن عبدون المشار إليه، وقد اصطح^(١٧) بخمرة ترك بعضها إلى الليل فصارت خلاً [وهو]^(١٨) [من الطويل]:

ألا في سبيلِ البهْرِ كأسٌ مُدَامِةٍ
حكّتْ «بنتَ بسطامِ بنِ قيسِ صبيحةً»^(٢٠)
أثّنا بطعمِ عهدِهِ^(١٩) غيرُ ثابتٍ
وأمسّتْ كجسْمِ «السَّنْفَرَى» بعدَ «ثابتٍ»^(٢١)

- (١) في و: «جناس» مشطوبة.
(٢) في د: «إلى».
(٣) «وذكر الشهاب... ما نظمه» سقطت من ب.
(٤) «غير بديعيتّه» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مع ما يليها: «في بديعيتّه غير الشيخ صفّي الدين».
(٥) «صفّي الدين» سقطت من ب.
(٦) في د: «في».
(٧) «بن» سقطت من ب.
(٨) سقطت من ب؛ وفي ط: «رحمه الله».
(٩) في ب، د، ط، و: «العلم».
(١٠) «بكر» سقطت من ب.
(١١) في ط: «... صفّي الدين الحلبي».
(١٢) «له» سقطت من ط.
(١٣) في ب، د، ط، و: «فالمعنوي».
(١٤) في ب: «التحقيق».
(١٥) في ط: «أتى».
(١٦) في ب: «بلفظة فيها».
(١٧) في د: «اصطح».
(١٨) من ب.
(١٩) في د: «عهد» مكررة، والثانية منهما مشطوبة.
(٢٠) في د: «عشيّة»؛ وفي هـ: «صبيحة» ن.
(٢١) البيتان في نفحات الأزهار ص ٢٠؛ وشرح الكافية البديعية ص ٦٨.
وفي هامش ب: «ثابت هو خال السَّنْفَرَى، =

وبنت^(١) بسطام بن قيس، كان اسمها الصَّهباء، والشنفرى قال [من الخفيف]:
اسْتَقْنِيهَا^(٢) أَيَا^(٣) سَوَادَ^(٤) بِنِ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي [مِنْ]^(٥) بَعْدِ خَالِي^(٦) لَخَلُّ^(٧)
و«الخلُّ» هو الرقيق المهزول، فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران في
«صهباء» و«صهباء» و«خَلَّ» و«خَلَّ»، وهما في صدر البيت وعجزه، ومن هنا أخذ
الشيخ صفي الدين^(٨) وقال^(٩):

وكلَّ لَحْظٍ أتى بِأَسْمِ ابْنِ^(١٠) ذِي يَزِينِ فِي فَتْكِهِ بِالْمُعْتَى^(١١) أَوْ أَبِي هَرَمَ^(١٢)
ف«ابن ذي يزن» اسمه سيف، و«أبو هرم» اسمه سنان، فظهر له [أيضاً]^(١٣)
جناسان مضمران من كنايات الألفاظ الظاهرة، وظهر^(١٤) قول شيخنا قاضي القضاة
علاء الدين [بن القضامي]^(١٥): إِنَّ هَذَا الْبَابَ مَا فَتَحَهُ لِلشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ^(١٦) غَيْرِ ابْنِ
عَبْدُونَ، وَكُنْتُ أَوْدُ أَنْ يَكُونَ شَيْخَنَا، سَقَى اللَّهُ مِنْ عَهَادِ الرَّحْمَةِ ثَرَاهُ^(١٧) حَيْثَا، وَبِرَانِي

= وهو المشهور بـ «تأبط شراً»، وابن
عبدون يشير في هذا إلى قول الشنفرى
يرثني خاله «ثابت*» المذكور [من
المديد]:

فاسقنيها يا سوادَ بِنِ عَمْرٍو
إِلَى خَلِّ^{*} ...

(٦) في ط: «حالي».
(٧) البيت في ديوانه ص ٨٩؛ واللسان ١١/
٢١٩ (خلل)؛ والحيوان ٣/٧٠؛
ونفحات الأزهار ص ٢٠؛ وفيه:
«فاسقنيها».
(٨) بعدها في ط: «الحلي».
(٩) في ب: «فقال».
(١٠) «ابن» سقطت من و، وثبتت في هامشها
مشاراً إليها بـ «صح».
(١١) في ب: «لمعتى».

(١٢) البيت في ديوانه ص ٦٨٦؛ ونفحات
الأزهار ص ٢٢؛ وفيه: «في قتله»؛
وشرح الكافية البديعية ص ٦٨.
(١٣) من د، و؛ وفي ب: «أيضاً له».
(١٤) في ط: «فظهر».
(١٥) من ب.
(١٦) في ب: «للصفي» مكان «للشيخ صفي»
الدين».
(١٧) سقطت من ب؛ وفي ط: «رحمه الله».

(١) في ط: «فبنت».
(٢) في ب: «فاسقنيها».
(٣) في ب، ط، ك، و: «يا»؛ وفي د: «أيا»
مصححة عن «يا».
(٤) في د: «سواد» مصححة عن «أسود».
(٥) من ط.

قد عززتهما بثالث .

وبيتي^(١):

أبو^(٢) معاذ أخو^(٣) الخنساء كنتُ لهم يا معنويّ فهدّوني بجورهم^(٤)
و«أبو معاذ» اسمه جبل^(٥)، و«أخو الخنساء» اسمه صخر، فظهر من كنايات
الألفاظ الظاهرة أيضاً^(٦) جناسان مضميران في صدر^(٧) البيت، وهما^(٨) «جبل»
و«جبل»، و«صخر» و«صخر»، وبالنسبة إلى «الجبل» في الركن^(٩) الواحد يحسن^(١٠)

(١) سقطت من و؛ وفي ط: «وهو».

(٢) في ط: «أبا».

(٣) في ط: «أخا».

(٤) البيت سبق تخريجه.

وفي هامش ب: «والذي نظمه الشيخ تقيّ

الدين [ابن حجة] أولاً [من البسيط]:

كُنْ مَعْنَوِيًّا بِمَقْتَضَى مَا * أَجَانِسُهُ

مَعَ الَّتِي هِيَ تَرَعَى نَرَجَسَ الظَّلْمَ

[البيت لم أقع عليه في ديوانه].

وقد أشير فوقها بـ «حش».

* لو حذف «ما» لكان أصلح للوزن.

وفي هامش ك: «رأيت بخط بعض

الفضلاء ما مثاله: «لم يُظهر ممّا قاله

شيئاً ولم ينظم من هذا البيت جناساً،

فضلاً عن أن يكون نظم النوع الذي حدّه،

ولو جعل نفسه جبلاً وصخرأ في قوله:

«كُنْتُ لَهُمْ» لا يصحّ أن يكون فيه جناساً*

أيضاً، وفيه لحن فاحش، وصوابه: «أبا» و

«أخا». وقال: رأيت بخط الوالد، رحمه

الله، ما معناه أنّ الشيخ تقيّ الدين الناظم

أنشده في هذا النوع قول بعضهم [من

الخفيف]:

يَا أَخَا مَالِكِ يَا مَنْ لَهُ الخَدُّ

سَاءَ أَخْتُ وَيَا أَبَا لِمَعَاذِ

[البيت سبق تخريجه].

والعجب منه كيف يسرقه بعد ذلك، وليته

=أجاد وأتى بالنوع؛ وقال أيضاً: رأيت

بخطّ الوالد أيضاً: «إنّ الشيخ نظمه على

غير هذا الطريق، وهو [من البسيط]:

كُنْ مَعْنَوِيًّا بِمَقْتَضَى مَا * أَجَانِسُهُ

مع التي هي ترعى نرجس الظلم

[البيت سبق تخريجه].

وليت * أبواه، لأن معناه «كن معنويّاً»

يقضي الغزاة التي تمشي مع طلوع

الشمس رأسها الغزاة، ففيه جناس، فإن

كان ما هو من المعاني الملح». وهذا

الذي قال هذا هو كمال الدين ابن البارزي

كاتب السرّ، رحمه الله». (حاشية).

* لعله: «جناس».

* لو حذف «ما» لكان أصلح للوزن.

* لعلها: «ليته».

(٥) في ط: «جبل».

(٦) «أيضاً» سقطت من و، وثبتت في هامشها

مشاراً إليها بـ «صح».

(٧) «صدر» سقطت من ب، وثبتت في هامشها.

(٨) في ب: «هما».

(٩) في ب: «الركنين».

(١٠) في ب: «بحسن».

قولي «فهدوني بجورهم»؛ وقد أظهرت محاسن هذا الجناس المعنوي^(١) المضمرة، وكشفت عن جماله الباهر سُتُورَ^(٢) الأشكال، ليتمتع به صاحب الذوق السليم، فإنّ فحول المتأخرين وقفوا عن المجازاة في حلبته، ولم يتعلّق [أحد منهم]^(٣) إلا بأذيال الضرب الثاني، وهو جناس الإشارة، ويأتي الكلام عليه^(٤).

ومن غريب ما يحكى أن الشيخ صلاح الدين الصفديّ قال^(٥) في «شرح لامية العجم»^(٦)، وفي^(٧) كتابه المسمّى بـ«جنان»^(٨) الجناس، لمّا اعترضه الجناس المعنويّ [قال]^(٩): هُذا النوع عندي باطل، ولم يتيسّر له منه نظم بيتٍ واحدٍ^(١٠) مع كثرة تهافته على الجناس وأنواعه، والذي يظهر لي أنّه عجز عن نظمه، فإنّه قال في غضون ذلك: وقد استخرجت من شعر أبي الطيّب المتنبّي من الجناس المعنويّ قوله [من الكامل]:

حاولنَ تَفْدِيَتِي^(١١) وَخَفْنَ مُرَاقِبَا
فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا^(١٢)
وهذا ممّا يدلّ^(١٣) على أنّه لم يفهمه.

الدين التفتازانيّ في «المطول»: ومن أنواع التجنيس تجنيس الإشارة، وهو أن لا يظهر التجنيس باللفظ بل بالإشارة، كقوله [من الرمل]:
حُلِقْتُ لحيَةً موسى باسمِهِ
وَبِهَارُونَ إِذَا مَا قُلِبَا
[البيت بلا نسبة في الطراز ٣٧٢/٢؛ ومعاهد التنصيص ٢٤١/٣؛ وأنوار الربيع ٢١٩/١؛ والكواكب الدرّية ص ١٧؛ وبلوغ الأرب في علم الأدب ص ٢٢٩].
(حاشية).

(١١) في ب: «تغذيبي»؛ وفي ط: «تقريبي».
(١٢) في و: «ثرابنا». والبيت في ديوانه ١/١٢٣.
(١٣) في ط: «دليل» مكان «مما يدل».

(١) «المعنوي» سقطت من ط.
(٢) في ط: «سطور».
(٣) من ب، ط؛ وفي د: «[منهم]»؛ وفي و: «[منهم أحد]».
(٤) «ويأتي الكلام عليه» سقطت من ب.
(٥) في ك: «قال» كتبت فوق «الصفدي».
(٦) «ومن غريب... العجم» سقطت من ب.
(٧) في ب: «في».
(٨) في و: «بجناس» مشطوبة، وفي هامشها: «بجنان» صح.
(٩) من ط.

(١٠) في هامش ك: «ورأيت أيضاً ما مثاله: «لو قال لنفسه كما قال للشيخ عزّ الدين، بل أبلغ من ذلك، لأنّه ما نظم جناساً في بيته ألبتّة، وليس ما قاله سبباً لورود هذا النوع، صحيح هو سببه، قال الشيخ سعد

انتهى الكلام على الجناس وأنواعه^(١)، [و]^(٢)المعنوي الذي يضم^(٣) فيه الركنان. وما أحرّث بيت الشيخ عزّ الدين الموصلي^(٤)، ونثرت نظم الترتيب الذي تقدّم^(٥) إلا لتنجّيه عن نظم الجناس المعنوي المضمّر الركنين، وميله إلى جناس الإشارة لسهولة مأخذه، فلم تبق^(٦) لبيته طاقة على المناظرة لتحوّله عن النوع/ الذي ٢١ أعارض فيه^(٧) الشيخ صفّي الدين الحلّي^(٨)، والظاهر أنّه قنع بقول القائل [من الوافر]:

إذا منعك أشجارُ المعالي جَناها الغصْرُ فأقنعُ بالشَّمِيمِ^(٩)

والضرب الثاني من المعنويّ، وهو جناس الإشارة والكناية هو عين^(١٠) الأول، وسبب ورود هذا النوع^(١١) في النظم أنّ الشاعر يقصد المجانسة في بيته بين الركنين من الجناس، فلا يوافق الوزن على إبرازهما، فيضمّر الواحد ويعدل بقوته إلى مرادف فيه كناية تدلّ على الركن المضمّر، فإن لم يتفق^(١٢) له مرادف الركن المضمّر، يأتي^(١٣) بلفظة فيها كناية لطيفة^(١٤) تدلّ عليه؛ وهذا لا يتفق في الكلام المنثور، والذي يدلّ عليه المرادف قول امرأة من عقيل، وقد أراد قومها الرحيل عن

- (١) «أنواعه» سقطت من ب، د، ط، و. (١١) في هامش ب: «ليس ما قال إنّه سبب ولعلّه يقصد: «الجناس المعنويّ الذي يضمّر فيه الركنان، وأنواعه».
- (٢) «الواو» زيادة يقتضيهما السياق.
- (٣) في ب: «تضمّر».
- (٤) «الموصلي» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
- (٥) في ك: «تقدّم» كتبت فوق «الذي».
- (٦) في ب، د، ط، و: «قلم يبق».
- (٧) «فيه» سقطت من ب.
- (٨) في و: «الحلّي» صح كتبت فوق «الدين».
- (٩) البيت لابن فلاقس في ديوانه ص ٥١٦.
- (١٠) في ب، د، ط، و: «غير».
- (١١) في ب: «ليس ما قال إنّه سبب ولعلّه يقصد: «الجناس المعنويّ الذي يضمّر فيه الركنان، وأنواعه».
- (١٢) في ب: «يتفق».
- (١٣) لعلّها: «يأت».
- (١٤) في ك: «لفظية»، وفي هامشها: «لطيفة» ص.

بني ثهلان وتوجّه منهم جماعة يحضرون الإبل [وهو] ^(١) [من الطويل]:
 فما مُكُنْنَا دَامَ الْجَمَالَ عَلَيكما بشهلانَ إِلَّا أَنْ تَشُدَّ الْأَبَاعِرَا ^(٢)
 أرادت أن تجانس بين «الجمال» و«الجمال» فلم يساعدها الوزن ولا القافية،
 فعدلت إلى مرادفة «الجمال» ب«الأباعر». والذي يدل ^(٣) على مضمرة اللفظة الظاهرة
 بالكناية اللطيفة قولُ دعبل [الخزاعي] ^(٤) في امرأته سلمى [من البسيط]:
 أتِي أَحْبُّكَ حَبًّا لَوْ تَضَمَّنَهُ سلمى سَمِيكَ ذَلَّ ^(٥) الشاهقُ الرَّاسِي ^(٦)
 فالكناية اللطيفة في «سميك» لأنها أشعرت أن الركن المضمّر في «سلمى»، فظهر
 منها ^(٧) جناس الإشارة بين الرّكّنين ^(٨) الظاهر والمضمّر في «سلمى» و«سلمى» الذي
 هو الجبل، ومثله قول الآخر [من المتقارب]:
 وتحت البراقع مقلوبها تدبُّ على وزدٍ خَدَّ ^(٩) نَدِي ^(١٠)
 فكنتى عن «العقارب» بمقلوب «البراقع»، ولا شك أن بين اللفظين ^(١١) المصّرح به
 والمكتى عنه تجانسا، ومثله قول الآخر يهجو مُعْنِيًّا ثَقِيلًا [من مجزوء الرمل]:
 قَالَ: غَنِيْتُ ثَقِيلًا قَلْتُ: قَدْ غَنَيْتَ نَفْسَكَ ^(١٢)
 ومن الكنايات بالمرادف قول شرف الدّين بن الحلاوي، وهو غاية في هذا النوع
 [من الكامل]:

وبدّت نظائرُ ثُغْرِهِ فِي قُرْطِهِ فَتَشَابَهَا ^(١٣) متخالفين فأشكلاً

- (١) من ط. مكان «ذَلَّ»؛ ونظم الدرّ ص ٢٣٧.
 (٢) في ب، د، ط، و: «تَشُدَّ الْأَبَاعِرُ». (٧) في ط: «يظهر منه».
 (٣) البيت في نظم البديع في مدح خير شفيح ص ١١٥؛ وفيه: «وَأَمَّ الْجَمَالَ»؛ (٨) في ب، ط، و: «الركن».
 (٤) في ك: «خَدَّ ٢ وَزِدَ ٢». (٩) في ط: «وَزِدَ تِلْكَ الْخُدُودِ»؛ وفي ب:
 «نَدِي». والبيت بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ٢١؛ ونظم الدرّ ص ٢٣٧.
 (٥) في د، و: «تَدَلَّ». (١٠) في ب، د، ط، و: «اللفظ».
 (٦) من ب. (١١) البيت بلا نسبة في نفحات الأزهار ص ٢٢.
 (٧) في ط: «ذاك».
 (٨) البيت في ديوانه ص ٨٦؛ وفيه: «ذُكَّ» (١٣) في ب: «وتشابهها».

فرأيتُ تحتَ البدرِ سالفَةَ الطُّلا ورأيتُ فوقَ الدُرِّ مُسْكِرَةَ الطُّلا^(١)

أراد أن يجانس بين «سالفة الطلا» و«سُلفة^(٢) الطلا» فلم يساعده الوزن، فعدل بقوته إلى «المسكرة»، وهي مرادفة «السُلفة»^(٣)، وقد تقدّم أن الشيخ عزّ الدين الموصلّي لم ينظم من المعنويّ إلا هذا الضرب، وهو الذي أوجب تأخير بيته عن المناظرة، وقد تقرّر أنّ^(٤) الشاعر يريد في هذا النوع إظهار الرّكنين فلم^(٥) يساعده الوزن، فيعدل بحسن تصريفه^(٦) إلى مرادفه. وأراد الشيخ عزّ الدين أن يمشي على هذا الطريق فحصل له في الطريق عُقْلة^(٧)، فإنه قال:

وكافرٍ نِعَمَ^(٨) الإحسانِ في عدلٍ كظلمةِ اللَّيْلِ عَنُ ذَا المعنويِّ عَمِي^(٩)

والليل^(١٠) يسمّى كافراً^(١١)، وهو الذي يستر الأشياء، و«كافر»^(١٢) هنا بمعنى ساتر، وهذا هو الرّكن الذي أضمره الشيخ^(١٤) عزّ الدين^(١٥) ورادفه ب«الظلمة»، وكثى بها عنه، وظهر^(١٦) منها جناس الإشارة بين^(١٧) «كافر» و«كافر»، غير أنّ الوزن ما عصى الشيخ عزّ الدين^(١٨) حتى عدل إلى المرادف، فلو أراد أن يبرز الرّكنين لكان^(١٩) الوزن داخلاً تحت طاعته^(٢٠) إذا قال:

(١) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

وسالفة الطُّلا: جانب العنق، والطُّلا:

الخمير. (اللسان ١١/١٥، ١٣ (طلي)).

(٢) في ب: «وسالفة».

(٣) في ك: «السُلفة» خ، وفي هامشها:

«الطُّلا» خ.

(٤) «الشيخ عز الدين... تقرّر أنّ» سقطت

من ب، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ

«حش»!

(٥) في ط: «فلا».

(٦) في ط: «تصرفه».

(٧) في د، و: «غفلة».

(٨) في ط: «يضمّر».

(٩) البيت في نفحات الأزهار ص ٢٢.

(١٠) في ط: «فالليل».

(١١) في ك: «كافر».

(١٢) في ب، د، و: «فكافر».

(١٣) «بمعنى» سقطت من ب، وثبتت في

هامشها.

(١٤) «الشيخ» سقطت من ط.

(١٥) في ب: «الشيخ الموصلّي».

(١٦) في ط: «فظهر».

(١٧) في ب: «من».

(١٨) في ب: «الشيخ الموصلّي»؛ وفي ط:

«على عز الدين».

(١٩) في ب، د، ك: «كان».

(٢٠) في ب: «الطاعة».

وكافرٍ نَعَمٌ^(١) الإحسانِ في عذلي ككافرٍ الليلِ عَنْ ذَا الْمَعْنَوِيِّ عَمِي^(٢)
ولمّا وقف [مولانا]^(٣) الشيخ شهاب الدين^(٤) [أحمد]^(٥) بن حجر، أدام الله
بقاءه^(٦)، على هذا النوع قال: هذا عزيز الوجود وأنشد^(٧) بعد أيام في مولانا السلطان
الملك المؤيد، خلّد الله ملكه^(٨)، هذين البيتين وهما في نوع المضمّر المقدم ذكره
غاية^(٩) [من الكامل]:

جَمَعَ الصِّفَاتِ الصَّالِحَاتِ مَلِيكُنَا فغداً بنصرِ الحقِّ منه مُؤَيِّدًا / ٢١ ب
كأبي الأمين^(١٠) برأيه وَكَجَدِّهِ^(١١) أَنَّى توجَّهَ وَابْنِ يَحْيَى^(١٢) فِي النَّدى^(١٣)
ومن نظمي في نوع الإشارة الغربية قولي، من جملة قصيدة^(١٤)، في سُرِّ حِمْيَرَ

= وفي هامش ك: «نقلتُ من خطِّ شيخ

الإسلام ابن حجر المشار إليه ما نصّه:

استقرتُ من الكتاب العزيز هذا النوع لكن

بغير شاهد [كذا] الطاعة والعصيان، وهو

قوله تعالى في آخر الآية [كذا]: ﴿يَوْمَ

نَطَوَى السَّمَاءَ كَظَمِي السَّجَلِ لِلْكَتُبِ﴾*

[الأنبياء: ١٠٤]؛ وبيان كفرهم [كذا]، أنه

جاء من مخروجه أن «السجل» اسم كاتب

كان للرسول، (ﷺ)؛ والسجل، لغة، هو

الكتاب فيصير: «ذاك*» يوم نطوي السماء

كظي السجل للسجل؛ ومثله قوله تعالى:

﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح:

٢٩]؛ فَإِنَّ الزَّرَّاعَ يُقَالُ لَهُمُ «الْكَفَّارُ» أَيضاً،

كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿أَعْجَبَ

الْكَفَّارَ بِنَائِمِهِ﴾* [الحديد: ٢٠]؛ فيصير

هكذا: ليعجب* الكفار: ليغيظ بهم

الكفار. انتهى. وقد أشير فوقها بـ«حشد».

* وردت: «للكتاب»: وهي خطأ.

* غير واضحة في الهامش.

* وردت: «لعجب...» وهي خطأ.

* وردت: «لعجب...».

(١) في ط: «يضمّر».

(٢) البيت سبق تخريجه.

(٣) من ب، ط، و.

(٤) «الشهابي» مكان «الشيخ شهاب الدين».

(٥) من ب.

(٦) «أدام الله بقاءه» سقطت من ب، د، ط،

و.

(٧) في ب، د، ط، و: «وأنشدني».

(٨) سقطت من ط؛ وفي ب: «خلّد الله

سبحانه ملكه».

(٩) في ب: «في غاية فقال»؛ وفي ط: «...».

غايةً، وهما».

(١٠) فوقه في ب، د، و: «الرشيد».

(١١) فوقه في ب، د، و: «المنصور».

(١٢) فوقه في ب، د، و: «والفضل»؛ وفي و:

«يحيى» قبل «وابن يحيى» مشطوبة.

(١٣) البيتان لم أقع عليهما في ديوانه.

(١٤) في ب، د، ط، و: «قصيد».

المحروسة^(١) [من الكامل]:

وجناسُ ذاك السُّكْرِ يَحْلُو لِلوَرَى تحريفُهُ وَيروقُ فِي تشرين^(٢)

ففي صريح^(٣) الجناسِ وتورية التحريف كنايةان لطيفتان يظهر منهما جناس الإشارة محرفاً بين «السُّكْر» و«السُّكَّر»، والمرادُ بقولي: «يروقُ في تشرين» أن عاصي حَمَاة المحروسة^(٤)، يروق في هذا الفصل، إلى أن يرى قراره من أعالي شطوطه، وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة في هذا العام، وهو^(٥) عام ثمانى عشرة وثمانيمئة إلى مولانا المقرّ الأشرف القاضوي [الناصرّي]^(٦) محمد بن البارزي الجهني الشافعي^(٧)، صاحب^(٨) دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الشريفة^(٩) الإسلامية، عظم الله تعالى شأنه^(١٠)، وقد حلّ ركابه الكريم^(١١) بحمّاة المحروسة^(١٢)، وقالت^(١٣) شطوطها [من الكامل]:

* أهلاً ببعيشٍ أخضرٍ يتجدّد^(١٤) *

وروى عاصيها بعدَ نارِ شوقه الكامل عن المبرّد، وعادتْ إلى عصر الشيبية وقد شاهدت الملك المؤيد^(١٥)، ومطلع القصيد^(١٦) [من الكامل]:

خَلَّ التعلُّلَ فِي جِمَى يَبْرين فهوى حَمَاةً هُوَ الَّذِي يُبْريني
وأطعَ ولا تذكُرْ معَ العاصي جِمَى ما في وراءِ النهرِ ما يُرضيني

و: «الشريفة المحروسة».

(١) «المحروسة» سقطت من ط.

(١٠) «عظم الله تعالى شأنه» سقطت من ب، ط.

(٢) البيت في ديوانه ورقة ٣٨ أ.

(١١) «الكريم» سقطت من ب.

(٣) «صريح» سقطت من و، وثبتت في

(١٢) «المحروسة» سقطت من ب.

هامشها.

(١٣) قبلها في ب: «وقلت».

(٤) «المحروسة» سقطت من ط.

(١٤) الشطر لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.

(٥) «هذا العام، وهو» سقطت من ب؛ وفي هذا العام، وهو» سقطت من ط.

(١٥) في ب: «وقالت... يتجدّد، وروى...»

(٦) من ب، د، ط، و.

المبرّد، وعادت... المؤيد» كُتبت بشكل

(٧) «الجهني الشافعي» سقطت من ط.

أبيات من الشعر.

(٨) في ط: «كاتب».

(١٦) في ب: «القصيدة».

(٩) «الشريفة» سقطت من ب، ط؛ وفي د،

ومَعَ افتقاري نظرة تُغْنيني^(١)

لَمَّا يزيدُ الطيرُ في التلحينِ
وخيالهُ في الماءِ كالتنوينِ^(٤)

بالله صدَّقني وخذُ بيمينِي
وهناكُ أجريها برجعِ أنيني
فالدَّمعُ دَمعي والعُيونُ عيوني
فأجبتُ لا، والتينِ والزيتونِ
في ذاكِ دينكُمُ وليُّ أنا ديني
قصصٌ أتتُ بتناسُخِ البشنينِ
أعوادها وتثَقَّفَتُ باللينِ
ألقتهُ مُضطرباً شبيهةً طعينِ^(١٠)
يحكي فَمَ الطعَنَاتِ في التكوينِ^(١١)
ما للنباتي مثلُ سرحِ^(١٣) عُيوني^(١٤)

أنا سائلٌ والنهرُ فيها لَدَّ لي
[منها]^(٢) [من الكامل]:

والنبتُ يضبطُها بشكْلِ معرِبِ
والغصنُ يحكي النونَ في مِيلَانِهِ^(٣)
[منها]^(٥) [من الكامل]:

والله ما أنا آيسٌ من قُرْبِها
فالطرفُ قدُ أَبْقَى^(٦) بقايا أدمعِ
فاخذُ ملامي عندَ فيضِ مدامعي
قالوا أتسلو^(٧) عن ثمارِ شطوطِها
يا لائمينَ على شريعَتِها لكمُ
فلنا^(٨) على الأعرافِ من رِيحانِها
وبشطُ شزعانا^(٩) لنا كمُ شُرَعَتْ
لكنْ إذا اشتبكتُ رأيتُ الظلَّ قدُ
وخيالُ ضوءِ الشمسِ في تدويرهِ
وعيونُها كمُ قال هُذْبُ^(١٢) نباتِها

(١) الأبيات في ديوانه ورقة ٣٨ أ.

ويبرين: قرية من قرى حلب ثم من نواحي
عزاز. (معجم البلدان ٥/٤٩٠)؛
ويبريني: من «يبريني»: أي يشفيني.

(٢) من ب، د، و.

(٣) في د: «ميلاته».

(٤) البيتان في ديوانه ورقة ٣٨ أ.

(٥) من د، و.

(٦) في د: «أبدى».

(٧) في د: «أتسلو»؛ وفي ط: «تسلى».

(٨) في ب: «فلا»؛ وفي د: «قلنا».

(٩) في ب، ط، و: «شرعاً يا».

(١٠) في د: «طعين» (ع).

(١١) في ب، و: «التلوين».

(١٢) في د، ك: «هُذْب».

(١٣) في ط: «شرح».

(١٤) الأبيات في ديوانه ورقة ٣٨ أ - ٣٨ ب؛

وفيه: «والعيون عيون»؛ و«ولي أنا دين»؛

و«وبشطُ شرح يا».

والبشنين: نبات مائي من الفصيلة =

[منها]^(١) [من الكامل]:

بحمأة لا الجيرانُ من جيرون^(٣)

تلك المعالمُ والمعاهدُ بُعَيْتِي^(٢)

[منها]^(٤) [من الكامل]:

تلك الرسومِ بفضلهُم يجروني^(٦)

كم قالَ دَمْعِي^(٥) الصَّبُّ لَيْتَهُمْ عَلَيَّ

[منها]^(٧) [من الكامل]:

فيها صباحاً نورُهُ يَهْدِينِي

يا نازِلِينَ حَمَى حِمَاةَ نَعْمَتُمْ

صرتُمُ بها فالصبرُ غيرُ معيني

قد كنتُ أنساها برؤيتِكُمْ وَقَدْ

بالعُسرِ من صبري وبالمضمونِ

غبتُمُ وهذا مَحْضَرِي لِي شَاهِدٌ

فبحقِّكُم بالبعْدِ لا تُشَقُونِي

وَحَلَلْتُمْ دَارَ السَّعَادَةِ بِالْحَمَى

فلأجله في مِصْرَ^(٨) لا تُبْقُونِي

ذنبِي عَظِيمٌ لَانْقِطَاعِي عَنْكُمُ

لفسادِ تَكْوِينِي فِدَعُ تَكْوِينِي

وَتَكَوَّنَتْ نَارُ اشْتِيَاقِي فِي الْحِشَا

فترقَّقوا بفؤادي المَرهونِ

وعجزتُ ضِعْفاً عَن وَفَا ذَيْنِ اللَّقَا

وَأَرَى ضِيَاءَ الْقُرْبِ^(٩) مِنْ شَمْسِينَ^(١٠)

فَعَسَى يَزُولُ ظِلَامُ بُعْدِي عَنْكُمُ

حَتَّى تُمْ طَرَباً لِرَجْعِ حَنِينِي

وَلِرَقَّةِ فَيْكُمُ أَظُنُّ بِأَتَكُمُ

ورقة ٢٣٨.

وجيرون: قيل هي دمشق، وقيل: اسم قرية

في بلاد الشام. (معجم البلدان ٢/٢٣١).

(٤) من د.

(٥) في ب، ط: «دمع».

(٦) في ك: «تُجروني». والبيت في ديوانه

ورقة ٣٨ب؛ وفيه: «يجزوني».

(٧) من ب، و؛ وَقَبَلَهَا فِي وَ: «يا» مشطوبة.

(٨) في د: «في مصر».

(٩) في د: «الدين».

(١٠) في و: «شمسيني».

=النَّيْلُوقَرِيَّة، ينبت عادةً في الأنهار

والمناقع، وقد يزرع في الأحواض.

(المعجم الوسيط). وفي نسخة مطبوعة

بشرح عصام شعيتو: «وقد وردت في

الأصل اليشنين، والأصح ما أوردناه، لأننا

لم نعثر على لفظة «يشنين» في ما بين

يدينا؛ و«شرعانا»: لعلها «بلدة» إلا أنني

لم أقع عليها فيما عدت إليه من مصادر.

(١) من د، و.

(٢) في ب: «تغنتي».

(٣) في و: «جيروني». والبيت في ديوانه

هَٰذِي^(١) غَرَامِيَّاتٌ صَبَّبَ مَالَهُ
لَكِنْ إِذَا ذَكَرُوا بَدِيْعَ مَدَائِحِ
مَا الْقَصْدُ فَخَرِي إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ
[منها]^(٦) [من الكامل]:

أَلْغَضُنُّ يَسْقِيهِ^(٧) وَغَضُنُّ يَرَاعِيهِ^(٨)
فِي الطَّرْسِ^(١٠) وَهُوَ مَطْوُوقٌ بِيَمِينِهِ
يُنْسِي السَّوَاجِعَ مُعْرَبَ التَّلْحِينِ^(١١)
[منها]^(١٢) [من الكامل]:

هُوَ كَامِلٌ فِي فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ
حَسُنْتُ لِيَالِيهِ وَأَيَّامٌ لَهُ
[منها]^(١٥) [من الكامل]:

يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ الَّذِي عَن وَصْفِهِ
إِنْ جَاءَ نَظْمِي قَاصِرًا مِّنْ ضَعْفِهِ^(١٦)
وَنَعْمَ كَبُرْتُ وَبَانَ عَجْزِي إِنَّمَا
وَحَجَبْتُمُونِي عَن حِمَاةٍ وَغَبْتُ^(١٧)

(٨) فِي ب: «براعتي».

(٩) فِي ب: «يشيني».

(١٠) فِي ط: «فالطرس».

(١١) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ وَرَقَّةٌ ٣٨ب.

(١٢) مِّنْ د، وَ.

(١٣) فِي ب: «فِيْدَا»؛ وَفِي ط: «فَهْدَى».

(١٤) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ وَرَقَّةٌ ٣٩أ.

(١٥) مِّنْ د، وَ.

(١٦) فِي د: «عَن ضَعْفِهِ»؛ وَفِي ط: «عَن وَصْفِهِ».

(١٧) فِي ط: «وَعَبْتُمُوا».

(١) فِي ك: «هَذَا».

(٢) فِي ك: «تَضْمِينِي»؛ وَفِي وَ: «تَضْمِينِي (ن)».

(٣) فِي وَ: «فَوْق».

(٤) فِي ب: «أَزْمَعَهُ».

(٥) فِي وَ: «يَقِين» . وَالْأَبْيَاتُ فِي دِيْوَانِهِ وَرَقَّةٌ

٣٨ب؛ وَفِيهِ: «وَبِالْمُضْمُونِي»؛ وَ«لَا

تَشْقُونَ»؛ وَ«الْمَرْهُونِي»؛ وَ«لِحْنِي»؛

وَ«فَالشُّكُّ أَرْفَعَهُ» .

(٦) مِّنْ ب، د، وَ.

(٧) فِي ب: «تَسْقِيهِ»؛ وَفِي د، ط: «نَسْقِيهِ».

وقعدتُ عن ديوانِ شيخِ شيوخنا
برهانُ شوقي قد أقمْتُ دليلاً
لا زلتمُ بكمالِكُمْ في نعمةٍ
في مِصْرَ جارِ عُويْسٍ^(١) وَالمْتِني
بِسَنَّا^(٢) بِحوثٍ^(٣) مع ضياءِ الدين
مَقرونَةٍ بالتَّصْرِ وَالتَّمْكينِ^(٤)

(١) عُويْس: هو عيسى بن حجاج القاهري.
(الأعلام ١٠٢/٥)؛ وَالمْتِني: لم أقع عليه
في ما عدت إليه من مصادر؛ وضياء
الدين: هو خليل بن إسحاق بن موسى،
ضياء الدين الجندي، من أهل مصر.
(الأعلام ٣١٥/٢).

(١) في ب: «حار عريس».
(٢) في د، ك، و: «بسي».
(٣) في ط: «نجوت»؛ وفي و: «بحوث».
(٤) بعده في ب، ط، و: «انتهى». والأبيات
في ديوانه ورقة ١٣٩؛ وفيه: «جنون»؛
و«عويش وَالمْتِني».

الاستطراد (*)

٩ - واستطردوا خيلاً صبري عنهم فكبت وقصرت كلياتنا بوصولهم^(١) / ٢٢

الاستطراد في اللغة: مصدر «استطرد» الفارس من قرنه^(٢) في الحرب، وذلك أن ينفر^(٣) من بين يديه يوهمه^(٤) الانهزام، ثم يعطف عليه على غرة منه، وهو ضرب من المكيدة، وفي الاصطلاح: أن تكون في غرض من^(٥) أغراض الشعر وتوهم^(٦) أنك مستمرّ فيه ثم تخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما، ولا بدّ من التصريح باسم المستطرد به، بشرط أن لا يكون قد تقدّم له ذكر، ثم ترجع^(٧) إلى الأوّل وتقطع الكلام فيكون المستطرد^(٨) به آخر كلامك، وهذا هو الفرق بينه وبين المخلص، فإنّ الاستطراد يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأوّل وقطع الكلام بعد المستطرد به، والأمران معدومان في المخلص، فإنّه لا يرجع إلى الأوّل ولا يقطع الكلام بل يستمرّ إلى ما يخلص^(٩) إليه.

وحدّ صاحب «الإيضاح» الاستطراد بحد^(١٠) أتى فيه بالغرض بعدما بالغ في الإيجاز، فإنّه قال: الاستطراد هو^(١١) الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به

(*) في ط: «ذكر الاستطراد».

(١) البيت في ديوانه ورقة ٤٤؛ ونفحات

الأزهار ص ١٥١.

وبعده في و: «نوع الاستطراد»، رغم أن

العنوان ثبت في هامشها في مكانه المناسب.

(٢) في ب: «قربه».

(٣) في ط: «ينفر».

(٤) في و: «ويوهمه».

(٥) في و: «في».

(٦) في ب: «توهم».

(٧) في ب: «يرجع».

(٨) في ب: «يقطع الكلام فيكون المستطرد».

(٩) في ب: «يرجع».

(١٠) في ب: «يرجع».

(١١) في ب: «يرجع».

لم^(١) يُقصد بذكر الأول التوصل^(٢) إلى الثاني. ففي قوله «متصل به» جلّ القصد وعدم الاحتياج إلى الكلام الكثير؛ وذكر الحاتمي في «حلية»^(٣) المحاضرة «أنه نقل هذه التسمية عن البحرّي، وذكر غيره أنّ البحرّي نقلها عن أبي تمام. وقال ابن المعتز: الاستطراد هو الخروج من معنى إلى معنى، وفسره بأن قال: هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الإخبار أو الشرط^(٤) أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمّن مدحاً أو هجواً أو وصفاً، وغالب وقوعه في الهجو^(٥)، فمنه^(٦) قوله تعالى في كتابه العزيز^(٧): ﴿أَلَا بَعْدَ لَمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودٌ﴾^(٨)، فذكر «ثمود» استطراد، وقيل: إنّ أول شاهد ورد في هذا النوع وسار مسير الأمثال قول^(٩) السموأل ابن عدياء^(١٠) [اليهودي المشهور، هو]^(١١) [من الطويل]:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ^(١٢)
فانظر إلى خروجه الداخِل من^(١٣) الافتخار إلى الهجو، وحسن عوده إلى ما كان عليه من الافتخار بقوله [من الطويل]:

يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(١٤)
ومنه قول حسان بن ثابت^(١٥)، رضي الله عنه^(١٦) [من الكامل]:

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي فَنَجَوْتُ مِنْجَى^(١٧) الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ

- (١) في ط: «ثم».
- (٢) في ب: «ولا يوصل».
- (٣) في د، ك، و: «حلية».
- (٤) في ب: «النسبة أو الشرط أو الإخبار»؛ وفي د، ط: «التشبيه أو الشرط أو الإخبار».
- (٥) في ب، د، ط، و: «الهجاء».
- (٦) في ب: «فمن».
- (٧) في كتابه العزيز سقطت من ب.
- (٨) هود: ٩٥.
- (٩) في ك: «كقول».
- (١٠) «ابن عدياء» سقطت من د، ط، و.
- (١١) من ب.
- (١٢) البيت في ديوانه ص ٩١؛ والطرز ٣/ ١٧؛ وشرح الكافية البديعية ص ٧٣؛ والعمدة ٦١/٢؛ والإيضاح ص ٢٩٦؛ ونهاية الأرب ١١٩/٧؛ والمستطرف ١/ ١٣٢؛ وكتاب البديع ص ٦١؛ وتحرير التحبير ص ١٣٢؛ وفيه: «أناس» مكان «لقوم».
- (١٣) في ط: «في».
- (١٤) البيت في ديوانه ص ٩١؛ والعمدة ٢/ ٦٢.
- (١٥) بعدها في ب: «الصحابي».
- (١٦) في ب، د، ط: «رضي الله تعالى عنه».
- (١٧) في ب: «فنجوت منحي».

تَرَكَ الْأَحَبَّةَ أَنْ يُقَاتَلَ دُونَهُمْ وَنَجَا^(١) بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ^(٢)
فَانظُرْ كَيْفَ خَرَجَ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى هَجْوِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَالْحَارِثُ هُنَا^(٣) هُوَ^(٤)
أَخُو أَبِي جَهْلٍ، أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَمَاتَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ^(٥)،
يَوْمَ الْيَزْمُوكِ بِالشَّامِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ^(٦) مِنْ قَصِيدَةٍ^(٧) فِي وَصْفِ فَرَسٍ [مِنْ
الْكَامِلِ]:

كَالْهِكْلِ الْمَبْنِيِّ^(٨) إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحَسَنِ جَاءَ بِصُورَةٍ^(٩) فِي هَيْكَلِ
مَلِكِ الْعَيُونَ فَإِنْ بَدَأَ أَعْطَيْتُهُ نَظَرَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ
مَا إِنْ يَعَافُ قَدْىَ وَلَوْ أوردَتْهُ يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ الْأَحْوَلِ^(١٠)
وَمِنْهُ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْبَلَاذِرِيِّ يَرِثِي أَبَا تَمَّامٍ^(١١) [مِنْ الْكَامِلِ]:

أَمْسَى حَبِيبٌ رَهْنٌ قَبْرِ مَوْحَشٍ لَمْ يَدْفَعِ^(١٢) الْأَقْدَارَ^(١٣) عَنْهُ بِكَيْدِ
لَمْ يُنْجِهِ لَمَّا تَنَاهَى عُمُرُهُ أَدَبٌ وَلَمْ يَسْلَمْ بِقُوَّةِ أَيْدِي^(١٤)
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَنَالَكَ رَحْمَةٌ لَكِنْ أَخَافُ قَرَابَةَ ابْنِ حُمَيْدٍ^(١٥)
مَا^(١٦) أَحْسَنَ مَا خَرَجَ مِنَ الرِّثَاءِ إِلَى الْهَجْوِ فِي حَمِيدِ بْنِ قَحْطَبَةَ، وَالْقَرَابَةَ الَّتِي
بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَبِيبِ^(١٧)، أَنَّهُمَا طَائِيَانِ^(١٨).

(١) في ط: «فنجاً». «كصورة»، و«أعطيته».

(٢) البيتان في ديوانه ص ٣٤٦؛ وتحريرو

(٣) في و: «تدفع».

(٤) في ط: «الأقدرا».

(٥) في ب: «أيدٍ»؛ وفي نسخة مطبوعة بشرح

عصام شعيتو: «أيدٍ»؛ و«الأيد: المساعد

القوي»؛ وبها تختلف القافية عما سبقها

أو يليها.

(٦) الأبيات لم أقع عليها في ما عدت إليه من

مصادر.

(٧) قبلها في و: «و» مشطوبة.

(٨) في ط: «وبين ابن حميد».

(٩) في ط: «كانا طائيين».

(١٠) في ط: «فنجاً».

(١١) البيتان في ديوانه ص ٣٤٦؛ وتحريرو

التحبير ص ١٣٠.

وطيمرة: الفرس المشرفة السريعة.

(١٢) اللسان ٥٠٣/٤ (طمر).

(١٣) «هنا» سقطت من ط.

(١٤) «هو» سقطت من ب.

(١٥) من ب.

(١٦) في ب: «أبي عبادة البحتري».

(١٧) في ب: «أبيات».

(١٨) في ب: «المبراء».

(١٩) في ب، د، ط، و: «كصورة».

(٢٠) الأبيات في ديوانه ٩٨٩/٢-٩٩١؛ وفيه:

ومنه قول الحسين^(١) بن عليّ القميّ [من الكامل]:

جاوِزْتُ أَجْبَالَ كَأَنَّ صُخُورَهَا وَجَنَاتُ نَجْمٍ ذِي الْحِيَاءِ الْبَارِدِ
وَالشُّوْكَ يَفْعَلُ فِي ثِيَابِي مِثْلَ مَا فَعَلَ الْهَجَاءُ^(٢) بَعْرُضِ عَبْدِ الْوَاحِدِ^(٣)
ومنه قول أبي^(٤) محمد الزَبَكْدَمِ^(٥)، وهو غاية^(٦) في هذا الباب [وهو]^(٧) [من
الطويل]:

وَلَيْلٍ كَوَجْهِ الْبَرْقَعِيدِيّ ظَلْمَةً وَبَرْدِ أَغَانِيهِ وَطُولِ قُرُونِهِ
قَطَعْتُ وَنُومِي^(٨) عَنْ جُفُونِي مَشْرَدٌ كَعَقْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدٍ وَدِينِهِ
بِذِي أَوْلَقِي فِيهِ اغْوَجَا جَ كَأَنَّهُ أَبُو جَابِرٍ فِي خَبْطِهِ وَجَنُونِهِ
إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ سَنَا وَجْهَ قِرْوَاشٍ وَضَوْءُ^(٩) جَبِينِهِ^(١٠)
فَانظُرْ إِلَى قُوَّةِ اسْتَطْرَادِهِ^(١١) مِنْ وَصْفِ حَالِهِ مَعَ اللَّيْلِ إِلَى هَجَاءِ الثَّلَاثَةِ وَمَدْحِ قِرْوَاشِ.
ومنه^(١٢) [من الطويل]:

إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهُ الْفَتَى وَأَطَاعَهُ فَلَيْسَ بِهِ^(١٣) بِأَسْرٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ جَزْمِ^(١٤) / ٢٢ ب
انظُرْ مَا أَبْلَغَ مَا خَرَجَ مِنَ الْوَعْظِ إِلَى الْهَجْوِ^(١٥) الْمُؤَلِّمَ فِي قَبِيلَةِ جَزْمِ.

(١) في ب، د، ك، و: «الحسن»؛ وفي ط: (٩) في ط: «ونور».

(١٠) الأبيات في نفحات الأزهار ص ١٥٠؛

«الحسين».

وفيه: «قطعت دياجيه بنوم مشرد»؛

(٢) في د: «فعل الهجاء».

و«على أولق فيه التفات».

(٣) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من

مصادر.

والبرقعيدّي: لعله أحد المغنّين؛ وأولقي:

جنون. (اللسان ٣٨٤/١٠ (ولق))؛ وفي

ولعلّ عبد الواحد هنا هو ابن محمد بن

علي الشيرازي، أبو الفرج الأنصاري،

نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو:

«أولق: جمع مفردا ولق، وهو الإسراع

شيخ شيوخ الشام في وقته. (الأعلام ٤/

في الشيء». وهذا وهم.

(١٧٧).

(١١) في ط: «الاستطراد».

(٤) «أبي» سقطت من ب.

(١٢) في ط: «ومثله».

(٥) في ب: «الريكدم»؛ وفي ط: «بن مكدم».

(١٣) في ب: «عليه»؛ وبها يكسر الوزن.

(٦) في ب: «في غاية».

(١٤) البيت بلا نسبة في الإيضاح ٢٩٦.

(٧) من ب.

(١٥) في د: «هجو».

(٨) في ط: «فنومي».

ومنه [من المنسرح]:

وشاذن^(١) بالدلالِ عاتَبَني
فكان ردي عليه من خجلي

ومنه قول ابن المعتز^(٤) [من الكامل]:

ولقد شربتُ مداماً كرخيةً
عُلتُ بماءٍ باردٍ وكأتما^(٥)

ومثله قول^(٧) بعضهم يصف خمراً قد^(٨) طبخت حتى راقَتِ وَصَفَتْ^(٩) [من

البيسط]:

لم يَبَقَ منها وقودُ الطابخينَ لها
إلا كما أُبْقَتِ الأنواءُ من داري^(١٠)

انظر^(١١) ما أحلى ما استطرد^(١٢) من وصف الخمر إلى وصف داره بالخراب

بألطف كناية، والغريب في هذا الباب الاستطراد من الهجو إلى الهجو، وهو^(١٣)

كقول جرير يهجو أمّ الفرزدق [من الوافر]:

لها برصٌ^(١٤) بأسفلِ إسكتيها^(١٥) كعنفقةِ الفرزدقِ حينَ شابا^(١٦)

(١) في ك: «وشاذن».

(٢) في ب: «وميتي»؛ وفي ط: «واميتي»؛

وفوقها في ك: «كذا».

(٣) البيتان بلانسة في نفحات الأزهار ص ١٥١.

(٤) في ب: «وقال ابن المعتز في مثل ذلك».

(٥) في ب، د، ط، و: «فكأتما».

(٦) البيتان لم أقع عليهما في ديوانه، ولا في

ما عدتُ إليه من مصادر.

وكرخية: نسبة إلى الكرخ، المدينة

العراقية المشهورة بخمرتها الجيدة.

(معجم البلدان ٤/٤٤٧).

(٧) في ب: «وقال» مكان «ومثله قول».

(٨) «قد» سقطت من ب، د، ط، و.

(٩) في و: «فصفت».

(١٠) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من

مصادر.

(١١) في ب: «انظر إلى».

(١٢) في ط: «استطاده».

(١٣) «وهو» سقطت من و، وثبتت في هامشها

مشاراً إليها ب «صح».

(١٤) في د: «برص».

(١٥) في د: «أسكتها»؛ وفي ك: «إسكتيها»

مشطوبة، وفي هامشها: «إسكتيها» مشاراً

إليها ب «ص».

(١٦) البيت في ديوانه ص ١٠١؛ وفيه: «ترى

برصاً بمجمع إسكتيها»... والعنفقة:

ما نبت على الشفة السفلى من الشعر.

(اللسان ١٠/٢٧٧ (عنفق)).

ومثله قوله [من الخفيف]:

وكأني أقرأ بحرف أبي عمـ^(١) رو^(١) على القوم سورة الأنعام
محنة تصفع ابن عمرو بن يحيى في دماغ الأعشى بنعل القطامي^(٢)

ولقد أردت أن أستطرد هنا إلى ذكر ما وقع لي وللمتأخرين من الاستطرادات الغربية، فلم أجد أبداع من بيت البديعية، فاكتفيت عند قضاة الأدب بحسن أدائه^(٣)، فإنه أعدل شاهد في هذا الباب؛ وحسب عنان القلم عن الاستطراد في وصفه، علماً أن في إنصاف علماء الأدب إذا وقفوا عليه ما يغني عن ذلك.

وبيت الشيخ صفى الدين^(٤) الحلبي في بديعته:

كأن أناء ليلي في تطاولها تسويف كاذب آمالي بقريرهم^(٥)

الذي يظهر لي أن الشيخ صفى الدين^(٦) غبر^(٧) على الاستطراد^(٨) بتقديم أداة التشبيه في أول البيت، وقد تقدم قول صاحب «الإيضاح» أن لا^(٩) يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني، وما خرج أحد من الاستطراد^(١٠) بطريق التشبيه إلا جعل أداة التشبيه مع المستطرد به في آخر الكلام، كقول السري الرفاء [من الطويل]:

لنا روضة بالدار صيغ لزهريها قلائد^(١١) من حلبي الندى وشنوف^(١٢)

يمر بنا فيها إذا ما تبسمت نسيم كعقل الخالدي ضعيف^(١٣)

وفي هامش ط: «قوله: «على الاستطراد»

كذا في النسخ، وصوابه: «إلى

الاستطراد»؛ وقوله بعد ذلك: «من

الاستطراد» كذا في النسخ، وصوابه:

«إلى الاستطراد». (حاشية).

(٩) «لا» سقطت من ط.

(١٠) انظر الحاشية السابقة (١٥).

(١١) في ك: «فلا بد».

(١٢) «لنا روضة... وشنوف» سقطت من ب؛

وفي ك: «شنوف».

(١٣) البيتان في ديوانه ص ١٧٣؛ وفيه:

«يطيف بنا منها إذا ما تنفست...» =

(١) في د: «أبي عمر».

(٢) في و: «القطام (ي)». والبيتان لم أقع

عليهما في ديوانه.

(٣) في ط: «آدابه».

(٤) «صفى الدين» سقطت من ب.

(٥) البيت في ديوانه ص ٦٨٦؛ وفيه: «تسوف»؛

ونفحات الأزهار ص ١٥١؛ وفيه:

«تطاوله»؛ وشرح الكافية البديعية ص ٧٣.

(٦) في ب: «الحلي»؛ وفي د، و: «صفى

الدين الحلبي».

(٧) في ب، ط: «عبر».

(٨) في ب: «عن الاستطراد».

فأداة التشبيه جاءت هنا في الآخر مع المستطرد به كما تقرّر، ولم يقدّم الناظم في أوّل البيت ما يتوصّل به إلى الآخر^(١). انتهى.

ومثل هذا الإيراد قول ابن^(٢) جلنك الحلبيّ، وهو أظرف ما رأيت في هذا الباب، حكى أنّه كتب رقعة إلى بعض الحكّام، وقيل إنّه^(٣) قاضي القضاة كمال الدين بن الزمكانيّ، يسأله فيها^(٤) شيئاً فوق له بخبز، وأستحيي أن أقول إنّه رطلان، فتوجّه ابن جلنك يوماً إلى بستان يرتاض فيه، فقيل [لَه]^(٥) إنّه بستان قاضي^(٦) القضاة^(٧) المشار إليه، فكتب على بعض حيطانه^(٨) [من الكامل]:

لله بستان حللنا دوحه في جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه^(٩) سنانيراً^(١٠) رأث قاضي القضاة فنقشت أذناها^(١١)

فاستطرده^(١٢) من وصف البستان وتشبيه البان التشبيه المخرع^(١٣) إلى هجو قاضي القضاة، مرقص عند سماعه، وما شكّ أحد من أهل الأدب أنّ التشبيه غريب^(١٤) في اختراعه، وقيل: إنّ الشيخ بدر الدين بن مالك أملى عليهما كراسة في البديع، وأنا بالأشواق إليها و^(١٥) إلى رؤيتها.

ومن استطرادات^(١٦) [أبي عبدالله محمد]^(١٧) بن حجاج [البغدادي]^(١٨) في

= والشنوف: الأقرط. (اللسان ١٨٣/٩) (٩) في د: «تجسه»؛ وفي ط: «تحسبها».

(شفت)). (١٠) في ك: «سنانير».

(١) في ط: «آخره».

(٢) في ب، د، ك، و: «أبي»؛ وفي ط، هـ

ب: «ابن».

(٣) في ط: «إلى».

(٤) «فيها» سقطت من ب.

(٥) من ب، د؛ وفي «و» كتبت فوق «فقيل»

مشاراً إليها ب «صح».

(٦) في ط: «إنه لقاضي».

(٧) في ب: «القاضي» مكان «قاضي

القضاة».

(٨) في ب: «جدرانه»؛ وفي ط: «حائط

البستان».

إلخ... لسلم من هذا» (حاشية).

(١٦) «ولنذكر بعض استطرادات»

وهو خير مقدّم، لم يذكر مبتدأه، ولو

كذا في النسخ،

قال: «ولنذكر بعض استطرادات»

إلخ... لسلم من هذا» (حاشية).

(١٧) (١٨) من ط.

طريقه التي لم ينسج على منوالها غيره، فإنَّ الشيخ جمال الدين بن نباتة^(١)، قال في خطبة كتابه المسمّى بـ«تلطيف»^(٢) المزاج من^(٣) شعر ابن حجاج: «فإنّي رأيت نتائج أفكار الشعراء ذريّة/ بعضها من بعض، وأمّم أشعارهم يبعث^(٤) جميعها^(٥) في صعيد واحدٍ من الأرض، إلّا أشعار الأديب^(٦) الفريد أبي عبد الله الحسين بن حجاج^(٧)، رحمه الله^(٨)، فإنّها أمة غريبة تبعث وحدها، وذريّة عجيبة تبلغ بإتقان اللّهُو واللّعب^(٩) رُشدّها، لم يحطّ خاطر أحد بمثلها خيراً^(١٠)، ولا استطاع على معارضة^(١١) شهدها^(١٢) صبراً. انتهى قول الشيخ جمال الدين^(١٣).

واستطراد ابن حجاج^(١٤) الموعود بذكره قوله^(١٥) يخاطب ممدوحه^(١٦) [من مجزوء الرجز]:

وابني وإن كان صبي
وجدته^(١٨) مُنْقَلَبِي
عندي عزيزُ الطلبِ^(١٩)
حالِ^(٢٠) رضى أو غَضَبِ
بالليل في أستي تختبي^(٢٢)

يفديك^(١٧) أمي وأبي
يا من إليه حيثما
يا من مديحُ غيره
لحيّة من يشنّك في
من عين^(٢١) من يطلبها

- (١) الدين بن نباتة.
(١٤) في ب: «واستطرده»؛ وفي ط: «واستطراده».
(١٥) في ب: «في قوله».
(١٦) «يخاطب ممدوحه» سقطت من ط؛ وفي و: «قوله يخاطب» مكرّرة.
(١٧) في ب، د، ط، و: «تفديك».
(١٨) في ب: «وجهته»؛ وفي هامشها: «وجدته».
(١٩) في ب: «مطلبي»؛ وفي ط: «المطلب»؛ وفي و: «الطلبى»، وفي هامشها: «الطلب» ن.
(٢٠) في ب: «حالي».
(٢١) في ب: «غير».
(٢٢) في ب: «يجتبي»، وفي هامشها: «تختبي»؛ وفي ك: «تجتبي».

- (١) في ب: «النباتي» مكان «جمال الدين بن نباتة».
(٢) في د: «بتلطف...».
(٣) في ط: «في».
(٤) في ط: «تبعث».
(٥) في د، و: «جمعها».
(٦) في ط: «الأريب».
(٧) في د، و: «ابن الحجاج».
(٨) «رحمه الله» سقطت من ب، ط.
(٩) في أهدب: «بيان: اللّهُو واللّعب».
(١٠) «خبراً» كتبت فوق «بمثلها».
(١١) في و: «معارضة».
(١٢) في ك: «سهدها».
(١٣) في ب: «الشيخ النباتي»؛ وفي و: «جمال»

وأُمَّهُ أُمُّ السَّكْوِ
ذاتُ حَرٍّ أَوْسَعِ مَنْ
وَشَعْرَةٌ غَلِيظَةٌ
قَدْ شَابَ مِنْهَا بَعْضُهَا
يُنْقَبُ^(٣) مِنْهَا طَاقَةٌ
فَمَا شَكَّكَتْ أَتَّهَا
ك^(١) فِي اسْتِهَا وَالرَّيْبِ^(٢)
شَارِعِ بَابِ اللَّعِبِ
ذاتِ نَبَاتٍ أَشْيِبِ
وَبَعْضُهَا لَمْ يَشِبِ
بِشَدَّةٍ أَوْ^(٤) تَعِبِ
لَحِيَّةٍ^(٥) إِبْنِ الْحَلْبِيِّ^(٦)
ومن^(٧) الاستطرادات الغريبة في هذه القصيدة^(٨) أيضاً^(٩)، [قوله]^(١٠) وقد^(١١)
بلغه أن المهذب يعشق ابن أخيه وينكر ذلك، ويعقد الأيمان [عليه]^(١٢) بسببه^(١٣)،
قوله^(١٤) [من مجزوء الرجز]:

جَارِيَةٌ مِثْلُ شَرَا
صَعَدْتُ مِنْ عُثْبِلِهَا^(١٦)
ع^(١٥) الْمَضْرَبِ الْمُطَبَّبِ
بِاللَّيْلِ فَوْقَ مَرْقَبِ^(١٧)

- (١) في ب، د، ط، و: «الشكوك».
(٢) في ب: «والذنب».
(٣) في ب: «تتفت»؛ وفي د، ط: «تفتت»؛
وفي و: «تفتت».
(٤) في د، ك، و: «و».
(٥) قبلها في و: «من» مشطوبة.
(٦) في و: «الحلب (بي)». والرجز لم أقع
عليه في ما عدت إليه من مصادر.
ويشناك: من «يشناك»: ييغضك. (اللسان
١٠١/١ (شناً)).
وفي هامشك: «نقلت من خط شيخ الإسلام
المشار إليه ما صورته: ومن استطراداته
المخرعة قوله من قصيدة [من مجزوء الرجز]:
فقلت إعجاباً بها:
أحسننت لي مُتَغْتُ بِكَ
أحسننت يا أوسع من
- فتوح مولانا الملك»
[الرجز لم أقع عليه في ديوانه].
وقد أشير فوقها بـ «حش».
(٧) في ط: «ومنها في».
(٨) «في هذه القصيدة» سقطت من ط؛ وفي
د: «في هذا القصيد».
(٩) «أيضاً» سقطت من ط، و.
(١٠) في ط: «لما».
(١١) من ب.
(١٢) من ط.
(١٣) في ب: «بسبب ذلك».
(١٤) في ب: «وهو».
(١٥) في ب: «الشرع».
(١٦) في ب، ط: «عليها».
(١٧) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو:
«مرقب» (بالتشديد)؛ وبه يكسر الوزن.

حتّى رأيتُ أبْنَ أخِي بحضرة المهدب^(١)
ومثله [قوله]^(٢) من قصيدة^(٣) [من السريع]:

حتّى متى أفديك يا سيّتي
[متى أرى سرّمك منهديماً
قالت: بهذا الأير؟ واستعبرت^(٧)
قلت: نعم هذا على ما به
هذا إذا قام استوى طولُهُ
فلو رأيتيه^(١١) على بيضه
خرّيت بالطول على عارضني
يا أيها الأستاذ يا مَنْ به
خذ بيدي إنّي في محنة^(١٢)

وأما قول القاضي الفاضل في هذا الباب، على طريقته الفاضلية، فإنه عجيب، وهو [غاية في هذا النوع]^(١٣) [من الكامل]:

لي عندكم دينٌ ولكن هل له
من طالِبٍ وفؤادي المرهونُ
فكأنتني ألفٌ ولاّم في الهوى
وكأنّ موعداً وصلك التّنوين^(١٤)
ومثله قول مسلم بن الوليد^(١٥) [من الطويل]:

- (١) الرجز لم أقع عليه في ماعدت إليه من مصادر .
(٢) من ب، د، ط، و .
(٣) في د: «من قصيد». .
(٤) في ب، ط، و: «بندف». .
(٥) في ط: «دقّ استي». .
(٦) من ط .
(٧) في ط: «واستحقرت». .
(٨) في ب: «الإست»؛ وفي ط: «البُخت». .
(٩) في ط: «فما». .
(١٠) في ك: «أنتي». .
(١١) في ب: «رأيتيه». .
(١٢) من ط . والأبيات لم أقع عليها في ما عدت إليه من مصادر .
(١٣) من ب .
(١٤) في ط: «وصلكم تنوين». . والبيتان في ديوانه ص ١٢٢؛ وفيه: «وفؤادي الموهون». .
(١٥) في ب: «وقول مسلم بن الوليد مثله» .

شربتُ^(١) بها حتى تجلّت بغرّة كغرّة يحيى حينَ يُذكرُ خالدُ^(٢)
وغاية الغايات في هذا الباب قول عبد المطلب^(٣) جدّ النبي، (ﷺ)^(٤) [من
البسيط]:

لنا نفوسٌ لنيلِ المجدِ عاشقةٌ ولو تسلّتْ أسلناها على الأسلي
لا ينزلُ المجدُ إلّا في منازلنا كالنومِ ليسَ له مأوى سِوى المُقِلِّ^(٥)
انظر إلى هذه البلاغة الهاشمية، كيف جمعت بين حشمة الافتخار وتفخّم
الحماسة^(٦) وبديع الافتتان^(٧) وغريب الاستطرد ورقة الانسجام.
انتهى الكلام على بيت الشيخ صفي الدين^(٨) الحلبي^(٩).

وبيت العميان [هو]^(١٠):

قد أفصح الضبُّ تصديقاً لبغثته إفصاحٌ فسٌّ وسمْعُ القومِ لم يهيم^(١١)
وهذا البيت على طريق الشيخ صفي الدين^(١٢) الحلبي، فإن^(١٣) ناظمه قصد بذكر
الأول التوصل إلى الثاني.

وبيت الشيخ عزّ الدين^(١٤) الموصلي^(١٥) [هو قوله]^(١٦):

يستطرّدُ الشوقُ خيلَ الدمعِ سابقَةً فيفضّلُ السُّحبَ فضلَ العُربِ للعجم^(١٧)
الذي أقوله: إنّ الشيخ عزّ الدين^(١٨) أحرز قصبات سبق باستطرده^(١٩) هنا على

(١) في ب، ط: «سريت».

(٢) البيت لم أفع عليه في ديوانه.

(٣) في ب: «وقول عبد المطلب غاية الغايات في هذا الباب».

(٤) «جدّ النبي، (ﷺ)»، «سقطت من ب، د، و».

(٥) البيتان له في نفحات الأزهار ص ١٥٠.

(٦) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو:

«في الأصل: الحاسة، وما أثبتناه

أصح».

(٧) في د: «الافتتان».

(٨) في ب: «الشيخ الموصلي»؛ وفي د، ط:

«رحمه الله»؛ وفي و: «رحمه الله تعالى».

(٩) في ط: «بما استطرده».

(١٠) «صفي الدين» سقطت من ب.

الشيخ صفى الدين^(١) وعلى العميان، مع التزامه بتسمية النوع المورى^(٢) به من جنس الغزل، ومراعاة جانب الرقة ونظم الاستطراد على الشرط المذكور.
وبيت بديعيتي [هو]^(٣):

واستطرّدوا^(٤) خيل صبري^(٥) عنهم فكبت وقصرت كلياتنا بوصولهم^(٦) / ٢٣ ب
وهذا البيت غريب ولا بدّ لأهل الأدب من تأهيل غربته^(٧)؛ وقد تقدّم القول بإلغاء الكلام عليه^(٨).

(١) في ب: «الشيخ الحلّي».

(٢) في ب: «المؤدى».

(٣) من ب.

(٤) في د: «وواستطرّدوا».

(٥) في ط: «شوقي».

(٦) البيت سبق تخريجه.

(٧) في ب، ط: «غريبه».

(٨) «وقد تقدّم... عليه» سقطت من ب، د،

ط، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب

«صح»؛ وبعدها في ب، د، ط، و:

«انتهى».

الاستعارة(*)

١٠ - وكانَ عَرْسُ التَّمْتِي يانِعاً فَذَوَى بالاستعارة من نيرانِ هَجْرِهِمْ^(١)

الاستعارة عندهم أفضل من^(٢) المجاز وهي أخص منه، إذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز، وموقعها في الأذواق السليمة أبلغ، وليس في أنواع البديع أعجب منها إذا وقعت في مواقعها، وللتناس فيها اختلاف كثير.

وأما أصحاب المعاني والبيان فإنهم أطلقوا فيها أعتة أقلامهم، وجالوا بها^(٣) في ميادين البحوث، وليس الغرض هنا إلا^(٤) [نفس]^(٥) الاستطراد إلى ما وقع فيها من المحاسن نظماً ونثراً بعد تقريبها إلى الأذهان بحدود يزول بها الالتباس^(٦).

حدّ الرُّمانيّ الاستعارة فقال: هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل؛ وذكر الخفاجي كلام الرمانيّ، وقال: تفسير هذه الجملة^(٧) قوله عزّ وجلّ^(٨): ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ سَيْبًا﴾^(٩)، استعارة^(١٠)، لأن «الاشتعال» للنار

(*) في ط: «ذكر الاستعارة». (٦) في هامش ب: «قال الطغرائي [من

البيسط]:

طردت سرح الكرى عن وِزْدٍ مُقْلَيْتِهِ
والليل يُغْري سواّمَ النومِ بالمُقْلِ

[ديوانه ص ٥٤].

وقد أشير فوقها ب «حش».

(٧) في ك: «الحكمة»، وفي هامشها:

«الجملة».

(٨) في ب: «قوله تعالى».

(٩) مريم: ٤.

(١٠) «استعارة» سقطت من ب.

وفي هامش و: «نوع الاستعارة، وهي من

أجل أنواع البديع وأبدعها». وقد أشير فوقها ب «حش».

(١) البيت في ديوانه ورقة ٤٤؛ وَنَفْحَاتِ
الأزهار ص ٧٧.

(٢) «من» سقطت من ب، و.

(٣) «بها» سقطت من د.

(٤) «إلا» سقطت من و، وثبتت في هامشها

مشاراً إليها ب «صح».

(٥) من ط.

ولم يوضع في أصل اللّغة للشيب^(١)، فلما نقل إليه بأنّ المعنى لما اكتسبه من التشبيه لأنّ الشيب لما [كان]^(٢) يأخذ من الرأس شيئاً فشيئاً حتّى يحيله إلى غير لونه^(٣) الأوّل^(٤)، كان بمنزلة النار التي تسري^(٥) في الخشب حتّى تحيله إلى حالة^(٦) غير حاله المتقدّمة، فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان.

ولا^(٧) بدّ أن تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها، لأنّ الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها، ولا يخفى على أهل الذوق أنّ قوله عزّ وجلّ^(٨): ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٩)، أبلغ من «كثر شيب الرأس»، وهو حقيقة، ولا بدّ للاستعارة^(١٠) من^(١١) مستعارٍ منه ومستعارٍ^(١٢) ومستعارٍ له، فالنار^(١٣) مستعار منها و«الاشتعال» مستعار^(١٤) و«الشيب» مستعار له. انتهى.

ومنهم من قال: هي ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه، وهذا يؤيد قول ابن جني: إن لم تكن^(١٥) الاستعارة للمبالغة وإلا^(١٦) فهي حقيقة. وكلام ابن جني حسن^(١٧) في موضعه، فإنّ الشيء إذا أعطي وصف نفسه لم يكن استعارة. وقال ابن المعتز: هي استعارة الكلمة لشيء لم يُعرف بها من شيء عرف بها، كقول النبيّ، (ﷺ): «ضمّوا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء»^(١٨)؛ فاستعار، (ﷺ)، «الفحمة» لـ«العشاء» لقصد حسن البيان.

ومنهم من قال: هي استعارة الشيء المحسوس للشيء المعقول. وقال^(١٩)

- | | |
|---|--|
| (١) في و: «الشيب». | (١١) بعدها في د: «مستعار و» مشطوبة. |
| (٢) من ط. | (١٢) «ومستعار» سقطت من ب. |
| (٣) في ب: «حاله»، وفي هامشها: «لونه». | (١٣) في ب: «والنار». |
| (٤) «الأوّل» سقطت من و؛ وثبتت في هامشها | (١٤) «مستعار» سقطت من ك، وثبتت في |
| مشاراً إليها ب «صح». | هامشها مشاراً إليها ب «صح». |
| (٥) في د: «تمشي». | (١٥) في ط: «يكن». |
| (٦) «حالة» سقطت من ب، د، ط، و. | (١٦) في ك: «وإلا» كتبت فوق «للمبالغة». |
| (٧) في و: «فلا». | (١٧) «حسن» سقطت من و، وثبتت في هامشها |
| (٨) في ب: «سبحانه وتعالى»؛ وفي ط: | مشاراً إليها ب «صح». |
| «تعالى». | (١٨) الحديث في مسند أحمد بن حنبل ١/ |
| (٩) مريم: ٤. | ٤٥٧؛ ١٢/٢؛ ٧٧/٣. |
| (١٠) في ط: «للاستعارة». | (١٩) في ط: «قال». |

الإمام^(١) فخر الدين الرازي: هي جعلك الشيء للشيء^(٢) للمبالغة في التشبيه؛ وقال ابن أبي الأصبع في «تحرير التحرير»^(٣): هي نقل اسم الراجح إلى المرجوح لطلب المبالغة في التشبيه^(٤) وحسن البيان، فإنك إذا قلت: «زيد الأسد»^(٥)، فقد نقلت اسم الأسد لزيد، لكن الأسد راجح في الجراءة^(٦) وزيد مرجوح، وقد بالغت في تشبيه زيد بالأسد وأحسن البيان. انتهى.

ولا تحسن الاستعارة إلا من حيث^(٧) كان التشبيه مقررًا، وكلما زاد التشبيه خفاءً زادت الاستعارة حسناً، وما أحسن قول ذي الرمة هنا^(٨) [من الطويل]:

أقامت بها حتى ذوى العود في الثرى ولف^(٩) الثريا في ملاءية الفجر^(١٠)
فاستعار للفجر ملاءة وأخرج لفظه مخرج التشبيه، وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه الاستعارة.

وأحسن الاستعارات ما قرب منها دون ما بعد^(١١)، وأعظمها في هذا الباب قوله تعالى^(١٢): ﴿وَالصَّبْحُ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾﴾^(١٣)، / فإنَّ ظهور الأنوار من الشرق^(١٤) من أشعة ٢٤ الشمس قليلاً قليلاً، بينه وبين إخراج النفس مشابهة شديدة القرب، ومن هذا النور استضاء الحريري في مقاماته بقوله: «إلى أن عطس أنف الصباح».

وقد تقدّم أنّ بُعد الاستعارة يبعد من القلوب عند أهل الذوق كقول أبي نواس [الحسن بن هاني]^(١٥)، مع يقظته^(١٦) [مجزوء الرمل]:

- | | |
|--|--|
| (١) «الإمام» سقطت من ط. | (٨) «هنا» سقطت من ب. |
| (٢) «للشيء» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح». | (٩) في ب، ط: «وكف». |
| (٣) في د: «التجبير». | (١٠) البيت في ديوانه ٢٨٦/١؛ والعمدة ١/٤٢٨؛ وفيهما: «والتوى» مكان «في». |
| (٤) وقال ابن أبي الأصبع... في التشبيه سقطت من ب، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح». | الثرى؛ «وساق» مكان «ولف». |
| (٥) في ط: «أسد». | (١١) بعدها في و: «دون ما قرب منها» مشطوبة. |
| (٦) في ط: «الجراءة». | (١٢) في ب: «سبحانه وتعالى». |
| (٧) في ط: «الجراءة». | (١٣) التكوير: ١٨. |
| (٨) في ط: «إذا» مكان «من حيث»؛ وفي ب، د، و: «المشرق». | (١٤) في ب، د، و: «المشرق». |
| (٩) في ط: «إذا» مكان «من حيث»؛ وفي ب، د، و: «حيث». | (١٥) من ب. |
| | (١٦) «مع يقظته» سقطت من و. |

بَحَّ صَوْتُ الْمَالِ مَمَّا مِنْكَ^(١) يَشْكُو وَيَصِيحُ^(٢)
 فأَيُّ شيءٍ أبعد استعارة من صوت المال، وكيف يصيح ويبح من الصباح^(٣)
 والشكوى^(٤)؟ ومثله قول بشار [بن برد]^(٥) [من الطويل]:
 وَجَدْتُ^(٦) رِقَابَ الْوَصْلِ أَسْيَافَ هَجْرِنَا وَقَدَّتْ لِرَجُلٍ الْبَيْنِ نَعْلَيْنِ مِنْ خَدِّي^(٧)
 قال ابن رشيقي في «العمدة»: ما أهجن^(٨) «رَجُلُ الْبَيْنِ» وأقبح^(٩) استعارتها!
 وكذلك «رقاب الوصل»؛ ومثله قول ابن المعتز، وهو [من]^(١٠) أنقد النقاد [وكبأ به
 الجواد]^(١١) [من الخفيف]:

* كَمَلَّ يَوْمٌ^(١٢) يَبُولُ زُبَّ السَّحَابِ^(١٣) *

وأين هذا البعد من قرب استعارة ابن نباتة^(١٤) القديم في قوله [من الكامل]:
 حَتَّى إِذَا بَهَرَ^(١٥) الْأَبَاطِحَ وَالرَّبَا^(١٦) نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِأَعْيُنِ النَّوَارِ^(١٧)
 ف«نظر أعين النوار» من أشبه الاستعارات وأقربها وأليقها^(١٨)، لأنَّ النوار يشبه
 العيون إذا كان^(١٩) مقابلاً لمن يمر به، كأنه ناظر إليه.

- (١) «منك» سقطت من ك، وثبتت في (١٠) من ط.
 هامشها مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ب: (١١) من ب.
 «كان» (١٢) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو:
 «يو» مكان «يوم»؛ وفي الحاشية: «هكذا
 في الأصل، ونظنها: «يوم»».
 (٢) «الصياح» سقطت من ب، د، ط، ك، و؛
 وثبتت في هـ ك مشاراً إليها بـ «صح».
 (٣) «الصياح» سقطت من ب، د، ط، ك، و؛
 العمدة ١/٤٢٩؛ وتامه:
 «تحت ماء الطوفان أو بحر موسى»
 (٤) في ب، د، ط، و: «الشكوى».
 (٥) من ب.
 (٦) في ب، د، ك: «وجدت»؛ وفي ط، و:
 «وجدت»؛ والصواب من الديوان.
 (٧) البيت في ديوانه ص ٨٣؛ والعمدة ١/
 ٤٢٨؛ وفيهما: «وجدت... هجرها».
 (٨) في ط: «أقبح».
 (٩) في ط: «وأهجن».
 (١٠) في ب: «كانت».
 (١١) في ب: «العلامة ابن نباتة».
 (١٢) في ط: «نهر».
 (١٣) في ط: «والثرى».
 (١٤) البيت لم أقع عليه في ديوانه.
 (١٥) في ط: «وأليقها وأقربها».
 (١٦) في ب: «كانت».

ويعجبني هنا قول القائل، ولم يلحق فيما قاله [من الوافر]:
 مَجْرَةٌ جَدُولٍ وَسَمَاءُ آسٍ وَأُنْجُمٌ نَرْجِسٍ وَشَمُوسٌ وَرَدٌّ
 وَرَعْدٌ مِثَالٌ وَسَحَابٌ كَآسٍ وَبَرْقٌ مُدَامَةٌ وَضَبَابٌ نَدٌّ^(١)
 [ومن الغايات^(٢)] في هذا الباب قول مجير^(٣) الدين بن تميم [من البسيط]:
 وَلَيْلَةٌ بَتُّ أَسْقَى فِي غِيَاهِبِهَا رَاحًا تَسَلُّ شَبَابِي مِنْ يَدِ الْهَرَمِ
 مَا زَلْتُ أَشْرِبُهَا حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى غَزَالَةِ الصَّبْحِ تَرَعَى نَرْجِسَ الظُّلَمِ^(٤)
 والذي اتفق عليه علماء البديع أنَّ الاستعارة المرشحة هي المقدمة في هذا^(٥)
 الباب، وليس [فوقها و]^(٦) فوق رُتبتها في البديع رتبة، وأغلاها وأغلاها^(٧) قوله تعالى:
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِحْتِ بِحَنَنِهِمْ﴾^(٨)؛ فَإِنَّ الاستعارة الأولى
 هي^(٩) لفظة^(١٠) «الشراء» رشحت^(١١) الثانية وهي لفظة^(١٢) «الربح» و«التجارة».

ومن الاستعارات المرشحة^(١٣) قول الإمام علي بن أبي^(١٤) طالب، رضي الله
 عنه^(١٥): الدنيا من أمسى فيها على جناح أمن، أصبح منها^(١٦) على قوادم خوف؛ فَإِنَّ
 الاستعارة الأولى التي^(١٧) هي لفظة^(١٨) «الجناح» رشحت الثانية وهي لفظة^(١٩)

- (١) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: (٩) في ط: «وهي».
 «نيد: أي يترك الندي»؛ وهي وهم؛ وبها
 يكسر الوزن. والبيتان لم أقع عليهما في
 ما عدت إليه من مصادر.
 (٢) بعدها في ب: «أيضاً».
 (٣) في ب: «الأمير مجير».
 (٤) «ومن الغايات... الظلم» من ب، ط؛
 وَسَقَطَتْ مِنْ وَ، وَثَبَّتْ فِي هَامِشِهَا مِشَارًا
 إِلَيْهَا بِ «صَح». والبيتان في الأدب في
 العصر المملوكي ١٩٦/٢.
 (٥) في و: «في هذا» مكررة.
 (٦) من ب.
 (٧) «وأغلاها» سقطت من و، وثبتت في
 هامشها مِشَارًا إِلَيْهَا بِ «صَح».
 (٨) مشاراً إليها ب «صح».
 (٩) «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى»
 سقطت من و، وثبتت في هامشها
 مِشَارًا إِلَيْهَا بِ «صح»؛ وفي ط: «لفظ».
 (١٠) في ط: «فيها».
 (١١) «التي» سقطت من ك، وثبتت في هامشها
 مِشَارًا إِلَيْهَا بِ «صح».
 (١٢) «اللفظة» سقطت من و، وثبتت في
 هامشها مِشَارًا إِلَيْهَا بِ «صح»؛ وفي ط: «لفظ».
 (١٣) في ط: «اللفظ».
 (١٤) البقرة: ١٦.

«القوادم» مع زيادة المطابقة بين^(١) «الأمن» و«الخوف»، و«الصباح» و«المساء»؛ وناهيك بالبلاغة^(٢) الهاشمية [وباب المدينة]^(٣). وما أحلى قول بعض العرب فيها: جعلنا سيوفنا^(٤) أزشية الموت فاستقينا بها^(٥) أرواح العدى^(٦).

ومثله قول الشاعر [من المجتث]:

سَلَامَةٌ ابْنُ نَجَاحٍ^(٧) يَجِيدُ^(٨) حَتَّ الرَّاحِ
إِذَا تَغَنَّى زَمَرْنَا عَلَيْهِ بِالْأُقْدَاحِ^(٩)

ومثله لابن سكرة، وشتان بين قوله هنا وبين قوله في «الكافات» [من مجزوء الرمل]:

قِيلَ: مَا أَعْدَدْتَ لِلْبُرِّ دَفَقْدُ جَاءٍ بِشِدَّةٍ
قَلْتُ: دَرَاغَةٌ عُرِّي^(١٠) تَحْتَهَا جُبَّةٌ رِعْدَةٌ^(١١)

والذي ينشي^(١٢) هنا قول القائل [من السريع]:

وَالشَّمْسُ لَا تَشْرَبُ خَمَرَ النَّدى فِي الرُّوْحِ إِلَّا بِكُؤُوسِ الشَّقِيقِ^(١٣)
ومثله قول ابن رشيق^(١٤) [من السريع]:

بَاكِرٌ إِلَى اللَّذَاتِ وَازْكَبَ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ المِرَاحِ^(١٥)
مَنْ قَبْلَ أَنْ تَرشَفَ شَمْسُ الضَّحَى رَيْقَ الغَوَادِي مِنْ تُغُورِ الأَقَاحِ^(١٦)

(١) في ب: «من». (٢) في ب: «البلاغة».

(٣) من ط؛ وهنا إشارة إلى الحديث

الشريف: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». (٤) لسان الميزان لابن حجر ١٤٥/٣

ومستدرك الحاكم ١٢٦/٣.

(٥) في ط: «رماحتنا».

(٦) في هـ ك: «فاستقينا بها» ن.

(٧) في ب: «العداة».

(٨) في ط: «رحمه الله».

(٩) في د: «نجاح».

(١٠) في ط: «المزاج».

(١١) في د، ك، و: «تجيد».

(١٢) البيتان في ديوانه ص ٥٥-٥٦؛ وفيه: =

وما أطفئ قول أبي زكريّا [يحيى] ^(١) المغربي، وقد ترجمه ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب في تاريخه المسمّى بـ«الإحاطة في تاريخ غرناطة»، وهو [من الرمل]:

نَامَ طِفْلُ النَّبْتِ فِي جَحْرِ الثُّعَامَى لَاهْتِزَّازِ الظَّلِّ فِي مَهْدِ الْخُزَامَى ^(٢)
وقال منها ^(٣) [من الرمل]:

كَحَلِّ الْفَجْرِ لَهُمْ جَفْنَ الدُّجَى وَغَدَا فِي وَجْنَةِ الصُّبْحِ لِشَامَا
تَحْسَبُ الْبَدْرَ مُحَيًّا ^(٤) ثَمَلٍ ^(٥) قَدْ سَقَّتُهُ رَاحَةُ الصُّبْحِ مُدَامَا ^(٦)
ويعجبي [هنا] ^(٧) قول ابن قلافس [من الطويل]:

وَفِي طَيِّ أِبْرَادِ النَّسِيمِ خَمِيلَةٌ بِأَعْطَافِهَا نَوُزُ الْمَنَى يَتَفَتَّحُ
تُضَاحِكُ فِي مَسْرَى ^(٨) الْمَعَاطِفِ عَارِضًا مَدَامَعُهُ فِي وَجْنَةِ الرَّوْضِ تُسْفَعُ
وَتُورِي بِهِ كَفَّ الصَّبَا زَنْدَ بَارِقٍ شِرَارَتُهُ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ تَقْدَحُ ^(٩)
وقال [أبو الحسن عليّ بن] ^(١٠) ظافر العسقلاني في كتابه المسمّى بـ«بدائع البدائيه»: اجتمعنا أنا والقاضي الأعزّ ^(١١) يوماً في روضة، فقلتُ له أجزّ [من الرجز]:

* طَارَ نَسِيمٌ ^(١٢) الرّوضِ مِنْ وَكْرٍ ^(١٣) الزَّهْرَ ^(١٤) *

= «المراخ»؛ و«الأقاخ».

- (١) من ب.
(٢) البيت للشيخ الكامل يحيى بن هذيل التجيبي في نفحات الأزهار ص ٧٥.
(٣) و«الثعامة»: من أسماء ريح الجنوب لأنها أبل الرياح وأرطبها. (اللسان ١٢/٥٨٥ نعم).
(٤) «وقال منها» سقطت من ب، ط.
(٥) في ب: «محباً».
(٦) في ب، ط: «ثملاً».
(٧) البيتان للشيخ الكامل يحيى بن هذيل التجيبي في نفحات الأزهار ص ٧٥.
(٨) و«تسفع»: «العواطف»؛ و«تسفع»: «كف».
(٩) من ط، و.
(١٠) في د: «الأعز».
(١١) في و: «النسيم».
(١٢) في د: «ذكر».
(١٣) الرجز في بدائع البدائيه ص ٧٨؛ وفيه: «الزهر».

فقال [من الرجز]:

٢٤ب

* وَجَاءَ مَبْلُوءَ الْجَنَاحِ بِالْمَطَرِ^(١) * /

وما أبدع قول ابن خفاجة في هذا الباب [من الطويل]:

وقد نظرتُ شمسُ الأصيلِ إلى الربِّ بأضعفَ من طرفِ المُرِيبِ وَأَفْتَرِ^(٢)

وصفرةُ مسواكِ الأصيلِ تروقُني على لَعَسٍ مِنْ مَسْقَطِ^(٣) الشَّمْسِ أَسْمِرِ^(٤)

وممن تلطّف في استعمال الاستعارة المرشحة إلى الغاية مجد الدين الإربليّ

بقوله [من الكامل]:

أضغني إلى قولِ العذولِ بِجُمَلَتِي مُسْتَفْهَمًا عَنْكُمْ بغيرِ ملالٍ

لتلقطي زهراتِ وِردٍ خدودِكم^(٥) من بينِ شوْكٍ ملامةِ العَدَالِ^(٦)

وممن جراه في هذه الحلبة أبو الوليد بن^(٧) الحنان^(٨) الشاطبيّ بقوله^(٩) [من

مجزوء الرمل]:

فَوَقَّ خَدَّ الوِردِ^(١٠) دَمْعٌ مِنْ عُيُونِ السُّحْبِ يُذْرَفُ^(١١)

برِداءِ^(١٢) الشَّمْسِ أَضْحَى بَعْدَ مَا سَالَ يَجْفُفُ^(١٣)

وظريف^(١٤) قول مجير الدين بن تميم هنا^(١٥) [من الكامل]:

كَيْفَ السَّبِيلُ بَأَنْ^(١٦) أَقْبَلَ خَدَّ مَنْ أَهْوَى وَقَدْ نَامَتْ عِيونُ الحُرَّسِ

(١) الرجز في بدائع البدائه ص ٧٨؛ وفيه: «بالمطر».

(٢) في ط: «وأفترأ».

(٣) في و: «سقط».

(٤) في ط: «أسمرأ». والبيتان لم أقع عليهما في ديوانه.

(٥) في ب، د، ط، و: «حديثكم».

(٦) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

(٧) «بن» سقطت من ب، و؛ وثبتت في هـ و مشارأ إليها ب «صح».

(٨) في د: «الحيان»؛ وفي ط: «حيان»؛ وفي

و: «الجنان».

(٩) «بقوله» سقطت من ب.

(١٠) في ك: «وردأ الخدأ». (ويرجع التعريف عندئذٍ للكلمة الأولى هنا).

(١١) في ب: «تذرف».

(١٢) في ب: «ورداء».

(١٣) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

(١٤) في و: «وظريف هنا قول مجير الدين بن تميم».

(١٥) في ط: «منها».

(١٦) في ط: «لأن».

- وَأَصَابِعُ الْمُنْثُورِ تَوَمِيئُ نَحْوِنَا
ومثله قوله [من الكامل]:
لَمَّا ادَّعَى الْمُنْثُورُ أَنَّ الْوَرْدَ لَا
وَدَّتْ ثُغُورُ الْأَقْحُوَانِ لَوَ أَنَّهَا
ومثله قوله [من الكامل]:
كَيْفَ السَّبِيلُ لِلثَّمِّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ
[ما بينَ منثورٍ أقامَ ونرجسٍ
هذا يشير بإصبعٍ وعيونُ ذا
وما أحلى قول محبي الدين بن قناص [الحموي] (٧) [من الخفيف]:
قَدِ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ حِينَ تَجَلَّتْ
وَتَحَلَّتْ (٨) مِنَ النَّدَى بِجُمَانٍ
ورأينا خواتمَ الزَّهْرِ لَمَّا
سَقَطَتْ مِنْ أَنْامِلِ الْأَغْصَانِ (٩)
وقال البدر يوسف بن لؤلؤ (١٠) الذهبي (١١) وأجاد [من السريع]:
هَلُمَّ يَا صَاحِإِ إِلَى رَوْضَةٍ
يَجْلُو بِهَا الْعَانِي صَدَا هَمِّهِ
نَسِيْمُهَا يَعْشَرُ فِي ذَيْلِهِ
وزهرها يضحك في كُمَّهِ (١٢)
ومثله قول ابن عمار (١٣) [من مجزوء الكامل]:

- (١) البيتان في الأدب في العصر المملوكي ١٩٤/٢.
(٢) في ط: «يُوتَى».
(٣) «ومثله قوله... المنثور» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح». والبيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(٤) في ب: «فضله».
(٥) من ب، ط، و.
(٦) الأبيات في الأدب في العصر المملوكي ١٩٥/٢.
(٧) بعدها في و: «رحمه الله».
(٨) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.
(٩) «ومثله قول ابن عمار» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».
(١٠) «يوسف بن لؤلؤ» سقطت من ط؛ و«بن لؤلؤ» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ب: «ابن يوسف بدر الدين» مكان «البدر يوسف بن لؤلؤ».
(١١) «ومثله قوله... المنثور» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ب: «ابن يوسف بدر الدين» مكان «البدر يوسف بن لؤلؤ».
(١٢) «ومثله قوله... المنثور» سقطت من و، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح»؛ وفي ب: «ابن يوسف بدر الدين» مكان «البدر يوسف بن لؤلؤ».
(١٣) «ومثله قول ابن عمار» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها بـ «صح».

يَالَيْلَةَ بِثَنَابِهَا فِي ظِلِّ أَكْنَافِ النَّعِيمِ
 مِنْ فَوْقِ أَكْمَامِ الرَّيَا ضِيٍّ وَتَحْتِ أَذْيَالِ النَّسِيمِ^(١)
 وَأَمَّا مَطْلَعُ [قصيداً]^(٢) ابْنِ نَبِيهِ^(٣) فِي هَذَا الْبَابِ، فَإِنَّهُ أَبْهَى مِنْ مَطَالِعِ الْأَقْمَارِ،
 وَدِيَابِجَةِ الْإِسْتِعَارَةِ مِنْ حَلِيهِ^(٤) تَسْتَعَارُ، وَهُوَ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

تَبَسَّمَ ثَغْرُ الزَّهْرِ عَنْ شَنْبِ الْقَطْرِ وَدَبَّ عَذَارُ الظَّلِّ^(٥) فِي وَجْنَةِ النَّهْرِ^(٦)
 وَهَذَا الْمَعْنَى مَوْلَدٌ مِنْ قَوْلِ ابْنِ خَفَاجَةَ [الْأَنْدَلِسِيِّ]^(٧) [مِنَ الطَّوِيلِ]:
 * وَطَرَّةٌ ظَلٌّ فَوْقَ وَجْهِ غَدِيرٍ^(٨) *

ولكن «ابتسام ثغر الزهر عن شنب القطر»، في قول^(٩) ابن نبيه^(١٠)، غاية في
 الشطر الأول، والترشيح بـ«دب عذار الظل في وجنة النهر» غاية الغايات مع إسفار
 وجه التشبيه^(١١).

وَتَلَطَّفَ^(١٢) الشَّرِيفُ الْعُقَيْلِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ بِقَوْلِهِ^(١٣) [مِنَ الْمُجْتَثِّ]:

وَرَوْضَةُ الْأَجَامِ فِيهَا مِنْ زَهْرَةِ الرَّاحِ وَرْدُ
 فَاشْرَبْ عَلَى وَجْهِ رَوْضٍ لَهُ مِنَ الْمَاءِ خَدٌّ^(١٤)
 وَمَا [الطَّفِ وَ] ^(١٥) أَحْلَى قَوْلَ الْقَاضِي السَّعِيدِ ابْنِ سَنَاءَ^(١٦) الْمَلِكِ هُنَا [وَهُوَ]^(١٧)

(١) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

(٢) من ط.

(٣) في ب، ط: «ابن النبيه».

(٤) في ب: «حليته»؛ وفي د، و: «حليته».

(٥) في ب، و: «الظل».

(٦) البيت في ديوانه ص ٢٢٧؛ وفيه: «وجنة الزهر».

(٧) في ب: «فيه» مكان «في... بقوله».

(٨) البيتان لم أقع عليهما في ما عدت إليه من مصادر.

(٩) في د: «عذير»؛ والشطر في ديوانه ص ١٤٢؛ وصدده:

(١٠) من ب.

(١١) في ب، ط: «وإني، وإن جئت المشيب، لمؤلّع» *.

(١٢) في ب: «بيت».

(١٣) في و: «ابن سناء» مكررة.

(١٤) من ب.

[من الكامل]:

ولْبُعْدِهِمْ طالَتْ ذَوائِبُ لَيْلِهِمْ
وأحلى منه قوله^(٤) [من الطويل]:
سَرَى طَيْفُهُ لا بَلْ سَرَى لِي سَرابُهُ
أَتَتْ مَعَ نَفْسِ اللَّيْلِ صَفْحَةً وَجْهَهُ^(٥)
وقال من غيرها [من الطويل]:

* بِشَوِّكَ الْقَنَا يَحْمُونَ شَهْدَ رُضابِهَا^(٧) *

وما أحلى تكميله بقوله [من الطويل]:

* ولا بدَّ دُونَ الشَّهِدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ^(٨) *

ومثله قوله [من البسيط]:

ألقى حبائلَ صَيْدٍ مِنْ ذَوائِبِهِ
وأحلى منه قوله [من الكامل]:
خَصِرٌ أُدِيرَ عَلَيْهِ مَعْصَمٌ قُبْلَةً
وغاية الغايات في هذا الباب^(١١) قوله [من الخفيف]:

بَعَثْتُ لِي^(١٢) عَلَى فَمِ الطَّيْفِ قُبْلَةً
فأتاني بَعْضُ الْمَسْرَةِ جُمْلَةً^(١٣)
ومن الاستعارات الحسنة^(١٤) في هذا الباب قول شمس الدين محمد^(١٥) بن

(١) في د، ط: «فيها».

(٢) في ط: «ضوء».

(٣) البيت في ديوانه ٤٤٩/٢.

(٤) في ب: «الطف منه وأحلى قوله».

(٥) في ط: «خذّه».

(٦) البيتان في ديوانه ١٦/٢.

والتَّقْس: المِداد. (اللسان ٢٤٠/٦)

(نقس)).

(٧) في ب: «رضابهم». والشرط عجزه ما

بعده.

(٨) البيت في ديوانه ٢٢١/٢.

(٩) البيت في ديوانه ١٤٢/٢.

(١٠) البيت في ديوانه ٢٠٦/٢.

(١١) «في هذا الباب» سقطت من ط.

(١٢) في ب: «له».

(١٣) البيت في ديوانه ٢٣٣/٢.

(١٤) في هـ ك: «الجيدة» خ.

(١٥) «محمد» سقطت من ط.

العفيف في مديح^(١) النبي، (ﷺ)^(٢)، [من البسيط]:

حيّاك يا تربة الهادي الرسول حياً بمنطق الرعد بادٍ من فم الشحب^(٣)
وظريف هنا قول ابن قلاقس [من الوافر]:

هدئنا^(٤) للسرور نجوم راح بها قذفت شياطين الهوموم / ٢٥
وكف الصبح تلقط^(٥) ما تبدى بجيد الليل من دُرر النجوم^(٦)
ومن اللطائف في هذا الباب قول أبي الحسن العقيلي^(٧) [من السريع]:

لنا أخ يحسن أن يحسننا رضاه للجائين عذب الجنى^(٨)
قد عرفت روضة معروفه بأنها تُنبِت^(٩) زهر الغنى
إذا تبدى وجهه إحصانه تَزَهت فيه^(١٠) عيون المني^(١١)

ويعجبي في الاستعارة المرشحة قول ابن سعد^(١٢) الموصلي من قصيد^(١٣)
يتشوق بها^(١٤) إلى دمشق المحروسة^(١٥)، فإنه أتى منها^(١٦) في بيت واحد باستعارات
كثيرة مع اجتناب الحشو، ومطلع القصيد^(١٧) [المذكورة هو]^(١٨) [قوله]^(١٩) [من
البسيط]:

- (١) في ب: «الشاب الظريف ابن الشيخ العفيف يمدح» مكان «شمس الدين محمد ابن العفيف في مديح».
- (٢) بعدها في ب: «وشرف وكرم».
- (٣) البيت في ديوانه ص ٧٤؛ وفيه: «الشفيع» مكان «الرسول».
- (٤) في ط: «هدينا».
- (٥) في ك: «يلقط»؛ وفوق الياء نقطتان؛ وفي و: «يلقط».
- (٦) البيتان في ديوانه ص ٥١٥؛ وفيه: «البيتان» في ب، ط: «فيها».
- (٧) في ب، ط: «القصيدة».
- (٨) في ب، ط: «القصيدة».
- (٩) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٠) في ب، ط: «القصيدة».
- (١١) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٢) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٣) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٤) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٥) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٦) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٧) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٨) في ب، ط: «القصيدة».
- (١٩) في ب، ط: «القصيدة».

سقى دِمَشَقَّ وَأَيَّامًا^(١) مَضَّتْ فِيهَا مواطِرُ السُّحْبِ سَارِيهَا وَعَاذِيهَا^(٢)
وبيت الاستعارات^(٣) بعده [من البسيط]:

ولا يزال^(٤) جَنِينُ النَّبْتِ تُرْضِعُهُ حَوَامِلُ الْمُزْنِ فِي أَحْشَاءِ أَرْضِيهَا^(٥)
ومن أغرب الاستعارات وأبدعها وأحشمها قول ابن زيدون من قصيدته^(٦) النونية
المشهوره^(٧) [من البسيط]:

سِرَانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلْمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِينَا^(٨)
وقد عنَّ لي أن أنثرَ في حدائق الاستعارة نبذةً من زهر المنتور، وأورد منه ما يزهو
بُوروده على روضات الزهور، كقول القائل، [وهو]^(٩): وطفقنا نتعاطى شمساً من
أكف بدور، وجسوم نارٍ في غلائل نورٍ، إلى أن دَهَبَ^(١٠) الأصيل على لُجَيْنِ الماء،
وشبَّت نار الشفق في فحمة الظلماء.

ومثله قول عليّ بن ظافر الحدّاد: في دوح انعطفت قدود^(١١) أشجاره،
وابتسمت^(١٢) نغور أزهاره، ودُرَّ كافورٌ مائه على عُثْبَرِ طينه، وامتد^(١٣) بكاسات
الجلنار أنامل غصونه.

وقال آخر وأجاد: وقد غرق من الندى^(١٤) جبين^(١٥) النسيم، وابتل جناح
الهوى^(١٦)، وضربت خيمة الغمام، وأغرورقت مقلّة السماء، وقام خطيب الرعد
فنبض عرق البرق.

وقد^(١٧) حاز القاضي الفاضل قصبات السبق في هذا الميدان بقوله: كتبها

- (١) في ك: «وأيام». (١٠) في د، و: «دَهَبَ»؛ وفي ط: «ذاب
دَهَبُ».
- (٢) البيت لم أقع عليه في ما عدت إليه من مصادر.
- (٣) في ب، د، ط: «الاستعارة».
- (٤) في ب: «ولا زال».
- (٥) في ط: «أحشا أرضيها». والبيت
- (٦) في ب: «من أبيات».
- (٧) «النونية المشهورة» سقطت من ب.
- (٨) البيت في ديوانه ص ١٢.
- (٩) في ب، د، ط، و: «وامتدت».
- (١٠) في ب: «غرق بالندى»؛ وفي د، ط، و:
«عرق بالندى».
- (١١) في ب: «جنين».
- (١٢) في ط: «الهواء».
- (١٣) في ب، د، ط، و: «ولقد».
- (١٤) من ب.

المملوك ليلاً^(١)، وقد عمشت مقلة السراج، وشابت لمة الدواة، وخرس لسان القلم، وكَلَّ خاطرُ السَّكِينِ، وضاق صدر الورقة^(٢).

وما أحلى قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، رحمه الله تعالى^(٣): والأغصان قد أخضرت نبات عارضِها، ودنانير الأزهار ودراهمها قد تهيأت لتسليم قابضها^(٤).

وقال الشيخ^(٥) جمال الدين بن نباتة^(٦): كتبها المملوك وذمُع الغيث^(٧) قد رقي^(٨) ووجه^(٩) الأرض قد راق^(١٠)، وقدود الغصون^(١١) قد راسلت^(١٢) أهواء القلوب بالأوراق، وقيانُ حمائمها^(١٣) قد ترنمتُ وجذبت القلوبَ بالأطواق، والورد قد أحمرَّ خده الوسيم، وفكَّت أزرازه من أجياد القُضب أناملُ النسيم، وخرجت أكفّه من أكامه لأخذ البيعة على الأزهار بالتقديم.

ومما كتبه في البشارة الصادرة عن المقام الشريف المؤيدي^(١٤)، خلد الله تعالى ملكه^(١٥)، عند عوده من البلاد الرومية وحلول ركابه الشريف^(١٦) بحلب المحروسة^(١٧)، المتضمنة^(١٨) ما منَّ اللهُ^(١٩) به منَّ الفتح الذي صار له في الروم قَصَص، سنة عشرين وثمانمئة، فمن ذلك قولي عند حصار قلعة ترسوس^(٢٠) وفتحها: ورأوا ألسن السهام في أفواه تلك المرامي، برأينا الصائب^(٢١) ناطقة، وما

- (١) «ليلاً» سقطت من ط.
(٢) في ط: «الورق».
(٣) «رحمه الله تعالى» سقطت من ب، ط.
(٤) في ك: «قابضها» مصححة عن «قاضيها»؛ وفي هامشها: «قابضها».
(٥) «الشيخ» سقطت من ط.
(٦) في ب: «الشيخ النبائي».
(٧) في ب: «العين».
(٨) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو: «المتضمنة» سقطت من ب.
(٩) «رَقَا: سكن وجف».
(١٠) في ب: «وجه وجّه».
(١١) في ب: «فتزلق».
(١٢) في ط: «الأغصان».
(١٣) في ب: «أرسلت»؛ وفي هامشها: «رَأَى: «أرسلت»؛ وفي هامشها: «أرسلت»؛ وفي ط: «فقالوا: رأينا المصائب».
- (١٤) «المؤيدي»
(١٥) «الملك المؤيد» مكان «المقام الشريف»
(١٦) «الملك المؤيد» مكان «المقام الشريف»
(١٧) «المتضمنة» سقطت من ب.
(١٨) «المتضمنة» سقطت من ب.
(١٩) «سبحانه وتعالى»؛ وفي ب: «تعالى».
(٢٠) لم أقع عليها في ما عدت إليه من مصادر.
(٢١) «رَأَى: «أرسلت»؛ وفي ط: «فقالوا: رأينا المصائب».

أظهروا^(١) على سماء برج غيومٍ ستائر، إلا لَمَعَتْ فيها من بوارق نفوطنا^(٢) بارقة، وحكم عليهم القضاء بالاعتقال، ولم يأتوا عند ذلك الحكم بدافع، هذا بعد ما صَفَّقَ مقبلهم جمادٍ وجَّهه فَبَصَّقَتْ فيه أفواه المَدافع.

وقولي في الاستعارة المرشحة أيضاً عند حصار قلعة «دَرْئِدَة»^(٣) وفتحها: وقررنا^(٤) صدع صخورها^(٥) باختلاف^(٦) الآلات، فجاء ما قَرَّرْنَاهُ نقشاً على حجر، وأدَّعت أن صخرها أصم، فأسمعناه من آذان المرامي تَتَّقِر المَدافع وتحريك الوتر، وقَرَعْنَا سَنَّ جبلها بسيَّابات^(٧) المَدافع^(٨) / وكسرنا منه الثنية، وأمست حُلُقُ مراميها^(٩) كالخواتم في أصابع سهامنا المستوية^(١٠).

ومثله^(١١) قولي عند حصار قلعة «كخْتَا»^(١٢) وفتحها على لسان حال القلعة في سموها وإفراط^(١٣) عُلُوها: فأنا الهيكل الذي ذاب قلبُ الأصيل على تذهيبه، ووَدَّ دينار الشَّمْسِ أن يكون من تعاويده^(١٤)، والشجرة التي لولا^(١٥) سمو فروعها^(١٦) تفكَّهت به حبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده، وتشامخ هذا الحصن ورَفَع أنف^(١٧) جبله وتشامم، فأرمدنا^(١٨) عيونَ مراميهِ بدم القوم، وأميال سهامنا على

(١) في ط: «رموا».

(٢) في ط: «نقوطها».

(٣) في د: «دندرة»: ولعلها كذلك؛ وهي بلدة

صغيرة على غربي النيل من نواحي الصعيد دون قوص. (معجم البلدان ٥٤٣/٢).

(٤) في ب: «وقرر».

(٥) في ط: «سورها».

(٦) في د: «باختلاف» مصححة عن «بالاختلاف».

(٧) في ب، و: «بسيَّابات»؛ وفي ط:

«بنايات». والسيَّابات: ج سيَّابة:

البلحة. (اللسان ٤٧٩/١ (سب)).

(٨) في نسخة مطبوعة بشرح عصام شعيتو:

المدافع؛ وفي الحاشية: «المواقع»:

(٩) في ك: «أنف» كتبت فوق «ورفع».

(١٠) في د: «أرمد».

المذلات».

(٩) في د: «خلق مراميها».

(١٠) في د: «المستوية».

(١١) «ومثله» سقطت من و؛ وتُرك مكانها فارغاً.

(١٢) في ط: «كختر»؛ ولم أقع عليها في ما

عدت إليه من مصادر.

(١٣) في ك: «وإفراط» مصححة عن «في إفراط».

(١٤) في ط: «تعاويذه»؛ وقد أهملت الذال

لضرورة التسجيع.

(١٥) في ب: «لا».

(١٦) في ب، د، ط، و: «فرعها».

تكحيلها^(١) تتزاحم^(٢).

وغاية الغايات في هذا الباب قولي عند حصار [قلعة]^(٣) «كزكر»^(٤): وتكّرت
أكراد «كزكر» بسور^(٥) القلعة، فعرفناهم بعلامات^(٦) القسي وألفات السهام^(٧)،
وعطست أنوف مراميها بأصوات مدافعنا كأن^(٨) بها زكام. ومن حسن^(٩) ختامها،
ولم يخرج^(١٠) عمّا نحن فيه من بديع الاستعارة وغريبها^(١١) قولي: فلا بكر قلعة إلا
افتضينا بكارتها بالفتح وابتدلنا من ستائرنا الحجاب، ولا كأس برج أثرعوه بالتحسين
إلا توجنا رأسه من حبات مدافعنا بالحجاب. انتهى.

ولم أحبس عنان^(١٢) القلم عن^(١٣) الاستطراد إلى ما وقع لي^(١٤) من محاسن
الاستعارة نظماً إلا للتخفيف عن بيت البديعية، من المزاحمة بالنظائر والأشباه، فإنه
ليس له نظير في هذا الباب^(١٥)؛ وقلت تكفيه^(١٦) المزاحمة في مناظرة الشيخ صفي
الدين^(١٧) الحلبي ومبارزة^(١٨) الشيخ عز الدين^(١٩) الموصلي^(٢٠)، وحمل ثقل
العميان.

(١) في ب: «تكحيله».

(٢) في د: «تتزاحم».

(٣) في ب: «عند».

(٤) في ك: «ولم أحبس القلم عن الاستطراد

إلى ما وقع لي»، وفي هامشها: «وقد

حبست عنان القلم عن الاستطراد إلى ما

وقع لي» صح. والأرجح أن عبارة المتن

هي الأصحّ بدليل انتقاض النفي بـ «إلا».

(٥) «من المزاحمة... الباب» سقطت من

ب، د، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً

إليها بـ «صح».

(٦) في ب: «يكفيه».

(٧) «صفي الدين» سقطت من ب.

(٨) في د: «ومبادرة».

(٩) «عز الدين» سقطت من ب.

(١٠) بعدها في ط: «رحمه الله».

(١) في ب: «تكحيله».

(٢) في د: «تتزاحم».

(٣) من ط.

(٤) كزكر: ناحية من بغداد، منها القفص؛

وقيل أيضاً: هو حصن بين سميساط

وحصن زياد، وهو قلعة، وقد خربت.

(معجم البلدان ٤/٤٥٣).

(٥) في د: «بسوق».

(٦) في ب، د، ط، و: «بلامات».

(٧) بعدها في ك: «وعطست أنف مراميها

= بأصوات مدافعنا بعلامات القسي

وألفات السهام؛ وقد أسقطتها لما

سبقها وتلاها من اللفظ نفسه.

(٨) في ط: «وكأن».

(٩) في ب: «وحسن».

(١٠) في د، ط: «نخرج»؛ وفي و: «تخرج».

فبيت (١) الشيخ صفّي الدين (٢) الحلّي (٣)، رحمه الله (٤)، في بديعته، وهو الشاهد على نوع الاستعارة:

إن لم أحتّ مطايا (٥) العزم (٦) مُثْقَلَةً من القوافي تَوَمُّ (٧) المعجّد عن أمم (٨) وبيت العميان:

يقول صَحْبِي وَسُنْفُنُ العيسِ خائِضَةٌ بحرَ اليبابِ (٩) وعينُ القيظِ لم تَنَم (١٠)

بيت الشيخ صفّي الدين (١١) وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما، ولا تتم (١٢) بهما الفائدة (١٣)، فإن بيت الشيخ صفّي الدين (١٤) متعلق بما قبله، وبيت العميان متعلق (١٥) بما بعده.

وبيت الشيخ عزّ الدين (١٦) صالح للتجريد، وهو:

دَعِ المعاصي فشيبُ الرأسِ مُشْتَعَلٌ بالاستعارة من أزواجها (١٧) العُقْمِ (١٨) ولكن لم يخلُ تركيبه من عقادة، وفي «أزواجها العقم» من الرعب ما يكفي (١٩).

- (١) في ب: «وبيت».
- (٢) «صفّي الدين» سقطت من ب.
- (٣) «الحلّي» سقطت من ط، و.
- (٤) «رحمه الله» سقطت من ب.
- (٥) في ب: «المطايا».
- (٦) بعدها في و: «مجتهداً» مشطوبة.
- (٧) في ب: «يوم».
- (٨) في و: «عن أممي». والبيت في ديوانه ص ٦٩٠؛ ونفحات الأزهار ص ٧٧؛ وشرح الكافية البديعية ص ١٢٦.
- (٩) في ب: «النبات»؛ وفي ط: «السراب».
- (١٠) البيت في الحلة السيرا ص ٦٣؛ وفيه: «بحر السراب».
- (١١) في ب: «الشيخ الحلّي».
- (١٢) في ب: «يتم».
- (١٣) في ب: «لهما الفائدة»؛ وفي ط: «الفائدة بهما».
- (١٤) في ب: «الشيخ الحلّي».
- (١٥) «بما قبله... متعلق» سقطت من ك، وثبتت في هامشها مشاراً إليها ب «صح».
- (١٦) في ب: «الشيخ الموصلي».
- (١٧) في ط: «أزواجها».
- (١٨) البيت في نفحات الأزهار ص ٧٧.
- (١٩) ولكن لم... يكفي سقطت من ب، د، =
- وفي هامش ب: «قبل هذا البيت الذي أوله: إن لم أحتّ... [من السيط]: لا لَقَبْتَنِي المعالي بابن بَجْدَتِهَا يومَ الفخارِ ولا بَرَّ التَّقَى قَسَمِي»

أقوالها لو^(١) بلغت ما عسى^(٢) أن في قوله «من أزواجها»^(٣) العقم» ما يرعب^(٤) السامع.

وبيت بديعيتي [المتقدم ذكره في ذلك، هو]^(٥):

وكان غرسُ التمني يانعا فذوى بالاستعارة من نيران هجرهم^(٦)
قد^(٧) تقدم أن المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة، والاستعارة الأولى^(٨)، فلفظة «غرس» رشحت ب«يانع» و«ذوى»^(٩)، وأما قولي «بالاستعارة من نيران هجرهم» بعد لفظة^(١٠) «ذوى» ما^(١١) أعدّه إلّا من المنح الإلهامية، فإن اسم النوع الذي هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح، مع عدم الحشو، وصحة التركيب، والمشي على جادة الرقة، والالتزام بتسمية النوع مورى^(١٢) به من جنس الغزل. انتهى.

-
- =ط، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها
ب «خ».
- (١) في ب، و: «أقولها لو»؛ وفي ط: «أقول ولو».
- (٢) في ك: «أقوالها... عسى» أشير فوقها ب «خ» (خاء ممدودة). وبعدها في ط: «أن يكون».
- (٣) في ط: «أزواجها».
- (٤) في ب، ك: «يرغب».
- (٥) من ب.
- (٦) البيت سبق تخريجه.
- (٧) في ط: «وقد».
- (٨) «والاستعارة الأولى» سقطت من ب، د، ط، ك، و؛ وثبتت في هـ ك مشاراً إليها ب «صح».
- (٩) «وذوى» سقطت من ب، د، ط، ك، و؛ وثبتت في هـ ك.
- (١٠) «لفظة» سقطت من ب، د، ط، و؛ وفي ك: كتبت فوق «بعد».
- (١١) في ط: «فما».
- (١٢) في ب: «مؤدى».

فهرس المحتويات

المقدمة	٥
خطة هذا البحث ومنهجه:	٩
مدخل: ابن حجة الحموي وخزانتة	٢٠
١- ترجمة ابن حجة الحموي (٧٦٧هـ - ٨٣٧هـ):	٢١
٢- آثاره ومصنفاته الأدبية:	٥٤
أ- الآثار النثرية:	٥٤
ب- الآثار الشعرية:	٥٦
ج- مختاراته من الدواوين:	٥٨
د- آثاره المفقودة:	٦١
٣- كتابه المسمى بـ «خزانة الأدب وغاية الأرب»:	٦٢
أولاً: الكتاب:	٦٢
ثانياً: المخطوطة:	٧٢
الفصل الأول: علم البديع ونشأته	١٠٥
الفصل الثاني: البديعيات: نشأتها وتطورها	١٣٤
الفصل الثالث: البديعيات: تعريفها، شروطها، موضوعها، أثرها وقيمتها	١٥٦
١- تعريف البديعيات، شروطها، موضوعها:	١٥٦
٢- أثر البديعيات وقيمتها	١٦٤
الفصل الرابع: ناظمو البديعيات	١٩٠
الفصل الخامس: أهمّ البديعيات وأبرزها	٢٠٩

الفصل السادس : بدعية ابن حجّة الحمويّ وشرحها : دراسة مقارنة

٢٥١	تحليليّة
٣٠٣	[خطبة المؤلّف]
٣٠٧	حسن الابتداء وبراعة الاستهلال(*)
٣٠٧	[حسن الابتداء عند العرب والمولّدين]:
٣١٤	[حسن الابتداء عند المتأخّرين]:
٣٢٩	[براعة الاستهلال في النظم]:
٣٥٠	[براعة الاستهلال في النثر]:
٣٧٦	الجناس المطلق والمرّكب
٤٠٥	الجناس الملقّق
٤١١	الجناس المذيل واللاحق
٤١٨	[الجناس] التام والمطرّف
٤٤١	الجناس المصحّف والمحرّف
٤٥٠	الجناس اللفظي والمقلوب
٤٦٣	الجناس المعنويّ
٤٧٧	الاستطراد
٤٨٩	الاستعارة
٥٠٧	فهرس المحتويات